عيون ..
لها نور من الله

تأليف
ناهد عبد العال الخراشي

القاهرة
١٤١٣هـ — ١٩٩٢م

الطبعة الأولى
ربيع اول ١٤١٣ هـ - سبتمبر ١٩٩٢ م

التوزيع في الداخل والخارج
وكالة الأهرام للتوزيع
شارع الجلاء - القاهرة
ت : ٥٧٤٧٠١١ - ٥٧٤٧٢١١ - ٥٧٤٧٣١١


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

(النور ٣٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ
قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا
تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾
نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا
مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

(فصلت : ٣٠ - ٣٢)

إهـــــداء

إلى كل من يؤمن بوحدانية الله ، ويشهد بعظمة الله . .
إلى كل قلب ينبض بالحب لله . .
إلى كل فؤاد يهمس بالشكر لله . .
إلى كل وجدان يطمئن ويسعد بذكر الله . .
إلى كل روح تحيا فى عالم الصفاء وتسبح فى نور الله . .
إلى كل نفس مؤمنة مطمئنة تتطهر لتصلى تستغفر الله . .

إلى كل عقل يتأمل فى قدرة الله . .
إلى كل فكر يتفكر فى رحمة الله . .
إلى كل إنسان يتبصر فى آيات الله . .
إلى كل فرد يتدبر فى كلمات الله . .

إلى كل نفس ملهمة وروح مشرقة طاهرة تحيا فى عالم الحقيقة حيث الصفاء والنقاء والنورانية . .

أهدى هذا الكتاب حباً فى الله .

لمســة وفــاء

إلى من عاشت معى كل ألوان التأمل لحظة بلحظة . .
إلى من سارت معى فى طريق التفكر خطوة بخطوة . .

إلى من أحست معى بفضل الله وفيض الله . .
إلى من لمست معى حنان الله وحب الله . .

إلى أمى أقدم لمسة وفاء تحمل كل التقدير والولاء . .

رجـــاء وشكر

رجاء إلى كل قارىء وقارئة . . إلى كل من يقرأ هذه القصة ويتابع أحداثها ألا يتعجل فى ابداء رأيه على الفتاة ـ بطلة هذه القصة ـ فلربما تعطى له بعض الفصول أو الجوانب الأولى من القصة حكما خاصا ما يلبث أن يتغير هذا الحكم عند قراءة الفصول والجوانب الأخرى فى هذه القصة .

إنها قصة حب عظيم لله ينبض به كل ذرة فى كيان هذه الفتاة . .
إنها قصة تجربة روحانية أفاض الله وأنعم بها على الفتاة . .
تجربة حية حقيقية تعيش بيننا فى هذا الزمان . .
تجربة هى فيض عظيم من الفيوضات الربانية ، ولمسة كبرى من لمسات الحنان الإلهى ، وآية عظمى من آيات الحب الربانى .

وفى ظلال هذه النعمة الكبرى تحيا الفتاة فى كهف العجز عن حمد الله عز وجل حيث تجد أن كل عمل ، وكل سلوك ، وكل عبادة تقوم بها عاجزة حقيقة عن حمد وشكر الله العظيم على فضله الكريم .

إن هناك أمورا يحسها ويدركها القلب قبل أن يدركها العقل ، ويبصرها الفؤاد قبل أن يحيط بجوانبها العقل البشرى المحدود . والأحداث التى تحتويها قصة هذا الكتاب تدخل ضمن هذه الامور .

لذا فانى أرجو من القارىء العزيز أن يقرأ هذا الكتاب ببصيرة قلبه وفؤاده قبل نور عقله وفكره .

وإنى أتقدم بكل الشكر والتقدير والإمتنان إلى كل من ساهم فى إخراج هذا الكتاب إلى النور ، وإلى كل من قرأ حرفاً فيه آملة ـ والأمل فى الله أولا وأخيرا ـ أن تكون هذه القصة ثمرة نافعة فى طريق الله . . ومصباحا منيراً لمن يسلك سبيل الله . . وبلسما شافيا لكل نفس فقدت غايتها فى القرب من الله . .

بسم الله الرحمن الرحيم

... هذه قصة فتاة آمنت بالله إيمانا كبيراً ، وأحبته حباً عظيما

سارت فى طريقه بإيمان ثابت ، وعهد صادق ، ووفاء خالص على ألا يدق قلبها ، وينبض فؤادها ، ويحيا جسدها إلا لذكره ولعبادته هو وحده .

وهبت حياتها ونفسها وطريقها كله له هو وحده .....

فأصبحت على هُديً من ربها ذات عيون لها نور من الله .

مقـــــدمة

بسم الله الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له الرحمن الرحيم . نور السموات والأرض . منه وحده الفضل . وله وحده الحمد . وإليه وحده يرجع الأمر كله . والحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله . . أشرف المرسلين وخاتم النبيين ، والسلام على من اتبع الهدى وبعد . .

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

بإذن الله جل جلاله وأمره وحده . . وبمشيئته هو وحده . . وبهدايته سبحانه وحده . . وبتوفيق منه وحده . . وبعونه وحده . . وبفضله تعالى هو وحده . . كتبت هذا الكتاب .

هناك كتب يحس الكاتب أنه كتبها بقلمه . .
وهناك كتب يحس أنها أمليت عليه من أنقى عمق فى قلبه .
وليس له من فضل فيها سوى فضل الأداة بأمر الله .
وليس له من حمد لأن الله هو الذى طهر القلب ابتداء .
وهو الذى شاء له أن يكون أداة فى النهاية .

وأحسب أن هذا الكتاب من النوع الأخير .
كنت أكتب وكان إحساسى بكتابته عظيماً . . إحساس يفوق أى كلمة أو أى وصف .
إنه إحساس كامل بحب الله وتلمس حنان الله والوقوف عند معرفة هامة هى حقيقة ثابتة وهى :
أن الإنسان يحيا فى هذا الوجود برحمة الله وفضل الله العظيم .

فالحمد لله حمدا ينبغى لجلال وجهه ويليق بعظيم سلطانه
ربنا لا نحصى ثناء عليك . . . .
أنت سبحانك كما أثنيت على نفسك .

○ ○ ○

لا أنكر باننى ترددت كثيراً فى كتابة هذا الكتاب ، وتراجعت مراراً فى إتخاذ قرار كتابته ونشره .

فلقد هدانى ووفقنى الله عز وجل إلى فكرة هذا الكتاب منذ عشر سنوات تقريبا ، ومنذ هذه الفترة وأنا بين التشجيع والإقبال حينا . . والتردد والتراجع حينا آخر ولكن فجأة ومنذ ثلاث سنوات تقريبا بدأ شىء ما فى نفسى بل فى أعماقى ووجدانى أكبر منى يلح علىَّ ويشدّنى ويدفعنى بقوة جبارة لا أدريها لكتابة هذه القصة ، وبالرغم من صعوبة كتابة هذه القصة حيث أنها قصة حقيقية من الواقع مليئة بآيات من فيوضات الله وعطائه وفتوحاته أكبر من أى عقل أو تصور بشرى أن يتقبله . . ومن هنا كانت الصعوبة إلا أنه كان لدى يقين وإيمان عميق بأن الله عز وجل سيعيننى وسيوفقنى بإذنه وأمره إلى طريق كتابة هذه القصة التى أعتبرها أعظم وأروع وأجمل ما كتبت فى حياتى .

فلم يشجعنى ويحفزنى إلا إيمانى العميق بالله ، وحب الله ، وإحساسى العظيم بأن العالم بل الوجود بأسره يحيا وينعم بالحنان الإلهى والحب الربانى فى ظل الإيمان بالله والتوحيد له عز وجل . .
لا إله إلا هو وحده لا شريك له .

إن إحساسى العميق ورؤيتى الوجدانية التى هى فضل من الله بأن كل شىء يؤمن بالله ، وينطق بحب الله ، ويلمس حنان الله ، ويهنأ برحمة الله ، ويسعد بفيض الله الكريم - فنحن قلوب تتعطش إلى النقاء والصفاء النورانى ولا ترتوى إلا من الحب والحنان الربانى - هذا المنطلق الإيمانى هو الذى أيقظ فى وجدانى الرغبة الملحة والإرادة القوية للتوكل على الله والبدء فى إخراج هذا العمل الذى كُتب بحروف صادقة نابعة من القلب وكأن القلب هنا هو الذى سطر وكتب بأمر الله .

فإن موضوع هذا الكتاب تجربة حية حقيقية من الواقع تحكى عن قصة فتاة آمنت بالله إيمانا كبيرا ، وأحبته حبا عظيما . . سارت فى طريقه بإيمان ثابت ، وعهد صادق ، ووفاء خالص على ألا يدق قلبها . وينبض فؤادها . . ويحيا جسدها إلا لذكره ولعبادته هو وحده

وهبت حياتها ونفسها وطريقها كله له هو وحده . .

فأصبحت على هُدىً من ربها ذات عيون لها نور من الله . .

وبعد إقتناعى التام بفكرة كتابة هذه التجربة الحية الحقيقية التى تعيش بيننا . . بدأ سؤال يتبادر إلى ذهنى ويطرح نفسه على مسرح التساؤلات وهو :

ما هو السبب أو الدافع الرئيسى وراء كتابة مثل هذه القصة ؟
وما هى الفائدة المرجوة من الكشف عن هذه التجربة ؟

وبسرعة بدأت تتبلور أمامى خمسة عشر من الأسباب والفوائد تعلن عن نفسها أنها هى المحرك الرئيسى لكتابة هذه القصة :

أولا : أول هذه الأسباب والفوائد بل وأهمها هو التحدث بنعمة الله قال الله تعالى :

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ (الضحى : ١١)

فالحديث عن هذه التجربه هو تحدث عن نعمة الله على عابدة من عباده تسير فى طريقه بحب صادق يهز وجدانها وكيانها كله ففتح الله عليها ووهبها فضل عظيم .

ولذلك فإن الكشف عن هذه التجربة يعنى التحدث بنعمة الله وفضل الله على عباده .

ولم تعارض الفتاة - بطلة القصة - فى ذلك الهدف بل شجعته لأنها هى نفسها تحكى هذه التجربة بحب تحدثا بنعمة الله عليها وفضله العظيم الذى يملأ كل لحظة فى حياتها حمداً وشكراً وحباً له عز وجل .

ثانيا : أن يكون فى الكشف عن هذه التجربة شمعة مضيئة تنير الطريق أمام الإنسان لما تحتويه هذه التجربة من أجمل المعانى بحب الله ودليل مادى للمسات حنان الله ، ورحمة الله وفضل الله العظيم .

ثالثا : أن يكون فى هذه التجربة ثماراً مفيدة يستفيد منها الآخرون

كما استفادت منها هذه الفتاة وخاصة أن التجربة تحتوى على جوانب كثيرة ففيها جانب البشرى ، وجانب الإبتلاء ولمسات حنان الله وتلطفه فى إبتلائه ، ونجاته للانسان المؤمن المبتلى ، وجانب التقويم والتهذيب والإرشاد فى الأخلاقيات والسلوكيات وغيرها من الجوانب الأخرى التى من الممكن أن تساعد الإنسان فى طريقه ويستفيد منها كما استفادت منها الفتاة حيث أصقلتها وارشدتها وقادتها إلى طريق مراقبة النفس وتهذيبها ومحاولة الترقى بسلوكياتها للقرب من الله .

رابعا : أن يكون فى الكشف عن هذه التجربة زرع بذرة من بذور الإطمئنان فى النفوس المؤمنة بأنه من الممكن لمن يسير فى طريق الله ، وينعم قلبه بحب الله ، ويتجه إلى الله بقلب مخلص صادق تاركاً نفسه لله متوكلاً عليه وحده لاجئا اليه وحده مسقطا التدابير لله وحده أن ينعم الله عليه من فضله ويفتح عليه من الفتوحات والكشوفات ويفيض عليه من فيضه الكريم بما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر حيث يقول الله تعالى :

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾

(الطلاق : ٢ ، ٣)

خامسا : إن فى الكشف عن هذه التجربة نداء صادق من القلب إلى الذين أخذتهم الدنيا وجرفتهم شهواتهم وانحرفت بهم عن طريق الله وأصبحوا لا يرون إلا أنفسهم ولا يعبدون إلا ذاتهم أن يقفوا وقفة تأمل فى لحظات من الصدق مع النفس للتعمق فى هذه التجربة التى تنطق كل لحظة فيها بالإيمان بالله ، وحب الله ، والتمسك بطريق الله ولا بديل غيره ـ وأن يسألوا أنفسهم سؤالا هاماً :

أين نحن من ذلك ؟

لعل يكون هذا السؤال بداية النور الذى يدخل القلب ثمرة للصدق مع النفس فينتج عن ذلك محاسبة النفس والوقوف عند معرفة هامة هو أن هؤلاء ضلوا الطريق ولكن رحمة الله واسعة فإنه هو التواب الرحمن فيبدأون فى تدارك الخطأ والدخول فى طريق التوبة إلى الله المفتوح دائما أمام كل إنسان إنحرف عن الصراط المستقيم وإبتعد عن الغاية الأسمى وهى القرب من الله .

سادسا : ان فى الكشف عن هذه التجربة صوت عال موجه إلى القلوب المظلمة . . المفسدون فى الأرض الذين يعبثون فيها فسادا وطغيانا وظلما ونسوا الله فأنساهم أنفسهم وبذلك ظلموا أنفسهم وأضاعوا حياتهم هباء وظنوا أن الدنيا دنياهم والحياة ملكهم يفعلون ما يشاءون وما يحلو لهم ونسوا أن الله يمهل ولا يهمل وأنه سبحانه نساهم كما نسوه ففقدوا جوهر الحياة وقيمتها الحقيقية فى الإيمان بالله ، وحب الله ، وتقديس الله وتذكر أن الله هو الغنى الحميد وأنهم الفقراء إلى الله على الدوام . . لعل يكون لهذا الصوت المنبثق من الكشف عن هذه التجربة صدى فى نفوسهم المريضة وقلوبهم المظلمة فينقذون أنفسهم من الضياع فيرجعون إلى الله وطريق الله وباب التوبة مفتوح إلى الله فهو أول مدارج السالكين إلى الله .

سابعا : ان فى الكشف عن هذه التجربة دعوة صادقة إلى المسئولين فى الدولة أن يقفوا وقفة ممتزجة بلحظات من التأمل العميق بعيداً عن الدنيا وشهواتها عند رؤى الأحداث العامة والكلمات التى أفاض الله بها على الفتاة ولا تتعلق بحياتها من قريب أو بعيد لعل تكون فى هذه الرؤى معنى عندهم وعونا لهم على طريق الخير والإصلاح .

ثامنا : ان فى الكشف عن هذه التجربة دعوة مخلصة إلى علماء الدين ـ أهل الذكر ـ أن يقفوا وقفة ممتزجة بلحظات من التأمل العميق والتفكر الدفين عند رؤى الأحداث العامة والكلمات التى أفاض الله بها على الفتاة وغيرها من الرؤى الدينية الأخرى لعل يكون لتأملهم فى هذه الرؤى بما أعطاهم الله من منحة العلم والمعرفة والتعمق فى حقائق الأشياء معنى عندهم أو فهما وتأويلا لما عجزت عن فهمه الفتاة

وخصوصا إنى أعتقد ـ ككاتبة لهذه التجربة ـ بأن ظهور الفتاة فى بعض الرؤى الدينية ليس بالضرورة أن يكون خاصا بها وإنما من الممكن ـ والله اعلم ـ أن تكون الفتاة نفسها رمزاً أو معنى عام تشير إليه الرؤى ولعل هذه الرؤى تحمل أثراً من آثار البشرى لهم أو لغيرهم من المسلمين والمسلمات .

ولا داعى ابداً لحصر التركيز والإهتمام على من هى هذه الفتاة ؟

ومن تكون لكى يفيض الله عليها بمثل هذه التجربة أوماهى مواصفاتها ؟

فإن كل ذلك لا يهم . . فليس المهم شخصية الفتاة وإنما يجب أن يكون الإهتمام بجوهر هذه التجربة وآثارها ونتائجها .

ولذلك آثرت ـ ككاتبة لهذه القصة ـ ألا أكشف عن شخصية هذه الفتاة كما لم أكشف عن أى شخصية من الشخصيات التى تعاملت معهم إيمانا ويقينا بأنه ليس هذا هو الهدف وإنما الهدف من الكشف عن هذه التجربة هو جوهرها والثمار التى من الممكن أن نستفيد منها .

تاسعا : إن الكشف عن هذه التجربة ينطوى على صرخة مدوية لعلها تؤتى بثمارها إلى الذين يعبدون الناس ورؤسائهم وحكامهم وأهوائهم ومصالحهم ، ويعبدون الجن ويستخدمون السحر والجان لقضاء حوائجهم وتحقيق مصالحهم .

إن الكشف عن هذه التجربة ينطوى على صرخة مدوية فى وجه هؤلاء لتقول لهم :

أفيقوا من غفلتكم . . فإن الله وحده هو القادر على كل شىء وهو وحده بيده الأمر كله .

ولا يملك الإنسان لنفسه نفعا ولا ضراً الا بما شاء الله .

ولا يستطيع أى من مخلوقات الله أن تفعل شيئا أو تحقق شيئا إلا بأمر الله وبمشيئته وعونه هو وحده .

وتكاد الصرخة أن تعلو وتصيح بهم لتسألهم :

لماذا أغلقتهم أبواب قلوبكم أمام نور الله . . وفتحتوها أمام ظلام الشيطان ؟

لماذا . . لماذا . . لماذا ؟

حقا إنكم فى ضلال وضلال وضلال بعيد .

لعل يكون للكشف عن هذه التجربة ثماراً طيبة وصدى فى نفوس هؤلاء ليقفوا مع أنفسهم وليغلقوا أبواب الشيطان ويفتحوا أبواب اللجوء إلى الله وحده ، وطلب المدد والعون منه وحده فيسجدون سجوداً طويلاً ، ويغوصون فى أعماق السجود حياءا واستحياءا من الله عز وجل لما فعلوه ظلماً عظيماً فى حق الله ثم فى حق أنفسهم ، وليتوبوا إلى الله توبة صادقة مخلصة وليستغفروا إستغفارا كبيراً إنه هو الغفور الرحيم التواب . . يغفر ويرحم ويتوب .

سبحان الله . . ما أعظم نعمة الله علينا .

وبالرغم من أن الكشف عن هذه التجربة ينطوى على صرخة مدوية فى وجه هؤلاء إلا أنها تثمر عن دعوة خالصة من القلب إليهم وإلى كل إنسان باللجوء إلى الله وحده فى كل شىء ، والتوكل والإعتماد على الله وحده فى كل أمر وفعل ، والإستسلام له هو وحده . . ولنعلم جميعا بأنه لن يتحقق إلا مايريده الله ، وما يريده الله هو الخير كله فهو وحده سبحانه صاحب الفضل ومالك الملك ذو الجلال والإكرام رب العالمين . . رب العرش العظيم .

عاشرا : أما عاشر هذه الأسباب هو أن هذه التجربة تضمنت بعض المعارف الجديدة التى أفاض الله بها على الفتاة والتى هى هبة وفضل عظيم من عند الله .

ورأت الفتاة بأن هذه المعارف هى كنز ثمين ليس من حقها أن تخفيه أو تحتفظ به لنفسها فقط حيث أنها تحب الخير وتسعى اليه ويسعدها أن يلمس هذا الخير الجميع .

ومن هذا المنطلق كشفت الفتاة النقاب عن هذه المعارف الجديدة

التى هى بفضل الله وحده لعل يكون لها ثمارا نافعة وطيبة فى نفوس الجميع على طريق الهُدى والخير والصلاح .

ولهذا الهدف كشفت عن هذه التجربة التى تضمنت بعضا من المعارف الجديدة التى أفاض الله بها على الفتاة لعلها تؤتى بثمارها فتكون نفعا ورشداً وخيراً كبيراً فى سبيل الله .

ولذلك حرصت - ككاتبة لهذه التجربة - على نقل وتسجيل هذه المعارف والحقائق الجديدة بكل صدق وأمانة كما تلقيتها وعرفتها من الفتاة بفضل الله وحده .

حادى عشر : من الأسباب الهامة التى دفعتنى لكى أكشف عن هذه التجربة هو ما ألاحظه - وبلا شك نلاحظه جميعا - من سمة العصر الغالبة والسائدة فى هذه الأيام وهى الإتجاه إلى الماديات وحب الشهوات والملذات والإبتعاد عن طريق الله .

فنلاحظ أن فى عصرنا هذا تختلف المصالح ، وتتنازع الأهواء ، وأصبح الهدف هو تحقيق المصلحة الذاتية . . فانعدمت الثقة ، وانحل الترابط ، واختفى التعاون من حياتنا ، وأصبح كل فرد لا يرى إلا نفسه ومصلحته الشخصية وماذا يريد وإلى أى طريق يهدف دون النظر إلى الفائدة الكلية والنفع العام فأصبحت الصورة السائدة محاولة الحصول على المنفعة الذاتية ، والطمع الذى لا حد له ولا ينتهى ابداً وبدأ يتسرب وينتشر فى المجتمع كالوباء فأصبحنا نرى من الأبناء من يقتل والديه ، ومن الأخوة من يستغل أخاه ، ومن الأصدقاء من يكيد لصديقه ، ومن الجيران من يؤذى جاره كأن لم يعد فى هذه الحياة إلا الفساد وصوره .

وأصبحت المعانى الروحانية وسبيل القيم والمثالية شيئا صعباً نادر الوجود ولا أثر له .

إن هذه التجربة وما إحتوته من سمو فى الروحانية وإتجاه إلى القيم والمثالية والإرتباط بالخلق القرآنى والتمسك بطريق الله من الدوافع التى دفعتنى لكى أكشف عنها لعلها تثمر لنا خيراً ونفعا فيكون لنا نصيب من

فضل الله وعطائه الفياض حيث الترقي والسمو فى الروحانية بعيداً عن الأهواء الذاتية مما يقودنا إلى طريق الله ، متوكلين عليه سبحانه وحده متحلين بالخلق القرآنى . . متمسكين بالقيم والمثالية والسلوكيات القويمة . . متخذين رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة لنا ، ونماذج أنبياء الله قدوة طيبة فى حياتنا . . متعاونين على البر والتقوى محاربين الإثم والعدوان والفساد فى جميع صوره وأشكاله يملأنا الصفاء والنورانية والحب لله وحده .

ثانى عشر : ومما جعلنى أكشف عن هذه التجربة هو ما ألمسه من ظاهرة غريبة تطفو على السطح فى هذه الأيام وهو أن هناك دعوة فاسدة خفية تنتشر فى المجتمعات الإسلامية والعربية تدعو إلى أن التمسك بالدين والإرتباط بالقيم الروحية والمثالية طريق التأخر والتخلف أما الإتجاه إلى الماديات والأخذ بالأسباب والظواهر المادية هو طريق الحضارة وسبيل التقدم والرخاء .

ولنقف هنا وقفة تأمل طويلة لعلها توقظنا من غفلتنا لنعيد حساباتنا مرة أخرى ولنعلم أنها دعوة خطيرة موجهة إلى المسلمين فى كل مكان هدفها البعد عن طريق الله .

ولنرجع بأذهاننا ووجداننا إلى الوراء . . إلى عهد ظهور الاسلام عندما كان المسلمون يتمسكون بدين الله وشريعة الله ويغرفون من كنز الحياة الروحية والإرتباط بالقيم والمثالية .

ماذا أثمر ايمانهم بالله وحبهم له وحده الذى كان يجرى فى عروقهم ودمائهم ؟

فلقد أثمر عن حقيقة ثابتة عبر الأيام والسنين . . شاهدة على نفسها فى الماضى والحاضر وفى المستقبل بإذن الله وأمره .

وهذه الحقيقة هى أن أصبح المسلمون وقتئذ بهذا الإيمان الحى النابض بحب الله وحده والسعى اليه وحده . . ملوك العلم والحضارة . . رواد التقدم والرخاء . . قواد الأمن والسلام .

فلقد ولد الإسلام عملاقاً ، ولم تمر أكثر من مائتى سنة على ميلاده

إلا وأصبح المسلمون يقفون على أحوال العالم ويتصدرون بإعتبارهم الأئمة على مفاتيح الفنون والعلوم .

إن الفكر السليم ينبع دائما وابداً من الفطرة السليمة ، وكلما بعد الإنسان عن الفطرة فانه سيضل حتما ، ولا يهتدى ابداً إلى الحق الذى هو غاية كل إنسان فى الوجود .

والفطرة السليمة تواكب الدين ، والدين القيم هو قمة الحقيقة والمعرفة فاذا إبتعد الإنسان عن حقيقة الدين فكأنما إبتعد عن النور الذى يهديه سواء السبيل .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (الروم : ٣٠)

إن الفكر الصادق ذلك الذى تقوم دعائمه على هدى القرآن ، ويشرق به القلب وهو متجه إلى المحراب . . ليؤكد أن رسالة الإنسان هى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات : ٥٦)

فاذا جنى المفكر المسلم ثمار طاعته لله ، فإنه سيقدم لنا مما لاشك فيه إضافات صادقة ومعانى عميقة تعطى للوجود معنى ، وللحياة رسالة وعلى الإنسان أن يؤدى هذه الرسالة وهو مطمئن النفس إلى أن الله معه يؤيده ويثبّت قلبه وليس هو بمحتاج إلى تصفيق الجماهير أو الشهرة أو المجد العلمى أو السياسى .

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ ﴾ (ابراهيم : ٢٧)

لقد سبق العلماء المسلمين العالم كله بقرون عديدة حيث بحثوا فى جملة من العلوم وفى تخصصات مختلفة مما ينم عن غزارة معارفهم ،

وشمولية نظرتهم وإكتمال فكرهم وهذه ثمرة طيبة لإستقاء علومهم من القرآن الكريم والسنة المحمدية .

ومن هذه العلوم التى نبغ فيها العلماء المسلمون وكان لهم السبق الأول فى بناء الحضارة الإسلامية :

التشريع ، التربية والأخلاق ، الإجتماع ، الانثروبولوجى ، علم النفس ، الطب ، الصيدلة ، الكيمياء ، الطبيعة ، الفلك ، الرياضيات (الجبر - الهندسة - الحساب) الميكانيكا ، الموسيقى .

ولقد أخذها عنهم غيرهم من الأمم والشعوب وتقدموا بها حتى وصلوا إلى حضارة القرن العشرين .

إن لكل حضارة من الحضارات دور قامت به ، وما كانت لحضارة أن تسبق حضارة أخرى فى دورها ، فالحضارة التالية تأخذ من الحضارة السابقة وتزيد عليها ، وكأن هناك من يمسك بالكرة فيناولها لغيره ليصيب بها الهدف ، فلولا هذا ما كان ذلك .

وهكذا فى مجال العلم أيضا فلولا البيرونى والخوارزمى وابن الهيثم والغزالى وابن حيان وابن سينا وابن يونس وغيرهم من الأفذاذ من العلماء المسلمين وما كان جاليليو وكوبر نيكوس ونيوتن وديكارت[1] .

ولو لم يبدأ ابن الهيثم فى أبحاثه وتجاربه العلمية لكان على نيوتن أن يبدأ من جديد ، ومن حيث بدأ ابن الهيثم ولو لم يظهر جابر بن حيان لاضطر جاليليو أن يبدأ من حيث بدأ جابر لا من حيث انتهى .

فلولا عصور الحضارة الإسلامية وأبحاث العرب العلمية التى بدأت فى القرن الثامن الهجرى . . لبدأت الحضارة الأوروبية فى القرن العشرين أو ربما لم تكن على الاطلاق .

ولا يخفى علينا بحال من الأحوال أن الحضارة الغربية الحديثة قد استقطبت علوم المسلمين وتوصلت بفضلها إلى إكتشافات جديدة ،

---

(١) الدكتور حسن الشرقاوى : المسلمون علماء وحكماء ، ص ٢٤٦

ومخترعات حديثة الأمر الذى جعل من دولها الفقيرة دولا غنية ، ومن شعوبها الضعيفة شعوبا قوية معتزة بنفسها واثقة فى ذاتها

الا أن الحضارة الغربية لم تستطع أن تنفذ إلى روح التراث الاسلامى ولم تستطع أن تتعرف على سر حضارة المسلمين ، إذ المقلد يستطيع أن يقلد المادى والملموس والمحسوس فحسب ، وهذا ما نجحت الدول الغربية فى تقليده ثم تطويره والتقدم فيه بخطوات رائدة .

أما الجانب الروحى من الحضارة الإسلامية فلم تستطع أن تقلده أو تلمسه إذ أن هذا الجانب غير ظاهر للعيان ، وبذلك لم تنجح إلى الآن فى العثور على القيم والمفاهيم والمثل العليا التى كانت تحرك ضمير الأمة الإسلامية إبان حضارتها الزاهرة التى إستمرت قرونا عديدة .

لم تغنم الحضارة الغربية إذن من حضارة المسلمين إلا الجانب المادى فحسب ، أما الجانب الروحى من تلك الحضارة فقد طواه الزمان فلم يستفد منه أحد على الاطلاق سواء كان من الغربيين أو المسلمين .

فهل يمكن أن نفتش بإعتبارنا من المسلمين على هذا الجانب الروحى من حضارتنا الإسلامية ونحن أولى من غيرنا ؟

وهل يمكن أن ننزع عن تراثنا التراب ، ونكتشف فصوصه النادرة ونسعى لنجعله قدوتنا فى حياتنا الراهنة . ؟

إن الجانب المادى من الحضارة الغربية يمكن أن نستفيد منه فنحن فى أمس الحاجة لإستخدام التقنية وتطوير مجتمعاتنا بإستخدام الوسائل والأساليب الحديثة التى سبقنا الغرب إليها .

لكنا يجب ألا نغفل عن الجانب الذى نفتقده نحن كما يفتقده الغرب حتى الآن وهو الجانب الروحى والذى به تتكون ذاتية الأمة وتحدد مفاهيمها وأخلاقياتها ومثلها العليا .

من الصعب على الحضارة الغربية أن تنفذ اليه . . مهما إستخدمت من الوسائل والتجارب إلا أنه سهل ميسور علينا حيث أنه صادر من الينبوع الذى لا ينضب وهو كتاب الله وسنة رسوله الأمين .

إننا لن نبذل جهداً كبيراً فى الوصول إلى سر التقدم المذهل للمسلمين إبان حضارتهم الزاهرة ، إذا كان رائدنا حقا التمسك بأهداب الدين والعمل بشريعة الله .

إن سر تقدم المسلمين إنما هو تطبيقهم لشريعة الله ، والعمل بها ظاهراً وباطنا ، ومتى كان حكم الله قائما وجد التحضر والرخاء ، ومتى بطل العمل بحكم الله أصبح الإسلام مسافرا ، ووجد التأخر والإنحلال والمجاعات .

وان أعداء الاسلام يعرفون ذلك جيداً ، ولهذا فهم ينشرون هذه الدعوة الفاسدة بأن التمسك بالدين والإهتمام بالجوانب الروحية إنما هو طريق إلى التأخر والتخلف ، وإنما الإهتمام بالماديات هو طريق إلى التقدم والحضارة .

وهذه دعوة خطيرة تسعى إلى الفساد والبعد عن الله ، وتهدف إلى تأخر المسلمين وتخلفهم وإنقطاع أى سبيل من سبل التقدم والرخاء عنهم ، وإنعزالهم عن جوانب الحياة الزاهرة المتطورة .

قال تعالى :

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
(النور : ٦٣)

إن هذه التجربة التى إحتوتها قصة هذا الكتاب تكشف عن معانى ترتبط بالكثير من الجوانب الروحية التى تجعل هدف الإنسان هو الله وتبرز لمسات الحنان الإلهى . . وآيات الحب الربانى على عبده الإنسان الذى خلقه فى أحسن تقويم .

وهى دعوة إلى التأمل فى كل شىء حولنا فى آيات الله فى الكون والحياة والوجود ، وأن نتعلم مما يدور حولنا ويجرى أمامنا من أحداث هى دروس فيها العظة والعبرة .

إن هذه التجربة دعوة كبرى إلى التأمل فى كل شىء صغيرا كان أم كبيرا مستقاة ومستمدة من دعوة الله جل جلاله إلى العالمين فى كتابه العظيم « القرآن الكريم » بالتأمل والتفكر والتبصر والتدبر والتعقل فى آيات الله الكبرى .

فالتأمل هو نبض الحياة ، وإذا توقف الإنسان عن التأمل . . توقفت نبضات حياته عن العمل ، وفقد معنى كل شىء جميل يستطيع أن يشعر به ويتفاعل له كيانه كله ثمرة لتأمله . . فتضيع أيامه هباء ولحظات عمره سدى .

إننا لا نريد أن نكون مثل الحمار الذى يحمل أسفارا ولا يستطيع أن يعمل بها شيئا ، وكل همه وغايته فى الحياة أن يأكل ويشرب وينام دون هدف ، ومن غير أمل ، وبلا غاية .

لقد خلقنا الله أحراراً ، وخلق لنا عقولا جوهرة ثمينة نتأمل ونتفكر بها ، وجعل لنا قلوبا من الممكن أن ترقى حتى تصبح قلوبا نورانية يشرق الله عليها بالعلم والمعرفة الربانية فتثمر التقدم والنجاح والرخاء .

من الممكن أن نلحق بركاب حضارة الغرب بل ونقفز بها خطوات وخطوات ونسبقهم وخاصة وإننا نتميز عنهم بميزة كبرى هى نعمة من عند الله علينا وهى أن الله هدانا إلى دين الإسلام . . الدين القويم الذى اختاره الله لنا وأصطفاه دينا عنده .

إننا لا نريد أجساداً تأكل وتشرب بلا تأمل ولا تعمل ، وإنما نريد عقولا تتأمل وتتفكر فى خلق الله . . وعظمة الله . . وقدرة الله فتثمر لنا الخير بأمر الله ، وقلوبا تنبض بحب الله فتزرع لنا الجمال فى الأرض بفضل الله .

إننا لا نريد أناسا تغلق على نفسها الأبواب لكى تقيم الشعائر والعبادات فقط ، وإنما نريد أناسا تؤمن بالله . . وتحب الله . . وتعبد الله . . وتعمل لله . . وتتأمل فى عظمة الله وآيات صنعه وخلقه . . وتتفكر فى آفاق الوجود بأكمله فتنتج لنا الرخاء والخير وتبين لنا ثمار تأملاتها فتعم الفائدة على الجميع .

إن علماء الدين لا يستطيعون أن يفعلوا كل شيء بمفردهم . من الممكن أن يأخذوا بيدنا ، ويساعدونا ، وينيرون الطريق أمامنا أم أن تكون المسئولية ملقاة على عاتقهم لوحدهم . . فهذا ظلم كبير لهم .

فليحاول كل منا أن يكون عالما فى مجاله ، متطورا فى تخصصه ، باحثا . . يتأمل فى عظمة الله مستعينا بالله وحده فى أن يوفقه ويقوده إلى سبيل الرشد والخير فيثمر لنا الجديد والحديث فى مجاله فيكون بذلك قد أسهم وزرع بذرة من بذور الخير .

وطالما الإيمان بالله يملأنا ، وحب الله يسكننا ، ونور الله يحيطنا نستطيع أن نفعل الكثير بأمر الله وأن نزرع الحب والخير الوفير بعون الله فنحصد الرخاء والتقدم والآمال التى نحلم بها ونفخر بتحقيقها .

إن هذه التجربة تكشف النقاب عن دعوة خالصة من القلب يهتز لها الكيان بالتأمل فى آيات الله ونعمه الكبرى ، ولمسات حنانه وحبه العظمى فى الكون والحياة والوجود كله سائرين فى الطريق ، جادين فى الإجتهاد والبحث والإكتشاف مستعينين بالله وحده . . آملين فى أن يفيض علينا بسبل التقدم والرخاء وإكتشاف ما هو جديد مما يعود على الجميع بالنفع والخير والأمان . . ساجدين له وحده حامدين شاكرين نزداد إيمانا به وحباً له متوكلين عليه وحده فى إعادة بناء الصرح الشامخ للحضارة الإسلامية وإستعادة مجد العلماء المسلمين مستخدمين ما وصل اليه العلم الآن من تقدم وتطور وتكنولوجيا مؤمنين بكلمات الله . . مصدّقين وعده سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

(الأعراف : ٩٦)

قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

(العنكبوت : ٦٩)

فطالما نسير فى طريق الله مجاهدين مجتهدين باحثين متأملين فى صنع الله . . وآيات الله . . وقدرة الله . . وعظمة الله . . آملين فى عون الله فمما لا شك فيه أن الله سيهدينا إلى سبله بسلطان منه هو وحده وبأمره هو وحده إلى إكتشاف الجديد فى آفاق الكون والحياة والوجود مما يعود على البشرية بالخير والنفع يزدادنا وينيرنا الإيمان به هو وحده فيمن الله علينا ببركات وخير من السماء والأرض هو رزق الله . . وهبة الله ومنّته تعالى إلى عباده الصالحين .

وإنى ـ ككاتبة لهذه القصة ـ آثرت أن أكشف عن هذه التجربة لعلها تبرز أهمية التأمل فى حياة الانسان فى كل شىء ، وفى كل لحظة مما يقودنا إلى طريق الله وأن نحذر ونحترس من أعداء الاسلام الذين يتمنون إبادتنا والقضاء علينا ، ولعلها توضح حقيقة هامة هى : أن التمسك بالدين ضرورة لا إستغناء عنها ابداً وأن الإرتباط بالقيم الروحية والمثالية يجنى لنا الكثير من الخير وهو سبيلنا إلى التقدم والرخاء . أما مايُقال من دعاوى فاسدة بالإتجاه إلى الماديات والعلم فقط والإبتعاد عن الدين والقيم الروحية هو دعوة خطيرة لن تجنى إلا التأخر والتخلف والخراب والدمار وسيحل غضب الله علينا . . فليرحمنا الله ويهدينا إلى سواء السبيل .

فعسى أن أكون بكشفى النقاب عن هذه التجربة قد زرعت ثمرة من ثمار الخير على أرض الله الطيبة .

ثالث عشر : من الأسباب التى شجعتنى لكتابة هذه القصة هو أن يكون فى الكشف عن هذه التجربة ثمرة مفيدة لكل نفس ضائعة حائرة ضلت طريقها وفقدت غايتها حيث الإنغماس فى الشهوات والملذات ، ولعلها تكون بذرة طيبة لكل من يسير فى طريق الله ، ولمسة كريمة للأخذ بيد السائرين فى الطريق آملة فى أن تكون عونا بأمر الله للمتعثرين فى طريقهم إلى الله ، ولعلها تكون حافزا قويا لمواجهة الصعاب والمشاكل وعثرات الطريق بإيمان وحب خالص لله جل جلاله .

رابع عشر : من الأسباب القوية التى دفعتنى بقوة وشدّتنى وألحت علىَّ بشدة لكتابة هذه القصة هو ما إحتوته هذه التجربة من إيمان بالله ينطوى

على أجمل المعانى بحب عظيم لله يحيا ويستقر فى وجدان هذه الفتاة فتحيا به وله ، ويتفاعل به كيانها كله مما يدفعها إلى التفكر فى الروحانية وسلوك سبيل المثالية . . الأمر الذى به تتبلور معانى جميلة وعظيمة من الروحانيات تغطى على الماديات التى أصبحت هى السائدة فى المجتمع والتى تسيطر على قلوب الناس وعقولهم حتى أصبح لا مكان للروحانية ولاأثر للمثالية ولا وجود لسبيل الخير إلا فى الكتب والروايات فقط .

إن هذه التجربة وما احتوته من حب عظيم لله مسطور فى قلب فتاتنا . . محفور فى وجدانها وما تضمنه هذا الحب من أجمل المعانى الروحية وإتخاذ سبيل المثالية بحيث يجعل الإنسان يحس بأنه فى عالم آخر بعيداً عن الدنيا وشهواتها . .

يشعر بأنه يحيا فى السماء ، يقفز فيها بخطوات واسعة . . لا يقيده شىء ، ولا يوقفه شىء . . حوله النور بأمر الله . . ينبض كيانه كله بحب الله . . وعندما ينزل إلى أرض الواقع يجد نفسه وكأنه غُسل بالنور والحب الإلهى والحنان الربانى فيراجع حساباته مع نفسه مرة أخرى ، ويعيد نظرته فى الحياة وفى سلوكياته ، وفى مبادئه فتحل المثالية محل الشهوانية ، وتحل الروحانية محل الذاتية ، ويحس بل ويؤمن بأنه خُلق فى هذه الحياة لكى يعبد الله فقط ، والعبادة هنا ليست فقط من خلال إقامة الشعائر والتكاليف وإنما هى أيضا من خلال الكلمة الطيبة ، والسلوك القويم ، العمل الصالح ، والعلم النافع على أن يكون الهدف هو الله . . فينجرد الإنسان من شوائبه فيرتقى آملا طامعا فى القرب من الله وبذلك يستحق أن يكون خليفة الله فى الأرض .

وإيمانى ـ ككاتبة لهذه القصة ـ بأننا فى عصر نفتقد فيه إلى الروحانية ، وفى أمس الحاجة إلى التمسك بالقيم والمثالية . . متعطشين إلى الخير . . محتاجين إلى النور . . لذلك كشفت عن هذه التجربة الروحانية وتركت لكل قارىء الخيار فى أن يستنبط منها من المعانى الروحية ما يشاء . . فلعلها تسمو به إلى عالم آخر وتملأ وجدانه بمشاعر سامية فى طريق النور كان يفتقد اليها ، ولعلها تحرك فى ضميره أشياء كثيرة كانت خافية عليه تقوده إلى سبيل الرشد والخير .

إن هذه التجربة دعوة عامة صادقة نابعة من القلب للسير فى طريق الله ، والتنافس فى حب الله ، والتسابق للفوز بالقرب من الله .

وإنها لنداء من الوجدان إلى الكيان الإنسانى ليعيش روعة الإبداع الإلهى توحيداً ووجوداً فيشهد بربوبية الله الواحد العظيم فلا يسجد إلا له هو وحده ، ولا يسبّح إلا له هو وحده ، فيحيا قولا وفعلا . . يقينا واعتقادا بكلمة :

لا إله إلا الله

ويؤمن ايمانا راسخا ثابتا بوجود الله عز وجل ووحدانيته . . وقدرته العظيمة . . وحنانه الشامل . . وكرمه الواسع . . وفتحه الكبير . . وفيضه الكريم . . وعطفه العميم . . وفضله العظيم .

خامس عشر : وأخيراً . . إن هذه التجربة رسالة حب إلى كل قلب إنسانى بأن ينبض قلبه بحب الله وأن يجعل حبه لله الواحد العظيم هو الحب الذى يفوق كل شىء ، وهو الحب الذى يسيطر على مشاعره ويستحوذ على فكره ووجدانه وكيانه كله ، وهو القانون الذى يحكم حياته . . وبذلك يكون حبه لله العلى العظيم هو الذى يحركه ويدفعه ويوجهه فى كل أفعاله وتصرفاته وسلوكياته ، ويندرج تحت هذا الحب العظيم ويخضع له جميع أنواع الحب الأخرى فيحس أنه يتعامل معها بإعتدال فيشعر بقيمة الحياة ومتعتها وينعم بلمسات من السعادة الكاملة . . فيهنأ بحياته ويشكر الله لأنه خلقه كى يحبه ويعبده .

ويعرف هذا الإنسان أنه إذا أحب الله . . فسيحب والديه وأولاده وزوجه والناس والطبيعة والجمال والقيم والمثل العليا والأخلاق الكريمة والأفعال القويمة ، وكل ما خلقه الله . . وسنّه الله . وشرعه الله . . وسيحب الخير فى كل معانيه وجنوده ، وسيكره الشر فى كل صوره وجنوده .

فإذا استحوذ حب الله على قلب الإنسان وامتلأت به مشاعره كلها ، وتفاعل به وله كيانه كله . . فلن يقول إلا الطيب . . ولن يلفظ إلا الصدق . . ولن يفعل إلا الخير . .

وإذا كان حب الإنسان لله عظيما وأخلص له . . فسيوجهه هذا الحب ويحركه ويدفعه ويقوده إلى طريق الخير . . طريق النور . . طريق الله .

فيجب أن يكون حبنا لله هو المحرك الرئيسى لنا ، والموجه الذى يرشدنا فى جميع أقوالنا وأفعالنا وأعمالنا وتصرفاتنا وأخلاقنا . . وهو الذى يسيطر ويستحوذ على فكرنا ومشاعرنا ووجداننا وهمساتنا ، والقانون الذى يحكمنا فتكون حياتنا بالله ولله ومع الله وفى طريق الله .

إن هذه التجربة رسالة حب ممتزجة بكل الخير والصدق إلى كل نفس . . وكل قلب إنسانى لكى يجعل حبه لله الواحد الرحمن الرحيم رب العرش العظيم هو القوة الدافعة الموجهة له فى حياته ، وتخضع كل أنواع الحب الأخرى لهذا الحب الإلهى . . فيصبح انسانا يفيض بالحب للناس والحيوان وجميع مخلوقات الله والكون بأسره إذ يرى فى كل الموجودات من حوله آثار ربه الذى تشدّه إليه أشواقه الروحية وتطلعاته القلبية .

وإنها فى البداية والنهاية أغنية حب لله العلى العظيم لها أوتار ونغمات جميلة راقية تتغنى بها فتاتنا وتشترك معها الكائنات والمخلوقات فى الغناء بحب الله ، والثناء على الله ، والتقديس والتسبيح والشكر
لله وحده لا شريك له . . فتسمو وترتقى بها إلى عالم آخر فتحلق فى سماء حب خالد باق لا ينتهى يجرى فى دمها وعروقها تحيا به وله ، ويعيش فيه وبه نبضها . .

حب يستقر فى وجدانها .
حب يسعدها ويضىء أيامها نوراً وبهجة وجمالا .
حب لم تحسه من قبل ، ولم تعهده من قبل .
حب هو كل حياتها ولحظات عمرها .
وهو نورها وبصرها وبصيرتها . . يهز أعماقها ووجدانها ومشاعرها وكل كيانها

فهو الغذاء الذى تتغذى به .
وهو النور الذى تستمد منه الحياة .
وهو العلم الذى تستقى منه المعرفة .

وهو النبض الذى يجرى منها مجرى الدم .
وهو الشوق الذى تعيش عليه .
وهو الإحساس المتدفق الذى يفيض خيراً كثيراً .
وهو العجز فى قمته ومعناه الحقيقى .
العجز عن وصف عظمة لمسات الحنان الإلهى ، وآيات الحب الربانى التى تنعم بها . .
العجز الذى يملأها وتشعر به عن كيفية شكر الله وحمد الله .

وهو الطريق الذى يشغلها . .
وهو سر الهدوء الذى يحتويها . .
وهو الأمل الذى يرضيها .
وهو الإطمئنان الذى يطمئن قلبها .
وهو الأمان الذى يملأ حياتها .
وهو الحنان الذى يغنيها .

وهو القوة التى تحس بها .
وهو الثروة التى تملكها .
وهو السعادة الكاملة والحقيقة الكبرى لها فى الوجود .
وهو النعمة الشاملة عليها فى الحياة .

إنه هو الحب الكبير الذى يسعدها ويؤنس وحدتها .
فهو كل شىء فى حياتها ولا شىء غيره .

إن الكشف عن هذه التجربة يبرز الدور الهام الذى يلعبه الحب فى حياة الإنسان حيث أنه أكسير الحياة ، ونبض الوجود ، وسر السعادة القلبية ، ويبلور أن أعظم أنواع الحب هو الحب الإلهى . . منه ينبع الحنان ، وبه يستقر الأمان ، وفيه تسكن المودة ، وعنه تنبعث الألفة مع جميع الكائنات والمخلوقات وإليه يصل القلب إلى الغاية المنشودة وهى السعادة الكاملة حيث يكمن الحب والحنان الإلهى . . والنور الربانى . . والفيض الرحمانى .

فالقلب الإنسانى النابض بالحب الإلهى يحس بالذوبان مع حب الله . .

إن قصة هذه الفتاة وما تحتويه من نبض قلبها بحب الله حيث تمتزج الأحاسيس فى كيانها حتى تصل إلى قمتها حيث الشوق إلى الله الذى يحترق به فؤادها ، ويلتهب به وجدانها ، ويتفاعل به وله كيانها كله من الأسباب القوية التى هزتّنى ودفعتنى دفعا ـ وكأن شيئا خفيا أكبر منى يشدّنى لكتابتها والكشف عن هذه التجربة . . لعلها تنبت نباتا طيبا ، وتثمر ثماراً حسنة ، فتحصد لنا أزهاراً جميلة يانعة ناضرة تحفر بإيمانها وحبها لله بصمات نورانية فى طريق الحب الإلهى .

○ ○ ○

من أجل هذه الأسباب كلها كتبت هذه القصة ، ولهذه الفوائد جميعها كشفت عن هذه التجربة الروحانية التى تعيشها الفتاة ـ بطلة قصتنا ـ حتى الآن بكل وجدانها وأعماقها وفؤادها وهمساتها ودمها وكيانها كله ، وبكل ما وهبها الله من مشاعر متدفقة وبكل ما منحها سبحانه من أحاسيس فياضة تتجه جميعها إلى حب الله . . تهتز شوقا إلى الله .

إنها قصة حب لله العلى العظيم ينبض به قلب فتاتنا ، ويعيش فى كل خلجة من خلجاتها ، ويستقر فى وجدانها ، ويجرى فى دمها وعروقها ، ويتفاعل به وله كيانها كله حتى تحس فى كل لحظة بأن الحياة هى الحب لله عز وجل .

إنها تجربة فى طريق الله الرحمن الرحيم تسلكه فتاتنا بحب فتراقب نفسها محاولة ترويضها وتهذيبها وتقويمها للسير فى طاعة الله . . حريصة على أن ترتقى بسلوكياتها وأفعالها نحو الأفضل دائما بما يرضى الله . . آملة طامعةفى القرب من الله والفوز برضائه ورحمته وحبه .

وإذا كانت هذه الأسباب والفوائد هى دوافعى الظاهرة فى كتابة هذا الكتاب غير أننى أجهل ما بداخلى من دوافع خفية أكبر منى شدّتنى ودفعتنى دفعا لكتابته .

لا أحد يدرى حقيقة دوافعى لكتابته غير الله عز وجل .

وأدعو الله جل جلاله أن أكون بكتابتى لهذه القصة قد ساهمت فى زرع بذرة من بذور الخير والصلاح .

وإنى - ككاتبة لهذه التجربة - لا أتحامل أو أضغط على أحد كى يصدّقها ولا أهاجم أحداً قد يكذّبها . . فمسألة التصديق والتكذيب من شأن القارىء نفسه ومتروكة له ، وليس لى الحق فى التدخل فيها .

ولم يكن ابداً على الاطلاق ذلك هو الهدف . . فلقد كان هدفى منذ البداية هو الإفادة والإستفادة .

ولكن الأمانة تقتضى أن أسجل هنا كلمة حق واجب علىّ ذكرها وهى :

« إن كل ما قيل فى هذه القصة ، وما احتوته هذه التجربة من رؤى وأحداث حدثت حقيقة بالفعل فى الواقع . . والله على ما أقول شهيد وهو سبحانه خير وأعظم الشاهدين » .

وهناك حقيقة هامة أود أن أسجلها بل وأحرص على وضعها أمام القارىء حتى لا يكون هناك فرصة للوقوع فى الزلل أو الإلتباس أو الخطأ ، وهذه الحقيقة هى :

[إن هذه الفتاة - التى تعيش هذه التجربة الروحانية بكل كيانها - لا تدعّى النبوة . . فهى تعرف جيداً بل وتؤمن يقينا بأن عصر الأنبياء قد انتهى واختتم برسول الله خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام .

ولا تعطى لنفسها الحق فى أن تعلن بأنها داعية أو من أولياء الله الصالحين أو أن لها كرامات .

فكل ذلك لا تدّعيه فتاتنا على نفسها بل تعترف بأنها لا تعتبر نفسها داعية ولا ولية من أولياء الله وليس لها أى كرامات أو خوارق على الاطلاق ، وإنما هى عابدة فقيرة إلى الله . . محتاجة اليه فى كل لحظة تحاول أن تسير فى طريق الله مستعينة به هو وحده . . لاجئة اليه هو وحده . . طامعة فى حبه ورضاه

وعفوه وكرمه . . آملة فى أن يدخلها برحمته مع عباده الصالحين فأنعم الله جل جلاله عليها بالرؤى الصالحة التى هى هبة من عند الله وفضل عظيم من عنده سبحانه تحمده وتشكره عليها حمداً وشكرا كثيراً .

وهى ليست مفتتنة أو مغرورة بهذه الرؤى فهى تؤمن بأنه ليس لها الخيرة من أمرها فى شىء ، ولا تملك لنفسها نفعا أو ضراً الا بما شاء الله .

وأن هذا فضل عظيم من عند الله ، ونعمة كبرى يهبها الله لمن يشاء من عباده وينزعها ممن يشاء من عباده .

فهى تتوكل على الله الحى القيوم صاحب الأمر . . مالك الملك . . بيده هو وحده مقاليد الأمور كلها . . السميع العليم :. القادر على كل شىء . . تحمده هو وحده رب العالمين . . رب العرش العظيم .

كما أنها تعلم جيداً بإن الملك ملك الله ، والفضل فضل الله ، وأن هذا الفضل الذى وهبه الله لها من ملكه وحده وبمشيئته هو وحده . . إذا أراد أن يزيدها منه فسيفيض عليها بالمزيد بأمره وإذا أراد أن ينزعه منها فسيتحقق ذلك بمشيئته هو وحده وهى تدعو الله دائما بألا يحرمها أبداً من هذه النعمة وأن يمن عليها دائما من فضله ويزيدها من عطائه الفياض ونوره الوهاب . . إنه هو السميع العليم .

وليس لهذه الفتاة ـ أى أمل فى الحياة إلا أن ترتقى وترتقى بسلوكياتها وأخلاقياتها لتحظى برضا الله والقرب من الله يملأها الحب لله والشوق إلى لقائه] .

وكما تتحدث الفتاة بنعمة الله عليها . . أتحدث ـ ككاتبة لتجربة الفتاة ـ أيضاً بنعمة الله علىَّ فأحمده حمداً وشكراً كثيراً أن أطال بى العمر ، وهيأ لى من الأسباب والظروف ما جعلنى أكتب مثل هذه القصة بتوفيق منه هو وحده . . وعونه هو وحده وأسأله تعالى أن يتمم نعمته علىَّ بأن يخرج

هذا العمل ـ الذى كتب بحروف صادقة ـ إلى النور ، وأن يكون ثمرة نافعة وبذرة طيبة لكل إنسان مؤمن يحب الله ويسير فى طريق الله .

وكما تقف الفتاة وقفة تأمل مصحوبة بالرهبة والخشوع عند فضل الله العظيم عليها وعند آية التجربة الروحانية التى وهبها الله لها وتعيشها بكل وجدانها وأعماقها وكيانها كله أقف ـ ككاتبة لهذه التجربة ـ وقفة تأمل ممتزجة أيضا بالرهبة والخشوع عند آية كتابتها ومحاولة جمعها فى كتاب . . فليست قدرتى البشرية المحدودة ، ولا ثقافتى ، ولا معرفتى تؤهلنى لكى أستطيع أن أنجز هذا العمل على هذا الشكل وإنما هو فضل الله ، وعون الله وهداية الله .

ولا أنسب فضلا إلى نفسى . . فليس لى الفضل فى شىء سوى أن جعلنى الله سبحانه وتعالى بفضله هو وحده ، وأمره تعالى ، ومشيئته سبحانه بأن أكون الأداة والوسيلة لكتابة هذه القصة .

وإنما فى البداية والنهاية ، وأولاً وأخيراً الفضل من عند الله ، وبيد الله . وبأمر الله ، وبمشيئة الله ، وبعون الله ، وبهداية الله . . إنه هو سبحانه الله العظيم ذو الفضل العظيم .

لقد سُطرت حروف هذا الكتاب بفضل من الله
وكتُبت كلمات هذا الكتاب بفضل من الله
وتم اخراج هذا الكتاب بفضل من الله
فلقد كان هذا كله من فضل ربى .

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾
(النساء : ١١٣)

أحمدك ربى وأشكر فضلك ونعمتك التى انعمت علىَّ . . انك أنت ذو الفضل العظيم .

الحمد لله أولا وأخيرا . .
الحمد لله فى البداية والنهاية . .

الحمد لله من قبل كل شيء . .
الحمد لله من بعد كل شيء . .

والآن أترك لقلمي العنان لكي يسطر قصة هذه الفتاة منذ طفولتها وحتى الآن حيث تعيش قصة حب خطيرة لله العلي العظيم . . حب يجري في عروقها ودمها وينبض به قلبها وفؤادها وكيانها كله . . حب يكاد القلب أن ينفطر من شدته وروعته وجماله فمنَّ الله عليها بتجربة روحانية عظيمة تعيش فيها بكل خلجة من خلجاتها هي فضل عظيم من عند الله حيث تلمس لمسات كبرى من الحنان الإلهي . وآيات عظمى من الحب الرباني .

إن فصول هذا الكتاب خطوط حب ، وكلمات حب ، وعروق حب ، ودماء حب ، ودموع حب تمشي على الأوراق لتعبر عن الحب العظيم لله الواحد الكريم الذي تحمله فتاتنا وتحس به وتعيش فيه مشدودة إليه تهتز حبا لله . . تحترق شوقا إلى الله . . تتلهف حنينا للقاء الله فتحيا أجمل لحظات عمرها ، وأروع أيام حياتها حيث الحب والحنان والجمال والنور والخير كله .

أعترف بأنه كان كتابة هذا الكتاب أمراً صعبا للغاية حيث أنه يقوم على الحب الكبير لله العلي العظيم الذي تعيش فيه فتاتنا ـ سفيرة قصتنا ـ ويختلج في كل ذرة من كيانها وتحيا له ومن أجله ، ومن هنا كانت الصعوبة حيث كيف أصف ما تهتز له المشاعر ويرتجف له الفؤاد . . ماذا تكون هذه المشاعر . . ؟ وماذا يكون هذا الفؤاد . . ؟

وكيف تتفاعل هذه الأحاسيس إلى درجة أنها تهتز وترتجف حبا لله . . وتحترق شوقا إلى الله لدرجة أنها تحس بأن كل ذرة في كيانها تكاد أن تتمزق وتنفطر من شدة الحب لله .

يستطيع القلب أن يجسد إحساسه بالحب ويصفه في حدود معينة . . ويصوره في إطارات محدودة حتى يصل إلى قمته ، ولكن إذا كان إحساس القلب بالحب لله يفوق القمة وأكبر من أي كلمة أو وصف أو تصوير تسطرها السطور ، وأعظم من أي إحساس أو شعور تحتويه الصفحات .

هنا سنصل إلى العجز .. نعم العجز الحقيقى بكل معانيه عن إيفاء مثل هذا الحب حقه من الوصف حيث تقف الكلمات والسطور ساكنة تعلن عن عجزها عن وصف هذا الحب .

ومما زاد أيضاً الأمر صعوبة فى كتابة هذا الكتاب فضل الله العظيم الذى أنعم به على الفتاة وروعة التجربة الروحانية التى تعيشها ، والتى هى أكبر من سنها الميلادى وعمرها الفكرى أن يستوعبها .

إن ما يتطلبه وصف هذه التجربة بكل أمانة ودقة كان أمراً صعبا للغاية لأنها تجربة روحانية تعيشها الفتاة بكل دمها ، وبكل خلجة من خلجاتها ، وبكل كيانها .. ولكى أصف ذلك كله كما تحسه الفتاة أمراً يتطلب منى صدقا كبيرا مع نفسى ، وصدقا أكبر وأعظم مع ربى الله الواحد الصمد رب العالمين .. رب العرش العظيم .

وهنا أحسست بأننى أمام إبتلاء كبير وإمتحان لا يُستهان به لأن كل كلمة تكتب وكل حرف يسطر محسوب علىَّ .. وسأحاسب عليه سواء فى الدنيا أو فى الآخرة ، لذلك كان لزاما علىَّ أن أكون حريصة جداً عند نقل وتصوير وتسجيل هذه التجربة فى هذا الكتاب ثم وجدتنى أواجه مشكلة كبرى وهى اننى لن استطيع أن أكتب التجربة الروحانية بكاملها لأن فيها جوانب عظيمة أكبر وأعظم من أن تُكتب وتُسطر ويُعبر عنها فى صفحات وأعظم من تصور العقل البشرى المحدود .

وهنا قادتنى هذه التجربة إلى شىء لم يكن فى الحسبان وهو ضرورة الإنتقاء والإختيار .

ففى الحقيقة إن هذه التجربة الروحانية بكاملها التى أنعم الله بها على الفتاة والتى تعيشها بكل كيانها .. عظيمة وكل ما فيها عظيم وجميل .

فالتجربة تحتوى على جوانب كثيرة ومختلفة :

فمنها ما هو رؤ ى عظيمة جداً تقف الفتاة ازاءها وقفة تأمل وتحس بالرهبة والخشوع أمامها ، ومنها ما هو بُشرى لها وسببا فى إدخال السكينة والطمأنينة إلى قلبها ، ومنها ما هو مرشدٌ لها يدفعها إلى تقويم سلوكها ..

وتهذيب أخلاقها . . وصقل نفسها ، ومنها ما هو كشفٌ لها يقودها إلى أن تعرف وتتبين وتشهد بنفسها حفظ الله وحمايته جل جلاله لها إذ يصيبها مس من الشيطان يمزق جسدها من الآلام والأوجاع وينجيها الله عز وجل منه ويحميها إذ يهديها إلى ذكر الله وترديد كلمات معينة . . كلمات ربانية يكون فيها الشفاء والرحمة والعافية والهدوء والسلامة بإذن الله وفضله .

وتتعرض الفتاة إلى محن وإبتلاءات تشهد بنفسها نسمات التلطف الإلهى ، ولمسات الحنان الربانى التى تفيض على هذه المحن والإبتلاءات فتهوّن الأمور على الفتاة وتمدّها بقوة غريبة على الصبر والتحمل بفضل الله وحده .

ويمتد فضل الله على هذه الفتاة حيث لم يقتصر عطاء الله الكريم لها بحياتها الشخصية أو نفسها فقط وإنما إمتد هذا الفضل حيث كشف الله لها طرفا من الأمور والأحداث العامة التى تدور وتجرى على مسرح الحياة ولا علاقة للفتاة بها ولا تمس أى جزئية فى حياتها .

ويستمر فيض الله على هذه الفتاة حيث يمتد هذا الكشف إلى كلمات تجىء للفتاة فى صورة رؤى ولا ترتبط أو تتعلق بشخصها أو حياتها الخاصة ، ولم تعرف فتاتنا ما الهدف من هذه الكلمات ؟ وما هو مغزاها الحقيقى ؟ كل ما عرفته وأحست به هو أن هذه الكلمات تنطوى على بُشرى وإطمئنان للمؤمنين ، وانذار ووعيد للمفسدين ، وشعرت بأن ذلك كشف لها بفضل الله وأمره تعالى .

هذا بالإضافة إلى بعض المعارف الجديدة التى منَّ الله بها على الفتاة وأفاض عليها بها خلال رحلة تأملاتها فى هذه التجربة الروحية التى هى فضل من عند الله .

ونجد ذلك كله واضحا فى الفصل السابع [عطاء الله ولمسات الحنان الإلهى] وعلى صفحات أخرى من فصول هذا الكتاب .

إذن فالتجربة تنقسم إلى عدة أقسام وتحتوى على جوانب مختلفة فيها البشرى ، والإبتلاء ، ونجاة الله وحفظه ، والتقويم فى السلوك ، والتهذيب فى الأخلاق مما يقود إلى صقل النفس وتربيتها وترويضها ، وفيها بعضا من

المعارف الجديدة التى أفاض الله بها على الفتاة ثم الكشف عن أمور أخرى لا علاقة للفتاة بها لتلمس حنان الله وفضل الله العظيم .

وهناك حقيقة هامة لابد من الإنتباه اليها وتسجيلها وهى أنه قد يعتقد البعض عند جوانب البشرى فى هذه التجربة بأننى ذكرتها على سبيل التفاخر أو الغرور ويجوز أن تشير وتوجه لى أصابع الإتهام بذلك عفوا ودون قصد .

ولكن الله وحده يعلم بأنه لم يكن ذلك هدفى على الإطلاق لأن هذه الفتاة لا تتفاخر ولا تغتر بهذه النعمة بل على العكس نهى تراقب نفسها فى كل لحظة ، وتحاسب نفسها على كل فعل وعلى كل قول ، وتضع قول الله سبحانه وتعالى نصب عينيها :

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (ق : ١٨)

وهى تخشى من نفسها على نفسها . . فالنفس أمارة بالسوء ولكى تقى نفسها من الوقوع فى الغرور والإغترار والتفاخر والتكبر تنسب دائما وابداً فضل الله الذى تحيا فيه ، وهذه النعمة التى أنعمها الله عليها وتعيشها بكل خلجة من خلجاتها إلى الله وحده لا شريك له فهى فقيرة إليه على الدوام . . ومحتاجة فى كل لحظة إلى عونه وحبه ورضاه وحنانه وعفوه وكرمه كما أنها محتاجة دائما إلى تثبيته لها ، وتقويته سبحانه لها فى طريقها إليه الذى عاهدته سبحانه على أن تسلكه حيث وهبت حياتها ونفسها وطريقها كله له هو وحده مستمدة القوة والصبر منه هو وحده سبحانه الرحمن . . . لا إله إلا هو وحده لا شريك له .

ولكننى مثلما تعرضت إلى الإرشادات والنصائح والتوجيهات التى وجهت إلى الفتاة للإصلاح من نفسها وسلوكها وأخلاقها ، ومثلما تعرضت أيضاً إلى فترات المحن والإبتلاءات وكيف كانت نجاة الله وحفظه لهذه الفتاة وتلطفه سبحانه فى ابتلائه لها . . كان لابد من التعرض إلى جوانب البشرى فى التجربة وذكر بعضا من الرؤى العظيمة التى شاهدتها الفتاة بفضل الله لأنها نعمة الله عليها ، ومن منطلق إيمانها بأمر الله بالتحدث بنعمة الله :

قال تعالى :

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ (الضحى : ١١)

هذا المنطلق الإيمانى أعطاها الحق فى التحدث بنعمة الله كما تتحدث بإبتلاء الله لها وتلطفه سبحانه فى ابتلائه لها .

وإنى ـ ككاتبة لهذه التجربة ـ لا أستطيع ابداً أن أغفل جانباً أو أظهر جانباً على حساب آخر ، فالأمانة مع ربى أولا ثم مع نفسى ثانيا تقتضى وتوجب التعرض إلى جميع جوانب التجربة الروحانية لأنها فضل الله العظيم على هذه الفتاة .

ومن هنا كان لا يحق لنا أن نذكر جوانب التقويم والإبتلاء دون التعرض إلى جوانب البشرى فى هذه التجربة وخصوصا أن مرحلة الإبتلاءات جاءت بعد مرحلة البشائر والرؤ ى الجميلة وكان لنا هنا وقفة حيث أن توقيت الإبتلاء بعد البشرى كان امتحان للفتاة . . ؟

هل ستنسى البشائر التى رأتها . . ؟

هل ستشك فى التجربة الروحانية التى أنعم الله بها عليها . . ؟

هل ستجحد فضل الله عليها . . ؟

أم هل ستصبر على إبتلاء الله لها حمداً وشكراً على فضله العظيم وحبا له عز وجل . . فلقد أنعم الله عليها بالكثير وجاء الوقت لكى تصبر وتتحمل حبا لله عز وجل .

لذلك كان لابد من أن أتعرض ولو إلى بعض ما فى هذه التجربة من جوانب جميلة تشهد بالبشرى والإطمئنان هى نعمة من عند الله ، كما تعرضت إلى الجوانب التى تتعلق بأمور التقويم والتهذيب والإرشاد فى السلوك والأخلاق هى فضل من عند الله ولمسة من لمسات الحنان الإلهى ، وكما تعرضت أيضا إلى الجوانب الأخرى التى ترتبط بالمحن والإبتلاءات والإختبارات التى مرت بها الفتاة والتى تعتبر أيضا نعمة من عند الله وفضل منه سبحانه لصقل النفس والإرتقاء فى الطريق إليه عز وجل إلى غير ذلك من الجوانب الأخرى التى أفاض الله بها على الفتاة خلال رحلتها الروحانية والتى حرصت على التعرض إليها حيث أن هذه التجربة هى فضل الله وهبة الله . . ونعمة الله ، ولمسة كبرى من لمسات الحنان الإلهى . . وآية عظمى من آيات الحب الربانى . . وفيض من الفيوضات الرحمانية التى أشرق الله

بها على قلب هذه الفتاة حتى أصبحت تحيا أحلى لحظات عمرها فى حب الله يحرقها الشوق إلى لقائه . . حامدة شاكرة فضله العظيم ، وفيضه الكريم آملة طامعة ناشدة رضاه والقرب منه سبحانه :

وتبقى هنا نقطة هامة جديرة بالتسجيل وهى :

[أن ظهور هذه الفتاة فى بعض الرؤ ى الدينية ليس بالضرورة أن يكون خاصا بها أو يتعلق بحياتها ، وإنما من الممكن والله أعلم أن يكون ظهورها فى هذه الرؤ ى رمزاً عاما تشير اليه الرؤ ية أو أثراً من آثار البشرى بوجه عام للمسلمين والمسلمات أو قد تحمل هذه الرؤ ى معنى عام يتعلق بالاسلام والمسلمين وقضاياهم ، ولا تخص الفتاة بالذات أو ترتبط بأى جزئية فى حياتها]

كما أن تسلسل التجربة كان يفرض علىَّ ـ ككاتبة لها ـ ذكرها كما حدثت بالترتيب .

فنحن أمام تجربة روحانية واقعية مسلسلة . . كل جزء فيها له مواقفه وأحداثه ومجريات الأمور الخاصة به والجو النفسى الخاص به ولسنا أمام بحث عام ولا أمام مواقف متفرقة نأخذ منها ما نشاء ونحذف منها ما نشاء . . الأمر الذى من الممكن أن ينقص من قدر التجربة وقيمتها التى هى نعمة الله وفضل الله وأثراً من آثار حنان الله على عباده .

وبالرغم من أننى تعرضت إلى بعض الرؤ ى العظيمة والجوانب التى تحتوى على بشرى وإطمئنان للفتاة إلا أنه كان هناك بعض الجوانب العظيمة جداً فى التجربة التى كان من الصعب ذكرها وورودها فى هذا الكتاب ، وسيلاحظ القارىء عند قراءته لبعض الرؤ ى الواردة فى هذه القصة بأننى لم أستطع أن أذكرها بالكامل ولذلك أشرت إلى الجزء المذكور بأنه جزء من رؤ ية عظيمة أما باقى الرؤ ية فلم أستطع ذكره وووروده ، هذا فضلا عن أن هناك رؤ ى أخرى عظيمة لم أستطع التعرض لها من قريب أو بعيد ، كما كان هناك أيضا من رؤ ى الأحداث العامة التى تجرى على مسرح الحياة ما لم أستطع أن أنشره .

ولذلك كان لا مفر من ضرورة واهمية الإنتقاء والإختيار ، وهذا ما وافقتنى عليه أيضا الفتاة بطلة هذه القصة .

ومن هنا بدأت صعوبة كتابة هذه القصة تكبر مع سطورها وخاصة عند تسجيل ووصف التجربة الروحانية التى أنعم الله جل جلاله بها على الفتاة حيث إستلزم ذلك الأمر حرصا كبيراً فى الإنتقاء والإختيار مما جعلنى أشعر **بالخوف والرهبة والحب** :

الخوف من أن أنقص شىء فى التجربة كان يجب علىّ ذكره أو أن أذكر شيئا حدث فى التجربة كان لا داعى لذكره .

ثم الرهبة من عظمة التجربة وروعتها وجمالها مما يجعل أى إنسان يحب أن يذكر كل شىء فيها لأنها مليئة بلمسات من الحنان الإلهى .

ثم أخيراً الحب . . نعم الحب لله الذى جعْلنى أشعر بأنى أتمنى لو استطعت أن أسجل كل شىء حبا لله حيث أنها تجربة فياضة بآيات الحب الربانى .

وهكذا كانت كتابة هذا الكتاب أمراً ليس هينا ، ولذلك إستغرق وقتاً كبيراً فى كتابته واعداده .

ولقد حاولت بكل ما منحنى الله من قدرات وإمكانيات أن أقدم صورة واقعية حية نابضة عن :

(أ) حقيقة التجربة الروحانية التى وهبها الله سبحانه وتعالى للفتاة وتعيشها بكل قلبها . . وروحها . . وفؤادها . . ووجدانها . . وأعماقها . . ودمها . . وإحساسها . . ومشاعرها . . وكيانها ، وإنعكاسات هذه التجربة عليها .

(ب) حالة الحب الكبير الذى يملأ قلب فتاتنا لله العلى العظيم . . ويجرى فى دمها . . ويستقر فى وجدانها . . وتعيش عليه . . وتحيا به وله ، وآثار هذا الحب عليها .

وأعترف إعترافا كاملاً بأن كل ما وحاولت وصفه وسرده عن التجربة

الروحانية التى تعيشها الفتاة بكل كيانها والتى هى فى البداية والنهاية فضل عظيم من عند الله لم يكن إلا قطرة من غيث ينهمر عليها بفضل الله ، وومضة من ومضات نورانية تنعم بها برحمة الله وفيض من فيوضات ربانيه تحيا فيه بمشيئة الله ، ولم يكن إلا لمحة بسيطة جداً عن العالم الحقيقى النورانى الذى تعيش فيه فتاتنا بفضل الله وحده وعونه .

من الممكن أن يشعر الإنسان بنعمة الله عليه ، ويلمسها ، ويتأثر بها ، ويتفاعل لها . . ولكنه لا يستطيع أبداً بكل ما أوتى من قوة وقدرة أن يصل إلى حقيقة هذه النعمة وجوهرها الا بسلطان من عند الله وأمره تعالى . .

وهل يعلم حقيقة النعمة وقيمتها وجوهرها إلا خالقها وواهبها . . ؟

وهذا ما حدث بالفعل مع الفتاة ـ بطلة هذه القصة ـ لقد منَّ الله عليها بتجربة روحانية تعيشها بكل دمها وأعصابها وكيانها هى نعمة من عند الله لها . . تحمده وتشكره عليها فى كل لحظة . . لقد أحست بهذه النعمة ، ولمست حنان الله عليها ، وتأثرت بها ، وتفاعلت معها مما قادها إلى مراقبة نفسها وتهذيبها وتقويم أخلاقياتها وترويض سلوكياتها ، ولكنها لم ولن تستطع أبداً أن تصل إلى حقيقة هذه التجربة وجوهرها الا بكشف من عند الله وسلطان منه تعالى . . وبأمره هو وحده .

فهناك حقيقة هامة تدركها الفتاة جيداً وهى أنه لن يعرف ويعلم حقيقة هذه التجربة وجوهرها وقيمتها إلا خالقها وموجدها وواهبها وهو . . الله سبحانه وتعالى . . الحى . . القيوم . . الخالق . . المبدع . . الواحد . . الصمد . . الوهاب . . الفتاح . . الفياض . . الكريم . . الرحمن الرحيم . . القدير . . العليم . . رب العرش العظيم .

ولكن من الممكن أن يفيض الله بمثل هذه التجربة أو أكثر منها على من يشاء من عباده مما يقود إلى التحلى بالخلق القرآنى الكريم ، والإلتزام بالسلوك القويم على الصراط المستقيم ، والتمسك بطريق الله . . ومما يدعو إلى تحقيق الخير وسبيل القيم والمثل العليا ، ومحاولة الترقى والسمو فى الروحانية لتحقيق الغاية الأسمى وهى القرب من الله .

وأستكمل إعترافى الكامل بأن كل ما حاولت تصويره أيضا من

أحاسيس ومشاعر تملأ قلب وكيان فتاتنا بحب كبير لله يهزها ، ويملأ عليها حياتها ، وتعيش به وفيه أجمل وأروع لحظات عمرها حتى تصل إلى القمة بل وما بعد القمة من إحساس بالشوق الجارف إلى الله ، والحنين المتلهف للقاء الله ، والعشق لله ، والفناء فى حب الله . . لم يكن إلا ذرة صغيرة جداً ، ورشفة رقيقة من الإحساس الحقيقى بالحب الكبير لله العلى العظيم الذى تعيشه الفتاة ، وتتفاعل به ، وتحيا له ومن أجله حيث يغمرها هذا الحب بلمسات جميلة من الحنان الإلهى ، ونسمات رائعة من الحب الربانى .

إنه حب كبير يذوب فى آيات الله ، وفى كلمات الله ، وفى قدرة الله ، وفى عظمة الله ، وفى جمال صنع الله ، وفى روعة نعمة الله . . حب يسبح فى نور الله ، وحنان الله ، وفضل الله .

فسبحان الله العظيم ذو الفضل العظيم . . نور السموات والأرض . مالك الملك ذو الجلال والاكرام .

وكما لن يعرف ويعلم قيمة وجوهر وحقيقة التجربة الروحانية التى تعيشها الفتاة بكل ذرة فى كيانها إلا الله وحده العلى العظيم . . فلن يعرف ولا يدرك أيضاً قيمة وجوهر وحقيقة هذا الحب الكبير الذى تحياه الفتاة لله إلا الله وحده العالم بالأسرار . . العليم بخفايا النفوس وما فى الصدور ، وما تحمله القلوب .

وليغفر الله لى عدم قدرتى على وصف حب الفتاة لله كما تحسه ، وتصوير شوقها إلى الله كما تشعر به ، وحنينها الجارف للقاء الله كما تعيش فيه .

كما أدعو الله المغفرة والرحمة لعجزى وعدم قدرتى على إيفاء التجربة الروحانية حقها من الوصف والتعبير عن حقيقتها كما تعيشها الفتاة بكل كيانها ، وعدم استطاعتى التعبير عن الإحساس الحقيقى والصورة الحقيقية التى بداخلها وتملأها من إمتنان وحمد وشكر لله على فضله العظيم ، وعلى ما منه عليها من تجربة روحانية تملأ عليها حياتها حيث النور والجمال مما يجعلها تحس بالإكتفاء الذاتى فى كل شىء وليست محتاجة الا لله

وحده ، وفقيرة اليه وحده ، وإلى عونه وحبه ورضاه ، ولمسات حنانه ، وآيات حبه مما يغمرها سبحانه ويفيض عليها من منه وعطائه وفيضه الكريم ما يسعدها ويطمئنها ، ويثبّت قلبها ، ويقويّها خي طريقها.

لقد إخترت أن يكون هدفى فى الكتابة هو الحب فى الله ، وبهذا الهدف تحدد منهج الكتابة وهو الصدق والتوكل على الله وحده . .

ولذلك فان كل ما ذُكر فى هذا الكتاب هو حق وصدق وبعيد عن أى أسلوب من أساليب الخداع أو الخيال أو الإبتكار أو التأليف أو فن الكتابة .

وإنما كانت أحاسيسى بهذه القصة صادقة ومشاعرى فيها قوية إلى درجة العجز عن وصف حقيقة حب الفتاة لله جل جلاله ، وعظمة التجربة الروحانية التى منَّ الله سبحانه وتعالى بها عليها .

لقد كان إحساسى فى كتابة هذه القصة رائعا وعظيما أكبر من أن يُعبر عنه حيث أنه كان يجمع بين الصدق والصفاء والإخلاص فى نقل صورة حب الفتاة لله العلى العظيم ، وتسجيل التجربة الروحانية التى أنعم الله بها عليها لدرجة إنى أحسست بأننى تجردت من عالم الدنيا وأحيا مع سطور هذا الكتاب فى عالم آخر نورانى بعيداً عن الزيف والنفاق والماديات والشهوات والملذات . . عالم مضىء بالإيمان . . والحق . . والنور . . والخير . . والجمال حيث حب الله والشوق إلى الله .

لقد كتبت هذه القصة بدمى ومشاعرى وحواسى وأعصابى وكيانى كله .

لذا كنت أشعر عندما أفرغ من كتابة كل فصل كأننى مشيت مشواراً طويلا أو صعدت جبلا شاهقا .

وفى ذات مرة حيث كنت مستغرقة فى بحار التأمل فى هذه القصة ، وفى غمار التفكر والتبصر فى هذه التجربة الروحانية متعمقة فى روعة لمسات الحنان الإلهى . . وعظمة آيات الحب الربانى . . سمعت صوت النفس يأمرنى ويدعونى لأستريح برهة ولفترة قصيرة بعد الإنتهاء من كتابة كل فصل كى أستطيع أن أكمل المشوار وأستكمل مسيرة الكتابة ، ولكننى فجأة

سمعت صوتا آخر قويا يصيح فى وجهى لا أعرف من أين جاء . . كل ما أعرفه وأتذكره جيداً الكلمات التى صاح بها فى وجهى حيث قال :

[لا وقت لكى تضيعيه ، ولا وقت للراحة فلا تستمعى إلى صوت نفسك الأمارة بالسوء ولا تستجيبى إلى نداء شيطانها الأخرس فانه يريد أن يعطلك ويعيقك .

لماذا ترتاحين . . ومم تطلبين الراحة . . ؟

وهل هناك راحة تنشدينها وسعادة تشعرين بها أكثر من أن تعيشى مع نبضات حب الله ، وتسبحى فى ومضات تجربة روحانية يفيض الله فيها بالنور والأمان والحنان والاطمئنان والخير الكثير .

فهيا . . أسرعى وأكملى المشوار وسيرى فى طريقك ولا تقبلى أن يعيقك شىء أو يوقفك شىء يملأك الايمان بالله وحده والحب له سبحانه وحده . . واثقة فيه وحْده . . آملة فيه وحده . . مستعينة به هو وحده . . لاجئة اليه وحده . . متوكلة عليه هو وحده . . فسبحانه الله . . الواحد . . الحى القيوم . . العليم . . الكبيـر . . الكـريم . . العـظيم . . الـرحمن الرحيم . . الوهاب . . عنده الحب والحنان ، والأمان ، والاطمئنان . . عنده النور ، والعـلم ، والتوفيق . . عنده الرحمة ، والراحة ، والسعادة ، والخير كله . . وكل ما تتمنيه وتنشديه . . فاعرفى . . وما دمت عرفت فالزمى]

وبعد سماعى لهذا الصوت . . أحسست وكأننى شُحنت بشحنة كهربائية قوية شجعتنى وملأتنى تصميما وإرادة فى إستكمال الطريق . . توكلى على الله وحده ، وثقتى بالله وعونه هو وحده . . فشعرت بقوة غريبة تسرى فى كيانى كله جعلتنى أقوى مما كنت ، وأسرع مما كنت وكأننى أسابق الزمن . . أتمنى لو تقف دقات الساعة عن العمل . . لو تتوقف الأيام واللحظات مكانها حتى أفرغ من كتابة هذه القصة .

كنت أغوص فى الأوراق سابحة فى بحار الحب الإلهى . . غارقة فى

لمسات الحنان الإلهى . . متعمقة فى دلائل قدرة الله . . متبصرة فى آثار رحمة الله . . متفكرة فى شواهد عظمة الله . . فأجد نفسى أمام حقيقة هامة وهى أن الكلمات تسبقنى . . والسطور لا تمهلنى والصفحات لا تكفينى ، وإننى أمام شيء أكبر منى يقودنى إلى طريق الحب الإلهى . . ويدعونى إلى سبيل الحمد والشكر لله وحده على فضله العظيم الذى يملأ الوجود بأسره ويفيض على الحياة كلها بالخير والجمال والنعمة الكبرى .

كنت أشعر أثناء كتابة هذه القصة كأن قلبى خرج من حيزه الفعلى فى الواقع وأمسك بقلمى ليسطر سطور هذه القصة . . فلقد كان أسبق من يدى فى الخطوات ، وأسرع منى فى القفز فوق السطور . . كنت أخشى أن تتوه منى الكلمات ، أخاف أن تضيع منى العبارات ولكن قلبى كان حريصا وثابتا بفضل الله وحده . . فلقد كان قلبى يلقف هذه الكلمات والعبارات وكأنه يريد أن يحفظها ليحفرها بنبضات إيمانه وحبه لله على الأوراق متسابقا مع الزمن فى حب الله مستعينا بالله وحده . . فتصبح هذه الكلمات والعبارات حروف حب ممتزجة بدموع حب تسطّر قصة حب لله يختلج فى نبض ودم وعروق كل ذرة فى كيان فتاتنا . . تحفر بهمساتها وسكناتها خطوط هذه القصة ، وحكاية هذا الحب الكبير لله الذى يمتزج فى دمها . . وترسم بنبضاتها ودقات قلبها وسكنات فؤادها لمسات الحب لله ، وهمسات الشوق اليه الذى يحترق به قلبها ، ولهفات الحنين إلى لقائه الذى يملأ فؤادها ويتفاعل به وله كل همسة ، وكل خلجة ، وكل سكنة ، وكل ذرة فى كيانها .

وعندما كنت أتوقف للحظات لقراءة ما كُتب من سطور وكلمات وعبارات . . أصاب بالدهشة والإستغراب والحيرة مما كُتب . . كيف كُتبت هذه الكلمات ، وكيف سُطرت هذه العبارات ، وكيف تم وصف أحاسيس ومشاعر الفتاة بحب الله بهذا الشكل ، وكيف تم التعبير عن التجربة الروحانية التى تعيشها بكل كيانها بهذه الدرجة من التعبير .

ثم أخيراً الإحساس بالعجز . . نعم العجز . . العجز عن إعطاء حب الفتاة لله حقه من الوصف كما تحسه الفتاة ، والعجز عن إيفاء التجربة الروحانية حقها من التعبير كما تعيشها الفتاة فى الحقيقة .

ثم كيف تم الوصول إلى تنظيم كتابة فصول هذه القصة على هذا النحو .

لا شك بأنه كان هناك شيء أكبر منى يدفعنى دفعا لكتابة هذه السطور ، ويرشدنى فى صياغة هذه القصة .

هل هو الإيمان أم الرهبة أم الخشوع . .

أم هو الحب الكبير لله سبحانه وتعالى الذى يشمر فى كل لحظة الشوق الجارف إلى الله ، والحنين المتلهف للقاء الله . .

أم هو كل هذه العوامل معا . . ؟

أم هو شيء آخر لا أدريه . . ؟

لا يعرف ذلك الشيء إلا الله عز وجل .

الله وحده هو الذى يعلم ذلك الشيء ، وهو جل جلاله وحده الذى يعرف حقيقته . . سبحانه العليم والمحيط بكل شيء . . سبحانه الرحمن . . الوهاب . . الخالق . . القادر على كل شيء . .
لا إله إلا هو . .
صاحب الأمر والفضل . . مالك الملك . . رب العرش العظيم . .

وهو وحده سبحانه المتفضل بالنعم . .
وهو وحده سبحانه الذى يهب أروع وأجمل لمسات الحنان . .
وهو وحده سبحانه الذى يمنح أعظم وأحلى آيات الحب . .
وهو وحده سبحانه الذى يعطى أسمى نسمات الأمان والإطمئنان .
وهو وحده سبحانه الذى يرزق أغلى ما فى الوجود حيث الرضا واليقين والحب الإلهى .

ولقد كان هناك إحساس آخر يسيطر على كل ذرة فى كيانى وهو أنه كلما إزداد شعورى بصعوبة كتابة هذا الكتاب يزداد خوفى ، ولكن يقينى بأن الإيمان دائما يزيل أى خوف ، ويبعد أى شك ، ويحل أى عقبة ، ويقضى على أى حقد ، ويدمر أى حسد ، ويغلب أى آفة ، ويبدّل أى مشاعر بالخوف والشك والرعب والفزع والإضطراب إلى مشاعر فياضة بالأمن

والأمل . . والسكينة والرضا والإطمئنان والإستقرار . . أثمر عن إحساس قوى جارف كان يسيطر ويستحوذ على مشاعرى وهمساتى وسكناتى وكيانى كله يكمن فى أنه كما أن إيمانى بالله قوياً وحافزا ودافعا للصبر على جراح الحياة . . كان إيمانى بأن الله سيوفقنى ويعيننى للقضاء على جوانب الصعوبة فى هذا الكتاب .

ولو لم يكن فضل الله ، وعون الله ، وهداية الله ، ومشيئة الله ، وسلطان الله ، وأمر الله وإذنه وإرادته ، وتوفيق الله ، ونور الله ، وعطاء الله ، وفيض الله ، ورحمة الله . . لما استطعت أن أسطر حرفا واحدا .

ولا أن أكتب كلمة واحدة فى هذا الكتاب ....
وإنما هــو فضــل الله العظيـــــم ....
ولمسة من لمسات حنانه الكبرى ....
وآية من آيــات حبه العظمى ....
ونعمة من نعمه التى لا تُعد ولا تُحصى ....

الإنســان يبذل الجهد بتوفيق الله عــز وجل ....
والله سبحانه وتعالى هو الذى يعطى الثمرة ....

نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل هذا الكتاب خالصا مخلصا لوجهه الكريم . . وأن يكون كل حرف سُطّر فيه نبضة من نبضات الحب لله الواحد الرحمن الرحيم . . ولمسة من لمسات الشكر على فضله العظيم .

فاطمة عبد العال الخراشي

الفصل الأول

الطفولة الرشيدة

نشأت سفيرة قصتنا وسط أسرة متدينة ذات نسب وأصل دينى من جهة الأب والأم .

وشبّت هذه الفتاة على حب الصلاة ، وصوم شهر رمضان ، وقراءة القرآن الكريم . ولقد أنشأ هذا الحب للعبادة ميولا فطرية فى نفسها تتجه إلى حب الخير ، حب الناس جميعا ، الرحمة ، العطف ، الشفقة ، الأمانة ، الصدق ، الإخلاص . . . .

فلقد أصبح لديها ميل فطرى إلى التحلى بالقيم والمثالية ثم بدأت هذه المثالية تكبر وتنمو معها وتتسع كلما إتسعت دائرة معرفتها وثقافتها .

والغريب أن هذه الفتاة أو الطفلة فى ذلك العهد كانت تميل الى إصطحاب ومرافقة من يكبرها سنا ، ولذلك كان معظم أصدقائها ممن يكبرونها بعام أو عامين وتحرص على صحبتهم والجلوس معهم أكثر من اللعب مع الأطفال الذين فى مثل عمرها .

لم تحب فتاتنا هذه فى طفولتها شىء كحبها لقراءة القرآن الكريم بالرغم من عدم فهمها وإدراكها لمعانى آياته الكريمة فى ذلك الوقت ، فلقد كان هناك شىء ما يشدّها نحو كتاب الله العظيم حيث كانت تجلس بالساعات الطوال فى حجرتها تقرأ القرآن دون أن تمل أو تكل أو تتعب لدرجة أن ميلها لقراءة القرآن الكريم كان يفوق كثيرا رغبتها فى إصطحاب الأطفال أو الخروج معهم للنزهة أو اللهو .

ولم تعش فتاتنا هذه الطفولة العادية فى أحضان الدمى والعرائس بل عاشتها فى أحضان أثمن شىء فى الوجود . . القرآن الكريم .

كيف ذلك يا فتاتنا وأنت ما زلت طفلة ؟

إنها هبة الله ونعمته التى ولدّت هذا الحب الفطرى لله العلى العظيم ولكتابه الكريم داخل قلب بطلتنا .

وإذا كان الرشد هو أن تسبق بأفكارك ومشاعرك سنك الحقيقى . . .

فنحن إذن أمام الطفلة ألرشيدة .

وإنها إذن الطفولة الرشيدة .

الفصل الثانى

النضـج العقلى

كبرت طفلتنا الرشيدة وأصبحت فتاة فى مقتبل العمر ، ولقد نالت حظا وفيرا من الرعاية والعناية الأسرية مثلها فى ذلك مثل شقيقها وشقيقتها حيث احتضان الأب وعنايته وتوجيهاته المستمرة وإرشاداته المتلاحقة وتقويمه الدائم لها فى جميع المراحل المختلفة ، ورعاية الأم وإهتمامها وتشجيعها للفتاة على العلم والقراءة :

[بالعلم وحصولك على الشهادة تستطيعين أن
تنالى كل ما تتمنين من مركز ومال ونجاح وزواج]

هكذا كانت كلمات الأم ، وبهذا آمنت الفتاة :

العلم هو طريق النجاح .. طريق الحياة .

هل العلم وحده هو النجاح والحياة ؟

لا بل الدين وحب الدين هو الركن الأساسى والطريق الأوضح الى النجاح والحياة .

لم تبخل الأم لحظة بتشجيع الفتاة على حفظ الآيات القرآنية . . .

لم تبخل لحظة بحكاياتها عن أنبياء الله ولا عن أهل القدوة بطريقة محببة مشوقة .

فلقد كان الأب شمس الحياة لهذه الأسرة . . . . . .

أما الأم فقد كانت ينبوع الحب وحنانه . . . . . .

ويشاء الله أن يسبغ على الفتاة من نعمه المزيد وهى فى مقتبل عمرها

فتدخل الفتاة وهى فى الصغر مرحلة جديدة من مراحل حياتها . . مرحلة لم يكن سنّها يكفى لكى يستوعبها ولكنها نعمة الله وبفضله استطاعت بإيمانها ورشدها المبكر أن تكون وعاءا صالحا لهذه النعم تكبر وتكبر معها . . ولكن يا ترى ما هذا الحدث الجديد الذى دخل حياتها . . ؟

انها الرؤ ى الصادقة . . نعم فقد أصبحت الفتاة ترى فى نومها رؤ ى فى صورة منامات ، ولكن ما الغريب فى ذلك . . الكثير منا يرى أحلاما أثناء نومه فما الجديد . . ؟ الجديد عند هذه الفتاة أن مناماتها التى كانت دائما متعلقة بمستقبلها وحياتها وحياة أسرتها تتحقق بفضل الله على نحو دقيق كما تراها أثناء النوم .

لم تتوقف الفتاة طويلا عند هذه الظاهرة واعتبرته شيئا يحدث لكثير من الناس الذين يفيض الله عليهم من نعمه .

وشاءت الظروف أن تدخل هذه الفتاة ميدان العمل مبكرا مما ساعدها على تكوين شخصيتها ونضج عقلها ، ولم تكتف بالعمل فقط بل أرادت أن ترقى بفكرها حيث كانت تحب العلم وتميل إلى القراءة فانتسبت لإحدى الكليات الجامعية لتكمل دراستها فى نفس الوقت الذى تعمل فيه .

وبعون الله وحده أكملت هذه الفتاة دراستها وحصلت على شهادتها الجامعية ، وسارت فى طريقها مؤمنة متفائلة صابرة متمسكة بمبادئها وقيمها وأخلاقياتها التى تستمدها من كتاب الله العظيم « القرآن الكريم » الذى تحب قراءته أكثر من أى شىء آخر محافظة على أداء العبادات من صلاة ، وصوم ، وزكاة ، وذكر لله عز وجل .

وبدأت الفتاة تشعر بالنضج العقلى والإرتقاء الفكرى يكبر معها وينمو لحظة بعد أخرى ، ويملأها الأمل فى الله الذى أخذ يزداد يوما بعد يوم .

وسارت الحياة عادية بعد ذلك بالفتاة تنقلها بين الأمل والرجاء والحزن والفرح إلى أن أسبغ الله عليها بنعمة جديدة فتطورت مرحلة الرؤ ى الصادقة التى تراها فى النوم إلى مرحلة رؤ ى اليقظة وهى مرحلة أكثر تقدما بحيث يستطيع الانسان أن يرى أحداثا قد تقع رؤ ى العين أمامه وهو فى حالة اليقظة . . فالله يريها من فضله وهى فى يقظتها .

وفى سنة من السنين ، فى شهر رمضان المبارك بدأت هذه الفتاة ترى رؤى دينية روحية حيث رأت :

اسم الله ، ونور الله ، والملائكة ، والرسول عليه الصلاة والسلام ، وبعض الأنبياء عليهم جميعا السلام وغيرها من الرؤى الدينية العظيمة الأخرى .

وتفتتح كل رؤ ية دينية تراها الفتاة بمنظر عظيم ثابت لا يتغير وهو أن :

[اسم الله عال علوا كبيرا ومكتوبا باللون الأبيض الناصع ويبرق ويلمع لمعانا وبريقا لم تر الفتاة مثيله فى حياتها ، كما تراه مكتوبا بمجموعة من الجواهر البراقة اللامعة التى لا مثيل لها فى الدنيا ، ومجموعة من الأنوار التى لا مثيل لها فى الدنيا وأن على اسم الله نور قوى جدا هو نور الذات الالهية ولا تخلو ذرة فى الكون من اسم الله ونور الله] .

هذا هو المنظر الثابت الذى دائما تراه الفتاة وتفتتح به كل رؤ ية دينية ، وهو منظر جميل يسر النفس ، ويسعد القلب ، ويشرح الصدر ، ويطمئن الفؤ اد .

وقفت الفتاة حائرة : يارب .. ما هذا الذى أراه ؟ أهو حلم أم حقيقة .. واقع أم خيال .. لأعرض الأمر إذن على أسرتى لعلنى أجد تفسيرا لما أراه .

وعرفت الأسرة وبدلا من أن تكون هناك إجابة شافية ، كان هناك القلق والخوف على ابنتهم .. ما هذا الذى تراه .. أهو سحر .. أهو جان أم حقيقة .. عشرات الأسئلة مصدرها القلق .. والخوف .. والتوتر .

فقررت الأسرة عرض حالة الفتاة على العلماء الفقهاء - أهل العلم والمعرفة - لعلهم يضعون لهم تفسيرا لما يحدث .

فكان منهم من أيدّ هذه الحالة ، ومنهم من أنكرها بشدّة . . . . فوجدت الفتاة نفسها أمام فريقان : فريق يؤ يد ،

وآخر يعارض ولم تعرف الفتاة أيهما تصدق وهنا دخلت فى مرحلة من الخوف والقلق .

الشخص الوحيد فى حياتها الذى لم يدخل دائرة القلق والخوف والتوتر كان شقيقها حيث صدّق منذ البداية بكل ما تراه الفتاة وآمن تماما أنه ما دام الله يريد ذلك فإنه ليس بالكثير عليه أن يأمر فيكون . . فبفضله نكون ، وبفضله أيضا تهون الأمور .

ومن الغريب أنه أثناء مشوار عرض الأسرة حالة ابنتهم على السادة العلماء ، وقبل الذهاب إلى أحد العلماء الكبار حيث قررت الأسرة مقابلة هذا العالم فجأة ودون تحديد موعد مسبق معه رأت هذه الفتاة رؤ ية تشير إلى أن الله سيوفقها لمقابلة هذا العالم بإذن الله ، ووضحت لها الرؤ ية الحديث الذى سيدور بينهما وأنه سيتم تحديد موعد آخر لإستكمال الحديث بينهما بناء على طلب هذا العالم ، وحددت الرؤ ية هذا الموعد باليوم والساعة . فكانت هذه الرؤ ية مقياس أمام الفتاة وأسرتها ، وتحققت الرؤ ية فعلا بالحرف الواحد . فلقد قابلت الفتاة هذا العالم بإذن الله ، ودار بينهما نفس الحديث الذى سمعته من قبل . . فقد كانت تسمعه للمرة الثانية وانتهت المقابلة بطلب هذا العالم تحديد موعد آخر وتركته الفتاة ليحدد الموعد الذى يراه مناسبا وحتى تتحقق من صدق ما رأته فكانت المفاجأة لها بأنه حدد نفس الموعد الذى جاءها فى الرؤ ية باليوم والساعة .

إذن . . كانت الرؤ ية حق حيث أنها تحققت كما رأتها .

وبإختلاف آراء العلماء حول هذه الحالة ، عاشت الفتاة أياما من القلق والصراع النفسى لا تعرف إذا كان ما تراه حقا أم باطلا ؟ فهداها إيمانها إلى اللجوء الى الله وطلب العون والنور منه سبحانه وتعالى فإن الأمر بيده هو وحده . . فسجدت الفتاة لله عز وجل وطلبت منه بقلب مخلص مؤ من بأن ينير بصيرتها ويرشدها إلى الحقيقة حول ما تراه . . . . . . فإذا كان ما تراه حقا فحمدا لله على ذلك كثيرا وليزيدها من فضله وعطائه . . إنه هو الوهاب الفياض ، وإذا كان ما تراه باطلا فلينجها ويحفظها وهو خير الحافظين . . . . . . فجاءتها البشرى فى الحال وهى جالسة على سجادة

الصلاة بأن ما تراه حقا وصدقا لأنه من عند الله . . فهدأت نفسها وشعرت بالسكينة والإطمئنان .

وتكررت هذه البشرى مرارا فى أكثر من رؤ ية سواء أكان ذلك فى صورة منام أو فى حالة اليقظة ، ودارت الأيام ومرت الأحداث وبدأت هذه الرؤ ى التى تراها الفتاة تتحقق أمامها ، وهذا ما ستتلمسه فى الفصول القادمة بإذن الله . .

فتأكدت الفتاة وعرفت أن البشرى التى جاءتها حق وأنها سائرة فى طريق الحق ، وإذا كان هناك خطأ فالخطأ فى التفسير والتأويل وأصبح الآن لديها شعور عميق صادق وإحساس يقينى داخلى لا يثنيها عنه أحد ، ولا يغيره شىء بأن ما تراه حقا وصدقا لأنه من عند الله ولم تعد تهتم بما يُقال لها وتوقفت عن الحديث عما تراه لأحد واقتنعت أسرتها بهذه الحالة الروحية وسعدت بها .

وسارت الفتاة فى طريقها لاجئة إلى الله . . مستعينة به هو وحده طالبة نور البصيرة منه سبحانه وتعالى فأفاض الله عليها بالمزيد من الرؤ ى الصالحة وأعانها وأنار بصيرتها وهداها إلى الحق حيث كشفت لها الأحداث والأيام بأمر الله حقيقة الشىء الذى تراه بفضله جل جلاله . . فحمدت الله على ذلك كثيرا وبدأت تحيا حياة جديدة ودخلت فى مرحلة أخرى من حياتها حيث عاشت فى أحوال روحية مصحوبة بأحاسيس ومشاعر لم تحس بها ولم تحياها من قبل ، وكانت هذه الأحوال بمثابة البذرة الطيبة والمنبت الحسن وبدايتها الحقيقية فى الطريق إلى الله .

الفصل الثالث

بداية الطريق إلى الله

إن الله يحب دائما أن يكون العبد فى عون أخيه ، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يجعل من الناس أسبابا كما يجعل من الظروف والحوادث والأشياء أسبابا لتكون فى عون العبد . . فيجب على العبد أن يشكر الله دائما على العون الذى يستمده من الله عز وجل .

ونجد أن صور العون كثيرة . . أحيانا يجىء العون فى شكل موقف ، وتارة فى شكل شىء أو حدث حقق أمرا لم يكن يتوقعه العبد أبدا . . وفى مرات كثيرة يأتى العون على هيئة أشخاص يرسلهم الله ويساقوا الى العبد لكى يكونوا هم سببا فى المساعدة وتقديم العون والأخذ بيد العبد حتى يصل إلى بر الأمان وأولا وأخيرا العون دائما وأبدا من الله .

ولقد كانت صور العون التى أرسلها الله عز وجل إلى بطلة قصتنا فى مشوار حياتها كثيرة ومختلفة . . فمرات ومرات كان يتبلور هذا العون فى صورة رؤ ى بأن تصدق ما تشاهده لأنه من عند الله ، ويظهر فى مرات أخرى فى هيئة حديث وصوت يدعوها بأنه لا مجال للشك فى هذه الحالة .

وهنا أقف وقفة حيث أعود بذاكرتى إلى الوراء لأتذكر رؤ ية كانت قد رأتها الفتاة فى الأراضى الحجازية حيث كانت تؤدى مناسك العمرة حيث رأت رؤ ية تدعوها بأن تكتب كل ما تراه وأنها فى النهاية ستجد نفسها أمام علم ذخير .

ثم أرسل الله عز وجل لهذه الفتاة بطلة قصتنا عونا آخر فى صورة أستاذها الجامعى الذى أوقفها بفضل الله وحده على أول طريق من نور فى الحالة الروحية التى تعيشها حيث كانت لا تعرف الطريق وهل هى سائرة فى

الطريق الصحيح أم لا بعد حالة الضياع والحيرة والتخبط فى الآراء عن هذه الحالة الروحية .

فلقد ساق الله عز وجل هذا الأستاذ الجامعى فى طريق هذه الفتاة حتى يكون له بصمة فى بداية طريقها ، وفعلا كان هذا الأستاذ عونا لها بمشيئة الله حيث مدّها بإرشاداته ونصائحه وتقويمه لها ، وكيفية السير فى هذا الطريق ، ولم يكتف بأن وضح لها الطريق وفتح لها بصيص من أمل بأمر الله على أول الطريق بل كان أيضا دائما يحثها على أن لا تفرح بما أتاها وأن تحذر الإنتكاسة فى أى وقت إذا انشغلت عن غايتها التى هى منتهى الطريق وهى الله ومعرفة الله ، وكان دائما يقول لها :

[لاتفرحى بذلك كثيرا حتى لا تنشغلى وتنتكسى]

كما قال لها أيضا :

[لا تأمنى مكر الله]

فكان دائما حريصا على ألا تنتكس ويحذرها ويقول لها :

[إن الطريق صعب وشاق وكله أشواك ولكن نهايته عظيمة]

وكان يشجعها ويستمع لها دائما ولم ينبذها فى أى مرة من المرات ، وهذه لمسة كريمة ونبيلة منه تستحق كل تقدير ، واحترام ، وشكر خالص . . صادق .

فلقد جعل هذا الأستاذ الجامعى الفتاة بإرشاداته ونصائحه وتوجيهاته تتلمس أول بداية من بدايات النور ، وتحس أنها تقف على أرض صلبة ثابتة أساسها الإيمان الكبير بالله والسير فى الطريق الى الله .

لا أعرف من أين وكيف أبدأ ؟ والحديث قد يطول ويطول . . إنه حديث صادق مخلص كل كلمة فيه نابعة من القلب والفؤاد . . إنه حديث عن قصة هذه الفتاة وطريقها ، وهو حديث يبدأ منذ أن أنعم الله عليها بنعمة البشرى والرؤ ية الصالحة التى هى صدق وحق لأنها من عند الله الوهاب . . الفياض . . مالك الملك ذو الجلال والاكرام .

لقد بدأت فتاتنا منذ عشر سنوات تقريبا السير فى رحلة روحية عميقة عظيمة تهز الوجدان . . وتشرح القلب . . وتطمئن النفس . . وتسعد الروح التى هى نفحة من الله عز وجل .

وأثناء سيرها فى هذه الرحلة العظيمة كانت دائما تردد قائلة :

[إنى أحس بشىء ما قوى يسير فى دمى ويربطنى دائما بالله ، وبما هو قريب من الله . . نحو الأعلى دائما . لا أستطيع أن أنكر هذا الشىء أو أتجاهله بسهولة لأنه ليس سمعا ومشاهدة فقط بل نبض من نور عليه اسم الله يسير فى دمى ونبضاتى وكيانى كله .

ولقد عشت فترة لا أعرف فيها شيئا ولكنى أحس بالكثير والكثير . . وكان دائما إحساسى أساسه الشعور بأننى مشدودة دائما إلى الله . . . .

مهما قلت وركعت وسجدت لا يمكن استطيع أبدا أن أعبر عن شكرى لله سبحانه وتعالى . . . إن الله كان دائما معى . . وكان رحيما بى . . ولطيفا بى وكريما معى أكثر مما كنت أطلب . . .

ولذلك فإن عمرى كله وحياتى كلها لا تكفى ركوعا وسجودا حمدا وشكرا لله عز وجل .]

هذه هى الكلمات التى كانت ولا تزال حتى الآن ترددها هذه الفتاة . . فهى تحس بأن شيئا ما يشدّها نحو الله . . يدفعها إلى طريق الله . . يقودها إلى حب الله ، وبدأت هذه المشاعر تكبر معها يوما بعد يوم وتنمو لحظة بعد أخرى .

واستكملت مسيرة حياتها ، وما حياة الإنسان إلا رحلة ، ولم تكن حياة هذه الفتاة إلا رحلة روحية فى طريق الله . . تنتقل فيها من خطوة إلى خطوة ، وتتدرج من مرحلة إلى أخرى حتى مرت فى فترة من الفترات بأحوال روحية تصاحبها مشاعر وأحاسيس لا أستطيع وصفها ويعجز القلم فى التعبير عنها ، وهنا جاء دور أستاذها حيث كانت له بصمة فى هذه الفترة عندما بدأت هذه الفتاة تحكى له عن الأحوال التى ترد عليها والأحاسيس

المصحوبة بهذه الأحوال التى تحس بها ولم تفهم معناها فى ذلك الوقت ولم تسمع عن مثل هذه الحالات أو تقرأ عن مثل هذه الأحوال فكان من أستاذها أن أرشدها ونصحها بأن تكتب هذه الأحوال والأحاسيس المصحوبة بها ففى الكتابة فائدة وصقل كبير لها ثم تعرض عليه هذه الأحوال بعد كتابتها .

وفعلا بدأت هذه الفتاة فى كتابة هذه الأحوال وما صاحبها من المشاعر والأحاسيس الروحية الفياضة وعرضتها على أستاذها الذى وافق مشكورا أن يقرأ هذه الأحوال .

فهيا بنا معا لنتأمل هذه الأحوال التى عاشتها الفتاة فى فترة تعتبر من أهم وأخطر فترات حياتها ، ولنتابع سويا ماذا كتبت الفتاة عن هذه الأحوال .

كتبت الفتاة قائلة :

[إن كل كلمة تكتب وتعبر عن الأحوال الروحية التى أحياها انما هى ترجمة حقيقية للصدق والإخلاص والصفاء والنقاء وليست فيها أى زخرفة بل بالعكس إن ما أكتبه وأقوله عن الأحوال والمشاعر التى أحس بها فى هذه الرحلة الروحية أقل بكثير من الحقيقة التى أعيشها . . ومن العالم الذى أحيا فيه . . ومهما كتبت لا أستطيع أن أعبر عن ذرة واحدة من الإحساس الحقيقى الذى أعيش فيه ويملأنى . . هذا والحمد لله بفضل الله وحده ، ولكنى سأحاول جاهدة أن أعبر عما أشعر به وعن أحوالى وعما يجول فى نفسى فى هذه الرحلة الروحية داعية الله عز وجل أن يكتب لى التوفيق فى ترجمة الإحساس النابض الصادق الذى أحس به ووضع شىء من الحقيقة عن أحوالى الروحية التى كنت أعيشها وأحيا فيها فترة من فترات رحلتى الروحية .

والآن جاء يا أستاذى دور التحدث عن هذه الأحوال الروحية وما صاحبها من مشاعر وأحاسيس فى خلال هذه الرحلة الروحية التى أحياها بفضل الله ورحمته والحمد لله على ذلك كثيرا ، والتى أعتبرها بمثابة البذرة الطيبة ، والمنبت الحسن ، وبدايتى الحقيقية فى الطريق إلى الله . . . .]

أولا : حال الاحساس برعاية الله وعنايته :

هذا الحال أشعر به منذ فترة طويلة حيث أنه بدأ معى بأننى كنت عندما أستيقظ فى الصباح أحس بأن الله راضى عنى فى هذا اليوم وأنه يرعانى ، وهذا إحساس جميل لأن أول شىء تتفتح عليه عيناى فى الصباح هو الإحساس برضا الله .

ثم بدأ هذا الاحساس يتطور عندما بدأت الحالة الروحية عندى . . . فبالرغم من كثرة الآراء حول هذه الحالة إلا أننى كنت وما زلت أشعر بأن الله يتولانى برعايته وعنايته وهذا شعور كثيرا ما أحس به . . فأحيانا أحس به عندما أستيقظ من النوم ، وأحيانا فى وسط النهار ، وأحيانا طول اليوم ، وأحيانا أشعر به عندما أرى رؤية روحية وأعجز فى روايتها وتفسيرها .

ثانيا : حال التأمل :

وهو حال جديد طرأ علىّ بعد الحالة الروحية . . . وهو أنى كثيرا ما أحب أن أقف وقفة وأتأمل فى كل شىء يدور حولى ، ودائما أرى نفسى فى السماء فى موقف تأمل . . وأتأمل الناس الموجودون فى الدنيا . . فمنهم من يتصارع لأجل مصلحة أو منفعة أو غرض مادى ولا يهمه أن يدوس بقدميه أعز الناس إليه وأقرب الأشخاص فى سبيل هذه المصلحة ، وهناك من أعطاهم الله الغنى والجاه ولكنهم نسوا الله ، وهناك من يعيشون بلا هدف ولا قيم ولا مثل عليا ولا مبادىء شعارهم فى الحياة : البقاء للأقوى . . والقوة للأغنى . . ليست هناك محبة . . ولا صداقة . . ولا وفاء وإنما مصالح ومنافع ذاتية .

وهؤلاء الناس مستعدون فى سبيل الحصول على مصلحتهم أن يدوسوا أى شىء حتى أصدقاءهم الذين كانوا فى يوم من الأيام سببا فى وصولهم .

وهناك أناس آخرون مؤمنين بالله قانعين بما يأتى من عند الله . . مسقطين التدابير لله سبحانه وتعالى . . أصحاب مبادىء وقيم ومثل عليا ولا يهمهم أن يموتوا أو يجوعوا فى سبيل الحفاظ على مبادئهم وقيمهم . .

مؤمنين بالقدر خيره وشره . . صابرين عند البلاء . . هؤلاء لا نجدهم أغنياء وأصحاب سرايات وانما هم أغنياء النفوس يعيشون فى لذة لا يعيشها أبدا صاحب الغنى والجاه ولو طلب منهم أن يختاروا لاختاروا القناعة والرضا وليس الغنى والجاه . . ولذلك هم مطمئنون على الدوام . . هادئون أبدا لا يزعزع إيمانهم شىء . . إن جاء خير قالوا : خير والحمد لله ، وإن جاء شر قالوا : خيرا والحمد لله على لطفه بنا فهم حامدون . . راكعون . . ساجدون على الدوام ، ولذلك هم أغنياء بنفوسهم وإيمانهم وقلوبهم الشفافة الصافية وكل ذلك بفضل الله ورحمته .

أتأمل كل ذلك وأنا فى السماء وأتعجب من هذه الدنيا التى تحوى الكثير والكثير فى آن واحد ومكان واحد . . وأتأمل ذلك كله وأتعجب من هؤلاء الناس الذين يتصارعون لأجل مصلحة معينة والذين يعيشون بلا هدف يكافحون من أجله ، ولا قيم يحافظون عليها . . اننى أتعجب من هؤلاء . .

هل فعلا يوجد أى شىء يستحق أن الإنسان يتصارع لأجله لدرجة أن الأخ يكره أخاه فى سبيل شىء معين لماذا . . لماذا ؟

حقا . . خُلق الإنسان ضعيفا ولكن بعض الجاهلين لا يعرفون ذلك إلا عندما يقعوا فريسة المرض والهم والكرب والغم .

ومع ذلك نجد أن بعض أصحاب الملايين لا يخلدون إلى الراحة ولا إلى النعيم بل دائما قلقون يفكرون كيف يزيدوا الملايين لتكون بلايين ونسوا الله الذى رزقهم ولم يتذكروا حتى أن يتصدقوا من هذا المال لله .

إنى أتعجب وأتعجب من الإنسان الذى يهتم بما هو زائل وفان وينسى ما هو باق ودائم وخالد . . كيف يكون أمامه طريق الأمن والإستقرار والهدوء . والسعادة النفسية ، ويبعد عن هذا الطريق إلى طريق القلق والفزع والخوف . طبيعى أن يكون ذلك طريقهم ما داموا قد نسوا الله .

يقول الله تعالى وهو سبحانه أصدق القائلين :

﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (الحشر : ١٩)

كل هذا بسبب المادة والغنى والسلطان . . ولو أن كل إنسان وقف وقفة وتساءل هل المادة والسلطان وحده يستطيع أن يعطينى الأمن والإستقرار والصحة والسكينة . . ؟

لا . . . الإتجاه إلى الله فقط الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له هو السبيل وهو المنقذ وهو المعين لكى أصل إلى بر الأمان والإستقرار والسعادة النفسية .

هذا الحال وهو حال التأمل كثيرا ما أشعر به وأنظر إلى هؤلاء الناس وأنا أقول إنهم مساكين لأنهم جاهلين . . وأفرح عندما أرى أن هناك فئة مؤمنة تهنأ بالإستقرار والسعادة لأنها سلكت طريق الله ولا ترضى بغير هذا الطريق . . انها عاقلة حكيمة . . هداها الله إلى الرشد والحق . . ولذلك فانها فئة هادئة على الدوام . . . .

وفرحت وقلت أن الدنيا بخير طالما فيها أناس مثل هؤلاء :

اللهم اجعلنى منهم وقربّنى إليك . .
وشدّنى إلى طريقك . .
أنك أنت السميع العليم مجيب الدعوات . .

ثالثا : حال الأنس :

وهو حال جميل جدا . . حيث انى أشعر فيه بالأنس مع الله ولا آنس الا بالله وحده لا شريك له . . ومهما قلت لا أستطيع أن أعبر عن اللذة التى أحس بها فى هذا الحال .

والحمد لله على ذلك كثيرا .

رابعا : حال الوحشة والظلمة :

فى الواقع أن هذا الحال . . حال كئيب جدا حيث إنى مرة أحسست أن الله ابتعد عنى وتركنى ، وهنا أحسست بالوحشة والظلمة أمامى وانتابنى اليأس والفزع والقلق . . ما أصعب على الإنسان أن يجد الظلمة والوحشة أمامه . . ولكنى والحمد لله تغلبت على هذه الوحشة بذكر الله الدائم ولم

أشعر بهذا الحال إلا مرتين وأطلب من الله ألا أحس به أبدا . . . فأصعب شيء أن أحس بالأنس فى مرة ثم أحس بالوحشة . . إنه شعور مظلم إلى أقصى درجة ، والحمد لله أنه لم يجيء ولم أحس به إلا مرتين فقط فهذا لطف من الله ورحمة . . والحمد لله على ذلك كثيرا .

خامسا : حال السكينة والطمأنينة :

إن هذا الحال جميل جدا حيث أن السكينة والطمأنينة فى قلبى دائما حتى اننى كنت فى البداية عندما يحدث لى بعض الإنفعال فى أى شيء وخصوصا فى مواقف الحق كنت ألوم نفسى كثيرا ، وبعدها كنت أحس بالسكينه كما إنى كنت أتغلب على مواقف الإنفعال بالذكر الدائم وقولى :

إن طريقى هو الله . . وغايتى هى الله

ثم تدب السكينة والطمأنينة فى قلبى .

والآن قد تدرج هذا الحال وتطور بحيث أنه أصبح عندى هدوء نفسى لا يساويه أى لذة أخرى من لذات الدنيا . . وإن كل شيء أرجعه لله سبحانه وتعالى وأتركه لله سبحانه وتعالى . . فلا أهتم بشيء إلا الله سبحانه وتعالى ، وأن أحرص دائما على صفاء نفسى للوصول إلى الله ، وإن السكينة والطمأنينة التى فى قلبى بفضل الله تساعدنى على ألا أفكر فى شيء وألا أقلق على شيء ، وأن أترك كل شيء لله سبحانه وتعالى إيمانا بأنه لن يصيبنى إلا ما كتبه الله لى . . فلماذا أفكر ولِمَ القلق ؟

لا . . فلقد تركت كل شيء لله سبحانه وتعالى . . فإذا كانت حياتى من الله ولله فلماذا أفكر . . ؟

من الأفضل أن أترك كل شيء لله . . . .

ولقد جربت هذا الإحساس وإنه إحساس عظيم ولذة كبرى لا تساويها أى لذة أخرى فى الدنيا ويكفينى إنى بفضل الله ورعايته ورحمته أشعر دائما بالهدوء والسكينة .

سادسا : حال التفاؤل والأمل والإشراق :

هذا الحال جميل جدا حيث انى أشعر بالتفاؤل دائما ، وأمامى أمل كبير وإشراقة دائما فى قلبى بحياتى كلها . . حتى فى أحلك المشاكل والصعاب أحس دائما بالتفاؤل وأن الله لن يتركنى أبدا ، وأنه لابد سيعيننى على حل المشاكل وتخطى الصعاب . . بل أقول دائما :

بأن وجود الصعاب والمشاكل هو بلاء من عند الله
يمنحنا به فيجب الصبر ولا سبيل إلا الصبر
والعمل حتى تنتهى المشكلة .

ففى هذا الحال دائما عندى تفاؤل بالحياة وأمل فى الغد وإشراقة نحو المستقبل . . . .

يقول الله تعالى :

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾
(الطلاق : ٢ ، ٣)

ولا أقول بأنى من المتقين . . لا أعرف أين أقف الآن ؟

هل أنا من المتقين أم لا . . ؟

أرجو أن أكون كذلك ولكن إيمانى بالله وأملى الدائم فى الله يعطينى الشجاعة والقوة والقدرة على مواجهة المشاكل والصعاب وحلها بروح من التفاؤل والأمل والإشراق ، وانى أمقت التشاؤم وأمقت المتشائمين لأن حياتهم ظلام ودائما يشعرون بالقلق والحيرة والخوف من المستقبل . . أما المتفائلون فإنى أحب الجلوس معهم لأن قلوبهم مفعمة بالإشراق والحب والحياة والإبتسامة على وجوههم على الدوام . . فهم مؤمنين راضين قانعين دائما . . حقا إن القناعة كنز لا يفنى .

هذا الحال جميل لأنه يعطى الإنسان القدرة على السير فى هذه الحياة وسط أشواكها وصعابها ومادياتها ومغرياتها .

فالتفاؤل والأمل والإشراق . . والإيمان بالله . . والأمل فى الله دائما وأبدا هو خير معين لنا فى هذه الحياة .

اللهم ادم هذا التفاؤل والأمل والإشراق فى قلوبنا
وارحمنا يا رب العالمين انك أنت أرحم الراحمين .

سابعا : حال الخوف :

هذا الحال أيضا من الأحوال التى تمر بى ، وهو حال الخوف ولكنه خوف مختلف عن ذلك النوع من الخوف الموجود فى دنيانا . . إنه خوف من غضب الله . . خوف أن أكون قد غفلت عن ذكر الله وشكر الله فيغضب الله علىّ . . إنه خوف لذيذ فيه كل معانى الإيمان والرهبة والخشوع لله سبحانه وتعالى . . إنه خوف جميل لأن فيه رجاء إلى الله بأن يغفر لى ويرحمنى إذا غفلت عن ذكر الله . . إنه خوف حريصٌ على التمسك بالله ، والحرص على الصعود إلى الله ، والإرتقاء إلى الله . . .

اللهم بدّل خوفى أمنًا واغفر لى وارحمنى
إنك أنت أرحم الراحمين يا رب العالمين

ثامنا : حال الحزن :

هذا الحال جميل أيضا لأنه حزن مختلف عن الحزن الموجود فى دنيانا . . إن الحزن الدنيوى هو حزن مادى على نقص فى المال أو الأولاد أو جاه أو مركز أو نجاح . . . الخ ، أما الحزن هنا فمختلف لأنه حزن روحى ـ أحزن خوفا من أن أكون قد غفلت عن الله أو نسيت أن أشكره فى موقف معين . . إنه حزن رائع لا أستطيع أن أعبر عنه فهو حزن مرتبط بالإيمان وعلامة هذا الحزن هو الرغبة فى البكاء أولا ثم البكاء ثانيا ، ويكون البكاء هنا بمثابة غسيل للإنسان . . إنه حزن جميل لأنه مرتبط بالخوف والحرص والإيمان والرهبة والخشوع والإستسلام لله سبحانه وتعالى .

تاسعا : الذوبان :

وهو حال غريب جدا حيث انى لا أرى إلا الله وأحس كأننى أذوب على الأرض التى أنا سائرة عليها ، أحس كأن جسمى يتحلل ويذوب حبا لله

وعندما أذوب أحس إننى لست سائرة على أرض صلبة كالتى نمشى عليها ولكن كأنى أسير على أرض أثيرية وأحس كأن جسمى خفيف جدا ، وإنى أنظر إلى السماء حمدا وشكرا لله وأذوب وأتقلب وأنا سائرة شوقا وحنينا وحبا ولهفة لله سبحانه وتعالى . . . .

إنه شعور غريب أعجز فى التعبير عنه . . شعور يتحرك فيه جسدى كله يتقلب جسدى كله أمام إسم الله . . ويذوب أمام إسم الله . . ويتحلل أمام إسم الله . . ولم يبق إلا وجه الله ذو الجلال والاكرام .

كل ما أستطيع أن أقوله فى هذا الحال إنى عندما أنطق إسم الله وأنظر إلى السماء حمدا وشكرا لله . . أحس كأننى أذوب وأنا واقفة على الأرض وكأننى أتقلب فى الهواء وأسكر سكرا وأذوب ذوبا . . إنه لحال غريب جدا يتحرك ويتقلب ويذوب ويتفاعل فيه جسدى كله .

عاشرا : الصـدق :

هذا الحال جميل جدا . . لقد فُطرت بفضل الله وحده على أن أقول الصدق دائما ولكن كانت بشريتى تقول : لا مانع من الكذب الأبيض الذى قد ينفع ولكن لا يضر ، ولكن فى الحقيقة بعد الحالة الروحية ترقى عندى حال الصدق بفضل الله ورحمته حتى إنى أصبحت لا أطيق إلا أن أقول الصدق ولا شىء غير الصدق وأصبحت لا أقبل حتى الكذب الأبيض فما دمت لا أخاف إلا الله الحى القيوم فلماذا أكذب أخوفا من إنسان عبد الله ، كلا ثم كلا ، وأصبحت لا أقول إلا الصدق وإذا حدث أن وجه لى سؤال وأخرجت فى الإجابة عليه أعتذر عن الإجابة بدلا من أن أكذب .

ولقد تذوقت بفضل الله لذة هذا الحال . . إنه أجمل وأعظم شعور عندما تقول الصدق وتحس بالراحة والطمأنينة لأنك لا تعبأ بأى شىء . . . ولا تهتم ولا تخاف ولا تخشى إلا الله سبحانه وتعالى . . فكل فعل تقوم به وكل قول ، وكل كلمة ، وكل حرف تنطق به انما يكون مرضاة لله ، ولذلك إنه حال مرتبط دائما بالإيمان والحرص . . الحرص على ألا أكذب . . الحرص دائما على قول الصدق أو الصمت . . إحساس جميل لا يساويه أى

إحساس بالدنيا لأنه شعور داخلى بالراحة والإيمان والطمأنينة والتوازن إنه فضل الله ورحمته .

حادى عشر : حال الشكر :

إنه حال جميل وعظيم جدا . . فلقد كنت أشكر الله دائما ولكن بعد الحالة الروحية ترقى هذا الحال عندى حتى أصبحت أشكر الله بصفة إستمرارية . . أشكر الله فى ركوبى ، فى سيرى ، فى أكلى ، فى شربى ، فى يقظتى ، قبل نومى ، بعد إستيقاظى . . فى كل حال دائما وأبدا أشكر الله على فضله ونعمته علىّ التى لا تعد ولا تحصى . . إيمانا منى بأننى إذا عودّت نفسى على الشكر الدائم لله سبحانه وتعالى سيصبح ذلك طبيعة فىّ ، وهذا هو ما أريده . . أريد أن يكون ذلك طبيعة فىّ أن أشكر الله على الدوام .

إن الإحساس فى هذا الحال هو إحساس جميل جدا لأنه مرتبط أيضا بإيمانى بالله وحبى له وخضوعى له وإيمانا بأن الله واحد لا إله إلا هو قادر على كل شىء . . خالق كل شىء . . وله الحمد والشكر على كل شىء وهو سبحانه ذو الفضل العظيم .

ثانى عشر : حال المعرفة :

وهو حال عجيب جدا . . فلقد كنت دائما أرى فى رؤ ياى أنه يلُقن لى بعض الأشياء والأمور التى تجول فى خاطرى ولا أعرف لها تفسيرا أو أعجز بالقيام بأى شىء تجاه هذه الأمور فكانت تحدث لى عملية تلقين أى حديثا أسمعه ويلقن لى ما يجب أن أفعله تجاه هذه الأمور .

أما فى هذا الحال الأمر يختلف حيث يجول فى خاطرى شىء معين أعجز فى تفسيره أو ماذا يجب أن أفعل اتجاه أمر معين وبسرعة وفى أقل من لحظة يُقذف فى قلبى نور صغير ثم تُقذف المعرفة حول هذا الشىء ويصبح الشىء الذى كنت أعجز عن تفسيره وأتساءل عنه معلوما ومعروفا فى قلبى فجأة دون التحدث مع أحد ، ودون ذكر المعرفة باللسان ، ودون سماع أحد يكلمنى، كما كنت أرى فى الماضى أى أن المعرفة تقُذف فى قلبى فجأة

بفضل الله وإذنه وتصبح شيئا معلوما لى بالرغم من أنها لم تلقن لى عن طريق حديث أو غيره من طرق التلقين وهذا بفضل الله ورحمته والحمد لله على ذلك كثيرا .

وفى معظم الأحيان تجىء هذه الأفكار والتساؤلات والخواطر متعلقة ومرتبطة بأشياء ومسائل علمية ، وفى أحيان أخرى تأتى مرتبطة بمواقف فى حياتى ولكنها لا تأتى أبدا فى أى شهوة أو لذة من لذات الدنيا . . المسألة هنا روحية صرفة فيها نقاء وصفاء .

ويمكن توضيح مراحل هذا الحال كالآتى :

١ - يبدأ هذا الحال بأنه يطرأ على نفسى تساؤل حول شىء معين أو أمر من أمور حياتى ولا أعرف الإجابة عليه .

٢ - إن الله دائما كريما معى ولطيفا بى . . فيُقذف فى قلبى نورا صغيرا فيصبح هذا الشىء الذى كنت أعجز فى الإجابة عليه أمرا معلوما ومعروفا وواضحا بالنسبة لى .

٣ - هذا التساؤل الذى يأتينى دائما واسأل نفسى فيه إما أن يكون مرتبطا بعلم أى حول مسائل علمية . . ومن الممكن أن يحدث أثناء قراءتى لكتاب معين حيث يجىء لى فكرة علمية معينة وتساؤلات حول هذه الفكرة ولا أعرف الإجابة عليها وأعجز فى تحليلها فبسرعة يقذف فى قلبى هذا النور ليكون بمثابة الإجابة على تساؤلى وتكون هذه الفكرة التى أعجز عن تفسيرها معلومة لدى وواضحة وعندى الإجابة عليها ، وذلك بفضل الله وهذا النور الذى قذف فى قلبى ليكون هذا الشىء أو هذا الاستفسار المجهول الغامض معلوما وواضحا أمامى .

وإما أن يأتى هذا التساؤل فى أمر من أمور حياتى لا أعرف ماذا أفعل اتجاه هذا الأمر فيقذف فى قلبى نور صغير ليجيب على حيرتى وتساؤلى حول هذا الأمر وما يجب عمله اتجاه هذا الموقف .

ولكن مع ملاحظة أنه لا يأتينى أبدا تساؤل أو استفسار عن شىء مرتبط بشهوة أو لذة من لذات الدنيا . . إن هذا الحال . . حال روحى

صرف وبعيد عن أى شهوة أو لذة من لذات الدنيا فهو عون وإستمداد من الله دائما . . وكل ذلك بفضل الله ورحمته .

ثالث عشر : حال الفرح والابتهاج :

وهو حال جميل ورائع حيث أحس فيه بأنى فرحة ومبتهجة وصدرى منشرح على الدوام . . لكن هذا الفرح والإبتهاج يختلف عن الفرح الموجود بالدنيا . . فهو حال حقيقة لا أستطيع أن أعبر عنه بالكلمات لأنه قبل كُل شىء إحساس داخلى يبث فى الجسد كله ودائما تفكيرى فى الله ، وذكرى الدائم له ، وشكرى الدائم له هو فرح وابتهاج بالله وبالهداية التى هى من عند الله .

ومن الممكن أن نقول أنه فرح الإيمان بالله . . لا أعرف كيف أعبر عن هذا الحال . . كل ما أستطيع أن أقوله إنه إحساس بالفرح والإبتهاج والإنشراح وهنا يكون إسم الله دائما أمامى وفوقى ويملأ كل ذرة فى الكون وأحس كأنى أريد أن أطير وأصعد إلى السماء وأن يُفتح فؤادى ليركع ويسجد حمدا وشكرا لله على هذا الفرح والإبتهاج والحمد لله على ذلك كثيرا .

رابع عشر : حال المحبة :

أن هذا الحال أعظم الأحوال جميعا وأجملها وأروعها وألذها ولا تكفينى مجلدات للتعبير عن هذا الحال ، ومهما قلت . . ومهما كتبت . . ومهما سطرت فلا أستطيع أبدا أن أعبر ولو عن ذرة واحدة من الحقيقة ومن الإحساس العظيم الذى أشعر به واننى أعجز هنا عن كل شىء . . أعجز فى التعبير عن هذا الإحساس ولا أجد فى قواميس اللغة كلها كلمة تستطيع أن تعطى صورة حقيقية عن هذا الحال . . إنه شعور وإحساس ونبض يسير فى جسمى وينطق بالحب لله والمحبة لله . . إنه حب من نوع آخر غير الحب الذى نعرفه فى دنيانا . . حب يذوب معه كل شىء . . حب عظيم رائع جميل له لذة لا تساويها لذات الدنيا كلها وما فيها من زواج أو نجاح أو شهرة أو غنى

أو مركز . . . الخ من مباهج الدنيا وما فيها . . وإنى أطلب من الله ألا يحرمنى أبدا من هذه المحبة التى لا تساويها أى محبة أخرى .

إنى أحب الله حبا كبيرا . . اننى فى حالة حب دائم مع الله . . أحب حياتى لأنها من الله . . وأحب موتى وأرتقبه فى أى لحظة ولا أخافه لأنه رجوع إلى الله وستحين لى الفرصة أن ألتقى بالله بعد شوق وحنين غامر . . انى أرى الله فى كل شىء . . فى شرابى ، فى أكلى ، فى سيرى ، فى الأشجار التى أراها ، فى تغريد العصافير ، فى الطيور ، فى السموات ، فى الأرض ، فى نومى ، فى يقظتى ، فى الكون كله ، فى كل ذرة ، فى كل كلمة ، فى كل حرف . . أرى الله فى كل شىء . . كل شىء ينطق بالله . . كل شىء يقول الله . . كل شىء يسبّح لله . . كل شىء يحمد ويشكر الله . . كل بطريقته . . إن الله يملأ الكون كله . . يملأ الحياة وما بعد الحياة . . فمهما كتبت فإنى لا أجد لإحساسى ولرؤياى لفظا يبين ما أحس به وما يختلج فى نفسى . . كل ما أستطيع أن أقوله انى أرى الله فى كل شىء ، وكثيرا عندما أشرب ماء أراه كأنه لبن صافى نقى من عند الله . . إن الله يملأنى ويملأ الكون والوجود كله .

إن كل شىء جميل يأتينى فهو من الله . . وكل شر يأتينى فهو من نفسى ولابد إنى وقعت فى الغفلة والخطأ والسهو والنسيان وغفلت عن ذكر الله ، ولذلك جاءنى هذا الشر .

يقول سبحانه :

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ (النساء : ٧٩)

أما البلاء الذى من عند الله فأنى أحبه وأنتظره وأرحب به لأنه هو الوسيلة الوحيدة التى تصقل بها نفسى . . إنه دواء مر ولكنه ناجع يصل إلى الأعماق مرة واحدة . . إنه فى ظاهره مرير وصعب ولكن فى باطنه

الإستقرار والتهذيب والتقويم وصقل النفس ، وإنى لا أشعر بمرارته وصعوبته لأننى أنشد السكينة والتهذيب والتقويم وصقل نفسى التى توصلنى إلى الله . . أنى لا أعبأ بأى شىء ما دامت النهاية إنى ألتقى بحبيبى الله . . ياله من إسم جميل عظيم . . انى أحيا وأسعد بحياتى لأنى أحب الله . . وآنس بالله ، ولا أرى إلا الله . ولا أجد لذة إلا مع الله . . أن الله فى كيانى ودمى ونبضاتى وتنفسى . . يشملنى فى قلبى وفؤادى وفى كيانى كله .

إنى أسعد بهذه الحياة التى تغنينى عن الدنيا . . إنى أنشد الله وأريد أن أصل الى الله ولا شىء غير ذلك فما السبيل إلى ذلك . . ؟

إن طريقى هو الله . . ورجائى هو الله . . أملى هو الله . . إيمانى هو الله . . أمنى هو الله . . نبضى هو الله . . قلبى هو الله . . حركاتى وسكناتى كلها لله وبالله . . إن حياتى كلها بما فيها من سكنات وحركات وهمسات ويقظة فهى لله ومن الله وبالله ولا تحيا إلا مع الله ولا تسعد الا بالله ولا تشقى إلا خوفا من غضب الله . . مهما أكتب ، ومهما أقول ، ومهما يسطر قلمى هذا لا أستطيع أن أعبر عن مدى حبى العظيم لله .

وفى هذه الحالة يكون الصمت هو أصدق تعبير عن هذا الحب ، وهو القلم الجرىء الذى يعبر عما يختلجه نفسى وفؤادى عن هذا الحب العظيم الذى لا أستطيع أن أعبر عنه ، ولا أجد كلمة واحدة تستطيع أن تعطى هذا الحب حقه ولكن أقول كلمة كما قالها البعض : إن عجز الإدراك هو إدراك وعلى هذا أكتب وأقول : إن عجز التعبير هو تعبير ومعنى ، ولذلك فللصمت فائدة . . إن لسانى يصمت ولا يعرف الكلام وقلبى يسكر ويذوب حبا وشوقا لله . . وإنى أحيانا أسكر وسط الأنوار الإلهية التى يمنّها الله علىّ حتى إنى أحس إنى أذوب فيها .

عندما يجىء لى هذا الحال وأشعر به أحس بأننى أسير على الأرض وأتقلب عليها وأنا واقفة وأذوب ذوبا فى حب الله ووسط الأنوار الإلهية وأسكر سكرا كله حب وشوق وأنظر إلى السماء . . نظرة شوق

وحنين ولهفة للقاء الله . . ويجيء لى إحساس بأنى أريد أن أصعد إلى السماء ويُفتح قلبى ليركع ويسجد حمدا وشكرا لله ويريد أن يقول :

إنى أحبك يا ربى . . حبا يفوق كل حد ويفوق كل تصوير . . حبا كبيرا إلى درجة العجز عن التعبير عنه . . إن قلبى وكل نبضة من نبضاتى ، وكل عرق من عروقى ، وكل إحساس ، وكل خلجة ، وكل همسة ، وكل فؤادى وكيانى كله يركع ويسجد لله وينطق بالحب لله سبحانه وتعالى .

أن كل ما فىّ يركع ويسجد لله دائما وأبدا ، وإنى أحس بركوع وسجود نبضاتى وعروقى وفؤادى . . أحس بكيانى كله وهو يركع ويسجد حمدا وشكرا لله ويذوب حبا فى الله .

ماذا . . وماذا أقول ؟ لا توجد كلمات تستطيع أن تعبر عما أحسه أو أشعر به فى هذا الحال العظيم . . حال المحبة .

كل ما أستطيع أن أقوله إن حبى لله عظيما وكبيرا يفوق كل كلمة ، وكل حد ، وكل تصوير . . وأرجو من الله أن يتقبلنى بقبول حسن وألا يحرمنى أبدا من فضله ورحمته . . .

إن بدايتنا من الله . . ونهايتنا إلى الله
وما بين البداية والنهاية هو طريق ما يسعى إليه الإنسان
إما أن يكون طريقا من نور . . وإما أن يكون طريقا من ظلام
إما أن نكون أولياء لله . . وإما أن نكون أولياء للشيطان .

قال الله تعالى :

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ (النجم : ٣٩)

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ .
(الشورى : ٢٠)

إن الله لم يخلقنا عبثا . . بل خلقنا لرسالة ولواجب دينى
إذا كـان الله القادر الحى القيـوم لم يخلقنا عبثـا
فكيف نجعل الطريق ما بين البداية- والنهاية عبث ولهو .

إن الله خلق آدم ليكون خليفته فى الأرض
فلا يمكن أن نكون خلفاء لله فى الأرض
إلا إذا إرتقينا بسلوكنا نحو الله . . نحو الأعلى
وهنا الله لا يتركنا بل الإنسان الذى يختار
طريق النور . . طريق الحق . . طريق الهداية
يكافئه الله ويمنّ عليه بالأنوار الإلهية . . والعطايا . . والهبات
ويدخل فى قلبه الأمن والسكينة وبذلك يكون الإنسان
غنيا بنفسه الحلوة الشفافة الروحية الصافية
وذلك كله بفضل الله ورحمته .

اللهم ارفعنى اليك . . اللهم انى أسألك
حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقربنى
إلى حبك .

بعد فترة إرتقت الأحاسيس فى هذا الحال إلى أكثر من ذلك حيث إنى أحس بتفاعل سكناتى وحركاتى وأعضاء جسدى . . وان كل حركة وسكنة وهمسة لها معنى وأعرف معناها ، وهذا يتضح من الجدول التالى :

سكنات وحركات وتفاعلات جسدى	المعنى
١ - يبدأ هذا الحال بتراخى كامل فى جسدى حتى إننى لا أشعر بأى عضو من أعضاء جسدى .	١ - معنى هذا التراخى هو موت جسدى وابتعاده عن الدنيا واستعداده لاستقبال الحالة الروحية .
٢ - ثم بعد ذلك أحس بأعضاء جسدى كلها تصعد وترتفع إلى أعلى .	٢ - هذا الإحساس بالصعود معناه أنه أصبح جسدى فى قالب الحالة الروحية وابتعد تماما عن الدنيا .
٣ - الرغبة فى البكاء ثم البكاء وكلما ذكرت إسم الله زاد بكائى ثم أداء الوجد هنا لوظائفه وتتفاعل جميع أعضاء جسدى وأحس كأنها تركع وتسجد حبا وشوقا وحمدا وشكرا لله سبحانه وتعالى وهنا تغمرنى وتملأنى المحبة لله .	١ - معنى هذا الإحساس طيب ورائع ولا أستطيع وصفه .. كل ما أريد أن أقوله أن معنى البكاء هنا هو الشعور بحب الله ومحبة الله والسعادة والراحة والأمن مع الله والإهتزاز والخشوع لاسم الله .. وهنا لا أرى شىء فى الوجود إلا الله .

ونتيجة هذه المشاعر التى أحس بها فى هذا الحال .. حال المحبة أنه هناك شعور قوى جدا ممتزج ينطق بالإيمان والرهبة والخشوع والإستسلام لله سبحانه وتعالى والخوف من غضب الله والحزن والرجاء .. شعور طيب لأنه يجعلنى لا أرى إلا الله .. كل شىء ينطق بالله ، ويسبّح لله ويحمد الله .. شعور رائع يجعلنى أرى الله وقدرته وجلاله وعظمته فى كل شىء .. شعور لا وصف له لأن هنا اللسان عاجز تماما عن الكلام أما أعضاء جسدى هى التى تتحدث وتعلن عن حبها لله وإخلاصها له .

وفى النهاية يكفينى أن أقول كلمة واحدة فيها كل المعانى وهى أن حبى لله كبيرا وعظيما وهو أعمق وأقوى وأكبر وأعظم من أن يُعبر عنه بأى كلمة وبأى حرف . . ففى هذا العجز فى التعبير هو كل الحب والمحبة لله سبحانه وتعالى الذى لا يماثله أى حب آخر . . إنه حب ممتزج بالسعادة والأمن والهناء .

أحيانا الدنيا تأخذنى وتشدّنى وتشغلنى . . وإن نفسى لأمارة بالسوء . . ضعيفة لا إرادة لها ولا إختيار لها إلا بالله ودائما أطلب من الله الرحمة والمغفرة ، ودائما خائفة وحزينة خائفة من غضب الله وحزينة لأنى أضعت لحظات من عمرى لم أذكر فيها الله ، ولكن مع ذلك فإن الله لا يتركنى أبدا ودائما يمن علىَّ برحمته وكرمه وهباته التى تعطينى الأمن والإستقرار والأمل والتفاؤل .

إنى أحب الله حبا عظيما . . مؤمنة بأنه لن يتركنى أبدا . . عندى أمل دائم فى الله . . وثقة كبيرة بالله . . مهما طالت العقبات والصعاب فلابد فى النهاية أن الله سينقذنى من هذه الصعاب . . . إنه هو المنقذ الرحيم .

إن الإلتجاء إلى الله دائما وأبدا ، والإيمان به ، والأمل فيه هو السبيل إلى الأمن والسكينة والطمأنينة ، وهذا هو أعظم الحب لله سبحانه وتعالى .

> اللهم أدم علىَّ هذا الحب واجعلنى من المقربين إليك انك أنت السميع العليم مجيب الدعوات .
>
> ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب .

وفى النهاية أقول بعد أن سردت الأحوال التى أعيش فيها والأحاسيس والخواطر المصحوبة بها أن :

> [كل كلمة كتبتها لا تعبر عن كل ما أعيش فيه بل أقل بكثير لأنه مهما كتبت وسطّرت لا أستطيع أن أعبر ولو عن ذرة واحدة من الحقيقة والإحساس الرائع الذى أشعر به . . ولا أجد من الكلمات ما يعبر عن إحساسى الحقيقى .]

إن هذه الأحوال والرؤى التى أراها ليست مجرد مشاهدات وأحاديث أسمعها فقط لا بل إنها مشاعر وأحاسيس تملأ علىَّ وجدانى كله وكيانى كله وأعيشها بكل أحاسيسى ومشاعرى أعيش بها وفيها والحمد لله على ذلك كثيرا .

وإننى فى الحقيقة لا أعرف إذا كنت على حال أو مقام فأنا لا أعبأ بذلك لأن الله وحده هو الذى يعلم ذلك . . فإن كل ما يهمنى وكل ما أهتم به هو أن أحظى بالقربة من الله ولا أهتم بغير ذلك . . فكل ما يهمنى وأحرص عليه هو القرب من الله ولقاء الله . كما انى أحرص على الفوز برضا الله وهذا كله بإذن الله وبإرادته وفضله ورحمته .

« اللهم اجعلنى من المقربين إليك . . .
اللهم اجعلنى من المكرمين والتوابين والصالحين
إنك أنت السميع العليم يا رب العالمين . »

وتختتم الفتاة حديثها عن الأحوال التى عاشتها ومرت بها فتقول :

[وفى الحقيقة يا أستاذى لكى تكتمل كلمة الصدق هذه . . هناك نقطة أخيرة أريد أن أعلنها بوضوح وصراحة وهى أنى غير راضية عن كل كلمة كتبتها . . لدى إحساس عميق بأننى أستطيع أن أعبر عما أحس به بصورة أفضل من ذلك ولكن مشكلتى هو أننى لا أعرف كيف السبيل للتعبير عما يكمن فى داخلى كما أشعر به بلا زيادة أو نقصان . . وفى النهاية أصل إلى نتيجة واحدة هى عدم الرضا ، ولكن عزائى الوحيد أن أكون قد وفقت ولو فى جزء بسيط من الحقيقة التى أعيشها بكل كيانى .]

كانت هذه هى الأحوال التى مرت بها الفتاة وكتبتها وعرضتها على أستاذها بناء على توجيهه لها وما أن قرأها حتى بدأ فى إرشادها ونصحها وتوجيهها فى هذا الطريق حيث كان يحثها على الذكر الدائم وألا تأمن مكر الله وألا تفرح بما أتاها وأن تتسلح بالإيمان والذكر وشكر الله دائما .

وبتوجيهات أستاذها لها وإرشاداته انتهى دوره معها ، وعرفت الفتاة

طريقها وبدأت الأمور تتضح لها وتتفتح أمامها . . فلقد كان لهذا الأستاذ بصمة فى طريقها وعونا لها فى رحلتها الروحية حيث أحست بأنها تقف على أرض صلبة ثابتة وبدأت تتلمس أول بداية من بدايات النور فى الطريق إلى الله وشعرت بأن الطريق أمامها مفتوح وعليها أن تسير فيه بخطى ثابتة وإيمان قوى وحب عظيم لله الواحد الفياض الوهاب .

بعد هذه المعايشة التامة فى هذه الأحوال التى مرت بها البطلة فى تلك الفترة والتى تعتبر نقطة تحوّل فى حياتها . . وقفت مع نفسها وقفات من التأمل والتفكر أنارت بصيرتها إلى سلوكيات هامة ، وقادتها إلى معرفة أمور لم تكن تعرفها من قبل وعليها أن تتبع ذلك فى نفسها وسلوكها وحياتها :

١ ـ أيقنت الفتاة بأنه لابد من اسقاط التدبير مع الله فى كل أمر . . فى كل صغيرة وكبيرة وبذلك تسعد سعادة غامرة ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق :

(أ) استحضار الله دائما فى قلبها وكيانها كله .

(ب) الصبر .

(جـ) التوكل على الله .

(د) المجاهدة دون النظر إلى النتيجة سواء أكانت خيرا أم شرا ، أن جاءت خيرا فهذا من الله والحمد لله ، وإن جاءت شرا فهى ليست شرا وانما فى ظاهرها وفى نظرها القصير شر ولكنها تبطن الخير لأن الله لا يريد بعباده الا كل الخير .

ومن هنا تبدأ السير فى طريق اسقاط التدبير مع الله ، وتطلب من الله أن يوفقها ويهذبها ويعينها للسير فى هذا الطريق .

٢ ـ عرفت الفتاة وأحست بأن الدنيا تشدّها وتشغلها أحيانا عن ذكر الله فتقع فى الغفلة والنسيان والسهو دون قصد فيجب أن تصل إلى طريق يجعلها ألا تنشغل بالدنيا عن الله ، فإن الدنيا تطلب من الإنسان المجاهدة ، وفى مجاهدتنا هذه من الممكن أن ننشغل بما فيها وبمطالبها دون قصد والإنسان دائما فى غفلة ، وفى نسيان ولذلك لابد لكى يكون الإنسان دائما متصلا

بالله . . مرتبطا بالله . . بينه وبين الله شعاع من نور عليه اسم الله لابد من تهيئة النفس للاتصال به حتى فى حالات الإنشغال وذلك بإستحضار الله فى قلب وعقل وكيان الإنسان وبذلك يؤدى الموقف أو العمل الذى يقوم به دون إنشغال عن الله لأن الله هنا سبق إنشغاله حيث أنه استحضره فى كيانه كله فأصبح يجرى فى دمه ، وهنا يحس الإنسان أنه يؤدى المهمة التى يقوم بها أثناء إنشغاله لله فقط وليس للشىء الذى هو منشغل به ، وهنا الله يجازيه على ذلك بأن يعطيه القوة والقدرة على التحكم فى كل شىء بإذن الله وبعون الله .

٣ ـ أدركت الفتاة تماما بأن النفس أمارة بالسوء وضعيفة ، ولذلك لم تنسى أبدا أن تعترف بذلك دائما وأن تذكر نفسها بأنها أمارة بالسوء . . ضعيفة . . جاهلة حتى لا تأتى لحظة تشعر فيها بالغرور والإغترار بنفسها . . إن نعم الله عليها كثيرة وعطاءه لها فياض وفضله عليها عظيم فيجب عليها إلا تنسى ذلك أبدا وألا تغفل عن أن نفسها أمارة بالسوء ضعيفة بدون استمداد العون من الله ولذلك فإن إعترافها المستمر بهذا يذكرها دائما بألا تنسى مقامها كعبد من عباد الله تسير فى الحياة وتعمل وتنبض وتؤمن بالله وأن سعادتها فى أن تعبد الله الذى منن عليها بنعمة الوجود وغيرها من النعم الأخرى التى لا تعد ولا تحصى .

لقد عرفت هذه الفتاة بأنه من الممكن وهى فى قمة السكينة والإطمئنان الذى يتملكها أن تقع فى الغفلة والنسيان فيصيبها الغرور ولعلاج ذلك يجب الإعتراف الدائم والقول الدائم بالحقيقة بأنها ضعيفة جاهلة بدون الله . . نفسها أمارة بالسوء بدون العون من الله . . لا إرادة لهذه النفس ولا إختيار لها إلا بالله .

وبذلك تكون فى حالة تذكير دائم بمقامها كعبد حتى لا تقع فى الغفلة والنسيان والغرور فهى لا تنسى بأن تذكّر نفسها بألا تغتر لإحساسها بلحظات من السكينة والإطمئنان فهذا اعتراف منها بالضعف وأن لا يمكن أن تكون لها إرادة ولا إختيار إلا بالله ، ولن تقوم لها حياة فاضلة هانئة إلا بالله ، ولن تستمد العون إلا من الله ، ولن تحيا إلا لأجل الرسالة الإنسانية التى خُلق الإنسان من أجلها وهى عبادة الله .

يقول الله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

(الذاريات : ٥٦)

أثارت هذه الوقفات التأملية فى نفس الفتاة عدد من التساؤلات :

كيف لا انشغل بالدنيا عن ذكر الله ؟
هل أتفرغ فقط لذكر الله وأنسى واجباتى الدنيوية التى أحياها ؟
هل هذا صحيح أم خطأ ؟

لا إن المجاهدة شىء عظيم والصبر فى المجاهدة شىء أعظم ، ولكن لابد من معرفة حقيقة هامة يجب ألا تثنينا هذه المجاهدة عن ذكر الله .. يجب ألا ننشغل بدنيانا ومطالبها عن الله .

اذن ما هو الحل ؟ وكيف أقوم بكل عمل يُطلب منى دون أن أغفل عن الله ؟

وأدركت الفتاة بفضل الله وحده أن الإجابة تكمن فى شيئين :

١ - أن تستحضر الله دائما فى قلبها حتى وهى تقوم بأعمالها الدنيوية وبذلك يصبح كل عمل دنيوى تعمله مخلصا لله وتاما بعون الله الذى استحضرته فى قلبها وملأ كيانها كله .

٢ - شكر الله الدائم على النجاح الذى أنجزته فى مهامها وإرجاع الفضل دائما لله وحده فلا حول للإنسان ولا قوة له إلا بالله فإذا كان نجح فى شىء فالفضل لله أولا وأخيرا لله سبحانه وتعالى وليس للإنسان فضل فى شىء ، وبذلك يكون دائما بيننا وبين الله شعاع من نور عليه إسم الله متصل دائما به لا ينقطع أبدا .

وهنا تحس النفس بالطمأنينة والسكينة والهناء والإستقرار الذى لا يساويه متاع الدنيا كلها وسعادة وكنوز الدنيا كلها .. فإنها سعادة أخرى تشرح القلب والصدر .

هكذا كانت تأملات الفتاة مع نفسها بعد هذه الفترة والتى خرجت منها

بنتيجة هامة وهى ضرورة استحضار الله فى قلبها وروحها وعقلها وكيانها كله فى كل لحظة ، وفى كل وقت .

وفى نفس الوقت الذى كانت الفتاة تمر بهذه الأحوال والتى لم تكن تفهم معناها وقتها كان هناك جانب آخر فى حياتها يسير فى مجراه بأمر الله وفضله وهو جانب الرؤ ى الصالحة التى منها الله عليها حيث رأت الكثير من الرؤ ى الصالحة والتى لم تفهم مغزاها وقتها والتى كانت تدعوها للسير فى طريق الله .

وسنستعرض هنا معا بعض هذه الرؤ ى التى رأتها فى تلك الفترة والتى كانت تشدّها إلى طريق الله دون أن تشعر مع العلم بأن كل هذه الرؤ ى كانت دائما تفتتح باسم الله ونور الله والمنظر العظيم[1] الذى سبق وان وصفناه .

- رأت الفتاة مرة بإذن الله أن هناك طريقا من نور أمامها ، وفى رؤ ية أخرى رأت أنها سائرة على طريق من النور .

- فى يوم من الأيام رأت هذه الرؤ ية :

رأت أن مجموعة من الملائكة فى هيئة جميلة جدا يرتدون ملابس بيضاء ناصعة ويرتلون تراتيل معينة كلها ذكر لله وتسبيح لله سبحانه وتعالى وبدأوا كلامهم للفتاة باسم الله وقالوا لها :

ان الله يريدك أن تكون غايتك معرفة الله . . ونحن نريدك باذن الله أن تكون غايتك معرفة الله . . فاتخذى هذا الطريق هو غايتك وأن يكون العلم وسيلة للوصول إلى هذه الغاية العظيمة وهى معرفة الله سبحانه وتعالى ، وعندما تصلىَ إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ستنعمى بنعيم لا يساويه أى نعيم آخر ، وسترى وتسمعى بإذن الله ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . . فاجعلى العلم وسيلة والغاية هى معرفة الله سبحانه وتعالى .

- فى يوم آخر رأت الفتاة رؤ ية أخرى وهى أن :

(١) راجع الفصل الثانى : ص ٩٥

مجموعة من الملائكة فى هيئة جميلة جدا ولباس أبيض يرتلون تراتيل معينة كلها ذكر لله وتسبيح لله سبحانه وتعالى وبدأوا كلامهم للفتاة باسم الله ثم قالوا لها :

لا تحزنى ولا تقلقى من الأشياء التى تحدث على غير رضاك وموافقتك . . إن الله سبحانه وتعالى يريد بك خيرا فاصبرى واطمئنى .

- وفى يوم آخر رأت :

أن هناك طريق . . هذا الطريق مكتوب فوقه (فى السماء اسم الله ومكتوب الطريق إلى الله ، وأرض هذا الطريق أرض بيضاء لامعة براقة عليها نور جميل جدا وقوى ، وفى نهاية هذا الطريق يوجد باب كله نور . . أى أنه باب من نور ومكتوب عليه اسم الله . . الطريق إلى الله ، وبداخل هذا الباب مكان واسع كله نور وجواهر براقة ثم وجدت الفتاة نفسها لابسة ثيابا بيضاء سائرة على هذه الأرض البراقة وترتدى (جورباً) أبيضا وتحرسها مجموعة من الملائكة تراهم لأول مرة ثم قالوا لها :

إن الله يحبك حبا كبيرا . . إن الله يريد بك خيرا
إن الله يريدك أن تسيرى فى الطريق إلى الله . .
فسيرى على بركة الله . . وعين الله تحرسك ونحن معك دائما بإذن الله .

وأثناء سيرها فى الممشاة على الأرض الطويلة البراقة وجدت فتحة صغيرة جدا فتحت من هذا الباب الذى على آخر الطريق وأنها ما زالت سائرة .

وانتهت الرؤية على ذلك .

- فى يوم آخر رأت نفس الطريق الذى رأته فى الرؤية السابقة وهو الطريق إلى الله ونفس المنظر وانها سائرة فى هذا الطريق والملائكة من حولها ويقولون لها نفس الكلمات التى ذُكرت فى الرؤية السابقة ثم رأت نفسها تسير على الأرض الطويلة البراقة ثم وجدت فتحة الباب هذه المرة أوسع وأكبر من التى فُتحت أمامها ثم قالوا لها :

إنك بإذن الله فى طريقك فى الدخول فى المرحلة الثانية فى الطريق إلى الله . . أما المرحلة الأولى فقد كانت أن الله سبحانه وتعالى منّ عليك ببعض الأنوار الالهية وجعل من الملائكة من يحرسك ويرعاك ويقومك ويهذبك ويبشرك ويطمئنك وذلك للدخول فى الطريق إلى الله .

أما المرحلة الثانية فستبدأ منك بالمجاهدة وستجدى بإذن الله أمامك شيخ كبير يسوقه الله لك بإذن الله ليربيك ويهذبك ويسير معك إلى أن تصلى إلى بر الأمان .

(وفعلا عندما وصلت الفتاة إلى الباب ولم تدخل بعد)

وجدت كلمة مجاهدة مكتوبة وبعدها رأت شيخ كبير شكله جميل أمامها ثم استكملت الملائكة حديثهم لها وقالوا :

فاستعدى من الآن فى المجاهدة ، وستجنى ثمار هذه المجاهدة ثمارا طيبة وابشرى . . وفقك الله وبارك الله فيك .

وانتهت الرؤية على ذلك .

- وفى يوم آخر رأت نفس الطريق إلى الله وأنها سائرة فيه وأن الملائكة يقولون لها نفس الكلمات التى قالتها الملائكة لها فى الرؤية السابقة ثم وجدت أن هذا الباب هذه المرة مفتوح على مصراعيه أمامها وسمعت الملائكة يقولون لها نفس الكلمات السابقة عن المجاهدة والشيخ .

- ثم رأت فى يوم آخر نفس الرؤية والطريق إلى الله وانها سائرة فى الطريق وسمعت نفس حديث الملائكة لها ثم رأت أن الباب مفتوح على مصراعيه لها والنداء لها بأن تدخل .

وهذه الرؤية تكررت أكثر من مرة .

- وفى يوم آخر رأت أن مجموعة من الملائكة فى هيئة جميلة جدا وفى لباس أبيض جاءوا وقبل أن يتحدثوا معها بدأوا يرتلون تراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح لله وحمد الله سبحانه وتعالى ثم بدأوا فى الحديث معها وهم يذكرون الله دائما وأبدا وقالوا لها :

اصبرى ثم اصبرى ثم اصبرى وتحمّلى وسيعينك الله على ذلك بإذن الله ثم ردت الفتاة وقالت :

وإنى لصابرة بإذن الله مرضاة لله وحده .

فقالوا لها :

جزاك الله كل خير ، ورضى الله عنك ، وبارك الله فيك .

- فى يوم آخر رأت الفتاة مجموعة من الملائكة بدأوا حديثهم بتراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح لله سبحانه وتعالى ثم قالوا :

الله . . . الله . . . الله
لا إله إلا الله محمد رسول الله
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
نحن مجموعة أخرى من الملائكة وأنت الآن فى طريقك لدخول مرحلة جديدة بإذن الله وهو الطريق القريب من الله ، وقد آتينا الآن بإذن من الله لنعطيك بعض الإرشادات التى يجب أن تتحلى بها قبل دخولك فى هذا الطريق :

١ - تحلى بالصدق
٢ - تحلى بالأمانة
٣ - تحلى بالتواضع
٤ - تحلى بالقناعة
٥ - اجعلى هدفك وحياتك وأملك ومنتهاك هو الله . . فاعملى كل شىء لله ، وراعى الله أولا وأخيرا واعملى لله وليس للناس وكل عمل وقول وفعل فاجعليه لله وليس لكسب مصلحة أو منفعة من شخص .
٦ - تحلى بالحياء والخجل وخفض الصوت واللين والرحمة والرفق والهدوء .
٧ - تحلى بالإحسان والعفو عن الإساءة .

بذلك كله سيتغمدك الله برحمته وسيمن عليك بإذن الله نور

السكينة والطمأنينة فى صدرك وقلبك وروحك ونفسك وعقلك جميعا ، وبذلك تحيى حياة سعيدة وسيكون ذلك بداية دخول إلى الطريق الجديد وهو القريب من الله .

فحافظى على ذلك ، وراقبى نفسك فى ذلك واحمدى الله كثيرا ، واشكرى الله كثيرا واركعى لله كثيرا على فضله العظيم .

رحمك الله دنيا وأخرة وبارك الله فيك بإذن الله وقولى دائما :

الحمد لله يا رب العالمين على فضلك العظيم ورحمتك بى وكرمك ولطفك وعلى كل شىء .

الله . . . الله . . . الله
لا إله إلا الله محمد رسول الله
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم
الله الرحمن الرحيم . . الله الرحمن الرحيم . .
الله الرحمن الرحيم
الله . . . الله . . . الله .

- فى يوم آخر رأت الفتاة رؤية افتتحت باسم الله ونور الله والمنظر العظيم السابق وصفه . . . ثم تضمنت الرؤية كلمة من الملائكة حيث قالوا لها بعد أن بدأوا حديثهم بتراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح لله سبحانه وتعالى :

إنها كلمة من الملائكة إليك يأيتها المؤمنة الصالحة بأمر من الله وبإذن من عنده وكل شىء بإذنه وإرادته . . .

يأيتها المؤمنة . . يأيتها السائرة فى طريق الله . . استمرى فى طريقك وعلينا أن نقول لك انك الآن فى مرحلة من أقوى المراحل وأعظمها حيث أن نفسك تؤهل لدخول مرحلة جديدة وانك فى طريق قريب من الله .

لقد أُهلت نفسك لأن تسيرى فى طريق الله وأنت الآن فى طريقك للدخول فى طريق آخر هو طريق قريب من الله .

فإن المرحلة التى تمرى بها الآن من أخطر وأعظم المراحل وذلك لأنك موضوعة فى ظروف دنيوية من الممكن أن تشغلك وتلهيك فاحذرى فلا تنسى ذكر الله ، ولا تنسى الخشوع لله ، ولا تنسى الركوع لله ، ولا تنسى السجود لله ، ولا تنسى حمد الله ، ولا تنسى شكر الله ... فمهما سجدت ، ومهما ركعت ، ومهما حمدت ، ومهما شكرت فإن كل ذلك لا يكفى لحمد الله وشكره بل لو مكثت عمرك كله بل حياتك كلها راكعة ساجدة حمدا وشكرا لله فلن يكفى ... إن نعمة الله عليك كبيرة وعظيمة وفضله عظيم ورائع عليك .

فسيرى فى طريق الله ولا تنسى فى دوامة إنشغالك حمد وشكر الله والتسبيح له والسجود له والركوع له .

ان الله يريد بك خيرا ، والطريق الذى اختاره الله لك طريق جميل وعظيم ونعمته عليك لا مثيل لها فحافظى على ذلك واشكرى الله كثيرا .

ثم بشرتها الملائكة بدخولها قريبا فى طريق كله أنوار من عند الله ، فلتسارع إلى ذلك الطريق بعبادتها وتهجدها حتى يغمر الله عليها بأنواره بإذن الله .

ثم قالوا لها أيضا :

لك من الله بإذن الله حياة هادئة .. وأمنا .. وسلاما
فلا تفكرى ولا تعملى إلا فى طريق الله
وهبى كل أعمالك لله سبحانه وتعالى .

وقولى دائما :

الحمد لله رب العالمين على كل شىء .. كل ما يأتى من عندك هو الخير كل ما يأتى من عندك هو النور .. كل ما يأتى من عندك هو السعادة النفسية والروحية .. بل السعادة الحقيقية للإنسان ..
فالحمد لله على كل شىء يأتينى من عندك يا رب العالمين وبإذن الله ستجدنى من الصابرين .
جزاك الله كل خير ووفقك الله دائما بإذن الله .

ثم بشرّتها الملائكة بأنه ستقابلها مجموعة أخرى من ملائكة الرحمن فى الطريق الجديد وهو الطريق القريب من الله والملىء بالأنوار وستحرسها مجموعة أخرى من ملائكة النور .

- ثم رأت الفتاة رؤ ية أخرى افتتحت أيضا باسم الله ونور الله والمنظر العظيم السابق وصفه تضمنت هذه الرؤ ية نصيحة من الملائكة لها :

نصيحتنا لك يأيتها المؤمنة المخلصة العابدة . . . . . استمرى فى عبادتك . . زدى منها . . سيرى فى الطريق على بركة الله . . ولا تنسى ذكر الله كثيرا . . وحمد الله كثيرا فإن لك طريقا من نور مليئا بالحب والرحمة والإيمان فاركعى لله كثيرا ، واسجدى لله كثيرا ، واذكرى الله كثيرا واحمدى الله كثيرا ، واشكرى الله كثيرا . . فلو مكثت عمرك كله راكعة ساجدة حمدا وشكرا لله فلن يكفى ذلك حمدا وشكرا لله على نعمته التى أنعمها عليك وعلى فضله العظيم عليك فاستمرى يأيتها المؤمنة الصالحة .

إن الله معك دائما بإذن الله . . ونحن معك دائما بأمر من الله وبإذن الله ، وقولى دائما كلمة : الحمد لله حمدا وشكرا كثيرا فان كلمة الحمد لله نور كبير وعظيم للمؤمنين والمؤمنات .

- ثم رأت الفتاة رؤ ية أخرى عظيمة افتتحت باسم الله ، ونور الله ، والمنظر العظيم السابق وصفه حيث تضمنت الرؤ ية بعض النصائح والإرشادات والتوجيهات التى يجب أن تقوم بها الفتاة والتى لقُنت إليها عن طريق مجموعة من الملائكة بأمر الله :

اجعلى طريقك هو الله ، وحياتك هى الله ، ومنتهاك هو الله ، وأملك هو الله . . . .

- تمسكى بطريقك نحو الله
- اسقطى التدبير مع الله
- ترحمى ترُحمى
- اصبرى لله تنولى وجاهدى تفوزى . . فإن للصابرون

والمجاهدون والصادقون ثواب فى الدنيا وفى الآخرة أعظم ،
وكونى من هؤلاء .

- ان عليك نورا يحرسك من الله .
- ان هناك نور قادم إليك هو نور العلم ، ونور آخر قادم إليك هو نور المعرفة فلا تتعجلى واصبرى .
- وهناك خيط بينك وبين الله متصل وهو خيط أبيض من نور .

فاحمدى الله كثيرا ، واشكرى الله كثيرا ، واركعى لله كثيرا ، واسجدى لله كثيرا ومهما حمدت وشكرت وركعت وسجدت فلن يكفى أن توفى الله حقه من الشكر والإمتنان وتمسكى بإيمانك وورعك وتقواك ولا تجرى وراء الناس الذين يضلوك عن سواء السبيل .

وأبشرى فإن لك من الله نورا وهداية هو نور الطريق وهداية فى الطريق وتنعم عليك الرحمة والهداية والصبر والسكينة والهدوء وقولى دائما :

الحمد لله رب العالمين على كل شىء . . على كل نعمة من نعم الله التى لا تُعد ولا تُحصى والحمد لله على ذلك كثيرا .

- فى يوم آخر رأت الفتاة رؤية عظيمة جدا حيث افتتحت باسم الله ونور الله والمنظر العظيم السابق وصفه . . وتضمنت هذه الرؤية جزء كله إرشاد ونصيحة وتوجيه من ملك كريم يقول لها بعد أن بدأ حديثه بتراتيل معينة كلها ذكر لله سبحانه وتعالى حيث قال :

استمرى فى عبادتك . . وتمسكى دائما بالإيمان والصبر فهما سندك فى الحياة . . واستعينى على الصعاب وعلى كل شىء بالله أولا وأخيرا وذلك فى أن تلجأى إلى الله دائما . . وأن تسألى الله دائما . . وأن تطلبى من الله دائما واعرفى أن الله هو ملجأك ومنجاك ومعينك ومجيبك فإنه هو سبحانه مجيب دعوة الداع إذا دعاه .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ (غافر : ٦٠)

ثم استعينى على الصعاب ومجابهة المحن بالصلاة وقراءة القرآن فهما نور لك فى هذه الحياة . . وبذلك تسلمى من كل شر وتشعرى دائما بالرضا النفسى . . والراحة القلبية . . والصفاء الروحى . . والسعادة الحقيقية التى لا تماثلها أى سعادة أخرى فليس عليك إلا أن تستعينى بالله فى كل شىء وأن تسألى الله وحده ، وتلجأى إلى الله وحده ، وتشكرى الله وحده ، وتحمدى الله وحده على كل شىء وعلى نعمه الكثيرة التى لا تعد ولا تحُصى ولا تبالى بأى شىء آخر واعرفى أنك معرّضة لكثير من الإبتلاءات والمحن لمعرفة قدرة إيمانك ولصقل نفسك فتمسكى دائما وأبدا بطريقك وهو طريق الله فاستعينى أولا وأخيرا بالله . . ثم الصبر والصلاة وقراءة القرآن الكريم وليس عليك إلا أن تسعى وأتركى الأمور كلها لله فإن الأمر كله بيد الله منه الخير وإليه الخير .

واعرفى ان بإستعانتك دائما بالله . . ولجوءك الدائم إلى الله وسؤالك دائما لله . . وحمدك وشكرك الدائم لله . . كل ذلك يجعلك فى حالة ذكر لله دائما ويبعد عنك الشيطان والوساوس فأنت بذلك فى حالة استحضار روحانى دائما . . وفى حالة ذكر وتسبيح وحمد وشكر لله دائما وبذلك لا تكونى فى غفلة ، وهذا يعينك على الطريق ومواصلة السير فى طريق الله ، وينير بصيرتك لأشياء أخرى وجديدة وجميلة فى طريق الله . . فسيرى على بركة الله ولا تبالى ولا تهتمى بأى شىء غير ذلك الطريق وستحظين من الله بالخير الكثير ولك البشرى فى الحياة الدنيا والآخرة وأتركك الآن فى رعاية الله ، وفى حفظ الله ، وفى أمان الله ودائما الملائكة معك بأمر من الله وبإذن منه سبحانه وتعالى .

- فى يوم آخر رأت هذه الرؤية التى افتتحت باسم الله ونور الله والمنظر العظيم السابق وصفه ثم جاءتها هذه الكلمات :

من تحلى بالخلق القرآنى وعرفه حق المعرفة
وقى نفسه من آثام وشرور الدنيا ولم يتبق
له إلا النور والأمل والسعادة الحقيقية فى
الحياة وما بعد الحياة

ـ فى يوم آخر رأت هذه الرؤية التى افتتحت أيضا باسم الله ونور الله والمنظر العظيم السابق وصفه حيث تضمنت جزءا يشير إلى دعاء توجهت به الفتاة إلى الله حيث رأت نفسها تجلس على سجادة الصلاة وتتوجه إلى الله والإيمان يملأها والخشوع طريقها والحب لله غايتها والدموع تطهرها قائلة سائلة بهذا الدعاء :

اللهم احمنى من نفسى . . من شرورها ، وغرورها ، وريائها ، وكذبها ، وتكبرها ، وتجبرها ، وحقدها ، وحسدها ، ومن جميع آثامها ، واجعلنى دائما وأبدا العابدة المؤمنة السائرة فى طريقك . . طريق الله . . طريق الحب . . طريق النور . . واملأنى صدقا وصبرا ونورا وإيمانا وحبا حتى أكون العابدة الصادقة الصابرة المؤمنة المحبة لك على الدوام . . اللهم آمين يا رب العالمين انك أنت السميع العليم .

وانتهت الرؤية على ذلك .

لقد كانت هذه هى بعض الرؤى التى رأتها الفتاة وكما نرى كلها رؤى تدعوها إلى السير فى طريق الله .

وبعد عرض هذه الرؤى وسرد الأحوال التى عاشتها الفتاة فى تلك الفترة والأحاسيس المصحوبة بها نريد أن نقف هنا وقفة تأمل تبين لنا أنه كان هناك خطين متوازيين يسيران بنفس القوة والدرجة فى حياة هذه الفتاة ـ بطلة قصتنا ـ وهما :

أولا : خط الأحوال التى مرت بها والأحاسيس المصحوبة بها
ثانيا : خط الرؤى الصالحة التى منّها الله على هذه الفتاة .

لم تكن تفهم الفتاة معنى هذه الأحوال التى مرت بها وعاشتها بكل كيانها ولم تدرك مغزى الرؤى التى كانت تراها . . كل ما كانت تفهمه وتدركه فى ذلك الوقت هو أن هناك دعوة متكررة وملحة لها بالصبر والإتجاه إلى طريق الله . . الصبر على ماذا ؟ وما هو طريق الله الذى يجب أن تسير فيه . . ؟ وكيف الوصول إليه . . ؟ كل ذلك لم تفهمه ولم تدرك معناه فى تلك الفترة .

ولكن الآن وبعد أن أصقلتها التجربة ، وبعد ما مرَّ بها من أحداث متلاحقة جمعت بين الألم والراحة ، والحزن والفرح ، ـ وهذا ما ستتلمسه من خلال الفصول القادمة إن شاء الله ـ أدركت وفهمت أمورا كثيرة لم يستطع عقلها وفكرها أن يحتويها من قبل حيث أن ما مرّت به من أحوال روحية عاشتها بكل نبضة من نبضاتها ، ورؤى تدعوها إلى طريق الله وتبشرها بالخير كان أكبر من سنها وعمر أيامها وأعظم من أن يستوعبه عقلها وفكرها وتصورّها حتى تستطيع أن تفهمه الفهم الصحيح الواعى .

ولكنها الآن عندما تسترجع هذه الفترة تقف وقفة تأمل مع نفسها ممتزجة بلحظات من التساؤل والإندهاش والإستغراب .

كيف أنها مرّت بها كل هذه الأحوال . . ؟ وكيف أحست بكل هذه الأحاسيس والمشاعر الفياضة ؟ وهى لم تزل صغيرة . . . فلقد كانت هذه هى المرة الأولى التى تحس بمثل هذه الأحوال وتعرف أنه من الممكن أن يسير الإنسان فى طريقه ويمر بأحوال روحية ترد عليه ويستقبلها دون مجهود منه ودون سعى منه ، وخصوصا أنها لم تقرأ فى ذلك الوقت عن مثل هذا الطريق ولا عن مثل هذه الأحوال من قبل . . فإن التجربة هى التى جعلتها تبحث وتعرف بأن هناك من يمرون بمثل هذه الحالات وتدرك الطريق الذى يجب أن تسلكه .

إذن فلقد كان هذا فضل الله عليها دون أن تدرى وتحس . .

إنها نعمة باطنة من نعم الله التى لا تعد ولا تحصى .

ثم تستغرق الفتاة فى تأملها لتقف لحظة صفاء بخشوع وإيمان وقلب محب ساجد لله عز وجل لتتساءل :

كيف كان فضل الله عليها عظيما وعطاءه لها فياضا حيث لم يقف عند حد هذه الأحوال التى وردت عليها منة وفضلا من الله العلى القدير بل كانت هناك أيضا الرؤى الصالحة التى وهبها الله لها والتى هزّت كيانها ومشاعرها .

إذن فلقد عرفت الفتاة اليوم أنها كانت مشدودة إلى طريق الله دون أن تدرى ، ولقد كان هذا فضل الله عليها ورحمته بها ولمسات حنانه وحبه لها .

لقد كانت هذه الفترة بما فيها من الأحوال الروحية التى مرّت بها الفتاة ، والرؤى الصالحة التى أفاض الله عليها بها البذرة الطيبة ، والمنبت الحسن ، وبدايتها الحقيقية فى الطريق إلى الله حيث عرفت أنها بسيرها فى طريق الله ستنعم بحياة السكينة والطمأنينة والقربة من الله . . . فلقد كان دعائها المتكرر هو أن تحظى برضاء الله وتفوز بالقرب منه . . . وها هى الآن الطريق أمامها مفتوح وما عليها إلا أن تسلكه بإيمان ثابت وحب خالص لله الرحمن الرحيم .

كما أدركت الفتاة اليوم أيضا مغزى الدعوة الملحة لها بالصبر والإستعانة بالله وحده حيث أنها كانت مقبلة على صعاب ، ومعرّضة لمحن ولكى تجتازها عليها بالتمسك بالصبر والصلاة والإستعانة بالله وحده حتى تمر بسلام وتستقر على شاطىء الأمان وقلبها مفعم بالإيمان والحب والرحمة والنور .

والآن وبعد أن أصبح الطريق مضيئا أمامها تعرف جيدا وتعلم يقينا بأن الشيطان لن يتركها وسيقف لها بالمرصاد وسيحاول بكل الطرق أن يثنيها عن هذا الطريق ، وفتاتنا تفهم تماما وتؤمن بأن نجاتها فى الذكر حيث أن ذكر الله طريق رائع لأنه يربط العبد بربه بعروة وثقى ويملأ القلب سكينة وطمأنينة وأمنا . . فذكر الله من علامات القلوب العامرة بالإيمان إذ أنه يبدّل الخوف أمنا والعداوة محبة ويحول القلق والجزع والإضطراب إلى سكينة والفزع والرعب إلى طمأنينة :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد : ٢٨)

والذاكر لله هو الذى يذكره الله .

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾

(البقرة : ١٥٢)

والذاكر يقضى على كل شيطان مارد فالذاكر لله يهرب منه الشيطان ويخاف منه وبالذكر يستطيع الإنسان أن يقضى على كل مس من الشيطان بأمر الله وعونه ورحمته . والدليل على ذلك أن الله جعل شيطانا قرينا لكل من يبتعد عن ذكره .

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

(الزخرف : ٣٦)

فالفتاة بطلة قصتنا موقنة تماما أن ذكر الله هو نور إلهى للإنسان به يشعر بالأمان والاطمئنان ، ويتخلص من الآفات والأحزان . وستلمس من الفصول القادمة إن شاء الله كيف أن الله عز وجل نجىّ هذه الفتاة من المس الشيطانى بأمره وعونه ورحمته وإذنه وكيف كان الذكر خير علاج لها ، وشاطىء النجاة ، ومستودع الأمان لقلبها ، ومنبع الراحة والسعادة لجسدها ونفسها وكيانها كله .

عرفت وأدركت الفتاة الآن طريقها ، وحمدت الله كثيرا لاختياره لها هذا الطريق حيث قادها إلى حب الله ، وأرشدها إلى غايتها فى معرفة الله وعرّفها بهدفها وهو الله وأدركها بسعادتها فى القرب من الله .

والآن وبعد أن هذّبتها الأيام ، وقوّمتها الآلام ، وعلمّتها المحن والإبتلاءات دروس هامة فى الحياة حيث عرفت معنى الصبر والتوكل على الله وأهمية التأمل فى كل شىء ، وأيقنت بأن كل شىء له معنى ظاهرى وباطنى ويجب أن يقف الإنسان وقفة تأمل منه محاولا معرفة هذا الشىء أو ذلك الأمر مستعينا بالله وحده لاجئا اليه هو وحده طالبا العون منه فى كشف حقيقة هذا الأمر مما يؤدى إلى صقل نفسه ويستشعره بحلاوة الإيمان .. ودفء القلب .. وانشراح الصدر متمتعا منعما بالحب الإلهى .

وبعد أن أصقلتها التجربة الروحية بكل ما فيها من أحاسيس فياضة ، ومشاعر خلابة وما زالت تصقلها وتعرفها بأمر الله وفضله الكثير مما لم تعرفه

وتفهمه من قبل مما يزيد إيمانها فتسجد حامدة شاكرة الله جل جلاله على لمسات حنانه لها وعطاءه وفيضه الكريم ورحمته بها وفضله العظيم عليها متمسكة بطريق الله ولا ترضى غيره طريقا مشغولة به محاولة أن تتبع كل نصيحة وإرشاد وتوجيه وجه لها عن طريق الملائكة بأمر الله فى الرؤى التى رأتها مراقبة نفسها وسلوكها فيه داعية ربها بالدعاء الذى جاءها فى أحد الأيام فى صورة رؤية حيث رأت نفسها تردده قائلة :

اللهم لا تجعلنى أسير إلا فى طريقك ، ولا أفكر إلا فى خلقك
ولا أنشغل إلا بك ، ولا أنعم إلا برضاك ،
ولا أهنأ إلا بحبك ، ولا أحيا إلا بنورك ،
ولا أنام إلا على ذكرك ، ولا أستيقظ إلا على حمدك ،
ولا أسعد إلا بقربك .

اللهم اجعل كل لحظة فى عمرى وكل دقة ، وكل نبضة
وكل كيانى وكل عمل أقوم به لك أنت وحدك .
فإن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لك أنت وحدك
يا رب العالمين .

ان أمنية هذه الفتاة وأملها فى الحياة هو أن يقودها الطريق فتصل إلى المرحلة التى لا تغفل فيها عن الله أبدا فهى تتمنى وترجو ألا تفوتها لحظة دون ذكر وشكر لله العلى القدير ولن يتحقق ذلك إلا باللسان والقلب والعبادة والعمل والسلوك الذى يقوّمها ويهذّبها ويجعلها فى الصورة التى يرضى عنها الله وحتى تكون دائما فى دائرة النور الإلهى .

الفصل الرابع
دائرة النــور الإلهى

بأمره عز وجل يكون الشىء .
وبيده جل جلاله ملكوت كل شىء .
وبإرادته وحده يقوم الأمر .
وبمشيئته وحده ينفذ الفعل .
وبقدرته تعالى يصبح الأمر واقعاً .
وبعظمته سبحانه تكون الحياة منه وإليه .
وتصبح المعرفة به سبحانه غاية كبرى .
لا يتذوقها إلا من عرف طريقه إليه ، ومن تولى الله قلبه .
ومن يتول الرحمن قلبه فقد أصبح فى طريق النور .
يحيـا حياة نـورانية فضـلاً من عند الله ، ومنـة من الرحمن الوهاب .
فهو وحده صاحب الأمر ومالك الملك .
الله الواحد الصمد الرحمن الرحيم الحى القيوم الكبير العظيم بيده وحده مفاتيح الغيب ومقاليد الأمور كلها .
سبحانه لا إله إلا هو رب العالمين رب العرش العظيم .

○ ○ ○

مع إشراقات الحب الربانى . . ونسمات الحنان الإلهى ، وفيوضات الفيض الرحمانى . . يُفتح عالم النور .

والنور[1] هو الضوء المنتشر الذى يعين على الأبصار ، وذلك ضربان : دنيوى وآخروى . فالدنيوى ضربان :

---

(١) تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ص ٨٧٨

ضرب معقول : بعين البصيرة وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن .

وضرب محسوس : بعين البصر ، وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم والنيرات فمن النور الإلهى قوله تعالى :

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة : ١٥)

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (الأنعام : ١٢٢)

﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (الأنعام : ١٢٢)

﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (الشورى : ٥٢)

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ (الزمر : ٢٢)

﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (النور : ٣٥)

ومن المحسوس الذى بعين البصر قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ (يونس : ٥)

وتخصيص الشمس بالضوء والقمر بالنور من حيث أن الضوء أخص من النور ، وقيل أن القمر يأخذ نوره من الشمس .

وقوله تعالى :

﴿ وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ أى ذا نور (الفرقان : ٦١)

ومما هو عام فيهما قوله :

﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ (الأنعام : ١)

وقوله :

﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ (الحديد : ٢٨)

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ (الزمر : ٦٩)

ومن النور الأخروى قوله تعالى :

﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ (الحديد : ١٢)

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ (التحريم : ٨)

﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ (الحديد : ١٣)

ويقال :

أنا الله كذا ، ونوّره وسمى الله تعالى نفسه نوراً من حيث أنه هو المنور .

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (النور : ٣٥)

ولقد تحدث الكثير من علماء الصوفية عن النور ، ويقصد بالنور اليقين بالحق ، والهُدى ، وإطمئنان القلب به ، ويذكر النور دائماً بضده وهى الظلمات يراد بها الشكوك والشبهات كما فى قوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾
(البقرة : ٢٥٧)

كما يفسر النور بالإيمان ، والظلمات بأنواع الشرك ، كما يراد بالنور المعارف والحقائق التى تجلب اليقين فى العقائد ، كما يقصد بالنور الكتاب السماوى وذلك فى قوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾
(النساء : ١٧٤)

ويمكن أن يحمل معنى النور الذى يجىء بما ينير السبيل ، وقد استخدم الصوفية معنى النور ونور الأنوار . . فعند السهروردى الاشراقى نجد النور فى مقابل عالم الظلمات ، ولذلك يرى أن نور الأنوار هو الحق تعالى ، وفى اصطلاح محيى الدين بن عربى فى رسائله أن النور هو الوارد الإلهى الذى يطرد العالم الفانى باعتباره الظلمة من القلب ، فلا يبقى فيه غير نوره تعالى .

وعند الإمام الغزالى العلم اللدنى أو الوهبى أو العلم الإلهامى هو نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فيصبح علماً وعالماً ومعلوماً جميعاً .

وفى نص السهروردى المقتول فى هياكل النور يقول :

يا قيوم أيدنا بالنور ، وثبتنا على النور ، واحشرنا إلى النور ، واجعل منتهى مطالبنا رضاك ، وأقصى مقاصدنا أن نلقاك ظلمنا نفوسنا ، لست على الفيض بضنين ، أشارى الظلمات بالباب قيام ينتظرون الرحمة ، ويرجون الخير ، دأبك اللهم والشر قضاؤك وأنت بالمجد السنى مقتضى المكارم ، وأبناء النواسيت ليسوا بمراتب الانتقام ، وبارك فى الذكر ، وادفع السوء ، ووفق المحسنين ، وصلى على المصطفى وآله أجمعين .

أما الأنوار عند الحكيم الترمذى وهو من أئمة الصوفية فكان لها معنى آخر ، ويرى الإمام الترمذى أن هناك فرقا بين المعرفة التى يؤيد الله بها أهل الهداية والاختصاص ، وبين نور المعرفة الذى وضعه الله فى الإنسان[1] .

وهو الذى يوضح قيمة الدور الذى يقوم به فى المعرفة ، ويبين لنا الحكيم الترمذى أن نور المعرفة مشترك بين بنى آدم جميعاً وهو فطرة الله التى فطر الناس عليها وليس للإنسان منه شيئاً ، إذ أن لكل آدمى نصيب من هذا النور .

ولا يعنى ذلك أن كل الآدميين سواء ، لأنه لا يخلو منه آدمى ، إذ أن حظ بعضهم يختلف فى ذلك النور عن البعض الآخر باختلاف فطرتهم ، فإن من باشرته يد العناية الإلهية يكون أكثر حظا من هذا النور الذى لا تباشره يد العناية الإلهية .

كما أن هناك من الناس من يكون قد اقترب من تحت العرش فحظى من القرب والنور بنصيب وافر غير ذلك الذى ابتعد عن القرب والنور[2] .

ويرى الحكيم الترمذى أنه ليس لآدمى فى هذا النوع من النور جهد أو إرادة ، إنما هى المقادير والحظوظ التى قسمها الله لعباده ، فعلى قدر الإنسان من النور الذى يسمى بالنور المقاديرى تكون إدراكاته ومعرفته ، فالعين مثلا لها حظ من النور متمكن فيها ، وكذلك بقية الحواس وربما تزيد وتنقص حسب فطرة الله وما قسم لعباده .

أما المعرفة الميثاقية فقد اختص بها أهل الهداية والإختصاص دون غيرهم ، ويحددها الإمام الترمذى فى الذهن والفهم والذكاء والحفظ والعلم والإنسان مطالب باستعمالها جميعاً[3] كما أنه يحاسب عليها جميعاً ، فاستخدامها راجع إلى العبد ومنسوب إليه ، واستعمالها إما أن يكون مذموماً أو محموداً لربه بحسب استعمال هذه المعرفة فى طريق الهوى أو فى طريق الله . ويسمى الترمذى هذه المعرفة بالنور الميثاقى[4] .

---

(١) كتاب المسائل المكنونة ص ٢٤ وما بعدها . (٢) المرجع السابق .
(٣) كتاب نوادر الأصول ، ص ٣٠٧ وما بعدها . (٤) كتاب الفروق ص ٧٩ وما بعدها .

يفرق الحكيم الترمذى إذن بين نور المعرفة المقاديرى وبين نور المعرفة الميثاقى ويشبه نور المعرفة المقاديرى بالنار وأما نور المعرفة الميثاقى فيشبهه بالحديدة (قطعة الحديد) فالنار مرتبطة بالحديدة ، وكل حديدة بها نار كامنة فإذا اشتعلت ظهرت النار فاتصال النار بالحديدة حين تشعل هو إتصال بين النور المقاديرى والنور الميثاقى . . فيظهر نور الجلال والبهاء والسراج أى أنه حين تقدح الحديدة بالنار فهو نوع من التجلى ينبعث منه النور فيشتعل القلب ، كما يشتعل القطن حين تقدح الحديدة .

ويثمر عن هذه الأنوار أنواراً فى القلب ، وكل واحد منها يؤثر فى القلب بصورة من الأنوار[1] .

ويقول الحكيم الترمذى :

[ففى القلب قد وضع نور الحياة ، ونور المعرفة ، ونور الحب ، ونور الإيمان ، ونور التوحيد ، ونور العقل ، ونور العلم ، ونور الذهن ، ونور الفهم ، ونور الحفظ ، ونور السكينة ، ونور الفتنة ، ونور الرأفة ، ونور الرحمة ، ونور الحظوظ] .

وكل هذه الحظوظ التى يحظى بها الإنسان من هذه الأنوار تعمل فى القلب ولكل منها عمله الخاص كى تصل به إلى المعرفة .

ويقسم الإمام الترمذى هذه الأنوار إلى أنواع ثلاثة :

١ ـ أنوار المقادير الربانية .
٢ ـ أنوار الميثاق .
٣ ـ أنوار الملك وثواب الأعمال .

ويبين لنا الحكيم الترمذى أن النوع الأول وهو أنوار المقادير الربانية ترجع إلى مصادر ثلاث رئيسية :

١ ـ نور الحياة ، ويسمى بنور الحب ، فعنه تصدر الأنوار الأخرى .
٢ ـ نور الرأفة .

---

(١) كتاب المسائل المكنونة ص ١٥٥ وما بعدها .

٣ - نور المعرفة ، وهو نفسه يصدر عن جانب الرحمة الالهية أو جانب الربوبية[١] .

فنور الحياة صادر إذن من حكمة الخلق إذ أنه كان الله ، ولا شيء معه وأراد أن يعرف فخلق ربوبيته وصدر عن ربوبيته الرحمة والرأفة والحب ، وصدر عن الملك الألوهية والسلطان والموت .

ولا يمكن أن يعرف الله على الحقيقة إلا بمعرفة جانبى الألوهية والربوبية ، أى جانب المحبة وجانب السلطان .

ولذلك كان جزء من المعرفة يتصل بنور المحبة والحياة والرحمة والرأفة ، وأما الجزء الثانى يتصل بالعظمة والسلطان والقهر .

لكن هذين الجانبين من المعرفة ينتهيان آخر الأمر إلى جانب واحد إذ أنهما جانبان لحقيقة واحدة ألا وهى الذات الإلهية .

فالألوهية والربوبية والحياة والموت والرحمة والسلطان ما هى إلا تقسيمات اعتبارية وذلك لنعرف أثرها فى الكون فحسب[٢] .

فنور المعرفة ونور الرحمة ونور الحب هى جميعاً صور لحقيقة واحدة وإن نظرنا إليها لاعتبارات متباينة ، إلا أن أصلها الأول هو نور الحب أو نور الحياة .

فالحب هو أول العناصر التى تؤثر فى المعرفة وفى درجاتها وأكثر الناس حظاً من الحب هم أكثرهم حظا من الحياة ، وهم أكثرهم حظا من المعرفة وأعلاهم درجة وأقربهم إلى الله .

ويبين لنا الحكيم الترمذى أن الحب هو أول العناصر التى تؤثر فى المعرفة كما أن الحب يؤثر فى درجة المعرفة وقوتها ويرى أن أكثر الناس حظا من الحب هو أكثرهم حظا من الحياة ومن المعرفة ، كما أنهم أقرب الناس وأعلاهم درجة فى طريق الله .

---

(١) عبد المحسن الحسينى : المعرفة عند الحكيم الترمذى ص ٤١٦
(٢) المرجع السابق .

ويؤكد الحكيم الترمذى على الحب باعتباره هو المعرفة بل هو القدر من الحياة الذى وضعه الله فى خلقه حين نفخ فيه من روحه تعالى وحين صوره على صورته .

فالحب هو سر القربة من الله فى بدء الخلق . والحب هو الحياة فى كل مظاهرها فى فرحها وأنسها وبهجتها وتكاثرها وتناسلها . الحب هو الحياة الطبيعية التى تبدأ من الله وتسرى فى خلقه جميعاً .

وينتهى الإمام الترمذى إلى نقطة هامة فيما يتعلق بأعظم الناس حباً وأوفر نصيباً من هذه الحياة هو الرسول ﷺ .

وأكثر الناس حباً من صحابة رسول الله أكثرهم أنساً ودعابة فأبو بكر منسوب إلى الرحمة ، والفاروق عمر منسوب إلى الحق ، وعثمان منسوب للحياة ، وعلى منسوب إلى المحبة ، وإنما لكل واحد منهم ما هو الغالب على طبعه .

ويبين الحكيم الترمذى أن القلب ينبسط عند المحبة وينقبض عند المخافة فإذا غلبت المحبة على الخوف انبسط وإذا غلب الخوف على المحبة انقبض لأنه يلاحظ العظمة الإلهية وأما فى حالتى الإنبساط فإنه يلاحظ جود الله وعطاءه وكرمه[1] .

ويجعل الإمام الترمذى الحب والحياة والفرح والروح شىء واحد ، ويجعلها جميعاً دليل الحيوية الطبيعية فى كل نواحيها .

ويبين لنا الحكيم الترمذى أن الروحانيين هم أهل جمال الله الذين جرى عليهم الفرح وهم أوفر المؤمنين حظا من الفرح والحياة .

وأما قول الترمذى بأن الحب والمعرفة واليقين والفرح شىء واحد فهذا معناه أن الحب هو أصلها جميعاً لأن الحياة من الحب ، وكذلك فإن المعرفة يدخل فيها الحب أيضاً كذلك يحيا القلب فيتشفف وعندما يتشفف القلب يسرع إلى الطاعة .

---

(١) نوادر الأصول .

والإنسان الذى يتدبر فى معرفة ويتفنن فى علم المعرفة ويتشبث بالمعرفة ويتفرغ ذهنه وفهمه وفطنته في جميع أموره إلى معرفة الله يأتيه اليقين واليقين هو الفرح ، فإذا كان فرحاً بالله بما أعطى فى قلبه فيصير راضياً مرضياً .

الحب فى رأى الحكيم الترمذى إذن هو الحياة وهو الفرح وهو المعرفة وهو الروح وهو اليقين وهو الحياة الطبيعية فى كل مظاهرها وقوتها وخصوبتها تبدأ من الله الذى هو المصدر الأول وتنتهى إلى بنى آدم وإن أوفر الناس حظاً فى هذه الحياة هو أكثرهم معرفة وإيماناً ويقيناً .

وترتبط المعرفة والإيمان واليقين بتجلى الحب الطبعى فى ذات الإنسان ويكون هذا التجلى عن طريق ما وضعه الله فى قلب العبد من المحبة وهذا الحب الطبعى هو الذى يسير فى الإنسان الأنس والإنبساط فيرتبط ويأتلف مع غيره من المؤمنين فكأن الحب هو الألفة أو حب الجماعة وهو مظهر من مظاهر الإيمان .

وأما الرحمة فهى العنصر الثانى من عناصر المعرفة وهى الوجه الأخلاقى من جهة الحب إذ الحب إنما يتسم بالرقة واللين فيتصل بالرحمة والرأفة وكأن الحب من الناحية الطبيعية حب وحياة ومن الناحية الأخلاقية رأفة ورحمة .

ويبين لنا الحكيم الترمذى أن الإنسان إنما خلق من ماء الرحمة الذى عجن منه طينة آدم وأن أوفر الناس حظا من ماء الحياة هو أوفرهم حظاً من ماء الحياة والرحمة بل هو أوفرهم حظاً من الحب الذى هو الرحمة والرأفة ثم هو المعرفة .

ويضيف لنا الإمام الترمذى على الحياة والحب والرحمة والرأفة عنصراً آخر هو المعرفة ويرى أن المعرفة هى جانب آخر إذا نظرنا إليه من ناحية المعرفة وأعظم الناس حقاً من الحب والمحبة أوفرهم حظاً من الحب والمعرفة ، والمعرفة إحاطة بالجانبين جانب الحياة وجانب الموت . . جانب الحب الذى يصدر عنه الموت وجانب الرحمة والرأفة التى يصدر عنها

القهر ، والمعرفة إحاطة من هذه الجوانب جميعاً بالرغم من أنها متضادة ومختلفة .

المعرفة هى صورة من الحب والحياة ، والحب يضم فى طياته الموت والمعرفة تحيط إحاطة واعية من مظاهر الحب من حياة وفرح ومن عناصر مختلفة ومتضادة .

المعرفة إذن صورة من الحب إلى أنها صورة واعية يتفاوت حظ الإنسان فيها بمقدار إحاطته الواعية بمظاهر الحب والحياة .

لكن الإمام الترمذى يبين أن هذه الأنوار الثلاثة التى هى الحياة والحب والمعرفة مهما اختلفت أسماؤها إنما ترجع إلى حقيقة واحدة هى الحب الطبيعى ومداره المعرفة فى قلب الإنسان .

وقد وهبه الله سبحانه وتعالى هذه الأنوار الثلاثة حتى يدين القلب لله فأعطاه نور الرحمة ونور الحياة ونور العظمة . . فبنور الرحمة يلين القلب وينقاد ، وبنور الحياة يركع لله فى عبوديته ، وبنور العظمة يثبت إذا جاءته أمواج الشهوات .

يصور لنا الحكيم الترمذى[1] المعرفة كشجرة تخضر وتلين كلما سقيت بالماء ، فإذا منع عنها الماء يبست عروقها وذبلت أغصانها ، فإذا أمسكت بغصن منها انكسر فلا يصلح إلا للقطع ويصبح وقودا للنار . .

ويبين لنا الحكيم الترمذى أن نور المعرفة إنما يكون فى القلب ، ويشرق هذا النور فى صدر الإنسان ، وكما تلين الشجرة بالماء وتخضر أغصانها ، فإن نور المعرفة يحتاج الماء وهذا الماء هو الذكر ، فالذكر لله يرطب القلب ويلين ويخضر كأغصان الشجرة ، إذا هجر الذكر وانشغل عنه الإنسان بالهوى ، ومال إلى ذكر الشهوات كان بمنزلة الشجرة التى ذبلت ويبست أغصانها .

---

(١) أبو نعيم الاصبهانى : حلية الأولياء - الجزء التاسع ص ٢٣٤ - مطبعة السعادة .

وكذلك القلب إذا يبس وخلا من ذكر الله أصابته حرارة النفس ونار الشهوة . . فإذا بجوارحه تمنع عن الطاعة لله ، فإذا أمسكت بها انكسرت ولم تصلح إلا وقوداً للنار . .

وإذا قصر الإنسان فى ذكر الله ، فإنه لا يترك للنار إنما يلين الله قلبه برحمة من الله ليعينه على نور المعرفة ، وما من ذكر إلا ومعه رحمة فإذا ما دام دامت الرحمة عليه كالمطر . .

وأما إذا انقطع الإنسان عن الذكر وأصابه القحط وأصبح كالشجرة الجدباء اليابسة ، وحريق الشهوات فى صدره يغلى تعطلت جوارحه عن الأركان من فرائض وواجبات وتكاليف شرعية ، وتوقف عن أعمال البر وأفعال الخير . .

لذلك فإن الله تعالى قد سنَّ للموجبين الصلاة رحمة بهم ليذكروه فى اليوم خمس مرات وطيأ لهم بذلك ألواناً من العبادة لينال كل منهم بعض عطاياه ، وجوده . . وفى الصلاة أقوال وأفعال ، والأقوال كالأشربة التى ترطبّ صدر الإنسان ، وأما الأفعال كالأطعمة تغذّى الإنسان برحمة الله . . فالصلاة كعرس الموحدين فرضها الله لتكون للموحدين بابا لرحمته وجعلها خمس مرات حتى لا يكون عليهم دنس الشهوات ولا غبار المنكرات(1) .

هكذا كان رأى الإمام الحكيم الترمذى وهو من أئمة علماء الصوفية ، ولم يكن الترمذى هو العالم الوحيد الذى تحدث عن الأنوار وكان له رأى فيها ، فلقد تحدث الكثير من العلماء عن الأنوار ولسنا بصدد الآن لجمع آراء العلماء فى ذلك .

○ ○ ○

ونعود إلى أدراج قصة فتاتنا وهل كانت للأنوار دوراً كبيراً فى حياتها ؟

لقد لعبت الأنوار دوراً فى حياة هذه الفتاة . . فكما منَّ الله عليها بالرؤ ية الصالحة التى تبشرّها وتهذبها وتحميها وتنجيها فلقد أنعم الله عليها أيضاً بالكثير من رؤى الأنوار التى كانت تحيط بالفتاة وتغسلها وتطهرها .

(1) حلية الأولياء ، الجزء التاسع ، ص ٢٣٤ : نقلا عن د . حسن الشرقاوى : من حكماء الأمة ص ٧٨

ويمتد فضل الله العظيم على هذه الفتاة حتى يصل أن يعطيها الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم القدرة على تحمّل هذه الأنوار بثبات وهدوء . .

فإن الأنوار التى يمن الله على الفتاة برؤ يتها قوية جداً ومن الصعب أن تتحملها طاقة بشرية . . إنها لأنوار فى حاجة إلى عيون تستطيع أن تتحمل رؤ ية هذه الأنوار والصمود أمامها ولم يحدث ذلك إلا بعون الله وفضله وتثبيته لها وحده . . إذن فهى حقاً عيون لها نور من الله لا تستطيع أن تصمد وتقف وتثبت أمام هذه الأنوار إلا بنور من عند الله وإلا إذا كانت عيون لها نور من الله .

وفى الحقيقة من شدة هذه الأنوار وعظمتها كانت الفتاة تقف إزاءها وقفة ممتزجة بالرهبة والخشوع تزداد إيماناً بالله وحباً له وشوقاً إليه . . رهبة وخشوعاً من الصعب وصفه ، ومن المستحيل إيضاحه فهى لحظات نورانية من الصفاء النفسى ، والصدق القلبى ، والنقاء الروحى .

وكان لنا هنا وقفة مع جزء من رؤ ى الأنوار التى رأتها الفتاة لنتلمس معا كيف كان فضل الله عليها عظيماً ، وكيف كانت لمسات حنانه بها رائعة وشاهدة على رحمته ولطفه وكرمه حيث جعلها تتحمل ما تراه وتقف أمامه وتصمد وهذا كله بفضل الله وحده .

واسمح لى أيها القارىء لكى أصحبك فى جولة قصيرة للوقوف على هذه الرؤى النورانية فنشهد جميعاً بفضل الله العظيم على عباده .

- تفتتح كل رؤ ية دينية تراها الفتاة بمنظر عظيم ثابت كما ذكرنا فى الفصل الثانى « النضج العقلى » حيث ترى الفتاة جزءاً من الأنوار الإلهية فترى إسم الله عال علواً كبيراً ومكتوباً باللون الأبيض الناصع ويبرق ويلمع لمعاناً وبريقاً لم تر الفتاة مثيله فى حياتها ، كما تراه مكتوباً بمجموعة من الجواهر البراقة اللامعة التى لا مثيل لها فى الدنيا ، ومجموعة من الأنوار الالهية البراقة اللامعة التى أيضاً لا مثيل لها فى الدنيا ، وأن هناك نوراً قوياً جداً تراه دائماً مرتبطاً باسم الله وهو نور الذات الإلهية وأنه لا تخلو ذرة فى الكون من إسم الله ونور الله .

هذا المنظر الثابت التى تراه الفتاة يفتتح به كل رؤية دينية نجد أنه يتجلى فيه جزءاً من الأنوار الإلهية القوية جداً التى من الصعب أن يقف أمامها البشر أو يتحملها لولا عون الله ، وثبات منه وحده

إذن فهى حقاً عيون لها نور من الله هى التى تستطيع وحدها أن تتحمل مثل هذه الأنوار .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة أن نوراً قوياً جداً ظهر أمامها . . وهذا النور عليه إسم الله ، ولقد بزغ وظهر هذا النور أمامها وكان قريباً إلى درجة كبيرة ، وكل مدى وهو يصعد إلى أعلى بشكل جميل ثم فى حالة صعوده إلى أعلى جاء لها إيحاء بأن هذا النور هو ملك من الملائكة ، وفجأة وفى حالة صعود هذا النور القوى بزغ وظهر منه نور قوى جداً ثم انبثق من هذا النور ملك كريم جميل غاية فى الجمال سبحان الله الخالق جل جلاله . . ما هذا الجمال ؟

ثم بدأ يظهر هذا الملك على هيئة رجل ولكنه ملك جميل . . له جلد أبيض شفاف لامع براق . . وقال للفتاة :

إننا ملائكة من نور ونسمى بملائكة النور . .

وقد رأتهم الفتاة مجموعة تقف صفاً . . صفاً ، وكل ملك منهم حدث معه مثلما حدث مع الملك الأول حيث يظهر النور . . ثم يصعد إلى أعلى . . ثم يبزغ نور آخر قوى ثم يخرج منه ملك إلى أن أصبحوا مجموعة لا تعرف الفتاة عددهم وقالوا لها :

نحن ملائكة من ملائكة الله . . نحن ملائكة من نور . .

ورأت الفتاة أن عليهم إسم الله ، وعلى كل نور تراه إسم الله جل جلاله .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن إسم الله فوقها وفى كل مكان ، ولا يوجد مكان أو ذرة فى الكون تخلو من إسم الله ، وأن إسم الله حولها فى كل مكان فوقها ويحيط بها .

ورأت أيضاً نور وعليه إسم الله .

وظلت هذه الرؤية فترة تراها ولم تر شيئاً إلا إسم الله جل جلاله واستيقظت على إسم الله أمامها .

● دائما ترى الفتاة إسم الله أمامها ومحيط بها فى كل مكان وترى دائماً ثلاثة أنوار مرتبطة باسم الله :

١ ـ نور هادىء .
٢ ـ نور لا يستطيع أن ينظر إليه أى بشر .
٣ ـ نور ثالث وهو أقوى الأنوار جميعاً لأنه مرتبط بذات الله واسمه نور الذات الإلهى وهذا النور لو نظر إليه بشر لصعق ومات فى الحال .

وهذا المنظر ثابت وتراه دائماً فى كل لحظة ولا يتغير .

ـ فى يوم من الأيام رأت هذه الفتاة أنها فى حجرة بيضاء عليها إسم الله ولا يخلو مكان فى الكون أو ذرة فى الحجرة إلا وفيها إسم الله بالجواهر التى ليس لها وجود مثيلها فى الدنيا ، ثم رأت نوراً قوياً فى جميع أرجاء هذه الحجرة وعلى هذا النور إسم الله .

ـ فى يوم آخر رأت الفتاة أن السماء تتفتح لها وأن إسم الله أمامها وفوقها وهناك نور قوى جداً . . نور إلهى مرتبط باسم الله ثم رأت تحت هذا النور ثلاث درجات أخرى من النور وجاء لها أن الثلاثة أنوار هى ملائكة ثم سمعت صوتاً يقول لها :
إطمئنى وأبشرى . .

ـ فى يوم من الأيام رأت أن مجموعة من الأنوار الإلهية وعليها إسم الله بدأت تنكشف على صدرها .

ـ فى يوم آخر رأت أن إسم الله ثابت وأمامها دائما ثم رأت ثلاثة درجات من النور تشع على صدرها وعليها إسم الله ، ثم رأت أن سبع

درجات من النور تشع على وجهها وعليها إسم الله ثم وجدت أن هذه الأنوار تتكلم وهى قادمة اليها حيث تقول :

الله . . . الله . . . . الله

- فى يوم من الأيام رأت أن سهما من النور أو نوراً على هيئة سهم مكتوب عليه إسم الله ينكشف على صدرها .

- فى يوم آخر رأت أن مجموعة من الأنوار الإلهية تفيض عليها وأن صدرها يتشقق وينفتح لهذه الأنوار الإلهية وأن هذه الأنوار عليها إسم الله . . والله أعلم .

- فى يوم آخر رأت أنها تسبح فى بحر من الأنوار الإلهية الكثيرة ، وكل نور من هذه الأنوار مكتوب عليه إسم الله . . لا إله إلا الله باللون الأبيض والجواهر البرأقة التى لا مثيل لها فى الدنيا ، ورأت نفسها تدخل فى نور وعندما تخرج منه تجد أمامها نوراً آخر أقوى وهكذا . . ورأت أنها دخلت أول نور ثم خرجت منه ، ودخلت نور آخر ثم خرجت منه ووجدت نور ثالث أمامها وأنها فى الشروع فى الدخول إليه وأنواره كثيرة ولم تدخلها بعد . . وكل نور أقوى من الذى سبقه وقبله .

والله أعلم . .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن مجموعة من الأنوار الإلهية تغطيها وتشملها وتتقلب فيها ، وتذوب فيها ذوباناً وتسكر بها سكراناً جميلاً لذيذاً وتدخل فى نور وتخرج منه حتى تجد نفسها فى نور آخر وهكذا تغطيها وتملأها وتشملها مجموعة من الأنوار الإلهية تتقلب بينها الفتاة ، وأن هذه الأنوار فى داخلها وكيانها وفؤادها كله .

- فى يوم آخر ، رأت الفتاة أن ثلاثة من الأنوار الإلهية عليها جميعاً إسم الله سُلطت عليها ، وأن كل نور من هذه الأنوار له إسم .

فلقد رأت أن صدرها انشق وغسل صدرها وقلبها بالنور الأول وهو نور

الرحمة . . ثم رأت نفسها تغتسل وأنها مرتدية رداء أبيض بالنور الثانى وهو نور الإيمان ويظلها النور الثالث وهو نور الأمل .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن السماء فُتحت وأن إسم الله يملأها ويملأ كل شىء فى الكون ورأت أن بحراً من الأنوار الإلهية بعضها جاء لها إسمه والآخر لم يجىء لها . . ولكنها أنوار إلهية بيضاء براقة لامعة وكثيرة وكلها عليها إسم الله ثم إسم النور .

ومن الأنوار التى جاءت لها اسماءها : نور الحمد . . نور الملك . . نور الرحمة .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن هناك نور قوى بداخل جسدها كله .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة أنها سائرة على طريق من النور وهذابفضل الله وحده لا إله إلا الله وحده لا شريك له والحمد لله على ذلك كثيراً . .

- فى يوم من الأيام رأت أنها واقفة فى وسط مستطيل تحده سياج من نور ثم رأت أن أمامها لوح من نور ملىء كله بالأنوار وعليه إسم الله .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أثناء النوم مسجداً جميلاً أمامها وعلى قبته أنوار خضراء إلى درجة أنها ظلت تقول الله . . الله . . الله على هذا المسجد الجميل كما رأت أنه مكتوب على هذا المسجد ويعلوه إسم الله ثم رأت نفسها ستدخل هذا المسجد .

فى يوم آخر رأت الفتاة رؤ ية تضمنت جزءاً يشير إلى بشرى الملائكة لها بطريق نورانى ودعوتهم لها فى الإستمرار فى عبادة الله والركوع له سبحانه كثيراً ، والسجود له كثيراً وأن تطلب العون دائماً من الله وحده سبحانه عز وجل . . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ثم رأت أن مكتوب فى السماء إسم الله . . لا إله إلا الله . .

- فى يوم آخر رأت أنها فى السماء ، وأن السماء لونها ابيض ناصع البياض ثم رأت أن إسم الله حولها من كل جانب على شكل دوائر وأنها فى وسط هذه الدوائر التى عليها إسم الله ثم دائرة كبرى مكتوب فيها وحولها إسم

الله . . وإسم الله مكتوبا باللون الأبيض البراق اللامع ومجموعة من الجواهر التى لم تر مثيلها فى حياتها ، وكانت الفتاة سعيدة وفرحة جدا وترتدى فستانا أبيضا ثم رأت الملائكة على مقربة منها وقالوا لها .

أبشرى . . فأنت فى دائرة النور الالهى

- فى يوم آخر رأت رؤية تضمنت جزءا يشير إلى ما يلى :
فى بداية صلاتها رأت نورا قويا جدا أمامها ثم رأت نفسها تصعد إلى أعلى السموات وفُتح لها باب هذه السماء العالية ورأت نورا قويا جدا وسُلط أمامها إلى درجة أنه هزها هزة قوية جسديا ، وقبل أن ترى هذا المنظر كانت دقات قلبها سريعة وكان فى الحقيقة منظرا جميلا للغاية .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن المكان الذى تجلس فيه كله نور وأن الحجرة التى تجلس فيها مليئة بالنور الأبيض الجميل الذى لم تر مثيله فى الدنيا . . وأن هذا النور موجود وثابت

- فى يوم آخر رأت اثناء صلاتها أنَّ نورا من حولها وأمامها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة اثناء صلاتها أنه بدأ يظهر لها نور قوى جدا وكان هذا النور حولها والحمد لله على ذلك كثيرا ثم رأت ايضا أثناء قراءتها للقرآن نور قوى جدا من حولها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أنها فى السماء وأن نورا قويا عليها . .

- فى يوم من الأيام رأت أنها فى داخل محراب يشبه الحرم النبوى وكانت ترتدى ثياباً بيضاء وعليها نور قوى جدا .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن نورا أمامها وعليه إسم الله ، ولا تخلو ذرة فى الكون من إسم الله ونور الله .

- فى يوم من الأيام رأت أن الملك الكريم يوقظها فى الصباح ثم فتحت عيناها على نور قوى جدا يملأ الحجرة ثم سمعت صوتا وجاء لها أن هذا الصوت هو صوت النور القوى وذكر إسم الله وقال لها : أبشرى .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة كأن جسمها كله ينطق باسم الله . . لا إله إلا الله محمد رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ورأت أن يدها تقول هذه الكلمات العظيمة وكذلك صدرها وأن يدها اليمنى عليها نور فى كفها .
وكان هذا الصوت واضحا جدا فى صدرها ويدفعها أن تقول هذه الكلمات العظيمة .

- فى يوم من الأيام رأت أن مجموعة الأنوار الإلهية تنكشف على صدرها .
- فى يوم من الأيام رأت أن إسم الله وثلاثة درجات من النور تشع على صدرها وعليهم إسم الله . . ثم رأت سبع درجات من النور تشع على وجهها وعليها إسم الله ثم وجدت أن هذه الأنوار تتكلم وهى قادمة إليها وتقول :

الله . . . . الله . . . . . الله

ثم رأت ايضا أن ملائكة الله يذكرون الله وأنهم معها بإذن الله ويبشرونها .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة هذه الرؤية (وكان ذلك فى شهر رمضان ١٤٠٨ هـ) رأت أن تندة من البياض والنور فوق رأسها والحمد لله .

- فى يوم من الأيام رأت هذه الرؤية والله أعلم أن نهرا من الأنوار واقفا أمام عيناها وأمام بصرها .
- فى يوم من الأيام رأت أن فى حجرة مكتبها بالمنزل . . رأت نورا قويا أمامها ثم رأت الشيطان واقفا على عتبة الباب ويستعد للدخول فبدأ هذا

النور يتحرك أمامه فردعه فرجع الشيطان إلى الوراء ثم اختفى .

- فى يوم من الأيام رأت بفضل الله وحده أن ملكا من الملائكة واقفا على يمينها ثم رأت ثلاثة طيور تقول : لا إله إلا الله
ورأت أن القمر والشمس كلهم حضروا صلاتها ، وحضروا قراءتها للقرآن ثم رأت أثناء صلاتها أن نورا صغيرا جدا أمامها وقال لها بعد أن بدأ حديثه بتراتيل معينة كلها تسبيح وذكر لله سبحانه وتعالى ويختلف عن تراتيل وتسبيح الملائكة والطيور والقمر والشمس كل له طريقته ثم قال لها هذا النور :

إنى نور أبعثنى الله إليك
يحفظك وينجيك فافرحى واهنأى
وقولى دائما الحمد لله رب العالمين

ثم ركعت وسجدت وقالت :

الحمد لله رب العالمين . . . .

واستكملت صلاتها وعندما بدأت فى ختامها وبدأت تسجد للدعاء رأت هذا النور عند السجود قريباً من عيناها وبدأت تذكر الله وتحمده ، وعندما انتهت وجدت الملك والطيور والشمس والقمر يقولون لها :

أحسنت وبوركت فقولى دائما
الحمد لله رب العالمين
فلقد كان فضل الله عليك عظيما

فحمدت الله وشكرته وقالت الحمد لله رب العالمين .
فقالوا لها : بارك الله فيك ، وجزاك الله كل خير ورضى الله عنك
وفى أمان الله ، ورعاية الله ، وحفظ الله

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة (أثناء صلاتها)
رأت أن نورا من حولها على شكل دائرة وقبل أن ترى هذا النور رأت إسم الله مكتوبا أمامها باللون الأبيض وله بريق ولمعان لم تر مثيله فى حياتها ومكتوبا بمجموعة من الجواهر والأنوار التى ليست لها مثيل فى الدنيا أو فى حياتها .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة (أثناء صلاة الفجر) أن هناك نورا أمامها عليه إسم الله مكتوبا باللون الأبيض ومجموعة من الجواهر والأنوار التى لم تر

الفتاة مثيلها فى حياتها أو فى الدنيا هذا بالإضافة إلى نور الذات الإلهية المرتبط باسم الله .

هذا بخلاف إسم الله الموجود فى الكون كله حيث لا تخلو ذرة فى الكون من إسم الله ونور الله بالإضافة إلى نور الذات الإلهية ومجموعة من الجواهر التى لم تر مثيلها فى حياتها أو فى الدنيا ، وأن إسم الله الموجود فى الكون واضحا وضوحا أكثر من إسم الله الذى تراه فى الرؤ ية نفسها وعلى أى شىء .

ثم رأت الملائكة من حولها والطيور البيضاء ثم رأت النحل وسمعت تسبيحه لله سبحانه وتعالى وقوله الدائم الله . . سبحان الله . . ما شاء الله ثم رأت أن أمامها بيتا جميلا جدا أبيضا على سجادة الصلاة وأن هذا البيت من الداخل كله بالفولير الأبيض حيث أن أرضياته وسقفه وحوائطه مغطى بالفولير الأبيض وعليه إسم الله مكتوبا بمجموعة من الأنوار والجواهر واللون الأبيض التى لم تر مثيلها فى الدنيا أو فى حياتها .

كما أنها رأت ثلاث حبات من النور أمامها وعليها أيضا إسم الله مكتوبا باللون الأبيض ومجموعة من الأنوار بالاضافة إلى نور الذات الإلهية ومجموعة من الجواهر الثمينة التى لم تر مثيلها فى الدنيا أو فى حياتها وله بريق ولمعان لم تر مثيله فى حياتها أو فى الدنيا .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة رؤ ية عظيمة جدا تضمنت جزءا يشير إلى ما يلى :

قبل أن ترى أى شىء حدث لها حدث . . . وهو أنه جاء على شباك حجرة النوم نورا كأنه الصبح حيث اعتقدت الفتاة بأنه فاتها موعد صلاة الفجر وبذلك ستستيقظ لتصلى الصبح أما الفجر فلقد انتهى ميعاده . . وهذا ما اعتقدته من هذا النور الذى رأته يهل على شباك حجرة النوم ، وعندما استيقظت وذهبت لكى تنظر فى الساعة فوجدتها الساعة ٢,٠٥ بعد منتصف الليل ولم تصدق نفسها فذهبت إلى ساعة أخرى فوجدتها نفس الوقت ثم خرجت إلى البلكونة لتنظر إلى السماء وترى هناك نور أم لا . . وكانت الدنيا ما زالت ظلام . . فعرفت أن هذا النور كان إيذانا لإستيقاظها والحمد لله على ذلك كثيرا . . وكان ذلك هو الحدث .

أما الرؤية فقد كانت كما يلى :

رأت الفتاة أن نورا صغيرا أمامها عليه إسم الله مكتوبة باللون الأبيض وبريقا ولمعانا وبمجموعة من الأنوار ونور الذات الإلهية ومجموعة من الجواهر الثمينة النادرة التى لم تر مثيلها فى الدنيا ثم رأت أن فوليرا أبيضا بدأ يظهر من خلفها كأنه مغطى كتفها وأن هذا الفولير الأبيض هو نور ثم رأت بعد ذلك أن النور الصغير انتشر وأصبح نورا كبيرا على شكل مستطيل وبدأ يحيطها من كل جانب .

ثم بدأت تقرأ القرآن (الجزء المقرر لها قراءته فى تلك الليلة) وعندما بدأت فى قراءته رأت أن حجرتها كلها يملأها النور وأصبح كلها نور ، وأن إسم الله فى وسط الحجرة مكتوبا باللون الأبيض والأنوار بالاضافة إلى نور الذات الإلهية ومجموعة من الجواهر التى لم تر مثيلها فى حياتها أو فى الدنيا وبدأت تقرأ القرآن وعلى كل كلمة تقرأها وكل حرف إسم الله أمامها مكتوبا أيضا باللون الأبيض ومجموعة من الأنوار والجواهر لم تر مثيلها فى الدنيا أو فى حياتها .

وهكذا إلى أن انتهت من قراءة القرآن وانتهى هذا المنظر على ذلك الذى كان جزءا من رؤية عظيمة .

- فى يوم من الأيام (وكان ذلك فى أحد أيام شهر رمضان فى إحدى السنين) رأت الفتاة هذه الرؤية اثناء قراءتها للقرآن والله أعلم :

رأت حبات من النور حولها ، وعلى كل حبة إسم الله مكتوبا كبيرا جدا وباللون الأبيض وبريق ولمعان ومجموعة من الجواهر لم تر الفتاة مثيلها فى حياتها .

وعندما انتهت من قراءتها للقرآن وانتهت من صلواتها رأت ما يلى : أن الملك الكريم واقفا على يمينها وبدأ حديثه بتراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح لله سبحانه وتعالى وحمد له عز وجل ثم قال لها :

ان رحمة الله تحيطك من كل جانب فاطمئنى واصبرى وكونى من الشاكرين .

فقالت الفتاة : لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين

فقال الملك الكريم : جزاك الله كل خير ، ورضى الله عنك ، وبارك الله فيك . وانتهت الرؤ ية على ذلك والحمد لله على ذلك كثيرا والله أعلم .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة (أثناء الصلاة) أن شكلا أبيضا على شكل بيضاوى دائرى ومكتوبا بداخله إسم الله بالخط الكبير واللون الأبيض اللامع ومجموعة من الأنوار والجواهر اللامعة لم تر مثيلها فى الدنيا أو فى حياتها وأن عليه نور الذات الإلهية والفراغات التى بداخل هذا الشكل رأت أيضا إسم الله مكتوبا على كل ذرة فراغ باللون الأبيض ومجموعة من الأنوار والجواهر .

وانتهى المنظر على ذلك .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة (أثناء قراءتها لإحدى الكتب الدينية) أن نورا قويا قادما إليها ورأت أن هذا النور عبارة عن لوح كبير نورانى أو شكل مستطيل نورانى قادم إليها والحمد لله .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة نفسها فى الكعبة وصلّت ركعتين حمدا وشكرا لله ثم رأت الرسول عليه الصلاة والسلام وحيّاها وسلّم عليها وألقى عليها تحية الإسلام وقال لها :

إن باب الكعبة مفتوح .. بارك الله فيك ..
إن عليك نور من الله ..... وهناك نور مبين
قادم إليك بإذن الله فحافظى عليه ولا تنسى الله
واذكرى الله كثيرا ، واحمدى الله كثيرا ، واشكرى الله كثيرا
واركعى لله كثيرا ، واسجدى لله كثيرا ....
إن فضل الله عليك كبيرا وعظيما وقولى دائما :
الحمد لله على فضلك العظيم علىَّ يارب العالمين
يارحمن يارحيم .

- ثم بعد ذلك أخذها الملك الكريم وصعدت إلى السماء ورأت ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ورأت اشياء جميلة بيضاء براقة لامعة ورأت كتاباً أبيضا مفتوحاً أمامها وعليه إسم الله ونور الله ولكن لا تعرف ماذا كان مكتوبا فيه والله أعلم .

ثم رجعت إلى الكعبة مرة أخرى وصلّت ركعتين حمدا وشكرا لله سبحانه وتعالى كما أنها صلّت فى السماء حمدا وشكرا لله سبحانه وتعالى .
وقابلت الرسول - ﷺ - فى الكعبة بعد الصلاة ، وقال لها :

بارك الله فيك .. إن فضل الله عليك
كبيرا وعظيما فحافظى عليه بذكرك لله ،
وركوعك وسجودك لله وحده لا شريك له سبحانه
رب العالمين وحمدك وشكرك لله وحده ..
لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وإن باب الكعبة مفتوح دائما بإذن الله
وفى رعاية الله ، وأمان الله ، وحفظ الله .

- فى نفس الليلة رأت الفتاة رؤية اخرى والله أعلم .
رأت نفسها فى السعودية (الحجاز) - المدينة وأنها فى حجرتها فى الفندق
ثم رأت الملك الكريم يقول لها :
أبشرى بالنور ، واحمدى الله على فضله عليك .
فردت الفتاة وقالت :
الحمد لله على فضلك العظيم علىَّ يارب العالمين يارحمن يارحيم
فقال لها الملك الكريم :
بارك الله فيك
ثم رأت الرسول - ﷺ - جاءها فى حجرتها وقال لها :
أبشرى بالنور واحمدى الله على فضله العظيم عليك
فردت الفتاة وقالت :
الحمد لله على فضلك العظيم علىَّ يارب العالمين يارحمن يارحيم .
فقال لها الرسول - ﷺ - :
بارك الله فيك وأبشرى أن هناك
نور من الله قادم إليك بإذن الله
ثم قال لها ﷺ :
وفى أمان الله ورعاية الله .
ثم وجدت نفسها بعد ذلك بأنها واقفة فى داخل نور من عند الله وتقول :

الله . . . . الله . . . . الله . . . . .
الله اكبر كبيرا . . والحمد لله كثيرا . . وسبحان الله بكرة واصيلا
ولا إله إلا الله وحده لا شريك له
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله الله اكبر
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم
الله اكبر . . الله اكبر . . الله اكبر
الله الرحمن . . الملك . . القدوس . . اللطيف . . الخبير . .
النور . . لا إله إلا هو مالك الملك ذو الجلال والاكرام
رب العرش العظيم

الله . . . . . الله . . . . الله

ثم وجدت نفسها تركع لله وهى فى قلب هذا النور وتقول هذه الكلمات ، وتسجد لله وهى تقول هذه الكلمات ثم ركعت ركعة حمد وشكر لله بالدموع ، وسجدت سجدة حمد وشكر لله بالدموع . . ثم صلّت ركعتين حمدا وشكرا لله سبحانه وتعالى ، وسلمت وصلّت علىٰ الرسول ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم ، وحمدت الله كثيرا على فضله العظيم وقالت :

ياإلهى . . . ياربى . . . . يارحمن يارحيم
سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك
مهما قلت . . ومهما فعلت . . ومهما حمدت . . ومهما شكرت
لا يمكن أستطيع ابدا أن أوفيك حقك من الحمد والشكر
ولكن لا أستطيع غير أن اقول كلمة الحمد لله
إنها لكلمة كبيرة وعظيمة وواسعة وسعت كل الحمد والشكر والثناء لك يارب العالمين ، وانى لا أستطيع أن أثنى عليك ولو حرصت ولكنك انت كما أثنيت على نفسك تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك . . أنك انت علاّم الغيوب .

ثم بعد ذلك سمعت صوتا جميلا ورأت الملائكة تقف حولها ورأت الطيور ترفرف من حولها وحبات من اللالىء البيضاء والأنوار تُرمى عليها ، ورأت الملك الكريم واقفا امامها وقال لها :
أبشرى يأيتها العابدة الصالحة

ثم سمعت الفتاة الصوت الجميل والملائكة والطيور وحبات اللالىء والأنوار . . .

جميعا قالوا ورددوا بعد الملك الكريم :

أبشرى يأيتها العابدة الصالحة
واحمدى الله كثيرا على فضله عليك
فلو عرفت ما يخبئه الله لك من
كنوز وجنة لمكثت عمرك كله
راكعة ساجدة حمدا وشكرا لله
ولن يكفى وقولى دائما :
الحمد لله فى السراء والضراء
الحمد لله على كل شىء . . الحمد لله على فضلك العظيم
الحمد لله كثيرا على نعمتك علىَّ يارب العالمين
والتى لا تُعد ولا تُحصى .

اللهم لك أنت وحدك يارب العالمين كل الحمد
اللهم أنت وحدك يارب العالمين كل الشكر
إن كيانى وفؤادى كله يارب العالمين يركع ويسجد
حمدا وشكرا لك يارب العالمين

سبحانك ياإلهى يارحمن يارحيم
لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك
يارب العالمين .

ثم قالت لها الملائكة :

جزاك الله كل خير ، ورضى الله عنك ، وبارك الله فيك .

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤية اثناء الصلاة حيث إنطفأت الكهرباء فى ذلك الوقت فرأت أن أمامها نورا إلهيا صغيرا جدا على هيئة شمعة ومكتوب على هذا النور إسم الله ثم رأت ثلاثة من الملائكة وهيئتهم جميلة ظهروا لها وكانوا يرتدون لباسا أبيضا .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أنها فى السماء وأن نورا قويا عليها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن نورا أمامها على هيئة طريق واسع أو مدخل أو طرقة كبيرة على شكل دائرى ، ورأت نفسها داخل هذا النور مع ملاحظة أن هذا النور قوى ومكتوب عليه إسم الله بنور قوى من أقوى الأنوار الالهية وبالخط الأبيض العريض ، وبريق ولمعان لم تر مثيله فى حياتها ، وبمجموعة من الجواهر الثمينة واللالىء البيضاء التى لم تر مثيلها فى حياتها مع العلم بأن النور الذى على إسم الله يختلف عن النور الموجود فى الطريق حيث أنه أقوى منه .

- فى يوم آخر رأت الفتاة (اثناء الصلاة) أن نورا صغيرا أمامها ومكتوبا عليه إسم الله باللون الأبيض الجميل وببريق ولمعان لم تر مثيله فى حياتها ، وبمجموعة من الجواهر واللالىء البيضاء الثمينة التى لم تر مثيلها ايضا فى حياتها وأن عليه نور من اقوى الأنوار الإلهية ثم رأت أن هذا النور الصغير بدأ يكبر رويدا . . رويدا . . رويدا . . حتى ملأ مساحة سجادة الصلاة وكلما يكبر تجد مكتوبا عليه إسم الله . . لا إله إلا الله بالخط الأبيض العريض وبمجموعة من الجواهر الثمينة وبأقوى الأنوار الإلهية .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة حيث كانت تسير فى الطريق العام رأت أن الملائكة تسير معها وتذكر الله وتسبح باسم الله وتقول لها .

اذكرى الله كثيرا ولا تخافى ولا تحزنى
وأبشرى واطمئنى .
إن الله معك دائما ، ونحن الملائكة معك
بإذن الله ، ونور الله دائما يحيطك

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن مجموعة ودرجات من الأنوار الإلهية تنكشف على صدرها وكل نور عليه إسم الله .
وبعد هذه الرؤية احست الفتاة أن حواسها وكيانها كله يقول الله .

- فى يوم آخر رأت أن هناك نورا ينكشف على صدرها ومكتوب إسم الله على هذا النور .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة أن سماء كبيرة جدا تفتحت وأول ما تفتحت وجدت اسم الله مكتوبا باللون الأبيض ومجموعة من الجواهر لم تر مثيلها فى الدنيا ، وان هناك نورا قويا جدا مرتبطا باسم الله وهو نور الذات الإلهية ثم رأت انه لا توجد ذرة فى السماء خالية من إسم الله . . بل إن السماء كلها مليئة باسم الله ونور الله كما أن الكون ملىء باسم الله ونور الله . . ورأت على إسم الله النور القوى المرتبط باسم الله وهو نور الذات الإلهية ثم رأت فى مكان جانبى من هذه السماء كتلة من النور ومكتوباً عليها :

أبشـــــرى

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة أن أسماء الله الحسنى جميعها وان على كل إسم من هذه الاسماء العظيمة نور قوى جدا . . . وأنها تنظر إلى هذه الأنوار التى على أسماء الله الحسنى .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة هذه الرؤية والله اعلم :
رأت أن إسم الله فوقها وفى كل مكان . . ولا يوجد مكان أو ذرة فى الكون يخلو من إسم الله ، وأن إسم الله حولها فى كل مكان فوقها يحيط بها فى كل مكان ، ورأت أيضا نورا وعليه إسم الله وظلت هذه الرؤية ثابتة ولم تر الفتاة شيئا إلا إسم الله جل جلاله ، وإستيقظت على إسم الله أمامها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن إسم الله أمامها وفى كل مكان ولا تخلو ذرة فى الكون من إسم الله ثم رأت سبع درجات من النور محيطة بها وهى :
١ - نور على عيونها البشرية وعليه إسم الله وهى ترى بإذن الله إلى مدى معين
٢ - ثم العيون البيضاء التى تراها دائما عليها ، وعليها نور من درجة اخرى وهذا النور عليه إسم الله وبهذه العيون وبهذا النور ترى بإذن الله أشياء كثيرة وجميلة وسماوية .
٣ - أنها واقفة فى وسط حيز على شكل مستطيل وكله من نور عليه إسم الله
٤ - أن ورائها نورا ابيضا وعليه إسم الله وبهذا النور وبإذن الله وحده ترى ما يدور ويحدث من خلف ظهرها .
٥ - شعاع من نور أبيض وهادىء يجىء من فوق رأسها بإذن الله وهذا الشعاع من نور عليه إسم الله .

٦ - نور هادىء أمامها وعليه إسم الله

٧ - هذا النور السابع هو أقوى الأنوار جميعا ، وهذا النور ليس شعاعاً بل إنه مجموعة من الشعاعات النورانية ومجموعة كبيرة من الأنوار إتحدت وتكتّلت لتكوّن كتلة قوية من نور سماوى قوى لا يستطيع البصر أن يراه إلا بإذن الله . . وهذا النور موجود ومرتبط بأعلى السموات .

بهذا النور وبإذن الله . . وبأمر من عند الله تتفتح هذه السماء لترى فيها العظمة والبهاء والجلال والرهبة . . إنه منظر قوى لا تستطيع الفتاة أن تصفه لأنه لا يوجد من الكلمات والعبارات ما تصف هذه الرؤ ية فلقد رأت هذا النور فقط عبارة عن كتلة من نور قوية عليها إسم الله كأنها جوهرة من نور لا تستطيع أن تصفها ، وتصف هذا المنظر فليس عندها غير أن تسجد لله سبحانه وتعالى حامدة شاكرة فضله العظيم عليها وأنه أكرمها بهذه الرؤ ى الجميلة الصادقة لترى إسم الله ونور الله .

- فى يوم آخر رأت أنها فى حجرة بيضاء وعليها إسم الله . . ولا يخلو ذرة مكان فى الكون أو ذرة فى أرجاء الحجرة إلا وفيها إسم الله بالجواهر التى ليس لها وجود مثيلها فى الدنيا ، ثم رأت نوراً فى جميع أرجاء هذه الحجرة وهذا النور عليه إسم الله . . أى أنها رأت إسم الله فى كل مكان . . ثم رأت نور قوى فى ارجاء هذه الحجرة وعلى هذا النور إسم الله .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة وأثناء الصلاة أن ملائكة أمامها أشكالهم جميلة ويرمون عليها حبات من النور .

- فى يوم آخر رأت أن حولها نورا ابيضا دائماً ، وحولها أيضا هالة من نور على امتداد واسع وشكله مستطيل وعليه إسم الله ونور الله ولا تخلو ذرة فى الكون من إسم الله ونور الله .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن أمامها نوراً ابيضاً وعلى امتداد واسع وشامل ويحيطها وان هذا النور عليه إسم الله ولا تخلو ذرة فى الكون من إسم الله ونور الله .

- فى يوم آخر أثناء قراءتها للقرآن رأت أن نوراً أمامها .

- فى يوم من الأيام رأت أن حولها طيورا بيضاء ، وان نوراً ابيضا واسعا من حولها وعليها .

- فى يوم من الأيام رأت أن نورا من حولها .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة أن نورا ابيضاً حولها أثناء صلاتها ، وعليه إسم الله مكتوبا باللون الأبيض وله بريق وبمجموعة من الجواهر لم تر مثيلها فى حياتها ، واللون الأبيض الذى على إسم الله يختلف عن لون النور بحيث أن إسم الله بارزاً وواضحا وفى منتهى الجمال والروعة لم تر الفتاة مثيلها فى حياتها ، ولا تخلو ذرة فى الكون من إسم الله ونور الله ثم رأت أن مسجدا امامها ويقول :

الله أكبر

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة أننا فى شهر رمضان ، وأنها داخل غرفة كلها نور جميل وعليها إسم الله يعلو فوق كل شىء ومكتوب بمجموعة من الجواهر الثمينة واللالىء التى ليس لها مثيل فى الدنيا وبنور هو أقوى الأنوار الإلهية .

- فى يوم من الأيام رأت أن نورا يسرى فى جسدها كله وأحست به وسمعت هذا النور يسبّح لله سبحانه وتعالى ويقول :

الله .. لا إله إلا الله

ويتمايل هذا النور كأنه موج ويأتى ذات اليمين وذات الشمال ويرتفع إلى أعلى فرحا وخاشعا لهذا التسبيح ثم سمعته يرتل تراتيل معينة ويأتى بصوت موسيقى كأنه يعزف هذه الموسيقى والصوت الموسيقى كأنه يعزف فقط إسم الله .. وبنغمة جميلة لم تسمعها الفتاة من قبل ، وكل يسرى فى جسدها ويسبّح لله وتسمع تسبيحه : النور ، والصوت الموسيقى ، والنغمة الجميلة .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة أن نوراً جميلاً قادما اليها .. وفى الطريق إليها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أثناء تلاوتها للقرآن الكريم فى ذلك اليوم أن نوراً قويا جداً على القرآن ثم رأت نورا منتشرا حولها وأمامها على سجادة الصلاة .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن هناك نوراً قويا جداً حولها وأمامها ومن شدة هذا النور ومن رهبة الموقف قالت :

يا إلهــى

فى نفس اليوم رأت الفتاة أن نوراً قويا حولها وأنها بداخله .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة أنها واقفة فى مكان جميل جداً ، وشكلها حلو وترتدى لباسا أبيضا وتنظر بعيناها اليمنى ناحية السماء وما فيها من الأنوار الإلهية والملائكة وما فيها من ملكوت الله . . ثم تنظر بعيناها اليسرى إلى الأرض والدنيا وما فيها من الناس والأشجار وكل ما فيها من زخرف ثم فجأة وضع حاجز أبيض على عيناها اليسرى بحيث أصبحت محجوبة عن الخلق فصارت عيناها اليمنى ترى بوضوح وجلاء وبريق لم تر مثله ابداً وأصبحت عيناها لا ترى إلا إسم الله . . والملائكة . . والأنوار الإلهية والبريق واللمعان .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة هذه الرؤ ية أثناء قراءتها للقرآن الكريم والله أعلم :

رأت أن صوتا ملائكيا يكلمها وبدأ حديثه معها بتراتيل معينة كلها تسابيح وذكر لله سبحانه وتعالى ثم قال لها :

بسم الله . . إن هذه الأنوار التى تسُلّط عليك أنواراً صادقة لأنها من عند الله . . ولو أن نوراً صغيرا واحداً من هذه الأنوار سُلط على الأرض لمن الممكن أن يطيح بهذه الأرض وبالفساد الذى عليها ويذهب بقوم ويأتى بقوم آخرين . .
فاحمدى الله على هذه الأنوار الإلهية الصادقة حمدا وشكرا كثيرا وعلى رحمته لك فى تحملّك لهذه الأنوار الجميلة البراقة التى ليس لها مثيل فى الوجود .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن الملائكة معها وواقفين أمامها ورأت نوراً فى كفها الأيمن وإسم الله دائما أمامها ومرتبط به نور قوى جداً .

- فى يوم آخر رأت أن مجموعة كبيرة من الملائكة حولها يرتدون ثيابا بيضاء ، وأنهم واقفين حولها ومجموعة أخرى فى السماء يقفون على شكل دائرة وأنهم فوقها وحولها وشكلهم جميل جداً ، وترى إسم الله فوق كل شىء .

- فى يوم آخر رأت الفتاة عند استيقاظها فى الصباح أن إسم الله أمامها وفوقها وفوق كل شىء ثم رأت مجموعة من الأنوار الإلهية ونور قوى جداً يعلو هذه الأنوار على إسم الله .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أثناء الصلاة أن نوراً بدأ يظهر حولها ثم رأت مجموعة من الملائكة وعندما بدأت تقرأ القرآن رأت أيضا نوراً قويا أمامها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أثناء قراءتها للقرآن الكريم أن حبات من النور حولها ، وعلى كل حبة إسم الله مكتوبة كبيرة جداً وباللون الأبيض وبريق ولمعان ومجموعة من الجواهر لم تر الفتاة مثيلها فى حياتها .

وهكذا كنا فى رحلة روحانية مع بعض الأنوار التى رأتها الفتاة وشاهدتها مما جعلها تحس بالرهبة والخشوع وقمة العبودية لله سبحانه وتعالى وتشعر بروعة الحب الإلهى الذى يملأ حياتها فتحمد الله حمداً كثيراً شاكرة فضله العظيم عليها حامدة نعمته التى لا تعد ولا تحصى والتى تشعر بها بكل ذرة فى كيانها وحواسها وخلجاتها ودمها إلى درجة العجز عن حمد وشكر الله الواحد الرحمن الرحيم على فضله العظيم ، ولا يسعها غير أن تسجد بكل كيانها قائلة الحمد لله رب العالمين ، وتمضى فى طريقها حريصة على ذكر الله وتقديسه وحمده وشكره مراقبة نفسها فى كل سلوك تقوم به آملة فى أن ترتقى بسلوكياتها وأخلاقياتها للقرب من الله .

وبعد هذه الرحلة النورانية تتوقف الفتاة فى لحظات تأملية ممتزجة بالخشوع والصفاء حول نعمة الله عليها ورحمته بها ولطفه معها حيث كيف رأت هذه المجموعة من رؤ ى الأنوار وكيف استطاعت أن تتحمل هذه الأنوار

الإلهية العظيمة . إنه فضل الله عليها وتثبيته لها ورحمته بها ولطفه معها حيث ثبتّها على طريقه وجعلها تتحمل رؤية هذه الأنوار .

لا يمكن أن تكون العيون التى رأت هذه الأنوار عيون بشرية وإنما هى عيون أعطاها الله بفضله وإذنه وإرادته وبسلطان منه هو وحده القدرة على تحمّل هذه الأنوار العظيمة .

إذن هى حقا عيون لها نور من الله ، وبدون هذا النور الإلهى لم تستطع هذه العيون أن تتحمل وتثبت أمام رؤى الأنوار .

وهذه رحمة من الله ، ولطف منه سبحانه أن أنعم على هذه الفتاة بهذه العيون ، وزودّ هذه العيون بنور من عنده .

إذن فهى ليست عيون بشرية وإنما هى عيون لها نور من الله .

هذه اللحظات التأملية قادت الفتاة إلى أن تتبصر فى طريقها وفى نعمة الله عليها وفى النور الذى يضىء طريقها حيث أنعم الله عليها بمثل هذه العيون النورانية وبرؤية هذه الأنوار العظيمة لتشهد فضل الله عليها وتتبصر فى لمسات حنانه بها ، وتتأمل فى آيات حبه لها ورحمته معها مما قادها إلى أن تقف وقفة مع نفسها حيث تحس بالمسئولية الملقاة على عاتقها وهى الإخلاص وحمد الله وشكره وتشعر الفتاة بل وتؤمن ايمانا يقينا أن أقل شىء ممكن أن تقدمه حبا وحمداً وشكراً لله هو ذكر الله ومراقبة نفسها وسلوكياتها للقرب من الله .

وبدأت الفتاة تعيش فى لحظات من الكشف الربانى حيث يدعوها هذا الكشف الى ذكر الله ذكرا كثيرا وحمده وشكره حمدا وشكرا كبيرا ، وهنا بدأت توقن بأن الذكر هو نور حياتها والضياء الذى يضىء طريقها فهو سبيل الى دائرة النور الإلهى كما آمنت الفتاة أن مراقبة نفسها والإرتقاء بسلوكياتها والتهذيب من أخلاقياتها بما يرضى الله سبيل آخر إلى دائرة النور الإلهى .

ومن هذا المنطلق بدأت الفتاة تحرص على مراقبة نفسها فى سلوكياتها وأفعالها وأخلاقياتها والله دائما يمدّها بالعون والرحمة وفتح أبواب الطريق إليها حيث تمضى فى جهاد مع النفس محاولة الإرتقاء والمحافظة على درجة

الصفاء التى أنعم الله عليها آملة هادفة هدف واحد أمامها وهو القرب من الله وفى سبيل هذا الهدف تتحمل كل شىء وأى شىء فى سبيله .

ومع مراقبة نفسها وسيرها فى طريق جهاد النفس والتعمق فى أغوار النفس البشرية ومحاولة الإرتقاء دائما تعرف الفتاة أن ذكر الله هو سلاحها وأداتها فى القضاء على أى شوائب وفى إحراز النصر لقلبها المؤمن المحب لله الذى يسعى للقرب من الله .

وكان هنا للفتاة وقفات مع النفس تراجع فيها نفسها فى طريقها وسلوكياتها . . فالمراجعة النفسية دائما تكون مريحة ومثمرة ودافعة لطريق جديد كله جهاد وكفاح وحب وخير حيث المثابرة والصبر والإرادة على سلك الطريق حبا لله وطمعا فى رضا الله ، وأملا فى القرب من الله .

وكانت لهذه الوقفات أهمية كبرى فى حياة هذه الفتاة حيث عرفت وأيقنت تماما أنه بالرغم من هذه النعمة الشاملة التى أنعم الله بها على هذه الفتاة إلا أنها لا تأمن مكر الله ، وعرفت أن سبيل الهبوط والإنتكاس أسهل بكثير من طريق الصعود والإرتقاء للفوز بالقرب من الله ورضاء الله وحب الله . . ولكن كيف ذلك . . ؟

أولا - سبيل الهبوط والإنتكاس :

أدركت الفتاة أنه من السهل على من يسلك طريق الله أن ينتكس وينحدر إلى الهبوط وذلك إذا نسى الله فأنساه نفسه ، وانغمس فى ملذاته وشهواته وأهوائه ورغباته وابتعد عن ذكر الله ولم يعد يحمد الله أو يشكره على أى نعمة يتلقاها وينسب فضل التوفيق أو النجاح فى أى أمر من الأمور إلى نفسه وشخصه فيصاب بالغرور والتكبر وتجد الآفات النفسية مكانا فى نفسه للإستقرار ، ويجد الشيطان فرصة مناسبة للدخول وساحة واسعة عريضة للتمكن فيمارس وظيفته فى الوسوسة والغواية مما يقضى على هذا الإنسان ويؤدى به الحال فى النهاية إلى الإنحدار والإنتكاس والهبوط إلى الهاوية .

ويحس الإنسان أنه بدلا من أن يسلك طريق الله ويرتقى فيه . . يسلك طريق الهوى والشيطان ، وبدلا من أن يهتدى . . يجد نفسه يضل ، وبدلا

من أن يطبّع نفسه على التهذيب والترقى والإصلاح يجد نفسه ينحدر وينزل إلى مستوى النفس الأمارة بالسوء البعيدة عن الله ، وبدلا من أن يتخذ الله وليا أصبح يتخذ الشيطان وليه . وبالتالى نتيجة لكل ذلك يبتعد الخير عن طريقه ، وتهرب البركة من حياته ويقفل أمامه باب الأمن والإستقرار النفسى والسلام الروحى .

فمن السهل أن ينحدر الإنسان ويهبط حيث يأخذ هذا الهبوط لحظة ابتعد فيها الإنسان عن الله أما الصعود فهو طريق صعب ويأخذ أياما وسنوات للترقى والقرب من الله .

ثانيا : طريق الصعود والإرتقاء :

كما أدركت الفتاة جيدا أن من السهل على الإنسان أن ينتكس ويهبط فى طريق الله حيث يأخذ هذا الهبوط لحظة ابتعد فيها الإنسان عن طريق الله ونسى الله فأنساه الله نفسه حيث بدأ يستسلم هذا الإنسان إلى طريق الهوى وينقاد إلى سبيل الشهوات والملذات والرغبات ، عرفت الفتاة أيضا يقينا أن طريق الصعود والإرتقاء للقرب من الله . . طريق صعب وطويل وشاق ويحتاج إلى سنوات وسنوات ويحتاج أيضا إلى صبر جميل ، وإيمان عظيم ، وحب كبير لله يجرى فى دم الإنسان وعروقه وينطق به ويحيا فيه كل ذرة فى وجدانه وكيانه .

إنه طريق يحتاج فى كل لحظة إلى تذكر الله ونعمة الله وفضل الله ورحمة الله . . . إنه طريق يتطلب من الإنسان عمل كبير ، ومجهود عظيم فى كل لحظة للترقى ولصفاء نفسه وتطهير قلبه من الشوائب هادفا الأمل فى الله وحده ، والرجاء فى الله وحده . . . عمل لا يهدف ولا يطمع إلا فى حب الله ، ورضا الله ، والقرب من الله .

إنه طريق يتطلب من الإنسان المراقبة النفسية والمراجعة النفسية المستمرة حتى يعرف عيوبه ويحاول أن يقوّم من نفسه ويهذّب من أخلاقه ويصلح من أفعاله ناشدا فى كل لحظة عون الله ورحمته وعنايته ومغفرته .

إنه طريق يحتاج إلى صبر وصدق وإخلاص فى القول والعمل ، والسريرة والعلانية . . . فى الظاهر والباطن .

إنه طريق يتطلب من الإنسان فى كل قول وسلوك وعمل وتصرف أن يضع دائما الهدف هو الله ، وما يرضى الله ، وبذلك يكون الله دائما فى وجدانه وكيانه يخشاه ولا يخشى أحدا سواه ، يعمل حبّا لله ، ويحس بأن الله خلق هذه الدنيا لكى ننعم فيها بحب الله ، ونشعر بجمال حب الله .

وإذا وضع الإنسان نصب عينيه أن الهدف هو الله وبذلك يكون الله دائما فى فكره ووجدانه وكيانه كله ، وهذا ما يتطلبه طريق الله ، ألا ينسى أبدا الإنسان الله ، وأن يتمسك دائما بحبه لله ويدافع عنه ويدعو إليه ويلجأ دائما إلى الله فى كل صغيرة وكبيرة لا يشكر إلا له وحده ، ولا يناجى إلا هو ، ولا يحكى إلا له وحده ولا يشكر إلا هو ، ولا يحكى فرحته وحزنه ومشاعره وأحاسيسه إلا لله وحده ، ولا يصبر إلا حبا له قائلا دائما :

صبراً جميلا والله هو المستعان . .

ولذلك فإن الذكر من أهم السبل التى تعين الإنسان فى طريق الله حيث أنه بذكر الله الدائم وحمده وشكره وتسبيحه وتقديسه سبحانه وتعالى يقيه من آفات النفس البشرية ومن آثام وشرور وشوائب هذه النفس الأمارة بالسوء ويحميه من الإنزلاق فى حبائل شياطين الإنس والجن حيث أن الإنسان بذكره لله يكون دائما فى دائرة النور الإلهى مما يساعده على صفاء نفسه وطهر قلبه ما يجعله يراقب كل سلوك ، وكل قول ، وكل فعل فى كل لحظة آملا فى عون الله ، ورضا الله مما يعينه على الترقى فى الطريق طامعا ناشدا القرب من الله .

ولذلك فهو طريق صعب لأنه يحتاج الى عمل دائم وصبر جميل وذكر كثير ومراجعة نفسية مستمرة ومراقبة نفسية على طول الطريق مما يساعد على تغيير الإنسان فى سلوكه وأخلاقه وأفعاله مما يثمر ثمرة نورانية فى طريق الله حيث يشعر بالإطمئنان والإستقرار النفسى والأمن مع الله والهناء فى حب الله والأنس بالله والسعادة مع طريق الله .

إنه طريق يجعل الإنسان دائما مشغولا بالله . . منشغلا بطريق الله . . . فكره ووجدانه وكيانه كله لا يفكر إلا فى الله وكيفية السير فى طريقه آملا فى رضاه والقرب منه سبحانه وتعالى .

ومن هذا المنطلق كان الطريق صعبا وشاقا وما يحصل عليه الإنسان فى الطريق من ثمرات وفتوحات وتجليات وإحساس بالأمن النفسى . . إنما حصل عليها بفضل الله وحده وأمره سبحانه وتعالى وحده ثمرة وثوابا لجهاد هذا الإنسان فى الطريق .

ولذلك إذا جاءت لحظة ونسى الإنسان كل هذا الخير والنعيم الذى أنعم الله عليه وانقاد إلى طريق الهوى والشيطان ينحدر ويهبط بسهولة ويفقد ما حصل عليه فى سنوات وسنوات .

ومن هنا كان طريق الصعود والإرتقاء فى طريق الله أصعب بكثير من طريق الهبوط ، والذكر هو أهم السبل التى تعين الإنسان فى الطريق وتساعده فى المحافظة على صعوده وإرتقائه وصفاء نفسه .

عرفت الفتاة كل ذلك بإيمانها وبقلبها المحب لله ، ولذلك فإن حرصها على ذكر الله يمثل أهمية كبرى فى حياتها ، ويشكل جزءا هاما من عملها اليومى فى طريقها إلى الله وحتى تكون دائما فى دائرة النور الإلهى وحتى تحافظ على النعمة التى أنعم الله بها عليها محاولة بكل ما تستطيع من قدرة وطاقة أن تحافظ على درجة الصفاء التى وهبها الله لها آملة دائما فى المزيد الذى يعينها فى الطريق ويقرّبها من الله عز وجل .

إن يقين الفتاة بالإهتمام بذكر الله والمراجعة النفسية اليومية والمراقبة النفسية المستمرة يمثلّ عندها فى حد ذاته إنشغال دائم بالله ويعينها الله عز وجل حيث يفتح لها أبوابا جديدة فى طريق السلوكيات عليها أن تتبعها ويكشف لها عيوبا جديدة فى نفسها لم تكن تدركها أو تعرفها والدعوة اليها بالإصلاح من هذه العيوب .

إذن فهى مشغولة فى كل لحظة بالله . . لا تفكر إلا فى الله ، ولا تطمع إلا فى رضا الله ، جسدها ووجدانها وكيانها وكل ذرة فيها تتجه الى حب الله مما يدفعها الى مراقبة نفسها وسلوكياتها مقبلة على التقويم والتهذيب والإصلاح من نفسها حبا لله مستمدة العون منه هو وحده راضية بكل ما يعطيه لها صابرة على ابتلاءاته لها حامدة شاكرة فى كل لحظة تلطفه بها ونعمته الكبرى عليها آملة ناشدة طامعة فى القرب منه وحده .

وتمضى الفتاة فى طريقها يشغلها ذكر الله ، ومراقبة نفسها ، والتهذيب من أخلاقها ، والإرتقاء بسلوكياتها للقرب من الله يملأها حب الله مشتاقة إليه تتقلب فى نار الشوق متلهفة للقائه يزيدها الحنين إليه فتحيطها لمسات الحنان الإلهى وتتلألأ من حولها آيات كبرى من الحب الربانى تدعوها للدخول بأمر الله فى دائرة النور الإلهى .

وتسجد الفتاة حامدة شاكرة ربها على فضله العظيم ولطفه الكريم ساجدة بكل وجدانها تتساقط الدموع من عيناها وكأنها نهر يطهرّها ويغسلها ، وفجأة ودون أن تدرى أو تشعر وجدت نفسها تنطق بهذه الكلمات التى تفجرّت وتولدّت عن حب عظيم يملأها لله وشوق جارف يحتويها للقاء الله ، ولقد كانت هذه الكلمات تحت عنوان :

رسالة إلى الكيان الإنسانى

أيها القلب احترق بنور الله

أيها القلب اكتوى بنار الحب لله

أيها الوجدان اسعد بحنان الله

أيها الفؤاد اهنأ بعطاء الله

أيها الجسد انعم بطيبات الله

أيتها الروح الطاهرة اسجدى شوقا إلى الله

أيتها النفس الصافية اصعدى فى رحمة الله

أيتها الجوارح الطيبة احمدى نعمة الله

يأيها الكيان الإنسانى . . . إنها لرسالة إليك بأن يحركك ويسيطر عليك ويستحوذك حب الله فتذوب فى نور الله ، وتلمس حنان الله وتسعد بعطاء الله فتسجد شوقا إلى الله متلهفا للقائه تعالى حامدا شاكرا رحمته وفضله العظيم .

وبعد هذه الكلمات التى صدرت من قلب محب مخلص لله فى لحظة من لحظات الصفاء والنورانية من الصعب وصفها ومن المستحيل تصوير

المشاعر فيها . . سجدت الفتاة ودموعها تغرقها حامدة شاكرة فضل الله عليها تتمنى لو تظل هكذا ساجدة لحظات عمرها كله إلى أن يتوفاها الله وتشتاق فى هذه اللحظات الرائعة إلى لقاء الله . . . يا لها من لحظات تمتزج فيها الحب والشوق والخشوع والرهبة والإيمان الكبير . . . فيمنّ الله عليها ويحيطها بأشعة نورانية تدخلها فى دائرة النور الإلهى بأمر الله .

وتستمر الفتاة فى طريقها سعيدة . . آمنة . . هادئة . . هانئة . . مطمئنة . . مستقرة فى حياتها تشعر بالأمن النفسى ، والإطمئنان القلبى ، والسلام الروحى فى طريق الله .

وفجأة ودون أية مقدمات بدأ الحب يطرق حياتها ، ويناديها لكى تفتح أبواب القلب إليه ويدعوها للإرتباط به . . فلبتّ نداء الحب واستجابت إلى دعوته فى الإرتباط . .

ولم تكن تعرف حينئذ أنها معرّضة إلى محنة تحتاج منها إلى صبر وهدوء نفسى . . .

ولم تكن تدرك وقتئذ أنها مقبلة على مرحلة من مراحل العذاب والهوان والألم النفسى . . .

فلقد كانت دعوة الى الإرتباط المعذّب .

الفصل الخامس

الإرتباط المعذّب

سارت هذه الفتاة فى طريقها مستسلمة لله عز وجل ، مسلّمة أمرها كله إليه هو وحده لا تقلق على شىء ابدا . . مطمئنة آمنة هادئة سعيدة متفائلة ، وكان كل من يعرف بحالتها يفتح معها موضوع الزواج ويحثها على أن تفكر فيه ولكنها لم تكن قلقة على زواجها ولكنها كانت مطمئنة إلى إرادة الله وأنه سيأتى فى الوقت الذى يريده الله عز وجل ، وفجأة بدأ يناديها نداء الحب ويدعوها للإرتباط به فلبتّ النداء واستجابت إلى دعوته فى الإرتباط .

وكانت فكرتها عن الزواج أنه جنة الإنسان على الأرض ، وبسرعة بدأت الإستعدادات تُعد لهذا الزواج ، ولكن قبل زواجها بحوالى شهرين رأت رؤ ية غريبة لم تعرف مغزاها آنذاك .

افتتحت الرؤ ية باسم الله ونور الله والمنظر العظيم الذى دائما تفتتح به الرؤ ية[1] ثم رأت مجموعة من الملائكة أمامها يبدأون حديثهم بتراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح وحمد وشكر لله العلى العظيم ثم قالوا :

الله ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله ـ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ـ سبحان الله ما شاء الله ـ
الله نور السموات والأرض ـ الله :

إهدئى واصبرى فإن هناك سهام سوداء موجهة إليك ولكى تتصدى لهذه السهام فيجب عليك أن تستعينى بالله أولا وأخيرا

---

(١) راجع الفصل الثانى ص ٥٩

وأن تهدئى وتصبرى على ذلك حتى تصدى هذه السهام بإذن الله وقولى :

اللهم أعنى على هذا الموقف . . اللهم اعطنى الحياة والقوة . . ياربى . .

لا حياة لى إلا بك أنت وحدك يارب العالمين .
ولا قوة لى إلا بك أنت وحدك يارب العالمين .
ولا عون لى إلا بك أنت وحدك يارب العالمين .

إنى استمد القوة والحياة والعون والتوفيق والصبر منك أنت وحدك يارب العالمين .

اللهم هب لى النبض وبث فيه القوة الإلهية لأتحمّل ما أنا فيه بصبر وهدوء وحكمة حتى أنال رضاك أنت وحدك يارب العالمين .

اللهم اجعل لى من يمينى نورا ، ويسارى نورا ، وفوقى نورا ، وأمامى نورا ، وخلفى نورا ، وحولى نورا من عندك أهتدى به وينير لى الطريق ويهدينى إلى الصراط المستقيم ويوصلنى إلى الفوز برضاءك وحبك وعفوك ورحمتك يارب العالمين ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

بهذه الكلمات ستنتصرى بإذن الله على هذه السهام وستتحملى اكثر من ذلك بكل قوة وشجاعة ، وبإذن الله سيخرجك الله من كل ذلك وحولك الأنوار الإلهية فاستعينى بالله وحده وقولى يارب وستنشر كلمتك فى أرجاء السموات والأرض وهذه الكلمة تحوى كل شىء ونحن نقول معك يارب . . يارب . . يارب .

نحن نبشرك بأن هناك لمسة حنان وحب إلهية ستملأك وتنعم عليك . . فاحمدى الله كثيرا واشكرى الله كثيرا ، واركعى لله كثيرا ، واسجدى لله كثيرا . . فمهما حمدت . . ومهما شكرت . . ومهما

سجدت . . ومهما ركعت فإن ذلك لن يوفى الله حقه من الشكر والإمتنان ، ولو تعرفى ما يخبىء لك من كنوز وجنة هى من عند الله وحده لا شريك له لسجدت وركعت وحمدت وشكرت الله عمرك كله ولن يكفى .

فسلّمى أمرك لله فى كل شىء . . وضعى كل شىء على جانب الله وحده . . فمنه الأمر وله الأمز أولا وأخيرا . . وبيده كل شىء واستعينى بالله وحده . . واسألى الله وحده . . . واحمدى واشكرى الله وحده .

فله الملك وله الحمد وله الشكر وله الثناء فإنه هو الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له مالك الملك وعنده مفاتيح الغيب فاطمئنى وعندما تسلّمى أمرك لله وتستعينى بالله وحده وتحمدى الله وحده فإن السكينة والطمأنينة والهدوء سيبث فى نفسك وعقلك وقلبك وروحك وكيانك كله .

ونحن نذكرك اذكرى الله يذكرك . . احمدى الله لا ينساك ابدا . . اشكرى الله ينعم عليك بالمزيد واصبرى تنلى وتفوزى فوزا عظيما .

إن الله معك وعليك من الله نورا ورحمة وفيوضات بإذن الله تنير لك الطريق وتفرش لك الورود ولكن لابد من الأشواك لصقل نفسك .

إن نعمة الله عليك كبيرة . . ورحمته بك عظيمة . . ولطفه عليك رائعا فتذكرى الله وتذكرى هذه النعمة والرحمة واللطف الكريم إنه هو الوهاب الرحمن اللطيف الخبير العليم القادر على كل شىء .

وختاما قولى : سبحانك ربى ورب العالمين . . .
استسلمت لك أنت وحدك يارب العالمين . . .
بيدك الأمر كله يامالك الملك . . واستعنت بك أنت
وحدك يارب العالمين وإن شاء الله ستجدنى من
الصابرين بقوتك وعونك ورحمتك التى أستمدها
منك أنت وحدك يارحمن يارحيم .

ثم قالوا لها :

جزاك الله كل خير ، ورضى الله عنك ، وبارك الله فيك وأبشرى سيخرجك الله بإذن الله من كل هذا بمشيئته

وبالأنوار الإلهية التى يقول لها كن فتكون ولا تنسى أن تحمدى الله على نعمته عليك وتشكريه فى كل وقت وخاصة عند الآذان .

وقولى مرة أخرى ونقول معك :

يارب . . . يارب . . . يارب
لا إله إلا الله محمد رسول الله
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله
سبحان الله ما شاء الله
الله نور السموات والأرض
الله . . الله . . الله .

كانت هذه هى الرؤ ية التى رأتها الفتاة قبل زواجها بشهرين ولم تفهم معناها ولم تدرك مغزاها فى ذلك الوقت .

ثم جاءت ليلة الزفاف ورأت رؤ ية أخرى تشير إلى أن هذا الزواج لن يدوم ولن يستمر ، وفى الحقيقة ظنت هذه الفتاة أن هذه رؤ ية شيطانية ولم تعوّل عليها ولم تلق لها بالا .

وبسرعة تم الزواج وأصبحت هذه الفتاة زوجة ، وكانت مثال الزوجة المطيعة المخلصة وعاشت حياتها الزوجية مثل أى حياة ممتزجة بالألم ، والفرح ، والمرارة ، والسعادة ولكنه كان يغلب على حياتها الجانب المرير ، وعاشت حياتها ولم تنس الله ابدا . . فلقد كانت علاقتها بالله طيبة ، حريصة على ذكر الله وشكره سبحانه وتعالى ، وبالرغم من إنشغالها فى حياتها الزوجية إلا أنها كانت تحس بلمسات حنان الله عليها ، وحبه الكبير لها ، وبالنعم التى يفيض الله عليها بها فى كل لحظة .

فلقد ظن الكثير من الناس بأن هذه الفتاة عندما تتزوج ستنتهى حالتها الروحانية وستنشغل بحياة الزوجية ولن يكون هناك مكان للرؤ ى أو للحالة الروحانية .

ولكن فى الحقيقة العكس هو الذى حدث . . فبالرغم من الإنشغال فى الحياة الزوجية ومطالبها إلا أن الله كان يفيض على هذه الفتاة بلمسات حبه وحنانه وعطائه فأفاض عليها بالرؤ ى الصالحة التى تنير بصيرتها ، وتثبّتها على طريق الله ، وتقوّى إيمانها ، وتعمرّ قلبها بالحب لله .

وعاشت حياتها وكان هدفها هو الله . . ومن هذا المنطلق كانت دائما تتصرف خوفا من غضب الله وحبا ومرضاة له عز وجل إلى أن أنعم الله عليها بأن بدأت تحس بأنها تحمل فى أحشائها جنينا سيخرج إلى النور بإذن الله بعد تسعة شهور ، وهنا الفرحة ملأتها وغمرتها السعادة والرضا وتوجهت إلى الله بالحمد والشكر على فضله العظيم ، وأيقنت بأن هذا الجنين سوف يخفف الكثير من آلامها .

وتسير هذه الزوجة فى حياتها مؤمنة . . املة . . فرحة . . سعيدة . . هادئة . . لا تنسى ربها ابدا ، ولا تغفل عن دورها الإيجابى فى الحياة كزوجة فى الحاضر وأمًا فى المستقبل بإذن الله ، وتحس بكل خلجة ، وبكل همسة ، وبكل دقة من دقات وهمسات وخلجات ما تحمله . . تشعر بنبضاته وحركاته ومع كل حركة تزاداد فرحتها به تحيا وهى منتظرة الأمل والحب والحياة لها ولمن حولها فتعرف لأول مرة معنى الأمومة . . إنها كلمة عظيمة تحوى الحب والتضحية تهب العطاء الذى يبث الخير والأمل دائما ولا يوجد ما هو أعظم من الإحساس بالإيمان بالله ، وبمشاعر الأمومة وما يصاحبها من المعانى السامية النبيلة وتكبر هذه المشاعر مع هذه الزوجة المؤمنة يوما بعد يوم ، ولحظة بعد أخرى حتى يبدأ صراخها الأول من الألم الذى يعتصر جسدها كله . . الألم الممتزج بالفرحة التى تملأ كيانها كلها فتظل تصرخ حتى تسمع وتخرج الصرخة الأولى إلى الحياة والتى هى بمثابة الإبتسامة الحية والنور الفياض الذى أنعم به الله عليها فتنسى ما اعتراها من ألم وما بجسدها من أوجاع فإنها طالما تألمت فى حياتها وتقبّلت هذا الألم وتحمّلته بكل حب منتظرة آملة اخيرا فى الإبتسامة التى تعوّضها كل آلامها .

وفجأة وبعد ولادتها بأيام فقدت وليدها ، فبالرغم من أنه كان مصاباً أليماً هزّ مشاعرها إلا أن إيمان هذه الفتاة بالله كان أكبر وأعظم من أى حدث أو أى ألم وبسرعة أدركت الموقف بقلبها المؤمن وبدأت تقول لنفسها حتى

يزداد إيمانها مؤكدة بأن إيمانها أقوى من أى شىء آخر فبدأت تهتف لنفسها :

يأيتها النفس المؤمنة لا تحزنى لفراق وليدك . . لا تكن ذكراه ألما دفينا عندك ادركى واعرفى أن هذا إبتلاء من الله لك . . إمتحان يقيس به الله إيمانك وصبرك وحبك له فاثبتى ولا تتخاذلى ابدا واعرفى أن قضاء الله وقدره هو الرحمة لك ولمن فقدت . . فإنه الآن فى مكان أفضل ، وفى مكانة أرحم وأفضل مما سيكون معك . . لقد اختاره الله عز وجل لكى يكون بجواره ولينعم بالحب الإلهى والخير والرحمة له . . فإنه فى مأمن فاطمئنى وأهدئى بالا وسيرى فى طريق إيمانك وصبرك بقوة أكبر ، ولتكن مثابرتك وتقبلك لقضاء الله هو دفعة اخرى قوية إلى الإيمان وحب الله ولا تكن ذكرى من فقدت ألما لك بل تكون حمدا وشكرا لله لأنه بلا شك إختار الخير والرحمة لك ولأعز من أحببت فلتشكرى الله وتحمديه على ذلك مؤمنة . . آملة . . قائلة دائما :
الحمد لله على ما قدرّت وأعطيت . . . .
سائرة فى الطريق الذى يرضاه الله لك ولا شك فى النهاية أن الله عز وجل سيعوض صبرك خيرا ، وسيهب لك خيرا مما فقدت ما دام إيمانك قويا . . سائرة فى طريقك عزيزة قوية بالله وبحبك العظيم له .
وفى ذلك يقول الله عز وجل : وبشر الصابرين .
فتحظى بذلك بالبشرى فى الدنيا والآخرة فتصبحين من الفائزين .

كانت هذه الكلمات التى هتفت بها الفتاة لنفسها بمثابة السحر والدواء الشافى الذى جرى فى جسدها كله مجرى النهر حيث أحست بالهدوء والسكينة ، وكأن مياهاً باردة مثلجة تنزل على صدرها فتطفىء نار الألم والحزن وشعرت بأن إيمانها بالله يزداد ويقوى وبدأت تميل إلى التأمل فيما يدور حولها .

وهنا وقفت الفتاة وقفة مع نفسها وبدأت تعيد حساباتها وتفكر فى هذا الحدث . . فهى أمام حدث فى ظاهره العذاب ولكنه يحمل فى باطنه لمسة حنان إلهية كبرى لم تدر كها فى ذلك الوقت ولكنها أدركتها فيما بعد عندما توالت الأحداث وعرفت أن فقدان وليدها كان لمسة حنان وحب من الله أراد به الرحمة لهذه الفتاة . . وهنا تذكرت قول الله تعالى :

وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم

وعادت إلى حياتها مرة أخرى ولكنها أصبحت أكثر تأملا فيما يدور حولها ، وأكثر تبصرا فى آيات الله فى نفسها كأن هذا الموقف حدث ليفيقها ويجعلها تتأمل وتتبصر وتتفكر وتزن الأمور وتحاسب نفسها .

وهنا تذكرت الفتاة الرؤ ية التى رأتها قبل موعد الولادة بأيام حيث رأت أنها أنجبت طفلا مكتوبا فى أعلى رأسه (على جبينه) لا إله إلا الله ولكنها رأت سواد على هذا الطفل ولم تدرك وقتها مغزى هذه الرؤ ية ولكنها تحققت بوفاته .

وسارت حياتها إلا أنه كان إحساسها بالألم والمرارة والوحدة والغربة يزداد وكان أملها كله فى الله ، وفى لحظة من اللحظات المريرة القاسية التى لا تُنسى توجهت هذه الفتاة إلى الله عز وجل ودموعها تلاحقها ودعت ربها بقلب مخلص مؤمن بأن ينجيها من هذه الحياة وستهب حياتها وطريقها ونفسها لله وحده وعاهدت الله ذلك ، وإن العهد كان مسئولا .

وكأن أبواب السماء كانت مفتوحة ، فلقد استجاب الله عز وجل إلى دعاء هذه العابدة ، وفجأة تم الإنفصال . وهنا تذكرت الفتاة حدث فقدان وليدها وتأكدت بأن هذا الحدث كان فى ظاهره العذاب فعلا ولكنه كان يحمل الحنان والرحمة فى باطنه .

أليست هذه لمسة حنان وآية حب من الله العلى القدير . . ؟

وما أكثر لمسات الحنان الإلهى ، وآيات الحب الربانى على هذه الفتاة .

وبينما كان الإرتباط عند هذه الفتاة معذّباً ، جاء الإنفصال هادئا مريحا .

الفصل السادس

الإنفصـال المريـح

وأخيرا تم الإنفصال وأسُدل الستار على جانب من حياة هذه الفتاة وهو جانب الحياة الزوجية .

ومثلما كان الإرتباط سريعا ، جاء الإنفصال أيضا سريعا ولكنه كان إنفصالا هادئا مريحا .

قد يعتقد الكثير منا أن الإنفصال شىء مزعج ومخيف وخاصة بالنسبة للمرأة ، وأنه لو حدث إنفصال لأى امرأة فالأسرة تنزعج ولا يهدأ لها بالا حتى تتزوج هذه المرأة مرة أخرى وتعيش الأسرة فى جو مصحوب بالقلق والخوف حتى يتم الإستقرار أى الزواج لإبنتهم

إلا أن الأمر كان مختلف تماما عند هذه الفتاة ـ بطلة قصتنا ـ حيث كان الإنفصال شيئا مريحا بالنسبة لها . . فيه وجدت ذاتها ، وبه شعرت بالأمن والأمان وتبدّل خوفها إلى إستقرار نفسى وهدوء روحى عميق . . لم تكن منزعجة بشأن المستقبل . . فالمستقبل بيد الله وحده ، فبدأت تهدىء من قلق المقربين لها الذين انتابتهم حالة من الإنزعاج بشأن أمرها ومستقبلها فبثت فيهم الهدوء ، وأشعرتهم بالراحة ، وأزالت عنهم إحساس الخوف والقلق . . فهى لم تكن سعيدة فى أى يوم مثلما هى سعيدة الآن ، وكان لديها شعور عميق بأنها مقبلة على حياة أخرى جديدة . . حياة فيها الهدوء والإستقرار . .
الأمن والأمان . . النور والصفاء فبدأت تشعر بالفرحة والسعادة والسلام الروحى الداخلى يبث فى كيانها كله .

لقد كان هذا الإنفصال نقطة تحوّل فى حياتها ، وبدأت تعود إلى

التأمل والتفكر فيما يدور حولها ، وفى الأحداث التى مرّت بها ، وتذكرت فضل الله العظيم عليها وكيف أن الله عز وجل كشف لها كل ذلك فى صورة رؤ ى ولكنها لم تكن تدرك معنى أو مغزى ما تراه فى وقتها بل اعتقدت أن هذه الرؤ ى شيطانية ولم تعرف أنها ترى الحقيقة وهنا تذكرت أحداثا كثيرة كان قد كشف الله لها عنها ولكنها لم تفطن لها فى ذلك الوقت ، والآن فهمت أمورا كثيرة لم تكن تفهمها وقتها . . . .

فلقد تذكّرت ما رأته ليلة زفافها بأن زواجها لن يستمر . واعتقدت أنها رؤ ية شيطانية . . إنها إذن كانت حقيقة يكشف لها الله عز وجل عنها .

ثم الرؤ ية التى رأتها قبل زواجها بشهرين بأن هناك سهام سوداء موجهة إليها ويجب عليها الإستعانة بالله وحده واللجوء إليه عز وجل والصبر حتى تتصدى لهذه السهام وهى الرؤ ية التى ذكرناها بالتفصيل فى الفصل السابق .

إن هذه الفتاة لم تفهم مغزى هذه الرؤ ية وقتها ولكنها بعد الإنفصال فهمت معنى الرؤ ية : إنها كانت إذن مقبلة على صعاب ويجب عليها الإستعانة بالله وحده والصبر كما أن الرؤ ية بشرّتها بالخروج من هذه المحنة بإذن الله وأمره ، وهذا ما حدث بالضبط .

ثم عرفت الآن معنى الصوت الذى كان يناديها وهى زوجة ويقول لها : « غيرى عتبة بيتك »

ان هذا الصوت جاءها مرارا وتكرارا وخاصة فى الفترة الأخيرة ولكنها لم تلق بالا له وظنتها أنها رؤ ية شيطانية لأنها لم تكن تملك من الأمر شىء حتى تغير عتبة بيتها . . من هذا الفهم المحدود والأفق الضيق لم تعوّل على الرؤ ية ، ولكنها فهمتها الآن وعرفت أنه نبأ يقال لها على صورة أمر فيكشف لها بأن هذه العتبة ستتغير .

ثم فهمت الآن معنى الكلمة التى كانت دائما تراها مكتوبة أمامها باللون الأبيض وهى كلمة « الطلاق » . . لم تفهم معناها فى ذلك الوقت لأن هذه الفتاة لم يتبادر إلى ذهنها فى أى لحظة الإنفصال ، فكانت هذه الرؤ ية إشارة سريعة إلى ما سيحدث فى المستقبل بإذن الله .

وهنا وقفت الفتاة وقفة طويلة ، وذهبت بفكرها إلى الوراء . . إلى ما قبل زواجها بحوالى سنتين أى قبل أن تتعرف إلى زوجها أو حتى تراه حيث رأت رؤ ية تشير بأن الله عز وجل سوف يبتليها ابتلاءا شديدا والدعوة لها بالصبر على هذا الإبتلاء الشديد ، واذا كانت من الصابرين فإن الله سيثيبها على ذلك ثوابا عظيما .

وقفت هنا الفتاة وقفة تأمل طويلة ، ولحظة تفكر عميقة وسألت نفسها : هل من الممكن أن يكون ما مرت به هو الإبتلاء المذكور والمقدّر لها أن تحياه . .

وكان لديها فى هذه اللحظة شعور دفين بأنه هو الإبتلاء الذى بُلغّت به . . والله أعلم .

ثم فاقت الفتاة من وقفتها مرة أخرى وهى غارقة فى بحار التأمل والتفكر فتذكرت الرؤ ية التى رأتها وهى زوجة ولم تفهم معناها حتى الآن حيث رأت :

أن شيخا وقورا يوقظها ويصيح فى وجهها بهذه الكلمات :

« استيقظى من نومك ، وكفاك غفلة ، وهيا كى نبدأ العمل »

تأملت الفتاة فى هذه الرؤ ية وتفكرت فيها كثيرا وسألت نفسها مرارا وتكرارا :

ما هى الغفلة التى لابد أن أستيقظ منها ،

وما هو العمل الذى يجب أن أبدأه ؟

ولم تعرف الفتاة ما هو المقصود من هذه الرؤ ية واحتارت حول مغزاها فتركتها للأيام والأحداث حتى يأذن الله فتكشف لها هذه الأحداث بأمر الله المعنى الباطنى للرؤ ية . . وكثيرا ما كانت ترى الفتاة رؤ ى ولم تفهم معناها ومغزاها فتتركها حتى تتحقق بإذن الله فتفهم الكثير مما لم تفهمه من قبل ، وكل ذلك بأمر الله وحده ومشيئته حيث يكشف لها حقيقة الشىء الذى تراه بفضله فتحمد الله عز وجل جلاله على ذلك كثيرا .

وتعود مرة أخرى هذه الفتاة إلى مسرح الأحداث حيث مازالت تسبح فى بحار التأمل والتفكر فتتذكر دعوتها إلى الله عز وجل وعهدها له ، وهنا تقف وقفة تأمل ممتزجة بالرهبة والخشوع . . لقد استجاب الله عز وجل إلى

دعائها وأجاب طلبها ونجاّها من هذه الحياة ، وبقى عليها أن تحافظ على عهدها لله . . لقد كان عهدها صادقا ولم يكن كما يظن بعض المقربين اليها أنه عهدٌ جاء فى لحظة ضعف إنسانى بالعكس فلقد كانت مخلصة فى عهدها إلى الله . . صادقة فى دعائها ، وكانت كلماتها ومناجاتها إلى الله أمنية تتمنى تحقيقها فى يوم من الأيام فتحقق لها ما طلبت وعليها الآن أن تحافظ على عهدها ، وإن العهد كان مسئولا .

وتقطع الفتاة على نفسها حبل أفكارها ، وتخرج من تأملها للحظات حيث تجرى لتتطهر وتصلى وتسجد لله عز وجل حمدا وشكرا له على نجاته لها ، وتكرر عهدها له مرة اخرى بكل صدق والدموع تذرف كأنها نهر يجرى لا تستطيع ايقافها وتعاهد الله على أن تسير فى طريقه واهبة حياتها ونفسها وطريقها كله له هو وحده ، وطلبت أن يعينها على ذلك ويهيئها لذلك ويصقلها ، ويقوّمها ، ويربّيها ، ويهذّبها ، ويؤدّبها ، ويجعلها فى الصورة التى يرضى بها عنها .

فأحست هذه الفتاة كأن شعاعا من الأمن والسكينة ينزل عليها والإطمئنان يسرى فى كيانها كله ، والسعادة تغمرها ، والرضا يحيطها بهذا العهد الصادق النابع من الوجدان الذى عاهدت الله عز وجل عليه .

ومن هنا أصبحت هذه الفتاة لا تفكر فى الزواج مرة أخرى بل غير راغبة فيه وترفض هذا المبدأ بشدة حتى مشاعرها وأحاسيسها فى أن تصبح أمّا وتكوّن أسرة كأى فتاة فى مثل سنها انتهى ولم يعد له وجود فى نفسها وكيانها . فلقد أصبحت الآن مشغولة بطريق آخر وبحب عظيم هو كل حياتها وأملها وهدفها وفكرها وكيانها كله وهو حب الله ، والسير فى طريق الله ، والعمل للقرب من الله . . تحس كأنها سائرة فى طريق مستقيم صاعد لا تريد أن يستوقفها أحد أو يشغلها شىء عن هذا الطريق ويبعدها عن هدفها . . ومن هنا أصبحت أى متعة بالنسبة لها صغيرة جدا ضئيلة للغاية فإن سعادتها الكاملة ومتعتها الحقيقية فى حب الله وما عدا ذلك فهو صغير جدا لا تقف عنده . . فكل شىء يتضاءل ويفنى وينتهى ولم يعد له وجود أمام الهدف الأكبر والأسمى وهو حب الله والقرب من الله . . فأصبح العطاء عندها كله لله ، والحياة كلها لله ، والأيام كلها لله ، واللحظات كلها لله . . . .

هل هناك بعد هذا أى هدف آخر أو أى أمل آخر ؟
وتصبح هذه الفتاة مشغولة بهذا الحب الذى يكبر معها يوما بعد يوم ، ويزداد لحظة بعد أخرى .

إن الحياة طريق واسع طويل ، وأحداثها محطات يمر بها الإنسان ولها تأثير فعال على كل فرد ولكن يختلف هذا التأثير من شخص لآخر . . فهناك من يمر على هذه المحطات مرارا سريعا ثم يستكمل طريقه الذى بدأه وتكون هذه المحطات عونا له فى الطريق ، وهناك من يتوقف عندها حيث يعرف ويدرك أنه ضل الطريق ، وأن هذه المحطات لم تكن عونا له بل أفقدته هدفه الرئيسى ومساره الصحيح فتعتبر بالنسبة له عثرات وصعاب أوقفته وأبعدته عن غايته المنشودة . . وهنا يجب عليه أن يترك هذه المحطة ويعود فورا إلى طريقه الأصلى الذى بدأه قبل أن تقابله هذه العثرات .

وبالرغم من أن هذه المحطات كانت سببا فى تعطيله وتأخيره إلا أنها كانت لها أهمية كبرى فى حياته حيث كان من الضرورى أن يمر عليها ويتوقف عندها ليدرك طريق الصواب ، ويحدد أين يقف ، ويعرف هدفه فى الحياة فيستكمل طريقه قويا مؤمنا بالله راجيا فى عونه ورحمته وهدايته .

ونستطيع أن نستبين ذلك واضحا فى قصة هذه الفتاة حيث نجد أن مرحلة حياتها الزوجية وما مرت بها من أحداث أبعدتها عن طريقها الرئيسى وبدلا من أن تكون عونا لها بالعكس أفقدتها هدفها وقطعت عليها الطريق ، ولكن بالرغم من أن هذه الأحداث كانت محطات توقفت عندها الفتاة وعثرات أبعدتها عن مشوار حياتها إلا أنها اصقلتها وأرشدتها إلى هدفها وأدركتها بغايتها المنشودة وعرفّتها بطريقها الصحيح . . فكانت لهذه المحطات منفعة وأهمية كبرى حيث عرفت الفتاة أين ستسير ؟ وأى طريق ستسلك ؟ وأدركت ماذا تريد ؟ وما هو هدفها فى الحياة . . ؟

ومن هنا عادت إلى طريقها الرئيسى الذى بدأته حيث عرفت وأيقنت أن فيه سعادتها وراحتها ومتعتها وهناءها ، وبه غايتها المنشودة وحياتها الحقيقية التى تتمنى أن تحياها وهو طريق الله وحب الله ، وأصبحت هذه

الأحداث التى مرّت بها بصمات رسمت وحفرت فى طريق حياتها لتصقلها فتستكمل الطريق على هُدىً سليم وبعون رب كريم .

ومثلما كان حدث وفاة طفل هذه الفتاة لمسة حب وحنان من الله العلى القدير لها ورحمة بها ، كان الإنفصال ايضا لمسة حنان أخرى لها ونعمة كبرى تشكر الفتاة الله عز وجل عليها حتى هذه اللحظة . . فأشرقت شمس حياتها من جديد ، وسارت فى طريقها عابدة لله . . مخلصة له هو وحده . . محافظة على عهدها له . . لاجئة إليه . . فقيرة محتاجة إليه وإلى عونه ورحمته وهدايته على الدوام . . موجهة كل لحظة فى حياتها له هو وحده فأنعم الله عليها بالمزيد من النعم التى لا تُعد ولا تُحصى ، وأفاض عليها سبحانه وتعالى بعطاء فياض ملىء بلمسات حنانه الكبرى ، وآيات حبه العظمى .

الفصل السابع

عطاء الله
ولمسات الحنان الإلهى

إذا سمحنا لأنفسنا أن تتحدث عن الله ، وتركنا لأقلامنا العنانّ لتسطّر عطاء الله ، وفتحنا لقلوبنا الطريق لتنبض بحب الله . . وتلمس حنان الله فسنشعر بالرهبة والخشوع والنور يملأ وجداننا والصفاء يحيط بنا ونصل فى النهاية إلى العجز . . العجز عن الحديث عن الله . . العجز عن وصف عطاء الله . . العجز عن التعبير عن فيض الله وعظمة آيات الحب الربانى . . وروعة لمسات الحنان الإلهى مما يقودنا إلى الإيمان بالله والسجود لله الواحد القهار حامدين شاكرين الله مؤمنين عارفين ذاكرين فضل الله علينا ولولا فضل الله علينا ورحمته لكنا من الخاسرين .

﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾ (القلم : ١)

يقسم الله تعالى بحرف وقلم وسطر من الكلمات .

وذلك أن حرفا واحداً يمكن أن يقود الإنسان إلى الله . .

حرف واحد . .

لو فكر الإنسان فى قدرة الله الممثلة فى خلق الحروف ، وخلق الكلمات ، وجعلها رموزا وإشارات ، وجعلها خطوطا تحتوى داخلها على الكون الأكبر وتملك القدرة وهى تمشى على الأوراق أن تعبر عن ملايين الصور والأحلام والدهشة والإكتشاف .

لو فكر الإنسان فى هذا كله لعرف قدرة الله وآمن .

يسجد القلب الإنسانى لله الواحد الرحمن ، ويلهث وتعلو صوت دقاته التى تنبض بسرعة شديدة متسابقا مع الزمن فى حب الله محاولا أن يسبق القلم ويقفز فوق السطور وكأنه يريد أن يحفر بداخله ويحفظ الكلمات التى تهبط عليه خائفا من فقدانها متمنيا أن يسجل ويثبّت المشاعر والأحاسيس التى يتفاعل بها ويهتز لها ويذوب معها سابحا فى إشراقات النور التى هى هبة من عند الله .. وفيضا من فيوضات عطائه .

وعطاء الله .. عطاء ممدود لا ينتهى ولا يقف عند حد .. هو عطاء لايتوقف قبل خلق الإنسان ، ولا يتوقف أثناء حياته ، ولا بعد موته ، ولا حين بعثه أو ساعة حسابه .. هو عطاء الأكرمين سبحانه ..

فى البدء كان الله ..
ولا شىء مع الله ..
ولا شىء غير الله ..
قائم بنوره وكبريائه وحده .

استغنى بذاته عمن سواه ، وافتقر إليه ما عداه ، وما كان هناك سواه ، ولا كان هناك ما عداه لأن الله تعالى هو الله وهو الخالق ، ولأنه يعلم سبحانه إفتقار من لم يخلق بعد من خلقه إليه ولأن مشيئته تنفذ بمجرد توجهها إلى الشىء ، تشاء إرادته سبحانه الخلق ، فيأمر الكون بالمثول بين يديه حضورا من العدم .. طائعا أو كارها .. فيمثل الكون ساجدا بين يدى الطاعة .

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾

(فصلت : ١١)

ثم تشاء إرادته سبحانه أن يفيض من رحمته وعطائه فيخلق الخلق ، ويمضى فيض الرحمة والعطاء فيخلق آدم ، ويستمر فيض الرحمة والعطاء فيخلق من آدم وزوجه النوع الإنسانى ، وتصل الرحمة قمتها ، ويبلغ العطاء ذروة الذرى فيرسل الله بأنبيائه ورسله فإذا نحن نستمع إلى المزامير التى أفاض بها عز وجل على سيدنا داوود عليه السلام ، وإلى التوراة التى أنزلها سبحانه على سيدنا موسى عليه السلام ، وإلى الإنجيل الذى أنزله جل جلاله على سيدنا عيسى عليه السلام ، وأخيراً القرآن الكريم .. هدية

الله إلى العالمين الذى أنزله سبحانه الله العظيم على رسوله وعبده المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم .

إن القرآن الكريم هو كتاب الله العظيم . . مآدبة الله التى تسع الناس جميعا ، فيها النور والهُدى والحكمة والموعظة الحسنة ، والمثل والعبرة ، والتوجيه والمشورة ، وأدب المعاملة ، وفضائل السلوك ، إنه دستور الحياة الذى يوضح لنا الطريق الأمثل الذى يجب أن نسير فيه للقرب من الله عز وجل ويرسم لنا التشريع الأعلى الذى يجب اتباعه حتى نفوز بحب الله ورضاه .

حقا . . إنه هدية الله إلى العالمين .

ثم كانت البداية كنزا مخفيا .

ثم شاء رب العالمين أن يخلق معجزاته . . من العدم إلى الدخان إلى الماء إلى بلايين النجوم إلى قطعة الصلصال إلى الخلية الحية إلى مخلوق يكتشف الكون ويبحث فى السماء ويعرف الحب ويسعى لعطاء خالقه .

أى قدرة من الله . . وأى حب للإنسان . .
يقول العارفون بالله . . :
ذكرنا الله قبل أن نذكره ، وعرفنا قبل أن نعرفه .
وأعطانا قبل أن نسأله ، ورحمنا قبل أن نتضرع اليه .
كيف نسمح لقلوبنا أن يكون فيها سواه .

يجد العارفون بالله أن الحب قانونا حاكما فى الوجود ، ويرون أن عطاء الله سبباً فى ميلاد الكون والإنسان ، ويحسون أن رحمة الله نسيج يشف به ثوب الكون على رحابته وجلاله ، وهم يرون أن الله قد خلقنا ليتفضل علينا بحبه . . وخلقنا ليتفضل علينا مرة ثانية بأن يسمح لنا بحبه :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (المائدة : ٥٤)

إن الله يتوعد إثم الإرتداد عن الدين وهو أفدح الذنوب القاسية ، بأرقى ما فى الوجود من مشاعر الحب وقيمه ، إنه لا يهدد المرتدين عن دينهم بالنار أو النحاس المصهور أو القتل ، إنما يهددهم بأن يستبدلهم بقوم يحبهم ويحبونه . . إن القيمة الوحيدة التى تقف على نقيض الردة والشرك هى حب الله .

نعرف أن قانون الحب الأعلى هو العطاء . .

إذا كان الحب عطاء ، فإن الله هو المعطى وحده فى الحقيقة . .

يعطى الله تبارك وتعالى للعبد كل شىء ، ابتداء من نعمة الخلق من عدم وانتهاء بنعمة القبول والإدخال فى الرحمة . ماذا يعطى العبد لله تعالى مقابل ذلك . . ماذا تستطيع أنت كإنسان أن تعطى لله . . لا شىء على الإطلاق .

لو أنفق الإنسان كل ماله فى سبيل الله ، فإنه لا يعطى الله شيئا ، لأن المال مال الله الذى استأمنك عليه وأودعه عندك ، ولو مزق المرء جسده آلاف الشظايا فى سبيل الله فإنه لا يعطى الله شيئا لأن الجسد ملك الله الذى سخره لك ، ولو ناءت روحك تحت أثقال العذاب فى سبيل الله فإنك لا تعطى الله شيئا . . أنت وما تملك ملك لله أصلا ، ولا يُقال لمن يرد الوديعة للمالك الأصلى أنه يعطيه .

وإذن لا يسرى قانون العطاء حقيقة إلا على الله . .

برغم ذلك . . نرى الكريم العظيم يقبل من الناس الشكر بدلا من العطاء ، ويجعله - رحمة منه - سببا فى زيادة العطاء .

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (ابراهيم : ٧)

يخبرنا الله تقدست ذاته عن استعلاء ذاته وحاجة عباده اليه :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾
(فاطر : ١٥)

يحتاج الناس جميعا إلى الله . . ويفتقر العباد جميعا إلى الله ، وتتساوى جميع الخلائق فى الإفتقار إلى الله والحاجة إليه وعدم الاستغناء عنه ابداً .

يدرك المؤمن بوعيه أنه يحتاج إلى رحمة الله وعونه .

ولا يعى الكافر أنه يعيش عالة على نعم الله رغم أنه يجحد المنعم .

اختلاف الادراك عند العارفين والمنكرين هو الذى يضع العارفين على قمة الخليقة بسبب الوعى ويضع المنكرين فى مرتبة أدنى من حصى القاع وصخور الجبل .

تقوم العقيدة الإسلامية على قاعدة رئيسية تقول أن جميع الكائنات تعرف لها خالقا هو الله ، وتدرك بطبيعتها الخاصة أن لا قيام لها بغيره وتسبّح له وتعبده بأسلوب غامض قد يخفى على بقية الخلق لا يعلمه إلا الله وحده .

لا يخرج عن هذه القاعدة أحد ، ولا يشذ عنها مخلوق . . يستوى فى ذلك النجم والشجر :

﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾ (الرحمن : ٦)

يستوى فى ذلك حيوان الصحراء الشارد وصخور الجبل الهاوية .

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

(الاسراء : ٤٤)

يستوى فى ذلك المؤمن والمنكر . . إذا كان المؤمن يسبح الله بلسانه وعقله وقلبه ، فان المنكر لوجود الله لا يستطيع الزعم بأنه هو المسئول عن تسيير قلبه ودقاته ، ولا يستطيع الزعم بأن آلاف العمليات الكيميائية والتى تقع فى معدته تقع تحت إشرافه وهيمنته وتحكمه . . هذا النظام المحكم الدقيق نوع من أنواع تسبيح الخلايا لله ، وإذن لا يستطع أعتى الكافرين أن يمنع خلايا جسده من تسبيح الله رغم أنفه ، ولا يستطيع أن يمنع جوارحه من الشهادة عليه يوم القيامة رغم أنفه . . وإذن يبقى القهر الإلهى قائما فى الحالتين . . فى الدنيا والآخرة .

معيار التمييز هنا هو الوعى .

وعى الكائن بحقيقة وجوده ، واكتشافه أنه سيد من صنع الله ، وعبد لرحمته وجلاله .

ماذا لو سقط عن الإنسان وعيه بالله ؟ ماذا لو أسقط الإنسان وعيه بالله ؟

يحدثنا التصور الاسلامى عن حجارة أرق وألين من قلوب البشر

يقول الله تعالى :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ (البقرة : ٧٤)

يصرح النص القرآنى أن هناك حجارة تهبط من خشية الله ..

يصرح النص القرآنى أن هناك قلوبا من اللحم والدم حاربت الله وأنكرته .. خلقها أرحم الراحمين فحاربته وأنكرت نعمته وقتلت أنبياءه واضطهدت أولياءه وسخرت من المؤمنين ..

كيف ؟

أيكون لحجارة الجبل من الوعى الغامض والإدراك الصامت ما ليس لإنسان ينكر الله تعالى ؟

نعم ..
وسيبقى إجابة السؤال سر من أسرار الخليقة .

إن الوعى صفة إنسانية أصلا .. وإنخلاعها عن الإنسان يعيده عاريا إلى التراب الذى جاءت منه نشأته الأولى .. بل إن إنخلاع الإنسان عن وعيه بإرادته ، وكفره بالله تعالى ، يجعله ينزل فى مرتبة الخلائق عن درجة التراب الذى جاء منه .

تأمل قوله تعالى فى القرآن الكريم مخبراً عن أحد الكافرين وكيف يلقى أمنيته فى وجه التعاسة التى تنتظره يوم القيامة قائلا :

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾ ﴾

(النبأ : ٤٠)

وإذن فقد صار التراب أمنية ورغبة مشتهاة .

وكيف يكون التراب أمنية إلا إذا كان الإنسان بغير وعى أو إدراك أقل منه وأدنى؟.

ومن هنا تجىء أهمية معرفة الله تعالى . . بغير معرفة الله ينعدم وعى الإنسان وتصير حجارة الجبال أرق من قلبه وألين ، ويصير تراب الحقول أشرف من عقله وأكرم .

والمعرفة أنواع عديدة منها معرفة الإنسان لنفسه ، ومنها معرفة الإنسان لخصائص الحياة وطبائع الأشياء ، ومنها معرفة الإنسان لربه ، وهذه المعرفة الأخيرة أخطر من دقات قلب الانسان للإنسان ، ونحن نعرف أن توقف القلب يكون إيذانا بوفاة الإنسان وعودته إلى التراب ، ولكنا لا نعرف أن توقف معرفة الله عند الإنسان تعنى وفاة الوعى الإنسانى .

وأخطر أنواع الموت موت الأحياء الذين لا يدركونه . . وهذا ما يكرهه الله لعباده أن يكونوا قلوبا لا تشعر ، وعقولا لا تعرف ، وآذانا لا تسمع ، وعيونا لا ترى . .

يأبى الله لعباده أن يكونوا كائنات بغير وعى . .

لهذا دعا الله تعالى الخلق إلى عبادته . . وأفهمهم أنه تبارك وتعالى غنى عن انتظار الرزق منهم ، إنما هو الذى يرزقهم ويطعمهم . . وأخطر رزق يسوقه إليهم هو دعوتهم إلى عبادته ومعرفته .

قال الله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾

(الذاريات : ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨)

تشحب كل أنواع الرزق جوار هذا الرزق . . وتنفذ كل أنواع الرزق ويبقى هذا الرزق . . رزق يتمثل فى الإذن لعباده أن يعرفوه والسماح لهم أن يعبدوه ، ولولا لطفه بالخلق لتركهم يولدون ويهلكون أقل مما تولد الأشياء وتهلك . . ولولا هذا الحنان من لدنه لما عرفنا أن لنا خالقا نتجه اليه بذل الدعاء ، ونعرف فى الذل مجد العبودية .

إن الله عز وجل هو الغنى عن عبادة العابدين وهو المتعالى على إنكار المنكرين .

ولو أن الجن والإنس منذ خلق الأرض إلى يوم البعث كفروا بالله وألحدوا فى أسمائه ما خدش ذلك شيئا من جلاله ، ولو أنهم عبدوه حق عبادته ما زاد فى ملكه شيئا ، إنما يزيد العابد فى ملكه الخاص حين يعبد ، ويجور الكافر على ملكه الخاص حين يكفر ، وليس فى الكون المرئى أو الخفى مخلوق إلا ويعيش عالة على الله عز وجل . . ليس فى الوجود من يقوم بنفسه من الخلائق . . حتى الملائكة تقوم بأمر الله وإذنه . . عالة على نوره ورحمته ، مثلما يعيش البشر والجن عالة على نعمائه ورزقه[1] .

ورد فى الحديث القدسى قوله تعالى :

(يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى .

يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا

يا عبادى لو أن أولكم وأخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا) .

إذن فإن دعوة الله عز وجل عباده لعبادته ومعرفته إنما هى أثراً من آثار حب الله للإنسان ولمسة من لمسات حنانه سبحانه إليه .

ومما لا شك فيه أن الكون كله ملىء بلمسات من الحنان الإلهى . .

---

(١) أحمد بهجت : الله فى العقيدة الاسلامية ، ص ٣٩ - ٤٢

فالوجود بأكمله . . بدايته ونهايته يشعر وينعم بلمسات الحنان الإلهى والأمان الربانى .

إن حنان الله يملؤنا ويحيط بنا فى كل وقت ، وفى كل لحظة . . فكل شىء من حولنا ينطق بلمسات الحنان الإلهى التى هى نبع فياض من حب الله الكبير .

إن الله لا ينسى الإنسان ابداً . . فإن رحمته تملأ أرجاء الوجود كله . . إن يده ممدودة إلى كل إنسان ، وأبواب الأمل والإيمان والرحمة مفتوحة دائما أمام كل فرد . . إن الله لطيفا لا ينسى عباده ابداً ، ولكن هل كل إنسان يشعر بلمسات من هذا الحنان الإلهى ؟

نعم إن كل انسان ينعم بهذا الحنان الإلهى الذى يملأ أرجاء الكون كله بل الوجود بأكمله . . إن فينا نفحة من الله فكيف ينسانا . . لابد أن الله يرعانا ويريد بنا الخير كل الخير . . ولكن هناك من يشعر بهذه اللمسة الحنانية الإلهية فيشكر الله عليها فى كل وقت ويحمده عليها فى كل لحظة ، وهناك من هو أعمى البصيرة جاهلا ظلوما لا يحس بهذه اللمسة الإلهية لأنه نسى الله فأنساه نفسه ولم يعد يرى إلا ملذاته التى يعبدها ويخضع لها .

إن حنان الله عظيم وجميل ورائع ، وفى كل لحظة نستطيع أن نلمس ونحس بهذا الحنان الإلهى الذى يفيض علينا فى كل وقت والفرق بين عبد وآخر هو ما يحس به . . فاذا كان العبد ذاكرا لله على الدوام سيشعر بالحنان الإلهى فى كل لحظة أما إذا كان ناسيا لله فإنه لن يلمس ولن يشعر بهذا الحنان .

إن الحنان الإلهى يملأنا وموجود ودائم فى كل وقت وفى كل لحظة ، ولابد أن نذكر الله دائما حتى ننعم بهذا الحنان الإلهى الذى لا يماثله أى حنان آخر وحتى نكون دائما فى دائرة النور الإلهى العظيم .

فالحنان الإلهى يفيض على كل العباد ، وعطاء الله لهم فياض لا حدود له .

وفى التحقيقة الحديث عن عطاء الله ولمسات الحنان الإلهى فى

الوجود حديث فياض لا ينتهى ولسنا بصدده للتحدث عنه الآن ولكن هذا ما سنفرده إن شاء الله فى كتاب آخر .

ولنعود مرة أخرى إلى أحداث قصة فتاتنا ـ بطلة هذه القصة ـ لنتابع سويا كيف كان عطاء الله لها عظيما وكيف كانت لمسات حنانه عليها رائعة لا حدود لها مما زادها ويزيدها فى كل لحظة إيمانا بالله ، ويملأها حبا كبيرا له يملأ كل حياتها . . تحيا به وله . . حبا يسعدها ويضىء أيامها نوراً وبهجة وجمالا . . حبا لم تحس به من قبل ، ولم تعهده من قبل . . حبا من الصعب وصفه حيث تحس أن كيانها كله نور يسبح فى حب الله ، ويصدر أشعته النورانية من السكينة والإطمئنان والإستقرار النفسى بفضل الله ويستقر فى الوجدان منة من الله ، ويظلها هذا النور برحمة من عند الله فتشعر بأن لمسات الحنان الإلهى تحيطها من كل جانب ، وومضات النور الربانى تحرسها وتحميها وكأنها فى عالم غير هذا العالم ، وفي دنيا ليست كهذه الدنيا ، وفى زمان غير هذا الزمان ، وفى مكان مختلف عن هذا المكان . . وتحس بالصفاء يملأها فتسجد لله باكية حامدة شاكرة داعية ربها بقلب مخلص يكاد أن يهتز ويهز معه كل شىء بأن يشغلها الله بحبه عن متاع الدنيا ، ويغنها بذكره عن الناس وأن يخرج الأشياء من قلبها وألا يجعل فيه سواه .

وهنا تقف الفتاة لتسرح كثيراً ، ولتتأمل كثيراً ، ولتسجد فى سجدة طويلا لتعاتب نفسها وتلومها : كيف تسمح لقلبها أن يكون فيه سوى الله . . ؟

كلا وألف كلا . . إن عطاء الله لها كان ولازال فياضا ولمسات حنانه عليها كريمة . . فإن الله رحيما بها ، ولطيفا معها ، وحافظا لها . . فكيف بعد كل ذلك تسمح أن يكون فى قلبها سوى الله ، وكيف تقبل أن يدق قلبها لغير الله . . كيف تعطى الفرصة للسانها لأن يثنى على غير الله .

كلا . . لقد عرفت الآن وأحست بفضل الله عليها فيجب أن تلتزم .

وتجد الفتاة نفسها غارقة فى أنهار دموعها ، هائمة فى بحار حبها لله طامعة فى رحمته وعفوه بأن يتقبلها بقبول حسن ويعفو عنها ، ويغفر لها ،

وأن يجعل كل همسة تهمس بها وكل دقة من دقات قلبها له هو وحده ، وأن يعينها فى توجيه كل مشاعرها وأحاسيسها له هو وحده . فلقد آلت على نفسها أن تهب حياتها وطريقها ونفسها له هو وحده ، وليعينها الله على ذلك ويهيىء من أمرها خيراً ويجعلها فى الصورة التى يرضى بها عنها .

بعد كل ذلك تجد الفتاة وتلمس من فيض عطاء ربها مايسعدها ويطمئنها ويبشرها بالخير فتشعر بفرحة غريبة تدخل قلبها . . ببهجة لها مذاق خاص فى نفسها ، إنه شعور وإحساس بالعمر كله .

لقد عرفت هذه الفتاة أن طريقها السليم فى حب الله ، وغايتها المنشودة فى حب الله ، وسعادتها الغامرة فى حب الله ، وحياتها الحقيقية فى حب الله ، وأيقنت تماما أن حب الله حقا هو أكسير الحياة . . ونبض الوجود . . وسر السعادة الكاملة .

فهيا بنا لنتأمل معا بين ثنايا السطور القادمة عطاء الله ولمسات حنانه الكريمة لهذه الفتاة التى سلكت طريق الله ، والحب له سبحانه يملأها ويعيش فى كل خلجة من خلجاتها ويستقر فى وجدانها ، ويجرى فى عروقها مجرى الدم . . ثابت فى كيانها . . نابض فى أعماقها .

لقد عرفنا من الفصول السابقة أن الله عز وجل أنعم على هذه الفتاة - بطلة هذه القصة - بالرؤى الصالحة منذ صغرها والتى تحس من خلالها بفضل الله وعطاء الله العظيم لها وتلمس حنان الله عليها .

وهذه الفتاة مثل أى إنسان تشعر بعطاء الله لها ونعمه التى لا تعد ولا تحصى فى كل لحظة متبصرة فى آيات الله فى نفسها ومن حولها متأملة فى قدرته العظيمة جل جلاله . . عظمت قدرته ، وتقدست ذاته سبحانه . . لا إله إلا هو .

فهى تلمس حنان الله عليها ، ونعمته الكريمة ، ورحمته اللطيفة ، وعطاءه العظيم إبتداء من نعمة الخلق والوجود إلى المرحلة التى تعيشها الآن بفضل الله وحده فى تجربة روحانية فيها الحب والحنان والجمال فى أجمل صوره وأسمى آياته وأروع معانيه . . ومازال فى العمر بقية ، ومازالت الأيام

سارية ، ومازالت أحداث الحياة جارية ، ومازال عطاء الله فياضا ، ومازالت لمسات الحنان الإلهى تحيط بهذه الفتاة التى تشعر فى كل ذرة فى حياتها ، وفى كل همسة من همساتها ، وفى كل نبضة من نبضاتها ، وفى كل حركة ، وفى كل موقف ، وفى كل حدث وفى كل لحظة تمر بها بنعمة الله ، وعطاء الله وتشعر من أعماقها ووجدانها وفؤادها بلمسات الحنان الإلهى حيث تذوب ذوباً فى عطاء الله بحيث أنها لا ترى فى الحياة إلا العطاء الربانى . . والحنان الإلهى . . والأمان النورانى . . والفيض الرحمانى .

ماذا تكتب الكلمات . . ؟ وكيف تعبر السطور عن هذا الفضل . . ؟

والله . . والله . . والله . . إن السطور عجزت ، والكلمات توقفت . . وبدأ القلم يجف وكأنه يعلن عجزه معلنا موضحا مصرّحاً بأن فضل الله ، وعطاء الله أكبر وأعظم من أى كلمات تكتب ، وأن لمسات الحنان الإلهى أروع وأجمل من أى سطور تُسطّر .

ويكفى أيها القلب أن تتأمل في قدرة الله ، وتتفكر فى عطاء الله ، وتتلمس حنان الله فتسجد حامداً شاكراً فضل الله عليك . . فإن عطاء الله ، ولمسات الحنان الإلهى ناطقة بنفسها . . معبرة بذاتها عن فضل الله العظيم وليست فى حاجة إلى شىء ليعبر عنها .

كل ذلك تحسه الفتاة وتحيا فيه وتعيشه بكل جوارحها وكيانها وأعماقها ولا تعرف كيف تحمد الله على ذلك العطاء الكريم والفضل العظيم ، وفى النهاية تجد نفسها عاجزة . . عاجزة . . عاجزة عن التعبير . . عاجزة عن الشكر ، فتسجد والدموع تغرقها داعية ربها بأن يتقبل سجودها له عز وجل لعل سجودها يستطيع أن يعبر عن ولائها لله وإمتنانها له سبحانه وحبها له الذى يملأها وينبض به كل حاسة من حواسها فتنعم بحياة صافية طاهرة هى فيض من فيوضات عطائه ، ولمسة من لمسات حنانه .

وعطاء الله لهذه الفتاة عطاء عظيم ، وحنان الله عليها حنان كريم ، وآثار هذا العطاء . . ولمسات هذا الحنان تختلف من شى إلى آخر :

- فمنها ما هو رؤى عظيمة جداً تقف الفتاة ازاءها وقفة تأمل وتحس

بالرهبة والخشوع أمامها ، وتصل الأحاسيس فى كيانها إلى القمة فتسجد حامدة شاكرة الله على فضله العظيم وعطائه الكريم .

- ومنها ما هو بُشرى لها وسبباً فى إدخال السكينة والطمأنينة إلى قلبها وبعث البهجة والسرور والإنشراح فى صدرها حيث تحس بالسعادة تملأها والفرحة تغمرها فتحمد الله على نعمته عليها .

- ومنها ما هو مرشداً لها يدفعها إلى تقويم سلوكها ، وتهذيب أخلاقها ، وصقل نفسها مما يجعلها تشكر الله على لطفه الكريم بها .

- ومنها ما هو كشفا لها يقودها إلى أن تعرف وتتبين وتشهد بنفسها حفظ الله بها ، وحمايته سبحانه لها ، ونجاته عز وجل لها مما يجعلها تحيا بين الألم والعافية . . تشعر بشعور الحزن والفرحة . . تحس بالخوف والرجاء فى وقت واحد فتقف وتشهد بنفسها لمسات الحنان الإلهى عليها فتثنى على الله العلى العظيم حامدة شاكرة رحمته سبحانه بها وفضله العظيم عليها ولولا رحمته جل جلاله بها وفضله عليها لهلكت هلاكا شديدا .

ولكن كيف ذلك . . ؟

فهيا بنا لنتحدث عن كل عامل من هذه العوامل على حدة ، فنتلمس بعضا من آثار هذا العطاء الربانى ، وجزءا من لمسات هذا الحنان الإلهى التى أفاض بها الله عز وجل تفضلا وهبة ومنّة من عنده سبحانه لهذه الفتاة العابدة . . بطلة هذه القصة . .

أولا - عطاء الله ولمسات الحنان الإلهى التى تتمثل فى الرؤى العظيمة والمشاهد الجميلة :

لقد عرفنا أن الله عز وجل أنعم على هذه الفتاة بنعمة الرؤ ية الصالحة ، وفى الحقيقة أن كل ما تراه الفتاة عظيما وجميلا وينطوى على عطاء عظيم من الله جل جلاله ، ويعبر عن حنان من الله كريم - وإن دل هذا على شىء - فإنما يدل على حب من الله كبير لهذه الفتاة التى تشعر بأن هذا الحب الكبير أكبر وأعظم منها ، ومنّة من الله أكثر مما تستحق فتذوب ذوبا فى هذا الحب الذى منّ به الله عليها ساجدة حامدة شاكرة هبة الله لها .

من الصعب جداً أن تفرقَ الفتاة بين رؤ ية وأخرى فإن كل ما تشاهده جميلا وعظيما ، ولكل مشهد تراه أثره فى نفسها وكيانها وله إحساس تشعر به وتعيش فيه مختلف عن الآخر . . فلكل رؤ ية أو منظر تشاهده أو كلمات تسمعها الجو النفسى الخاص به والذى يحيط ويختلج فى كيان هذه الفتاة وتشعر به فى كل جارحة من جوارحها ، ولكن مهما إختلفت المشاعر وإمتزجت الأحاسيس وتباينت الإنفعالات والتفاعلات ، إلا أنها فى النهاية تتحد وتتجمع فى إحساس واحد تمتزج فيه كل المشاعر الفياضة وهذا الإحساس هو حب الله والذوبان فى لمسات حنانه الكريمة وفيوضات عطائه العظيمة .

وبالرغم من عظمة جميع الرؤ ى التى تراها ، وجمال المشاهدات الى تشاهدها إلا أن هناك بعض الرؤ ى العظيمة جداً التى تقف الفتاة ازاءها وقفة تأمل وتفكر ممتزجة بالرهبة والخشوع مفعمة بالحب والوفاء حيث تصل الأحاسيس فى كيانها وتمتزج المشاعر فى نفسها إلى القمة . . قمة الإيمان بالله والحب له سبحانه فتتمنى فى هذه اللحظات الجليلة التى من الصعب وصفها لأنها أكبر من أى كلمات وأعظم من أى سطور أن تلاقى ربها وتحس هنا بإحتراق قلبها وفؤادها شوقا إلى الله وتسيل الدموع كأنهار تفجرت ، وترتعش الأيدى ، ويرتجف الجسد ، ويهتز الكيان كله معلنا مصرّحاً بالحنين إلى لقاء الله .

ولكن ما هى هذه الرؤ ى العظيمة التى تقف أمامها الفتاة هذا الموقف العظيم من الرهبة والخشوع بحيث تصل الأحاسيس فى كيانها إلى القمة . . بل إلى قمة القمم من الحب والإيمان بالله . . ؟

فلنتأمل معاً جزءا صغيرا من بعض هذه الرؤ ى العظيمة والتى افتتحت جميعها باسم الله ونور الله والمنظر العظيم السابق وصفه[1] .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة أثناء صلاتها وقراءتها للقرآن رؤ ية عظيمة تضمنت جزءا يشير إلى ما يلى :

---

(١) راجع الفصل الثانى ص ٥٠٩ .

أن إسم الله يملأ كل شيء ، ولا تخلو ذرة فى الكون من إسم الله ورأت أن إسم الله أمامها كما رأت نوراً حولها .

واثناء قراءتها للقرآن رأت هذه الآية القرآنية أمامها :

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (الفرقان : ٦٣)

وكان ذلك المنظر جزءا من رؤ ية عظيمة رأتها الفتاة فى تلك الليلة .

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤ ية حيث كانت تقرأ القرآن فرأت أن نوراً أمامها .

- وفى نفس اليوم رأت أثناء صلاتها أن هناك شيئا فى السماء يشبه كعبة بيضاء .

- وفى نفس اليوم أثناء صلاتها أيضا رأت أن سحابة من الظل أو تندة مظللة والجو فيه نسمة باردة فوق رأسها .

- وفى نفس اليوم أيضا رأت أن مجموعة من الطيور البيضاء حولها تطير وهى تقول :

لا إله إلا الله

- فى يوم آخر من الأيام رأت الفتاة حيث كانت سائرة فى الطريق العام أن السماء كلها متفتحة والسحب بيضاء براقة وإسم الله فى كل مكان وفوق كل شيء ، وكل شيء ينطق فى السموات والأرض ويقول :

الله . . الله . . الله

كما رأت نفسها تنظر إلى السماء وهى تقول :

الله . . الله . . الله

- فى يوم آخر رأت أسماء الله الحسنى جميعها وأن على كل إسم من هذه الأسماء العظيمة نور قوى جداً ، وأن الفتاة تنظر إلى هذه الأنوار التى على أسماء الله الحسنى والله أعلم .

- فى يوم آخر رأت الفتاة كأن جسمها كله ينطق باسم الله . .
لا إله إلا الله . . محمد رسول الله . . أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

فلقد رأت أن يداها تقول هذه الكلمات العظيمة وكذلك صدرها ، وأن يدها اليمنى عليها نور فى كفها . . وكان هذا الصوت واضحاً جداً فى صدرها ويدفعها إلى أن تقول هذه الكلمات العظيمة .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن هناك سماء صغيرة بيضاء جميلة جدا وأن أسم الله يملأ الكون والوجود كله ثم رأت أن هذه السماء تنفتح لها .

- وفى يوم آخر رأت أن إسم الله أمامها ، وأن إسم الله يوضع فى قلبها وذلك كإستعداد لإستقبال الحالة الروحانية وأن نور الله حولها .

- وفى يوم آخر رأت أن سماء من السموات فتحت ورأت مجموعة من الملائكة يرتدون الأبيض وجميلى الشكل وأنهم فوقها وحولها وفوقهم إسم الله وأن إسم الله فوق كل شىء .

- وفى يوم آخر حيث كانت الفتاة نائمة رأت مسجداً جميلا جدا امامها وعلى قبته أنوار خضراء إلى درجة انها ظلت تقول الله . . الله . . الله على هذا المسجد الجميل الذى يعلوه إسم الله ثم رأت نفسها انها ستدخل هذا المسجد .

في يوم آخر رأت الفتاة ما يلى :

إن فى السماء سبعة جوامع مكتوب عليها إسم الله ، وتحت إسم الله هذه الكلمات :

١ ـ الجامع الأول :

مكتوب عليه إسم الله بالأبيض والجواهر وبريق ولمعان لم تر الفتاة مثيله فى حياتها وتحته مكتوب بالأخضر والجواهر البراقة اللامعة :

لا إله إلا الله

٢ ـ الجامع الثانى :

مكتوب عليه إسم الله باللون الأبيض والجواهر وله بريق ولمعان لم تر مثيله فى حياتها وتحته مكتوب بالأخضر والجواهر البراقة اللامعة .

الرحمـــن الرحيم

٣ ـ الجامع الثالث :

مكتوب عليه إسم الله باللون الأبيض والجواهر وله بريق ولمعان لم تر مثيله فى حياتها وتحته مكتوب باللون الأخضر والجواهر البراقة اللامعة .

مالك الملك

٤ ـ الجامع الرابع :

مكتوب عليه إسم الله باللون الأبيض والجواهر وله بريق ولمعان لم تر مثيله فى حياتها وتحته مكتوب باللون الأخضر والجواهر البراقة اللامعة .

ذو الجـــلال والإكرام

٥ ـ الجامع الخامس :

مكتوب عليه إسم الله باللون الأبيض والجواهر وله بريق ولمعان لم تر مثيله فى حياتها وتحته مكتوب باللون الأخضر والجواهر البراقة اللامعة .

الوهـــــاب

٦ - الجامع السادس :

مكتوب عليه إسم الله باللون الأبيض والجواهر وله بريق ولمعان لم تر مثيله فى حياتها وتحته مكتوب باللون الأخضر والجواهر البراقة اللامعة .

الفيـــــاض

٧ - الجامع السابع :

مكتوب عليه إسم الله باللون الأبيض والجواهر وله بريق ولمعان لم تر مثيله فى حياتها وتحته مكتوب باللون الأخضر والجواهر البراقة اللامعة .

رب العرش العظيم

ثم رأت الفتاة نفسها بأنها ستدخل هذه الجوامع وتصلى فى كل منها ركعتين .

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤية العظيمة :

رأت الفتاة أن ثلاث صفحات بيضاء ناصعة البياض ومكتوب فيها كالآتى :

الصفحة الأولى :

بيضاء وبراقة ولامعة ومكتوب فيها من أولها إلى آخرها إسم الله باللون الأبيض والجواهر البراقة اللامعة .

الصفحة الثانية :

بيضاء وبراقة ولامعة ومكتوب فيها هذه الأسماء وفوق كل اسم . . اسم الله وهكذا إلى آخر الصفحة وهذه الأسماء هى :

الله لا إله إلا هو - الرحمن - الرحيم - الملك - اللطيف - الخبير - الحى - النور - الملك سبحانه وتعالى لا إله إلا هو وحده لا شريك له .

وفوق كل إسم .. إسم الله إلى آخر الصفحة .
والكتابة مكتوبة باللون الأبيض والجواهر البراقة اللامعة .

الصفحة الثالثة :

مثل الصفحة الأولى إسم الله من أول الصفحة إلى آخرها والكتابة فى جميع الصفحات باللون الأبيض والجواهر البراقة اللامعة التى لم تر مثيلها فى الدنيا أو فى حياتها .

- فى يوم آخر حيث كانت الفتاة فى مكة إذ طافت حول الكعبة كثيراً فى ذلك اليوم ثم رأت نفسها فى السماء تطوف حول الكعبة البيضاء التى فى السماء وإسم الله يعلوها وفوق كل شىء وكل ذرة فى الكون .. لا تخلو ذرة من إسم الله ونور الله . ورأت نفسها تطوف حول الكعبة التى فى السماء ٧ مرات وهى تقول اسم الله .. الله . الله . ورأت طيورا بيضاء وملائكة حولها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أثناء صلاتها أن هناك طيورا بيضاء حولها وفوقها يسبحون الله ويذكرونه سبحانه وتعالى وجاءها أن هذه الطيور البيضاء ملائكة .

ثم رأت بعد ذلك أن هناك جامع وأن شيخاً بداخل هذا الجامع وكان يؤذن وسمعت آذانه ثم قرأ سورة الرحمن وسمعتها منه .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أنه ظهر أمامها نور والحمد لله ثم رأت نفسها تصعد إلى السماء إلى أن وقفت أمام سماء من السموات ثم وجدت حديقة جميلة جداً فى هذه السماء وكلها باللون الأبيض واللون الأخضر الجميل وألوان جميلة جداً وبراقة وليس لها مثيل فى الدنيا .

- فى يوم آخر رأت أن السماء مفتوحة وأن إسم الله .. لا إله إلا الله مكتوباً باللون الأبيض والجواهر لم تر الفتاة مثيلها فى حياتها أو فى الدنيا ثم سمعت صوتاً يعلو ويقول فى السماء :

الله .. لا إله إلا الله

ثم رأت أن هذا الإسم يدخل فى صدرها وشىء يلح عليها بأن تقول دائماً :

الله . . لا إله إلا الله

- فى يوم آخر وأثناء تأدية الفتاة لصلاتها رأت أن نوراً ظهر أمامها ثم رأت أن جسدها كله يرتعش ويهتز وأحست كأن دقات قلبها سريعة جداً وجسدها كله يتفاعل ثم رأت أن البيت المعمور ظهر أمامها على سجادة الصلاة ودخلته ثم ارتفع بها إلى السماء وصلّت فيه ركعتين لله سبحانه وتعالى ثم رأت أن الكعبة البيضاء الموجودة فى السماء ظهرت أمامها على سجادة الصلاة ودخلتها ثم ارتفعت بها إلى السماء ثم طافت حولها وهى بداخلها وقرأت ما تيسر من القرآن وهى بداخلها وانتهت الرؤ ية على ذلك .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن طاقة فى السماء يخرج منها نور قوى جداً كالوهج ثم رأت نفسها تدخل فى داخل هذه الطاقة المنيرة .

هذه هى بعضاً من الرؤ ى العظيمة التى رأتها الفتاة والتى تقف دائماً أمامها فى وقفة تأمل وتفكر عميقة مصحوبة بالرهبة والخشوع ممتزجة بالإيمان والحب متأملة فى عظمة الله متبصرة فى نعمة الله عليها وما أكثر نعم الله على هذه الفتاة متأملة فى آيات حبه ولمسات حنانه ولم تجد من الكلمات ما تعبر به عن ولائها وإمتنانها بهذه النعمة المغمورة فتسجد حامدة شاكرة الله فضله العظيم بكل كيانها ، وبكل جارحة من جوارحها وتحس بسجود كل نبضة من نبضات قلبها وكل همسة من همسات فؤ ادها وكل نقطة دم تجرى فى عروقها حمداً وشكراً لله العلى الكبير سبحانه الوهاب رب العرش العظيم .

ثانياً : عطاء الله ولمسات الحنان الإلهى التى تكمن فى البشرى التى تحقق الأمن والسكينة والإطمئنان وتبعث على البهجة والسرور والإنشراح . .

ولقد كان فضل الله عظيماً على هذه الفتاة حيث أفاض سبحانه عليها من عطائه الكريم ، وحنانه الرحيم أن وهبها بالرؤ ى الصالحة التى تبشرها

بالخير وتسعد فؤادها وتدخل السكينة والطمأنينة إلى قلبها ، وتبعث البهجة والسرور والإنشراح إلى صدرها وتحيط نفسها وكيانها بجو من السعادة ، والإطمئنان ، والإستقرار النفسى ، والسلام الروحى ، والأمن القلبى .

ولقد كانت هذه الرؤ ى الصالحة التى هى بشرى لها جزءاً من عطاء الله ولمسات الحنان الإلهى لهذه الفتاة ، وإن كانت فتاتنا تعتبر كل رؤ ية تراها وكل كلمة تسمعها هى فى باطنها وجوهرها الحقيقى بشرى لها :

فلقد كان هناك من الرؤ ى ما يطمئنها ويبشرها ، ومنها ما يقومّها ويهذّبها ، ومنها ما يحفظها وينجيها ، كما كان هناك منها ما هو كشف لها منة من عند الله وهبة منه سبحانه لها لبعض الأمور العامة التى لا علاقة للفتاة بها . .

فبالرغم من إختلاف كل رؤ ية عن الأخرى فى شكلها ومضمونها إلا أن الفتاة تعتبر أن هذه الرؤ ى جميعها فى النهاية هى بُشرى لها سواء أكانت الرؤ ية للإطمئنان أو للتقويم أو للحفظ أو لكشف بعض الأمور لها بفضل الله وأمره ـ وهذا إن دل على شىء ـ فإنما يدل على فضل الله العظيم على هذه الفتاة ، وحبه لها ، وعطائه الكريم لها ، ولمسات حنانه الرحيمة اللطيفة بها . . وهذا كله فى حد ذاته فى معناه الدفين وجوهره العميق هو البُشرى لها ، والنعمة الكبيرة عليها والتى تحمد الله عليها فى كل لحظة ، وتجد الفتاة أن أى كلمة شكر وأى مقولة ثناء على الله لا يكفى لشكر الله وحمده على فضله العظيم ، وفى النهاية تصل فتاتنا إلى العجز عن حمد الله وشكره . . فتسجد باكية لا يسعها غير أن تقول الحمد لله بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانى الحمد والشكر والثناء على الله وتحس فى هذه اللحظات الرهيبة كأن قلبها يتمزق ، وجسدها يتجزأ ساجداً حمداً وشكراً لله وتشعر بأن ذلك أيضاً لا يكفى .

فتجد الفتاة نفسها لا تملك إلا الدموع التى تعتبرها آهات حب الله ، والإخلاص والفناء فى حب الله آملة فى أن تكون هذه المشاعر الفياضة والنبضات الصادقة فى حب الله الذى ينبض به قلبها وفؤادها وكيانها كله خير سند ومعين لها فى حمدها وشكرها لله عز وجل .

فاسمح لنا أيها القارىء أن نصحبك معنا فى رحلة قصيرة مع بعض هذه الرؤى التى رأتها الفتاة والتى تعتبرها بُشرى لها حيث تدخل الأمن والسُكينة والإطمئنان فى قلبها ، وتبعث البهجة والسرور والإنشراح فى صدرها ، وتحقق الإستقرار والأمان والسلام فى نفسها وروحها وفؤادها وكيانها كله . . تحدثا بنعمة الله على عباده ، ولكى نقف ونتأمل فضل الله العظيم الذى فتحه ومنحه لفتاتنا بطلة هذه القصة ، ولقد افتتحت هذه الرؤى جميعها باسم الله ونور الله والمنظر العظيم السابق ذكره[1] .

- فى يوم رأت الفتاة أثناء صلاتها بأنها فى الكعبة ، ورأت الرسول عليه الصلاة والسلام يحييها من هناك ثم قال لها :

بارك الله فيك ، ثم صعدت إلى السماء من الكعبة بعد أن ارتدت جميع الملابس البيضاء المعدة لها للصعود وقبل الصعود إلى السماء صلّت ركعتين حمداً وشكراً لله سبحانه وتعالى على فضله العظيم عليها ، وسلمت على الرسول عليه الصلاة والسلام وقال لها :

بارك الله فيك . إن فضل الله عليك عظيم
فاشكريه كثيراً . واركعى لله كثيراً ،
واسجدى لله كثيراً حمداً وشكراً على فضله العظيم .
ولا تنسى الله أبداً واذكريه دائماً يذكرك
بإذن الله ، وفى رعاية الله ، وأمان الله ، وحفظ الله
إن باب الكعبة مفتوح ومنه إلى الأعلى . .
رحمك الله دنيا وآخرة يأيتها المؤمنة الصالحة
ويا منة الله وحبيبة الله . .

- فى يوم آخر رأت الفتاة بأنها فى الكعبة وصلّت ركعتين حمداً وشكراً لله سبحانه وتعالى ورأت الرسول عليه الصلاة والسلام وقال لها :

بارك الله فيك . . سيبث نور من عند الله عليك
بإذن الله

---

(١) الفصل الثانى : ص ٥٩

ثم رأت أن الملك الكريم قد أخذها بإذن الله وصعدت إلى السماء وعندما عادت صلّت ركعتين بالكعبة حمداً وشكراً لله سبحانه وتعالى على فضله العظيم ثم وجدت الرسول عليه الصلاة والسلام يحييها ويلقى عليها تحية الإسلام وقال لها :

بارك الله فيك .. إن فضل الله عليك عظيم
فاشكريه كثيراً واركعي لله كثيراً ، واسجدى
لله كثيراً حمداً وشكراً على فضله العظيم عليك
ولا تنسى الله أبداً واذكريه دائماً يذكرك بإذن الله
وفى رعاية الله ، وأمان الله ، وحفظ الله ،
إن باب الكعبة مفتوح ومنه إلى الأعلى بإذن الله
رحمك الله دنيا وآخرة يأيتها المؤمنة الصالحة
ويا منة الله ، وحبيبة الله

* لقد تكررت كثيراً رؤية الفتاة لنفسها بأنها فى الكعبة ثم صعدت إلى السماء من هناك ورؤيتها للرسول عليه الصلاة والسلام معها وخصوصاً أثناء الصلاة .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن الرسول عليه الصلاة والسلام يكلمها من الكعبة وبدأ حديثه بذكر الله .. الله .. الله وتسابيح كلها حمد وشكر لله سبحانه وتعالى ثم قال لها :

إن باب الكعبة مفتوح لك بإذن الله
وأن مجموعة من الملائكة ستنتظرك بإذن الله فى الحجاز
فأبشرى ولك البشرى فى الحياة الدنيا والآخرة ..
واحمدى الله كثيراً واشكرى الله كثيراً واركعى لله كثيراً
واسجدى لله كثيراً حمداً وشكراً على فضله العظيم عليك
ونعمته الكبيرة عليك ، وكرمه لك ولطفه بك ورحمته
التى وسعت كل شىء عليك .. إنه هو الرحمن الرحيم
وقولى دائماً : الحمد لله رب العالمين على نعمتك التى
أعطيتها لى ومننتها علىَّ ووهبتنى إياها

الحمد لله يا رب العالمين على كل شىء
إنك أنت ذو الفضل العظيم .
إنك أنت الوهاب . . إنك أنت الرحمن الرحيم
اللهم أعنى على حسن عبادتك وشكرك
سبحانك ربى ورب العالمين
لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك
لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وقالت الفتاة ذلك ثم رأت نفسها تركع حمداً وشكراً لله وتسجد حمداً وشكرا لله (بالدموع) ثم قال لها الرسول عليه الصلاة والسلام :

جزاك الله كل خير وفى أمان الله ورعاية الله دائماً .

- فى يوم آخر رأت الفتاة رؤ ية عظيمة تضمنت جزءاً يشير إلى ما يلى حيث رأت أن نوراً قوياً جداً أمامها ثم رأت نفسها تصعد إلى أعلى السموات وفُتح لها باب هذه السماء العالية ورأت نوراً قوياً جداً سلط أمامها إلى درجة أنه هزها هزة قوية جسدياً وقبل أن ترى هذا المنظر كانت دقات قلبها سريعة ، ولقد كان فى الحقيقة منظراً جميلاً للغاية .

- فى يوم آخر رأت الفتاة وهى تسير فى الطريق العام بأن الملائكةتسير معها وتذكر الله وتسبّح باسم الله وتقول لها :

اذكرى الله كثيراً ، ولا تخافى ولا تحزنى
وأبشرى واطمئنى إن الله معك دائماً ،
ونحن الملائكة معك بإذن الله . .
ونور الله دائماً يحيطك .

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤ ية :

رأت أن سماء كبيرة جداً تفتحت وأول ما تفتحت وجدت إسم الله مكتوباً باللون الأبيض البراق ومجموعة من الجواهر لم تر مثيلها فى الدنيا . . وأن هناك نور قوى جداً مرتبطاً باسم الله وهو نور الذات الإلهية ثم رأت أنه لا توجد ذرة فى السماء خالية من إسم الله بل أن السماء كلها مليئة باسم الله

ونور الله كما أن الكون ملىء باسم الله ونور الله ورأت آن على كل إسم الله النور القوى المرتبط باسم الله وهو نور الذات الالهية ثم رأت فى مكان جانبى فى هذه السماء كتلة من النور مكتوب عليها أبشرى .

- فى يوم آخر رأت أنها فى بيت الرسول عليه الصلاة والسلام وهو بيت جميل وأبيض وأن الرسول عليه الصلاة والسلام واقفاً أمامها وشكله جميل جداً وأنها ستأكل عند الرسول عليه الصلاة والسلام ورأت المائدة كلها عليها مأكولات بيضاء ..

- في يوم آخر رأت أنها دُعيت لزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام فى بيته ، وفعلاً ذهبت إلى بيته وهو نفس البيت الجميل الذى رأته فى الرؤ ية السابقة ثم رأت أن الرسول عليه الصلاة والسلام واقفاً أمامها وحياها وسلم عليها ثم رأت السيدة عائشة رضى الله عنها أمامها ولقد قبلتها فى أعلى وجهها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أثناء صلاتها أن الملائكة حولها ,ويسبّحون الله ويرتلون باسم الله ويذكرون إسم الله .

ثم رأت أثناء قراءتها للقرآن أن مجموعات جديدة من الملائكة حضرت وكانت معهم مصاحف خضراء ، ومفتوحة : ومنهم من كان يستمع إلى تلاوة القرآن الكريم ، ومنهم من كان يركع طول الوقت لله ، ومنهم من كان يسجد طول الوقت لله ، ومنهم من كان يقرأ القرآن ثم بشروا الفتاة بأن الرسول عليه الصلاة والسلام سيأتى إليها فى يوم مولده ليبشرها .. وأنهم سيظلوا هكذا فى هذا الركن الذى كانت الفتاة تقرأ فيه القرآن إلى الغد حتى يكونوا فى إستقبال الرسول عليه الصلاة والسلام والترحيب به .. وكان مع الملائكة أيضاً الشمس والقمر .

- فى نفس اليوم رأت الفتاة حيث كانت نائمة أن :
الرسول عليه الصلاة والسلام جاء لها وزارها فى الحجرة ورأته واقفاً فى وسط الحجرة وأن الحجرة كلها نور وأنها واسعة جداً وفى كل وسعها نور منتشر وأن الرسول عليه الصلاة والسلام واقفاً فى وسط هذا النور .

وهذا المنظر تكرر ثلاث مرات . .

- فى يوم مولد النبى عليه الصلاة والسلام رأت الفتاة رؤ ية جميلة تضمنت جزءا يشير إلى ما يلى حيث كانت الفتاة تصلى وتقرأ القرآن فرأت أثناء صلاتها بأن الملائكة حولها ويصلون ويركعون ويسجدون معها .

وأثناء تلاوتها للقرآن رأت أنهم معها فى الركن الذى تجلس فيه ولقد جاء لها خاطراً من قبل أن الرسول عليه الصلاة والسلام سيحضر لزيارتها بإذن الله فى الساعة الخامسة صباحاً .

وجلست الفتاة تقرأ القرآن حتى الخامسة صباحاً ولقد انتهت من القراءة قبل الخامسة بقليل ثم رأت بعد ذلك نوراً قوياً جداً وعليه إسم الله ، وقد جاء الرسول عليه الصلاة والسلام وكان معه ملكين يحرسانه ورأته الفتاة كان راكباً عربة كالتى يركبونها فى العصر القديم وكلها مطرزة بالأبيض ومجموعة من الجواهر وعليها إسم الله . . وقفت هذه العربة فى البلكونة ودخل الرسول عليه الصلاة والسلام وبدأ تحيته بذكر إسم الله فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم . بسم الله والسلام عليك
يا أيتها المؤمنة الصالحة . . وردت الفتاة التحية وقالت :
والسلام عليك يا رسول الله . ثم بشرها وقال لها :
بشرى طيبة بإذن الله وأريد أن أقول لك أنك
الآن سائرة فى الطريق السليم ولكن ما زالت نفسك
فى حاجة إلى صقل وتهذيب أكثر من ذلك واستمرى على
ذلك .
إن الله يحبك كثيراً وأنا معك بإذن الله
وملائكة الله معك بإذن الله .

وانتهى هذا المنظر على ذلك الذى كان جزءاً من رؤ ية جميلة .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن مجموعة من الملائكة شكلهم جميل جداً وأبيض ويرتلون تراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح لله سبحانه وتعالى وأنهم معها يطمئنونها ويبشروها بإذن الله دائماً ويقولون لها :

إن الله معك دائماً ونحن معك دائماً بإذن الله .

كما أنها دائماً ترى سماء تفتح وتجد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام واقفاً مرتديا عباية بيضاء أو خضراء بعيد عنها ولكنه ينظر إليها ، كما أن الفتاة ترى الملك الكريم مرتديا ثيابا بيضاء ، وقريب منها جداً وينظر لها وأحياناً يرد على أى شىء يجىء فى خاطرها ونفسها ويطمئنها ويبشرها .

فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤية حيث كانت سائرة فى الطريق العام حيث كانت سعيدة ومستعجلة فى نفس الوقت فجاءت لها الملائكة وقالت لها :

إهدئى ما زال عندك متسع من الوقت .. فامشى بهدوء واتزان وتذكرى قول الله تعالى ، وذكروها الملائكة بقول الله تعالى :

﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾
(الإسراء : ٣٧)

وبدأت الفتاة تهدأ وتمشى بهدوء ، وطوال الطريق وهى لا ترى إلا إسم الله لامعا براقا أمامها وفوق كل شىء ، كما رأت أن الملائكة يمشون معها ويطمئنونها ويبشروها بكل الخير ، ورأت أن السماء بيضاء والسحب بيضاء متفتحة وكل شىء ينطق باسم الله ومكتوب فوقه الله هذا بالإضافة إلى الأنوار التى تراها الفتاة بفضل الله وحده .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن مجموعة من الملائكة جاءت لها وهم يقولون تراتيل معينة كلها تسابيح وذكر لله سبحانه وتعالى ثم بدأوا حديثهم معها وقالوا :

الله .. الله .. الله
لا إله إلا الله محمد رسول الله
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
يا أيتها العابدة المؤمنة أنت مخلصة فى كل شىء

- فى يوم آخر رأت أن مجموعة من الملائكة حولها ويرتلون ويسبّحون ويقولون تراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح لله سبحانه وتعالى ثم أنهم حولها

ورأت أنهم يرفعوها إلى أعلى فى السماء ، ولا تحس الفتاة بأنها على الأرض وهذا بفضل الله وحده .

- فى يوم آخر رأت أن الرسول عليه الصلاة والسلام جاءها حيث كانت الفتاة فى حالة من الضيق كبيرة بسبب هؤلاء الأشخاص الذين حذرت الملائكة الفتاة منهم ودائماً كانت ترى الفتاة هؤلاء الأشخاص فى صورة ثعابين ثم جاءها الرسول عليه الصلاة والسلام وقال لها :

هوّنى عن نفسك فأنت فى حفظ الله وفى أمان الله
احذرى منهم ونبشرك بأن الله معك وفى لحظة ضيقك قولى :

يا رب .. الحمد لله .. الله أكبر

يا رب .. فيها كل الدعاء سواء ذكرته بلسانك أم لم تذكريه
والله يعلم ما فى نفسك وقلبك إنه عليم بذات الصدور

الحمد لله .. فيها كل الشكر وكل الثناء لله سبحانه وتعالى .. فكل الشكر الذى تريدى أن تشكريه وتحمديه لله سبحانه وتعالى يبطن فى كلمة الحمد لله .

الله أكبر .. الله أكبر فوق كل معتد .. وفوق كل ظالم .. وفوق كل شىء وفوضى أمرك لله وحده ، ولا تبكى على شىء فإن مالك عند الله خير وأبقى من كنوز الدنيا ومتاعها .

فاحمدى الله كثيراً ، واشكرى الله كثيراً وقولى دائماً :
الحمد لله .. الحمد لله .. الحمد لله
على فضلك العظيم علىّ حمداً وشكراً كثيراً .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن الملك الكريم جاءها للحظات وبشرها بمجىء الرسول عليه الصلاة والسلام فى يوم مولده بإذن الله .
- فى يوم آخر رأت أن على مولد النبى بياض وأنه يوم جميل .
- فى يوم آخر رأت الفتاة أنها ذهبت إلى قبر
الرسول عليه الصلاة والسلام ودخلت داخل القبر ووجدته طريقا كله نور وعلى جانبى الطريق ورود خضراء لم تر مثيلها فمشيت فى هذا الطريق إلى أن وصلت إلى نهايته بإذن الله .

وطوال سيرها فى هذا الطريق الجميل وهى تقول إسم الله . . والحمد لله . . ولا إله إلا الله بصفة مستمرة ثم وجدت الرسول عليه الصلاة والسلام استيقظ من قبره ويقول لها :

اطمئنى واصبرى وأبشرى ولا تتعجلى الأمور
كله بإذن الله وأمر الله وفى الأوان الذى
يريده الله ويحدده فإن الأمور كلها
بيد الله وارجعى أمرك دائماً إلى الله
تكن لك البشرى بإذن الله فى الدنيا والآخرة .

ثم وجدت الفتاة عليها نوراً جميلاً من عند الله وارتسمت على وجهها علامات الأمن والسكينة والرضا وابتسم لها الرسول عليه الصلاة والسلام وقال لها :

فى أمان الله وحفظه . .
ثم رجع إلى قبره مرة أخرى .

- فى يوم آخر رأت أن نوراً أمامها ومن حولها والحمد لله على ذلك كثيراً ثم رأت أثناء قراءتها للتشهد وعند ذكر :

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله

رأت الرسول عليه الصلاة والسلام واقفاً أمامها بعبايته البيضاء الجميلة ، وبهيئته الرائعة ووقاره الجميل دون أن يتكلم .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أثناء صلاتها أن نوراً أمامها ومن حولها ثم رأت أن صوتاً ما فى صدرها يقول :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ ﴾
(الرحمن : ١ : ٣)

ثم جاء لها أن سورة الرحمن بكاملها فى صدرها .

- فى يوم آخر رأت كأن صوتاً داخل صدرها يقول وبشدة :

أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمد رسول الله

ثم رأت الفتاة أن جسدها كله وكيانها يهتز ويرد على هذا الصوت بالشهادة فوجدت نفسها تقول الشهادة هي الأخرى .

ولقد تكرر ذلك عدة مرات هذا بالإضافة إلى النور الذى رأته مسلطاً عليها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة (وكان ذلك مناماً) . . (ناحية المشرق) الآية القرآنية التالية مكتوبة وسمعت هاتفا يرددها وهذه الآية هى :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (النحل : ٦٨)

ثم رأت نفسها فى السماء مرتدية أبيض فى أبيض ولها أجنحة بيضاء وعندما قرأت الآية أوسمعتها ووصلت إلى آخر كلمة ومما يعرشون وجدت أن أجنحتها هبطت بعد أن كانت مفرودة طيلة سماع الآية وانتهت الرؤ ية على ذلك .

- جاء للفتاة إحساس بعد هذه الرؤ ية بأنها كانت تمثّل النحل وأن الأجنحة البيضاء التى تقف عند سماع الآية . . هذا هو جزء من تسبيح النحل لله سبحانه وتعالى وهبوط الأجنحة هو انتهاء تسبيحها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن سمك الحوت الأبيض ينظر إلى أعلى فى السماء ويقول لا إله إلا الله ، ورأت أن النحل تفرد جناحيها وتقول لا إله إلا الله ، ورأت النمل يقول ايضا لا إله إلا الله .
وهذا جزء من تسبيح الحوت والنحل والنمل .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن طيوراً تطير بأجنحتها فى السماء وتتمايل أجنحتها وتفردها وسمعت الفتاة تسبيحها لله سبحانه وتعالى ، وأن فرد أجنحتها وأنها تتطاير بها وهذا جزء من تسبيحها لله عز وجل وسمعتها تقول وهى تفرد أجنحتها لا إله إلا الله .

- فى يوم من الأيام رأت فتاتنا هذه الرؤ ية أثناء صلاتها حيث جاءها

أن النور الذى تراه سيذهب عنها للحظات وذلك لسببين :

١ ـ حيث أن هذا دليل على أن رؤياها صادقة وحق حيث تحس بالفرق عندما تتمتع بهذا النور وعندما يذهب منها هذا النور ، وهذا دليل قاطع على الفرق فى الحالتين على أن رؤياها حق وصدق لأنها من عند الله سبحانه وتعالى .

٢ ـ السبب الآخر هو إعطاء هدنة وراحة لعينيها حيث أنها سترى شيئاً كبيراً بعد لحظات وهذا من فضل الله عليها .

وفعلا ذهب منها النور للحظات ثم بعد ذلك رجع النور مرة أخرى لها ، وبدأت عيناها تنظر إلى قاع البحار والمحيطات حيث رأت أسماكا بيضاء لا تعرف أنواعها ، وكذلك رأت أعدادا من الودع الأبيض وجاءها جزء من تسبيح الأسماك والودع لله سبحانه وتعالى ورأت أن الأسماك تقفز إلى أعلى وتقول لا إله إلا الله وهذا جزءا من تسبيحها لله سبحانه وتعالى أما الودع فرأت تسبيحه على نوعين :

ـ مرة رأته يتجه إلى ناحية اليمين هزته موجة من الأمواج وسمعت صوته يقول لا إله إلا الله .

ـ والنوع الآخر هو أنه ثابت على الأرض لا يتحرك ساكن وثبوته هذا دليل على خشوعه ورهبته من الله سبحانه وتعالى وهذا كله جزء من تسبيح السمك والودع لله سبحانه وتعالى .

ثم وجدتهم الفتاة يحدثون بعض تحت قاع البحار والمحيطات يقولون :

لا إله إلا الله . . لو يعلم الناس الحدث الكبير
الذى سيحدثه الله فى الأرض والشىء المروع الذى
سيتحقق فى الأرض لخشوا وخافوا على أنفسهم يوما
لا تملك نفس عن نفس شيئاً .

وانتهت الرؤية على ذلك .

ـ فى يوم آخر رأت الفتاة بأنها واقفة داخل مستطيل محاط بسياج من

نور وكانت مرتدية لباساً جميلة جداً ثم رأت أن عليها نور ويغطيها من الأمام سورة الرحمن مكتوبة فى صفحة واحدة كبيرة .

- فى نفس اليوم رأت الفتاة أنها تسمع تسبيح الكون كله لله سبحانه وتعالى ويقول :

لا إله إلا الله

ولم يجىء ما تفصيل ذلك من جميع المخلوقات ولكن ما رأته بالتفصيل أولا هو الأسماك والبحار والطيور والأرض والشمس والسماء وسمعت تسبيحهم بقول :

لا إله إلا الله

ثم جاءها بالإجمال العام أن الكون كله يقول :

لا إله إلا الله

وهذا جزء من تسبيحه لله سبحانه وتعالى .

- فى يوم آخر رأت أن الكعبة الموجودة فى الحجاز خضراء وتسبح لله سبحانه وتعالى وسمعت صوتها يقول :

لا إله إلا الله

ورأت الكعبة البيضاء فى السماء تسبح لله سبحانه وتعالى وسمعت صوتها يقول أيضاً :

لا إله إلا الله

ولكن صوت الكعبة التى فى السماء يختلف عن صوت الكعبة التى فى الأرض . والجميع يسبّحون لله ويقولون :

لا إله إلا الله

- فى يوم آخر رأت أن هناك طيوراً بيضاء ليس لهم مثيل فى الدنيا حولها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة بأنها واقفة على شط وأمامها بحر طويل وعريض جدا وواقفا بجانبها شاب جميل جدا مرتديا أبيض فى أبيض وكان لون البحر كلون النيل ثم قال لها هذا الشاب بأن دورك فى الحياة أن تعبرى وتمشى هذا البحر بطوله وعرضه وتذهبى إلى الجهة الأخرى ، فنظرت الفتاة إلى البحر وعندما وجدت لونه كلون النيل رجعت إلى الوراء وانتابتها لحظة من الخوف والفزع . فنظر اليها هذا الشاب الجميل وعرف على الفور بفضل الله وحده ما تحس به ثم وجدت بعد ذلك أن لون البحر تغير وأصبح أبيض ناصع البياض حيث أن لونه غريب ولم يوجد له مثيل ، ففرحت الفتاة وارتاحت ثم نظرت الى الجهة الأخرى التى من المفروض أن تصل إليها فرأت صخرة على هيئة هضبة ومن خلفها قصر جميل مصنوع كله بالألماس ولكنه ألماس غير الموجود فى دنيانا ، والأرضيات والحوائط والسقف رخام أبيض لامع ومطلى بحبات من الألماس وعلى كل الماس إسم الله مكتوب بألماس مختلف عن الألماس المصنوع منه القصر حتى أن لونه بارز وواضح ويبرق لمعانا وبريقا لم تر الفتاة مثيله فى حياتها ، ورأت أنه مطلوب منها أن تعبر هذا البحر ومكافآتها هو دخول هذا القصر فى النهاية الذى رأت بابه الأبيض مفتوح ، ورأت أنه لا تخلو ذرة فى الكون من إسم الله ونور الله .

ولنا هنا وقفة لنتساءل :

كيف عرف هذا الشاب ما فى نفس الفتاة لحظة شعورها بالفزع والخوف . . لقد عرف ذلك بسلطان من عند الله وبأمر الله وفضله حيث لا يعلم ما فى النفس إلا الله إنه هو العليم بذات الصدور ، ولكن هذا الشاب أدرك ذلك بأمر الله وبسلطان منه سبحانه .

- في يوم آخر رأت الفتاة أن طيورا بيضاء حولها .

- فى يوم آخر رأت بأن الكعبة التى بالسعودية بيضاء ولم تر الكسوة السوداء عليها ثم رأت بأنها طائرة فى الهواء بجانب الكعبة البيضاء .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أثناء صلاتها بأن طيورا بيضاء من حولها ثم رأت منظرا آخر وهو انها طائرة فى السماء دون أن يكون معها أحد سواء كان ملائكة أو طيورا ليعرفوها الطريق أو يوجهوها بل كانت لوحدها واستمرت الفتاة طائرة فى السماء حتى إتجهت الى الكعبة فى السعودية ، والكعبة التى رأتها بيضاء أصغر من الكعبة الحقيقية وبابها أبيض وكانت الفتاة طائرة بجوارها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤ ية :

أن مصحفا كبيرا جدا ولونه أخضر فى حجرتها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة حيث كانت نائمة ومستغرقة فى النوم أن فتاة جميلة واقفة فى حجرتها مرتدية لباسا أبيض وتسبّح الله سبحانه وتعالى .

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤ ية المطمئنة الجميلة التى تبعث البهجة والسرور فى نفس فتاتنا :

رأت أن طيرين من الطيور يتحدثون إلى بعضهم البعض عن الفتاة ، وكل طير يمثل مجموعة من المجموعات أى انهم مجموعتين من الطيور ولونهم أبيض وشكلهم جميل وعليهم نور وليس لهم مثيل فى الدنيا ثم سمعت الفتاة ممثل المجموعة الأولى يسأل المجموعة الثانية فيقول له :

طائر المجموعة الأولى : كيف حالك وماذا وجدت عند العابدة المؤمنة ؟

طائر المجموعة الثانية : وجدتها فى خير حال . . فلقد وجدت عندها الحب والرحمة والنور .

طائر المجموعة الأولى : كيف ذلك ؟

طائر المجموعة الثانية : فإن الأرض تحبها وتُفتح لها . . فهذا هو الحب لها ، والسماء تستغفر لها . . وهـذه هى الرحمة لها ، أما النور فإن الله عز وجل يمن عليها وينعم عليها ويكرمها بأن يمطر عليها نورا .

طائر المجموعة الأولى : يا بشراها . . فهنيئا لها وإنها لتستحق ذلك لأنها تحب الله حبا عظيما .

طائر المجموعة الأولى والثانية فى صوت واحد :

نعم هنيئا لها فإن الله يحبها حبا عظيما ، والأرض والسماء تحبها بإذن الله ، ونحن أيضا نحبها بفضل من الله .

يالها من عابدة صالحة تملك الحب والرحمة والنور بفضل من الله وبعطاء منه سبحانه منة منه عز وجل وتلطفا بها وكرما لها .

حقا صدق الله العظيم الذى قال :

يهدى الله لنوره من يشاء

وانتهت الرؤية الجميلة على ذلك .

- فى يوم آخر رأت الفتاة حيث كانت تقود سيارتها فى طريق عودتها لمنزلها إذ جاءها خاطرا يقول لها :

أنه ستأتى مرحلة والطيور تأنس وحدتك

ثم أحست الفتاة بإحساس غريب وهى أنها تفهم لغة الطيور وأنها قريبة منهم حيث أنها كثيرا ما تسمع تسبيحهم وشكرهم لله عز وجل وتحس بأن قربها من الطيور أكثر من قربها من الناس .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن رسول الله عليه الصلاة والسلام فى السماء . . . فى أعلى السموات وبدأ حديثه بذكر الله والتسبيح لله سبحانه وتعالى وحمد الله ثم قال لها : تعالى إلىَّ واقبلى .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن رسول الله عليه الصلاة والسلام وشكله جميل جدا مرتديا لباسا جميلا ثم رأت الفتاة أنه فى السماء . . فى أعلى السموات وبدأ حديثه لها بذكر الله وتسبيح الله وحمد الله سبحانه وتعالى وقال لها :

تعالى الّى واقبلى

فقالت الفتاة له بعد ذكر إسم الله :

كيف ؟

فردَّ وقال لها : بالروح ثم سكت وبعدها بفترة قال لها والجسد .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن الرسول عليه الصلاة والسلام فى السماء . .

فى أعلى السموات وكان شكله جميل ومرتديا لباسا جميلا ثم بدأ حديثه بذكر الله وتسبيح الله سبحانه وتعالى ثم قال لها :

تعالى الَّى واقبلى ولا تبالى بشياطين الجن ، ولا تهتمى بشياطين الإنس والجن .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن الرسول عليه الصلاة والسلام فى السماء . . فى أعلى السموات وكان شكله جميل ومرتديا لباسا جميلا وبدأ حديثه بذكر الله وتسبيح الله وحمد الله سبحانه وتعالى ثم قال لها :

تعالى الىَّ واقبلى ولا تهتمى بأحد

ثم وجدت نفسها انها واقفة ولابسة أبيض ومحجبة بطرحة بيضاء ثم جاءها بأنها ستبدأ فى الصعود غير مهتمة بأحد كما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- فى يوم آخر رأت الفتاة انها مرتدية لباسا أبيضاً وحافية وأنها تمشى ولكن لا تمشى على أرض حيث انها رأت هذه الأرض وكأنها سماء وكأنها تمشى على سماء وليست أرض بالرغم من أنها فى الدنيا وليست فى السماء ، أى أن هذه الأرض التى فى الدنيا سماء وأنها تمشى عليها حافية ولون جلدها أبيض .

- فى يوم آخر رأت أن هناك سماء واقفة على صدرها .

- فى يوم آخر وأثناء صلاتها رأت أنها فى نفس الوقت تصلى فى السماء .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة هذه الرؤ ية حيث كانت عائدة من عملها إذ كانت تسبّح وتذكر الله كالعادة فرأت أن السنتين البيضاء اللذان

يقعان فى الفك الأعلى من أسنانها يقولان اسم الله أثناء تسبيحها أى انها أثناء تسبيحها تسمع تسبيح السنتين بقول إسم الله وهكذا .

وكان هذا شيئا غريبا جدا تراه وتحس به لأول مرة .

- فى يوم آخر رأت الفتاة حيث كانت تصلى فى بيتها بمصر رأت نفسها فى نفس اللحظة تطوف حول الكعبة ولكنها لم تر الكسوة السوداء ولكن وجدت الكعبة من الرخام الأبيض الجميل وفوق الكعبة إسم الله مكتوبا باللون الأبيض وله بريق ولمعان لم تر مثيله فى حياتها ومكتوبا بمجموعة من الجواهر الثمينة والأنوار النادرة التى لم تر مثيلها فى حياتها أو فى الدنيا .

ثم فى نفس الوقت أيضا كانت تصلى فى الحرم النبوى .

أى أنها رأت نفسها فى ثلاثة أماكن مختلفة فى وقت واحد :

تصلى فى مصر - وتطوف بالكعبة ، وتصلى فى الحرم النبوى الشريف .

ثم بعد ذلك رأت الهلال الذى كان ظاهرا فى السماء فى تلك الليلة جاء أمامها على سجادة الصلاة ورأت أنه مكتوب عليه الله . . لا إله إلا الله بالجواهر والأنوار واللون الأبيض الذى ليس له مثيل فى الدنيا ولم تر مثيله فى حياتها وله بريق ولمعان لا مثيل له ثم سمعته يقول لها بعد تسبيح الله وذكره :

أنا هلال من القمر ثم ترك رسالة على سجادة الصلاة وهذه الرسالة مكتوبة على ورق أبيض وكلام أبيض وبخط أبيض وكانت مطبقة ولم تعرف الفتاة فيها أى شىء ، وما هو محتواها . . كل الذى عرفته بفضل الله وعلمته أنه مكتوب تاريخ وعليه بياض وهذا التاريخ هو ٧ ابريل والله أعلم .

ثم بعد ذلك رأت الفتاة الملك الذى على يمينها (حيث جاءتها البشرى فى احدى الرؤى العظيمة بأن الله عز وجل سيرزقها بملكا من الملائكة يكون معها دائما بإذن من الله وبأمر منه سبحانه ، وهذا الملك سيكون على يمينها كما جاءت الدعوة لها فى هذه الرؤية بأن تصدق ما يقوله

لها هذا الملك ، فهو جند من جنود الله سبحانه وتعالى وأن تبشر وتفرح وتقول دائما :

الحمد لله رب العالمين

كما رأت الطيور البيضاء التى دائما تراها يقولون لها بعد أن ذكروا الله وسبحوه وحمدوه سبحانه :

« فى أمان الله ، وفى رعاية الله ، وفى نور الله ، وفى حفظ الله . . وقولى دائما : الحمد لله رب العالمين »

وعندما قالت الفتاة : الحمد لله رب العالمين .

قالوا لها : جزاك الله كل خير ، ورضى الله عنك ، وبارك الله فيك وفى أمان الله ، ورعاية الله ، وحفظ الله .

ملحوظة : (هذا الملك الذى بُشرت بأن سيكون معها وأنها ستراه على يمينها يختلف عن الملك الكريم الذى تراه ويأتيها بين الحين والآخر حيث أنها فى بعض الرؤى ستجد أن الملك الكريم أحيانا تراه يقف أمامها ، وأحيانا أخرى تراه يقف بجانبها من ناحية اليمين ولكنه غير الملك الذى بُشرت به .

- فى يوم آخر رأت الفتاة الملك الذى على يمينها والطير والقمر ثم رأت أن الملائكة بدأوا حديثهم بذكر الله وتسبيح الله وحمد الله ثم قالوا لها :

إن عيونك فى الأرض ستعمى نهائيا أى أنها ستسحب ولا ترى شيئا وستبدل بعيون أخرى فى السماء وهذه العيون الأخرى فى السماء هما عينان ومعناهما :

(أ) العين اليمنى هى نور يقودك .

(ب) والعين اليسرى هى نور يحميك ويحفظك أى أن هاتان العينان هما نوران لك من عند الله سبحانه وتعالى فقولى دائما : الحمد لله رب العالمين وبذلك ستُعمى عيونك فى الأرض ولن ترى شيئا وستبدل بعينين فى السماء هم اللتان سترى بهما فقالت

الفتاة : الحمد لله رب العالمين فقالوا جزاك الله كل خير ، ورضى الله عنك ، وبارك الله فيك وفى أمان الله ، وفى رعاية الله ، وفى حفظ الله .

- وفى يوم آخر رأت الفتاة انها تصلى خلف الملك الكريم فى السماء .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن بيتا أبيضا منصوبا على الأرض فى مصر ، ثم رأت أن الرسول عليه الصلاة والسلام واقفا وأنها واقفة بالقرب منه ثم إتجه لها وأمرها بأن تدخل هذا البيت ، وفعلا سارت الفتاة نحو هذا البيت حتى دخلت فيه .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن الرسول عليه الصلاة والسلام واقفا وسط صحراء بيضاء ورملها ناعم أبيض ، ورأت الفتاة نفسها واقفة ولكنها بعيدة عنه قليلا ثم رأت حصانا أبيضاً جميلا جدا فى السماء . . سبحان الله الخالق وشعره أبيض جميل وطويل وكان هذا الحصان يسير بهدوء شديد فى السماء .

ثم وجدت الفتاة الرسول عليه الصلاة والسلام يشير إليها بأن تذهب لتركب هذا الحصان ثم نظرت الفتاة الى الرسول صلى الله عليه وسلم نظرة حيرة واندهاش تبين كيف يتسنى لها ذلك والحصان فى السماء والفتاة فى الأرض . .

فنظر الرسول عليه الصلاة والسلام وأمرها بحزم وشدة وقال لها :

هيا توكلى على الله واصعدى واركبى هذا الحصان

فنظرت اليه نظرة استجابة ودفعت بجسدها الى الأمام ثم فجأة وجدت نفسها تصعد إلى السماء وركبت هذا والحصان وكان يسير الحصان بهدوء ثم نظر اليها الرسول عليه الصلاة والسلام وهو مبتسما .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة هذه الرؤ ية أثناء قراءتها للقرآن بعد صلاة الفجر إذ رأت هذه المخلوقات تستمع الى تلاوتها للقرآن دون أن تتكلم معها :

فلقد رأت الملك الكريم واقفا على يمينها ثم رأت الرسول عليه الصلاة والسلام أمامها ثم رأت ثلاثة من الملائكة على يسارها ثم رأت ثلاثة من الطيور البيضاء فوق رأسها ثم رأت القمر والشمس بخلفها ثم رأت مجموعة أخرى من الكائنات والمخلوقات التى تعرفها ولا تعرفها تستمع الى القرآن .

ورأت السماء تستمع أيضا إلى القرآن وجاء لفظ معين عليها وهى أنها متفتحة كما رأت الأرض تستمع هى الأخرى إلى تلاوتها للقرآن أما اللفظ الذى جاءها عليها فهو لفظ شق .

وهذا المنظر والمخلوقات يعلوها اسم الله مكتوبا باللون الأبيض وبمجموعة من الجواهر والأنوار التى لم تر مثيلها فى حياتها .

واستمر هذا المنظر طوال قراءتها للقرآن فى هذه الليلة .

- فى يوم آخر رأت الفتاة رؤية عظيمة تضمنت جزءا يشير إلى ما يلى :

أن الملائكة جاءها أمر من عند الله بأن يضعوا للفتاة القبول فى الأرض وبدأت الملائكة تفرش ورد أبيض ثم رأت الفتاة كلمة القبول وكل حرف منها كان يبطن من وراءه معنى آخر وهو :

ق	ورد أبيض
ب	جنة خضراء
و ل	نـور

ثم رأت الفتاة جزءا آخر حيث جاءها الرسول عليه الصلاة والسلام وبشرّها بكل الخير وحثها على الصبر والاستمرار فى طريقها وألا تنسى الله وأن تركع لله وتسجد له سبحانه وتعالى شكرا وحمدا له على نعمه التى لا تعد ولا تحصى .

- فى يوم آخر رأت الفتاة بأن ألماس يبرق ويلمع يخرج من رأسها صاعدا إلى السماء وجاءها أن هذا الألماس هو ذكرها لله سبحانه وتعالى .

لقد كانت هذه هى بعض الرؤى التى رأتها الفتاة والتى تمثل جزءا من

عطاء الله لها ولمسات حنانه عليها ، والتى تعتبرها الفتاة بشرى من الله عز وجل لها ونعمة أنعم بها الله عليها وفضل عظيم منّه عليها به ولمسات حنان إلهية كريمة وآيات حب ربانية رحيمة حيث تشعر الفتاة فى رحاب هذه الرؤى الجميلة بالأمن والسكينة والإطمئنان يملأ قلبها ، والسعادة والهناء يغمر فؤادها ، والبهجة والسرور والإنشراح يشرح صدرها وكيانها كله يهتز معها بهذه المشاعر الطيبة والنبضات الصادقة يعلن عن حبه لله العلى الكبير آملا داعيا سبحانه بأن يغمر هذا الكيان ويزيده ويملأه إيمانا به عز وجل وحبا له سبحانه وتعالى ساجدا حامدا شاكرا فضل الله العظيم وعطائه سبحانه الكريم .

ثالثا : عطاء الله ولمسات الحنان الإلهى التى ترشد وتوجه إلى تقويم السلوك ، وتهذيب الأخلاق ، وصقل النفس الانسانية

ويمضى فيض الرحمة والعطاء الربانى يحيط بهذه الفتاة حيث أعطاها الله عز وجل من الرؤى الصالحة ما جعلها بدأت تتبصر فى آيات الله فى نفسها ، وتتأمل فيما يدور حولها وتتفكر فى طريقها وحياتها مما دفعها إلى تقويم سلوكها وتهذيب أخلاقها آملة فى الوصول إلى التحلى بالخلق القرآنى الذى أمر الله عز وجل كل مؤمن ومؤمنة للتحلى والتخلق به محاولة أن ترتفع وتسمو فوق مستوى الأحداث لاجئة إلى الله وحده فى كل أمر تناجيه وتشكو له وحده تفضى إليه وحده بمشكلاتها وبما يعتريها من ضيق أو ألم داعية الله وحده فى أن يفرج عنها ويزيل منها كل حزن ، تحكى له وحده فرحتها وسعادتها ، تعبر له وحده عن مشاعرها وأحاسيسها وتعرف الفتاة جيدا وتوقن بأن الطريق ما زال طويلا وشاقا وصعبا ويحتاج منها إلى صبر ومثابرة وجهاد ومجاهدة ، ولن يعينها ويسندها فى ذلك الطريق إلا التمسك بالإيمان بالله واللجوء إلى الله وحده .

وهناك حقيقة هامة حرصت الفتاة على تسجيلها وهى أنها تحس بأجمل الأحاسيس وتعيش أحلى اللحظات عند لجوءها إلى الله سواء أكان ذلك فى حالات الضيق حيث تشكو همها إلى الله أو فى حالات الفرح حيث تعبر عن سعادتها لله ففى أى حالة عندما تبدأ في لجوءها الى الله تحيا أجمل

وأروع لحظات فى حياتها . . لحظات لا تُنسى . . محفورة فى قلبها . . مرسومة فى صدرها مما يجعلها فى كل يوم تشتاق إلى هذه اللحظات الجميلة التى لها أثر عميق فى نفسها حيث تشعر بالأمان . . أمان لا نظير له ، وتحس بالحنان . . حنان لا مثيل له . . ويملأها شعور غريب من الإطمئنان والسكينة والهدوء والسلام وكأن كل أعضاء جسدها يتعايش فى هذه اللحظة فى حالة سلام كامل وهدوء لم تعهده من قبل وكأنهم جميعا يرفعون الراية البيضاء إعلانا بتدفق دقات الحب التى تغمر القلب ويجرى فى عروق الدم فتنْشر دقات القلب ونبضات الحب الصادقة رايات السلام والهدوء والأمان والإطمئنان .

ويستمر عطاء الله إلى أكثر وأكبر من مجرد الإحساس بالسكينة والأمن النفسى فيفيض الله الوهاب الفياض الرحمن الرحيم من فضله عليها فى هذه اللحظات الصافية ما يبشرها ويخفف عنها كل ألم إذا كانت فى حالات الضيق كما يبشرها أيضا سبحانه فى حالات الفرح ويفيض عليها من عطائه ما يسعدها ويسمو بمشاعرها إلى القمة حيث تعرف حقيقة وتلمس بقلبها وفؤادها وكيانها كله لمسات عظمى من الحنان الإلهى .

وفجأة تجد الفتاة نفسها تتأمل وتتفكر فى كل ذلك لتعلن أى فضل بعد هذا ؟ وأى حنان بعد ذلك . . ؟ وأى عطاء بعد هذا العطاء الربانى ؟ وبدأت تنظر إلى نفسها فتتساءل كيف تحمد الله على ذلك الفيض العظيم ، والحب الكبير ، والحنان الكريم وبسرعة تسجد الفتاة حامدة شاكرة الله على عطائه الممدود لها وتحس الفتاة بأن ذلك لا يكفى فيجب أن يكون حمدها أكبر من ذلك ، وفجأة يعينها الله على ذلك حيث تحس الفتاة بأن أقل شىء ممكن أن تقدمه حبا لله وشكرا له عز وجل على نعمته التى لا تعد ولا تحصى هو تقويم سلوكياتها ، وتهذيب أخلاقياتها وأن تستجيب وتطيع كل أمر دعا الله إليه ، وتتجنب كل أمر نهى الله عنه وأن تحاول على قدر استطاعتها أن ترتفع فوق الأحداث وأن تكظم غيظها وتعفو عن الناس وتجد الفتاة نفسها تسجد مرات ومرات تطلب من الله أن يعينها على ذلك ويستجيب الله الى دعائها إنه هو السميع العليم مجيب الدعوات حيث يمن الله عليها ببعض الرؤى التى

توجهها وترشدها مما يدفعها ويساعدها على تقويم سلوكها ، وتهذيب أخلاقها ، وصقل نفسها .

فهيا بنا فى جولة قصيرة للتعرف على جزء من هذه الرؤى التى تضمنت إرشادات وتوجيهات للفتاة فى طريقها مما كان لها الأثر العميق فى نفسها الذى جعلها تصمم على تقويم سلوكياتها وتهذيب أخلاقياتها لاجئة فى ذلك الى الله بأن يعينها ويوجهها ويرشدها إلى الطريق السليم وأن يهديها إلى الصراط المستقيم ، ولقد افتتحت جميعها أيضا باسم الله ونور الله والمنظر العظيم السابق وصفه[1] .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة هذه الرؤية حيث كانت سائرة فى الطريق العام إذ رأت الملائكة معها بإذن الله وقيل لها تذكرى حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذى يتحدث عن غض البصر فى الطريق وبدأت الفتاة فعلا تسير فى طريقها وهى تغض بصرها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤية إذ سمعت صوتا يقول لها :

أن اذكرى الله كثيرا وقولى دائما :

الله . . . الله . . . الله

فكل شىء ينطق ويقول :

الله . . الله . . الله

ويجب أن تقولى دائما :

لا إله إلا الله محمد رسول الله

- فى يوم آخر حيث كانت الفتاة جالسة على سجادة الصلاة رأت رؤية جميلة تضمنت جزءا يشير إلى ما يلى :

---

(١) الفصل الثانى : ص ٥

أن مجموعة من الملائكة البيضاء أتت إليها وشكلهم جميل جدا ، وبدأوا حديثهم بذكر تراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح وحمد وشكر واستغفار لله سبحانه وتعالى ثم قالوا لها :

« يأيتها المؤمنة الصالحة استمرى فى عبادتك ولا تبالى بأى شىء ، واسألى الله فى كل أمر من أمور حياتك واستمدى العون من الله ، واستمدى المساعدة من الله لأنه ليس بيدك شىء . . فاسألى دائما الله سبحانه وتعالى واطلبى من الله سبحانه وتعالى . . واستمدى الحياة منه عز وجل تسعدى ويرتاح بالك وتحيى حياة هانئة سعيدة والله لا يرد أبدا من لجأ اليه واحتمى به وسأل طلبه إنه هو السميع العليم واستمرى فى عبادتك . »

وفجأة وجدت الفتاة قمر منور كبير موجود فى السماء وله باب مفتوح ، وفجأة حملت (هذه المجموعة من الملائكة) الفتاة بداخل هذا القمر . ثم صلّت الفتاة ركعتين حمدا وشكرا لله وقرأت بعض سور من القرآن الكريم حيث رأت مجموعة أخرى من الملائكة بداخل القمر وأعطوها مصحفا كريما قرأت منه بعض السور ، وحمدت الله حمدا وشكرا كثيرا على نعمته الكبيرة عليها ، وعلى فضله العظيم عليها حمدا وشكرا كثيرا وفى النهاية قالت الفتاة :

« يا ربى . . مهنا قلت ، ومهما ركعت ، ومهما سجدت فلن أستطيع أن أوفيك حقك من الشكر والإمتنان . إنى لا أستطيع أن أثنى عليك ولو حرصت ولكنك أنت كما أثنيت على نفسك تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب والحمد لله على فضلك العظيم علىَّ ، وعلى كل شىء حمدا وشكرا لا نهاية له ولا حد له يارب العالمين . »

ثم سمعت الفتاة الملائكة (المجموعتين) يقولون لها :

« جزاك الله كل خير ، ورضى الله عنك ، وبارك الله فيك استمرى فى عبادتك ، واحمدى الله كثيرا ، واشكرى الله كثيرا

واركعى لله كثيرا ، واسجدى لله كثيرا . . فلو عرفت ما يخبئه الله لك من كنوز وجنة لمكثت عمرك كله راكعة ساجدة حمدا وشكرا لله سبحانه وتعالى ولن يكفى . فاحمدى الله كثيرا ، واشكريه كثيرا ، واستغفرى ربك دائما وأسألى الله واطلبى العون منه فى كل أمر من أمور حياتك تهنأى وتهدأى . . . .
وفقك الله وحفظك من كل سوء وسدد خطاك بإذن الله وأرسل لك من جنوده من يحفظك ويصونك يأيتها الملاك الطيب الطاهر . »

ثم حملتها المجموعة الأولى من الملائكة الى حيث كانت وقالوا لها :

« استمرى فى عبادتك وأكثرى من ركوعك وسجودك وحمدك وشكرك واستغفارك لله سبحانه وتعالى واسألى الله دائما فى كل أمر ، ووكلى أمرك لله وحده ، وفوضى أمرك لله وحده ، ووجهى وجهك لله هو وحده سبحانه . . . لا إله إلا الله وحده لا شريك له تسلمى بإذن الله فى الدنيا والآخرة .
ونتركك الآن فى رعاية الله وحفظه . »

وكان هذا جزءا من رؤ ية جميلة شاهدتها فتاتنا فى تلك الليلة .

- فى يوم آخر رأت الفتاة رؤ ية جميلة تضمنت جزءا يشير إلى ما يلى حيث رأت نورا ظهر أمامها ومن حولها أثناء صلاتها ، وعندما بدأت فى قراءة القرآن ظهر نورا حولها والحمد لله على ذلك كثيرا .

ثم رأت الرسول عليه الصلاة والسلام جاءها وهو مرتديا عباية بيضاء جميلة جدا ، ثم بدأ حديثه معها بذكر الله سبحانه وتعالى وتسبيح له ثم حياها فحيته الفتاة ولم يقل لها غير كلمات بسيطة هى :

[اصبرى يأيتها المؤمنة الصالحة ثم اصبرى ولك البشرى فى الحياة الدنيا والآخرة بإذن الله .]

ثم وجدت الفتاة بعد ذلك الملك الكريم جاءها مرتديا أبيض فى أبيض وجميل الصورة والهيئة وبدأ حديثه بتراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح

لله سبحانه وتعالى ثم قال لها نفس الكلمات التى قالها الرسول عليه الصلاة والسلام وانتهى هذا الجزء على ذلك .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن ملك من الملائكة يقول لها :

قولى دائما اسم **الله . . الله . . الله**

- فى يوم آخر رأت الفتاة أثناء صلاتها أن نورا حولها وملائكة فى السماء من فوقها ثم رأت أنها صعدت الى السماء ودخلت بيتا جميلا فى السماء عليه إسمْ اللهِ ونور الله ثم رأت بداخل هذا البيت مذنى (مئذنة) وسمعت صوت جميل يقول :

الله أكبر

ثم رأت أن هذا الصوت يقول لها :

. . . نعمْ قولى دائما : **الله اكبر . . يا رب**

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤ ية حيث رأت من يقول لها ويفتتح كلماته بتراتيل كلها ذكر وتسبيح لله ثم قال لها :

إنك فى إبتلاء دقيق مهما كانت قوة إيمانك ومهما وصل نور قلبك الى درجة من النقاء والصفاء فإنك مع ذلك لا تعرفى حق قدر هذا الإبتلاء
والله إنه لابتلاء عظيم يحتاج منك إلى صبر عميق وإيمان صادق ، ونفس صافية فجاهدى على أن تتحلى بهم حتى تنعمى برضاء الله وعطاء الله العظيم الذى ينتظرك بإذن الله .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول لها بعد أن بدأ حديثه بذكر وتسبيح لله عز وجل ، ثم ألقى السلام وقال هذه الكلمات :

[يأيتها المؤمنة الصالحة توكلى على الله وسيرى فى هذا الطريق . . طريق أبيض جميل (رأته هذه الفتاة فى تلك

اللحظة) ، ولا تنظرى ورائك ، ولا تسألى عما فاتك وانطلقى فى هذا الطريق الجميل وأوصيك بشيئا هاما :

ألا تنسى ذكر الله كثيرا ، وأن تسبحيه تسبيحا كبيرا وألا يفوتك أن تقولى دائما :

لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين
ففيها الرحمة لك ، والنصر لك ، والحفظ لك بأمر الله الواحد رب العرش العظيم .

ولا تنظرى إلى الخلق ، ولا تلتفتى إليهم فأنت محجوبة الآن عنهم وهذا من فضل الله عليك واستعينى فى طريقك بالله والصبر والصلاة وذكر الله كثيرا وقراءة القرآن الكريم

مبارك عليك ، وفى أمان الله ، ورحمة الله ، ونور الله تحيطك ملائكة الله بأمر الله .

فأبشرى واطمئنى واحمدى الله حمدا كثيرا .
لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين .]

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤ ية الغريبة (حيث كانت سائقة سيارتها فى طريق عودتها إلى منزلها) سمعت صوتا يقول لها :

هل لديك القدرة على أن تعفى عمن ظلمك

فلم ينطق لسانها ولكن قلبها نطق حيث سمعته يقول :

نعـم

فرد الصوت مرة أخرى وقال :

إذن فتتبعى ذلك

هذه هى بعضا من الرؤ ى التى رأتها الفتاة والتى كانت تدفعها إلى تقويم سلوكياتها ، وتحثها على تهذيب أخلاقياتها ، هذا بالإضافة إلى بعض الرؤ ى والمشاهدات التى كانت قد تضمنت بعض الإرشادات والنصائح

الموجهة لها بأمر الله من الملائكة والتى ذكرنا جزءا منها فى الفصل الثالث « بداية الطريق الى الله » مما يشعرها بالأمان والإستقرار فى طريقها والإطمئنان والسلام فى حياتها حيث تنعم وتشعر فى كل لحظة بلمسات الحنان الإلهى وفيوضات العطاء الربانى ، وآثار الرحمة النورانية تغمرها وتنير حياتها وتضىء أيامها بهجة وسرورا وأملا كبيرا وثقة لا حدود لها فى الله فتحمد فتاتنا الله كثيرا على فضله العظيم آملة داعية ربها بقلب مخلص صادق بأن يوجهها إلى الطريق السليم وأن يهديها إلى الصراط المستقيم وأن يجعل من أمرها رشدا وأن يعينها فى طريقها ويلهمها دائما الفكر الرشيد للوصول إلى النموذج الذى يرضى به الله عنها فهى فى البداية والنهاية لا تطمع فى شىء إلا رضا الله ، وحب الله ، والقرب من الله .

ومن هنا كان هدفها هو الله ، وأملها هو الله ، ورجاءها هو الله ومن ثم أصبح التقويم من سلوكياتها ، والتهذيب من أخلاقياتها ، ومحاولة صقل نفسها أمرا ضروريا وهدفا حيويا هاما فى حياتها مرضاة لله وحده ، وحبا لله وحده ، وشكرا لله وحده آملة فى القرب من الله . . . والطريق ما زال طويلا .

رابعا : عطاء الله ولمسات الحنان الإلهى التى تشهد وتنطوى على حفظ الله جل جلاله وحمايته :

وتستمر لمسات الحنان الإلهى تضىء حياة هذه الفتاة وتنير أيامها وتحيط بها إذ يصيبها مس من الشيطان يمزق جسدها من الآلام والأوجاع وينجيها الله عز وجل منه ويحميها إذ يهديها إلى ذكر الله وترديد كلمات معينة . . كلمات ربانية يكون فيها الشفاء والراحة والعافية والهدوء والسلامة بإذن الله وفضله .

وتتوقف الفتاة كثيرا حول هذه المواقف التى تلمسها وتشهدها بنفسها لتعرف حقيقة هامة وحيوية وهى أنه :

كان من الممكن أن يحفظها الله وينجيها من هذا المس الشيطانى دون أن تحس الفتاة بأى آلام أو أوجاع ودون أن ترى شيئا ولكن يشاء الله أن يصيبها هذا المس اللعين وينجح الشيطان فى إصابتها بإذن الله إذ تتألم الفتاة ألما

مريرا لكى تشهد بنفسها وتلمس فى كل لحظة بفضل الله عليها وكيف كانت تصرخ من الآلام والأوجاع ، وكيف نجاها الله فى لحظات خاطفة من كل ذلك . . . إنه فضل الله عليها ولمسات حنانه بها إذ هداها سبحانه إلى كلمات ربانية شافية هى العلاج والدواء لها ، وكانت الفتاة بمجرد أن إبتدأت فى تنفيذ هذا العلاج الربانى تحس بالراحة والهدوء والشفاء والنور يسرى فى جسدها كله منة من عند الله وفضلا منه سبحانه .

وكما ينجيها الله من الشيطان وضلاله ، يحفظها سبحانه أيضا من الآلام التى تحس بها فى بعض حالات المرض إذ يرسل لها من جنوده سبحانه ليخفف عنها هذه الآلام ويطمئنها ويحيطها بنور من عنده سبحانه حفظا وحماية لها وهى ترى كل ذلك وتحسه وتلمسه بنفسها وكيانها كله فتشهد فضل الله عليها وحب الله لها ولمسات حنان الله بها الممتزجة بالرحمة والعطف والكرم .

فهيا بنا فى جولة قصيرة لنقف عند بعض الرؤى والمشاهدات التى رأتها الفتاة والتى افتتحت أيضا باسم الله ، ونور الله ، والمنظر العظيم الذى سبق وأن وصفناه[1] والتى تشهد بحفظ الله وحمايته لها ونجاته سبحانه لها من الشيطان ولكى نلمس لمسات حنان الله بها وفيوضات عطائه المفعمة بالحب والرحمة والنور .

- فى يوم من الأيام حيث كانت الفتاة تصلى رأت رؤية عظيمة تضمنت جزءا يشير إلى ما يلى اذ رأت أنها نائمة على السرير وأن نورا قويا جدا عليها وملامس بجسدها إلى درجة أن جسدها محدد به بل لم تظهر آثار الجسد وأن النور هو الذى أخذ شكل الجسد وأنها تقول :

الله . . الله . . الله . ولا تقول الفتاة شيئا إلا إسم الله حتى أن والدتها كانت تكلمها فترد عليها باسم الله ولم يعد يهمها شىء فى هذه الدنيا وأصبحت صغيرة فى نظرها ثم انتاب والدتها حالة من الذهول والفزع ولكنها كانت مطمئنة وشكلها جميل وعليها بياض ثم رأت الفتاة النور ملامس جسدها ثم رأت الشيطان فى صورة حسنة ورأته يحاول أن يخترق هذا النور الملامس لجسدها بيده ليؤذيها فترسل أشعة منبثقة من هذا النور فيقع الشيطان على

(١) الفصل الثانى : ص ٥٠٩

الأرض ويتفتت جسده ثم يقوم بسلطان من الله ، ويلم جسده كله ويحاول مرة أخرى بأقوى من المرة السابقة ولكنه يقع على الأرض ويتفتت أجزاء جسده ويقوم مرة اخرى بسلطان من الله ويلم أجزاء جسده وفى هذه المرة الثالثة يحاول ان يخترق جسد الفتاة وهذا النور بسهم أسمر ولكن ما يلبث هذا النور أن يصدر أشعته التى تعمل عملا مغناطيسيا على السهم فيقع الشيطان وفى هذه المرة يقوم بسلطان من الله ايضا ويلتم اجزاء جسده بامر الله ولكنه يخسأ ويبتعد عن الفتاة ولم يحاول التقريب مرة أخرى .

ثم رأت جزءا آخر وهو أنها وجدت الرسول ﷺ دخل حجرتها وجلس بجوارها وبدأوا يتبادلان كلمات كلها ذكر وتسبيح لله ثم رأت الفتاة الرسول ﷺ عليه بياض ومرتديا ملابس بيضاء ثم قال لها :

بسم الله .. إهدئى فأنت فى أمان الله
ورعاية الله حتى هدأت ، وقال لها عندما
يجىء لك هذا النور فاقرئى سورة فاطر
سيكون عليك هذا النور ولكنك ستهدئى

وفعلا قرأت سورة فاطر وهدأت وحمدت الفتاة الله على ذلك كثيرا ثم خرج الرسول ﷺ ونظر إلى والدتها وطمأنها .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة :
أن الشياطين تتكلم مع بعضها ثم رأت أن إبليس هو أطولهم وأقبحهم منظرا ويقولون : ماذا نفعل حتى ندخل لهذه الفتاة ؟
ووجدت الفتاة مجموعة منهم ترد قائلة بأنها مؤمنة جدا ولا نعرف كيف ندخل لها ورأت الفتاة الشياطين يتداولون عليها .

- فى نفس اليوم رأت الفتاة منظرا آخر حيث رأت الفتاة أن الشياطين يتداولون عليها مرة أخرى ويقولون لأنفسهم :

إننا لا نستطيع أن ندخل إليها لأنها محاطة بسياج من نور وهذا
النور عندما نقترب منها يحرقنا ولولم يكن هذا
السياج من نور لكنا استطعنا أن ندخل إليها .. فماذا نفعل ؟
وانتهت الرؤية على أنهم يتداولون على الفتاة .

ـ فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤ ية والتى تعتبره حدثا مصحوبا برؤ ية اذ رأت أنه دخل سحر إلى فمها ولسانها وفكها الأيمن لدرجة أنها أحست بأنها ستفقد النطق للحظات وجلست تذكر الله وتقول :
الله . . لا إله إلا الله . . لا إله إلا الله محمد رسول الله وهكذا وبالرغم من ذلك فكان عندها الإحساس بأنها ستفقد النطق فى الناحية اليمنى من لسانها وفكها الأيمن وفجأة جاءها النور من الله ، والهاتف بأن تطلب من والدتها بأن تقوم لتغسل يدها ثلاث مرات وتقول وهى تغسل يدها :

الله أكبر . . سبحان الله . . ما شاء الله

ثم تأتى لتقرأ سورة فاطر وهى تتحسس على ابنتها الفتاة ـ بطلة هذه القصة ـ من أعلى إلى أسفل وهكذا حتى تنتهى من قراءة السورة وفعلا طلبت الفتاة من والدتها أن تقوم بذلك وغسلت الوالدة يدها وقالت الكلمات العظيمة التى أُلهِمت بها ابنتها وبدأت الوالدة فى قراءة سورة فاطر وهى تتحسس وتتلمس جسد أبنتها من أعلى إلى أسفل وبدأت الفتاة تحس بالراحة بالتدريج ورأت الملائكة حولها يقولون لها :

لاتخافى وإهدئى

وطلبوا منها أن تفتح فمها وفتحته للحظات وشقوا ناحية خدها الأيمن دون ترك أى آثار وانتزعوا السحر من فمها ورموه على الأرض وأحرقوه ، وقالوا لها .

الحمد لله . . انتهى كل شىء . .
ستحسين بآلام فى الناحية اليمنى من بطنك
ولكن . . تحمّليها ولكنها ستنتهى بالتدريج

وفعلا حدث ما قالوه لها ، وبدأت تحس الفتاة بالراحة والهدوء تعود إلى جسدها ونفسها مع ألم بسيط فى البداية فى الجهة اليمنى من بطنها ثم ذهب وانتهى نهائيا .
وحمدت الفتاة الله كثيرا على ذلك ، وطُلب منها ان تطلب من والدتها ان تغتسل وطلبت منها ذلك ثم طُلب من الفتاة شيئا آخر وهو أن تقوم لتصلى وعندما تقيم الصلاة فلتصلى وتقرأ بصوت عال وفعلا نفذت ذلك وبدأت

تحس رويدا رويدا بالهدوء والنور والأمان النفسى يعود إليها وكل ذلك بفضل الله وحده .

فلقد كان هذا حدثا حقيقيا حدث للفتاة ، فلقد أصيبت بشىء مروع ثم رحمها الله وتلطف بها أن أرسل لها ما ينقذها بكلماته ونوره حيث رأت أثناء قراءة والدتها لسورة فاطر بأن نورا بعيدا أمامها وعندما انتهت الوالدة من قراءة السورة رأت الفتاة هذا النور وعليه إسم الله مكتوبا باللون الأبيض والخط الأبيض وبمجموعة من الجواهر الثمينة واللالىء التى لم تر مثيلها فى حياتها ، وأن على إسم الله نورا هو أقوى الأنوار الإلهية ورأت كل ذلك أمامها وأرسل الله لها من جنوده من أنقذها وكان كل ذلك بفضل الله وحده . واعتبرت الفتاة أن هذا كله آية من الآيات لها وحدثا عظيما جعلها تحمد الله كثيرا وتشكره كثيرا وتسبّح بحمده وتركع وتسجد له حمدا وشكرا على فضله العظيم عليها .

- فى نفس اليوم وبعد هذا الحدث رأت الفتاة رؤ ية تضمنت جزءا يشير إلى ما يلى : بأنها ستفقد النطق للحظات بل فقدته فعلا للحظات ورأت أن جميع من يعرفونها من أصدقاء وأقارب عرفوا ذلك وأنها فقدت النطق ثم رأت بعد ذلك أن النطق عاد إليها مرة أخرى بفضل الله ولما عاد أصبحت لا تتكلم إلا بكلمات الله فقط ولا شىء غير ذلك حتى أنها رأت أن نورا يخرج من فمها .
وانتهى هذا المنظر على ذلك الذى كان جزءا من رؤ ية .

- فى يوم آخر رأت الفتاة رؤ ية (وفى الواقع الفتاة تعتبر هذا حدثا مصحوبا برؤ ية) حيث أنها احست فى يوم من الأيام بأنها متعبة وأن شيئا غريبا يسير فى جسدها أى أن فى جسمها جسم غريب آخر لا تعرفه فرأت هذه الرؤ ية الغريبة .

أن بداخلها حشرة تشبه الحرباية وشكلها قبيح ولونها أسود تسير فى جسدها وتجرى بداخلها تريد أن تقطع العرق الذى رأته الفتاة من قبل الذى يقول دائما وابدا لا إله إلا الله لتقطعه ثم وجدت فتاتنا بطلة القصة فتاة (أنثى) مرتدية أبيض فى أبيض وشكلها جميل جدا تجرى وراء هذه الحرباية جريا

وبقفزات واسعة لتقضى عليها قبل أن تصل إلى العرق لتقطعه وفعلا نجحت هذه الفتاة الأنثى الجميلة فى الإمساك بهذه الحرباية التى جاء لبطلة هذه القصة أنها أى الحرباية شيطان وقضت عليها نهائيا .

وبدأت تشعر فتاتنا ـ بطلة هذه القصة ـ بعدها بالراحة وقالت .

الحمد لله . الحمد لله . الحمد لله .

ثم غفلت ونامت لفترة صغيرة ووجدت قمرا كبيرا جدا منورا نورا ساطعا وعليه إسم الله مكتوبا باللون الأبيض والخط العريض الجميل وببريق ولمعان لم تر الفتاة مثيله فى حياتها وبمجموعة من الجواهر واللالىء البيضاء الثمينة التى لم تر مثيلها فى حياتها وأن على إسم الله نورا هو أقوى الأنوار الإلهية ثم وجدت الفتاة أن هذا القمر الكبير الذى يكبر القمر العادى فى حجمه يجىء على وجهها للحظات ثم ذهب إلى مكانه ناحية المشرق مرة أخرى واستيقظت بعد ذلك وأحست بأن روحانياتها عالية جدا وأن نور القمر يلمس جسدها كله ويجعلها فى موقف الخشوع والرهبة .

ثم جاءها ان هذا القمر سيجىء إليها طول اليوم وسيتحرك ناحيتها حتى يثبت على صدرها ويظل ثابتا على صدرها . وفعلا رأت الفتاة القمر يجىء رويدا رويدا طول اليوم إليها من ناحية المشرق وأحست به طول اليوم حتى ثبت على صدرها وهو منور نوره الهادىء الجميل وعليه إسم الله بالخط الأبيض وبمجموعة من الجواهر الثمينة وبأقوى الأنوار الإلهية وانتهى الحدث الممتزج بالرؤ ية على ذلك .

ـ فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤ ية حيث كانت تقرأ سورة الرحمن فرأت أن فى الحجرة ثعابين سوداء صغيرة جدا ، وأن بقراءتها القرآن قضى عليها ثم رأت وهى فى الحجرة أن ثعبانا كبيرا ضخما لم تر فى ضخامته ابدا ولونه أسود يقترب منها وبجانبها ويريد أن يقضى عليها . . كل ذلك وهى تقرأ سورة الرحمن ، وفى وسط السورة تقريبا وفى جزء معين حيث لم يتبق من الآية التى تقول : فبأى آلاء ربكما تكذبان إلا هذه الآية ١١ مرة فجاءها أن لسانها يردد الآيات الباقيات من السورة المذكورة أما قلبها سيقول هذه الكلمات وهى كالتالى :

١ ـ عندما تقول الفتاة فبأى الآء ربكما تكذبان الأولى يقول قلبها « الله » ثم تستكمل قراءة السورة

٢ ـ عندما تقول الفتاة فبأى الآء ربكما تكذبان الثانية يقول قلبها « الله » ثم تستكمل قراءة السورة

٣ ـ عندما تقول الفتاة فبأى الآء ربكما تكذبان الثالثة يقول قلبها « الله » ثم تستكمل قراءة السورة

٤ ـ عندما تقول الفتاة فبأى الآء ربكما تكذبان الرابعة يقول قلبها « لا إله إلا الله » ثم تستكمل قراءة السورة .

٥ ـ عندما تقول الفتاة فبأى آلاء ربكما تكذبان الخامسة يقول قلبها « لا إله إلا الله » ثم تستكمل قراء السورة .

٦ ـ عندما تقول الفتاة فبأى آلاء ربكما تكذبان السادسة يقول قلبها « لا إله إلا الله » ثم تستكمل قراءة السورة .

٧ ـ عندما تقول الفتاة فبأى آلاء ربكما تكذبان السابعة يقول قلبها « الله » ثم تستكمل قراءة السورة

٨ ـ عندما تقول الفتاة فبأى آلاء ربكما تكذبان الثامنة يقول قلبها « الله » ثم تستكمل قراءة السورة

٩ ـ عندما تقول الفتاة فبأى آلاء ربكما تكذبان التاسعة يقول قلبها « الله » ثم تستكمل قراءة السورة

١٠ ـ عندما تقول الفتاة فبأى آلاء ربكما تكذبان العاشرة يقول قلبها « الله نور السموات والأرض » ثم تستكمل قراءة السورة .

وهنا لم يتبق إلا فبأى آلاء ربكما تكذبان واحدة فقط
قالتها الفتاة بلسانها ولم يقل قلبها شيء فحدث الحدث الآتى :
أى فى المرة الأخيرة التى لم تقل الفتاة فيها شيء حدث التصرف النهائى
بإذن الله حول الثعبان وهو .

كان الثعبان بدأ يقترب منها ويريد أن يخنقها فبعد أن انتهت من قول « فبأى آلاء ربكما تكذبان » التاسعة بدأ يتزحزح إلى الوراء وبدأت ترى نورا صغيرا أمامها ثم بدأ هذا النور ينتشر فى المكان كله ، وعندما قالت :

« الله نور السموات والأرض » وجدت شعاع من نور حاجز بينها وبين الثعبان وهذا النور قضى عليه تماما وأرجعه إلى الوراء وتلوى وسقط على الأرض واختفى ثم وجدت الفتاة النور انتشر فى المكان كله وفى الحجرة كلها .
وانتهت الرؤية على ذلك .

- فى يوم آخر رأت الفتاة حيث كانت جالسة على السفرة وفجأة وجدت أمامها مجموعة من الشياطين على هيئة اشكال غريبة الشكل لا هى طيور ولا هى حشرات ولونهم وحش جدا ثم بعد ذلك أحست الفتاة بتعب فى عيناها ولكن رحمة الله تداركتها حيث جاءتها مجموعة من الطيور البيضاء والبنات الجميلة التى ترتدى أبيض وانتشرت فى المكان أمامها وبالقرب من مكان الشياطين ولم تر الفتاة بعد ذلك الشياطين وأحست بتحسن فى عيناها إلى أن عادت إلى حالتها الطبيعية .

- فى يوم آخر حيث كانت الفتاة تقرأ بعض القراءات وفجأة أحست بتعب شديد وبصفة خاصة فى لسانها حيث كانت تحس بتعثر بلسانها وكأنها تكاد تفقد النطق وذكرت إسم الله عز وجل والشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وقرأت آية الكرسى ودعت الله بأن يحفظها ثم رأت هذه الرؤية .
أن شيطانا ضخما واقفا تحت ذقنها ولقد نجح هذا الشيطان فى تعثر لسانها وتكاد تفقد النطق لولا رحمة الله بها حيث رأت أن نورا قادما إليها وبدأ يثبت حولها ورأت الملائكة من حولها وبدأ تعبها يخف ثم وجدت الملائكة تقول لها .

لكى تعرفى فضل الله عليك ، ورحمته بك
وإنقاذه لك فى كل مرة لطفا بك
وهذا حب الله لك ثم قالوا لها .
لقد رأيت برهان ربك فلا تكفرى
واركعى لله كثيرا واسجدى لله كثيرا
واشكرى الله كثيرا على فضله العظيم لك
وقولى دائما :

الحمد لله رب العالمين على كل شىء .
وانتهت الرؤية على ذلك .

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤية .
أن باب الأرض انفتح وهنا رأت رمزا معينا لفتح الأرض حيث رأت بلاطا أبيضا على هيئة باب ينفتح ثم رأت شيئا ما تحته وهو :
ان طائرين لونهم أبيض وفى صورة جميلة جدا جدا ويتكلمون عن الفتاة ، ولكن أعانها الله سبحانه وتعالى وأعطاها القدرة على التمييز بأن عرفت أن هذين الطائرين هم شياطين بالرغم من جمالهم الرائع وهذه القدرة وهذه النعمة التى تنعم بها الفتاة بفضل الله وحده .
ثم سمعت الطائر الأول يقول للثانى : ماذا سنعمل معها ؟
فأجاب الثانى : لا أعرف إنى محتار جدا
فقال الأول : نريد أن ندخل لها من أى باب ولا نعرفه فما العمل ؟
فرد الثانى : انى مثلك تماما فى حيرة ولا نعرف الدخول اليها ، فدعنا نفكر معا فى طريقة ما .
وهكذا استمر الحوار الذى يدل على حيرة الشياطين من الدخول إلى هذه الفتاة وإعاقتها عن الطريق وهذا كله بفضل الله وحده والحمد لله على ذلك كثيرا .

* وهنا لنا وقفة حيث نتساءل كيف عرفت الفتاة بأن هذين الطائرين هم شياطين بالرغم من صورتهما الجميلة الرائعة التى ظهروا للفتاة بها ؟
لقد عرفت الفتاة ذلك بفضل الله وحده وبسلطان من عند الله ، وأنه فضل الله عليها ونعمته الكبرى لها التى تحمد الله عليها فى كل لحظة حمدا وشكرا كثيرا .

- فى يوم آخر رأت الفتاة رؤية طويلة تضمنت هذا الجزء :
عندما بدأت تصلى رأت أن نورا أمامها والحمد لله ، ثم حدث لها حدثا معينا مصحوبا برؤية حيث أحست الفتاة ببعض الألم فى صدرها من الجهة اليسرى ومع ذلك استكملت صلاتها وجاءها فى لحظة معينة أن تذهب وتستلقى على سريرها حيث أنه ستأتيها الطيور والبنات الجميلة التى تراها

وسيملسن على صدرها وستشفى تماما . وفعلا نفذت الفتاة ما جاءها اذ عندما انتهت من بعض الصلوات ذهبت لتستلقى على ظهرها ورأت فعلا الطيور البيضاء التى تقول دائما : لا إله إلا الله وطارت حول مكان الألم ووقفت عليه وهى تذكر إسم الله وتسبّح لله ثم جاءها بعدها مجموعة من البنات وبدأن يذكرن إسم الله وتراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح لله سبحانه وتعالى ثم رأتهن بدأن يملسن على مكان الألم وهن يذكرن إسم الله ويدعون لها بالشفاء ويقلن .

لا إله إلا هو وحده لا شريك له

هو الذى يطعمنى ويسقينى واذا مرضت فهو يشفينى

وهكذا ثم استيقظت الفتاة بعد ذلك واختفى النغز الذى كانت تشعر به وأصبحت لا تحس بأى ألم وحمدت الله على ذلك كثيرا . . فإن فضل الله عليها عظيما والحمد لله رب العالمين .

وكان هذا جزءا من الرؤية التى رأتها الفتاة .

- فى يوم آخر رأت الفتاة بفضل الله ما يلى (وكان هذا حدثا) : بدأت تصلى فى السهرة الدينية المعتادة التى تقوم بها ثم بدأت تحس بتعب فى ساقها اليسرى ثم بعد لحظات جاءها أن تذهب وتسترخى على فراشها لمدة عشرة دقائق وكان هذا فى تمام الساعة الثالثة وخمسين دقيقة (صباحا) وفعلا وبعد أن انتهت من صلواتها (وكان ذلك قبل الفجر بقليل) دخلت لتسترخى على فراشها فرأت ما يلى : أن مجموعة من الطيور البيضاء جاءتها واحتكت بمنقارها على رجلها وهى تقول :

سبحان الله . . لا إله إلا الله وحده لا شريك له

هو وحده الشافى . . وهو العافى . . وهو المعين . .

بيده وحده الشفاء . . بيده وحده الملك . .

بيده وحده العون . . فهو الذى يطعمنى ويسقينى

واذا مرضت فهو يشفينى

الله . . الله . . الله . . الله .

ثم بعد ذلك جاء دور البنات الجميلات وبدأن يذكرن اسم الله ثم اقتربن من الفتاة وهن يملسن عليها وصببن عليها ماءاً طهوراً وهن يذكرن اسم الله ثم

قلن نفس الكلمات التى قالتها الطيور وبدأت بعد ذلك الفتاة تحس ببعض الراحة حيث أن الألم خف عن ذى قبل واستيقظت وقالوا لها .

هذه مرحلة أولى ، أما المرحلة الأخرى

فستكون بإذن الله بعد صلاة الفجر

وقامت الفتاة واستيقظت لتستكمل صلاتها وتسبيحها وقراءتها للقرآن .

وعندما بدأت فى قراءة القرآن الكريم رأت رؤ ية جميلة وعظيمة بفضل الله وحده . وبعد ان إنتهت من تلاوة القرآن الكريم وبعد صلاة الفجر قامت إلى سريرها لكى تستلقى حيث جاءها أن الطيور والبنات الجميلة ستحضرن إليها لتلمسن على ساقها كمرحلة ثانية ، وفعلا بدأت الفتاة تستلقى على فراشها وطلبت من الله الشفاء فهو سبحانه الذى يطعمها ويسقيها واذا مرضت فهو الذى سبحانه يشفيها .

وفعلا جاءتها الطيور وبدأت تذكر الله وتسبّح الله وتحمده ثم بدأت تملس عليها بمنقارها وهى تقول نفس الكلمات السابقة .

ثم بعد ذلك جاء دور البنات وبدأن بذكر الله وحمد الله وتسبيح الله ثم قلن نفس الكلمات السابقة وهن يملسن عليها ، وفعلا بدأ الألم يذهب تماما وبدأت الفتاة تستريح بالرغم من وجود قليل من الآلام فى ركبتها فقيل لها عندما استيقظت .

لاتقلقى فهذه الآلام ستذهب وتزول وحدها

ولا داعى لأخذ الفوار أو أى شىء .

وفعلا زالت هذه الآلام تماما ولقد اعتبرت الفتاة ما حدث لها حدثا ممتزجا برؤ ية حمدت الله كثيرا على نجاته سبحانه لها وشكرته كثيرا على الشفاء الذى منّة عليها وفضله العظيم الذى وهبه لها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة رؤ ية تعتبرها حدثا ممتزجا برؤ ية وهى :

(عندما كانت تستعد للنوم مساءا) رأت أن شيطانا ضخما أمامها ووضع شيئا فى فمها على شكل بلية صغيرة عليها غماق ، وأن هذه البلية من النوع الذى يتزحلق وفعلا نجح الشيطان فى وضع هذه البلية الغامقة فى فمها وانزحلقت

إلى أن بدأت تسير فى جسدها ومعدتها وأمعائها فجاء لها أن تقول الكلمة التى دائما تقولها عندما ترى الشيطان هى :

اخسأ يا شيطان يا رجيم (٣ مرات)
لا إله إلا الله وحده لا شريك له
سبحانه هو المعين وهو الشافى وهو الحافظ
سبحان الله لا إله إلا هو
هو الذى يطعمنى ويسقينى وإذا مرضت فهو يشفينى (٣ مرات)

ثم قول :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له
القادر على كل شىء (٣ مرات)

ثم تستعيذ الفتاة بالله من الشيطان الرجيم وتطلب من الله أن يحفظها من الشيطان ووسوسة الشيطان إنه هو سبحانه الحافظ .

ثم بعد ذلك رأت الفتاة الثلاثة بنات الجميلات الشكل فتحن فمها بسرعة بعد ذكر الله وتسبيح الله ووضعن فيه ماء طهور ثم رأت أن هذا الماء الطهور بدأ يجرى داخل جسدها خلف هذه البلية الغامقة حتى قضى عليها تماما ثم رأت أن هذه البنات الثلاثة أحضرن نورا بإذن الله وجاء هذا النور على الفتاة وأحاطها ولفَّ حولها ثم قلن لها :

بإذن الله الآن ستكونين بخير
وفى أمان فلا تخافى

وانتهت الرؤية على ذلك .

* وفى الحقيقة لنا هنا وقفة حيث أن الفتاة اعتبرت ما حدث لها وما رأته هو حدثا مصحوبا برؤية حيث أحست فى اليوم التالى بأنها عصبية جدا وفى حالة انفعال شديدة أكبر من أن تستطيع أن تتحكم فى نفسها فجاءها إحساس عميق بأن هذه العصبية التى تتملكها هى البلية التى دخلت الى جسدها حيث بدأت تهدأ بعد الظهر رويدا رويدا والحمد لله على كل حال .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أنها فى هذه الدنيا مسجونة ، وأن جميع البشر من حولها يسجنونها ثم فجأة وجدت الملك الكريم فى السماء وفك قيدها وسجنها ووجدت نفسها فى السماء ثم بدأ حديثه بتراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح لله سبحانه وتعالى ثم قال لها :

والآن .. آن الأوان لكى تنطلقى

ثم وجدت نفسها تسير فى السماء والملك الكريم يقودها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أنها تسير فى طريق أبيض جميل وهذا الطريق طويل جدا ، وفجأة وبعد أن سارت فيه لفترة قابلها شاب جميل الهيئة أو الصورة ولونه أبيض قال لها :

تعالى استرحى قليلا وفعلا استجابت له واستراحت تحت ظل شجرة ووجدته يقدم لها أكل ولكنها مأكولات بيضاء ويدعوها إلى تناول الطعام أو هذه المأكولات .

وفجأة على الجانب الآخر من الطريق رأت شابا آخر جميلا جدا وجاءها أنه ملك من الملائكة وقال لها :

إحذرى ، اياك وأن تأكلى فإن هذا الشاب الذى أمامك ويقدم لك الطعام إنما هو شيطان ويريد أن يعطلك ويعيقك عن الطريق فاحذرى .

فاستجابت الفتاة لنداء الملك وقامت بسرعة ولم تتناول أى شىء من المأكولات المقدمة لها واستكملت مسيرتها فى الطريق وبعد أن سارت لفترة أخرى جاءها هذا الشاب الجميل مرة أخرى الذى حذرها منه الملك وقال لها هذا الشاب :

إحذرى من أن تصدقى كلام (الشاب الآخر أى الملك) لقد جاءك على أنه ملك وهو ليس بملك وبدأ هذا الشاب يشككها فى الشاب الذى جاءها أنه ملك من الملائكة واستكمل حديثه قائلا بأنه يريد أن يتعبك .. إن الطريق طويل ولابد أن تسترحى

قليلا ، أما هذا الشاب الآخر فيريد أن يتعبك وأنا أدعوك مرة أخرى لكى تجلسى وتستريحى لفترة .

هكذا كان كلام الشاب والذى سبق وأن حذرها منه الملك ، والغريب أن كان هناك يقينا بداخل الفتاة بتصديق حديث الملك ولم تصدّق هذا الشاب فردت عليه قائلة :

أنا لست متعبة لكى أستريح ، وأريد أن استكمل مسيرتى فى الطريق

وصممت الفتاة على ذلك وتركته وبدأت تقفز قفزات واسعة وبجانبها أو بالقرب منها هذا الملك الذى أخذ يشجعها بأن تقفز فى طريقها الذى تسير فيه .

وانتهت الرؤية على ذلك .

* ولنا هنا وقفة : كيف عرف الشاب (الشيطان) بحديث الملك لا شك وأنه عرف ذلك بسلطان من عند الله .
ولنتأمل كثيرا فى هذه الرؤية حيث نقف لنتساءل :
كيف ولماذا أحست الفتاة بيقين بداخلها يملأها لتصديق الشاب الآخر (الملك) وكأن شيئا ما بداخلها يدفعها الى تصديقه وأن كل ما يقوله هذا الملك هو الحقيقة .

لا شك بأن هذه الفتاة استطاعت أن تميز بين قول الحق والباطل بفضل الله وحده وبسلطان من عنده وحده وبمشيئته وحده حيث أعطاها الله عز وجل الشعور والإحساس اليقينى بتصديق الملك وتنفيذ ما يقوله . . .

اذن فهو فضل الله عليها .

هكذا كانت هذه هى بعض الرؤى والمشاهدات التى رأتها الفتاة المصحوبة بأحداث ملموسة ومشهودة حيث لمست الفتاة بنفسها ورأت بعيناها فضل الله العظيم عليها وعطائه الكريم لها ولمسات حنانه اللطيفة بها

إذ كانت تشعر بالألم يمزق جسدها سواء أكان هذا الألم نتيجة مس شيطانى أصابها أو آلام وأوجاع مرض حلّ بها ، وتشهد الفتاة فضل الله عليها ورحمته بها حيث ينجيّها من كل هذا لتعرف وتؤمن بأن الله وحده هو الذى ينجيها ويحميها ويحفظها وليس لها من دون الله من ولى ولا نصير ، ولكى ترى كيف يكون عطاء الله على عبده المؤمن عظيما وكيف تكون لمسات حنانه بها رائعة تنطق بنفسها وتعبر بذاتها عن فضل الله الكريم .

هذا بالإضافة إلى بعض الرؤى التى رأتها الفتاة والتى ذكرنا جزءا منها فى الفصل التاسع « الصبر عن الله والربط الإلهى » حيث أصابها مس شيطانى كاد أن يفتك بها لولا رحمة الله بها وحنان الله عليها إذ هداها سبحانه إلى علاج ربانى كان له الأثر العميق فى شفاءها وسلامتها .

وتتعلم الفتاة من هذا العطاء الربانى الكثير وتفهم من لمسات الحنان الإلهى بأن نجاة الانسان فى التمسك بالله واللجوء إلى الله وحده والإيمان به هو وحده لا شريك له ، والحرص والمحافظة على ذكره وسبحانه وحمده وشكره والثناء عليه وحده سبحانه الله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء يحى ويميت وهو على كل شىء قدير . . الله الرحمن الرحيم الحى القيوم الظاهر الباطن لا إله إلا هو رب العرش العظيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده .

وتحمد الفتاة الله كثيرا على عطائه الكريم لها وفضله العظيم عليها وحنانه الرحيم بها والذى يغمرها ويحيطها ويملأ حياتها وينير أيامها أملا وبهجة وجمالا وحبا لله العلى الكبير وتغوص فى أعماق بحار حبها كأنها موجة من الأمواج تعلو وتهبط غارقة فى حب الله . . . سابحة فى حنان الله يملأها الشوق والحنين للقاء الله فتسجد سجود حب لله وتحس بأن نبضاتها ودقات قلبها وهمسات فؤادها وأنفاسها وذرات روحها التى تنبض بالحياة وكيانها كله يسجد معها لله الواحد الوهاب حبا له جل جلاله وحمدا له سبحانه وتجد الفتاة نفسها تناجى ربها بحب وخشوع ورهبة يملأ نفسها وروحها وأعماقها وفؤادها . . تغرقها الدموع التى تفجرّت كأنهار لا تستطيع إيقافها لأنها أقوى منها . . إنها دموع صادرة من آهات الحب الصافى ونبضات القلب الصادق نابعة من لوعة الشوق الجارف الى الله والحنين

المتلهف للقاء الله . . إنه إحساس بأيام ولحظات عمرها كله . . شعور يهزها فتحس بإهتزاز وخشوع ورهبة كل شىء معها فتردد من أعماقها بل من أعماق أعماقها هذه المناجاة المصحوبة بدعاء عميق خالص :

الله . . . الله . . . الله
لا إله إلا الله محمد رسول الله . . .
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

اللهم لك الحمد . . اللهم لك الشكر . . اللهم لك الفضل الكبير
إنك أنت ذو الفضل العظيم يا رب العالمين .

اللهم أدخل السكينة والطمأنينة فى قلبى
اللهم اجعل لى قلبا كبيرا وبث فىّ حبا يشرق بنور الإيمان
اللهم اجعل من خلفى ومن حولى سدا منيعا يقضى على كل أذى ويحرق كل شرير آثم
اللهم أعمى عنى كل حقود حسود ، وأبطل عمل أى منهم يريد أن يفتك بى

اللهم اجعل لى طريقا من نور .
اللهم بارك لى فى حياتى ، واجعل السعادة والهدوء ترفرف على روحى
اللهم اجعل طريقى إليك متماسك . . مترابط برباط وثيق كالعروة الوثقى نوره الإيمان بك . . والركوع لك . . والسجود لك . . والتسبيح لك . . والحمد لك . . والشكر لك على فضلك العظيم ، ومنتهاه هو القربة منك والفوز بمحبتك ورضاك يا رب العالمين . .
آمين . . .

اللهم لك الحمد . . اللهم لك الشكر . . اللهم لك الفضل الكبير

إنك أنت ذو الفضل العظيم
والحمد لله يا رب العالمين
الله . . . الله . . . الله .

وفى الحقيقة لقد كان فضل الله على هذه الفتاة عظيما وفياضا حيث لم يقتصر عطاء الله الكريم لها بحياتها الشخصية أو نفسها ذاتها فقط وانما كانت آثار رحمته بها ممدودة ، ولمسات حنانه بها موصولة ، وآيات فضله عليها مستمرة حيث كشف الله عز وجل لهذه الفتاة طرفا من الأمور والأحداث العامة التى تدور وتجرى على مسرح الحياة والتى لا علاقة للفتاة بها ، ولا تمس أى جزئية من حياتها سواء بصفة عامة أو على وجه الخصوص .

ولقد رأت فتاتنا هذه الرؤ ى منذ سنوات عديدة والتى تضمنت وكانت تشير الى بعض الأحداث العامة التى تحملها الأيام ولم تفهم فى ذلك الوقت ما معنى هذه الأحداث التى تراها ؟ وما المقصود منها ؟

ولكنه فضل الله عليها لتقف وتلمس كيف أن عطاء الله كريم لا حدود له لا يقف عند حد ولا يقتصر بشىء محدد . . له ما يشاء ويفعل ما يريد وهو الله الوهاب الكريم الرحمن الرحيم مالك الملك ذو الجلال والإكرام .

ولنقف هنا وقفة لنتلمس جزءا صغيرا جدا من هذه الرز ى التى تحكى بعض الأمور العامة التى تجرى على مسرح الحياة والتى لا علاقة للفتاة بها ولا ترتبط بحياتها الخاصة والتى افتتحت جميعها أيضا باسم الله ونور الله والمنظر العظيم السابق وصفه[1] .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة هذه الرؤ ية :

أن نورا على السعودية أى مكة .

- فى يوم من الأيام (وكان ذلك فى شهر من شهور رمضان الكريم) منذ حوالى سبع سنوات رأت الفتاة هذه الرؤ ية :

أن هناك مجموعتين :

---

(١) راجع الفصل الثانى : ص ٥٩

المجموعة الأولى من البشر ويدعون الى الله أى أنهم يجاهدون فى الدعوة إلى الله .

المجموعة الأخرى ليسوا من البشر وأيضا يدعون إلى الله .

ورأت الفتاة نفسها من المجموعة الثانية التى ليست من البشر ورأت أن هذه المجموعة تجاهد مخلصة لوجه الله تعالى فى الدعوة الى الله ، ورأت أن الله يرضى وسينصر هذه المجموعة الثانية أما المجموعة الأولى من الممكن أن تصيب دعوتهم وتنتصر مرة ، ومن الممكن ألا تنفع مرة أخرى لأنهم مشغولون بالدنيا أيضا فلذلك من الممكن أن تصيب وتؤثر مرة ، ومرة تخيب أما المجموعة الأخرى فهى فائزة برضى من الله ونصر من عنده لأنه ليس همها إلا الدعوة إلى الله بإخلاص دون النظر إلى الدنيا وهذه المجموعة التى ليست من البشر هى التى تجاهد بإخلاص فى الدعوة الى الله وهى التى سينصرها الله على الدوام لأنها تدعو إلى الله بإخلاص ودون الإنشغال بالدنيا .

* ولنا هنا وقفة حيث تفكرت الفتاة كثيرا حول هذه الرؤ ية إذ تأملت فى المجموعة التى ليست من البشر وتساءلت كيف تكون هى من هذه المجموعة وهى تُعتبر من جنس البشر .

وبعد تفكير عميق وتأمل طويل فى أغوار هذه الرؤ ية هداها تفكيرها بفضل الله والله أعلم الى هذا التحليل وهو :

أن المجموعة التى ليست من البشر رمزا يمثل مجموعة أناس فعلا يعيشون فى الدنيا ولكنهم تجردوا من الأهواء والآفات البشرية التى من الممكن أن تعيقهم عن الطريق وأصبحوا أناس يحيون بالله ولله فقط ولم تتملكهم أية أهواء أو رغبات أو مصالح شخصية فإن هدفهم هو الله ورجاؤ هم هو الله وأملهم هو الله ومنتهاهم هو الله وغايتهم الوحيدة التى يعيشون من أجلها حب الله ومرضاة الله .

إذن فهم حقا مجموعة يختلفون عن البشر لأنه ليست فى نفوسهم أية أهواء أو متاع شخصية أو رغبات ذاتية ولكن تمتلىء أرواحهم

ونفوسهم بحب الله ويعيشون فى نور الله ويحيون برحمة الله وينعمون بحنان الله وعطاء الله الفياض الوهاب .. فهم أناس خالصين لله وحده .

ولذلك فهم مخلصين فى دعوتهم إلى الله أما المجموعة التى من البشر هم أيضا مخلصين فى دعوتهم إلى الله ولكن تتملكهم مع ذلك بعض الأهواء والمصالح الدنيوية والصفات البشرية والرغبات الذاتية التى من الممكن أن تعطلهم عن مواصلة طريقهم إلى الله .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن الكعبة فى السعودية عليها نور من الله ، وحولها بعض المفسدين الذين يريدون أن يفسدوها ثم وجدت الفتاة نفسها والمجموعة التى ليست من البشر الداعية الى الله يقبلون بكل قوة لبناء صرحين من البناء الأبيض ليحموا الكعبة وبدأت هذه المجموعة فعلا فى البناء وهم يذكرون إسم الله ويقولون :

بسم الله .. الله .. سبحان الله .. ما شاء الله .. الله أكبر .. لا إله إلا الله .. محمد رسول الله .. والحمد لله ..

ويذكرون كل كلمة ثلاث مرات وغيرها من الكلمات الأخرى التى فيها ذكر لله ثم انتهوا من بناء هذين الصرحين وبإذن الله حُميت الكعبة من المفسدين والحمد لله على ذلك كثيرا .

- فى يوم من أيام شهر رمضان بإحدى السنوات رأت الفتاة أن المجموعة التى ليست من البشر والتى هى منهم ذهبوا إلى الكعبة ، وجميعهم يرتدون ثيابا بيضاء ليقيموا صرحين من البناء لحماية الكعبة وظلوا يعملون فى الكعبة أياما طويلة وكان يجىء لهم رزقهم من الكعبة ثم مكافأة وثوابا لهم أعطى الله كل منهم رزقا مختلفا عن الآخر وكان رزق هذه الفتاة هو حجرة فى بيت واسع كبير من الجواهر تعيش فيه ، وهو بيت واسع وجميل ومن الصعب وصف جماله فكله مصنوع من الجواهر والأعمدة من رخام أبيض ومحلى بمجموعة من الجواهر أى أنه بيت جميل ورائع ثم فجأة

وجدت الفتاة أبى لهب يدخل هذا البيت ويقول للفتاة : بأنه سيحاول أن يكون أميرا على الكعبة .

فقالت الفتاة له : كلا . . ليس لأحد أبدا أن يكون أميرا على الكعبة فإن الله وحده هو حافظ الكعبة وليس لأحد أبدا أن يكون أميرا أو ملكا عليها .

ثم وجدته الفتاة يسألها : من أين لك بهذا البيت الجميل ؟

فقالت الفتاة : إن هذا رزقى من الله وعن عملى فى الكعبة .

قال أبى لهب : إذن أكون أميرا أو ملكا على هذا البيت .

فقالت الفتاة : كلا . . لن أسمح بذلك فإنى أرحب بك ضيفا أما أن تكون ملكا أو أميرا على هذا البيت فلا يمكن أبدا لأن هذا البيت كله من الله وكل الجواهر والرخام من الكعبة ولا يمكن أن أفرط فيه وأجعل أى أحد ملكا أو أميرا عليه .

فقال أبى لهب : سأكون ملكا أو أميرا على هذا البيت سواء رضيت أم أبيت .

فنظرت الفتاة إلى السماء ودعت الله فى نفسها قائلة :

يا رب . . اللهم إحمنى منه وإحم هذا البيت منه

ثم رأت الفتاة بعد الإنتهاء من دعوتها أن أبى لهب عليه غماق وسواد ثم أبعُد من البيت الى مكان بعيد ولم يستطع الإقتراب من هذا البيت وهكذا حفظها الله وحفظ هذا البيت والحمد لله على ذلك كثيرا .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أثناء قراءتها للقرآن بأن صوتا ملائكيا يكلمها وبدأ كلامه معها بتراتيل معينة كلها تسابيح وذكر لله سبحانه وتعالى ثم قال :

بسم الله . . إن هذه الأنوار التى تُسلط عليك أنوار صادقة لأنها من عند الله ، ولو أن نورا صغيرا واحدا من هذه الأنوار سُلط على الأرض لمن الممكن أن يطيح بهذه الأرض وبالفساد الذى عليها ويذهب بقوم ويأتى بقوم آخرين فاحمدى الله كثيرا على

رحمته لك فى تحملك لهذه الأنوار الجميلة البراقة التى ليس لها مثيل فى الوجود .

- فى نفس اليوم وبل وفى نفس السهرة رأت الفتاة بأن نورا صغيرا سُلط على الأرض وانقسم الناس إلى ثلاث مجموعات :

١ - المؤمنون الصالحون .
٢ - المؤمنون .
٣ - المفسدون .

فعندما سُلط هذا النور على الأرض صعد المؤمنون الصالحون الى السماء حيث أمر الله بصعودهم إلى السماء لإنقاذهم ، أما المجموعة الثانية وهم المؤمنون فظلوا على الأرض يهنأون بحياتهم ، أما المفسدون فقد خسف الله بهم الأرض حيث أنهم نزلوا تحت الأرض (أى بمعنى أن الأرض إبتلعتهم فنزلوا تحتها) وكان هذا من أثر تسليط النور على الأرض ورحم الله عز وجل المؤمنون وهذا ما أراده الله . . له ما يريد وهو على كل شىء قدير .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن بابا من السماء فُتح لها ورأت نورا قويا جدا لم تر مثيله ثم رأت أن هناك مفسدين فى الأرض ، وأن الله جل جلاله بإذنه سيطيح بهم ثم رأت أن هناك نورا أبيضا صغيرا ، هذا النور سيسلط على الأرض بإذن الله وفى طريقه للإصلاح وسيطيح بالمفسدين ويطهر الأرض منهم .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة هذه الرؤية والله أعلم :

أنه تحت الأرض حربة صغيرة . . ولقد جاء للفتاة أن هذه الحربة صغيرة فى ظاهرها ولكنها طويلة جدا حتى أنه لا يعرف أحدا أين تبدأ وأين تنتهى . . ؟ ثم رأت الفتاة أن هذه الحربة تأكل الأرض رويدا رويدا . . فالأرض أو المكان الذى يقف عليه المفسدون تأكله الحربة حتى تنشق الأرض فتُحدث بؤرة فيقع المفسدون ويموتون وتكون هذه نهايتهم الفظيعة أما الأرض أو المكان الذى يقف عليه الإنسان المؤمن سواء أكان ذكرا أم أنثى فيكون عليه نور يصدر أشعة لا تستطيع الحربة النظر فى هذه الأشعة

فتبتعد عن مكان المؤمن ولا تأكل الأرض الواقف عليها وبذلك حفظه الله سبحانه وتعالى .

ولقد جاء لهذه الفتاة أيضا أن الله خلق هذه الحربة الطويلة جدا لكى تأكل الأرض التى عليها المفسدون فتكون نهايتهم المؤلمة . . فهذه هى وظيفتها الوحيدة .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة بأن هناك محاولة تُعد لهدم الحسين ولكن بإذن الله هذه المحاولة ستبوء بالفشل ولن يحدث أى تدمير أو خسارات بالنسبة لمسجد الحسين وسيحمى الله المكان بإذنه وقدرته وفضله .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن سماء مصر لونها أخضر فسدقى . . وأن الفساد أصبح منتشرا بدرجة كبيرة فى مصر ، وجاء للفتاة أن الله عز وجل قد أمر الملك الكريم بأن ينزل إلى مصر ثم رأت الفتاة الملك الكريم ومعه مصحف كبير جدا جدا لم تر الفتاة مثيله أبدا ولونه أخضر ويطلب من أعوانه الملائكة بأن يأخذوا هذا المصحف الكبير وينشروه فى سماء مصر ، وفعلا أخذت الملائكة هذا المصحف وفتحته ونشرته فى سماء مصر ورفع الله عز وجل جميع المؤمنين الى السماء حفظا لهم حتى لا يُصابوا بأى أذى أما كل من بقى على الأرض فأصبح وبالا عليه .

- فى يوم آخر رأت الفتاة بأن هناك هالة من الحزن مقبلة (وظنت الفتاة فى بادىء الأمر أن هذه الهالة مقبلة عليها حيث كانت فى تلك الأيام قلقة على والدتها ، ولكن والدتها والحمد لله كانت بخير) .

ورأت الفتاة هذه الهالة فى السماء ولونها فضى ، وكان التعبير يجىء لها بأنها هالة من الحزن تراها مقبلة فى السماء .

وهذا المنظر تكرر ثلاث مرات .

* فى الواقع لقد كانت الفتاة لا تعرف معنى لهذه الهالة من الحزن وخصوصا أن كل شىء فى حياتها كان يمر بسلام دون أى دواعى للقلق أو الخوف ، ولكن الغريب أنها كانت تشعر بضيق شديد وكان قلبها مقبوضا وكأن شيئا ما سيحدث .

ولم تعرف فتاتنا لهذه الرؤية معنى إلا بعد أن حدثت أحداث الحرم الشريف فى مكة قبل وقفة العيد بيومين .

هنا فهمت لماذا كانت تشعر بالضيق ؟ ولماذا كان قلبها مقبوضا ؟ فلقد كان هذا علامة لها بأن شيئا ما سيحدث يؤلمها ويمزّقها ، وعرفت الفتاة معنى الهالة من الحزن التى فى السماء المقبلة .

إذن كان هذا إنذارا بحدوث شىء محزن مفزع .

وحدثت أحداث مكة وتألمت الفتاة كثيرا وفزعت لما حدث وبكت كثيرا وكان قلبها ينزف دما لما حدث ، وبدأت تتساءل فى نفسها :

كيف يتجرأ قوم وأن يحدثوا مثل هذه الاضطرابات فى بيت الله كيف يتجرأ هؤلاء فى مجرد التفكير فى ذلك . .

إنهم قوم بلا شك نسوا الله فأنساهم أنفسهم وضلوا ضلالا بعيدا ، وبلا شك يحيون حياة مظلمة لا نور فيها ولا هداية لأنهم يفتقدون إلى الإيمان بالله الذى هو نور الحياة وما بعد الحياة .

إن أى قلب مؤمن ينبض بالحب لله يحزن لما حدث .

اذن فلقد كان حقا هالة من الحزن وإنذار من عند الله وكشف لهذه الفتاة بأن شيئا محزنا سيحدث .

والحمد لله أن حفظ الله بيته وحفظ المؤمنون ، ومرت هذه الأحداث بهدوء وسلام ، أما هؤلاء القوم الذين فعلوا فعلتهم النكرة فلم يصيبوا أحدا ولم يظلموا أحدا ولكنهم ظلموا أنفسهم وأصبحوا فى ضياع وفى طريق ليس فيه بصيص من نور أو أمل .

وحمدت الفتاة الله على حفظه وحمايته لأرضه الطيبة ولعباده الصالحون كما حمدت الله كثيرا على أنه ينير بصيرتها دائما ويلهمها الإحساس الصادق ويهديها الى الصراط المستقيم وإن هدى الله لهو الهدى .

- فى يوم آخر وبعد فترة من الرؤ ية السابقة التى تكرر منظرها ثلاث مرات بدأت تحس الفتاة بأن هالة من الفرح قادمة ، وأن هالة الحزن تبدّلت بهالة من الفرح .

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤ ية :

أن جبل عرفات يقف عليه جمع كبير من المسلمين ويتضرعون إلى الله ولكن بالرغم من صلاتهم وتضرعهم إلى الله إلا أن الفتاة رأتهم وكأنهم مجمدين ومقيدين بأغلال بالرغم من أنها لم تر أى أغلال ولكن التعبير جاء لها هكذا وهو : أنهم كأنهم مقيدين بأغلال .

وفجأة وجدت الفتاة نفسها مرتدية لباسا أبيضا ووقفت على قمة جبل عرفات وقالت :

الله أكبر بصوت عال

وفجأة وجدت نورا أو شعاعا من نور قادما وجاء على كل المسلمين الواقفين بجبل عرفات ثم فجأة وجدتهم الفتاة شعروا بالراحة وكأن الجمود الذى بهم انفك والأغلال التى كانوا مقيدين بها انتهت وانفكت وساد على المنطقة والمكان جو من السعادة والسكون والرضا

وانتهت الرؤ ية على ذلك وعرفت الفتاة وأحست بأنها لم تكن فى هذه الرؤ ية إلا رمزا .

- فى يوم آخر رأت الفتاة رؤ ية كبيرة مكونة من عدة مناظر نذكر منها هذان المنظران :

- رأت بأن هناك مرجيحة والفتاة تمسك هذه المرجيحة ثم رأت أن الحال تغير فى مصر حيث أن ديونها جميعها إنتهت وأصبح فيها خيرا كثيرا وخصوصا محصولات زراعية بوفرة حيث أنها رأت حدائق خضراء ومحصولات كثيرة بيضاء وأصبحت مصر قوية والخير والبركة يملأها وكل ذلك الذى حدث فى مصر وهذا التغيير الذى تم إنما تم بإرادة الله فى لحظة وغمضة عين ولم يستغرق أياما أو سنينا .

- ثم رأت الفتاة منظرا آخر وهو أن السماء بيضاء وعليها بياض وجميلة .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن الرسول عليه الصلاة والسلام واقفا فى السماء وكان شكله جميلا ويرتدى ملابس جميلة وخلفه حشد كبير من المسلمين يمسكون سيوف براقة لامعة ، ثم سمعت الفتاة الرسول عليه الصلاة والسلام يقول وهو يرفع سيفه :

الله أكبر .. لا إله إلا الله

وقال وراءه المسلمون :

الله أكبر .. لا إله إلا الله

وانتهت الرؤية على ذلك .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن هناك نارا تملأ سماء الدنيا كلها .

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤية الغريبة :

فى ذات يوم وفجأة وجدت الفتاة طيرا ضخما بدرجة كبيرة جدا .. جدا واقفا أمامها فى حجرة مكتبها بالمنزل ، ولقد فزعت الفتاة منه جدا من ضخامته وكبر حجمه ومنظره وبالرغم من أنه يحمل وجها جميلا وعيونا خضراء جميلة ولكنه ضخما لدرجة ملحوظة ثم فزعت الفتاة منه لدرجة كبيرة وعندما رأته رجعت الى الوراء ثم نظر إليها هذا الطير وبدأ حديثه بذكر الله وتسبيح الله وحمد الله وبدأ يطمئنها وقال لها :

« إطمئنى ولا تخافى .. إنى أنا الطير الأبابيل
ولقد جئت من أجل المفسدين ..
أما أنت فاطمئنى جئت إليك بُشرى »

ثم جاء للفتاة بعد ذلك وصفه وهو كالآتى :

(أ) إن هذا الطير الأبابيل يحمل أربعة أجنحة :

جناح أبيض ، وجناح أسود (فى الجهة اليمنى)
وجناح آخر ابيض ، وآخر أسود (فى الجهة اليسرى)

(ويقع الجناح الأبيض فوق الجناح الأسود (فى كل جهة) ورأت أن الجناح الأبيض (فى كل جهة) كبير جدا وأنه بفرده يظهر ضخامته وهو حماية للمؤمنين الطيبين حيث أن هذا الجناح الأبيض عندما يفرده يحمى المؤمنين ويظلل عليهم بأمر من الله .

(ب) أما الجناح الأسود فيقع تحت الجناح الأبيض (فى كل جهة) حيث أن الجناح الأبيض تحته جهاز من شعاع يصدر أشعته الى الجناح الأسود فيعرف مهمته بأن يفرد جناحه وتحت هذا الجناح الأسود جهاز يرمى بسهام سوداء وحجارة وأشعة من نار . فعندما يصدر الجناح الأبيض أشعته (فى كل جهة) فذلك نذير وفهم للجناح الأسود بفرد جناحه وتنفيذ مهمته بأن يفرد جناحه ذات اللون الأسود (فى كل جهة) . وبفرد الجناحين ذات اللون الأسود تعطى أوامرها الى جهاز الإشعاع الكائن تحتها ويرمى بسهام سوداء أو حجارة أو أشعة من نار حسب إرادة الله وأمره سبحانه وتعالى .

ومن القدرة العجيبة أن هذه الأجنحة السوداء تعرف بأمر من الله . . . . ما هو الذى سترميه . . إذا كانت سهام سوداء أو شعاعا من نار أو حجارة .
هذا هو وصفه .

وقال هذا الطير الأبابيل للفتاة :

« انى لم أجىء إليك وانما جئت للمفسدين » .

وانتهت الرؤية على ذلك .

* ولنا هنا وقفة لنتساءل كيف عرف هذا الطير بالفزع والخوف الذى أحست به الفتاة عند رؤيتها لهذا الطير . . إن شعور الفزع والخوف ينتاب الإنسان فى نفسه وداخله ولا يعلم ما فى النفس إلا الله . . إنه هو العليم بذات الصدور فكيف عرف هذا الطير بخوفها وفزعها لدرجة أنه طمأنها . .
اذن فهو عرف ذلك بسلطان من عند الله وبعلم الله وأمر الله وإرادة الله

لم تفهم الفتاة مغزى هذه الرؤية وكانت أمرا عجيبا بالنسبة لها ولكن بعد أن رأت هذه الرؤية بحوالى شهرين أو أكثر حدثت أحداث اليمن وجاء للفتاة إحساس بأن ما حدث باليمن هو تفسير لرؤية الطير الأبابيل التى كانت وعيدا للمفسدين وهذا مجرد إحساس ليس بيقين والله أعلم .

- فى يوم آخر (٢٢ فبراير ١٩٨٦) رأت الفتاة ما يلى :

إذ رأت رؤية تضمنت جزءا يشير إلى أن الطير الأبابيل واقفا أمامها مرة أخرى فى حجرة مكتبها بالمنزل وقال لها بعد ذكر الله وتسبيح الله وحمد الله :

« وإلى لقاء قريب بإذن الله
لأحمى الكعبة والحرم النبوى »

وانتهت الرؤية على ذلك .

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤية إذ رأت هذا المنظر فى السماء وهو :

أن مجموعة من القوات أى الجنود لابسين ملابس عسكرية وخوذ على رؤوسهم وأنهم فى السماء وينزلون زحفا على االأردن .

وانتهت الرؤية على ذلك .

- فى يوم آخر وكان ذلك بالضبط فى يوم الجمعة ١٩ جمادى الآخرة الموافق ٢٨ فبراير ١٩٨٦ رأت الفتاة هذه الرؤية والله أعلم (وكان ذلك بعد أحداث التخريب والتدمير التى حدثت بيد قوات الأمن المركزى على أرض مصر الحبيبة بيومين) .

رأت الفتاة بأنها فى سماء وأنها تطير فى السماء لتذهب إلى سماء أخرى لتعرف الوضع الآن ، وفعلا بإذن الله وحده طارت الى السماء الأخرى وجاءها الوضع كما يلى :

أن الوضع الآن فى مصر أصبح هادئا
واستتب الأمن ولكنه الهدوء الذى يسبق العاصفة

ثم رأت بعد ذلك للحظة حيث رأت هذا المنظر أثناء النهار وهو :

أن طيرا من الأبابيل صغير الحجم يقف أمامها ثم رأت طيرا أبابيل آخر ضخم الحجم جاء وراءه وبالرغم من أن الطير الأبابيل الصغير لم يتحدث الى الفتاة الا أنه جاءها كأنه يكلمها ويريد أن يقول لها :

هذا إنذارا صغيرا لكى يقفوا هنا وقفة

وانتهت الرؤ ية على ذلك .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن طيورا سوداء فى السماء قادمة وهذه الطيور شكلها غريب جدا حيث أن عددهم أربعة وحجمهم صغير وبالرغم من حجمهم الصغير إلا أنهم يحملون بطنا ممتلئة لدرجة أنها بارزة جدا وتحت هذه البطن سهام سوداء .

وهذا هو وصفهم والله أعلم .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن بابا من السماء فُتح لها ورأت نورا قويا جدا لم تر مثيله ثم رأت أن هناك مفسدين فى الأرض ، وأن الله بإذن الله سيطيح بهم ثم رأت أن هناك نورا أبيضا صغيرا ، وهذا النور سُيسّلط على الأرض بإذن الله وفى طريقه للإصلاح وسيطيح بالمفسدين ويطهر الأرض منهم .

- فى يوم من الايام رأت الفتاة هذه الرؤ ية وكانت مناما حيث جاءتها كلمة واحدة أو رأت كلمة واحدة أثناء نومها : وهى :

« مصرع موسكو »

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة أن الله سبحانه وتعالى أنزل نورا صغيرا جدا لا يُرى جعل الأرض تنفلق إلى جزئين : نصف ذات اليمين وبه أناس ، ونصف آخر ناحية الشمال وبه أناس . . أحدثت تغييرا فى معالم الكون كله .

ورأت الفتاة إنفلاق الأرض وتقسيمها الى جزئين . . يا للهول من هذا الموقف المروع . ثم وجدت الفتاة نفسها تردد هذه الكلمات أثناء الرؤ ية أو جاء لها هذه الكلمات :

« اللهم ارحمنا واحمنا واحفظنا واجعل لنا
من عندك نورا يظللنا ويقلنا ويحمينا ويدفئنا ويطمئنا
ويدخل السكينة إلى نفوسنا فيتبدل نارها إلى نور هادىء عليه
إسم الله ، ولا يرى إلا الله ، ولا يستمع إلا إلى كلمات الله ،
ولا يسبّح إلا لله ، ولا يركع ويسجد إلا لله إنك أنت
السميع العليم مجيب الدعاء . »

وانتهت الرؤية على ذلك .

- فى يوم آخر رأت الفتاة كلمة وقفة عرفات وعليها غماق (ظلال سوداء) ثم رأت أن جبل عرفات عليه غماق وقبيح اللون يشبه الطين وجاءها أنه سيحدث حرب وأن الدم سيكون غزيرا (للركب) ولكن فجأة والحمد لله سيأتى إسم الله على الجبل ورأت إسم الله مكتوبا باللون الأبيض والأنوار .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن بيتا أبيضا منصوبا على الأرض فى مصر ثم رأت الرسول عليه الصلاة والسلام واقفا وهى تقف بالقرب منه ثم إتجه لها وأمرها بأن تدخل هذا البيت وفعلا سارت الفتاة نحو هذا البيت حتى دخلت فيه .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن هناك فى مكان من الأماكن حدث ماس كهربائى نتيجة لإعتداء أشخاص على هذا المكان ونتج عن ذلك أن قام بعض الأفراد لإصلاح هذا الماس الكهربائى فنتج عن ذلك موت ثلاثة أشخاص .

وقامت الفتاة مفزوعة من هذا المنام .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أن سهام بيضاء نزلت على الأردن ثم جاء لها أنهم قوم عاد أفسدوا فى البلاد .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة رؤية عظيمة تضمنت جزءاً يشير إلى ما يلى :

وبينما كانت الفتاة تقرأ القرآن الكريم فى ذلك اليوم ، وهى فى منتصف التلاوة رأت الطيور الأبابيل من ورائها تسبّح بقول لا إله إلا الله ، وبالرغم من

أن الفتاة كانت مركزّة فى قراءتها للقرآن ولكنها كانت تحس بخيفة فى نفسها منهم وبالرغم من أنهم كانوا يسبحون الله بقول لا إله إلا الله باستمرار أثناء استماعهم لقراءة الفتاة للقرآن إلا أن الفتاة رأت أنهم يقولون لها شيئا فى سرهم لم ينطقوا به وفهمت هذا القول الذى بداخلهم بفضل الله مع العلم بأنهم لم ينطقوا به وهو :

« إطمئنى ولا تخافى . . لقد جئنا اليوم لنستمع لقراءتك للقرآن ، أما نحن فذاهبين إلى الحجاز (السعودية) لإنقاذها من المدمرين الذين سيحاولون الإعتداء عليها .

وجاء للفتاة أن لهم وظيفة أخرى سيقومون بها بالإضافة إلى إنقاذ السعودية من المدمرين حيث رأت الفتاة أن هناك سواد على أهلها ، وأن الطير الأبابيل سينقذون البلد من هذا السواد الذى على أهلها بأمر الله . »

ثم استمرت الفتاة فى قراءة القرآن إلى أن انتهت من الجزء المقرر لها قراءته فى تلك الليلة .

وكان هذا جزءا من رؤ ية عظيمة قد رأتها الفتاة فى تلك الليلة .

- فى يوم الجمعة الموافق ٢٨ ديسمبر ١٩٩٠ م رأت هذه الرؤ ية والله اعلم حيث إنتابتها رغبة شديدة فى النوم . . فنامت للحظات ورأت ما يلى :

أن روسيا ستمر بستة مراحل :

المرحلة الأولى :

هى أنها ستنزلق إنزلاقا خطيراً سيئاً .

المرحلة الثانية :

أنه سيأتى شخص آخر يحكمها (غير جورباتشوف) وسيصلح البلد وسيعم الخير فى الدولة الروسية وسيصلح هذا الشخص أحوال الشعب الروسى إلى درجة أن يحبوه الروس إلى درجة العبادة فيعبدونه وهنا يقعون فى الضلال .

المرحلة الثالثة :

سينتقم الله عز وجل منهم لوقوعهم فى الضلال وعبادتهم لهذا الشخص وهو أنه ستأتى ساحقة تسحق روسيا تُعتبر صورة من صور الإنتقام الإلهى وسينتهى عهد ذلك الشخص تماما .

المرحلة الرابعة :

وهى أن الشعب الروسى سيقع فى مرحلة وفترة من الضياع لا يعرف فيها المواطنون الروس ما هو الصواب ؟ وما هو الخطأ . . ؟

وسيتساءلون بل وسيبحثون عن الحقيقة وهذه ستظل فترة من الزمن . . الله وحده هو الذى يعلم بميعادها وإنجلائها .

المرحلة الخامسة :

سيأتى شخص آخر يحكم روسيا ويدعوهم إلى عبادة الله الواحد فيستجيبون إلى هذه الدعوة ويدخلون فى طاعة الله الواحد لا شريك له . وتصبح روسيا دولة مسلمة .

المرحلة السادسة :

وبعد أن تصبح روسيا دولة مسلمة يفتح الله عليها بالخير والبركات ويمن عليها بالخير الكثير وينصلح حال الدولة الروسية وأحوال الشعب الروسى بفضل الله وحده وتصبح روسيا من أغنى دول العالم .

هذه هى الرؤية التى رأتها الفتاة فى ذلك اليوم والله أعلم .

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤية ، وهى رؤية حديثة أى فى (عام ١٩٩١) :

وتعتبر هذه الرؤية بُشرى إلى مصر حيث رأت الفتاةأن الله عز وجل سيمن على أرض مصر الطيبة بخير كبير وبركات .

وعلى كل إنسان أن ينعم بهذا الخير ويحمد الله عليه ويوجهه فى طريق الله .

* كانت هذه هى الرؤية ، والفتاة على ثقة ويقين بأن كل إنسان مؤمن

يحب الله ويعيش على أرض الله الطيبة وينعم بنعم الله وطيبات الله من أنه سيحمد الله على هذا الخير ويحافظ على نعمته تعالى آملا فى ثواب الله له بالرضا والحب والحنان ، ويعتبر أن هذه البشرى نداء اليه لحفظ نعمة الله وحمده وشكره على فضله العظيم ، وتوجيه هذا الخير وهذا الفضل إلى طريق الله ، وفى سبيل الله .

● فى يوم آخر وفى (عام ١٩٩١) أيضاً ، رأت الفتاة هذه الرؤية والله أعلم :

أن ألمانيا تتكون من جزئين ، وان هناك بياض على دولة ألمانيا .
وانه سيحدث حدث فى ألمانيا .
كانت هذه هى الرؤية التى رأتها الفتاة والله أعلم .

ويستمر فيض الله على هذه الفتاة فاتحا أبوابه بأمر الله ، وترفرف أجنحة العطاء الربانى على قلب هذه الفتاة حيث يفتح ويمن الله جل جلاله على هذه الفتاة برؤى فى صورة كلمات تجىء لها ، ولا ترتبط أو تتعلق بشخصها أو حياتها الخاصة .

والغريب أن هذه الكلمات قد أُلهمت بها الفتاة منذ سنوات عديدة أى وهى فى سن صغيرة ، وكان هناك شعور غريب ينتابها لحظة إستقبالها لهذه الكلمات وهو الرغبة الملحة لتدوين وكتابة هذه الكلمات الواردة اليها بفضل الله وحده وأمره وحده .

وفى الحقيقة لم تعرف فتاتنا ما الهدف من هذه الكلمات ؟ وما هو مغزاها الحقيقى ؟ وإحتارت حولها كثيرا حيث أن ما تراه وما تسمعه والتجربة التى تعيشها بكل كيانها كانت أكبر من أن يستوعبها سنّها الميلادى وعمرها الفكرى .

إن كل ما عرفته الفتاة وفهمته وأحست به هو أن هذه الكلمات تنطوى على بُشرى وإطمئنان للمؤمنين ، وإنذار ووعيد للمفسدين وشعرت بأن ذلك كشف لها بفضل الله بأن الأيام أو السنوات المقبلة تحمل شيئا ما سيحدث فى الأرض بأمر الله ، وبحدوث هذا الشىء ستترجم هذه الكلمات إلى

حدث عملى واقعى فى الحياة بإذن الله وإرادته هو وحده .

فهيا بنا لنتعرف على جزءا من هذه الكلمات التى منَّ الله بها على الفتاة ولنتلمس معاً كيف أن فضل الله عليها عظيما ، وممدودا ، وفياضا حيث لا يقتصر هذا الفضل على شخصها ولا يرتبط بحياتها الذاتية الخاصة فقط ولكنه إمتد ليكون هناك عطاء ربانى لها منة وفضلاً منه سبحانه ليحتوى على أمور وأحداث لا علاقة للفتاة بها .

إذن فهو فضل الله العظيم ، وعطاء الله الكريم ، وحنان الله الرحيم .

منذ سبعة سنوات تقريبا ، وبالتحديد فى يوم السبت الموافق ١٧ أغسطس ١٩٨٥ حيث كانت الفتاة تصلى ، وبعد إنتهائها من صلاتها ، جلست على سجادة الصلاة للحظات فى تأمل عميق وفجأة بدأت تنتابها رغبة مُلحة للكتابة وكأن شيئا ما يشدّها ويدفعها لأن تنهض وتحضر ورقة وقلم لتكتب ما يرد عليها وما تستقبله من كلمات ، وفعلا قامت بسرعة ودون شعور لتحضر الورقة والقلم ثم بدأت تكتب هذه الكلمات التى جاءتها تحت عنوان :

الحق المبين

يأيتها السيوف الغادرة . . لقد سحقت فى طريقك كل مصلٍ
آمن ، وشققت وتوغلت إلى صدور كل مؤمن مسالم . .
وانتزعت دماء صافية من قلوب صادقة وأرواح طاهرة . .
فالويل لك . . الويل لكل أثيم خوّان . . كان للشيطان عوّان . .
سولّت له نفسه قتل المؤمن الإنسان ، وغدر المسلم والإسلام

يا مساجد قومى من غفلتك . . يا مآذن اصرخى فى قولك
الله أكبر فوق كل معتد . . الله أكبر فوق كل آثم . . الله أكبر
على كل شيطان مارد .

إطمئنى يأيتها القبة الخضراء لن يمسَّك غدر الخوان . . ولن
يصل إليك سيف الشيطان . . فأنت أقمت نفسك لكى تُقال فيك

كلمة الحق . . ويؤذن فيك إسم التكبير والتسبيح لرب العباد والعالمين . . إهدئى فالحق هو نصيرك . . والله أكبر كبيرك . . ورحمة الله معينك .

الله أكبر لن تغيب . . الله أكبر لن تموت . . الله أكبر لن تنته ستدق الطبول ، وتزف القلوب ، وترتوى الدماء . .

فتجرى العروق ، وتتلاقى الأرواح لتهمس وتعلو بقول الله أكبر . .
وتحيا بحب الله أكبر . . وتسجد لله أعظم سجود وتسبّح لله فى الليل والنهار .

فاهدئى يأيتها القبة الخضراء . . وارتاحى يأيتها المآذن البيضاء . . وافرحى يأيتها المساجد الكبرى
فإن الله أكبر كبيرا . . والحمد لله كثيراً . . وسبحان الله بكرة وأصيلا .

•

إن الحق قادم ومسرع يهتف وينادى بأن تدق الطبول . . وتُرص الصفوف . . وتدف الدفوف . . وتنثر الورود . . وتُفرش المساجد لإقامة الصلوات ولذكر الله الواحد
فان الحق آت . . والنور قادم . . والسماء تصمت . . والملك يقف . . والأرض كلها تنتظرك ايها النور المنير . . ايها المصباح المضىء فالأرض كلها ستلاقيك وترحب بك يأيتها الشموع البيضاء والأشعة المنيرة .

أما أنت يأيتها السهام السوداء فالأرض ترحب بك لترمى بسهامك على كل فاسد آفاك وتنيرى الأرض وما فيها وتعيدى الحياة لمن فيها . . وتحققى الدعوات . . وتقيمى الصلوات وتكبرى لله تكبيرا وتؤذنى معلنة عن إتيان الحق . . وانتشار النور . . ونصر الله للمؤمنين . . فالله أكبر كبيرا . . وعلى كل شىء قديرا .

هذه هى الكلمات التى جاءت لهذه الفتاة فى ذلك اليوم .

- في يوم آخر ومنذ سبعة سنوات تقريبا ، وبالتحديد فى يوم السبت الموافق ٢٤ أغسطس ١٩٨٥ جاءت هذه الكلمات إلى فتاتنا تحت عنوان :

وغدا تشرق الشمس

أيها الليل الطويل ! ما أقساك ! وما أطول لياليك . . لقد غدوت مكانا للسفك والدماء ، وأصبحت ساحة للظلم والفساد ، وحللت لنفسك إنتهاك الحرمات فلم تعد إلا شيطانا ماردا . . تقتل البرىء ، وتسفك دم الطاهر ، وتبتز الضعيف ، وتعادى المظلوم وتحارب العادل ، وتفتح ذراعيك إلى الظالم والسفاك والغادر والخائن كأنك تقول لهم : أهلا بكم . . الأرض أرضكم . . والدنيا دنياكم فامكثوا وافعلوا ما شئتم فتقضى أنت وأعوانك على كل قيمة جميلة وعلى كل مبدأ راقى ، وعلى كل مثل أعلى متخيلا أنك ملكت الدنيا وما فيها متوهما أنك الآمر الناهى وانك بذلك قتلت كل ما هو طيب وجميل .

أيها الليل . . ما هذا ؟ . . أين أنت ؟
لقد خُلقت لكى تكون مبعثا للهدوء والسلام . .
موجدا للراحة والأمان . . محلا للطمأنينة والإستقرار ولست طريقا للفساد والأشواك والظلم والطغيان .

أيها الشيطان المارد . . أيها الليل المظلم . .

إنك فى غفلة طويلة . . فى سُبات عميق جاهلا . . ناسيا أو متناسيا أن هذه الأرض خُلقت لكى تكون طيبة ومحلا للصلاح والإصلاح ، وليس للظلم والغدر والفساد فيها من مكان . . ولا للشياطين وأصحاب النفوس الضعيفة ومالكى الأرواح الشريرة فيها من وجود مهما زهزهت الأنوار أمامهم وملكوا من أسباب الدنيا والجاه ما يغنيهم فلابد أن الأرض يرثها عباد الله الصالحين وفى ذلك يقول الله عز وجل وهو سبحانه أصدق القائلين :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥) ﴾

(يونس : ٢٤ ، ٢٥)

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾

(الأنبياء : ١٠٥)

فاعرف أيها الشيطان بأن الظلم لا يدوم ، والفساد لا يستمر ، والظلام لن يستقر فلابد من أن النور سيبزغ ، والحق سيأتى . . وغدا ستشرق الشمس .

نعم أيها الليل الطويل الموحش . . ستذهب وتسكن بعيدا وتفسح المكان والحياة للشمس التى لن تنطفىء ابدا شمس الحياة المشرقة . . شمس الإيمان والحب والسلام . . الشمس الطيبة التى تبعث الهدوء . . وتحقق الأمن والإستقرار لكل نفس طيبة مؤمنة قريبة من الله .

يأيتها القلوب المؤمنة ، يأيتها المساجد الكبرى ، يأيتها البيوت البيضاء أنيرى المصابيح . . وأضيئى الشموع وأنثرى الورود البيضاء معلنة عن الفرحة الكبيرة فى تحقيق الغد المشرق الآمن فغدا ستشرق الشمس ويحل النور مكان الظلام ، والعدل محل الظلم والأمن والسلام يسود الأرض الطيبة . .

فلتصلى يأيتها القلوب المؤمنة والنفوس الطيبة حمداً وشكراً لله على فضله العظيم وحفظه سبحانه لأرضه الطيبة وعباده الصالحين .

وبذلك انتهت هذه الكلمات التى جاءت للفتاة فى ذلك اليوم .

- فى يوم من الأيام جاء للفتاة هذه الكلمات التى كانت جزءا من رؤية وهذه الكلمات هى :

[تختلف الأزمنة وتذهب أيام ويأتى الله بغيرها ويدمر قوما مفسدين ويبدلوا بآخرين مؤمنين قانتين سابحين سائحين عابدين راكعين ساجدين حامدين شاكرين صابرين منعمين برحمة الله ولطف الله وعطاء الله ، وله فى ذلك حكمة كبرى ، وآية عظيمة ، ومنةً لا مثيل لها وكل يوم هو فى شأن .]

وانتهت هذه الكلمات على ذلك التى كانت جزءا من رؤية .

- فى يوم آخر ومنذ سبعة سنوات أيضا ، وبالتحديد فى يوم الجمعة أول رجب ١٤٠٥ هـ الموافق ١٩٨٥/٣/٢٢ جاء للفتاة هذه الكلمات فى صورة رؤية وهى :

[والله إنه ليوم عصيب .. قريب يرتد فيه المرتدون وما زاداهم ارتدادهم إلا كفرا وفسوقا .. وبئس للظالمين فلم ينالهم من ظلمهم إلا الظلام والحسرة ويا للهول على العباد الذين أنعم الله عليهم وما حمدوه وما شكروه بل عاثوا فى الأرض فسادا ، ولم يصبيهم فسادهم إلا خسارا وضياعا .

ويا للبشرى العظيمة والمنة اللطيفة لعباد الله الذين صبروا وما قنطوا . وحمدا الله وما يأسوا ، وشكروا الله ولم يكفروا بنعمته . وما زادهم إيمانهم إلا حبا لله وشوقا له ولهفة للقائه ، وهكذا يرفع الله الذين آمنوا واتقوا وينصرهم نصرا عزيزا مبينا .

فهم فى أمن وسلام دائم ورحمة من الله لهم فى الدنيا والآخرة فسلام عليهم أجمعين .]

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤية والله أعلم :

رأت أن نورا قويا جداً امامها وحولها ثم جاءتها هذه الكلمات التى كتبتها بسرعة وهى :

الله أكبر .. لا إله إلا هو سبحانه وحده لا شريك له ،

وحّدوا الله . . كبّروا لله . . اسجدوا لله واحمدوا لله
إن دين الله قائم . . وأمر الله آت . . وهو سبحانه للمؤمنين حافظ .

يا أرض كونى فرشا هنيئا لمن اتقى وأصلح ، وكونى نارا لهيبا لكل من ظلم وأفسد .

طوبى للمؤمنين . . طوبى للصالحين . . طوبى للمتقين المتطهرين فإن رحمة الله آتية ونافذة . . ويالها من رحمة واسعة لا يحدها زمان ولا مكان . . فلقد وسعت رحمته سبحانه كل شىء .

طوبى للمؤمنين الذين يحظون برضاء الله وعطاء الله الذى لا ينفد ابداً والذى لا حد له .

فحمدا وشكرا لله سبحانه وتعالى فى البداية والنهاية حمداً لله بكرة واصيلا . . الله أكبر . . لا إله إلا هو سبحانه وحده لا شريك له .

وانتهت الرؤية على ذلك والحمد لله على ذلك كثيرا والله أعلم .

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة رؤية إذ جاءتها هذه الكلمات :

الله . . الله . . الله
لا إله الا الله محمداً رسول الله
أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

لقد تقدموا ليقتلوا حتى الممات
فجاءوا وتوغلوا حتى المهاد
واستقروا فى البلاد
ونشروا الفساد والدمار والخراب
فكانت صحوة كبرى بدايتها نار ولم يطفئها حتى الرماد .

نحن قلوب تتعطش إلى النقاء
ولا ترتوى إلا من النور والفؤاد

فنحن فى حاجة إلى نور من السماء
نور يضىء علينا الحياة ويبعث الأمل والروح فينا
ويعيد دقات القلوب لتنظم سير الحياة . .

نور من الله يغسلنا ويطفىء هذه النار الموقدة الفاسدة
وينقينا ويرفعنا فنرتقى إلى حيث يجب أن نكون
فتستقر النفس وتسكن حيث تكون السكينة ويهدأ القلب
وتسعد الروح حيث تجد الأمن والسلام والإيمان والحب
والصفاء والوفاء النادر والإخلاص الغامر وحب الله الكبير .

وبذلك انتهت هذه الكلمات التى جاءت للفتاة فى صورة رؤية .

فى يوم من أيام احدى السنوات جاء للفتاة هذه الكلمات :
لا إله إلا الله . . الله أكبر كبيرا . والحمد لله كثيرا
أقيموا الصلاة . أضيئوا بيوت الله بذكر الرحمن الواحد .
فاليوم قريب يأتى من بعيد ترفعون فيه أيها المؤمنون راية الإسلام . . يوم ينتصر فيه التوحيد بإسم لا إله إلا الله وعبادة الله الواحد الصمد وما النصر إلا من عند الله وبإذنه تعالى ينصر من يقول سبحانك يا رحمن . . خالق كل شىء وبيدك ناصية كل شىء فأنت وحدك صاحب الأمر ، ومالك الملك
ورب العرش العظيم وتبارك الله رب العالمين
والحمد لله رب العالمين .

فى يوم من الأيام جاء للفتاة هذه الكلمات :

إن وعد ربك لآت وما هو ببعيد
فتاك على كل ظالم آفاك ، خوّان كان للشيطان عوّان
سوّلت له نفسه قتل المسلم الإنسان
فاصبر وسبح بحمد ربك ، وتوكل على الرحمن لا إله إلا هو
رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين .

فى يوم آخر من الأيام سمعت الفتاة كأن صوتا يكلمها ويقول لها ما يلى :
لقد حان الوقت .. لقد آن للآذان أن يعلو بصوته ويقول :

الله أكبر .. على كل ظالم .. على كل آفاك .. على كل معتد
على كل آثم .. على كل منتهك لحرمات الله ..

فى يوم من الأيام جاء للفتاة هذه الكلمات الغريبة :
يأيها المؤمنون الصالحون . يأيها المفسدون الطالحون
إن وعد الله آت .. إنه هو الحق العظيم . إنه يوم قريب . ترتعد
فيه السماء فتمطر شهبا ذات لهب .
إنها ليلة كبرى تشق فيه الأرض فتنبت أشواكا من نار .

إنه اليوم الموعود فى زمان ومكان محدود يستعد فيه
الطير المنضود لفرش جناحه الممدود وإرسال أشعته
بإذن الله الواحد فتطير الأبابيل فى صفوف سرابيل
فتنزل سهامها السوداء على كل فاسد آفاك كان للشيطان
عوّان فتطهر الأرض من فسادها فتأتى الملائكة وتنشر
نورها على أرض الله الطيبة وتبشر البشرى العظيمة .

فيأيها المؤمن الصالح اصبر واستقم كما أمرت ،
ويأيها المفسد الطالح أبشر واستعد لنار ذات لهب
تكون فيها مفقود ومطرود إلى يوم الدين .

إنه يوم الفصل وليس بالهزل يحيا فيه المؤمن فى جنات ونعيم
أما المفسد فهو فى نار ولهيب .

وسيعلم الغائب والحاضر أنه حكم الله ، وعدل الله وليس الله
بظلام للعبيد .. إنه هو سبحانه العزيز الحكيم .

هذه هى بعض الكلمات التى جاءت للفتاة فى فترة من فترات حياتها ، وهى كما نرى تنطوى على البشرى والإنذار ، ولقد تأملت وتفكرت الفتاة كثيرا فى هذه الكلمات وتحيرت حول معناها ومغزاها ، ولكنها لم تهتدى إلى شىء ولكنها شعرت بأن هذه الكلمات تجمع بين البشرى

للمؤمنين للإطمئنان ، والإنذار للمفسدين الذين عاثوا فى الأرض فسادا ونسوا الله . كما أحست الفتاة بأن هذه الكلمات تكشف لها بأمر الله بأن شيئا ما سيحدث فى الأرض على مرور الأيام والسنين بُشرى للمؤمنين ووعيد للمفسدين .

وأيقنت الفتاة تماما وآمنت بأنها تحيا فى فضل الله العظيم وبرحمته وبلمسات حنانه التى تحيط بها حيث كشف الله لها من الأحداث والأمور العامة التى لا علاقة بها لكى تتلمس فيوضات عطاء الله لها ، وآثار رحمته بها ، ولمسات حنان الله عليها وتسجد الفتاة باكية . . تمتزج المشاعر فى نفسها إلى القمة . . قمة الإيمان . . قمة الحب . . وتحس بسجود كل خلجة من خلجاتها ، وكل ذرة فى كيانها لله الواحد الوهاب الكريم رب العرش العظيم .

وتحس بأن هذا الفضل وهذه النعمة أكبر منها وأعظم مما تستحق وتستمر فتاتنا فى البكاء حمدا وشكرا لله ، وخجلا من الله لتجد نفسها تتساءل :

ماذا تفعل ازاء كل هذه النعمة ؟
ماذا تعمل ازاء كل هذا الفضل ؟
ماذا تسلك نحو كل هذا العطاء ؟
بماذا وكيف تحمد وتشكر الله على كل هذا الحنان الربانى الفياض ؟

ولا تجد الفتاة غير أن تركع وتسجد بكل إخلاص وحب جارف يهز كيانها حمداً وشكراً ومرضاة لله وحده لدرجة أنها تحس بإهتزاز المكان معها وأن كل شىء يرتجف معها رهبة وخشوعا وحبا لله العلى الكبير .

ولم تكتف الفتاة بهذا السجود لتقدمه حمدا وشكرا لله بل تقوم من سجودها لتأخذ عهدا لله على نفسها بأن تسير فى طريقه مصممة على تقويم سلوكها ، وتهذيب أخلاقها آملة فى العون والإرشاد والتوجيه والهداية من الله سبحانه وتعالى محاولة فى ذلك الإرتفاع فوق الأحداث وأن تجاهد للسمو بأخلاقها للوصول إلى نموذج الخلق القرآنى داعية ربها بأن يهىء لها

من أمرها رشدا ، وأن يجعل لها من طريقها خيرا وان يعينها لتوجه كل شيء ـ سواء أكان مشاعر وأحاسيس تتفاعل بها أو أعمال وسلوكيات تقوم بها ـ لله وحده حبا له وحمدا وشكرا له عز وجل .

وتحس الفتاة بأن ذلك أيضا لا يكفى لحمد وشكر الله فتصل فى النهاية إلى العجز . . نعم العجز عن حمد وشكر الله . . ولكن ماذا تفعل ؟ فهى عابدة فقيرة إلى الله . . ضعيفة محتاجة إلى الله . . تحب الله كثيرا ، ولا تملك من أداة التعبير عن هذا الحب غير الدموع الصادقة والسلوك الخالص إلى الله ودقات القلب التى تزداد مع كل ركعة ، وتعلو مع كل سجدة فيهتز الكيان كله من هذا الحب الجارف الجميل الصادق فيتولد الشوق والحنين إلى لقاء الله . . فيمن الله على هذه الفتاة من فيوضات عطائه ولمسات حنانه ما يسعدها ويطمئنها ويهوّن عليها الأمر إذ يفيض عليها بالنور والرحمة والرؤ ية الصالحة بُشرى لها ، وإطمئنانا لفؤادها ، وإستقرارا لنفسها ، وإنشراحا لصدرها ، وسكينة لقلبها ، وسعادة وبهجة تغمر كيانها كله فتحمد الفتاة الله كثيرا على فضله العظيم .

هكذا ومما سبق عرضه يتضح لنا أن فضل الله عظيما على هذه الفتاة ، وأن فيوضات عطائه لها ممدودة ولا ترتبط بشيء محدد أو خاص بها فقط فمنها ما هو بُشرى وإطمئنان لها ، ومنها ما يدفعها إلى التقويم والتهذيب من سلوكياتها وأخلاقياتها ، ومنها ما ينجيها ويحفظها ويحميها ، ومنها ما هو كشف لها لبعض الأمور والأحداث العامة التى لا ترتبط بها ولا تخص أى جزئية من جزئيات حياتها والتى جاء جزء منها فى صورة رؤ ى وجزء آخر فى صورة كلمات .

إذن فإن هذا الفيض من العطاء الربانى كبير وواسع ويختلف من شيء إلى آخر حتى تتلمس الفتاة وتشهد بنفسها وترى بعينها فضل الله العظيم عليها ، وهبة الله لها ـ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على آثار الحب الإلهى ولمسات الحنان الربانى التى شعرت بها فى كل رؤ ية وأحست بها فى كل لحظة وخصوصا فى لحظات الآلام والأوجاع والمس الشيطانى الذى أصابها وكان يمزق جسدها من الآلام وعرفت كيف كانت رحمة الله بها حيث

أحست بلمسات الحنان الإلهى عليها تحيط بها من كل جانب وتغمرها وتنشر النور حولها .

إنه حقا فضل الله العظيم ، وعطاء الله الكريم ، وحنان الله الرحيم . وإنه صدقا آيات من الحب الربانى . . ولمسات من الحنان الإلهى .

وبالرغم من فضل الله العظيم على هذه الفتاة ، إلا أنها تخشى على نفسها من نفسها فإن النفس أمارة بالسوء ولذلك فهى تذكّر نفسها فى كل لحظة . . وتعترف فى كل وقت بأن ما بها من نعم هو فضل الله العظيم عليها ، وأنها تحيا بلمسات حنانه سبحانه لها وتلطفه جل جلاله عليها ورحمته عز وجل بها . . وإن نعم الله تغدقها من كل جانب فهى ترجع الفضل كله لله وليس لها الفضل فى أى شىء فى حياتها . . فهى تؤمن ايمانا يقينيا وتعرف جيدا وتعتقد اعتقادا كليا لا شك فيه بأنه لولا الله ما إهتدت إليه ، ولولا الله ما عرفت طريق الإيمان به ، ولولا الله ما نبضْ قلبها بالحب له ، ولولا الله ما سلكت سلوك طاعته آملة فى القرب منه ، ولولا الله ما وفقت فى حياتها ، ولولا الله ما سارت فى طريقه ، ولولا الله ما نجت أو حفظت حتى فى المحن التى تتعرض لها والمشاكل التى تواجهها والصعاب التى تلاقيها تجد نسمات التلطف الإلهى ترفرف على حياتها ، فهى ترى بأنه لولا الله وتلطفه سبحانه ما إستطاعت أن تصبر وتحتوى الموقف الذى تعرضت له حتى تمر المحنة بهدوء وسلام حامدة شاكرة الله على فضله العظيم ، ولمسات حنانه الكريمة ، ونسمات تلطفه اللطيفة .

فإن تذكر الفتاة الدائم بعطاء الله لها وفضله العظيم عليها إنما يحمى نفسها من الأمر بالسوء والشعور بالإغترار والإحساس بالغرور والتكبر فهى تخشى على نفسها من نفسها وهذا التذكير الدائم يحميها وينجيها من الوقوع فى براثن النفس الأمارة بالسوء ، والسقوط فى حبائل الشيطان ، وبهذا الإعتراف الكامل بفضل الله العظيم عليها لا تعطى لنفسها الأمارة بالسوء الفرصة لكى تظهر فتغتر وتمارس وظيفتها وطبيعتها فى الأمر بالسوء وإنما تخفيها تماما وتظهر النفس المطمئنة التى تجد الإطمئنان والأمان فى لجوءها إلى الله ، وتحس بالحب والحنان فى إعترافها الكامل بفضل الله عليها بنعم

الله ولمسات حنانه وآيات حبه وفيوضات عطائه وإشراقات نوره ونسمات تلطفه وآثار رحمته وشواهد فتوحاته العظمى ودلائل مكاشفاته الكبرى .

وتستمر الفتاة فى طريقها هائمة فى حبها الذى يملأ كيانها كله لله عز وجل ، تحمده سبحانه كثيرا على فضله العظيم إذ تناجى ربها بمناجاة حارة تهزها ، وتحس بأن كل خلجة من خلجاتها ، وكل نبضة من نبضاتها ، وكل دقة من دقات قلبها ، وكل نقطة دم تجرى فى عروقها ، وكل ذرة فى كيانها تشترك معها فى هذه المناجاة الحارة معترفة بفضل الله العظيم ، وعطاء الله الكريم ، وحنان الله الرحيم إذ تقول :

سبحانه الله الذى خلقنى فوهبنى الوجود .. وغمرنى بالحب
فأنعم علىّ بالإحسان .. وسمّانى الإنسان
فهدانى إلى الإيمان .. ومنحنى الحنان .
فمنّ علىّ بفضل عظيم وجود كريم ، وأحيانى فى عطف عميم
ونعيم مقيم ..

فأضاء قلبى بنور فياض .. وأشرق روحى بضياء شفاف
فأشرح صدرى بشفاء جلاب ..
وأسعد فؤادى بعطاء خلاب ..
إنه هو الوهاب التواب رب العالمين
الرحمن الرحيم نور السموات والأرض
مالك الملك ذو الجلال والإكرام .

وتمضى الأيام وما زال فيض الله لهذه الفتاة ممنوحاً بأمر الله ، وعطاء الله لها مفتوحا بإذنه ، ولمسات حنانه تحيط بها بإرادته فتشعر هذه الفتاة بحب الله ، ورحمة الله وكرم الله ، ولطف الله فتحمد الله حمدا وشكرا كثيرا على فضله العظيم الممدود لها بمشيئته هو وحده فتكثر من سجودها لله .. وتزيد من عبادتها لله ، وتحرص الفتاة على ألا تجعل الأيام تمر هكذا دون أن تتأمل وتتفكر وتتبصر وتتدبر فى عظمة الله ، وحنان الله ، وقدرة الله ، ونعمة الله ، التى أنعمها عليها .. فهى تؤمن إيمانا يقينيا بأن الله عز وجل خلق هذا الوجود ، ودعانا للتأمل والتدبر والتفكر والتبصر فى آيات الله فى الحياة

فنؤمن من أعماقنا ، وبكل وجداننا ، وبكل حاسة من حواسنا ، وبكل ذرة فى كياننا ونقول :

« سبحان الله الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له
الخالق المصور البارىء المعيد المحيى المميت مالك الملك
رب العرش العظيم بيده الأمر وحده وهو صاحب الأمر
وعلى كل شىء قدير . »

فتمر الأيام وتمضى لحظات العمر والفتاة تزداد حبا لله ، وإيمانا به . . يملأها النور يغمرها الشوق والحنين ، تجد نفسها وتحس بذاتها فى عبادتها له عز وجل وتشعر بأن عبادتها لله محراب كله نور ورهبة وخشوع وحب صادق لله ينبض فى كيانها كله فيفيض الله عليها من إشراقات نوره ، وفيوضات عطائه ، وآثار رحمته ، ولمسات حنانه ما يسعدها ويطمئنها ويجعلها تهتم بمحرابها « محراب العبادة » .

فلنتوقف قليلا لكى نلتقى بين ثنايا السطور القادمة وعلى صفحات الفصل القادم لندعوك ايها القارىء فى جولة قصيرة إلى محراب العبادة عند هذه الفتاة فنعيش فى لحظات روحانية فياضة معها نتلمس منها كيف أن عبادتها لله رحلة حب تنعم بها ، ويفيض الله عليها من حبه وحنانه ما يملأ حياتها ولحظات عبادتها له عز وجل بالنور والحب والجمال والرحمة .

الفصل الثامن

محـــراب العبـــادة

لا أنكر بأنى - كراوية لقصة هذه الفتاة - عندما أمسكت بقلمى لأسطر السطور الأولى من هذا الفصل أحسست بالرهبة والخشوع ، وبدأت رعشة فى يدى تتمايل ، وهزة فى أعماقى تهتز لا أعرف لها وصفا ، ولم أفهم لماذا أحسست بهذا الإحساس الغريب . . هل لأنى سأتطرق إلى حديث عن العبادة فى حياة هذه الفتاة ؟ أم لأنى أحسست فعلا بأننى فى محراب والمكان استشعرت فيه بالرهبة والخشوع لأنه محراب العبادة . . أم لأنى عشت مع قصة إيمان هذه الفتاة بكل ما فيها من صفاء وشفافية وروحانية . .

إنه إحساس كلى يمتزج فيه الإيمان بالرهبة والخشوع والحب الإلهى الذى لمسته فى حياة هذه الفتاة حيث أن بذرة حياتها . . وزهرة عمرها التى كانت ولا تزال تثمر يوماً بعد يوم ، وشمعة أيامها التى تضىء لها الطريق وتنير أمامها السبيل لحظة بعد أخرى هو حبها لله العلى العظيم . . ومن هذا المنطلق . . منطلق حبها الشديد والعميق لله الذى يهز كيانها ، وشوقها الجارف إلى الله الذى يحترق به قلبها ، وحنينها المتلهف للقاء الله الذى يملأ فؤادها . . كانت عبادتها وتهجدها لله جل جلاله ، فمنَّ الله عليها بآيات ولمسات كبرى من عطائه الفياض .

لقد جعل الله تبارك وتعالى غاية الخلق هى العبادة ، والعبادة قمة المحبة ، والمحبة قمة المعرفة ، وليس بعد هذا الفضل شىء .

قال الله تعالى :

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (الذاريات : ٥٦)

وما كانت عبادة الإنس والجن من أجل نفع يصل إلى الله سبحانه وتعالى من وراء ذلك فهو سبحانه غنى عن العالمين ، لا تنفعه طاعة ، ولا تضره

معصية وإنما خلقهم من أجل عبادته ليكملهم بهذه العبادة ، وليصل بهم إلى طريقها ليكونوا أهلا للقائه سبحانه وليتجلى عليهم إذا تزكوا بأنواره وفيوضاته .

وقد نوّع لهم سبحانه العبادة فلم يجعلها على وتيرة واحدة حتى لا يملوا وحتى يكون فى تنوعها تزكية لجوانب متعددة وزوايا مختلفة من الطبيعة البشرية ، وحتى تتناسب - على تفاوت فيما بينها - مع كل الفطر والإستعدادات .

ولهم بعض الناس مراد الله سبحانه ، وفهموا توجيهه للبشرية نحو الكمال الذى يجب أن يصل إليه كل من يرجو لقاء الله سبحانه ، وعلموا أن السعادة كل السعادة إنما هى فى الإنضواء تحت اللواء الإلهى والدخول فى الساحات الربانية ، فطبعوا الحياة بطابع العبادة وجعلوا أعمالهم عبادة ، وحركاتهم عبادة ، وسكناتهم عبادة ، وتأملاتهم عبادة .. فكانت حياتهم عبادة[1] .

وحاولوا جاهدين أن يقاربوا المثل الأعلى الذى أمر الله سبحانه رسوله صلوات الله عليه وسلامه أن يكونه :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣)

لقد خلق الله الإنسان ، وميّزه بالعقل والإرادة ، وكرّمه وفضلّه عن كثير ممن خلق تفضيلاً ، وسخر له ما فى الوجود لخدمته وذلك كله حتى لا ينشغل بشىء ويتفرغ لعبادته هو وحده .

إن منح الله على الإنسان كثيرة ، ونعمه عز وجل عليه كبيرة . فلقد وهبه سبحانه وتعالى العقل ليميز بين الحق والباطل .. ويفرق بين الخبيث والطيب ، ومنح له القلب الذى يدرك به حقائق الأمور ، وأعطاه الجسد الذى به يتمتع بما أحله الله ويمتنع عما حرمه .

---

(١) الشيخ عبد الحليم محمود : الصلاة أسرار وأحكام ص ٥ ، ٦ .

ثم اختار له الدين الذى يجب أن يتبعه وأودع فيه فطرة بأن يتجه إلى هذا الدين وألا ينحرف عنه ، ثم شرع له شريعة يسير على نهجها .

وقد أوجد الله فى الإنسان القدرة على الإختيار بين طريق الهدى والضلال ، الخير والشر ، فإما أن يهتدى إلى الصراط المستقيم أو يضل الضلال المبين .

إذن نجد أن الله عز وجل سهل لنا الطريق ورسم لنا السبيل ووضع لكل شىء أصولا ومبادىء وقواعد لنسير عليها ونقتدى بهداها .

ولكن ما هى الحكمة الإلهية من ذلك كله ؟

الجواب : هو ألا ينشغل الإنسان إلا بعبادة الله وحده ، والإتجاه إليه وحده ، فلقد خلقه الله عز وجل ليعبده هو وحده ، وسخر له كل شىء لييسر له سبل هذه العبادة فيعيش روعة الإبداع الإلهى توحيدا ووجودا فيشهد بربوبيته هو وحده ، ولا يسبّح إلا له هو وحده وهذه هى الفطرة الربانية التى فطرها الله فى جميع خلقه ، فأمر بنى آدم الذين شهدوا بربوبية الله ووحدانيته بأن يقيموا وجوههم لدين الله ، وأن يتبعوا شريعته فى الوجود .

فلقد أمر الله تعالى الخلق بعبادته حتى يوم الدين ، والعبادة تأباها النفس البشرية بما فُطرت عليه من الشهوات والبُعد عن الطاعات ، وما غرسُ فيها من ميل إلى المحظورات ، وما جُلبت عليه من التجبر والتكبر والإغترار .

والله تعالى أعلم بتركيبها ، وأهدى لنزعاتها الظاهرة والباطنة ، وأعرف بما يصلح لها وما لا يصلح لكى تستقيم .. يعلم ما يجب على النفس تجنبه للبعد عن غواية الشيطان وإتباع الصراط المستقيم .

والنفس البشرية التى تأبى العبادة وتنزع إلى هواها ، إنما يكون صلاحها فى مخالفة حظوظها ، ومنازعة شهواتها[1] ..

فالعبادة شريعة الله فى خلقه ، أمرهم بها حتى تقوم الساعة لمغالبة النفس والهوى والشيطان جميعا ، لذلك تحتاج العبادة إلى مجاهدة ومكابدة ومعاناة فإذا داوم العبد على العبادة لله ظاهرا وباطناً .. مخلصاً خالصاً لله انتقل إلى الحياة

---

(١) الدكتور حسن الشرقاوى : الشريعة والحقيقة : ص ٢٨٩

الأخرى ملاقيا ربه مؤمناً فيثاب على عمله ويلحق بالصالحين فى جنات ونعيم .

فالعبادة إذن هى الموصل إلى نعيم الآخرة ، وليست العبادة أشكالا وحركات ، وليست صورا ومظاهر ، وإنما العبادة إخلاص لله وطاعة لأمره ، وذكر لفضله ونعمه ، ورضا ببلائه وابتلائه ، وتوكل عليه فى كل أمر وفعل ، وصبر على ما يعطى وما يمنع ، ومحبة دائمة لا يعتريها اعتراض ولا مخالفة ، والعبادة قلب سليم مع الله ، وسكينة فى حجر الرحمن وخوف من وعيده ، ورجاء فى وعده وهنا تذوب النفس الأمارة وتظهر النفس المطمئنة .

والعبادة الحقة ليست مقصورة على الفرائض المسنونة ، ولا التكاليف المقررة وإنما هى صدق وإخلاص ونية حسنة وحب لله عظيم يمتزج بالرهبة والخشوع لرب العالمين الذى لا إله إلا هو الإله الواحد الصمد الخالق لكل شىء ، والمدبر لكل شىء ، والمهيمن على كل شىء ، والقادر على كل شىء .

والدين الإسلامى يقوم على ركيزة أولية ودعامة أساسية هى التوحيد ، والتوحيد هو الحقيقة الأساسية فى العقيدة الإسلامية بل إنه المقوّم الأول فى دين الله كله ، وخاصية بارزة وهامة من خصائص هذا الدين .. فهو الجوهرة والأصل الثابت لدين الإسلام .

والإنسان فى ظل هذه العقيدة ، وتحت راية هذه الحقيقة يعيش روعة الإبداع الإلهى الذى يحيا فى نفسه ويتفاعل مع كيانه فيهز وجدانه ويحرك قلبه ولسانه بقول :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

(آل عمران : ١٩١)

جل جلالك ، وعظمت قدرتك ، وتقدست ذاتك .

فإن الله وحده هو الذى يتقرب إليه المسلم بعبادته وخضوعه ، ومن الله وحده يستمد المسلم العون ويطلب الهداية .

ولذلك فإن التوحيد من أول الأركان الأساسية الخمسة التى بنى عليها الإسلام ، ولكى يتحقق إسلام الإنسان لابد من شهادته بأنه لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم أداء جميع الأركان الأخرى وهى : إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا .

هذه هى الأركان الأساسية التى يقوم عليها الإسلام ، وهى فى نفس الوقت تمثل العبادات التى شرعها الله لعباده للقيام بها وأدائها .

وتقوم العقيدة الإسلامية على حب الله للإنسان فهو الذى خلقه بيديه ، وهو الذى نفخ فيه من روحه ، وهو الذى أسكنه الجنة ، وأسجد له الملائكة سجود تكريم ، وهو الذى غفر له حين أخطأ وتاب ، وهو الذى أهبطه إلى الأرض تحقيقا لأمره ، وهو الذى كرّمه وفضله .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الاسراء : ٧٠)

فإن الله عز وجل هو المتفضل بفضل الحب .. فهو سبحانه الخالق الواحد الذى له فضل الخلق إبتداء والإيجاد والإنعام والبعث إنتهاء ، ومعنى الحب فى حق الله عز وجل هو العطاء والرحمة والرأفة[1] .

لا نعرف عقيدة تربى أتباعها على الحب كالإسلام ، إذا كان الحب هو الحل الوحيد أمام الإنسان ليخرج من سجن الذات إلى إتساع الكون ورحابة الآخرين فإن الحب - بأعمق من هذا المفهوم - جزء من أصول الإسلام وقواعده لأن الإسلام يصل المسلم بالله أولا وأخيراً .

لا يكون المسلم وحيداً ولا غريباً وإن ترك وحده ، يعرف المسلم أن الله تبارك وتعالى معه ، يصل الإسلام أتباعه بالله مباشرة ، يصلهم بخالق الكون ومصدر الأمان ويؤكد لهم أن الله معهم فى كل وقت :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (الحديد : ٤)

---

(١) أحمد بهجت : الله فى العقيدة الاسلامية ، ص ٣٠٨

هذا الإتصال أول شيء يتعلمه المسلم كمعرفة نظرية .. أول شيء بنى عليه الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله ، وهذه الشهادة تعنى خروج الإنسان من غربته ووحدته وإتصاله بالله .

فالشهادة شهود ويقين ..

وإذا شهد الإنسان أن له رباً يبسط عليه خيام المنّ الإلهى والرحمة ، وإذا أيقن الإنسان أنه ليس وحده فى الكون .. إذا وقع هذا وذاك تحرر الإنسان من الغربة والخوف وتحررت طاقاته ومواهبه من قيود السكون .. عندئذ يصير الإنسان حراً ..

من أصول العقيدة الإسلامية أن يصلى الإنسان خمس مرات فى اليوم .. والصلاة هى التطبيق العملى للمعرفة النظرية التى تقولها شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة حركات يقوم بها المسلم ، يسجد فيها ويركع ، يقرأ القرآن ويدعو ، يذكر الله ويشكره .. وقبل هذا كله وبعده يحب الله .. إذن الصلاة صلة بالله .. يقف الإنسان فيها خمس مرات فى اليوم بين يدى ربه سبحانه .

الشهادة فى الإسلام إتصال بالله وحب .

والصلاة فى الإسلام إتصال بالله وتطبيق عملى للحب .

والزكاة فى الإسلام تصرف اقتصادى ينطوى على فعل من أفعال الحب .

والصوم فى الإسلام إمتناع عن حاجات الجسم إلى الطعام والشراب وإبتعاد عن الشهوات حباً فى الله وطاعة لأمره .

والحج فى الإسلام تعظيم لشعائر أقامها الله عز وجل بأمره ، وتحقيقاً لدعوة إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام حيث قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا

﴿مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ (البقرة : ١٢٧ ، ١٢٨)

وإذا تأملنا فى هذه الآية الكريمة وجدناها تتضمن دعوة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام حيث كانا يرفعان القواعد من البيت ويدعوان الله بأن يتقبل منهما إنه هو السميع العليم وأن يجعلهما مسلمين له وحده ومن ذريتهما أمة مسلمة له وحده ، وأن يريهم مناسكهم أى يريهم أسلوب العبادة الذى يرضاه منهم وأن يريهم كيف يحب سبحانه أن يعبدوه فى الأرض وأن يتوب عليهم إنه هو التواب الرحيم ثم تتجاوز الدعوة الزمن الذى يعيشان فيه حيث يطلبان من الله أن يبعث إلى عباده رسولا منهم يتلو عليهم آياته سبحانه ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنه هو سبحانه العزيز الحكيم .

وتحققت دعوتها بعد أزمنة وأزمنة حيث بعُث
محمد صلى الله عليه وسلم .

إنتهى بناء الكعبة . . وبدأ طواف الموحدين والمسلمين حولها ، ووقف إبراهيم يدعو ربه بأن يجعل أفئدة من الناس تهوى إلى المكان . .

قال الله تعالى :

﴿فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ (ابراهيم : ٣٧)

من هذه الدعوة ولدُ الهُدى العميق فى نفوس المسلمين ، رغبة فى زيارة البيت الحرام .

وصار كل من يزور المسجد الحرام ويعود إلى بلده . . يحس أنه يزداد عطشاً كلما ازداد رِيا منه ، ويعمق حنينه إليه كلما بعد منه ، وتجىء أوقات الحج فى كل عام فينشب الهوى الغامض أظافره فى القلب نزوعا إلى رؤية البيت[1] . .

---

(١) أحمد بهجت : أنبياء الله ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

وأخطر من هذا .. ودا عميقا وحبا خالصا لرب البيت .. رب العالمين .

فابراهيم عليه السلام هو النبى الذى إتخذه الله خليلا قال الله تعالى :

﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النساء : ١٢٥)

وهو النبى الذى ابتلاه الله ببلاء مبين .. بلاء فوق قدرة البشر وطاقة الأعصاب .. ورغم حدة الشدة وعنت البلاء .. كان إبراهيم هو العبد الذى وفى ..

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ (النجم : ٣٧)

وحين يجىء العيد ويحتفل المسلمون بذبح الأضاحى ، يحتفلون فى نفس الوقت بقصة حب الإنسان لله .. بقصة النبى الذى أمره الله أن يذبح ولده فأطاع .. وكانت طاعته إشارة إلى أن المسلم هو الذى يحب الله أكثر مما يحب لنفسه أو أبناءه ..

فالعبادة هى قمة منْ قمم الحب بل هى قمة المحبة وكمالها .

ومحراب العبادة هو المكان الذى يعتكف فيه العبد لإقامة الشعائر الدينية تقربا إلى الله ، ويُقال عنه صدر المجلس كما يُقال عن صدر المسجد المحراب ، ويُقال أيضاً عن الغرفة فى البيت أنها محراب .

أما العبادة فهى الشعائر والمناسك الدينية التى يقوم بها العبد تقربا إلى الله .

والعبادة هى طاعة الله والتوجه إليه سبحانه وتعالى بقلب مخلص سليم والتجرد من كل علائق الدنيا وشوائبها وهواها ، وهذا يتطلب من العبد إستحضار كامل لله فى عقله وفكره وقلبه وفؤاده وكيانه كله ، وهنا يشعر بالصفاء يملأ وجدانه ، والنورانية تحيط أعماقه ، وحب الله يغمر قلبه وكيانه كله حيث لا يكون فى القلب شىء سوى الله ، ولا يشغل الفكر شىء إلا القرب من الله ، ولا يكون السلوك إلا لله ، ولا يتخذ الإنسان هدفا إلا الله .

ومحراب العبادة عند فتاتنا ـ بطلة هذه القصة ـ هو غرفة صغيرة كائنة فى بيتها بها مكتب صغير ومكتبة متواضعة ، وهذه الغرفة هى محرابها حيث تؤدى فيها مناسك عبادتها وتحيا فيها أجمل وأحلى ساعات يومها حيث تكون فى رحاب الله ومع كلمات الله . . تستأنس بهذه الساعات وتنعم بها وتتمتع بها استمتاعا لا مثيل له حيث يمن ويفيض الله عليها بالسكينة والهدوء والإطمئنان ، والأنس والسعادة النفسية والروحية ، ويمنحها من فيوضات عطائه وإشراقات نوره ما يجعلها تحس بأنها فى عالم آخر وكأنها تركت الدنيا وما فيها وانفصلت تماما عن هذا العالم الدنيوى ، وتشعر بأنها محلقة فى ذلك الوقت فى أجواء عالم روحانى آخر لا ترى فيه إلا إسم الله والأنوار الالهية العظيمة والملائكة والرسول عليه الصلاة والسلام والأنبياء عليهم جميعاً السلام وترى من فضل ربها الكثير والعظيم حيث تشاهد وتسمع جزءاً من تسبيح الملائكة والشمس والقمر والسماء والأرض ، وبعض الكائنات والطيور لله الوهاب الفياض الكريم رب العرش العظيم . . لا إله إلا الله هو الرحمن الرحيم ، فتحس الفتاة بأنها فى ألفة مع الكون كله تفهم لغته ويفهم لغتها . . تشترك معه فى الغناء والتسبيح والتقديس لله عز وجل رب العالمين .

والعبادة عندها ليست مجرد شعائر ومناسك تؤديها أوحركات تقوم بها . . إنها أمر أكبر من مجرد القيام بشعائر مفروضة . . فالعبادة عندها رحلة حب لله العلى العظيم . . فهى تعبده لأنها تحبه . . تعبده لذاته ليس خوفا من ناره أو طمعا فى جنته .

إن هذه الفتاة تحس بفضل الله العظيم عليها ، ولمسات حنانه الكريمة لها ، وآيات حبه الرائعة لها ، وآثار رحمته الواسعة بها .

إنها فى كل لحظة تحس بآيات هذا الحب ، وتشعر بلمسات هذا الحنان ، وتلمس آثار هذه الرحمة . . فلابد لها من أن تشكر الله على هذا الفضل العظيم ، وعلى هذا الفتح الكريم ، وعلى نعمه التى تغدق عليها من كل جانب والتى لا تعد ولا تحصى . . ولكن كيف ؟

إن هذه الفتاة تحب الله حباً عظيماً . . حباً يملأ كيانها كله . . حباً

أصبح كل حياتها تحيا به وله ومن أجله فكيف تعبر عن هذا الحب لله . . كيف تقدم وفاءها له . . ؟

كيف تعبر عن شكرها الله . . ماذا تستطيع أن تفعل لتقدم حبها وإخلاصها له . . ؟

إنها لن تستطيع أن تفعل ذلك إلا عن طريق العبادة التى فرضها الله عليها وعلى كل العباد ودعاهم جميعاً لأدائها والقيام بها . . وها هى هذه الفتاة عابدة فقيرة إلى الله . . محتاجة إليه على الدوام . . تلبى نداء الدعوة الربانية ، وتستجيب إلى الأمر الإلهى بالطاعة وهل الطاعة إلا حب . . والإنسان لمن يحب مطيع . . وخاصة إذا كان هذا الحب لله الواحد الصمد الخالق لكل شىء الوهاب الفياض الرحمن الرحيم القادر على كل شىء
مالك الملك ذو الجلال والإكرام .

إذن العبادة عند الفتاة رحلة حب تناجى فيها ربها . . تسأله وتستعين به . . تلجأ إليه وحده . . تحكى فرحتها وسعادتها له معترفة بأن هذه الفرحة التى تنعم بها من فضله هو وحده . . تشكره على الخير الكثير الذى منحها الله إياه . . لقد كان خيراً وفيراً أكثر مما كانت تطلب سواء أكان ذلك فى صورة مادية أو معنوية فتحمده قائلة :

سبحانك ربى إنك أنت الكريم الفياض
لك الحمد والملك لك والفضل
لك أنت وحدك .

وكما تحكى فرحتها وسعادتها لله فهى تشكو حزنها وضيقها له داعية أن يفرج عنها هذا الضيق صابرة آملة واثقة فيه سبحانه فى أنه سيُزيل حزنها ويبدّل مكانه أمناً وسلاماً ولكن صبرا جميلاً وتستمر الفتاة فى رحلة حبها الكبير حتى إذا أحست أنها أخطأت أو أذنبت فى أمر ما ، وما أكثر أخطاء الإنسان وذنوبه فتجرى تناجى ربها بحب ساجدة خاشعة معترفة بخطأها مقرة بذنبها طالبة منه تعالى الرحمة والمغفرة والعفو طامعة فى رضاه ولطفه وأن ينير بصيرتها بالفعل الذى يجب أن تسلكه لكى تصلح ما أخطأت فيه فهى لا تريد إلا رضا الله ، وحب الله والقرب من الله فيمن الله عليها بالنور يظللها ، وتسمع صوتاً يهوّن

عليها الأمر ويخبرها بالسلوك الذى يجب أن تسلكه ويبشرها ويحثها على حمد الله وشكره على فضله العظيم .

وتستكمل السير فى طريق حبها العظيم حتى فى حالات المرض والأوجاع والآلام حيث تصبر لاجئة إلى الله بأن يشفيها ويريحها من الآلام التى تحس بها ويفيض الله عليها أكثر ويعطيها من بحر عطائه الذى لا ينفد أبداً حيث يشفيها وينجيها من الشيطان ووسوسته ويريها لمسات حنانه عليها وآثار رحمته بها حيث يصيبها مس من الشيطان وترى هذا المس الشيطانى يمزق جسدها كله من الآلام ثم ينجيها الله من هذا المس اللعين لترى بعينها ، ولتحس بنفسها ولتقف شاهدة على آيات كبرى من لمسات الحنان الإلهى وما زال بحر العطاء الإلهى فياضا حيث ينعم الله عليها بمشاهد عظيمة ورؤى جميلة تسر وتسعد النفس والقلب والروح فيركع ويسجد الجسد والكيان كله بحب الله الفياض الوهاب سابحا فى بحر الحب والحنان الإلهى حيث النور الربانى والفتح النورانى والفيض الرحمانى وفى ظلال الرحمة النورانية الواسعة والنعمة الربانية الشاملة .

إذن فإن الله هو الذى يشغلها ، ويسعدها ، ويحييها ، ويرضيها ، ويغنيها ، ويحفظها ويملأ حياتها .

فهى مشغولة بالله فى كل لحظة . . منشغلة بطريق الله تراقب سلوكها متفاعلة مع كل حدث متخذة هدفها الله محافظة على عهدها له بأن تكون حياتها ونفسها وطريقها كله له هو وحده . . فإن الله هو حبيبها ومعينها وحاميها ومنجيها وناصرها . . فيجب أن تلجأ إليه وحده وتستعين به وحده وتفضى له وحده بكل ما تحس به . . تناجيه بكل ما تشعر به وما يختلج فى فؤادها ووجدانها وأعماقها ، وهو العليم بنفسها وبما فى صدرها وبهمساتها وسكناتها وهى تلجأ إليه لأنها تجد فى لجوءها إليه الأمان والإطمئنان والحنان حيث تطلب منه الهداية والعون وتحمده على فضله وحبه .

إذن عرفت الفتاة وأيقنت تماماً أن العبادة ليست إلا رحلة حب لله العلى العظيم . . فهى على موعد مع الله كل يوم . . ومكان اللقاء هو سجادة الصلاة التى تقف عليها بكل خشوع هذا هو المكان الذى تلتقى فيه بالله . . تركع له وتسجد ، تناجيه ، وتدعوه ، وتشكره ، وتشكو إليه همها ، وتبث إليه

حزنها ، وتحكى فرحتها وهناءها إليه ، وتذكره ، وتردد كلماته .
إنها فى هذه الرحلة على موعد مع الحب .. الحب الإلهى حيث الصفاء والروحانية .

إذن هى رحلة حب نورانية حيث يشرق الله على الفتاة بأنواره ، وفتوحاته الربانية ، ولمسات حنانه الرحمانية ..

وهل هذه الأنوار إلا أنوار حب من الله الوهاب الكريم .. ؟

وهل هذه الفتوحات إلا آيات حب من الله الفياض العظيم .. ؟

وهل لمسات الحنان الربانية .. وآثار الرحمة الإلهية إلا لمسات حب من الله الرحمن الرحيم .. ؟

فالعبادة عندها حقاً رحلة حب نورانية مشرقة حيث يشرق الحب بأنواره على كيان هذه الفتاة فيتفاعل جميع أعضاء الجسد بهذا الحب العظيم حيث تذرف العيون بدموع الحب ، ويركع ويسجد الجسد ركوع وسجود حب ، ونبضات القلب تعلن عن حبها بدقات القلب ونبضاته التى تزداد مع كل كلمة تسبيح .. ومع كل سجدة خشوع .. ومع كل دمعة حب حتى الوجدان والكيان كله يهتز ، والأيدى ترتعش ، والجسد يرتجف حباً لله وكأنهم جميعاً يشتركون فى هذا الحب ويهتزون ويستمتعون بكلمة لا إله إلا الله حيث تحس الفتاة بأن الأرض والسماء تهتز لهذه الكلمة العظيمة وتتمنى فى هذه اللحظة لو يتلاشى جسدها ويذوب حباً لله حيث تشعر بإحتراق قلبها شوقاً إلى الله وأن كيانها كله متلهف للقاء الله وتتمنى أن يُفتح صدرها وفؤادها فيركع ويسجد حباً لله .

فلقد أنعم الله عليها بهذا الحب ولم تقف لمسات حنانه لها عند هذا الحد .. ففى ظل هذه العبودية لله ترى الفتاة من فضل ربها ما يجعلها تبكى وتبكى حيث ترى الأنوار والملائكة والشمس والقمر والطيور وكائنات أخرى تراها وتسمعها لأول مرة لم تعرفها من قبل .. تراهم جميعاً يسبحون معها ويشتركون معها فى هذا الحب ..

أليست العبادة هنا رحلة حب نورانية أشرق القلب فيها بالنور وأفاض الله من فضله على هذا القلب بأنوار ربانية أخرى .. أنوار لا مثيل لها ،

وإشراقات إلهية كبرى ، وفيوضات نورانية عظمى فيها الرحمة والحب والحنان في أسمى معانيه وأجمل آياته . .

أي جمال بعد هذا ؟
وأي روعة بعد ذلك ؟
وأي حنان أعظم من هذا الحنان ؟
وأي حب أجمل من هذا الحب ؟
وأي متعة أحلى من هذه المتعة ؟
وهنا تبكي الفتاة بشدة فتقول :

والله إن كنوز الدنيا كلها ومتاعها وما فيها لا يساوي لحظة صفاء . . لحظة أمن . . لحظة سكينة . . لحظة إطمئنان . . لحظة سياحة نورانية في دائرة النور الإلهي أعيشها وأنعم بها بفضل الله . ولا تقدّر بلحظة حنان إلهي . . ولحظة حب رباني . . ولحظة فيض نوراني يظللني ويحميني ويدفئني منّة وهبة من الله جل جلاله .

فتسجد ودموعها تغرقها تناجي ربها قائلة :

اللهم اجعلني مقيمة الصلاة . . حافظة القرآن . .
مستجابة الدعاء . . جلّابة للخير . . منّاعة للشر . .
حامدة . . شاكرة فضلك العظيم . . راضية مرضي عني . .
مقربة إليك يا إلهي . . يا كريم . . ياحليم . . يا عزيز . .
يا رحيم يا قادر على كل شيء . . يا رحمن . . يا رب العالمين .

اللهم اجعل هجرتي إليك انت وحدك . .
فإن حياتي لك أنت وحدك . .
وحبي لك أنت وحدك . .
وعبادتي لك أنت وحدك . .
وكل ما أنعم به وفيه هو منك وإليك أنت وحدك . .
فلك سبحانك كل الحمد . . وكل الشكر . . وكل الفضل . .
وكل العطاء . . وكل الكرم . . وكل الرحمة . .

سبحانك ربى ورب العالمين .. لا إله إلا أنت وحدك
لا شريك لك .. لك الملك .. ولك الحمد .. تحيى وتميت
وعلى كل شيء قدير .

ولقد تعودت فتاتنا قبل أن تبدأ فى أداء عبادتها أن تقوم بعملية تهيئة لنفسها إستعدادا للعبادة .. فهى ضرورية جداً فى حياتها وتحظى بأهمية خاصة حيث تستحضر الله فى قلبها وعقلها وفكرها وفؤادها وكيانها كله محاولة أن تجرد نفسها من جميع علائق الدنيا وشوائبها وهواها .. فإنها بعد لحظات ستقف بين يدى الله ومع كلمات الله فيجب ألا يكون إنشغالها إلا بالله ، وهنا تتم عملية إستحضار كلى لله سبحانه وتعالى فيصل القلب إلى درجة من الصفاء كأنه لوح أبيض صافى لا يشوبه شيء ، ولا ينشغل بشيء إلا الله .. فيشرق الله بأنواره على هذا القلب الصافى بفيوضات عطاءه وإشراقات نوره ولمسات حنانه .. وآيات حبه .. فتجد الفتاة نفسها تسجد باكية .. دموعها لا تنتهى .. دموع مليئة بالحب لله ممتزجة بالخشوع له وحده تعبر عن حبها وشكرها له داعية أن ينير بصيرتها ويهذبها ويقومها ويجعلها فى الصورة التى يرضى بها عنها ، ويلهمها الإلهام الصادق ويرشدها الإرشاد الصحيح ، ويوجهها التوجيه السليم ، ويهديها إلى الصراط المستقيم . ومن هنا كانت عبادة الفتاة ليست مجرد شعائر تؤديها أو حركات تقوم بها .. فهو إحساس كلى بحب الله ، ومن خلال هذا الحب .. تعبد الله .. فهى إنسانة عابدة سائحة فى رحلة الحب العظيم .. سابحة فى بحر الحنان الكريم .

فلنمضى إذن لحظات روحانية مع العبادة فى حياة هذه الفتاة ولنبدأ الحكاية منذ بدايتها وكيف كانت للعبادة تأثير فعال فى حياتها وسلوكها حيث أفاض الله عليها بفيض عظيم قادها إلى حب كبير يملأ كيانها ، ويهز وجدانها ، ويحيا فى أعماقها ، وينبض فى كل حاسة من حواسها .. حب كبير وأعظم من أن يُعبر عنه بكلمات أو عبارات مسطورة لأنه إحساس محفور فى القلب .. وشعور مرسوم فى الصدر .. ونور يجرى مجرى الدم .. مستقر فى الوجدان والفؤاد فيسجد ويسبّح الكيان كله بإسم الله العظيم الذى لا إله إلا هو العلى العظيم .

رحلة داخل محراب النور

شبّت فتاتنا على حب الصلاة ، وصوم رمضان ، وقراءة القرآن الكريم .

ولقد كان هذا من فضل الله عليها أن جعل فى نفسها ميل نحو العبادة وحبّب إليها الإيمان وهيأ لها من الأسباب والظروف المحيطة بها ما جعلها تقبل على العبادة بكل حب حيث نشأت وسط أسرة متدينة تشجعها على أداء العبادة ، وتحثها على التحلى بالخلق القويم .

فسارت الفتاة فى حياتها تؤدى عبادتها بكل هدوء وبصورة طبيعية جدا . . ولقد كان فضل الله عليها عظيما ، ولمسات حنانه وحبه تحيط بها من كل جانب حيث أنعم الله عليها بالرؤ ى منذ صغرها ، وفى فترة شبابها أفاض الله عليها من عطائه الفياض وإشراقات نوره الوهاب حيث بدأت ترى رؤ ى دينية صالحة . . كان لها الأثر الفعال فى تغيير حياتها وسلوكياتها مما جعلها تراقب نفسها وتقف وقفات من التأمل والتفكر فى طريقها حتى بدأت تحس بأن ما تؤديه من عبادات لا يكفى لكى تشكر الله على ما أنعم به عليها من فضل عظيم ، وفيض كريم ، ونعم لا تعد ولا تحصى فهداها تفكيرها بأمر الله وفضله بأنها لابد أن تخصص يوما فى الأسبوع تقوم الليل فيه . . تصلى وتقرأ القرآن ، تذكر الله ، وتسجد له شاكرة ، وتسبّح له حامدة ، وتستغفره طامعة فى رضاه ، وبدأت هذه الفكرة تتبلور فى ذهنها وعقلها وفؤادها حتى أصبحت أمراً واقعا واختارت الفتاة ليلة الجمعة لتنفذ هذه الفكرة . . وقد بدأت كل ليلة جمعة تنام مبكراً إستعدادا لهذه السهرة الدينية ولم يقف إستعدادها إلى هذا الحد بل أخذت تهيىء نفسها لذلك فبدأت تخصص ثيابا خاصة بهذه السهرة فخصصت ثيابا بيضاء لا ترتديها إلا وقت العبادة فقط وكذلك اختارت عطراً من أغلى عطور العالم لكى تتعطر به قبل البدء فى هذه السهرة فقط :

ثوب أبيض .. وعطر نقى فواح ..

من أجل من !!

من أجل الحبيب الأوحد .. الواحد الأحد .. الله جل جلاله ..

وهل هناك لديها من هو أعز منه .. سبحانه وتعالى عن أن يكون غير ذلك .

وأخذ لقائها بالله بهذه الصورة يتجدد إسبوعيا ثم تطور الأمر وأصبح اللقاء يتكرر بصفة يومية فهى لا تستطيع أن تطيل الفراق .. كيف وهو الحبيب الأوحد .. وهل هناك حبيب يطيق فراق حبيبه .. فكيف إذا كان المحبوب هو الله جل جلاله وكان الحب هو الحب الإلهى المتجرد ، شعور عظيم مشوب بالحب المجرد والذوبان فى الذات الإلهية .. شعور لا تصفه كلمات وهل تستطيع الكلمات أن تكون هى النور .

أن أقصى ما تستطيعه الكلمات أن تجسّد النور .. أن تحاول وصفه ولكنها لا تستطيع ابداً أن تكونه . إن نور الله لا وصف له لأنه لا مثيل له .

لقد كان الأمر فى البداية شاقا عليها لأنها غيرّت نظام حياتها كله من أجل تحقيق هذه الغاية النبيلة ، ولكنها تحملّت هذا التعب حبا لله إلى أن أعانها الله وأصبح الآن شيئا طبيعيا فى حياتها وأمرا ضروريا لا تستطيع الإستغناء عنه ابدا .. فهذه الساعات القليلة التى تستيقظ فيها مبكرا لتصلى وتقرأ القرآن هى أجمل وأحلى وأروع ساعات يومها حيث تتمتع وتنعم بحب الله .. وفى رحاب الله .. ومع كلمات الله ، ويفيض الله عليها من كرمه وإشراقاته وفيوضاته ما يجعلها تستأنس بهذه السهرة الدينية التى تعدّها كل يوم وتهيىء نفسها لها .. فهى مشغولة بالله .. مدعوة كل يوم إلى سهرة دينية فيها الحب والحنان والجمال والنور .. حيث آيات الله الكبرى وفيوضاته العظمى .. إنها لحظات وساعات بالعمر كله .

لقد أصبحت تعبد الله بكل إحساسها .. بكيانها كله .. تعبده لذاته وحده وليس خوفا من ناره أوطمعا فى جنته وأصبح حبه يملأ كيانها ويهز فؤادها المتشوق دائما للقائه والمتزّود بزاد رحمته ولمسات حنانه .

وهنا نقف وقفة تأمل حيث يتبين لنا أن هذه الفتاة تهتم بالعبادة إهتماماً

خاصا حيث تهيىء نفسها لها ، وتعد الإستعدادات اللازمة لهذه العبادة .

وهذا الإهتمام - إن دل على شيء - فإنما يدل على حب الفتاة لله عز وجل حيث تحس أنها على موعد مع الله كل يوم من خلال عبادتها له ، وأن هذا الحب يدفعها ويشدها للإهتمام والعناية بعبادتها . . فهى ترى وتؤمن بانه يجب عليها ن تحس وتشعر بكل حركة أو همسة تقوم بها فى العبادة ، ويجب عليها أن تتأمل فى كل كلمة ترددها . .

فلنعش معا بين ثنايا السطور القادمة مع هذه الفتاة ، ولنغوص سويا فى أعماقها لنقف عند مشاعرها وأحاسيسها عن كل عبادة تقوم بها .

أولا - الصـــلاة :

بعد أن تقوم فتاتنا بعملية الإعداد والإستعداد للعبادة ، وبعد أن تنتهى من عملية التهيئة النفسية والروحية لتدخل فى جو العبادة ، وبمجرد أن تقف على سجادة الصلاة متجهة إلى الله بكل كيانها مستقبلة القبلة مفتتحة الصلاة باسم التكبير « الله أكبر » فتحس كأنها على بساط نورانى يحملها إلى السماء وفى رحاب الله حيث تركع وتسجد حبا وشكرا لله عز وجل وهى تشعر بأن قلبها قد سجد لله الواحد الرحمن قبل أن يسجد جسدها ، ولم تقف مشاعرها عند هذا الحد بل كما تحس بسجود جسدها وقلبها فهى تحس بسجود كل حاسة من حواسها لله الواحد القهار ، فإن كل قلبها وفؤادها وكيانها كله يتفاعل معها فى حركات الصلاة . . يقوم عند القيام ، ويركع عند الركوع ، ويسجد عند السجود .

وعند سجود هذه الفتاة لله الواحد القهار تمتزج المشاعر الفياضة فى نفسها وقلبها وفؤادها وكيانها كله حيث تشعر بالقرب . . بالحب . . بالنور يفيض عليها ، تحس بالإخلاص . . بقمة العبودية لله، فيثمر هذا السجود ثمرات نورانية من السكينة والإطمئنان والأمان والهدوء النفسى والسلام الروحى الداخلى ليغمر كيان هذه الفتاة .

إن هذا البساط النورانى الذى تحس به الفتاة عند وقوفها على سجادة الصلاة إنما تشعر به يحملها فى طريق نورانى حيث ترى الطيور والملائكة والنور الإلهى من حولها ، وكثيرا ما كانت الفتاة ترى نفسها تصلى فى السماء . . وكثيرا

ما رأت انها تركع وتسجد فى السماء أيضا . . ولقد كانت هناك الدعوة الدائمة لها بأن تركع لله كثيرا وتسجد لله كثيرا حمداً وشكراً على فضله العظيم عليها . بل كانت هناك رؤ ية غريبة متكررة رأتها الفتاة ولم تعرف مغزاها حتى هذه اللحظات من كتابة هذه السطور وهى أنها سمعت صوتا فى أكثر من مرة يقول لها : « لقد صليت الدهر كله . »

والفتاة تقف متأملة متفكرة فى هذه الرؤ ية كثيرا التى لم تفهم معناها أو مغزاها فما معنى أن تصلى الدهر كله . . ؟ وهل هى ستعيش الدهر كله لكى تصليه . . ؟ بالطبع لا . . فإنها لن تحيا الدهر كله (والله اعلم) .

إذن . . إلى ماذا تشير هذه الرؤ ية الغريبة . . ؟

كلها تساؤلات وعلامات إستفهام لا تعرف الفتاة الإجابة عليها . . فتركتها لله العليم الخبير . . فلربما يشاء الله يوما أن يكشف لهذه الفتاة المعنى الباطنى لهذه الرؤ ية ومغزاها الحقيقى .

وأخذت الفتاة ترى بعد ذلك رؤ ى متكررة عن الملائكة يدورون حولها فى زى أبيض جميل وفى شكل نورانى غاية فى الجمال . كما رأت أن نوراً أمامها ينتشر على سجادة الصلاة .

وأخذت هذه الرؤ ى تتكرر كثيرا ورأت ذات مرة أن مجموعة من الملائكة يحيطونها فى دائرة ممسكا كل واحد منهم مصحفا أبيضا صغيرا وفى نفس الهيئة النورانية الجميلة .

وفى غمار هذه المشاعر الفياضة الكريمة ، وفى بحار هذه الرؤ ى النورانية العظيمة كانت تحس الفتاة بأنها إنفصلت عن الدنيا وما فيها وإبتعدت عنها تماما وكأنها فى عالم آخر بعيد عن هذا العالم الحسى الدنيوى . . عالم ملىء بالنورانية والروحانية . . متجهة كلية إلى الله . . مقبلة عليه تعالى بكل كيانها . . فهى فى هذه اللحظات الجليلة مشغولة بالله ، تتفاعل مع حركات الصلاة من قيام وركوع وسجود يقوم به كيانها كله ، لا تفكر إلا فى كلمات الله التى ترددها أثناء الصلاة فيفيض الله الرحمن الفياض عليها بإشراقات النور تهبط على قلبها ، ومكاشفات الحقائق تنير طريقها فينشرح صدرها . ويسعد فؤ ادها . . ويطمئن قلبها .

فالصلاة عند هذه الفتاة شعاع نورانى ينفذ إلى قلبها ويصدر أشعته النورانية حيث ينتشر النور فى جسدها وحواسها ، ويستقر فى وجدانها وفؤادها ، ويغمر أعماقها وكيانها كله فتجرى هذه الأشعة النورانية وتسير فى جسدها وعروقها مجرى الدم .

وقبل أن ينفذ هذا الشعاع الى قلب الفتاة ليستقر فى كيانها ، يكون قد ملأ المكان كله نور وأحاطه بالإشعاع النورانى فتحس هذه الفتاة بأن كل ما يحيط بها نور .

ومن هنا كانت الصلاة عندها ليست مجرد حركات تقوم بها وإنما هى إحساس كلى بالحب لله .. شعور كامل بالخضوع والخشوع لله .. إسلام وإستسلام متكامل لله الواحد الرحمن الوهاب الفياض ممتزجا بالخشية والتواضع مفعما بالحمد والشكر مثمرا الحنان والأمان والإطمئنان .

ثانيا ـ الصـــيام :

والصيام عند هذه الفتاة كهف نورانى حيث تبتعد عن متاع الدنيا وشهواتها مطيعة لدعوة ربها فى أداء فريضة الصيام .

والصيام عند فتاتنا لا يقتصر على الصوم عن الطعام والشراب فقط ولكن الصوم عندها هو صوم كامل ، وطاعة متكاملة .. فهو صوم عن جميع المعاصى التى نهى الله عنها والدخول فى طاعته ومحاولة القرب منه تعالى .

فهى ترى أن الصيام إبتعاد وإنقطاع كامل عن عالم المادة ، وعن عالم الشهوات وعن عالم الفتنة حتى تخلص نفسها إلى ربها لتنعم فى رحابه بسعادة الصلة به والقرب منه .

وفى الحقيقة إن شهر رمضان عند هذه الفتاة يعتبر من أهم الشهور وأفضلها التى تحظى بإستعداد خاص لديها وإهتمام بارز فى حياتها وهو الشهر الذى فرض الله فيه الصيام .

قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

(البقرة : ١٨٣ - ١٨٥)

فهى تشعر بأنها فعلا فى كهف نورانى فى هذا الشهر الكريم حيث تشعر بالقرب الشديد من الله وخاصة وهى صائمة .. فهى تصوم له وتعبده حبا وشكرا وطاعة وكما رأت الفتاة الرؤ ية الغريبة التى رأتها فى الصلاة بأنها صلّت الدهر كله فكذلك رأت ذات مرة نفس الرؤ ية عن الصيام حيث كانت تصلى فسمعت صوتا يقول لها :

« لقد صمت الدهر كله »

ولم تفهم مغزى أو معنى هذه الرؤ ية .

وتجرى الأيام بها فى شهر رمضان كالرياح بسرعة شديدة حتى تأتى العشرة الأواخر فى رمضان فتستعد الفتاة لهذه الأيام العظيمة إستعدادا آخر على درجة كبيرة من الإهتمام والرعاية حيث تزيد من تعبدها فى هذه الليالى المباركة متلمسة ليلة القدر .. الليلة التى أثنى الله عليها بأنها ليلة خير من ألف شهر طامعة فى رحمته ورضاه وعفوه ومغفرته .

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾

(سورة القدر)

ويفيض الله على هذه الفتاة فى هذه الليالى المباركة بفيض عظيم بكل ما تحمله هذه الكلمة من العظمة والجمال ويمنحها من لمسات حنانه وحبه ويهبها من فضله ما يجعلها تحس كأن قلبها وجسدها وفؤادها كيانها كله شق وانفتح ليركع ويسجد حبا لله وملأه النور هبة ومنّة من عند الله ، وتتمنى الفتاة فى هذه اللحظات ـ التى من الصعب جداً بل من المستحيل وصفها أو التعبير عنها ـ لقاء ربها حيث تحس بالشوق إليه تعالى يحترق به قلبها ، وألم الفراق يمزقها ، وتغرق نفسها بدموعها التى تنجرف كنهر جارف من شدة البكاء فلا تقوى على إيقافها راكعة .. ساجدة .. حامدة .. شاكرة الله على فضله العظيم حيث تناجى ربها قائلة :

اللهم لك الحمد والشكر على ما قدّرت وأعطيت ووهبت ومنحت أحمدك يا ربى على فيضك العظيم ، وعلى نعمتك التى لا تعُد ولا تُحصى بكل كيانى وفؤادى وما ملكت من أحاسيس ومشاعر وعروق ودماء تجرى فى نفسى وقلبى وجسدى جميعا .

بكل قطرة .. بكل خلجة .. بكل نبضة .. بكل همسة .. أحمدك يا ربى وأشكر فضلك .

فكل ذلك وما أنعم به من نعم بفضلك أنت وحدك يا رب العالمين فحمدا وشكراً ملء السموات والأرض وما فيهن وما عليهن حمدا وشكرا كثيرا يا رب العالمين .. يا إلهى يا كريم يا فياض .

ربى إنى لا أستطيع أن أثنى عليك ولو حرصت ولكنك أنت كما

أثنيت على نفسك تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك أنك أنت علام الغيوب .

وتتمنى الفتاة بألا يمر الزمان وتظل ساجدة هكذا عمرها كله ولن يكفى لتقدمه حمدا لله ، وحبا له ، ووفاءا اليه .

فإن فضل الله عليها أعظم من أى كلمة شكر ، وركعة حب ، وسجدة وفاء ممتزجة بالإيمان والرهبة والخشوع والإخلاص لله العلى الكبير .

ولذلك فهى تجد أن عبادتها عاجزة عن تقديم حبها الخالص لله ، وشكرها الصادق له عز وجل ، ووفاءها العميق إليه سبحانه وتعالى .

فبمجرد أن يقبل هذا الشهر الكريم وتبدأ الفتاة فى عقد النية والعزم على الصوم حبا وطاعة لله تحس بأنها فى كهف نورانى بعيدة عن الناس قريبة جداً من الله وكأن الصوم هنا كهف نورانى يحجبها عن الخلق ويقربّها من الله حيث تشعر بأنها صاعدة فى طريق مستقيم أمامها لا ترى فيه إلا إسْم الله ، ونور الله ، وملائكة الله .

إذن فالصيام عندها كهف نورانى تقبل عليه حيث تؤدى فريضة الصيام وتبتعد عن متاع الدنيا وشهواتها وتنتهى عن المعاصى التى نهى الله عنها وتقوم الليل لتعبد الله وتتهجد له محاولة القرب منه فيشرق الله عليها فى كهفها بالحب والقرب والنور فيصبح هذا الكهف نورانيا بأمر الله حيث تحس بأن صيامها نور وعبادتها نور وكل ما حولها يضىء بالنور والحب والجمال .

ثالثا - الزكاة والصدقة :

فى الحقيقة ترددت كثيرا ككاتبة وراوية لقصة هذ الفتاة فى التعرض لهذه النقطة وخاصة أن بطلة القصة لم توافق على كشف مشاعرها فى هذا المجال ، وإحتراما لمشاعرها لن أستفيض فى الحديث عند هذه النقطة ولكن هناك شعورا واحدا عند هذه الفتاة شدّنى وجعلنى أستأذنها فى الكشف عنه وهو أن الزكاة والصدقة عندها بنك نورانى وهى ترى أن هذا البنك هو البنك الوحيد الذى يجب أن يتسابق الناس إليه ليكون لهم رصيد فيه .

وهى ترى أن الحساب فى هذا البنك لا يكون لصالح المودع وإنما لصالح

الفقراء واليتامى والمساكين وفوائد هذا الحساب نورانية حيث أنها تعود على المودع بالأمان والسكينة والفوز برضا الله ، وأنه بأدائه فريضة الزكاة وتبرعه بصدقة لمساعدة الفقراء والمحتاجين جعل له رصيدا فى بنك الآخرة وشتان بين بنك الآخرة وبنك الدنيا ، فالأول لن يثمر الا الإطمئنان وراحة البال ، أما الثانى فلن يثمر إلا المتاع الزائل والضياع والحيرة .

وسامحنى أيها القارىء فى أننى لن أستطيع الإستفاضة فى مشاعر الفتاة عند هذه النقطة أكثر من ذلك إحتراما لرغبتها وتصديقا لوعدى معها .

رابعا ـ الذكــــر :

إن إحساس هذه الفتاة بالذكر بأنه شجرة حب نورانية وكلما أقبلت هذه الفتاة على الشجرة النورانية واهتمت بها واعتنت بفروعها النورانية وتولتها برعايتها وعنايتها وإهتمامها حيث ذكر الله والتسبيح بحمده أثمرت هذه الشجرة النورانية ثمارا نورانية أيضا من الأمان والإطمئنان ، والهدوء والسكينة ، ولمسات الحنان الإلهى .. وآيات الحب الربانى ، وفيض الله الكريم .. وعطاء الله العظيم .

ويظلل هذه الشجرة النورانية ، ويحيطها ، ويغطيها ، ويملأها نور التوحيد بكلمة لا إله إلا الله .

والفتاة ترى وتؤمن بأن من أعظم وأجل أنواع الذكر وأفضلها هو الذكر بلا إله إلا الله .. فإن هذا الإسم العظيم .. إسم لا إله إلا الله يؤثر فيها تأثيرا غريبا وجميلا فى نفس الوقت ، فهى عندما تذكر الله بهذا الإسم العظيم تحس بأن كل شىء فى الوجود يهتز لهذا الإسم .. فهى تشعر بإهتزاز السماء والأرض عندما تنطق بهذا الإسم أوحتى تهمس به فى قلبها وكيانها كله .. تحس بفرحة الطيور والكائنات عند سماع هذا الإسم وكأنهم جميعا يسبّحون معها بلا إله إلا الله .

ثم أن كيان هذه الفتاة يتفاعل تفاعلا غريبا عند ذكرها بلا إله إلا الله ولا تعرف لهذا التفاعل وصفا معينا .. هل هو الحب .. هل هو الخشوع .. هل هو الرهبة .. هل هو الهيبة .. هل هو الإيمان .. هو هل الإستسلام الكلى لله عز وجل .. ؟

أم أنه شعور يمتزج فيه كل هذه الأحاسيس معا .

إن هذه الفتاة تهتز إهتزازا رهيبا عند ذكرها لهذا الإسم وتحس بأن كل شيء في الوجود يهتز ويرتعش ويرتجف معها وفي نفس الوقت تشعر بفرحة وسعادة غامرة عند نطقها أو همسها بلا إله إلا الله ، وتشعر بفرحة الكائنات والوجود معها .

انه لإحساس غريب جداً . . كيف يكون الشعور ممتزجا إلى هذه الدرجة بأن تهزها كلمة لا إله إلا الله وتهز كيانها وأعماقها ووجدانها لدرجة أنها تحس بأن كل ما في الكون تهزه الكلمة والتسبيح والذكر بهذا الإسم العظيم ، وفي نفس الوقت تحس بالفرحة والسعادة وكل ما في الوجود يشاركها هذه الفرحة الغامرة كأنها تقول في سرها وتشاركها الكائنات في قولها :

الحمد لله بأنه لا إله إلا الله

من الصعب جدا ، بل من المستحيل التعبير عن إحساس يهتز من الأعماق والوجدان لذكر لا إله إلا الله حيث يتفاعل به الكيان كله . . إنه شعور لا يوصف وتقف الكلمات عاجزة عن التعبير عنه كأنها هي الأخرى تهتز للذكر بلا إله إلا الله وتتفاعل معها فتقف عاجزة حتى في التعبير من شدة رهبتها وخشوعها وإحتراما لهذا الإسم العظيم وكأنها تسبّح هي الأخرى بلا إله إلا الله ولا تحس الفتاة بعجز الكلمات فقط بل بعجز الحروف أيضا . . تشعر بأن حتى الحرف يعجز عن التعبير من رهبة الموقف كأنه هو الآخر يهتز اهتزازا كبيرا يفقده توازنه فينتج عن ذلك : العجز ولا شيء غير العجز عن التعبير والوصف وكأنه هو الآخر يسبّح بلا إله إلا الله حيث تفاعل وامتزج تفاعله بالرهبة والفرحة لذكر هذا الإسم العظيم .

ولقد كانت هناك دائما النصيحة الموجهة للفتاة والدعوة الدائمة لها في رؤ ياها بأن تذكر الله كثيرا وأن تقول دائما :

لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين

ولقد استجابت هذه الفتاة لهذه النصيحة الرشيدة ، ولبّت نداء هذه الدعوة الحكيمة وحافظت على الذكر يوميا بلا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين .

وفى ذات مرة حيث كانت الفتاة فى لحظة من لحظات الصفاء الروحى إذ كانت تسبّح الله وتذكره وتحمده وفجأة تمنّت فى نفسها بأن يهديها الله إلى نغمات معينة للتسابيح التى تسبّح بها الله وتذكره حتى تستطيع أن تتغنى بها وتسبّح الله بنغمات معينة .

تمنّت ذلك فى نفسها وسرها ولم تبوح به لأحد وكان الله رحيما بها وكريما معها حيث سمعت صوتا يقول لها :

إطمئنى ستأتى إليك هذه النغمات بإذن الله ولكن ليس فى الوقت الحاضر ، وإنما سيهديك الله الآن إلى نغمة التسبيح الذى طلُب منك أن تسبحيه يوميا وهو :

لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين
أما باقى التسبيحات فستأتى لك عندما يأذن الله بذلك وليس فى الوقت الحاضر .

وفعلا هداها الله إلى النغمة التى تقول بها :

لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين

ولم يقف عطاء الله ولمسات حنانه لها عند هذا الحد ، بل أنعم عليها برؤ ية ثلاثة من الطيور البيضاء يشتركون معها فى النغمة والتسبيح كما يلى :

- تبدأ الطيور أولا بعمل النغمة ، وفى نفس الوقت الذى تدندن فيه الطيور بالنغمة تردد الفتاة التسبيح على النغمة .
- ثم مرة أخرى تدندن الفتاة النغمة ، وتردد الطيور التسبيح على النغمة .
- ثم يشتركون معا فى المرة الثالثة وفى صوت واحد الفتاة والطيور الثلاثة البيضاء بدندنة النغمة وترديد التسبيح المذكور وهو :

« لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين »

ثم سجدت الفتاة لله عز وجل تحمده حمداً وشكراً كثيراً على نعمته ولمسات حنانه وآيات حبه لها . . وتمسكت بسجودها فى ذلك اليوم تمسكا شديدا ، ولم تكن تريد أن تخرج من سجودها هذا ابداً ، وتمنتّ لو ظلت

عمرها كله هكذا ساجدة فهى فى هذه اللحظات لم تحس بشىء غير سجودها وحب الله الكبير لها وفضله العظيم عليها .. فكل شىء فى الدنيا فى هذه اللحظات الجليلة وبعدها أصبح ضئيلا بل معدوما ، وشكرت الله كثيرا على ذلك وحافظت حتى الآن على ترديد هذا التسبيح والنغمة التى أنعم بها الله عليها ، وفى كل مرة كانت الطيور البيضاء تشترك معها فى التسبيح والنغمة .

واعتبرت الفتاة هذا التسبيح والنغمة نور فى حياتها يضىء أيامها وينير لحظاتها وعمرها .

وآمنت الفتاة وعرفت وأيقنت بأنه حقا التوحيد هو نور الله فى الوجود الذى يضىء وينير الحياة كلها وما بعد الحياة .

فإذا كان الذكر شجرة حب نورانية .. فإن التوحيد بلا إله إلا الله هو النور الذى يظل هذه الشجرة ويغطيها ويحيطها ويملأها ويتلألأ على فروعها النورانية بالجمال والنضرة والبهجة والخير .. ولنقف هنا وقفة لنجلس فى ظلال هذه الشجرة النورانية ونتأمل معا فروعها النورانية التى غذّتها الفتاة بالإهتمام والرعاية والحب حيث ذكر الله والتسبيح بحمده :

(أ) التســـبيح :

إن التسبيح من الأمور الهامة جدا التى تشغل تفكير الفتاة وتهتم بها حيث تحرص على تسبيح الله عز وجل وتقديسه والثناء عليه فهى تدرك بأن من يسبّح الله سبحانه وتعالى يحظى بعنايته عز وجل ويفيض الله على هذه الفتاة من فضله العظيم حيث يشدّها إلى طريقه لتتأمل فى دعوة الله وأمره إلى عباده بالتسبيح :

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾
(ق : ٣٩ ، ٤٠)

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾
(الطور : ٤٨ ، ٤٩)

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ (النصر : ٣)

وتنتقل الفتاة فى طريق تأملها من مرحلة إلى أخرى مع كلمات الله النورانية التى تشهد وتقرر بتسبيح كل شىء فى الوجود لله :

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾
(الاسراء : ٤٤)

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾
(الحديد : ١)

وتستمر الفتاة فى تأملها حيث تقف عند كلمات ربها عن الكائنات النورانية « الملائكة » وتسبيحهم .

﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ ۩ ﴾ (فصلت : ٣٨)

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (غافر : ٧)

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾
(الزمر : ٧٥)

وتستكمل الفتاة مسيرة تأملها حيث تتفكر وتتعمق فى أمر الله للإنسان بالتسبيح . فلقد أمر سبحانه بالتسبيح أنبيائه ورسله وهم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة لجميع العباد المؤمنين حيث قال الله عز وجل لرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾

(الحجر : ٩٨)

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾

(الفرقان : ٥٨)

وتتأمل الفتاة فى دعوة الله وأمره لجميع المؤمنين بالتسبيح :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾

(الأحزاب : ٤١ ، ٤٢)

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾

(الواقعة : ٩٥ : ٩٦)

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾

(الأعلى : ١)

وتتدبر الفتاة فى آيات الله حيث جعل سبحانه التسبيح علامة الإيمان فقال :

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

(السجدة : ١٥)

وتغوص الفتاة فى بحار التأمل فى آيات الله حول التسبيح وأهميته وفضله ونعمته على العباد فتتذكر كيف أن التسبيح كان سببا لنجاة ذو النون عليه السلام حيث يقول الله عز وجل عنه :

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨)

تتأمل الفتاة فى هذه الآية الكريمة حيث تستدل بها على أن التسبيح ينجّى الانسان فهو سببا للنجاة والإنقاذ حيث كان سببا لنجاة يونس عليه السلام من بطن الحوت حيث قال الله عز وجل :

﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾
(الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤)

فهذه إشارة إلى أن التسبيح سببا من أسباب النجاة بأمر الله .

ويقول سبحانه عن هؤلاء الذين دمر جنتهم :

﴿ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (القلم : ٢٨ ، ٢٩)

وتعرف الفتاة وتؤمن بأن للتسبيح أثره الهام فى الرضا والسكينة ، رضا النفس وسكينتها حيث يقول الله تعالى :

﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾
(طه : ١٣٠)

وتتعلم الفتاة من آيات الله الكثير والكثير حيث تعلمت بأن ليس للتسبيح وقتا معينا فلقد أمر الله بالتسبيح فى جميع الأوقات :

أمر به فى العشى والابكار :

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ (غافر : ٥٥)

وفى المساء والصباح :

﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾
(الروم : ١٧)

وبكرة واصيلا :

﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾
(الفتح : ٩)

وقبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل وادبار السجود :

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾
(ق : ٣٩ ، ٤٠)

وعند القيام ، ومن الليل وادبار النجوم :

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾
(الطور : ٤٨ ، ٤٩)

ومن هنا كان للتسبيح أثره الهام فى حياة فتاتنا حيث أنه دعوة ربانية لكل عبد يريد أن يقترب ، والفتاة تأمل فى الإقتراب لتحظى بحب الله ورضاه ، طامعة فى رحمته وكرمه ، مشتاقة إلى لقائه . . ولذلك فالتسبيح أمر حيوى عندها يجب عليها أن تتطبع به وأن تعوّد نفسها عليه حتى يصبح شيئا لا تستطيع الإستغناء عنه ، وتؤمن الفتاة بأن فضل الله عظيم وعطائه كريم

على عباده المؤمنين . . فلولا الله ما إهتدينا وعرفنا الإيمان ، ولولا الله ما تعلمنا كل هذه الإرشادات النورانية .

فإن ما ذكر فى هذه الآيات الكريمة السابق ذكرها عن التسبيح ليس إلا إرشادات ربانية من الله العلى العظيم لعبده الكريم ليتأمل ويؤمن ويعرف ويتعلم بأن التسبيح هو سبيل من سبل القرب كما أن السجود هو طريق القرب إلى الله حيث يقول الله تعالى :

﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾ (سورة العلق : ١٩)

فبدأت الفتاة تترجم هذه الدروس التى تعلمتها من هذه الآيات العظيمة إلى عمل فعلى حيث شعرت بأن ما تقوم به من تسبيح كل يوم لا يكفى فيجب أن تكثر فى التسبيح فأفاض الله عليها بفيض كريم حيث أحست بأنها فى عالم روحانى تملأها السكينة ويحيطها النور ويغمرها الحب الإلهى حيث رأت بياضا يلتف حولها ويغطيها ثم رأت أن الطريق إلى الله أمامها أبيض ومفتوح وجميل جدا . . وكأن هذا الذى رأته فى أول تجربة لها عندما بدأت فى الإكثار من التسبيح رسالة إليها تكشف لها حقيقة هامة هى أن التسبيح وذكر الله طريق سريع ومفتوح للقرب من الله ، طريق يربط العبد بربه بعروة وثقى حيث حب الله وحنانه وفيضه الكريم . . سبحانه لا إله إلا هو رب العالمين . . رب العرش العظيم .

فبدأت تسير فى طريقها حريصة على تسبيح الله متمنية أن تأتى المرحلة التى تؤهلها لكى تسبّح الله فى كل لحظة دون أن تغفل عن ذكره وتسبيحه وحمده وشكره والطريق مازال طويلا وعليها الصبر والإكثار من ذكر الله وتسبيحه آملة فى القرب منه سبحانه وتعالى .

(ب) حمد الله وشكره :

وتستكمل الفتاة مسيرة تأملها لتقف عند الفاتحة التى افتتح الله بها الحمد . . الحمد لله رب العالمين .

الحمد لله المربى لجميع العوالم السائر بهم نحو الكمال ، بل ومن أجل كماله سبحانه فى نفسه كان له الحمد فى السموات والأرض .

﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾
(الروم : ١٨)

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾
(الجاثية : ٣٦)

كان له الحمد فى الأولى والآخرة :

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (القصص : ٧٠)

وتتفكر الفتاة وتقف عند أعظم أنواع الحمد وأرقها .. الحمد الذى يشير إلى كمال الله سبحانه وتعالى جل جلاله .. وعظمت قدرته ، وتقدّست ذاته حيث قال سبحانه رب العالمين :

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ (الاسراء : ١١١)

وتصعد الفتاة إلى السماء فى رحاب الآيات النورانية الكريمة عن الحمد حيث تتدبر فى آية الحمد على نعمة الهداية حيث قال الله عز وجل :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ ﴾

إن هذه الآية الكريمة تؤثر فى فتاتنا تأثيرا غريبا .. تحس كأنها طائرة فى السماء .. ساجدة .. حامدة الله على هدايته .. تحس بكل كلمة تغمر وجدانها ، ويقشعر منها بدنها ، وتهز أعماقها وفؤادها ... تشعر بأن قلبها نطق ليقول :

حقا لولاك يا ربى ما كنا اهتدينا إليك
ولولاك يا ربى ما عرفنا الإيمان بك
ولولاك يا ربى ما سلكنا طريق حبك

آملين فى القرب منك طامعين فى رحمتك وعفوك ورضاك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين .

فحقا وصدقا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وإن هُدى الله لهو الهُدى .

وتسمو الآيات القرآنية بالفتاة إلى عالم نورانى حيث تلاحظ الفتاة إقتران الحمد بالتسبيح تارة ، وتفردهما تارة مما يشير الى أهمية حمد الله وشكره حيث أمر الله سبحانه بالحمد عند كل نعمة وعلى كل شىء .

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (ابراهيم : ٣٤)

﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان : ٢٠)

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (النحل : ٥٣)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ (الكهف : ١)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ (الانعام : ،)

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (النمل : ١٩)

وفى الحقيقة أن حمد الله وشكره من الصفات التى حرصت الفتاة منذ البداية أن تطبّع نفسها به إيمانا منها بأن الإنسان الذى يسير فى طريق الله ويتمتع وينعم الله عليه ويشهد بآثارها فى كل لحظة ، ويشعر بلمسات الحنان

الإلهى عليه فى كل جانب من جوانب حياته فإنه ولابد أن يشكر الله سبحانه وتعالى فى كل لحظة .

ومن هنا كان الحمد والشكر عند الفتاة لا يرتبط فقط بالصلاة وأوقات العبادة حيث أنه يعتبر من وسائل الذكر الذى يذكرها العبد بعد كل صلاة إذ يقوم الإنسان بحمد الله وشكره .

ولكن الأمر كان يختلف تماما لديها ، فإن هذه الفتاة تنعم بفضل الله العظيم عليها وتحس فى كل لحظة بلمسات الحنان الإلهى تحيطها ، وتشعر بآيات الحب الربانى تملأها ، وتلمس آثار الرحمة النورانية تغمرها فى كل وقت حيث يفتح الله عليها من باب رحمته الواسعة فينجيها ويحفظها ويحميها .

إن فيض الله عليها عظيم ، وعطائه لها كريم أكبر وأعظم من أى كلمة من الممكن أن تعبر عنه ، وهى تشعر بذلك كله وتجد نفسها عاجزة أمام هذا الفضل . . تحمد الله دائما وتشكره ولكنها تجد أن شكرها ضئيلا جدا أمام هذا الحب الإلهى . . والعطاء الربانى . . والفيض الرحمانى .

ومن هنا لم تقتنع فتاتنا بشكر الله فى أوقات العبادة فقط ، فلابد أن تطبّع نفسها بشكر الله فى كل وقت بل وفى كل لحظة فبدأت كل لحظة تمر عليها ، وكل حدث يجرى فى حياتها ، وكل عمل تقوم به ويوفقها الله فيه تحمده سبحانه وتشكره . . فهى عندما تنام وتستيقظ على خير من نومها تحمد الله على ذلك ، وعندما تنزل من بيتها وتستقل سيارتها متجهة إلى عملها تحمد الله على نزولها وخروجها من البيت بالسلامة ، وعند وصولها الى مقر عملها تحمد الله على وصولها بخير ، وعندما ينتهى يوم عملها تحمد الله على انتهائه بخير داعية أن تصل بالسلامة الى بيتها مرة أخرى وعندما تصل إلى بيتها تحمد الله . . وهكذا فى جميع مجريات أمورها الى أن ينتهى بها اليوم ، وكذلك فى كل عمل تقوم به تحمد الله وتشكره على توفيقه لها فى ذلك العمل ، وتستودع أهلها فى رعاية الله وعنايته وتحمده دائما على عنايته ورعايته سبحانه وتعالى بهم وأنهم جميعا بخير والحمد لله .

ولم تكتف الفتاة بشكر الله فى السراء ولكنها تشكره أيضا فى الضراء وترى أن الله تلطف معها وتحس بلمسات تلطفه لها فتحمده على هذا التلطف

الإلهى وحفظه لها من هلاك كان من الممكن أن يودى بحياتها لولا تلطف الله بها ورحمته عليها ولمسات حنانه لها .

إن هذه الفتاة تحس بلمسات الحنان الربانى عليها ، ونسمات التلطف الإلهى بها فى كل لحظة فنحمد الله وتشكره على هذا الفيض النورانى الكريم .

وبفضل الله وحده استطاعت هذه الفتاة بعد فترة أن تطبّع نفسها بالشكر لله ولقد كانت هناك دائما الدعوة المتكررة لها فى رؤ ياها بأن تحمد الله كثيرا وتشكره على فضله العظيم كما كان هناك دائما النداء الذى يدعوها بأن تقول دائما : لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين .

وحافظت على ذلك ، وما زالت غير راضية عن حمدها وشكرها لله العلى العظيم .

وقد هداها الله الى أنه يجب أن تشكره أيضا وتحمده بسلوكها الى الله . . . فليس الشكر فقط باللسان والقلب وإنما بسلوكها . . فإن فضل الله عليها عظيم وأقل شىء ممكن أن تقدمه شكرا لله هو محافظتها على عبادتها وحرصها على حمد الله وشكره فى كل لحظة ثم سلوكها الى الله الذى يعتبر نوع من أنواع الشكر لله فيجب أن ترتقى بسلوكها وترتفع فوق الأحداث ، وهذا ما صممت عليه أخيرا . . فهى لا تطمع فى شىء إلا فى رضا الله والقرب منه وما زال الطريق طويلا . . وما زالت هى تجاهد وتقوّم سلوكياتها حتى ترتقى أكثر وتقترب أكثر ولذلك فهى تطمع وتطلب من الله أن يربيها ويهذبها ويؤدبها ويعينها ويجعلها فى الصورة التى يرضى بها عنها .

وتحس الفتاة بأن الله يمن عليها ويفتح عليها من فيوضات عطائه حيث كلما تصقل فى ناحية يهديها الله الى باب آخر من أبواب طاعته وقربه ، وتسير فى طريق هذا الباب الذى فُتح أمامها بفضل الله وحده وتسلك سبيله الى أن تقوّم نفسها وتصقل وهكذا ، ولذلك فهى ترى أن كل ما تقدمه من عبادات لا يكفى لكى تشكر الله وتتمنى أن يهديها الله الى طريق الشكر والحمد الذى يرضاه منها إنه هو السميع العليم .

ج - تكبير الله

والذكر بلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

فى الواقع إن تكبير الله من الذكر الذى حرصت عليه الفتاة حرصا شديدا حيث تشعر عند تكبير الله بضعفها . . وبعبوديتها لله . . بحقيقتها كعابدة فقيرة إلى الله الغنى الحميد . . محتاجة إليه على الدوام . . لا غنى لها عنه أبدا فهو سبحانه الذى يهديها ويطعمها ويسقيها ويشفيها ويحميها وينجيها ويحفظها ويغفر لها ويرحمها ويحيطها بلمسات حنانه ويغمرها بآيات حبه ويفيض عليها من فيوضاته الكبرى ويفتح عليها من فتوحاته العظمى ، ويمن عليها من فضله العظيم ما يسعد قلبها ويشرح صدرها .

إنه هو الله . . الرحمن الرحيم . . العلى الكبير

أكبر من كل شىء ، وأعظم من كل شىء . . الله أكبر يقينا لا شك فيه . . الله أكبر علما لا جهل معه ، الله أكبر هداية لا يشوبها ضلال . . الله أكبر بإطلاق .

وترى الفتاة وتؤمن بأن كلمة « الله أكبر » أكبر من أى كلمات أخرى من الممكن أن تعبر عنها . . فهى كلمة واضحة فى معناها . . جلية فى ظاهرها وباطنها . . عميقة فى حقيقتها التى تكمن فى قدرة الله ، وعظمة الله .

وتتكاتف كلمة الله أكبر وترتبط بكلمة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ارتباطا وثيقا . . فإن الله أكبر كبيرا ولا حول ولا قوة الا به وحده العلى الكبير العظيم .

وذكر الفتاة بكلمة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يعطيها الإحساس بجوهر الإخلاص حيث التوجه والتوسل والإلتجاء الى الله صاحب الحول والقوة والقادر على كل شىء . . المالك لكل شىء . . المهيمن على كل شىء . . وصاحب الأمر كله وإليه يرجع الأمر بكامله خاضعا لإرادته ومشيئته هو وحده .

ان هذه الفتاة تؤمن إيمانا لا شك فيه بأن الذكر بلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إشارة وبرهانا على وحدانية الله وربوبيته هو وحده ،

وإثباتا وتأكيدا على قدرته العظيمة التى تكمن فى خلق هذا الكون العظيم . . القدرة الهائلة التى هى وراء وفوق هذا التدبير المحكم ، والخلق المنظم ، والتقدير المرتب لكل شىء فى الوجود .

إن الفتاة بذكرها لهذه الكلمة العظيمة تشعر بالإلتجاء المطلق إلى الله حيث لا حول ولا قوة لها إلا به وحده فهو القادر على كل شىء وبيده أمر كل شىء ، وهو سبحانه أكبر وأعظم من كل شىء . . فهذه الكلمة تصوير للكمال المطلق لله العلى الكبير رب العرش العظيم .

فهى تؤمن بأنه حقا وصدقا . . قلبا وقالبا . . ظاهرا وباطنا . . . اعتقادا ويقينا بأنه الله أكبر ولا حول ولا قوة لأى إنسان إلا بالله العلى العظيم .

وفى الحقيقة الفتاة ترى بأن تكبير الله والذكر الدائم بلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم - إن دل على شىء - فإنما يدل على الإسلام الكامل والإستسلام المتكامل لله عز وجل . . وهذا هو التدين ، وهذا هو الإسلام الذى مثلّه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خضوعه لله وتبتله ، وفى كفاحه فى سبيل الله ونضاله ، وفى شجاعته فى الحق وتمسكه به ، وفى استعلائه على الدنايا ، وانغماسه فى الطهر ، فى عمله ليلا ونهارا ليسير المجتمع أفرادا وجماعات على صراط الله المستقيم : عقيدة وخلقا وتشريعا .

عرفت الفتاة ذلك فأسلمت وجهها وقلبها وكيانها كله لله واستسلمت بكامل وجدانها وأعماقها لله خاضعة خاشعة له سبحانه صابرة راضية بكل شىء يأتيها من عنده . . حامدة شاكرة له على الدوام . . تحيا به وله ومن أجله واهبة حياتها ونفسها وطريقها له هو وحده آملة طامعة فى هدايته سبحانه لها .

(د) **الاستغفار** :

لقد كان الاستغفار أمرا هاما فى حياة هذه الفتاة واهتمت به إهتماما بالغا حيث خرجت من وقفاتها التأملية عند آيات الاستغفار بأن له فضائل عديدة وفوائد مثمرة منها :

- أنه سبيل من سبل النجاة :

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأنفال : ٣٣)

- وأنه سبب من أسباب الخير :

﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (نوح : ١٠ - ١٢)

- ثم أنه طريق إلى الدخول فى رحمة الله :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (النساء : ١١٠)

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ (آل عمران : ١٣٥)

- ثم إنه هادى ومرشد إلى طريق التوبة :

﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ (هود : ٩٠)

- ثم أنه داع إلى الإطمئنان :

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ

مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الزمر : ٥٣ - ٥٥)

- ثم هو جزء من عمل ومهام الملائكة :

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ (الشورى : ٥)

- وهو نور مضيء يقود إلى سبيل العناية الإلهية والفوز العظيم :

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ (غافر : ٧ - ٩)

إن معرفة الفتاة لفضائل وفوائد الاستغفار قادها الى الإهتمام به لأهميته وقيمته فى حياة الإنسان حلاث أحست بأة سبيل آخر من سبل القرب .

ومن هنا كان له الأثر الفعال فى حياتها حيث تعتبر أن الإستغفار هو نور يطهرها ومن الضرورى المحافظة عليه .

وتستكمل الفتاة رحلتها التأملية مع آيات الله الكريمة حيث يستوقفها أمر الله العظيم لرسوله الكريم عندما قال له :

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾
(محمد : ١٩)

توقفت الفتاة عند هذه الآية حيث أمر الله تعالى رسوله بأن يستغفر لذنبه بالرغم من أن الله عز وجل قد غفر لرسوله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهذا ـ إن دل على شيء ـ فإنما يدل على أهمية الإستغفار وأنه يعتبر من وسائل الذكر الضرورية التى يجب أن يقوم بها الانسان يوميا حتى يطهر نفسه وقلبه من الآثام والشرور .

فعرفت الفتاة أن الإستغفار عملية غسيل يومية يجب أن تقوم بها لتطهير نفسها وقلبها من أى علائق أو شوائب ، وشعرت بأنها عند الإستغفار قريبة من الله حيث أن إستغفارها يعد مظهر من مظاهر عبودتها لله حيث تشعر بالخوف من غضب الله وترجو رحمته ورضاه ومغفرته وعفوه .

فالاستغفار يمثل عندها لجوء وإستسلام كامل لله حيث الإعتراف بضعفها وذنبها وخطأها ، وهذا يعتبر مظهر من مظاهر العبودية لله الواحد الكامل القهار رب العالمين الرحمن الرحيم . وهنا قمة الكمال المطلق لله رب العرش العظيم مالك الملك ذو الجلال والإكرام .

وتستمر الفتاة فى مسيرة تدبرها وتأملاتها حتى تقف وتستغرق فى لحظات من التفكر والتأمل عند هذه الآية الكريمة :

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾
(التوبة : ٨٠)

وقفت الفتاة كثيرا عند هذه الآية وشدّها وأثار إنتباهها الرقم المحدد الذى ذكر فى هذه الآية الكريمة وهو رقم : (٧٠ مرة) وبدأت تتساءل فى نفسها :

لماذا ذكر رقم (٧٠) بالذات وبالتحديد ؟

وتأملت فى ذلك كثيرا قادها هذا التأمل إلى أنه لابد أن لذكر عدد ٧٠ فى الإستغفار أهميته وفائدته حيث أن الله بين لرسوله بأنه سبحانه لن يغفر لهم حتى وإن استغفر لهم الرسول سبعين مرة . . .

هل معنى ذلك أن رقم ٧٠ له تأثير وفائدة ومعنى باطنى معين فى حالة الإستغفار ؟

فى الحقيقة إحتارت الفتاة كثيرا حول هذا المعنى ، ولم تهتد الى معرفة المغزى الحقيقى لتحديد هذا الرقم .

واختلفت الفتاة مع الآراء التى تفسر رقم ٧٠ بأنه دليلا على التكثير ، فالفتاة ترى - والله أعلم - أن هذا الرقم ليس دليلا على الكثرة لأنه لو كان كذلك لكان من الممكن ذكر لفظ : مهما استغفرت لهم كدليل على التكثير ، وهناك آيات فى القرآن الكريم المقصود منها التكثير ولم تحدد رقم ٧٠ أو غيره كعلامة أو دليل على الكثرة كالدعوة التى دعا الله بها المؤمنون ذكر الله ذكرا كثيرا :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ (الأحزاب : ٤١)

هذه دعوة إلى ذكر الله والإكثار منه بدون تحديد رقم محدد .

أما الآية التى تبين رقم ٧٠ فليست علامة على التكثير وخصوصا أن رقم ٧٠ لا يعتبر رقما كبيرا فهناك مثلا رقم ١٠٠ أو ١٠٠٠ أو أكثر من ذلك .

إذن أحست الفتاة بأنه لابد أن هناك حكمة لا يعلمها إلا الله وحده من تحديد هذا الرقم فى حالة الإستغفار ، وأنه لابد أنه لهذا الرقم من فضل معين عند الإستغفار .

وبالرغم من عدم معرفة الفتاة لمعنى تحديد هذا الرقم ، إلا أن هذا لم يمنع من أن تأملها وتوقفها عند هذا الرقم أفادها حيث كان له التأثير الفعال فى سلوكها إذ اتخذت من هذا الرقم سبيلا للإستغفار بعدده فأصبحت حريصة على الإستغفار يوميا سبعين مرة .

وتستمر الفتاة فى طريقها حامدة شاكرة الله فضله العظيم ، مستغفرة ربها

على الدوام طامعة فى رحمته ورضاه . . إنه هو الغفار التواب الرحمن الرحيم .

لقد كانت هذه هى الفروع النورانية لشجرة الحب النورانية التى تهتم بها الفتاة إهتماما بالغا وترعاها رعاية كبيرة وخاصة حيث ذكر الله والتسبيح بحمده فأثمرت بفضل الله وأمره ثمارا طيبة من الأمان والحنان والإطمئنان .

وفى الحقيقة إن إهتمام الفتاة بذكر الله ينبع من حبها العظيم له سبحانه وطاعتها له حيث لاحظت وأدركت الفتاة حب الله لعبده الذاكر ورضاه عنه ، وذلك واضحا فى الآيات القرآنية فلقد حث الله سبحانه وتعالى على الذكر :

قال الله تعالى :

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) ﴾ (الأعراف : ٢٠٥)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) ﴾ (الاحزاب : ٤١ - ٤٢)

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾ (آل عمران : ١٩٠ - ١٩١)

﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) ﴾ (الأحزاب : ٣٥)

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ (النساء : ١٠٣)

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (العنكبوت : ٤٥)

وتأملت الفتاة كثيرا فى الآية القرآنية التى تقرر بأن الله يذكر من يذكره :

قال الله تعالى :

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (البقرة : ١٥٢)

كيف يكون هنا ذكر الله لعبده . . ؟

أدركت فتاتنا بان ذكر الله لعبده الذى يذكره هو كشف الحجب عنه ، ويفيض الله عليه برحمته وإحسانه ، ويحبه ، ويرفع ذكره فى الملأ الأعلى ، وهذا كله - إن دل على شىء - فإنما يدل على أهمية الذكر ومكانته عند الله .

فأيقنت الفتاة بأن الذكر سبيل من سبل القرب من الله .

ولقد عرفت الفتاة أيضا بأن للذكر فضائل عديدة وآثار نفسية رائعة ، وثمرات جليلة منها :

١ - أنه يعين الإنسان على مجابهة الصعاب .

٢ - يساعده على التغلب على العقبات .

٣ - يجعله قادرا على طرح رياء النفس جانبا .

٤ - يعمل على تخلية القلب من الآفات .

٥ - يصرف عن النفس الخواطر المذمومة .

٦ - يدفع عن الإنسان غواية الشيطان .

٧ - يزيل عنه الحقد والغل والحسد والإغترار .

٨ - ينقى القلب ويجعله قابلا لإستقبال المعانى الإلهية والأسرار الربانية وينزل على النفس الأمن والسكينة والطمأنينة .

٩ - كما أن الذكر باب إلى الإستقامة والإعتدال إذ يجنب الإنسان الإنحراف وإرتكاب المعاصى لأن فيه حلاوة الإتصال .

وفتاتنا - بطلة هذه القصة - ترى أنه لا يقبل على الذكر إلا الإنسان

المؤمن بالله إيمانا يقينيا والمحب له سبحانه وتعالى حبا خالصا فيكون الذكر هنا شجرة حب حيث يذكر العبد المؤمن الله ويسبّح بحمده ويقدسه ويثنى عليه بحب فيفيض الله عليه بآيات حبه ، وإشراقات نوره ، وآثار رحمته ، وأبواب رضاه .

ومن هنا كان الذكر عند هذه الفتاة شجرة حب نورانية لا تثمر إلا النور والحب والقرب والجمال ، والسكينة النفسية ، والطمأنينة القلبية . . والسعادة الروحية الغامرة .

وكلما إهتمت الفتاة بهذه الشجرة واعتنت بفروعها النورانية حيث ذكر الله والتسبيح بحمده وتكبيره واستغفاره بحب وإيمان قلبى صادق أثمرت هذه الشجرة ثمارا نورانية فضلا من عند الله حيث لمسات الحنان الإلهى . . وفيوضات العطاء الربانى .

ففى ذات مرة بينما كانت الفتاة تسبّح الله وتذكره وتستغفره رأت هذه المشاهدات هبة من عند الله أثناء تسبيحها :

- فعندما كانت تسبّح « باسم لا إله إلا الله وحده لا شريك له » رأت مجموعة من الطيور والملائكة تسير وتسبّح معها .

- وعندما كانت تسبّح فى تلك الليلة أيضا باسم « لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين » رأت مجموعة من الملائكة تسير معها كما رأت مجموعة من المصاحف مفتوحة على الهواء دون أن يمسكها أحد وتسير معها أيضا .

- وعندما كانت تستغفر الله بكلمة سيدنا يونس عليه السلام :
« لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين »

رأت أن إثنان من الحوت ولونهما أبيض . . الأول على يمينها والآخر على يسارها ويسيران معها بطريقة عمودية قائمة ويسبحان باسم لا إله إلا الله .

كانت هذه هى الرؤى التى رأتها الفتاة فى ليلة واحدة أثناء تسبيحها وذكرها لله فى تلك الليلة وحمدت الله على ذلك كثيرا وسعدت بهذه المشاهدات الجميلة سعادة غامرة .

وكانت الفتاة ولا زالت تميل الى التأمل والتفكر والتدبر والتبصر فى آيات الله فى نفسها وفى الوجود كله حيث تتجلى عظمة الله وقدرة الله وفيض الله الذى لا ينفد أبدا .

وفجأة وفى يوم من الأيام رأت الفتاة رؤ ية غريبة أوقفتها فى لحظات من التأمل والتفكر حيث أرشدتها الى معرفة هامة لم تكن تعرفها من قبل إذ افتتحت الرؤ ية باسم الله ونور الله والمنظر العظيم الذى سبق وأن وصفناه ثم رأت الفتاة آية قرآنية معينة مكتوبة أمامها وهذه الآية هى :

﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ (البقرة : ٢٣٨)

ثم جاءها خاطرا حيث سمعت صوتا يقول لها بأن الصلاة الوسطى هى ذكر الله .

تأملت وتعمقت الفتاة كثيرا فى هذه الرؤ ية الغريبة التى تقرر بأن الصلاة الوسطى هى ذكر الله وليست صلاة العصر كما يعتقد البعض .

وبدأت تستعيد الفتاة ذاكرتها حول الآيات القرآنية عن الذكر وبدأت تربطها بهذه الرؤ ية التى خرجت الفتاة منها بنتيجة هامة وحيوية جدا فى حياتها وهى أن الصلاة الوسطى هى ذكر الله حقا والله أعلم .

ولنقف مع الفتاة فى وقفتها التأملية حول هذه الآيات القرآنية وعند النتيجة التى خرجت منها بعد تأملها وتفكرها فى آيات الله عن الذكر ودعوته سبحانه لعباده للإهتمام بالذكر :

قال الله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ (الاحزاب : ٤١)

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد : ٢٨)

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ﴾
(العنكبوت : ٤٥)

كما تذكرت الفتاة وتدبرت فى الآيات القرآنية التى تشير الى أمر الله بالتسبيح فى جميع الأوقات :

فى العشى والإبكار :

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ ﴾

(غافر : ٥٥)

وفى المساء والصباح :

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

(الروم : ١٧)

وبكرة وأصيلا :

﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾

(الفتح : ٩)

وقبل طلوع الشمس وقت الغروب ، ومن الليل وأدبار السجود :

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾

(ق : ٣٩ - ٤٠)

وعند القيام ومن الليل ، وادبار النجوم :

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾

(الطور : ٤٨ - ٤٩)

ثم تفكرت الفتاة فى هذه الآية القرآنية أيضا :

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ

(النساء : ١٠٣)

وربطت الفتاة بين كل هذه الآيات القرآنية وبين الآية التى تقول :

﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ (البقرة : ٢٣٨)

وتدبرت فى قول الخاطر لها بأن الصلاة الوسطى هى ذكر الله .

خرجت الفتاة بنتيجة هامة وهى أن المقصود بالصلاة الوسطى حقا هو ذكر الله حيث أمر الله ودعوته تعالى لعباده بالذكر الدائم فى أى حالة . . قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، وفى جميع الأوقات . . فى العشى والابكار ، والمساء والصباح ، وقبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، وعند القيام وفى الليل .

فهناك دعوة إلهية وأمر ربانى بالذكر فى كل وقت وعلى أى حال . . من هذا المنطلق وقفت الفتاة واستغرقت فى لحظات من التبصر حيث قول الله تعالى :

﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾

أى أن هنا أمر بالمحافظة على جميع الصلوات بما فيها صلاة العصر ثم المحافظة على الصلاة الوسطى ، والصلاة الوسطى هى الصلاة التى تتوسط الصلوات جميعها وبناءا على ما ذكر فى الآيات القرآنية من أمر الله بالذكر فى كل وقت ، وفى كل حالة . . إذن فإن الذكر هو الصلاة التى تتوسط جميع الصلوات ، وبالإشارة الى قول الخاطر للفتاة وإرشاده لها بأن الصلاة الوسطى هى ذكر الله . . عرفت الفتاة أن هذه الرؤ ية التى رأتها كانت إشارة وتعليم لها من عند الله بأن الذكر صلاة وسطى وبذلك تكون الصلاة الوسطى هى الذكر الذى يتوسط الصلوات المفروضة إذ يجب على العبد أن يذكر الله ويسبّح بحمد ربه فى الأوقات التى تتوسط الصلاة أى ما بين الصبح والظهر ، وما بين الظهر والعصر ، وما بين العصر والمغرب ، وما بين المغرب والعشاء ، وما بين العشاء وقيام الليل إستعدادا لصلاة الفجر وهكذا .

وتأكدت الفتاة تماما بأنه إذا حافظ العبد على ذلك سيجد أنه بذكره لله بين الصلوات قد أطاع الله فى أمره بالتسبيح فى جميع الأوقات وعلى أى حالة .

وبذلك عرفت الفتاة وأيقنت بأن الرؤ ية التى رأتها حق وهذا فضل الله

عليها حيث يعلمّها ويرشدها ويشدّها إلى طريقه إذ أدركت بأن الصلاة الوسطى ذكر وليست صلاة العصر كما يقول ويعتقد البعض لأن الله عز وجل أمر بالمحافظة على الصلوات جميعها وفى نفس الآية التى أمر فيها بالمحافظة على الصلاة الوسطى .

وتعتقد الفتاة وتؤمن بأن أمر الله بالمحافظة أولا بالصلوات المقصود منها جميع الصلوات المفروضة بما فيها العصر ثم المحافظة على الصلاة الوسطى أى الذكر الذى يجب أن يتوسط جميع الصلوات طاعة لأمر الله بالتسبيح فى كل وقت ، وهنا استجابة لدعوة ربانية أخرى حيث يقول الله تعالى :

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾

(النساء : ١٠٣)

أى بعد الإنتهاء من الصلاة يجب ذكر الله فى كل وقت وعلى أى حالة .

وتحس الفتاة بلمسات الحنان الإلهى تملأها وتحيطها فى كل لحظة ، وفى كل ذرة فى كيانها حيث تعرف وتؤمن بأن الله لم تقف لمسات حنانة عند حد هدايتها وإرشادها فقط الى أن الصلاة الوسطى هى ذكر . . لقد كان هناك إحساس آخر خفى يملأها ويشدها الى التعمق فى الآية أكثر لتغوص فى بحارها وكنوزها فتصل بفضل الله وأمره إلى إرشاد آخر حيث تحس بشىء ما فى نفسها يرشدها ويشدّها الى هذه الكلمات وكأنه يقول لها :

أنه إذا آمنت بأن الصلاة الوسطى هى ذكر الله فان الذكر أيضا صلاة ، وصلاة هامة جدا لا تقل أهمية ومكانة عن الصلاة المفروضة بل أكبر مصداقا لقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ﴾

(العنكبوت : ٤٥)

وعرفت الفتاة بأنه إذا كانت الصلاة المفروضة هى ذكر لله ، فإن الذكر أيضا صلاة تتوسط الصلوات المفروضة ولذلك فهو يعتبر الصلاة الوسطى .

حمدت الفتاة الله كثيرا على هذه الرؤية التى أرشدتها الى معرفة تعتبر من

أهم المعارف فى حياتها مما قادها إلى طريق الله الذى تنعم به حيث تحرص على ذكر الله حرصا شديدا .

وفى الحقيقة أن الفتاة تذوب ذوبا مع ذكر الله . . فالذكر يؤثر فى كيانها تأثيرا غريبا كأنه سحر وبلسم شافى ينزل على صدرها وقلبها وفؤادها بالأمن والسكينة والحنان والإنشراح والفرحة والبهجة ، وتحس مع ذكر الله كأنها طائر فى السماء يطير هنا وهناك بحرية وسعادة دون قيد فرحا مغردا بذكر الله والتسبيح بحمده والثناء عليه وتقديسه . . سبحان الله . . . لا إله إلا هو . . الملك القدوس . . الرحمن الرحيم . . رب العرش العظيم .

وتنعم الفتاة بلمسات الحنان الإلهى ، وآيات الحب الربانى فى كل لحظة حيث رأت فى يوم آخر هذه الرؤية التى توضح لها شيئا هاما إذ افتتحت الرؤية باسم الله ونور الله والمنظر العظيم الذى سبق وأن وصفناه ثم رأت[1] :

ان أمامها طريق أبيض جميل وطويل وفى نهاية هذا الطريق كمية كبيرة من الألماس البراق اللامع الذى لا مثيل له فى الدنيا .
ورأت نفسها واقفة على بداية الطريق ثم جاءها ان هذا الطريق هو طريق الذكر .
ثم رأت منظرا آخر وكأنه بُشرى لها :
بأنها سارت فى هذا الطريق إلى نهايته ثم بدأت تغرف من هذا الألماس .

كانت هذه هى الرؤية التى رأتها الفتاة فى أحد الأيام وتأملتها فعرفت بأهمية الذكر فى حياتها وحياة كل إنسان مؤمن يريد أن يقترب من الله حيث عرفتها الرؤية بمكانتها الحالية بأنها ما زالت فى البداية ثم البشرى والله أعلم بأنه لو سارت فى هذا الطريق سيكون ثمار ذلك هو الفوز من هذا الألماس الذى لا مثيل له .

حمدت الفتاة الله كثيرا على عطائه وإرشاده لها ، وسارت فى طريقها محافظة على ذكرها لله داعية ربها بأن يعينها على الطريق حتى تصل الى المرحلة التى تذكر الله فى كل لحظة وألا تغفل عنه أبدا إنه هو السميع العليم .

(١) الفصل الثانى ص ٩٥

وكما عرفت الفتاة وأيقنت بأن الذكر هو سبيل من سبل القرب إلى الله أدركت أيضا بأنه نور يضىء للإنسان الطريق ويقوده الى الله .

خامسا : الدعـاء :

وتشعر فتاتنا بالدعاء كأنه جناح نورانى يترك الأرض ويخترق طبقات السماء وينفذ مباشرة الى الله دون واسطة وهى تحس بأن هذا الجناح النورانى قوى فى قوته ، شديد فى سرعته أسرع من أى شىء ممكن أن يتخيله إنسان على وجه الأرض .

وهذه الفتاة ترى أن من فضل الله العظيم على عباده ولمسات حنانه الكريمة لهم أن جعل الدعاء له مباشرة فلا واسطة بين العبد وربه ، ولا طريق إليه سبحانه إلا طريق القلب السليم المخلص الذى يملأه الإيمان بالله والحب لله .

وفى الحقيقة أن هذه الفتاة تستحى من الله وتخجل منه ، فقليلا ما تدعو لنفسها . . فهى تدعو للإسلام والمسلمين إيماناً منها بأنه واجب على كل مسلم ومسلمة أن يدعو لدينه ، وتدعو لأهلها وغيرهم ولكن عندما تأتى اللحظة التى تدعو فيها لنفسها تجد الكلمات تتلعثم وتعجز عن الدعاء لنفسها . . . فهى تستحى من الله استحياء شديدا وتخجل منه خجلا كبيرا إلى درجة أنها تتمنى فى هذه اللحظة لو أن الأرض تنشق وتخفيها خجلا من الله ولا تجد ملجئا لها إلا أن تغوص فى أحضان السجود لله حامدة له فضله العظيم .

نعم إن هذه الفتاة تحس بفضل الله العظيم عليها فبماذا تدعو لنفسها بعد هذا ؟

أيوجد هناك شىء تستطيع أن تدعوه لنفسها بعد فيض الله لها .

إنها تستحى وتخجل من أن تطلب لنفسها شيئا بعد هذا الفضل الذى منّه الله عليها .. فأى متاع فى الدنيا ، وأى آمال لها فى الحياة أصبحت ضئيلة جدا . . صغيرة جدا . . بل تكاد تكون معدومة أمام هذا الفضل العظيم .

لقد أعطاها الله من فضله ، ووهبها من لمسات حنانه ، وأفاض عليها من فيوضاته العظمى ما يجعلها تعجز عن طلب أى شىء لنفسها . . فلقد

منحها الله أكثر مما كانت تطلب ، ولقد عوّضها خيرا أعظم مما كانت تتمنى ، فانها لا تطلب شيء فى هذه الدنيا سوى القرب من الله عز وجل آملة فى الفوز بلقائه طامعة فى رحمته ورضاه .

إن فضل الله عليها أعظم من أى كلمة دعاء ، وأكبر من أى أمنية تتمناها هذه الفتاة ، ولكن عجزها عن الدعاء لنفسها سبّب لها مشكلة نفسية لأن الله عز وجل حث العباد لكى يدعوه . . فكيف هى لا تدعى . . إنها آلت على نفسها أن تسير فى طريق الله ويجب أن تطيع كل أمر دعا الله إليه .

ومن هنا أصبحت توجه دعواتها لنفسها بما ينفع طريقها الذى وهبته لله حامدة له فضله العظيم . . داعية أن يربيها ويهذبها ويقومّها ويؤدبها ويجعلها فى الصورة التى يرضى بها عنه ، وأن يهديها إلى طريقه ، ويفتح عليها أبواب طاعته وقربه ورضاه . وإن حدث وتمنت الفتاة وطلبت من الله تحقيق أمنية لها فى الدنيا وقليلا ما يحدث فإنها تدعوه وتطلب منه سبحانه ذلك وهى فى خجل شديد منه عز وجل .

ولقد كانت هناك دائما الدعوة المتكررة لها فى رؤ ياها بأن تستعين بالله وحده ، وتلجأ إلى الله وحده ، وتسأل الله وحده .

وفى ذات مرة رأت الفتاة هذه الرؤ ية التى افتتحت باسم الله ونور الله والمنظر العظيم الذى سبق وأن وصفناه[1] حيث جاءتها مجموعة من الملائكة وقالوا لها .

فى كل وقت ، وفى كل لحظة
استعينى بالله سبحانه وتعالى ، واسألى الله وحده
وقولى هذا الدعاء :
الله . . . الله . . . . الله
لا إله إلا الله محمد رسول الله
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
اللهم إنى أستغيث بك أنت وحدك لا إله إلا أنت
اللهم إنى أستعين بك أنت وحدك لا إله إلا أنت

(١) الفصل الثانى : ص ٥٩

اللهم إنى ألجأ إليك أنت وحدك لا إله إلا أنت
سبحانك ربى ورب العالمين لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك
لا إله إلا الله وحده لا شريك له
الله . . . الله . . . الله

واحمدى الله كثيرا ، واركعى لله كثيرا ،
واسجدى لله كثيرا . . فمهما حمدت الله
ومهما ركعت لله ، ومهما سجدت لله
فلن يكفى ذلك حمدا وشكرا لله على
فضله العظيم عليك والحمد لله على ذلك كثيرا .

ونتركك الآن فى رعاية الله ولا تنسى بأن تسألى الله
دائما ، وتحمدى الله دائما ، وتذكرى الله دائما . .
فهذه عملية غسيل يومية لقلبك وشوائبه .

ونتركك الآن فى رعاية الله . . . والحمد لله على ذلك كثيرا .

هذه هى الرؤية التى رأتها الفتاة ذات مرة وهى كما نرى دعوة للإستعانة بالله وحده ، واللجوء إلى الله وحده .

وفى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤية الغريبة التى افتتحت ايضا باسم الله ونور الله والمنظر العظيم السابق وصفه حيث جاءها ان تقول ثلاث كلمات بعد كل صلاة وبعد كل دعاء وهم ، الله ، يارب ، الحمد لله .
ولهم معانى هى :

الله	معناه الذكر
يارب	معناه الدعاء
الحمد لله	معناه الشكر لله .

وبالرغم من فضل الله العظيم على هذه الفتاة وإنعامه عليها برؤية الملائكة وتنزيله إياهم لها إلا أنها لم تسأل فى أى مرة كانت ترى فيها الملائكة عن شيء يراودها فى أى أمر من أمور حياتها إيمانا منها بأن الملائكة لا تعلم شيئا إلا بأمر الله ولا يحضرون إليها إلا بإذن الله وأمره ، ولا يستطيعون أن يخبروها بشيء إلا بأمر الله وعلم الله ومشيئته . . فكيف لهم أن يجيبون على أى تساؤل لها .

والفتاة تؤمن إيمانا يقينيا لا شك فيه بأن الملائكة وهم جنود الله لا يتحركون إلا بأمر ، ولا يصدرون إلا بأمر ، ولا ينزلون إلى الأرض إلا بأمر . . . .

قال الله تعالى :

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ (سورة مريم : ٦٤)

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ (سورة النجم : ٢٦)

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (سورة الانفال : ١٢)

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ (النحل : ٢)

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القدر : ٤)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي

﴿ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (فصلت : ٣٠ - ٣٢)

توقن الفتاة تماما بأن الملائكة لا تعرف شيئا إلا بعلم من الله ، ولا تقوم بشيء إلا بأمر من الله ، ولا تنزل إلى الأرض إلا بمشيئة الله وإذنه وأمره ، ولا يستطيع عبد من العباد أن يرى الملائكة إلا بأمر الله وإرادته وإذنه سبحانه وتعالى .

ولذلك فالفتاة لا تسأل أى ملك من الملائكة الذين تراهم أى شيء وانما تستعين بالله وحده ، وتلجأ إليه وحده ، وتسأله هو وحده لا إله إلا هو مالك الملك ذو الجلال والإكرام رب العرش العظيم .

وتتعجب الفتاة كثيرا عندما ترى وتسمع عن أن هناك فئة من الناس تعتقد وتؤيد بأن التوسل بمقام الموتى عند الله جائز (مثل التوسل بالأنبياء وأولياء الله الصالحين) مثال ذلك بأن يتوسل أحد إلى الله تعالى فيقول له :

- اللهم بحق حبك لخليلك ابراهيم وحق حبه لك ....
- اللهم بحق حبك لرسولك محمد وحق حبه لك ......

عندما تسمع الفتاة بذلك . . تحزن كثيرا ويتمزق قلبها ألما وتختلف مع كل رأى يجيز الدعاء إلى الله بالتوسل بالأنبياء وبمقامهم عند الله إختلافا كليا وقاطعا . وللفتاة هنا وقفة تأملية نريد أن نسجلها :

فهى تؤمن بأن الدعاء من خصائص الالوهية ، والذين
يدعون مع الله احدا يشركون فى عبادته ....
والله أغنى الشركاء عن الشرك .
ولذلك فيجب أن يكون الدعاء من العبد مباشرة إلى
الله عز وجل لأن الرأى الذى يجيز الدعاء إلى الله
بالتوسل بحق حب الله للأنبياء وحبهم له تعالى
معنى ذلك أنه ربط الإستجابة إلى الدعاء بهذا الحب .

فهى ترى بأننا عندما ندعو الله العلى الكبير جل جلاله . .
انما ندعوه بقدرته العظيمة . . بقدسيته . . برحمته . .
بعدله . . بفضله . . بكرمه . . بلطفه . . بأسمائه الحسنى
بملكه العظيم . . فهو صاحب الأمر ومالك الملك
ندعو له ونسبّح بحمده هو وحده مباشرة دون ربط الدعاء
بأحد من المقربين إليه سبحانه وتعالى .

يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾
(البقرة : ١٨٦)

فهذه رحمة من الله عز وجل شاملة ونعمة واسعة ، وفيض عظيم ، ولطف كريم بأن جعل العلاقة بينه سبحانه وتعالى وبين عباده علاقة حب وود . .
ومن آثار هذا الحب ولمسات هذا الود والحنان الدعاء له عز وجل مباشرة ودون ربط هذا الدعاء بحبه تعالى لأنبيائه أو أوليائه الصالحين .

كما أنها ترى وتوقن بأن الدعاء إلى الله لا يحتاج ابدا إلى التوسل بمقام الأنبياء والصالحين فإن الله السميع العليم الكريم العظيم قريب جدا من عباده أقرب من حبل الوريد .

ان الدعاء إلى الله يتطلب فقط الإخلاص فى القول والعمل والصدق فى النية والعزيمة . . وفى حاجة دائمة إلى القلب السليم

هذه هى وقفتها التأملية من الذين يؤمنون ويعتقدون ويؤيدون التوسل بأحد مثل التوسل بالأنبياء أو أولياء الله الصالحين فى دعائهم إلى الله تعالى .

وكما أن الفتاة تحس بأن الدعاء هو جناح نورانى يصدر من القلب إلى

الله مباشرة دون واسطة فهى ترى ايضا أنه فى جوهره وحقيقته سر بين العبد وربه ولا يعلم السر إلا الله :

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (ابراهيم : ٣٨)

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ ﴾
(الانعام : ٣)

﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾
(الملك : ١٣)

فهو سبحانه وحده العليم بما فى نفس كل إنسان ، وبما يتمناه كل فرد . . . . . فهو العليم بذات الصدور .

كما تعتقد فتاتنا بأن الدعاء إلى الله يمثل الإيمان الشامل والعبودية المطلقة حيث يكمن فى حقيقة الدعاء معنى باطنى هام وهو إعتراف وإيمان العبد إيمانا مطلقا بأن الله واحد . . لا إله إلا هو لا شريك له . . هو المالك لكل شىء . . . . والمهيمن على كل شىء . . . . والقادر على كل شىء ، وأن العبد يدعوه إيمانا بأنه سبحانه الواحد القهار القادر وحده على الإستجابة إلى دعائه وتحقيق طلبه . ولقد وعد الله عبده بالإستجابة إليه وبيّن له أنه قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه وأنه أقرب إليه من حبل الوريد .

فالفتاة ترى بأنه سجود الإنسان لله يسبّح بحمده ويدعوه لاجئا إليه وحده يعنى إيمان مطلق من العبد بأن الله واحد . . لا إله إلا هو ، مالك الملك ، وهو وحده القادر على كل شىء ، وان بيده الأمر كله ، وإليه وحده ترجع الأمور كلها ، فهو وحده صاحب الأمر . . ولذلك فهو يدعوه ويلجأ إليه وحده .

وهنا تتجلى قمة من قمم الإيمان بالله ، وتتبلور قمة من قمم العبودية لله الواحد القهار رب العالمين .

وبالرغم من إحساس هذه الفتاة بالحياء الشديد والخجل من الله ، إلا أنها تدعوه سبحانه لإيمانها ومعرفتها بأن الدعاء قمة من قمم الإيمان بالله ، ولإحساسها بأنه قمة من قمم العبودية لله جّل جلاله . . . مستعينة به هو وحده . . . لاجئة إليه هو وحده . . طامعة فى رحمته ورضاه وعفوه آملة فى القرب منه .

ولذلك كله فهى تشعر حقا بأن الدعاء جناح نورانى يصدر من القلب حاملا دعواتها وآمالها إلى الله مباشرة دون واسطة فيفيض الله على هذا القلب بلمسات حنانه حيث الأمان والإطمئنان والسلام الروحى العميق .

سادسا : قراءة القرآن الكريم

تشعر الفتاة عند تلاوتها للقرآن الكريم بأنها فى حفلة نورانية مشهودة . . . .
فإن قراءة القرآن الكريم من العبادات الهامة التى تحرص عليها حرصا شديدا وتهتم بها إهتماماً كبيرا وتحظى بنوع خاص من رعايتها وعنايتها حيث تهيىء نفسها لها فتحس بأن الله فى كيانها كله ، مشغولة به وحده كأنها فى عالم نورانى لا ترى فيه إلا النور وتشعر بالصفاء يغمر وجدانها وأعماقها .

إن إحساسها بقراءة القرآن الكريم له مذاق خاص . . مذاق غريب من الصعب جدا وصفه . . انها تحب كل عبادة تقوم بها ، ولكن فى الحقيقة يتولد عندها شعور آخر عند تلاوتها للقرآن الكريم التى تحرص الفتاة على أدائه وقت الفجر . . فإن قرآن الفجر كان مشهودا حيث تحس بالأرض تحملها برفق ، والسماء تظلها بحب ، ورحمة الله ولمسات حنانه تغطيها برضى وسلام .

إن هذا الإحساس الجميل الذى يتحرك به وجدانها ، ويتفاعل به كيانها كله ليس إلا نبضات من حب الفتاة لله عز وجل . . حب أنعم به الله عليها اذ يملأ شعورها ويغمر كيانها كله حيث تقرأ كلمات الله بحب عظيم تنعم به فيثمر هذا الحب شوقا جارفا إلى الله ، وحنينا متلهفا للقاء الله .

إن هذا الحب النابض الذى تحيا به وله يشعرها بأن القرآن الكريم هو

هدية الله إليها وإلى كل العباد ، وأنه السعادة والرحمة والشفاء ، والحب الأصيل والوفاء الفريد والعطاء الغزير ، وأنه المصباح المنير والأمان الكبير . . إنه نبع الحنان الفياض .

إنها تؤمن إيمانا يقينا بأنه الحياة الحقيقية إلى الذين ينشدون الهدوء والأمن النفسى ، ويطلبون الطمأنينة القلبية ، ويبحثون عن السعادة الروحية الكاملة .

ومن هنا أصبح كتاب الله هو أنيسها فى وحدتها ، وجليسها فى غربتها ، ونورها فى طريقها ، ومرشدها فى رحلتها ، وحكمتها فى حياتها ، وإطمئنانها فى حيرتها ، وأمنها عند ضياعها ، وغذاءها الروحى ، وشفاءها البدنى ، وسعادتها فى دنياها وآخرتها ، وهو ماضيها وحاضرها ومستقبلها وثروتها فى الحياة .

أبعد هذا كله تشعر بالقلق . . . . ؟
أبعد هذا كله تحس بالضياع . . . ؟

كلا ثم كلا . . . . إنها فى ظلال القرآن الكريم تحس بالحب . . والحنان والأمان . . والإطمئنان . . والأنس . . والعطف . . والسكينة . . والرضا . . والأمل . . والسعادة .

إنها تشعر بالذوبان مع كلمات الله وكأنها سابحة فى بحر من النور الإلهى حيث الفيض الربانى . . والفتح النورانى .

نعم . . إنه لفيض ربانى عظيم ، وفتح نورانى كريم . . . . أفاض وأنعم به الله عليها حيث كانت كثيرا عندما تبدأ فى تلاوة القرآن الكريم ترى من فيض ربها العظيم اذ تشاهد الملك الكريم الذى دائما تراه فى رؤ ياها والملائكة والرسول على الصلاة والسلام والشمس والقمر والسماء والأرض والطيور وبعض الكائنات الأخرى التى تراها لأول مرة فى حياتها يستمعون ويشهدون تلاوتها للقرآن الكريم بأمر الله وفضله .

هل من الممكن تصوّر شعورها بعد هذا المشهد العظيم . . ؟
هل من الممكن تصوّر إحساسها بعد هذا المنظر الكريم . . ؟

بالطبع . . من الصعب جدا وصف بل تصوّر ماذا تكون المشاعر فى نفسها وكيف تتفاعل وتمتزج بكيانها كله . .

إنها مشاعر فياضة . . ممتزجة بقمة الحب لله عز وجل حيث يصوّره تفاعلات جسدها به أروع تصوير . . وينطق به قلبها ، ويهمس به وجدانها ، ويعبر عنه كيانها كله أعظم تعبير .

حقا إن تلاوة القرآن الكريم عندها حفلة نورانية مشهودة تنعم بها وتأنس بها ، وتسمو بها إلى عالم آخر حيث تردد الكلمات النورانية الربانية بقلبها ووجدانها فيشرق الله على قلبها بأروع إشراقات النور . . وأعظم آيات الحب . . وأجمل لمسات الحنان حيث ترى بفضل الله أن الملك الكريم الذى دائما تراه فى رؤ ياها ، والملائكة ، والرسول عليه الصلاة والسلام ، وبعض الكائنات والطيور يشهدون تلاوتها للقرآن الكريم ثم يفيض الله عليها بأكثر من ذلك حيث تسمع تسبيحهم بكلمة : لاإله إلا الله طوال تلاوتها لآيات الله الكريمة .

أى فضل بعد هذا . . . ؟
أى حب بعد هذا . . . ؟

ألم تكن تلاوة القرآن الكريم هنا حقا حفلة نورانية مشهودة كان النور والحب والجمال والحنان هم أبطالها ثم تثمر هذه الحفلة النورانية الإطمئنان والأنس حيث التنعم بلحظات تعتبرها الفتاة من أجمل وأحلى وأروع لحظات عمرها .

ويستمر فيض الله على هذه الفتاة حيث ترى الكثير والعظيم من فضل ربها مما قادها وشدّها إلى المزيد من وقفات التأمل والتفكر فى عطاء الله لها أثمر هذا التأمل حمد الفتاة لله وشكرها له عز وجل على هذا العطاء الفياض والنور الوهاب حيث حدث لها ذات مرة أن وقفت وقفة تأمل عند حديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام كانت قد قرأته فتاتنا فى إحدى الصحف :

* « ونزل القرآن على سبعة أحرف »

ولقد احتارت الفتاة كثيرا حول هذا الحديث ومعناه حيث أنها لم تقرأ

من قبل عنه ، ولم تكن تفهم معنى السبعة أحرف وتمنّت فى نفسها وسرها بأن يهديها الله إلى معنى هذا الحديث ، وكان الله رحيما بها وعليما بما فى سرها فهداها إلى المعنى حيث رأت رؤ ية اذ جاءها خاطرا أفهمها ما يلى :

[إن كل شىء فى الوجود خلقه الله وأراد الله له أن يتحقق . .
فإنما يوجد بكلمة الأمر الالهى « كن فيكون »
ولقد كان القرآن الكريم كتاب الله العظيم الذى يخرج الناس من الظلمات إلى النور . . . وفيه هدى وموعظة للمتقين ، وفيه رحمة وشفاء للمؤمنين أراد الله عز وجل أن يكون وينزل إلى الوجود . . وكأى شىء يريد الله أن يحققه ويخلقه بكلمة الأمر الإلهى فنزل القرآن الكريم ايضا بالأمر الإلهى والمشيئة الربانية بكلمة « كن فيكون » .
واذا تأملنا فى كلمة الأمر الإلهى « كن فيكون » سنجدها مكوّنة من سبعة أحرف .
إذن فإن السبعة أحرف هى كلمة الأمر الإلهى « كن فيكون » .
ولقد صدق رسول الله عندما قال :
نزل القرآن على سبعة أحرف أى نزل القرآن بكلمة الأمر الإلهى والمشيئة الربانية وهى « كن فيكون » المكونة من سبعة أحرف .]

كانت هذه هى الرؤ ية التى رأتها الفتاة فى اللحظة التى تمنّت فى سرها بأن يهديها الله إلى معنى الحديث الذى قرأته .

وفى الحقيقة لقد كانت رؤ ية غريبة جدا وخصوصا أن هذه الفتاة قرأت بعد ذلك عن هذا الحديث وتفسير البعض واعتقادهم بأن السبعة أحرف هى سبعة لغات أو لهجات .

واختلفت معهم فى ذلك لأنه لو كان المقصود سبعة لغات أو لهجات لكان الرسول عليه الصلاة والسلام قال : نزل على سبعة لغات أو لهجات ، ومالت الفتاة إلى تصديق الخاطر الذى جاءها وعرفت أنه خاطر حق لأن القرآن الكريم نزل بلغة واحدة حيث قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (يوسف : ٢)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (طه : ١١٣)

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الزمر : ٢٨)

﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (فصلت : ٣)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (الشورى ٧)

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الزخرف : ٣)

تأملت الفتاة فى هذه الآيات الكريمة وعرفت وآمنت بأن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم قرآنا عربيا وليس بسبعة لغات أو لهجات كما يعتقد البعض ، وأيقنت الفتاة بأن السبعة أحرف المذكورة فى حديث الرسول عليه الصلاة والسلام إنما المقصود منها كلمة الأمر الإلهى « كن فيكون » المكونة من سبعة أحرف والتى بها يتحقق أى شىء يريده الله سبحانه وتعالى أن يكون مصداقا لقوله عز وجل :

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ (يس : ٨٢)

ونعود مرة أخرى إلى حفلة الفتاة النورانية حيث تلاحظ الفتاة أن معظم الرؤى التى تراها يمن الله عليها أثناء قراءتها للقرآن الكريم وهى تعتقد أن هذا يعتبر لمسة من لمسات الحنان الإلهى التى تحيط بها ، وآيات الحب الربانى التى تنعم بها وتستمر لمسات الحنان الإلهى ، وآيات الحب الربانى

حيث ينعم الله عز وجل عليها بالمزيد من إشراقات نوره وفيوضات عطائه ما يجعلها تستمتع وتستأنس بهذه الحفلة النورانية المشهودة فتسجد حامدة شاكرة الله على فضله العظيم وعطائه الكريم لها . . فهى تحس بالأنس يملأها والأمان والإطمئنان يغمرها ، ولا تشعر بالوحده أو الغربة مطلقا . ولنا هنا وقفة للحديث عن الأنس فى حياة الفتاة .

سابعا : **الأنس بالله** :

تشعر هذه الفتاة بالأنس بالله فى كل لحظة ، لا تحس بالوحدة أو الغربة . . بل تستأنس بالله ، بذكرها له سبحانه . . بعبادتها له عز وجل ، بتلاوتها للقرآن الكريم .

إنها فى كل وقت تشعر بالأنس يملأها ويغمر كيانها كله .

ويمن الله عليها من فيوضاته وآيات حبه ما يجعلها تشعر بالأنس والهيبة والخشوع بل تشدّها لمسات حنان الله لها وفتوحاته العظمى إلى الوحدة . . فهى تجد سعادتها فى خلوتها ، وهناءها فى وحدتها . . تناجى ربها . . تشكو همها إليه . . تشكره على نعمته . . تتغنى بالدعاء له والثناء عليه والتسبيح والتقديس له عز وجل ، وتشعر بأن كل ما فى الكون من مخلوقات نغمات مميزة تشترك معها فى التسبيح لله عز وجل فتحس بأن هناك ألفة ومودة بينها وبين الطبيعة وجميع المخلوقات الأخرى . . هناك صداقة بينها وبين الكون . . إنها تفهم لغة الكون . . والكون يفهم لغتها ، وهذه اللغة المشتركة بينهما هى التسبيح والشكر لله والإحساس بآثار حب الله فى الوجود كله .

إنها تشتاق إلى هذه الوحدة حيث تجلس بالساعات تعبد الله وتذكره ويفيض الله عليها من إشراقات نوره ويفتح عليها من مكاشفات الحقائق ما يجعلها تستأنس وتحس بالأنس كله .

وبالرغم من أن فتاتنا ـ بطلة هذه القصة ـ تجلس فى محرابها بمفردها إلا أنها تحس كأن معها الكثيرون ممن يأنسون وحدتها حيث تستأنس بحب الله ويفيض الله عليها بالإحساس يملأها ويغمرها بالأنس وعدم الشعور

بالوحدة أو القلق أو الغربة حيث يفيض الله عز وجل عليها من آيات حبه وآثار رحمته إذ يهبها وينعم عليها من الكائنات والمخلوقات من يؤنس وحدتها فتستأنس به .

وهذه الفتاة لا تشعر بالأنس فى أوقات العبادة فقط . . . فإن فضل الله عليها عظيما حيث أفاض الله عليها بالأنس أيضا وهى فى أوقات إنشغالها واهتمامها بأمور حياتها اليومية لأن الله فى قلبها وكيانها كله فأصبح الأنس بالله يحيط بها سواء فى وقت إنشغالها أو فى وقت العبادة .

وكما أنعم الله على هذه الفتاة بالرؤ ى العظيمة فى أوقات العبادة . . فلقد أنعم الله عليها أيضا بهذه الرؤ ى فى أوقات إنشغالها أثناء العمل وخلافه من أحداث الحياة اليومية مما يجعلها تحس بالأنس مع الله فى كل لحظة ، وفى كل وقت .

فإن أنسها بالله يحيطها من كل جانب ، وهى سعيدة وفرحة بهذه الحياة التى تستأنس فيها بالله وتعيش حياة مليئة بالحب والنور والحنان والأمان والأنس مع الله وبفضل الله وحده .

مما سبق ذكره عن العبادة فى حياة هذه الفتاة يتبين لنا شيئا هاما وهو أن هناك قانونا واحدا هو الذى يحكم عبادتها وهو حبها العظيم لله . . فهى تصلى له جل جلاله بحب ، وتركع وتسجد له بحب ، وتذكره وتسبّحه بحب ، وتدعوه وتشكره بحب ، وتصوم له بحب ، وتقرأ القرآن الكريم بحب حتى بكائها ودموعها التى تنسال كالسيل أثناء عبادتها هى دموع حب وخشوع ورهبة .

وإذا كانت الصلاة عند هذه الفتاة شعاع نورانى ، والصوم كهف نورانى ، والزكاة والصدقة بنك نورانى ، والذكر شجرة حب نورانية ، والدعاء جناح نورانى ، وتلاوة القرآن الكريم حفلة نورانية مشهودة . . إذن فالعبادة حقا عندها رحلة حب نورانية مشرقة إذ تعبد الفتاة الله عز وجل بحب عظيم له سبحانه يملأها ويغمرها وتنبض به كل مشاعرها وأحاسيسها ، ويتفاعل به كل حواسها ، ويهز كل وجدانها وأعماقها وكيانها فيشرق الله جل جلاله على هذه الفتاة هبة وفضلا منه سبحانه بالنور والجمال والحب والحنان

الربانى يحيط حياتها ، ويضيء أيامها ، وينير طريقها ، ويؤنس وحدتها مما يجعلها تحيا وتنعم بأجمل وأحلى وأروع لحظات فى عمرها . . فتسجد حامدة لله فضله العظيم ، شاكرة له سبحانه وتعالى عطائه الكريم . . تناجى ربها بحب وإيمان وخشوع صادق . . نابع من القلب والوجدان يهز الأعماق والكيان قائلة :

اللهم اجعل الإيمان أنيسى . . . والتقوى جليسى
والقرآن خُلقى . . . والصراط المستقيم طريقى . . .
والصلاح غايتى . . . والخير هدفى . . .
واجعل لى يا رحمن نورا أمشى به بين الناس . . .
فنورك هو بصرى . . . وذكرك هو إطمئنانى . . .
وحمدك هو سلامى . . . وحنانك هو أمنى . . .
ورضاك هو جنتى . . . وحبك هو أملى ومنتهاى . . .
وقربك هو نعيمى وهنائى وسعادتى فى الدنيا والآخرة .

وفى الواقع أن هذه الفتاة ترى ذاتها فى العبادة ، وتجد نفسها فى عبادتها لله عز وجل وتحس بحقيقتها كعابدة لله سبحانه وتعالى .

فإن العبادة تمثل عندها معنى الحياة . . قيمة الإيمان . . قمة الأمان ، تعطيها الإحساس بجوهر الإخلاص والوفاء يتملكها الشعور بالأمل والرضا والإطمئنان فى ظلال الحنان الربانى ، وفى بحار الحب الإلهى .

فإن هذه الفتاة لا تتصور أن تقوم للإنسان حياة دون أن ينبض قلبه بالحب لله والإحساس بآثار هذا الحب .

وتستغرق الفتاة فى لحظات عميقة من التفكر :

هل حبها لله يحكم عبادتها فقط . . . ؟

. . إنه يحكم أيضا سلوكها . . فها هى الآن تقوّم سلوكها ليكون كل عمل ، وكل فعل تقوم به إنما يجب أن تؤديه حبا لله ومرضاة له وحده .

فهى تتمتع بكل ما أحله الله من طيبات حبا لله . . .

وتحرّم على نفسها جميع المعاصى التى نهى الله عنها حبا لله . . .

وتحاول أن ترتفع فوق الأحداث وترتقى بسلوكها نحو الله حبا لله . . .

والطريق ما زال أمامها طويلا تسير فيه ويملأها الرجاء والأمل فى أن يوفقها الله عز وجل ويهديها دائما إلى طريق الخير ، وأن يفتح عليها أبواب طاعته وقربه وحبه ، وأن يحيطها دائما بلمسات حنانه ويغمرها بآثار رحمته ، وأن يهيىء لها من أمرها رشدا وخيرا ويشدّها إلى سبيل تقويم سلوكها وصقل نفسها حتى تكون فى الصورة التى يرضى بها عنها .

إذن فإن قانون الحب . . حب الله العلى العظيم هو الذى يحكم حياتها ويجعلها تتصرف فى كل شىء حبا لله ومرضاة له هو وحده . . . إن حبها لله هو أكسير حياتها ، وسر سعادتها وهناءها وسر ألفها وحبها للوحدة وعدم الخوف أو القلق منها لأنها فى وحدتها تستأنس بالله وحده فتحس بأن الله هو أنيسها فهى تستأنس بصلاتها وعبادتها له ، وتستأنس بكتاب الله الذى يزيل منها أى خوف أو قلق ويبعث الطمأنينة على قلبها . . فهى تستأنس بحبها لله . . تشعر بالأمن معه . . تحس بالسكينة فى ركوعها وسجودها . . . تستشعر بالسلام الداخلى الروحى والإستقرار النفسى فى مناجاتها له عز وجل ولجوءها إليه وحده .

بكل هذه المشاعر الفياضة بحب الله العظيم كانت تعبد الله فتشعر بالأمن والأمان ، والسلام والإطمئنان ، والحب والحنان يرفرف على قلبها ويغمر فؤادها ويهز كيانها مما يولدّ عندها شوقا جارفا إلى الله يحترق به قلبها ، وحنينا متلهفا للقاء الله يلتهب به فؤادها ويملأ وجدانها وأعماقها . . فمّن الله عليها بعطاء فياض حيث رأت آيات كبرى ومشاهد عظمى يقشعر منها البدن ، ويسعد بها القلب ، وينشرح لها الصدر ، وتطمئن الفؤاد .

وسنستعرض هنا معا بعضا من هذه الرؤى الجميلة والمشاهد العظيمة التى رأتها الفتاة بفضل الله وحده والتى افتتحت كل رؤية منها باسم الله ونور الله والمنظر العظيم الذى سبق وأن وصفناه .

ـ فى أحد الأيام رأت الفتاة هذه الرؤية حيث كانت تقرأ القرآن فرأت أن نورا من الأنوار الإلهية يقترب منها ويشع بقوة .

- وفى رؤ ية أخرى رأت أن نورا حولها وأمامها وأن حبات من نور الله على كلمات القرآن التى تقرأها حتى عندما انتهت من قراءتها وأغلقت المصحف كانت كل كلمة قرأتها عليها الحبة من النور التى من عند الله بداخل المصحف كما هى .

وانتهت الرؤ ية على ذلك .

- وفى يوم آخر رأت :

أن نورا أمامها ومن حولها ثم رأت كأن صدرها يتكلم أو بداخله صوتا يقول :

لا إله إلا الله

وأحست كأنها تريد أن تقول من ورائه لا إله إلا الله على الدوام وشعرت كأن جسدها كله يهتز ويرتعش وكأنه يرد على لا إله إلا الله بلا إله إلا الله أيضا وهكذا واستمرت هذه الحالة فترة من الوقت .

- وفى يوم آخر حيث كانت الفتاة تصلى رأت هذه الرؤ ية :

أن حولها من كل جانب نور جميل وعليه اسم الله ، ورأت النور يتكلم ويسبّح لله وسمعت صوته يقول : لا إله إلا الله .

وانتهت الرؤ ية على ذلك .

- فى يوم من الأيام رأت رؤ ية عظيمة تضمنت جزءا يحثها على التحلى بالخلق القرآنى حيث سمعت خاطرا يقول لها :

إن الله أنعم عليك نعمة كبيرة . . . فاحمدى الله كثيرا واشكريه على فضله . . حاولى أن تراقبى الله فى جميع أفعالك وأن تتحلى بالخلق القرآنى ، وهنا ستصلى الى مرتبة عالية من مراتب الإيمان الكبير . . وحب الله لأن حب الله يملأك ونور الله دائما يحتويك . . وعندئذ وعندما تتحلى بالخلق القرآنى الذى وضعه الله نورا ومنارا للعبد الصادق الصالح الذى سيرث الأرض بإذن الله . . . ستتجلى لك ألوان من الكشف الإلهى بإذن الله

وسيزيد النور فى قلبك فتحسى بالمتعة فى الحياة والدنيا وبنصيبك فى الآخرة .

خذى دائما النور من الله ، وأسألى الله دائما ، والله سيمدك بالعون بإذن الله مما يكفيك . . واكتفى بالله فهو خير معين لك فى طريقك ، وفى كل ما تسألين عنه ، واعملى بالنور الذى يأتيك من الله يرضى عنك ويعطيك عطاءا فياضا ويمنحك عطفا وحنانا لامثيل له .

بارك الله فيك دائما وابدا .

وقولى دائما :

الحمد لله على ما قدّرت وأعطيت ووهبت وأنعمت . . . .

الحمد لله بكل ماتحمل هذه الكلمة العظيمة من معانى الحمد والشكر والثناء حمدا وشكرا عظيما لك يارب العالمين من كيانى كله . . حمدا وشكرا يهز وجدانى وأعماقى .

اللهم زدنى دائما من علمك . . اللهم هب لى من نعمة الخير ما ينير طريقى وحياتى . . .

اللهم امنح لى من الإيمان بك والحب لك مايكفينى ليكون منارا لى على درب طريقى . . طريق الحب والخير والرحمة والإنسانية والنور . . .

الله . . . الله . . . الله

لا إله إلا الله محمد رسول الله

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

الله نور السموات والأرض

الله . . الله . . . الله .

- وفى يوم آخر رأت هذه الرؤية حيث كانت تصلى بالكعبة حيث كانت الفتاة فى ذلك الوقت لاداء العمرة رأت الرسول عليه الصلاة والسلام أمامها يرتدى لباسا أبيضا ويقول لها :

استمرى فى عبادتك . . . إن الله معك دائما بإذن الله
استمرى فى عبادتك ولا تنسى أن تحمدى الله سبحانه وتعالى وتشكرى الله عز وجل على فضله العظيم عليك . . .
وأن تركعى لله وحده لا شريك له ، وان تسجدى لله وحده لا شريك له سبحانه حمدا وشكرا على فضله العظيم عليك
واستمرى فى عبادتك جزاك الله كل خير ، ورضى الله عنك ، وبارك الله فيك .

- وفى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤ ية حيث كانت تصلى فرأت الملائكة أمامها يرتلون تراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح لله سبحانه وتعالى ثم رأتهم حولها يبثون فى نفسها وقلبها وفؤادها الهدوء والسكينة .
واثناء قراءة الفتاة فى تلك الليلة للقرآن حيث كانت الملائكة حولها رأت أيضا مجموعة من الطيور البيضاء والعصافير البيضاء .
وفى نفس الليلة شاهدت الفتاة منظرا آخر أثناء صلاتها وقراءتها للقرآن حيث رأت أن إسم الله . . الرحمن . . الرحيم أمامها . . رأت هذه الكلمات ثابتة أمامها والحمد لله .
وفى نفس الليلة ايضا رأت ملكا كريما جاءها وحفر وكتب إسم الله فى جسدها (قلبها وفؤادها) وقال لها :

استمرى فى عبادتك يأيتها المؤمنة الصالحة ، واصبرى فإن الصبر من صفات المؤمنين وستجلبى خيرا كثيرا بإذن الله وأتركك الآن فى رعاية الله وحفظه . . جزاك الله كل خير رضى الله عنك . . وبارك الله فيك .
كما بشرّها هذا الملك الكريم بأنه سيحضر إليها فى شهر رمضان

- وفى أحد شهور رمضان رأت الفتاة رؤ ية عظيمة تضمنت هذا الجزء منها حيث رأت الفتاة أن مجموعة من الملائكة حولها وأن هناك نورا قويا أمامها والحمد لله على ذلك كثيرا ثم جاءها الرسول عليه الصلاة والسلام وحياها وهنأها بشهر رمضان المبارك وقال لها :

أعاده الله عليك يأيتها المؤمنة بالخير والصلاح . . .
استمرى فى عبادتك يأيتها العابدة الصالحة ولا تُبالى بأحد ولا تُبالى بأى شىء ولا تسألى إلا الله وحده ، وسيمدك الله دائما بالعون ، واستمرى فى عبادتك ولك من الله نورا ورحمة بإذن الله .

ثم قال لها : فى أمان الله وحفظ الله ورعاية الله

ثم رأت الفتاة الملك الكريم حيث حياها وهنأها بشهر رمضان المبارك وأعاد لها نفس ما قاله لها الرسول عليه الصلاة والسلام وقال لها :

إن عليك من الله نورا ورحمة بإذن الله

ثم رأت الملائكة من حولها يقولون لها :

جزاك الله كل خير ، ورضى الله عنك ، وبارك الله فيك .

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤية حيث كانت تصلى . . فلقد شاهدت مجموعة من الملائكة حولها وأن مجموعة من الانوار الإلهية هذا بالاضافة إلى نورا قويا أمامها وان إسم الله فوق كلى شىء ولاتخلو ذرة فى الكون من إسم الله وأنوار الله .

- فى يوم آخر رأت الفتاة حيث كانت تقرأ القرآن أن الكلمات التى تقرأها فى المصحف تسبّح لله سبحانه وتعالى وتقول : لا إله إلا الله
كما رأت اثناء سجودها حيث كانت تردد الدعاء الذى دائما تقوله :

رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىَّ
وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى
برحمتك فى عبادك الصالحين .

ان هذه الكلمات ايضا وتسبّح وتقول لا إله إلا الله

- وفى يوم آخر رأت الفتاة أثناء صلاتها وقراءتها للقرآن الكريم أن : نورا كبيرا أمامها ، وأن الأرض والسماء والطيور والنحل وعسل النحل يستمعون الى القرآن الذى تقرأه .

ثم فتح الله عليها وسمعت تسبيح الأرض وهى تقول :
الله . . لا إله إلا الله ، وتستمع إلى قراءتها للقرآن .

ثم تسبيح السموات : الله . . لا إله إلا الله ، وتستمع إلى قراءتها للقرآن .
ثم تسبيح الطيور وقولها : الله . . لا إله إلا الله ، وتستمع إلى قراءتها للقرآن .

ثم تسبيح النحل : الله . . لا إله إلا الله ، وتستمع إلى قراءتها للقرآن .
ثم رأت الفتاة عسل النحل موضوع بشمعه فى إناء وسمعته يسبّح ويقول : الله . . لا إله إلا الله ، ويستمع إلى قراءة الفتاة للقرآن .
وانتهت الرؤ ية على ذلك وجاء للفتاة بعد ذلك إحساس حول الآية الكريمة :

« إن قرآن الفجر كان مشهودا »

وهو أن قرآن الفجر تشهده مخلوقات الله كلها وتستمع اليه بأمر الله وفضله .

- فى يوم آخر رأت الفتاة هذه الرؤ ية أثناء قراءتها للقرآن حيث رأت أن نورا قويا جدا على القرآن الكريم ثم رأت نورا منتشرا حولها وأمامها على سجادة الصلاة .

- فى يوم آخر وفى السهرة الدينية التى تعدّها للعبادة حيث كانت الفتاة تصلى رأت أن نورا أبيضا أمامها والحمد لله ثم رأت أن مجموعة من الملائكة حضرت ووصلت ورأتهم الفتاة أمامها لانهم سيحضرون صلاتها وقراءتها للقرآن .
وبعد أن إنتهت من صلاتها وبدأت فى قراءة القرآن الكريم وجدت نورا أبيضا وهى تقرأ القرآن والملائكة أمامها يستمعون الى قراءتها للقرآن العظيم والحمد لله .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أثناء قراءتها للقرآن أن طيورا بيضاء والشمس والقمر ، وأن سماء تفتحت وكان فيها ملائكة وكلهم يستمعون إلى قراءة الفتاة للقرآن بأمر من عند الله .

- كما أنها رأت الملك الكريم (الذى تراه دئما فى رؤ ياها) والرسول عليه الصلاة والسلام يستمعان ايضا لقراءتها للقرآن
- ورأت أن الرسول عليه الصلاة والسلام يضع على رأسها قمرا اما الملك الكريم يضع تاجا من الألماس ثم عندما إنتهت فتاتنا من قراءتها للقرآن وجدت الطيور البيضاء تقول لها :

لقد إستمعنا إلى قراءتك للقرآن بأمر من عند الله ، وأنت فى نور الله فاطمئنى واحمدى الله كثيرا .

ثم رأت الملك الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام يقولان فى وقت واحد :

اطمئنى انت فى نور الله واحمدى الله كثيرا

ثم رأت الملائكة الذين فى السماء يقولون أيضا نفس الكلمات .

- فى يوم آخر حيث كانت الفتاة تصلى رأت أن نورا أمامها ومن حولها وأن هذا النور مكتوب عليه إسم لا إله إلا الله باللون الابيض ومجموعة من الأنوار والجواهر لم تر الفتاة مثيلها فى حياتها او فى الدنيا .

- فى يوم آخر رأت الفتاة أثناء صلاتها أن ملكا من الملائكة واقفا فى السماء وسمعت صوتا جاءها أنه صوت هذا الملك يقول :

يأيها الذين آمنوا راعو واصبروا وافعلوا ما عاهدتم الله عليه

ثم قال لها الملك :

كفاك هذا اليوم ، وإن الله سيلهمك بالبشائر على مرور الأيام بإذن الله .

- وفى يوم من أيام شهر رمضان الكريم فى إحدى السنوات رأت الفتاة رؤ ية عظيمة تضمنت هذا الجزء منها حيث رأت ان الملك الكريم سيحضر عند قراءتها للقرآن العظيم وفعلا عندما إنتهت من الصلاة وبدأت فى الإعداد لقراءة القرآن رأت هذا الملك الكريم واقفا على يمينها على سجادة الصلاة ثم رأت الرسول عليه الصلاة والسلام واقفا أمامها ثم رأت ثلاثة من الملائكة على هيئة بشر واقفين على يسارها ، ثم رأت الطيور البيضاء وعددهم ثلاثة فوق رأسها ويعلو هذا المنظر الجميل إسم الله مكتوبا باللون الابيض وبمجموعة من الجواهر البراقة اللامعة التى لم تر الفتاة مثيلها فى حياتها أو فى الدنيا وأن هناك نورا قويا مرتبطا باسم الله هو نور الذات الإلهية ثم بدأ الجميع فى ذكر الله وتسبيح الله وحمد الله مع ملاحظة أن هذا الملك الكريم والملائكة والطيور يبدأون دائما حديثهم بتراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح لله وشكر الله كما بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام أيضا حديثه بذكر وتسبيح وحمد الله عز وجل ثم سمعت الفتاة الملك الكريم يقول لها :

إننا جئنا اليوم لنستمع إلى قراءتك للقران الكريم فاحمدى الله
كثيرا واشكريه على فضله العظيم عليك

وفعلا حمدت الفتاة الله كثيرا على فضله العظيم ، وبدأت فى قراءة القرآن الكريم وأثناء قراءتها كانت تراهم يقولون : لا إله إلا الله .
واستمرت فى قراءتها للقرآن الكريم الى أن إنتهت من الجزء المقرر لها قراءته فى هذه الليلة .
ثم قال لها الملك الكريم بعد ذلك :

بارك الله فيك ، وجزاك الله كل خير
فأنت فى رعاية الله ، وفى نور الله ،
وفى رحمة الله

وكذلك قال لها الرسول عليه الصلاة والسلام أيضا والملائكة والطيور ثم قال لها الملك الكريم :

إلى لقاء آخر بإذن الله غدا وفى أمان الله ، وفى رعاية الله .

ثم اختفوا جميعا وانتهت الرؤ ية على ذلك .

- فى اليوم التالى من الرؤ ية السابقة جاء للفتاة إحساس معين وهو أن هذا الملك الكريم قريب منها جدا والملائكة أيضا وأنهم محيطين بها وهذا الإحساس أعطاها الشعور بتلاشى كل ماحولها ولم تر شيئا إلا هم والله اعلم .

- ثم فى نفس هذا اليوم رأت رؤ ية عظيمة تضمنت جزءا مكررا للجزء السابق حيث رأت الملك الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام والملائكة والطيور ويعلوهم إسم الله مكتوبا باللون الابيض وبمجموعة من الجواهر والأنوار لم تر الفتاة مثيلها فى الدنيا او فى حياتها وأن هناك نورا مرتبطا باسم الله هو نور الذات الإلهية وأنهم جميعا حضروا بأمر الله ليشهدوا قراءة الفتاة للقرآن كما رأت الشمس والقمر يسبّحان الله ويستمعان لقراءتها للقرآن ثم بدأوا حديثهم جميعا بتراتيل معينة كلها ذكر الله ثم قال لها الملك الكريم :

لقد جئنا إليك بأمر من الله لليوم الثانى لنستمع لقراءتك
للقرآن . . فاحمدى الله كثيرا .

فقالت الفتاة : لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين .
ثم بدأت فى قراءتها للقرآن ، واثناء تلاوتها للقرآن رأت هذه الرؤ ية الغريبة والله أعلم بها وهى :

أنه فى مكان ما . . فى حجرة يوجد بها مجموعة من المصاحف وفى هذه الحجرة نار موقدة ثم رأت مجموعة من الأشخاص يرتدون ثيابا سوداء ويقفون خارج الحجرة فى الخلاء وعلى وجوههم الفرحة ، وكانت الفتاة فى ذلك الوقت واقفة مع والدتها بجوارهم وعندما رأت الفتاة النار موقدة فى الحجرة وبها مصاحف صاحت :

النار ستحرق المصاحف . .

لابد أن أدخل وأنقذ هذه المصاحف

ولم تعترض والدتها وكانت مرتدية لباسا أبيضا وفى حالة ضيق ثم رأت ان هؤلاء الأشخاص قالوا لها :

اذا دخلت ستحترقى وتموتين

فقالت الفتاة :

لايهم . . المهم أن أنقذ المصاحف

وفعلا دخلت الفتاة وكانت مرتدية فستانا أبيضا وحملت المصاحف على يدها وأنقذتها بفضل الله من النار الموقدة داخل الحجرة .
وخرجت من الحجرة ووجدت أن المصاحف التى كانت تحملها على يدها سليمة ولم تُحرق وهى الاخرى لم تُحرق ولم يصبها سوء وجسدها كماهو وملابسها كما هى ولم يحدث لها أى شىء سوى الإجهاد والتعب والإعياء فقط .
وحمدت الفتاة الله على ذلك كثيرا ، وفرحت بها والدتها جدا أما هؤلاء الأشخاص فكانوا فى غاية الضيق والدهشة بأن النار لم تحرق المصاحف ولم تحرق الفتاة .
وانتهت الرؤ ية على ذلك .
ـ رأت الفتاة هذه الرؤ ية أثناء قراءتها للقرآن وظلت مستمرة فى تلاوتها للقرآن الكريم الى أن إنتهت من الجزء المقرر لها قراءته ، ثم سمعت الملك الكريم يقول لها :

بارك الله فيك وجزاك كل خير
ثم عادت مرة اخرى للصلاة وبعد انتهاء الصلاة قال لها الملك الكريم :
جزاك الله كل خير ، ورضى الله عنك : وبارك الله فيك
ثم رأت الرسول عليه الصلاة والسلام والملائكة يقولون لها :
أنت فى رعاية الله وفى نور الله
ثم أنهى الملك الكريم حديثه معها بتلك الكلمات :

أنت فى رعاية الله ، وفى نور الله ، فاحمدى الله كثيرا وكونى من الحامدين الشاكرين .

وقالت الفتاة : لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين
فقال الملك الكريم :

جزاك الله كل خير ، ورضى الله عنك ، وبارك الله فيك والى لقاء آخر بإذن الله غدا .

وانتهت الرؤية على ذلك .

- وفى اليوم التالى من أيام شهر رمضان رأت الفتاة حيث كانت تصلى الفجر رؤية عظيمة جدا تضمنت جزءا يشير الى مايلى :
وبينما هى تصلى رأت الملك الكريم قادم إليها والرسول عليه الصلاة والسلام والملائكة والطيور .

وبعد ان إنتهت من صلاتها وقبل إستعدادها لقراءة القرآن وجدتهم وصلوا ثم رأت الملك الكريم واقفا على يمينها ثم الرسول عليه الصلاة والسلام واقفا أمامها والملائكة الثلاث على يسارها والطيور من فوقها ويعلو هذا المنظر العظيم إسم الله مكتوبا باللون الابيض وبمجموعة من الجواهر والأنوار لم تر مثيلها فى الدنيا ولا فى حياتها وأن هناك نورا قويا جدا مرتبطا باسم الله هو نور الذات الإلهية ، وبدأو حديثهم كلهم بذكر وتسبيح الله سبحانه وتعالى ، كما بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام حديثه بذكر الله وتسبيحه وشكره عز وجل .

- ثم وجدت الفتاة نفسها تلقى عليهم جميعا السلام ... كل بإسمه ...
ثم سمعت الفتاة الملك الكريم يقول لها :

لقد جئناك اليوم بأمر من الله لنستمع الى قراءتك للقرآن لليوم
الثالث فاحمدى الله كثيرا على فضله العظيم

فسجدت الفتاة وقالوا جميعا معها :

لا إله إلا الله رب العالمين الرحمن الرحيم
نور السموات والأرض رب العرش العظيم
والحمد لله رب العالمين

فقال لها الملك الكريم :

جزاك الله كل خير ورضى الله عنك وبارك الله فيك

ثم قال :

والآن بسم الله ابدئى وبه استعينى وعليه توكلى

فقالت الفتاة :

بسم الله أبدأ وبه أستعين وعليه أتوكل

ثم قالوا جميعا معها فى صوت واحد :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن والرحيم .

وبدأت الفتاة فى قراءة القرآن .

واستمرت فى قراءتها للقرآن حتى إنتهت من الجزء المقرر لها قراءته فى تلك الليلة .

ثم قال لها الملك الكريم :

جزاك الله كل خير ، ورضى الله عنك ، وبارك الله فيك
والآن ستصعدى معنا الى السماء .

وفعلا صعدوا جميعا الى السماء . ودخلوا منزلا مصنوعا من الجواهر وصلوّا فيه ركعتين لله سبحانه وتعالى ثم بعد ذلك خرجوا من هذا البيت ثم رأت الفتاة منظرا آخر حيث قال الملك الكريم الذى كان يقودهم جميعا فى هذه الرحلة العظيمة :

هيا بنا لنصلى فى البيت المعمور ، وذهبوا الى البيت المعمور ثم دخلوا فيه وجاء جميع الأنبياء ثم صلواً جميعا فيه ركعتين لله سبحانه وتعالى .

وبعد ذلك خرجوا من البيت المعمور (الملك الكريم والرسول عليه الصلاة

والسلام والملائكة والطيور وهذه الفتاة) حيث قال لهم الملك الكريم :
هيا بنا لنذهب الى الكعبة
وذهبوا الى الكعبة البيضاء التى فى السماء وطافوا حولها وهم يقولون :
الله . . . لا إله إلا الله
وصلوّا فيها .

ثم بعد ذلك قال الملك الكريم :
« هيا بنا للذهاب الى الحجاز لنزور الكعبة ونصلى ركعتين فى مصلى ابراهيم عليه السلام ثم نذهب بعد ذلك الى الحرم النبوى لنصلى ايضا فيه ركعتين . »
وفعلا ذهبوا الى الحجاز وطافوا حول الكعبة وهم يقولون :
الله لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين
ثم صلوّا فى مصلى ابراهيم عليه السلام ركعتان
ثم ذهبوا الى الحرم النبوى وصلوّا فيه ايضا ركعتان رالحمد لله .
ثم بعد ذلك وقف الرسول عليه الصلاة والسلام وقال لها :
أنت فى رعاية الله ، وفى نور الله ، وفى رحمة الله . . والى لقاء آخر بإذن الله .

وكذلك أيضا قالت الملائكة والطيور وانتهى هذا المنظر على ذلك .

ثم رأت بعد ذلك الملك الكريم يقول لها :
والآن أبشرى فأنت فى رعاية الله ، ونور الله ، ورحمة الله
ثم قال :
هيا بنا لنصلى ركعة واحدة حمدا وشكرا لله على فضله العظيم علينا وعليك وعلى المؤمنين الصالحين .

وفعلا بدأوا فى الصلاة وكان الملك الكريم أمامها يصلى والفتاة من ورائه ، وهذه الصلاة أدتها الفتاة بإحساس قوى ثم رأت أثناء صلاتها مجموعة من المؤمنين الصالحين يصلون معهم هذه الصلاة .
وعندما إنتهت الفتاة من الصلاة (إنتهى منظر المؤمنين) ثم سجدت لله عز وجل وقالت :

لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين
فرد عليها الملك الكريم :

جزاك الله كل خير ، ورضى الله عنك ، وبارك الله فيك انت عليك نور من الله . . فأنت فى نور الله ، ورعاية الله ورحمة الله . . والى لقاء آخر بإذن الله خلال شهر رمضان المبارك

وفى أمان الله ، ورعاية الله ، وحفظ الله .

ثم اختفى الملك الكريم ورأت مكانه نور ثم سجدت الفتاة لله وحمدت الله عز وجل على فضله العظيم الذى منّه عليها .

هكذا انتهت الرؤ ية والحمد لله على ذلك كثيرا ، وانتهت الفتاة بعد انتهائها أنه كان فى نفسها شىء خاص ومرتبط بحياتها كانت تتمنى أن يحدّثها فى أمره الملك الكريم ولكن لم يحدث فقالت الفتاة فى نفسها : إذن لم يأذن الله بعد بذلك

ولكن فجأة وجدت الملك الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام جاءوا لها مرة أخرى وبدأوا حديثهم بذكر وتسبيح وحمد الله ليطمئنوها عن هذا الأمر حيث قال لها الملك الكريم :

لقد جئنا الآن بأمر من الله عز وجل لكى نطمئنك عن هذا الأمر الذى يراودك فى نفسك

وبشرّها حوله .

وكذلك قال لها الرسول عليه الصلاة والسلام وبشرها وطمأنها حول الأمر الذى كان يراودها فى نفسها ثم اختفيا الإثنان فى لمح البصر وكان مكانهما نور .

فسجدت الفتاة وحمدت الله على ذلك كثيرا :

وبذلك انتهى هذا الجزء من الرؤ ية العظيمة المباركة التى رأتها الفتاة فى تلك الليلة .

- فى يوم من أيام شهر رمضان رأت الفتاة أثناء قراءتها للقرآن هذه الرؤ ية العظيمة تضمنت جزءا يشير الى مايلى :

أن لوحا نورانيا عليه إسم الله مكتوبا باللون الابيض ومجموعة من الجواهر

والأنوار البراقة التى لم تر مثيلها فى الدنيا أو فى حياتها ثم رأت الملك الكريم واقفا بالقرب منها وبجانبه الرسول عليه الصلاة والسلام ورأت ملائكة فى السماء وطيورا بيضاء من فوقها .

ثم جاءها أنهم جميعا يستمعون الى قراءتها للقرآن الكريم واستمرت الفتاة فى تلاوتها للقرآن الكريم وكانت ترى أنهم يقولون :

لا إله إلا الله أثناء تلاوتها للقرآن الكريم وبعد أن انتهت من تلاوة الجزء المقرر لها فى هذه الليلة سمعتهم يبدأون حديثهم بتراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح لله سبحانه وتعالى ثم قال لها الملك الكريم :

أنت فى نور الله ، وفى أمان الله ، وفى رعاية الله

لقد استمعنا بأمر الله لتلاوتك للقرآن الكريم وهنيئا لك بشهر رمضان الكريم واذكرى الله كثيرا وقولى دائما :

لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين والى لقاء آخر بإذن الله .

ثم قال لها الرسول عليه الصلاة والسلام والملائكة والطيور واللوح النورانى الذى عليه إسم الله نفس الكلمات ثم سمعت الفتاة صوتا يقول لها :

اذكرى الله كثيرا وقولى دائما :

لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين

ثم اختفى الجميع وظل مكانهم نور .

وانتهى هذا المنظر على ذلك .

- وفى يوم من أيام شهر رمضان بإحدى السنوات رأت الفتاة رؤ ية عظيمة جدا (أثناء الصلاة وتلاوة القرآن الكريم) تضمنت هذا الجزء حيث رأت أن :

كتل نورانية او ألواح نورانية حولها ، وعندما بدأت فى تلاوة القرآن الكريم سمعتها تقول اثناء تلاوتها للقرآن :

الله اكبر . . . لا إله إلا الله

الى أن انتهت الفتاة من قراءة القرآن الكريم

وانتهى هذا الجزء من الرؤ ية العظيمة التى رأتها فى تلك الليلة على ذلك .

- وفى يوم آخر من أيام شهر رمضان رأت رؤ ية اخرى عظيمة تضمنت جزءا يشير الى مايلى (حيث كانت الفتاة تصلى) فرأت :

لوحا أبيضا أمامها ومكتوب عليه إسم الله بمجموعة من الأنوار والجواهر البراقة اللامعة واللون الابيض الناصع لم تر مثيلهم فى حياتها أو فى الدنيا ثم رأت أن من حولها من جهة الأمام إسم الله مكتوبا ايضا باللون الابيض ومجموعة من الجواهر والأنوار البراقة اللامعة التى لم تر الفتاة مثيلها فى حياتها أو فى الدنيا ثم رأت من فوقها طيورا بيضاء .

ثم رأت نفسها فى السماء وتركع وتسجد وتقول سورة الإخلاص .

وانتهى هذا المنظر على ذلك الذى كان جزءا من رؤ ية عظيمة رأتها الفتاة فى تلك الليلة .

- وفى يوم من الأيام رأت الفتاة هذه الرؤ ية الغريبة والعظيمة حيث رأت أن : الأرض والسماء والملائكة والنور والطيور تسبّح الله « بلا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين » حتى رأت الفتاة بعض الكائنات والمخلوقات التى لم تعرف بها وتراها لأول مرة فى حياتها مثل نوع من الأسماك جميل الشكل . . متوسط الحجم رأته الفتاة فى السماء يسبّح « بلا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين » والغريب أن الفتاة رأت أن هذا النوع من الأسماك فى السماء حى حيث أنه من المعروف ان السمك لا يعيش إلا فى الماء ، ويموت عندما يخرج من الماء ولكن هذا النوع حى فى السماء بإذن ربه ، كما رأت الفتاة أيضا نوع من البحار تراه لأول مرة وشاهدت أمواج تعلو وترتفع تسبّح « بلا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين . »

كما رأت ايضا ودع ابيض يسبّح بلا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين .

والغريب أن هذه الفتاة رأت منظرا آخر بعد ذلك وهو أن الملك الكريم الذى دائما تراه فى رؤ ياها والرسول عليه الصلاة والسلام وجميع الأنبياء عليهم جميعا السلام يشتركون مع الأرض والسماء والطيور والكائنات والملائكة والنور فى التسبيح « بلا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين » ويدعون جميعهم الفتاة للإشتراك معهم فى التسبيح « بلا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين » بنفس النغمة التى هداها الله إليها من قبل .

وعندما بدأت الفتاة تلبّى الدعوة وتشترك معهم فى التسبيح جاءها ان كل شىء فى الوجود يسبح « بلا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين . »

ثم رأت منظرا آخر غريب جدا حيث رأت فى لحظة من اللحظات

وعندما كانت تسبّح « بلا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين » في ذلك اليوم أحست بأن الارض والسماء والكائنات والمخلوقات التى رأتهم غطت هذه الفتاة واحتوتها وكأنها ذابت معهم .

إنها رؤ ية غريبة من الصعب جدا وصفها وحمدت الله كثيرا على هذا الفضل العظيم الذى يمنّه سبحانه عليها ، وعلى الفتح الكريم الذى ينعم به عز وجل عليها وعلى لمسات حنانه بها ، وآيات حبه لها التى تعجز أمامها الفتاة ولا تعرف كيف تشكر الله عليها وماذا تستطيع ان تفعل لتقدم حبها وإخلاصها ووفاءها له سبحانه داعية فى كل لحظة بأن يهديها ويرشدها الى سبيل الحمد والشكر الذى يرضاه ويتقبله منها إنه هو السميع العليم .. الرحمن الرحيم .. رب العرش العظيم .

- هذه هى بعض الرؤ ى والمشاهدات العظمى التى منّ الله بها على هذه الفتاة ، والتى هزّت مشاعرها وكيانها ، وهى ترى أنها مشاهد يقف أمامها العقل مشدوها ، والفكر متأملا ، والفؤ اد متبصرا ، والقلب هائما ، والوجدان سابحا فى بحر الحنان الإلهى .

وتسرح الفتاة كثيرا إذ تستغرق فى تفكر عميق فى نعمة الله عليها حيث تجد أن لمسات حنان الله عليها تملأها ، وآثار نعمته تغدق عليها .. فهى تلتفت يمينا تجد لمسة حنان ، ويسارا لمسة حب ، ومن أعلى ترى رحمة الله وحولها ترى النور يحرسها والملائكة حولها تقوّمها وتصقلها وتوجهها .

إن كل لحظة فى حياتها .. كل متعة تنعم بها .. كل إحساس تشعر به .. كل ألم تتأثر به .. كل حكمة .. كل لحظة تأمل .. وهمسة تفكر .. ولمسة تدبر .. ونسمة تبصر فى كل صغيرة وكبيرة من حولها إنما هى ليست إلا لمسات من الحنان الإلهى تغدق عليها ، وفيض ربانى يفيض الله به عليها لتنعم وتحيا فتشهد نعم الله التى لا تعد ولا تحصى وآثار رحمته من حولها فتعجز الفتاة حتى عن شكر الله على هذه النعم فترى أن كل عبادتها من صلاة وذكر وشكر وصوم وزكاة وصدقة لا يكفى لتقدمه شكرا لله عز وجل وحبا له سبحانه وتعالى فتذرف الدموع من عيناها كأنها أنهار تفجرت ويهتز الفؤ اد ويعلو صوت القلب بمناجاة حارة يكاد الصدر يحترق منها حيث تناجى ربها قائلة :

يا إلهى . . إن نعمتك علىَّ لكبيرة ، وفيضك علىَّ لعظيم
كيف أحمدك . . ؟ كيف أشكرك . . ؟
لو ركعت عمرى كله وسجدت لحظات حياتى كلها لا تكفى حمدا وشكرا لك .

إن كل عبادة أقوم بها أجدها عاجزة عن أن تقدم حبى وامتنانى لك .

اللهم اغفر لى عجزى . . فمهما قلت ومهما فعلت لا يمكن أن أستطيع أن أوفيك حقك من الشكر والثناء ولا يسعنى غير أن أقول بكل حب وإخلاص :

« الحمد لله » بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانى الحمد والشكر والثناء والتقديس لك أنت وحدك . . فلن أستطيع أن أثنى عليك ولو حرصت ولكنك أنت سبحانك كما أثنيت على نفسك تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك . . إنك أنت علام الغيوب .

وتستمر الفتاة فى مناجاتها الى ربها حيث تقول بحب يهز أعماقها وحنين وشوق يغمر كيانها :

سبحان الله الذى فطرنى فهدانى الى الإيمان
ومنحنى الحب والحنان . . وعلمّنى الإحسان
فى كلمة طيبة ، وصدقة جارية ، وعمل صالح ،
وصبر جميل ، وعفو كريم أو فى علم ينفع ،
وقلب يخشع ، وكيان يسبّح لله الواحد القهار .

سبحان الله الذى أرشدنى الى طريق النور والخير
فألهمنى المثل الأعلى . . ووهبنى الخلق الكريم فى
سلوك حميد ، وأدب قويم مسطور بحروف نورانية
فى كتاب عظيم . . فطهرنى ونقآنى وسما بى إلى
عالم نورانى حيث النور الإلهى . . والحب الربانى . .
والفيض الرحمانى .

سبحان ربى الأعلى الذى خلقنى ووهبنى من فضله العظيم
ما يسعد قلبى ، ويطمئن فؤادى ، ويشرح صدرى ،
ويطهر نفسى ، وينير طريقى ، ويضىء حياتى . . .
إنه هو الوهاب الرحمن الرحيم مالك الملك
ذو الجلال والإكرام .

فالحمد لله رب العالمين . الحمد لله الذى لا إله إلا هو
فاطر السموات والأرض . الحى القيوم . الأول والآخر .
الظاهر والباطن . العلى الكبير . رب العرش العظيم .

وتستمر الفتاة فى طريقها حامدة شاكرة ربها على لمسات حنانه الكريمة عليها ، وفيوضات عطائه العظيمة لها محاولة أن ترتقى فوق الأحداث بتقويم سلوكها ، وصقل نفسها متخذة هدفها هو الله داعية راجية آملة فى أن يوفقها سبحانه فى الطريق وأن يهيئها لما فيه الخير ويشدّها إلى السبيل الذى يقودها لتصل إلى النموذج الذى يجب أن تكونه والذى يرضى به الله عنها .

وتستكمل الفتاة مشوار حياتها صابرة محبة لله عز وجل . . مشتاقة إليه يملأها الحنين واللهفة إلى لقائه .

وفجأة تعرضت الفتاة إلى محنة تعتبرها من أكبر المحن إذ مرت بفترة من أصعب الفترات فى حياتها حيث ابتعاد الله عنها ، واقتراب الشيطان منها ، وعرفت أن ذلك ابتلاء من الله لها مما جعلها تتمسك بطريق الله أكثر فحافظت على ذكر الله ذكرا كثيرا ، وعرفت أنه لابد عليها من أن تصبر صبرا جميلا ، ودعت ربها بأن ينجيها من المس الشيطانى وأن يبعد عنها وسوسة الشيطان وغوايته وضلاله . . . فلمست حنان الله عليها ، وشعرت بحبه لها ، وتلمست رحمته بها حيث وهبها الله عز وجل علاج ربانى نجّاها وحفظها من المس الشيطانى .

وتعلّمت كثيرا من هذه الفترة المريرة مما قادها الى معرفة حقائق لم تكن تعرفها من قبل حيث الصبر عن الله والربط الإلهى .

الفصل التاسع

الصبر عن الله والربط الإلهى

عندما نذكر الصبر نتذكر على الفور الإبتلاء والتلطف الإلهى . إن الإبتلاء حقيقة كبرى فى حياة الإنسان ، وهناك الكثيرون ممن يتجاهلون وينكرون حقيقة الإبتلاء بل لا يؤمنون بها ويرفضون وجودها قائلين ومعتقدين بأنك إذا كنت إنسانا حسنا فستجد الخير أما إذا كنت إنسانا سيئا فستجد الشر دون أن يكون هنا للإبتلاء من وجود ولا مكان أو أثر فى حياة الإنسان لأنهم فى الأصل ينكرون ويرفضون وجوده وهنا يقعون فى الخطأ والتضليل . . ومهما جادلتهم وأقنعتهم فهم لا يؤمنون . . فهم كالأنعام بل هم أضل .

إن الإبتلاء موجود فى كل لحظة . . والإنسان مبتلى فى كل وقت ، وفى الواقع من نعمة الله على عبده أنه يبتليه . . فإن لله سبحانه وتعالى حكمة فى ابتلاء عبده ، ومن حب الله للإنسان ورضاه عنه ابتلائه له . . فلم يسلم نبى من الأنبياء ولا رسول من الرسل وهم الصفوة المختارة من البشر الا وابتلاه ربه فى حياته . . وكلنا نعرف أن الأنبياء والرسل هم أكثر الناس وأشدهم ابتلاءاً .

قال الله تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأنبياء : ٣٥)

وان لله عز وجل حكمة وخيرا ونفعاً كبيراً فى ابتلائه للإنسان لا يعرف الإنسان هذه الحكمة ولا يدرك هذا الخير والنفع إلا بعد ابتلائه وإحساسه برحمة الله ولطفه معه . . إذن فإن التلطف الإلهى موجود وملموس ومحسوس فى هذه الحياة الدنيا ، والإحساس بالتلطف الإلهى هو الذى يفرق بين إنسان

وآخر ويميز بين قوى الإيمان وضعيف الإيمان ويجعل هذا العبد راضيا بهذا الابتلاء أو معترضا له حسب درجة إحساسه وادراكه ومعايشته للتلطف الإلهى الذى ينعم به .

ولكن كيف يرضى الانسان بالابتلاء ويشعر بالتلطف الإلهى . . هل هذا أمر صعب ؟ إنه ليس شيئاً صعباً ولا أمراً شاقاً على الإنسان الذى يسير فى طريق الله وينشد الأمن النفسى . . ويطمع فى الطمأنينة القلبية . . ويتطلع إلى السعادة النفسية والروحية .

فاذا حمد الإنسان الله سبحانه وتعالى على هذا الإبتلاء الشديد ، وأدرك على الفور بإيمان قلبى ونفسى وروحى متكامل بأن الله تلطف معه فى ذلك الأمر ولولا رحمة الله وتلطفه معه لأصبح هذا الإبتلاء أشد ولكان قد هلك الإنسان معه هلاكا شديدا . . فإن التلطف الإلهى والرحمة الربانية وفرت وحفظت الإنسان كثيراً من الهلاك الشديد .

وابتلاء الله لعبده لا يرتبط بالمحن والشدائد والصعاب فقط بل موجود أيضا فى الخير والنعيم . . فالابتلاء فى الخير والشر ، فى النعمة والنقمة .

فيأيها الانسان الذى أعطاك الله فى لحظة كل أسباب النعيم من الغنى والخير الوفير والنجاح ، والجاه ، والسلطان ، والشهرة ، والتوفيق فى حياتك فى جميع وجوهها . . انما هو ابتلاء لك . . انك الآن فى نعيم مقيم من عند الله :

- هل ستنسى الله وتفقد إيمانك وصلاحك وتقواك . . ؟
- هل ستهجر جميع القيم والمبادىء والأخلاق الجميلة التى عشت حياتك تدرس وتبحث وتستمدها من القرآن وتطبقها على نفسك أولا ثم تنادى بها ليعم المجتمع الفاضل بها . . ؟
- هل ستخاصم القلب السليم النقى الطاهر فتفقد البصيرة ويتبدّل نورك إلى ظلام دامس لا تفقه فيه القلوب ولا ترى فيه الأبصار فتصاب بالغرور والإستعلاء والتجبر والإستبداد والظلم ، وتنسى حقيقتك بأنك عبد فقير محتاج إلى الله على الدوام وما أنت فيه هو ملك لله وحده وإنما أعطاك الله هذا النعيم كوديعة ليختبرك ويختبر إيمانك فنسيته فأنساك نفسك

فأظلم قلبك وأفسدت حياتك فظلمت نفسك وغيرك وخسرت دنياك وآخرتك . . ؟

أم . . أنك ستنعم بهذا النعيم الذى وهبه الله لك ذاكرا له فضله العظيم ، وفى كل لحظة تركع حامدا وتسجد شاكرا له عز وجل قائلا :

يا ربى . . إن فضلك علىَّ لعظيم ونعمتك علىَّ لكبيرة إنى أحمدك حمدا وشكرا ملء السموات والأرض وما فيها وما عليها . .

اللهم زدنى دائما من فضلك واجعلنى من الحامدين الشاكرين الراكعين الساجدين وتقبلنى بقبول حسن وألهمنى بأن أوجه نعيمك إلى ما ترضاه أنت . . فأنا فى البداية والنهاية فقير اليك . . محتاج اليك أريد عونك لى وإلهامك لى ونورك لى الذى ينير طريقى ويلهمنى القوة ويعطينى الإيمان بك والحب لك دائما وابداً .

ثم توجه هذا النعيم الذى تحيا فيه إلى ما فيه الخير . . فتساعد الفقراء والمحتاجين ، وتتذكر الله دائما فى كل لحظة ، وتنسب النجاح والجاه والسلطان الذى أنت فيه إلى الله وليس لنفسك فإن المقعد الذى تنعم به الآن لم ولن يخلد لأحد ، ولو كان قد خلد لأحد لما وصلت أنت إليه . . فالخلود لله وحده . . والبقاء لله وحده وما عدا ذلك فهو فان ومنتهى فليكن هدفك هو الله فقط ولتعمل لله حتى تحظى بمقعد صدق عند مليك مقتدر .

فتقوى أكثر وتفوز بفوز عظيم أعظم مما أنت فيه حيث يرضى الله عنك ويشع عليك بأنوار الإيمان والحب الإلهى ، والحنان والرضا الربانى الذى لا يماثله أى حب أو حنان أو عطف أو رضا . وهنا تشعر بالسكينة والحب والخير والإنسانية وجميع الأخلاق السامية والقيم النبيلة تسرى فى جسدك كأنها دم أبيض طاهر نقى يجرى فى عروقك عليه إسم الله تحيا به وله ومن أجله وهنا تنعم بالسعادة الكاملة . . السعادة النفسية والروحية والقلبية .

ان للإبتلاء أهمية كبرى فى حياة الإنسان حيث يصقله ويهذّبه ويقومّه

فيتعلم الإنسان الصبر والشكر . . فيعرف كيف يصبر على المحن والمصائب ، ويؤمن بأنه لزاما عليه أن يشكر الله على نعمته وفضله العظيم فيزداد قربا منه سبحانه وتعالى ويدرك تلطف الله الدائم به فى كل لحظة ، وفى أى حال سواء فى الخير أو الشر .

فلابد أن ندرك ونعرف ونؤمن بأن الله دائما وابدا لطيف معنا وأنه جل جلاله يرحمنا دائما ويتلطف معنا دائما ، وبذلك ندرك ونحس بالتلطف الإلهى مما يجعلنا نرضى بابتلائه سبحانه لنا . . الامر الذى يعطينا القوة الدافعة والشحنة الواقية فى السلوك وهو الصبر على هذا الابتلاء ، وهذا سيقودنا إلى عنصر سلوكى هام وهو الصبر على المكاره بإيمان ورضا وحب .

ويدعو القرآن الكريم المؤمنين إلى التحلى بالصبر لما فيه من فائدة عظيمة فى تربية النفس وتقوية الشخصية وزيادة قدرة الانسان على تحمل المشاق ، وتجدد طاقته لمواجهة مشكلات الحياة وأعبائها ، ونكبات الدهر ومصائبه ولتعبئة قدراته لمواصلة الجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾
(البقرة : ١٥٣)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾
(آل عمران : ٢٠٠)

والمؤمن الصابر لا يجزع لما يلحق به من أذى ، ولا يضعف أو ينهار إذا ألمت به مصائب الدهر وكوارثه ، فلقد علمّه الله أن ما يصيبه فى الحياة الدنيا انما هو ابتلاء من الله تعالى ليعلم الصابرين منا :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾
(محمد : ٣١)

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ

وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (البقرة : ١٥٥ - ١٥٧)

﴿ * لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (آل عمران : ١٨٦)

والصبر من صفات المؤمنين التى أشاد بها القرآن فى أكثر من موضع :

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ (البلد : ١٢ - ١٨)

﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾
(العصر :)

والصبر مقام من المقامات الرفيعة التى يحظى بها السالك فى طريق الله ، ولقد أخبرنا الله تعالى أنه مع الصابرين فقال عز من قائل :

﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الانفال : ٤٦)

وقوله تعالى :

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (النحل : ١٢٧)

والصبر أساس الصدق ، لذلك جعل الله الصابرين هم خصوص الصادقين[1] لأن الله سبحانه وتعالى قد رفع الصابرين على الصادقين فى ترتيب المقامات والدرجات .

ويرى الإمام الغزالى أن مقام الصبر ينتظم من أمور ثلاثة مثله فى ذلك مثل المقامات والمنازل العظيمة وهذه الأمور هى المعارف والأحوال والأعمال . . فالمعارف هى الأصول ، وعن طريق المعرفة تشرق النفس بنور الحق ، ويفاض عليها بالمنن وتُحظى بالفتوحات الربانية فتقترب من أنوار الحق ، كما أن المعارف تورث أحوالاً ، وهذه الأحوال تثمر أعمالا[2] .

فالصبر إذن نتاج المعرفة وحال علم ، والعمل هو الثمرة التى يحصل عليها كنتاج لصبره .

فالإيمان صبر وسماحة وصدق وإخلاص وطاعة ، ولذلك فإن الله يضاعف أجر الصابرين على كل عمل ، والله سبحانه وتعالى يرفع جزاء الصابرين ويجزيهم أعظم الجزاء ، فيجعله بلا نهاية ولا حد .

فالصبر ثبات على أحكام الكتاب والسنة ، وترك للشكوى والتبرم وتلقى الابتلاء بالرضا والتوكل ، والإستعانة بالله وقد سأل احدهم الشبلى [3] :

وأى صبر أشد على الصابرين فقال : الصبر فى الله عز وجل فقال : لا . .

فقال الشبلى : الصبر لله قال : لا . . قال الشبلى : الصبر مع الله قال : لا . . .

---

(١) الشيخ أبوطالب المكى : قوت القلوب ، ص ٣٩٥

(٢) الإمام أبوحامد الغزالى : إحياء علوم الدين ، جزء ١٢ ص ٢١٧١ : ٢١٧٣

(٣) الدكتور/ حسن الشرقاوى : الشريعة والحقيقة ، ص ٣٠١

قال الشبلى : فأى شيء ؟ قال الصبر عن الله[1]

ويقصد الشبلى رضى الله عنه بالصبر فى الله أن العبد يصبر فى سبيل الله على ما يبتلى به من خير وشر فيجاهد فى طريق الله دون تبرم أو شكوى أو اعتراض .

أما الصبر لله فهو صبر المحب لحبيبه فيصبر العبد من أجل حب الله ، ورضا الله ، ووعد الله .

أما الصبر مع الله فهو صبر فيما يختبره الله ، ويمتحن به عبده ، فلا يخالف له أمرا ، ولا يجد لنفسه حظا ، فهو مع الله ظاهرا وباطنا . . شريعة وحقيقة .

أما أعلى درجات الصبر فهو الصبر عن الله ، وهو مقام عال ، فالسالك إلى الله انما يؤيده الله بنصر من عنده ويثبته فى حاله ومقامه ويمن عليه من أسراره وتجلياته ويفتح له أبواب المعارف والفيوضات فإذا حجبه لحظة عن هذه الأنوار الإلهية ولا يشك ولم يتبرم ، فقد صبر عن الله ، بُعد الله عنه ، بعُده عن منّن الله ، وعطايا الله ، وهبات الله ، ونظر الله ، وعلم الله .

والصبر يعلمّ الإنسان المثابرة على العمل ، والصبر والمثابرة مرتبطان بقوة الإرادة[2] فالشخص الصابر قوى الإرادة لا تضعف عزيمته ، ولا تثبط همته مهما لقى من مصاعب وعقبات ، وبقوة الإرادة يتمكن الإنسان من إنجاز الأعمال العظيمة وتحقيق الأهداف العالية .

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

(الانفال : ٦٥)

(١) أورده الإمام القشيرى : الرسالة القشيرية جزء ١ ص ٤٠٠ ـ نقلا عن د . حسن الشرقاوى المرجع السابق ص ٣٠٢

(٢) الدكتور/ محمد عثمان بخاتى : القرآن وعلم النفس ص ٢٧٠

فالصبر هو القوة الدافعة والشحنة الواقية لنا فى السلوك الإنسانى فهو يدفعنا إلى العمل الصالح والخير الفاضل ويقينا من الوقوع فى حبائل الشيطان فنقع فى الإثم والخطأ والعدوان فنضل ونشقى . إن الصبر هو المعرفة الحقة والمسلك الواقعى الذى إذا اتخذه الإنسان فى حياته شعر بقوة كبرى تسرى فى كيانه كله يستمدها من الله عز وجل وتمنحه الإحساس بأنه فى طريق الصبر حبا فى الله . . وطاعة له تعالى وطمعا فى رحمته وثوابه حيث قال الله عز وجل فى كتابه الكريم : وبشر الصابرين فيهنأ بالرضا والأمان والإستقرار النفسى وينعم بالسكينة والطمأنينة القلبية فيشعر بالسعادة النفسية والروحية[1] .

وهنا نقف وقفة حيث نعود إلى أحداث حياة هذه الفتاة ـ بطلة قصتنا ـ حيث تعرضت هذه الفتاة لموقف الصبر عن الله وابتعاد الله عنها ، فلقد مرت حياتها بألوان الإبتلاء كأى إنسان يبتليه الله بالخير والشر ، وشعرت بنعمة الله عليها كما أحست بمحن وصعاب الحياة التى قدّرها الله لها لكى تواجهها ابتلاءاً لها فتعلمت أن تشكر الله على نعمته . وتصبر على ابتلائه لها فازدادت إيمانا بالله وملأها حبها العظيم له جل جلاله أملا وإشراقة ونوراً يضىء حياتها وينير طريقها .

فكما وهب الله عز وجل هذه الفتاة نعمة الرؤ ى ونور البصيرة وأفاض عليها برؤ ية اسم الله ، ونور الله ، والملائكة ،
والرسول عليه الصلاة والسلام ، وبعض الأنبياء وغيرها من الرؤ ى الصالحة الأخرى والمشاهد العظيمة الجميلة التى لا تُنسى ابتلاها الله أيضا برؤ ية الشياطين وهمزاتهم وكشف لها ما يفعلونه للإضرار بها .

وهنا تذكرت الفتاة الكلمة التى قالها أستاذها لها فى الوقت الذى كانت تحكى له رؤ ياها عن الملائكة والشياطين حيث قال :

« هكذا أنت تسيرين فى الطريق السليم ، فإن من يسير فى الطريق الروحى لابد أن يرى الملائكة والشياطين . . فلا يمكن أن يرى الملائكة فقط أو يرى الشياطين فقط بل يرى النوعين »

(١) أثر القرآن الكريم فى الأمن النفسى ـ للمؤلفة

لقد رأت هذه الفتاة نعمة الله عليها ، ولمست حنان الله بها ، وشعرت بحبه العظيم لها حيث نجّاها الله جل جلاله من الشيطان والمس الشيطانى مما قادها إلى التأمل والتفكر فى هذا الفضل العظيم الذى منّه الله عليها فأشرقت المعرفة فى قلبها وأضافت هذه المعرفة معارف جديدة أضيفت إلى حياتها لم تكن تعرفها من قبل وأحست كأنها سائرة فى طريق مضىء . . كلما سارت فيه تعلمت أكثر . . وكلما تأملت فيه عرفت أكثر فتراقب نفسها وتقوّم سلوكها حتى تقترب أكثر . . فإن فضل الله عليها عظيما ولزاما عليها أن تسير فى طريقه مؤمنة عابدة له هو وحده ذاكرة له جل جلاله صابرة على ابتلائه حامدة شاكرة فضله العظيم مشغولة به وبحبه الذى يملأ حياتها وكيانها كله .

ونستطيع أن نتلمس ذلك كله ونستبينه من خلال السطور القادمة التى تعرض بعض الرؤى التى رأتها الفتاة عن الشياطين . . وكيف كانت لمسات حنان الله عليها عظيمة ، وآيات حبه لها شاملة ، وآثار رحمته بها واسعة تفوق كل وصف ، وأعظم من أى إحساس ، وأعمق من أى نبضة أو كلمة أو لمسة ملموسة ومشهودة .

- فى أحد الأيام رأت هذه الفتاة هذه الرؤية :

افتتحت الرؤية باسم الله ، ونور الله ، والمنظر العظيم السابق ذكره ثم رأت بأن خاطر جاءها يقول لها ما يلى :

انك ستمرى بمحنة عصيبة لمدة ٧ أيام حيث أن الله عز وجل سيبتعد عنك وسيتركك وسيذهب عنك (أى سيحجب عنك) كل هذه الرؤى والمشاهد والأنوار الجميلة التى كانت حولك ومحيطة بك وتريها ليطمئن قلبك ، وأن هذا لإبتلاء واختبار لك وهو بعُد الله عنك وسوف يكون الشيطان قريبا جدا منك لدرجة أن هذه الفتاة رأت فعلا الشيطان على بُعد خطوة منها ثم قال لها الخاطر :

عليك بالذكر الكثير . . فلن ينجيك من هذا إلا ذكر الله ، وكلما ذكرت الله كثيرا كلما اقتربت وكانت فرصتك فى النجاة كبيرة ، وإذا مرت هذه الفترة العصيبة واجتازتها بكل نجاح فإن الله سيمن عليك بفتح وفضل كبير وسيثيبك ثوابا عظيما .

وبذلك انتهت الرؤية التى رأتها الفتاة وانشغلت بها كثيراً .

وفعلا فى نفس اليوم بدأ كلام هذا الخاطر يتحقق حيث أحست بتعب وكانت تعانى من آلام فى جسدها كله فى المساء وشعرت بقرب الشيطان منها فتذكرت على الفور نصيحة الخاطر لها بالتمسك بالذكر الكثير حيث أن نجاتها فى ذكر الله .

وفعلا بدأت الفتاة تذكر وتسبّح الله كثيرا حتى رأت رؤية أخرى غريبة جدا حيث جاءها خاطرا يقول :

أن قلبها ليس مربوطا عليه فى هذه اللحظة . . !

ولم تتوقف الفتاة عن التسبيح ، ولكنها تأملت كثيراً فى هذه الجملة التى سمعتها ثم وفجأة بدأ يتبادر إلى ذهنها العديد من الأسئلة والتى يجب أن تتأمل فيها فبدأت تتساءل فى نفسها ، أمعنى هذا : إننى وفى قمة روحانياتى وأثناء المشاهدات التى يمنّ الله علىَّ بها كان يُربط على قلبى . . ؟

وهل أحسست بهذا الربط من قبل لكى أحس الآن بعدم الربط . . ؟

وما معنى أن يُربط على قلبى . . ؟

والعديد من التساؤلات الأخرى التى لا إجابة لها لدى الفتاة سوى أن تقف وقفة خشوع مليئة بالرهبة ممتزجة بلحظات من التأمل فتخرج منها بنتيجة معينة قائلة :

« إذن وأنا فى قمة روحانياتى وأثناء المشاهدات التى أشاهدها بفضل الله للأنوار والرؤى الجميلة كان يُربط على قلبى » .

فهذه هى النتيجة التى خرجت بها الفتاة وبدأت تستعيد ذاكرتها وتسترجع معلوماتها عن أن القلب هو محل الربط الإلهى وتذكرت على الفور الآيات القرآنية التى تؤكد وتثبت بأن الله عز وجل يربط على قلوب الذين آمنوا .

إذن الربط هنا مرتبط بالإيمان وهذه نتيجة أخرى تصل إليها هذه الفتاة بفضل الله وهى أنه لا يُربط إلا على المؤمنين ، وإذا ربط الله عز وجل على

قلب إنسان .. فإنما يربط على قلبه ليكون من المؤمنين وهذا فضل الله عليه ، ولنتأمل معا الآيات القرآنية :

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
(الكهف : ١٤)

﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ (الانفال : ١١)

﴿ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾
(القصص : ١٠)

وتستمر هذه الفتاة فى تأملها إلى أن يتفتح فى ذهنها شيئا هاما فتقول :

« إذن المسألة ليست مشاهد وسمع وبشائر فقط أراها وأسمعها .. حقيقى أن كل هذا فضل من عند الله ولكن من المؤكد أنه بجانب هذه المشاهد التى أراها وأسمعها هناك عمليات أخرى تُجرى فى كيانى دون أن أشعر بها أو أحس بها مثل عملية الربط الإلهى وغيرها من العمليات الأخرى التى لم يأذن الله أن تُكشف لى بعد » .

إذن الإنسان أثناء ترقيه الروحى ومشاهداته للرؤى والأحلام الجميلة والبشائر الرائعة وسماعه للخواطر التى ترد عليه .. تحدث له أيضا عمليات أخرى تُجرى فى كيانه لا يحس ولا يشعر بها ولا تُكشف له إلا بإذن وأمر من عند الله .

إن التأمل أمر ضرورى فى حياة هذه الفتاة .. إنه غذائها الروحى حيث تحيأ به فيزيدها إيمانا بالله ومعرفة به وتقربا إليه عز وجل ويملأها الخشوع والرهبة والحب والحنين والشوق للقاء الله عز وجل .

وتستمر هذه الفتاة فى تأملها وتخرج من حادثة الربط الإلهى وقلبها

ملىء بالإيمان والحب لله عز وجل . . كلها تعطش إلى المزيد من التأملات لترتوى من بحر المعرفة ولم يطل انتظارها كثيرا حتى توالت حادثة الربط الإلهى بحادثة أخرى خرجت منها الفتاة بمعرفة جديدة أضافتها إلى حياتها حيث رأت فى نفس اليوم أن مظلة بيضاء فوق رأسها وعليها إسم الله مكتوبا باللون الأبيض وبمجموعة من الجواهر البراقة اللامعة والأنوار التى لم تر مثيلها فى حياتها ثم رأت بعد ذلك بل فى نفس اللحظة شابا جميلا مرتديا ثوباً أبيضا ناصعا ولكن جاءها أنه شيطان وحاول هذا الشيطان أن يشككها فى الرؤ ية التى تراها فى هذه اللحظة (وهى رؤ ية المظلة البيضاء) قائلا لها :

« إذا صدقت هذه الرؤ ية فسيكون هناك تناقضا فى رؤ ياك حيث أن هذه الرؤ ية تتناقض مع قول الخاطر لك الذى جاءك فى الصباح »

وهنا وقفت الفتاة وقفة تأمل نريد أن نسجلها حيث نتساءل مع الفتاة :

ـ إذا كان الجان أو الشيطان كما يقول البعض يستطيع أن يستمع وينصت ويذهب ليصوّر أشياء معينة للإنسان ، وعلى إفتراض أن الشيطان سمع الفتاة وهى تحكى عن رؤ ية الخاطر فكيف عرف برؤ ية المظلة البيضاء التى تراها فى نفس اللحظة التى رأت فيها الشيطان وخاصة أن هذه الفتاة لم تتحدث بها ولم تحك عنها .

النتيجة التى نخرج بها والتى خرجت بها فتاتنا هى أن الشيطان عرف ذلك بأمر من عند الله وبسلطان من عنده سبحانه بأن عرّفه الله عز وجل ما تراه الفتاة فى الحال ثم وسوس لها الشيطان مشككا لها بمقارنته هذه الرؤ ية بالخاطر الذى جاءها فى الصباح وهنا نصل إلى أمر هام ومؤكد وهو :

أن الشيطان لا يستطيع أن يفعل شيئا لإنسان ولا يمكن أن ينفع أى عمل يعمله إلا بإذن الله وبسلطان من عند الله ولحكمة لا يعلمها إلا الله .

أما الآراء التى تؤكد وتقول بأن الجان أو الشيطان يستطيع أن يستمع وينصت لأخبار ثم يصور أشياء معينة للإنسان حول هذا الشىء الذى سمعه فإننا نختلف معهم اختلافا كبيرا حيث أنه لا سلطان له إلا بإذن الله وبأمر من

عند الله ، وأولا وأخيرا لا سلطان له على المؤمنين المخلصين وعباد الله الصالحين .

من الممكن أن يبتلى الله عباده بدخول الشيطان إليهم وينجح هذا الشيطان فى وسوسته وغوايته لهم وإصاباتهم بمس شيطانى ولكن الله ينجيهم منه ويحفظهم فإنهم مبصرون .

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) ﴾ (الاعراف : ٢٠١)

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) ﴾
(النحل : ٩٨ - ١٠٠)

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥) ﴾
(الأسراء : ٦١ - ٦٥)

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) ﴾ (المجادلة : ١٠)

﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾
(الحجر : ٤٠)

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾
(ص : ٨٣)

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾
(الحجر : ٤٢)

ويبقى أن يكون للشيطان سلطان لأوليائه فقط بأمر الله حيث أن هؤلاء أولياء الشيطان وأعوانه يحضرونهم ويعبدونهم ويصدّقونهم وشياطينهم يوحون اليهم ولكن الشيطان بريء منهم يوم الدين . والآيات القرآنية أعظم دليل وأصدق برهان على ذلك :

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾
(آل عمران : ١٧٥)

﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾
(النساء : ١١٩)

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾
(الاعراف : ٢٧)

﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾
(الاعراف : ٣٠)

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي

كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

(ابراهيم : ٢٢)

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

(النحل : ٩٩ ، ١٠٠)

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الحشر : ١٦)

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

(الانعام : ١٢١)

عرفت الفتاة بعد هذه الوقفة التأملية أن دخول الشيطان ومعرفته بالرؤ ية التى رأتها إنما كان بسلطان من عند الله ، ومن الممكن أن يكون ذلك للإختبار والإبتلاء ولأسباب أخرى لا يعلمها إلا الله وحده .

وكانت هذه معلومة جديدة ومعرفة هامة أضيفت إلى حياة هذه الفتاة فبدأت على الفور تذكر الله عز وجل وتدعوه بأن يفيض عليها برحمته وأن يبعد عنها الشيطان الرجيم ووسوسته وهمزات الشياطين واستعاذت بالله أن يحضرون ، وطلبت من الله جل جلاله أن يفيض عليها برحمته الواسعة وعطاءه الكريم ونوره الفياض إنه هو الله الرحمن الرحيم الوهاب الفياض نور السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام .

إن هذه الحادثة ذكّرت الفتاة بموقف تعرضت له عندما مرت بفترة حرجة فى حياتها واختلطت عليها الأمور وكثرت الآراء حول حالتها وسمعت

الكثير من الآراء التى كانت تستنكر حالتها الروحية معلنة بأنه من الممكن أن الجان يستطيع أن يصوّر رؤى جميلة للإنسان حيث أنه ينصت ويستمع إلى أخبار وأحداث معينة حول هذا الإنسان ويرجع فيصوّر له هذه الأخبار فى صورة رؤى .

وأرادت هذه الفتاة أن تجرى تجربة خاصة على نفسها وهى أنها احتفظت بأشياء مرتبطة بحياتها فى نفسها ولم تحك عنها أو تهمس بها حيث كان ذلك فى السر ولم يعلمه الا الله وحده . . فدعت ربها من قلبها حيث طلبت منه العون ونور البصيرة حول هذا الشىء الذى لم تعلن عنه وفى سرها ولا يعلمه إلا الله . . فكانت المفاجأة بأنه يجيئها الرد والعون حول هذا الشىء وكررت التجربة على نفسها مرارا لتتأكد وكانت نفس النتيجة .

وهنا اختلفت الفتاة مع جميع الآراء وعرفت أنه لا يمكن أن يكون لجان أو شيطان أى سلطان على أى إنسان حتى وإن استرق السمع إلا بأمر الله لأنه إذا افترضنا أنه استمع إلى شىء وصوّر صوراً معينة حول هذا الشىء . . فماذا عن الشىء الذى لم يسمعه ولم يخبر به ولم يعلمه . . ؟ وماذا أيضا عن الشىء الذى يكمن فى سر الإنسان ولا يعلم السر إلا الله . . ؟

وهنا سؤال أخر يطرح نفسه بنفسه :

إذا كانت هذه الحالة الروحية التى تحياها هذه الفتاة بفعل الجان كما يظن البعض حيث يعتقدون أن الجان يستمع إلى الفتاة وهى تحكى عن الرؤى فيذهب ليصوّر لها أشياء وأموراً بعد استماعه لهذه الرؤى . . إذا كان ذلك صحيحا فماذا عن المرحلة التى سبقت هذه الحالة أى قبل أن ترى الفتاة هذه الرؤى وتدخل فى الحالة الروحية وبالضبط عندما رأت أول رؤية دينية . . هل كان أيضا الجان هو الذى يصور لها ذلك وخصوصا أنها لم تعرف فى ذلك الوقت أنه من الممكن أن الإنسان يرى فى رؤياه رؤى دينية ويشاهد إسم الله ، ونور الله ، والرسول عليه الصلاة والسلام وغيرها من الرؤى الأخرى ، كما أنها لم تقرأ فى ذلك الوقت عن مثل هذه الحالات . . ؟

وهناك شيئا أخيرا نريد أن نسجله ونقوله للذين يستنكرون هذه الحالة :

إذا كانت هذه الحالة الروحية وهذه الرؤ ى التى تشاهدها الفتاة سواء فى المنام أو فى اليقظة بفعل الجان كما يتصور البعض لما تحققت فى الواقع لأن الشيطان لا يستطيع أن يكشف أى شىء للإنسان فهو لا يعده إلا غرورا ، ولكن الذى يحدث أن هذه الرؤ ى تتحقق بفضل الله وكل يوم ترى وتحس وتشهد هذه الفتاة فضل الله عليها وتثبت لها الأيام والأحداث بأن ما تراه حقا وما تشاهده صدقا .

وإذا كانت الرؤ ى الجميلة والمشاهد العظيمة التى تراها بفعل الجان كما يتصور بعض الناس فماذا عن رؤ ياها عن الشياطين وما يفعلونه للإضرار بها واستماعها لحوارهم ورؤ ياها لهم من خلفها هل أيضا ذلك بفعل الجان . . ؟

وماذا عن تمييز هذه الفتاة لرؤ ى الملائكة ورؤ ى الشياطين حيث أنها تستطيع بفضل الله وعونه أن تميز بين الملك والشيطان كما أنها ترى أحيانا الشيطان فى صورة جميلة ولكنها تعرف أنه شيطان وليس بملك . . هل هذا أيضا بفعل الجان . . ؟

وماذا عن رؤ يتها إسم الله ونور الله والرسول عليه الصلاة والسلام . . هل هذا أيضا بفعل الجان ؟

ان كل هذا يحدث وينكشف لهذه الفتاة بسلطان من الله وبإذن الله وأمره ومشيئته . فلا سلطان للشيطان على أحد الا بأمر الله وبإذنه سبحانه وتعالى ولحكمة لا يعلمها إلا الله .

إذن الذين يتصورون أن الجان أو الشيطان يستطيع أن يصوّر أشياءاً وصوراً لإنسان وأن يكون له سلطان عليه نقول لهم :

لا . . لم ولن يستطيع ذلك ابدا إلا بأمر الله وبسلطان منه سبحانه ولحكمة لا يعلمها إلا الله والشياطين لا يوحون إلا لأعوانهم وأوليائهم وحزبهم أما حزب الله فلا سلطان للشيطان عليهم مهما سلّط عليهم من قوى الوسوسة

والضلالة والغواية فإن الله لمنجيهم وناصرهم وحافظهم .. فإن الله وليهم ومن يكون الله وليه فهو من حزب الله .. ألا إن حزب الله هم المفلحون .

لا يمكن أن يسترق الجان السمع ويصوّر للإنسان شيئا معينا الا بسلطان من عند الله ويكون ذلك إختبارا للعبد ، والدليل على ذلك هو عندما خلق الله آدم عليه السلام وعلّمه الأسماء كلها أى علمّه أن يسمى الأشياء : هذا عصفور ، وهذا نجم ، وهذه شجرة ، وهذه سحابة ، وهذا هدهد .. إلى آخر الأسماء ، وبعد أن تعلم آدم أسماء الأشياء وخواصها ومنافعها عرض الله هذه الأشياء على الملائكة فقال :

﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾
(البقرة : ٣١)

فاعترفت الملائكة بعجزهم :

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾
(البقرة : ٣٢)

قال الله تعالى لآدم :

﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ ﴾
(البقرة : ٣٣)

قال الله تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾
(البقرة : ٣١ - ٣٣)

فإذا كانت الملائكة عباد الله ، وجنود الله وأكرم خلق الله وأفضله وهى المخلوقات السامية المقرّبة إلى الله عز وجل وتسبّحه ليلا ونهارا لا تعلم شيئا

الا بسلطان وأمر من عند الله فكيف يستطيع الجان أن يسترق السمع ويعلم شيئا والأدلة واضحة على ذلك من القرآن :

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (الحجر : ١٦ - ١٨)

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الصافات : ٦ - ١٠)

وهناك بعض الآراء التى تؤيد وتعتقد بأن الجان يعلم الغيب وعندما نناقشهم ونعترض على هذه الآراء فيجيبون معلنون أنه غيب نسبى وليس غيب مطلق ، وهذا خطأ بل وخطأ كبير والدليل على ذلك قصة سيدنا سليمان عليه السلام حيث كان يريد من الله تعالى مُلكا لا يعطيه لأحد من خلقه بعد ذلك فقال سليمان فى دعائه :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ (ص : ٣٥)

فاستجاب الله عز وجل إلى دعاء عبده سليمان ومنحه هذا المُلك حيث سخر له الجن والإنس والطير والرياح .

قال تعالى :

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (النمل : ١٧)

﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ

بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا
فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ
مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (ص : ٣٦ - ٤٠)

﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا
نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ
وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ (سبأ : ١٢)

وبالرغم من أن الجان كانوا يعملو لهذا النبى الكريم ويفعلون ما يأمرهم به إلا أنه عندما مات لم يعرفوا بموته والتى دلت على وفاته دابة الأرض التى أكلت عصاه .

قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ
مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى
ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ (سبأ : ١٤)

لا نعرف من الذى أدعى أن الجن تعلمّ الغيب . . أهو شيطان شقى ، أم جنى ساذج ، أم بشر مخدوع . . لا نعرف المسئول عن إنطلاق هذه الشائعة الخاطئة . . كل ما نعرفه إنها انتشرت واستفحلت ووجدت آذانا صاغية من بعض الناس والجن . . ولعل الناس قالوا لأنفسهم : ما دامت الجن تقوم بكل هذه الأعمال الخارقة فما الذى يمنعهم من معرفة الغيب وهو عمل خارق . . وأغفل الناس أن معرفة الغيب مسألة تستحيل على الجن والأنس والأنبياء وكل الخلائق .

لا يعرف الغيب الا صاحبه سبحانه وتعالى وحده . .

وقد قدّر الله تعالى أن يكون موت سليمان عليه السلامُ منطويا على نسف هذه الفكرة فكرة معرفة الجن للغيب .

وكان الجن يعملون لسليمان طالما هو حى . . فلما مات انكسر تسخيرهم له ، واعفوا من تبعة العمل معه .

وقد مات سليمان دون أن يعلم الجن ، فظلوا يعملون له ، وظلوا مسخرين لخدمته ولو أنهم كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين .

دخل سليمان يوما محرابه للإعتكاف والعبادة والصلاة . . ولم يكن هناك أحد يجرؤ على اقتحام خلوته فى محرابه . . وكان المحراب يقع على قمة الجبل ، وقد صنعت جدرانه على البلور الذى يكشف ما وراءه .

وجلس سليمان يوما متكئا على عصاه واستغرق فى التفكير . .

راح يذكر الله تعالى حتى غلبه النعاس .

هى لحظة واحدة وبعدها خرج ملك الموت عليه السلام من محرابه .

مات سليمان .

كان متكئا على عصاه فظل على وضعه متكئا على العصا .

ورآه الجن فظنوا أنه يصلى واستمروا فى عملهم . .

ومرت أيام طويلة .

ثم جاءت دابة الأرض ، وهى نملة تأكل الخشب ، وبدأت تأكل عصا سليمان . كانت جائعة فأكلت جزءاً من العصا .

استمرت النملة تأكل العصا أياما . . كانت تأكل الجزء الملامس للأرض ، فلما إزداد ما أكلته منها اختلت العصا وسقطت من يد سليمان . . اختل بعدها توازن الجسد العظيم فهوى إلى الأرض .

ارتطم الجسد العظيم بالأرض فهرع الناس اليه .

ادركوا انه مات من زمن ، تبين الجن انهم لا يعلمون الغيب . . وعرف الناس هذه الحقيقة أيضاً . لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا فى

العذاب المهين ، ما لبثوا يعملون وهم يظنون أن سليمان حى بينما هو ميت منذ فترة .[1]

وهناك حدث آخر يقضى على فكرة علم الجن بالغيب وهذا الحدث هو حكاية الهدهد الذى سأل عنه سيدنا سليمان عندما اكتشف غيابه ولم يكن يعرف احدا اين ذهب ولم يعرف سيدنا سليمان إلا عندما عاد هذا الهدهد وأخبره عن القوم الذين يسجدون للشمس من دون الله . لو كان الجن يعلم الغيب لأخبر سيدنا سليمان بمكان الهدهد عندما سأل عنه ، وبقصة هؤلاء القوم ، والسبب الذى ذهب من أجله هذا الهدهد إلى هناك .

ولكن كل هذا عرفه سيدنا سليمان من الهدهد عندما عاد من رحلته وليس من الجان .

والآيات القرآنية أصدق دليل على ذلك :

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾

(النمل : ٢١)

﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾

(النمل : ٢٢ - ٢٦)

فقال الهدهد :

﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ۩ ﴾

(١) أحمد بهجت : أنبياء الله ص ٢٨٩

من هذه الآيات الكريمة نتبين أن سيدنا سليمان عليه السلام عرف بقصة الهدهد مكانه من الهدهد نفسه ولم يعرفها من الجن .

وإذا تأملنا فى الآيات الكريمة يتضح لنا شيئا آخر وهو أن الهدهد كان يعرف ويؤمن بأن هناك إله واحد لا إله إلا هو رب العرش العظيم له الأمر كله وله هو وحده السجود ، وله هو وحده الإسلام ، وبه هو وحده الإيمان واستنكر الهدهد من هؤلاء القوم الذين يسجدون للشمس من دون الله وعجب واندهش كيف لا يسجدون لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم كل شىء وما يخفون وما يعلنون .

إذن الهدهد يعرف قضية الإيمان كلها ويؤمن بأن هناك إله واحد وعلى جميع المخلوقات أن تعبده هو وحده ولا تشرك به شيئا .

لقد خلق الله عز وجل الجن والإنس ووضع لهم صفات طبيعية ووظائف استمرارية يقومون بها بسلطان من عند الله ، وإذا حدث أنهم قاموا بوظائف أخرى ليست طبيعية فيهم فهى لا تحدث إلا بسلطان من عند الله . وصدق الله العظيم فى كتابه الكريم :

﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

(الرحمن : ٣٣)

وهنا نتذكر جانب آخر من قصة سيدنا سليمان عند طلبه إتيان عرش بلقيس ملكة سبأ حيث قال :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

(النمل : ٣٨)

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

(النمل : ٣٩)

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (النمل : ٤٠)

لم يكن الذى عنده علم من الكتاب يقول جملته حتى كان العرش مستقرا عند سليمان . لقد حدث هذا بسلطان من عند الله وبأمر الله وفضل الله .

. إن كل شىء فى هذه الدنيا بما فيها الصفات الطبيعية الفطرية التى خلقها الله عز وجل فى مخلوقاته لا توجد ولا تتكون الا بسلطان من عند الله وبأمر منه تعالى . . فكيف بعد ذلك يأتى البعض ليقول أن الجان يعلم الغيب وعندما نعارضه يقول : يعلم غيب نسبى . . سبحان الله عالم الغيب . . مالك الملك يهب من يشاء ويعطى من يشاء عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو .

الغيب شىء لا يعرفه سوى الله عز وجل ، ومن يشاء اطلاعهم من عباده عليه سواء أكان هؤلاء العباد من الملائكة أو الأنبياء أو البشر :

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن : ٢٧)

وليس الكشف عن الغيب متصلا بقدرة من يكشف الله له الغيب ، فإن الجن رغم قدراتهم الهائلة وخفائهم لا يعرفون الغيب كما ذكرنا فى قصة سيدنا سليمان عليه السلام أن الجان لم يعرفوا بموت سيدنا سليمان عليه السلام إلا بعد أن أكلت نملة الخشب عصاه فخر على وجهه بالرغم من أنهم كانوا مسخرون له ويعملون فى خدمته بأمر الله .

وإنما يخضعّ كشف الغيب لبعض العباد لقانون لا يعلمه سوى الله عز وجل ، هذا القانون هو مشيئته النافذة سبحانه ، وهنا نتذكر جانب آخر فى قصة سيدنا سليمان عليه السلام عندما قال :

﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾
(النمل : ٣٨)

وهنا نقف وقفة تأمل فى هذه الآية الكريمة .. كيف عرف سيدنا سليمان بأن هؤلاء القوم سيأتوه مسلمين .. لقد أدرك ذلك بأمر الله وإرادة الله وإذنه تعالى . لقد كشف الله عز وجل هنا جزءاً من الغيب لسيدنا سليمان بأن هؤلاء القوم سيأتوه مسلمين .. إذن عرف سيدنا سليمان هذا الجزء الغيبى بمشيئة الله وإرادته سبحانه هو وحده .

وتمر بنا اللحظات ونحن فى رحاب كتاب الله العظيم القرآن الكريم نتأمل فى صفحاته النورانية ونتفكر فى آياته الربانية حتى تستوقفنا قصة سيدنا عيسى عليه السلام حيث كشف الله عز وجل له أمور غائبة عن حسه ولم يعاينها ، فقد كان ينبىء صحابته وتلاميذه بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم .

﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾
(آل عمران : ٤٩)

لقد كشف الله هنا جزءاً من الغيب بمشيئته تعالى لسيدنا عيسى عليه السلام حيث عرف سيدنا عيسى عليه السلام ما كان يأكل أصحابه وتلاميذه وما يدخرون فى بيوتهم . وبالرغم من أن هذا يعتبر كشفا من الغيب أعطاه الله عز وجل لعيسى عليه السلام إلا أنه يعتبر هذا الكشف معجزة ربانية ضمن المعجزات السبع التى وهبها الله سبحانه وتعالى إلى سيدنا عيسى عليه السلام . ولكن ما هى هذه المعجزات السبع ؟

الأولى : تكليمه للناس فى المهد .

الثانية : تعليمه التوراة . وكانت التوراة التى أنزلت على موسى قد اختفت تحت ركام التحويرات والتبديلات والتفسيرات والتخريجات المتعاقبة لفقاء اليهود .

الثالثة : تصويره من الطين كهيئة الطير ثم النفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله .

الرابعة : احياؤه الموتى بإذن الله .

الخامسة : ابراؤه الأكمة (من ولد أعمى) والأبرص (المريض بجلده ولا شفاء له) بإذن الله .

السادسة : إنزال المائدة من السماء بطلب الحواريين .

السابعة : كشف جزء من الغيب له وإخباره بما يأكل أصحابه وما يدخروه فى بيوتهم .

هذه هى معجزاته السبع حدثت جميعها بإذن الله ومشيئته تسبقها معجزة ميلاده من غير أب وتليها معجزة رفعه من الأرض حيث حاولت السلطات الحاكمة صلبه .

والآيات القرآنية أعظم دليل وأصدق برهان على هذه المعجزات السبع :

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (المائدة : ١١٠ - ١١١)

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟

نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

(المائدة : ١١٢ - ١١٥)

﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

(آل عمران : ٤٩)

لقد بُعث عيسى لقوم ماديين ينكرون الروح تماما ، وينكرون البعث كلية ويزعمون أن الإنسان جسم بلا روح ، وهكذا جاءت معجزات عيسى عليه السلام إعلانا عن خطورة الروح وطلاقة المشيئة الإلهية .

والحديث عن طلاقة المشيئة الإلهية حديث فياض لا ينتهى . . تعجز الكلمات أن تصفه ، والسطور أن تشمله ، والصفحات أن تحتويه .

إن المشيئة الإلهية مشيئة مطلقة لا تقف عند حد ، والإرادة الربانية إرادة نافذة لايعجزها شىء فى السماء أو فى الأرض ، والأمر الإلهى أمر قائم به يتحقق الشىء الذى يريده الله عزوجل فيكون أمرا واقعا . . لله وحده سبحانه الأمر من قبل ومن بعد .

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

(يس : ٨٢ - ٨٣)

وطلاقة المشيئة الإلهية ، وعظمة القدرة الربانية تقودنا إلى المعجزة الكبرى التى أفاض الله عز وجل بها على عبده ورسوله الكريم محمد ﷺ ألا وهى معجزة الإسراء والمعراج ، وهى معجزة هدفها تكريم الرسول فى شخصه حيث أصدر الحق تبارك وتعالى أمره إلى الروح الأمين جبريل عليه السلام أن يصحب عبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم يصعد به فى السماء ليرى من آيات ربه الكبرى .

ومعجزة الإسراء غير معجزة المعراج . . وإن وقعا فى ليلة واحدة ووردا بعد ذلك فى سورتين مختلفتين فى القرآن الكريم :

قال تعالى عن معجزة الإسراء فى سورة الإسراء :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾

(الاسراء : ١)

وقال تعالى عن معجزة المعراج فى سورة النجم :

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾

(النجم : ١٣ - ١٨)

إن كل أنبياء الله بلا استثناء . . كانوا يؤيدون بمعجزات تقع على الأرض حتى الأنبياء الذين رفعوا إلى السماء كإدريس وعيسى جاء رفعهم إنقاذاً لهم من القتل أو الصلب . . وكانت معجزتهم فى الرفع نهاية لنشاطهم على الأرض .

وهذه هى المرة الأولى التى نلتقى فيها بمعجزة مكانها الرئيسى فى السماء . . . معجزة تتمثل فى نبى يُرفع إلى السماء بجسده وروحه وهو

حى .. وهناك يريه الله من آياته الكبرى ثم يعود إلى الأرض حيث يكون عرضة لما يتعرض له أهل الأرض من شقاء عام .

لقد كان محمد بن عبد الله .. هو أول بشر يتجاوز كوكب الأرض ويتجاوز الأقمار والشموس والنجوم والمجرات ويصعد حتى وصل إلى سدرة المنتهى .. وصل إلى قمة المنتهى ..

وصل إلى حيث ينتهى الكون المخلوق .. ويبدأ عالم الغيب .. أليست الجنة جزءا من عالم الغيب . لقد وصل إلى الجنة .. وهى جنة يسميها الله جنة المأوى .. وصل إلى مستوى تنقطع عنده علوم الخلائق ، ولا يدرى حقيقته إلا الله .

ولنبدأ القصة منذ بدايتها ..

لقد كان الزمان : ليلة الإسراء والمعراج .

اما المكان : فى بيت شريف وفقير من بيوت مكة حيث كان النبى عليه الصلاة والسلام نائما .

وجاء منتصف الليل .. وصدرت الأوامر الصامتة للسكون أن ينشر أجنحته على الصحراء ، وأن يستعين بالسلام العميق ، وبلغ السكون غاية جلاله ، صمتت طيور الليل مندهشة ، وأرهفت سمعها ، وهدأت الوحوش فى الصحراء وارتعش قلبها بالحب ، وراحت مياه زمزم تسيل برفق وبلا صوت . وكانت الرياح تطير فى صمت وقد توقفت عن الصفير وراحت هى الأخرى تستمع ، واهتز قلب الأرض بالرحمة وجبريل عليه السلام يلمس الصحراء ويدخل بيت الرسول .

وقف جبريل عليه السلام عند رأس النبى ونظر إليه بحب .

أيقظت نظرته الرسول ففتح عينيه ونهض من فراشه .

قال جبريل للنبى : السلام عليك أيها النبى الكريم .. يريد الله أن ترى بعض آياته فى الكون .

سار جبريل وسار معه النبى .

خرجا من البيت ، وهنا شاهد النبى البراق . وهو مخلوق يشبه الطائر

وله أجنحة كأجنحة النسر ، مخلوق صنع من البرق ولهذا سمى البراق والبرق كهرباء . . والكهرباء ضوء . . والضوء هو أسرع ما نعرف على الأرض من كائنات .

وهناك قانون علمى يقول : بأن شعاع الضوء يقطع فى الثانية الواحدة ١٨٦ ألف ميل ، وأى جسم يسير بسرعة الضوء يتحول إلى ضوء .

ولقد رجح بعض العلماء أن تكون قوة الضوء وسرعته قد استغلتا فى الرحلة والله وحده أعلم . . إن القرآن تجاوز وسيلة المواصلات التى استخدمت فى الرحلة إلى عمق الرحلة البعيد وهو أن يرى الرسول من آيات ربه الكبرى . وإن روت السنة المطهرة أن النبى ركب البراق .

انحنى البراق للنبى فركبه النبى ومعه جبريل ، وانطلق البراق كسهم من الضوء فوق جبال مكة ورمال الصحراء متجها إلى الشمال .

أشار جبريل إلى جبل سيناء فتوقف البراق .

قال جبريل :

فى هذه البقعة المباركة كلّم الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام .

وعاد البراق ينطلق حتى وصل إلى بيت المقدس .

هبط النبى من هذه الطائرة التى تسير أسرع من الضوء ملايين المرات ولا تتحول إلى ضوء .

سار النبى مع جبريل ودخل بيت المقدس .

دخل المسجد فوجد كل أنبياء الله ينتظرونه هناك . بعث الله صور أنبيائه من الموت وجمعهم فى المسجد الأقصى .

التف الأنبياء حول الرسول وحان وقت الصلاة . . تساءل الأنبياء بينهم وبين أنفسهم : أيهم يكون إماما لهم فى الصلاة . . هل هو آدم أم نوح أم ابراهيم أم موسى أم عيسى ؟

وقال جبريل عليه السلام لمحمد : إن الله يأمرك أن تصلى بالأنبياء .

ووقف الرسول عليه الصلاة والسلام ، وصلى بالأنبياء . . كانوا جميعا

مسلمين . من المنطقى أن يكون إماما للأنبياء . . مثلما جاء كتابه مهيمنا على ما قد سبقه من كتب .

قرأ لهم القرآن ، وبكى وهو يقرؤه ، وأبكى خشوعه الأنبياء ، وحين سجد الأنبياء وراء إمامهم ، سجدت الأشجار والنجوم .

انتهت الصلاة فاختفى الأنبياء . . عاد كل نبى إلى السماء التى يعيش فيها . خرج النبى من المسجد مع جبريل فركبا البراق .

مثل سهم من الضوء ارتفع البراق إلى أعلى . . ثم إلى أعلى . . مر على السماء الأولى فشاهد النبى آدم .

ونادى رب العالمين :
ليرتفع عبدى أكثر . .

وارتفع عبد الله محمد بن عبد الله . . تجاوز السموات سماء سماء . . تجاوزها مكانا ماديا ، وتجاوزها مكانة روحية . . كان يتهيأ ليقف فى الحضرة الإلهية ، وكان يرتفع ويترقى روحيا فى سرعة تقل عنها سرعة البرق .

تجاوز مكانة آدم عليه السلام الروحية فى السماء الأولى . . وتجاوز مكانة يحيى وعيسى عليهما السلام فى السماء الثانية .

ونادى رب العزة :
ليرتفع عبدى أكثر . .

وارتفع عبد الله ونبيه أكثر وأكثر . . تجاوز السماء الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة ، وتجاوز الكون كله مادة وروحا وجوهرا وحقيقة وواقعا وحكما وراح يرتفع . .

أخيرا وصل إلى سدرة المنتهى . .

وصل إلى المكان المقدس الذى يسميه الله تعالى سدرة المنتهى . . وهناك شاهد النبى جنة المأوى .

وشاهد ما لا نعرف ولا نفهم ولا نتصور . .

﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ (النجم : ١٦)

لقد وقع هذا المكان ما وقع له . .

بهذا الجلال الغامض الموحى ، يخبرنا الله عز وجل أن أمورا قد وقعت . . وإن كان يخفى عنا كنة ما حدث . .

هذا الذى أخفاه الله علينا . . شاهده الرسول بنفسه . . هو معجزة خاصة به . . هو درجة من درجات الحب لا يكشف الستار عنها لإرتفاعها عن مستؤى الإدراك البشرى . .

وارتفع عبد الله محمد بن عبد الله ـ ﷺ ـ أكثر . . نظر إلى جبريل عليه السلام من خلفه فوجده يقف فى مكانه مسبحاً لله . . لم يكن جبريل الآن على صورته البشرية التى شاهده النبى عليها فى الأرض . . عاد الروح الأمين عليه السلام إلى صورته الملائكية التى خلقه الله عليها . . وحدّق النبى فى جبريل عليه السلام . . وهو آية الله الكبرى التى وعد الحق أن يريه إياها .

كانت الرؤية بالقلب والعين والحواس المعروفة وغير المعروفة . . كانت رؤية واضحة . . ليس هناك حلم . . ولا استجماع ذهنى لوحدة الوجود . . ولا فترة تألق نفسانى فذ . . ولا تخيل ولا تصور . . ولا جهد ولا قصد . .

لا شىء من هذا كله ، لأن الأمر أبعد وأخطر من هذا كله . .

لقد رأى الرسول بجسده وروحه . .

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (النجم : ١٧)

وعاد النبى يرتفع أكثر . . وأكثر . .

راح يصعد حتى وقف بين يدى جبار السموات والأرض ورحمن الدنيا ورحيم الآخرة . .

سجد رسول الله لرب الكون وهو يقول :
التحيات المباركات والصلوات والطيبات لله . .

قال الحق عز وجل :
السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . .
سبّحت الملائكة بقولها :
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

هذه العبارات هى بداية التحيات التى يرددها المسلمون فى صلاتهم كل يوم . . ولقد فرضت الصلاة على المسلمين فى هذا الموقف العظيم .

كان الموقف مزيجا من الجلال والمهابة والرحمة . . شاهد النبى ورأى اشياء يعجز اللسان عن التعبير عنها ، وتفوق كل ما يحيط به فهم الإنسان وإدراكه .

ولقد تجاوز السياق القرآنى عامدا ما رآه النبى لأنه سر بين النبى وربه ، ومعجزة خاصة بالنبى وتكريم لشخصه وحده وتجاوز السياق هذا ليؤكد أنه رأى من آيات ربه الكبرى

ونحن لا نعرف ماذا رأى النبى . . كل ما نستطيعه أن نتصور أن النبى سجد خشوعا لربه وبكى من الفرح . . ذهبت أحزان قلبه إلى الأبد ، وسكنه عصفور الفرح الأزلى . .

بعد أن رأى النبى السر . .
بعد هذا التشريف والتعظيم ، عاد النبى إلى البراق وركبه وانطلق به جبريل عليه السلام عائدا إلى الأرض .

عاد فوجد فراشه لم يبرد بعد . . كيف ذهب وجاء وفراشه لم يبرد بعد . . كم من الوقت استغرقت هذه الرحلة . . الله وحده هو العليم . . كل ما نعرفه أن رسول الله ﷺ عاد إلى فراشه بعد الإسراء والمعراج . . .

قلبه هو الفرح . .
وصدره يمتلىء بسكينة راضية وفناء فى الله مستطاب[1] .

---

(١) أحمد بهجت : أنبياء الله من ص ٤٢٢ : ص ٤٢٨

أيسأل الناس بعد ذلك كيف صعد الرسول بالروح والجسد إلى قمة القمم فى السماء ثم عاد دون أن يبرد فراشه . . أى معجزة هنا تزيد على معجزة تحول النطفة إلى إنسان . . أو معجزة تحول البذرة إلى شجرة . . أو معجزة إحياء الماء للأرض أو معجزة الحب الذى يربط بين قلبين دون سابق معرفة .

نحن أمام معجزة تثير العقل والقلب معا . . يقف العقل أمامها مشدوها . . والفكر حائرا . . والقلب خاشعا حيث يتوقف الإنسان ليتساءل كيف حدث هذا ؟ كيف اخترق النبى عوالم الفضاء دون تدريب سابق ، وكم هو الوقت الذى استغرقه فى الذهاب والعودة ، وما هى سرعة البراق الذى ركبه النبى عليه الصلاة والسلام ؟

يجب على كل فرد أن يحذر ويحترس من الوقوع فى مصيدة « كيف ؟ » والتساؤل عن قدرة الله . . ومحاولة إخضاع هذه القدرة لأسبابنا المعتادة أو قوانيننا الحاكمة أو منطقنا البشرى أو مقياسنا الدنيوى .

لا داعى لأن يقف العقل مشدوها . . والفكر حائرا ويتوه الإنسان وسط بحار الأسئلة ويضيع فى زحام التساؤلات ، ويتحير من سكرات التأملات . . إنها مشيئة الله ، وإرادة الله ، وأمر الله ، وقدرة الله ، وسلطان الله ، وعظمة الله .

إن معجزة الاسراء والمعراج معجزة ربانية وما أكثر المعجزات الربانية التى وهبها الله لأنبيائه . . وهى لمسة من لمسات الحنان الإلهى على عبده ورسوله المصطفى وما أعظم لمسات الحنان الإلهى على الوجود كله . . !

إنها معجزة شملت وجمعت بين طلاقة المشيئة الإلهية وعظمة القدرة الربانية حيث تجلّت المشيئة الإلهية فى إرادة الله وإصداره تبارك وتعالى الأمر إلى الروح الأمين جبريل عليه السلام ليصعد بالنبى إلى السموات العلا ، وتبلوّرت القدرة الربانية فى تنفيذ وتحقيق هذا الأمر الإلهى ليصبح أمرا واقعا حيث أسرى بالرسول الكريم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وصُعد به إلى السموات السبع حتى وصل إلى سدرة المنتهى حيث الحضرة الإلهية وسجود النبى الكريم لرب الكون والعالمين الله الواحد لا إله إلا هو رب العرش العظيم .

وإذا تأملنا وسمحنا لأنفسنا وفتحنا الباب لعقلنا وفكرنا لأن يتعمق أكثر وتركنا القلب على فطرته وسجيته لكى يشهد ويتأمل فى هذه المعجزة الإلهية العظيمة لوجدناها معجزة تنطوى أيضا على كشف جزء من الغيب عن العالم الآخر لرسوله الكريم حيث كشف الله سبحانه وتعالى له السموات حيث تجاوزها سماء سماء ، ورأى الأنبياء جميعا ، وشاهد صورة الروح الأمين عليه السلام على صورته الحقيقية التى خلقه الله عليها ثم وصل إلى سدرة المنتهى ورأى جنة المأوى .

إذن فلقد كشف الله عز وجل لرسوله وعبده المصطفى جزءا من عالم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله وحده حيث أن جميع هذه المشاهد التى رآها الرسول ﷺ كانت غيباً بالنسبة له كما أنه رأى مشاهد اخرى وأدرك بفضل الله وأمره ومشيئته اجزاءا أخرى من هذا العالم الغيبى هو سر بين النبى وربه ولم يأذن الله أن تُكشف لنا . . فلقد رأى من آيات ربه الكبرى .

إن معجزة الإسراء والمعراج آية ربانية ودعوة إلهية تدعو القلب والعقل والفؤاد والجسد والروح والكيان كله إلى التأمل والتدبر والتبصر والتفكر . . فإذا استجاب الإنسان لهذه الدعوة الإلهية خرج منها أكثر إيمانا بالله ، وأشد خشوعا لله . . مملوءا بحب عظيم لله ولرسوله الكريم شاهدا على عظمة الله ، وقدرة الله ، ووحدانية الله .

مما سبق يتبين لنا أن معجزة الإسراء والمعراج حقا معجزة جمعت بين طلاقة المشيئة الإلهية وعظمة القدرة الربانية وكشف من الله عز وجل عن جزء من الغيب لرسوله المصطفى محمد ﷺ وفتح وفضل من رب العالمين عظيم على عبده الكريم .

وأحيانا يكشف الله طرفا من الغيب لعباده علنا كما وقع فى الكتاب المنزل على رسول الله ﷺ فى سورة الروم :

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ ﴾ (الروم : ١ - ٤)

كانت هذه النبوءة كشفا لطرف من الغيب للمسلمين ، وكان هذا الكشف يتم علانية فى كتاب الله المنزل الكريم .

واحيانا يطلع الله عباده على الغيب سرا كما حدثنا فى قصة موسى والعبد الصالح وعلم الأسرار وهو جزء من علم الشريعة .

هذا العلم غيب يستأثر الحق تبارك وتعالى به ، ويمنحه بأقدار متفاوتة لبعض عباده تحقيقا لحكمة عليا هى الرحمة .

إن موسى مسلم أسلم وجهه لله ، والعبد الصالح مسلم أسلم وجهه لله ، وكل أنبياء الله تعالى وأوليائه مسلمون أسلموا وجوههم لله .
وهناك علم يمكن أن ينكشف بنور يقذفه الله فى قلب العبد اذا صفا قلب العبد لله

ويتكرم الله عز وجل على أصحاب القلوب التى لا تشهد غيره ولا تحب سواه بالمكاشفات والأسرار وربما منع الله تعالى أو منح . . ربما قبض علمه أو بسط علمه مشيئته سبحانه وتعالى مطلقة نافذة ، والمنع والمنح ليسا بسبب من جهد العباد وإنما هما محض فضل من الله .

وليست تجارب الصوفيين ومجاهداتهم إلا تدريبات روحية لتصفية القلوب لله وبعدها ينتظرون أن يفتح الله عليهم ببعض أسراره سبحانه اذا شاء .

إن علم الأسرار سر ومميزات السر أن يحمله أقل عدد ممكن من القادرين ونحن لا نعرف عدد عباد الله الذين يختصهم الله ببعض علمه وبعض أسراره لا نعرف أين هم . . ولا من هم .

لقد كان العبد الصالح عنيفا مع موسى حين سأله أن يعلّمه . . ولم يستطع موسى أن يصبر على هذا العلم .

لقد أرسل الله تعالى موسى إلى فرعون وهو يعلم أنه سيصبر على فرعون ويهزمه بإذن الله .

وحينما أراد الله لموسى أن يتقابل مع العبد الصالح كان يعلم أنه لن يستطيع أن يصبر عليه .

ولو صبر موسى على العبد الصالح لعرفنا أسراراً كثيرة
ولكن الله تبارك وتعالى لم يشأ أن نعرف أكثر مما عرفنا
ولم يشأ سبحانه أن يعرف موسى أكثر مما عرف . .

معنى هذا أننا أمام علم لا ينكشف إلا بقدر محدود ، ولا يمنح إلا بحساب بالغ الدقة .

إذن فلا يعلم الغيب إلا الله جل جلاله ويفتح الله ويكشف بطرف من غيبه بأمره ومشيئته على من يشاء من عباده . . له الأمر فى الأولى والآخرة وبيده الأمر من قبل ومن بعد وإليه يرجع الأمر كله .

سبحان الله . . مالك الملك ذو الجلال والإكرام .

مما سبق نستبين أن كل شىء فى هذه الدنيا لا يحدث ولا يصبح حقيقة واقعة إلا بسلطان من الله وبإذن الله . . ولنتأمل فى كل صور التقدم والرقى والتكنولوجيا التى وصل اليها العلماء فى جميع المجالات إنما توصلوا إلى ذلك بفضل الله وسلطان من عند الله وبإذن الله ، ولا يستطيع أحد أن يعلم شيئا أو يكشف شيئا إلا بسلطان من الله وبإذن الله وأمره تعالى

﴿ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (ابراهيم : ١١)

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾
(الرحمن : ٣٣)

ونعود مرة اخرى لنستكمل أحداث حياة الفتاة بطلة قصتنا وإلى رؤ يتها والفترة العصيبة التى مرت بها حيث بُعد الله عنها ، واقتراب الشيطان منها فحافظت الفتاة على ذكر الله كنصيحة الخاطر لها حيث عرفت وأيقنت بأن نجاتها فى ذكر الله ومرت الأيام واجتازت هذه الفترة بخير وكان الله جل جلاله رحيما بها حيث نجاها من الشيطان مما زادها إيمانا بالله وحبا له فأكثرت من ذكره سبحانه وتعالى وحافظت على شكره عز وجل . . فتوالت

عليها المزيد من الرؤى الصالحة منة وفضلا من الله ومرت الأيام ودارت الأحداث حتى رأت فى خلال أيام متتالية بعض الرؤى البالغة الأهمية مصحوبة بحدث كبير قادها إلى مزيد من التأمل والتفكر حيث لمست رحمة الله ، وحنان الله ، وحب الله مما دعاها إلى الإكثار من ذكر الله وشكر الله .... فلنتأمل معا ما حدث لهذه الفتاة :

- فى يوم من الأيام رأت الفتاة هذه الرؤية والله أعلم :

افتتحت الرؤية باسم الله ونور الله والمنظر العظيم الذى سبق ذكره[1] ثم رأت الفتاة ما يلى حيث كانت نائمة فى حجرة مكتبها بمنزلها فشاهدت .

أن شيئا كبيرا وطويلا لا تعرف له شكلا جاء الحجرة التى هى بها ، وهذا الشىء نصفه أبيض والنصف الآخر أسود ثم لامسها هذا الشىء .

وبعدها جاءها أن هذا الشىء الذى لامسها شيطان . فتضايقت جدا ثم رأت بعد ذلك مجموعة من البنات الجميلات جئن ووضعن شعاعا من النور على جسدها . وانتهت الرؤية على ذلك .

بعد هذه الرؤية بدأت الفتاة تحس بتعب وكأن بوادر انفلونزا مقبلة عليها ولكن بعد قليل أيقنت بأن تعبها ليس انفلونزا وانما هو مس من الشيطان أصابها حيث شعرت بصداع رهيب فى رأسها يكاد يفتك بها ، واستمر هذا الصداع يتزايد لحظة بعد أخرى .

وهنا نقف وقفة تأمل لنتساءل كيف عرفت هذه الفتاة بأن ما بها مس من الشيطان ولم يكن مرضا أو بوادر انفلونزا كما ظنت فى البداية . . لقد عرفت ذلك بفضل الله وحده وبأمره سبحانه وتعالى .

ثم توالت عليها الرؤى بفضل الله بعد ذلك إلى أن حدث لها حدثا مصحوبا برؤية وهذا ما سنعرضه فى السطور التالية :

- فى يوم آخر من الأيام رأت هذه الرؤية والله اعلم :

---

(١) راجع الفصل الثانى : ص ٥٩

افتتحت الرؤ ية باسم الله ونور الله والمنظر العظيم الذى سبق ذكره ثم رأت الفتاة حيث كانت نائمة فشاهدت بأن حوضا أبيضا يشبه الحوض الذى يستعمل بالمستشفيات فى حجرتها وفيه حيوان يشبه القرد ولكنه ليس بقرد وله أربع أرجل ونائم على ظهره فى وسط الحوض . ثم رأت شابا جميلا واقفا وقال لها :

ان هذا الذى تريه وأشار إلى الحيوان . . هذا هو الذى بداخلك .
وانتهى هذا الجزء على ذلك .

بدأت هذه الفتاة بعد رؤ ية هذا الجزء تحس بتعب شديد ، واشتد عليها التعب هذه المرة بدرجة كبيرة فعزمت النية على الذهاب إلى الدكتور فى اليوم التالى :

ولكنها رأت جزءا آخربعد الجزء الأول وافتتح باسم الله ونور الله والمنظر العظيم ثم رأت ما يلى :

فلقد جاءها العلاج الذى يجب أن تتبعه وتبتعد عن الذهاب إلى الدكتور حيث سمعت خاطرا يقول لها العلاج وهو :

أن تقولى : سبحان الله . . ما شاء الله . . الله اكبر .
٧٠ مرات (على منطقة الرأس)

ثم تقرأى : سورة يس ٧ مرات
ثم تقولى مرة أخرى : سبحان الله . . ما شاء الله . . الله اكبر .
٧ مرات (على منطقة الرأس)

وبإذن الله ستشفين ولا داعى للذهاب إلى الطبيب ، وأن يكون ذلك عند الفجر وأن تعملى هذا العلاج بنفسك ولا أحد يقوم به غيرك .

وانتهت الرؤ ية على ذلك (وكان ذلك فى يوم جمعة ـ أى من المفروض ان تنفذ الفتاة هذا العلاج فى فجر السبت وهو اليوم الذى كانت تنوى الذهاب فيه إلى الطبيب) .

ومساء الجمعة استعدت الفتاة للنوم مبكرا حتى تستيقظ فى فجر السبت وعندما بدأت فى النوم رأت شيئا مرعبا حيث رأت شكلا وكأنه حيوان

ولكنه ضخم يشبه شكل العنكبوت أو الأخطبوط ولكنه ليس كذلك وله ستة أرجل كان شكله مرعبا ومخيفا إلى درجة بشعة وفظيعة ثم وجدت الفتاة أن هذا الشكل فى حجرتها ومسك رأسها من شعرها . . وهنا شعرت بالخوف والرعب ثم ذكرت الله وسبّحت فى ذلك الوقت ورحمها الله كثيرا حيث رأت فجأة أن الرسول ﷺ فى حجرتها جالسا على كرسى نورانى ومعه مصحف صغير مفتوح وبدأ حديثه بذكر الله عز وجل وتسبيحه ثم قال لها : إطمئنى أنت بخير ولن يحدث لك شىء بإذن الله وبدأ يقرأ فى المصحف ثم وجدت الفتاة نفسها تقول وتردد الكلمات التى جاءتها كعلاج لكى تقولها فى الفجر وهى سبحان الله ، ما شاء الله ، الله اكبر . . وفجأة وبعد أن قالت هذه الكلمات وجدت ثلاث بنات جميلات جدا فى حجرتها لم ترهن من قبل يرتدين زيا ناصع البياض ذوات شعر أسود طويل وعلى شعرهن يرتدين أطرحة بيضاء طويلة بطول الشعر .

ثم قلن لها : لماذا ناديتنا خير ؟ فنظرت اليهن الفتاة نظرة دهشة وإستغراب كأنها تقول لهن بأننى لم أناديكن ؟

وكان هذا معنى النظرة ولكنها لم تنطق بشىء ففهموا مغزى نظرتها فقالوا لها على الفور :

ألم تقولى : سبحان الله . . ما شاء الله . . الله اكبر .
لقد كان هذا نداء لنا .

وهنا نقف وقفة تأمل حيث نتساءل كيف عرفن هؤلاء البنات مغزى نظرة الفتاة وما يدور فى نفسها حيث أنها لم تنطق بها . . لقد عرفن ذلك بفضل الله وحده وبسلطان من عنده وأمره سبحانه وتعالى .

ثم بعد ذلك رأت الفتاة مجموعة من الطيور البيضاء فى الحجرة والأنوار ، وكل هذا والرسول عليه الصلاة والسلام يقرأ فى المصحف ثم رأت الفتاة وأثناء قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم فى القرآن وجدت هذا الشكل (الذى يشبه الأخطبوط) يتركها وبدأ يصغر ويقل حجمه إلى أن خاف وانكمش وفرّ هاربا من الحجرة .

وانتهى هذا الجزء على هذا الحد واستيقظت الفتاة قرب الفجر فى

حوالى الساعة الرابعة استعدادا للصلاة وقراءة القرآن وعمل العلاج الذى جاءها بفضل الله وحده .

وعند الفجر افتتحت الرؤ ية بسم الله ونور الله والمنظر العظيم الذى سبق ذكره حيث بدأت الفتاة تصلى ثم بدأت فى العلاج بقول : سبحان الله . . ما شاء الله . . الله اكبر ٧ مرات (على منطقة الرأس) حيث جاءها أن تبدأ بها وتنهى بها ايضا ٧ مرات ، وبعد أن ذكرت هذه الكلمات ٧ مرات بدأت فى قراءة القرآن حيث قرأت سورة يس ٧ مرات :

واثناء قراءتها لسورة يس للمرة الأولى لم تر شيئا .

وفى المرة الثانية رأت أن شيئا أبيضا يخرج من رأسها وهذا الشىء الأبيض رأته الفتاة يخرج بكمية كبيرة لدرجة أنها تضايقت فى نفسها وتساءلت فى سرها ياترى هذا البياض الذى يخرج منها معناه بأن شيئا حسنا جيدا سيخرج من حياتها وبدأت الوساوس تراودها ، وكل ذلك وهى مستمرة فى قراءتها للسورة للمرة الثانية ثم جاءها خاطرا يطمئنها قائلا :

> إطمئنى هذا البياض الذى يخرج منك هو جزء من المس الشيطانى الذى بداخلك فلابد أن يخرج هذا البياض أولا ثم يخرج الشيطان ثانيا حيث أنه جاءك متظاهرا بالبياض فى البداية .

وفعلا هنا تذكرت الفتاة الطيف الذى جاءها ولمسها وكان الجزء الأكبر منه أبيض والجزء الآخر أسود فاستراحت الفتاة لقول هذا الخاطر ثم انتهت من قراءتها للمرة الثانية .

● وهنا نقف لحظة تفكر لنتساءل كيف عرف الخاطر بما يراود الفتاة فى سرها حيث راودتها الوساوس حول الشىء الذى يخرج منها ولا يعلم السر إلا الله .

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾

(الأنعام : ٣)

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾ (التوبة : ٧٨)

﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ (الملك : ١٣)

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ ﴾ (ق : ١٦)

إذن الله وحده هو الذى يعلم الجهر والسر وما فى الصدور وأخفى من ذلك فكيف عرف وأدرك الخاطر ما يراود الفتاة من وساوس حتى استطاع أن يرد عليها ليطمئنها .

لقد علم هذا الخاطر ما فى سر هذه الفتاة وما فى نفسها بأمر الله وفضله وبسلطان منه سبحانه وتعالى .

وفى المرة الثالثة من قراءتها للسورة الكريمة لم تر شيئا .

وفى المرة الرابعة رأت أن سوادا يخرج من رأسها كوّن بقعة على الأرض أمامها .

وفى المرة الخامسة رأت ثلاثة من الفتيان أشكالهم بشعة يخرجون من رأسها وكانوا عرايا وعند خروجهم كانت ظهورهم للفتاة ولونهم أسوداً وخرجوا فى تتابع الواحد تلو الآخر يجرون وراء بعضهم إلى أن وقفوا على البقعة السوداء التى تكوّنت من خروج السواد فى المرة الرابعة فاحترقوا جميعا حيث أن هذه البقعة السوداء أحرقتهم جميعا .

ثم بدأت الفتاة تستريح بعض الشىء من التعب الذى كان يلازمها ثم بدأت فى قراءة سورة يس للمرة السادسة فلم تر شيئا .

ثم بدأت فى القراءة السابعة فوجدت أن القرد الذى جاءها منذ أيام أنه بداخلها خرج من رأسها ووجدته أمامها على نفس الحوض الذى رأته من قبل جالسا على ظهره ويضع قدمه اليمنى على اليسرى (قدما على قدم) ويخرج لها لسانه ، وفجأة جاء شعاع من النور فأحرقه تماما بإذن الله .

وهنا بدأت الفتاة تستريح وتسعد ثم انهت العلاج كما جاءها بكلمات :

سبحان الله . . ما شاء الله . . الله اكبر ٧ مرات (على منطقة الرأس)

فرأت ان دائرة من النور تحيط برأسها والحمد لله على ذلك كثيرا ، وبذلك انتهى العلاج .

بعد ذلك سجدت الفتاة لله عز وجل وشكرته كثيرا على فضله العظيم عليها والنور الكريم الذى أكرمها به وأنه أنار بصيرتها وشفاها مما كانت فيه من التعب والألم والمس الشيطانى . وأيقنت الفتاة أنها لو مكثت عمرها كله راجعة ساجدة . . حامدة . . شاكرة لله عز وجل فلن يكفى ودعت ربها بأن يتقبل ركوعها وسجودها وشكرها له وأن يلهمها دائما الرشد والصواب وينير بصيرتها ويهيئها لكى تعمل مرضاة له هو وحده .

ثم رأت بعد ذلك الفتاة ملكا كريما واقفا ومعه عصا نورانية ثم بدأ حديثه بتراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح وحمد وشكر لله سبحانه وتعالى فسجدت الفتاة لله ووضع هذا الملك الكريم العصا النورانية على رأسها فوجدت نورا يخرج من هذه العصا ويدخل فى رأس الفتاة ثم قال لها هذا الملك الكريم :

إن فضل الله عليك عظيمٌ ، ورحمته بك واسعة ، وعطفه عليك شامل فلتركعى لله كثيرا ، ولتسجدى لله كثيرا ، ولتحمد ى الله كثيرا على فضله العظيم ، ولتقولى طول اليوم كلمة :
لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين حمدا وشكرا لله عز وجل على أنه شفاك وعلى فضله العظيم لك ولا تنسى أن تقوليها دائما . . ففى أمان الله . . ورعاية الله . . وحفظ الله .

ثم رأت الفتاة بعد ذلك الرسول ﷺ وكان قد أنهى قراءته للقرآن ثم قال بعد أن بدأ حديثه بسم الله وذكر الله وحمد الله :

الحمد لله أن مرت هذه الليلة بسلام . .
فلتركعى لله كثيرا ، ولتسجدى لله كثيرا
ولتحمدى الله كثيرا على فضله العظيم
ولتقولى دائما : لاإله إلا الله والحمد لله رب العالمين .

ثم رأت الفتاة مجموعة البنات الجميلات التى كانت قد رأتهن فى بداية الرؤية يبدأن حديثهن بتراتيل معينة كلها ذكر وتسبيح لله عز وجل ثم قلن :

الآن عرفنا لماذا ناديتنا ؟
إن فضل الله عليك عظيمٌ ، ورحمته بك واسعة ، وعطفه عليك شامل .. فلتركعى لله كثيرا ، ولتسجدى لله كثيرا ، ولتحمدى الله كثيرا على فضله العظيم ولتقولى دائما :
لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين .. وفى أمان الله ورعاية الله وحفظ الله .

ثم رأت الفتاة مجموعة الطيور البيضاء تتحدث والنور الذى أمامها يتحدث ايضا ويرددون جميعا نفس الكلمات التى قالها الملك الكريم والرسول ﷺ ومجموعة البنات الجميلة .
وانتهت الرؤية على ذلك .

وشفيت الفتاة تماما من التعب الذى كان يلازمها ولم تعد فى حاجة للذهاب الى الطبيب وحمدت الله على ذلك كثيرا .

استغرقت هذه الفتاة فى لحظات طويلة من التأمل والتفكر والتبصر فى الرؤية التى رأتها وفى الحدث الذى حدث لها ثم بدأت تهتف فى نفسها قائلة :

أى لمسة حنان أكبر وأعمق من هذه اللمسة .. ؟
وأى آية حب أعظم وأشمل من هذه الآية .. ؟
وأى لحظة رحمة أرحم وأوسع من هذه اللحظة .. ؟

والله . والله إن كنوز الدنيا كلها ومتاعها لا يجعلنى أحيا وأنعم بمثل هذه النبضات من لمسات الحنان الإلهية .. وآيات الحب الربانية .. وآثار الرحمة النورانية .

ثم سجدت الفتاة لله عز وجل ودموعها تلاحقها لا تستطيع ايقافها تناجى ربها حامدة شاكرة له هو وحده ، واهبة حياتها ونفسها وطريقها كله له

هو وحده . . داعية راجية بأن يهذبها ويؤدبها ويقوّمها ويربيها ويجعلها فى الصورة التى يرضى بها عنها وأن يجعل من حولها نورا ، وخلفها نورا ، وأمامها نورا ، ويمينها نورا ، ويسارها نورا تهتدى به وألا يحرمها ابدا من فيوضات عطائه ، وإشراقات نوره ثم وجدت نفسها تردد هذه الكلمات :

اللهم اجعل قلبى يدق لك أنت وحدك . .
اللهم اجعل فؤادى ينبض لك أنت وحدك . .
اللهم اجعل عواطفى وكل ما خلقت فىّ من مشاعر وأحاسيس تتجه نحوك أنت وحدك . . . .

فأنت أنت هواى الذى يشغلنى . .
وأنت أنت حبى الذى يسعدنى . .
وأنت أنت نبضى الذى يحيينى . .
وأنت أنت أملى الذى يرضينى . .
وأنت أنت أمنى الذى يغنينى . .
وأنت أنت طريقى الذى يحفظنى . .
وأنت أنت نورى الذى يملأ حياتى . .

فأنت أنت ربى الذى يهدينى ثم يطعمنى ويسقينى واذا مرضت يشفينى . .

وأنت أنت ربى الذى يحمينى وينجينى . .
وأنت أنت ربى الذى يرحمنى والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين .

أهناك مطلب آخر يُطلب بعد هذا . . ؟
أهناك متعة اخرى تُبغى بعد هذه . . ؟

كلا . . وكلا . . وكلا . . أقولها بعرض السموات والأرض . .
اقولها بمقدار حبى لله الغنى الحميد الذى ينبض يوما بعد يوم ، ويكبر لحظة بعد أخرى . . . .

فاشهد على ياإلهى . . .
وأنت سبحانك أعظم الشاهدين . وأرحم الراحمين

إنى أهيم حبا لك
وأذوب شوقا إليك
واحترق حنينا لرؤ ياك
وأحيا على أمل أن ألقاك

فاجعلنى يارب العالمين . .
من الفائزين بقربك . .
والحائزين على رضاك . .
والمنعمين بحبك . .
اللهم آمين . .
انك انت السميع العليم الكريم . .
لا إله إلا أنت . . رب العرش العظيم .

واستمرت هذه الفتاة فى تبصرها فى آيات الله فى نفسها ، وتفكرها فى لمسات حنان الله عليها ، وتأملها فى رحمة الله بها . . تتأمل فى كل شىء صغيرا كان أم كبيرا وبدأ هذا التأمل يتسع من دائرة حياتها إلى التأمل فى الوجود . . وفى خلق الله . . وقدرة الله العظيمة حيث تتجلى عظمة الله فى خلق الخلق . . والوجود كله بدايته ونهايته ما نعرفه منه وما لا نعرفه . . شاهد على عظمة الله . . وقدرة الله . . ووحدانية الله .

لقد أصبح التأمل أمرا ضروريا عند هذه الفتاة . . فهو غذائها ونبض حياتها ، والمصباح الذى يضىء طريقها ، والشعاع الذى ينير قلبها فيزيدها إيمانا بالله عز وجل ويملأها حبا له سبحانه وتعالى طامعة فى رحمته ورضاه وعطفه وكرمه آملة فى القرب منه والفوز بلقائه جل جلاله .

وكما ان الإيمان هو نور الحياة . . . . . .
فإن التأمل هو نبض الحياة . . . . . .

الفصل العاشر

التأمل نبض الحياة

من نعم الله الكبرى علينا أن دعانا إلى التأمل والتدبر والتبصر والتفكر .

فإن التأمل فى عظمة الله يثمر التدبر فى آيات الله فى الكون ، والتبصر فى كل شىء فى أنفسنا ومن حولنا ينطق بقدرة الله ، وقوة الله ، وعظمة الله ، والتفكر فى كل ذلك يزيدنا إيمانا به سبحانه وحبا له وخشوعا منه فنتقى الله فى كل شىء ونراقب أنفسنا فى كل فعل من أفعالنا ونعرف ونوقن بأن الله يرى ويسمع والعمل الصالح يرفعه ويجزى عنه أحسن الجزاء . .

ومن مزايا القرآن الكثيرة مزية واضحة يقل فيها الخلاف بين المسلمين وغير المسلمين لأنها تثبت من تلاوة الآيات ثبوتا تؤيده أرقام الحساب ودلالات اللفظ اليسير ، قبل الرجوع فى تأييدها إلى المناقشات والمذاهب التى قد تختلف فيها الآراء . . . [1]

وتلك المزية هى التنويه بالعقل والتعويل عليه فى أمر العقيدة ، وأمر التبعة والتكليف .

ففى كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة أو مضمونة الى العقل أو إلى التمييز ولكنها تأتى عرضا غير مقصودة وقد يلمح فيها القارىء بعض الأحايين شيئا من الزراية بالعقل أو التحذير منه لأنه مزلة العقائد وباب من أبواب الدعوى والإنكار .

ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا فى مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ، ولا تأتى الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة فى

(١) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية ، ص ٣

سياق الآية ، بل هى تأتى فى كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، وتتكرر فى كل معرض من معارض الأمر والنهى التى يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه ، ولا يأتى تكرار الإشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التى يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة بل هى تشمل وظائف الإنسان العقلية على إختلاف أعمالها وخصائصها ، وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص فى مواطن الخطاب مناسباته ، فلا ينحصر خطاب العقل فى العقل الوازع ولا فى العقل المدرك ولا فى العقل الذى يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح بل يعم الخطاب فى الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنسانى من خاصة أو وظيفة ، وهى كثيرة لا موجب لتفصيلها فى هذا المقام المجمل ، إذ هى جميعا مما يمكن أن يحيط به العقل الوازع والعقل المدرك والعقل المفكر الذى يتولى الموازنة والحكم على المعانى والأشياء .

فالعقل فى مدلول لفظه العام ملكة يناط بها الوازع الأخلاقى أو المنع عن المحظور والمنكر ، ومن هنا كان اشتقاقه من مادة عقل إلى يؤخذ منها العقال ، وتكاد شهرة العقل بهذه التسمية أن تتوارد فى اللغات الإنسانية الكبرى التى يتكلم بها مئات الملايين من البشر ، فإن كلمة « ما يند » وما خرج من مادتها فى اللغات الجرمانية تفيد معنى الإحتراس والمبالاة وينادى بها على الغافل الذى يحتاج إلى التنبيه ، ونحسب أن اللغات فى فروعها الأخرى لا تخلو من كلمة فى معنى العقل لها دلالة على الوازع أو على التنبيه والإحتراس . .

ومن خصائص العقل ملكة الإدراك التى يناط بها الفهم والتصور . . . وهى على كونها لازمة لإدراك الوازع الأخلاقى وإدراك أسبابه وعواقبه تستقل أحيانا بإدراك الأمور فيما ليس له علاقة بالأوامر والنواهى أو بالحسنات والسيئات . .

ومن خصائص العقل أنه يتأمل فيما يدركه ويقلبه على وجوهه ويستخرج منه بواطنه وأسراره ويبنى عليها نتائجه وأحكامه ، وهذه الخصائص فى جملتها تجمعها ملكة الحكم وتتصل به ملكة الحكمة ،

وتتصل كذلك بالعقل الوازع إذا انتهت حكمة الحكيم به الى العلم بما يحسن وما يقبح وما ينبغى له أن يطلبه وما ينبغى له أن يأباه . . .

ومن أعلى خصائص العقل الإنسانى الرشد وهو مقابل لتمام التكوين فى العاقل الرشيد ووظيفة الرشد فوق وظيفة العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم ، لأنها استيفاء لجميع هذه الوظائف وعليها مزيد من النضج والتمام والتمييز بميزة الرشاد حيث لا نقص ولا اختلال وقد يؤتى الحكيم من نقص فى الإدراك ، وقد يؤتى العقل الوازع من نقص فى الحكمة ، ولكن العقل الرشيد ينجو به من هذا وذاك .

وفريضة التفكير فى القرآن الكريم تشمل العقل الإنسانى بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها ، فهو يخاطب العقل الوازع ، والعقل المدرك ، والعقل الحكيم ، والعقل الرشيد ، ولا يذكر العقل عرضا مقتضبا بل يذكره مقصودا مفصلا على نحو لا نظير له فى كتاب من كتب الأديان .

* * *

فمن خطابه إلى العقل عامة ـ ومنه ما ينطوى على العقل الوازع ـ قوله تعالى فى سورة البقرة :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) ﴾ (البقرة : ١٦٤)

ومنه فى سورة المؤمنون :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٨٠) ﴾
(المؤمنون : ٨٠)

ومنه فى سورة الروم :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

(الروم : ٢٥ - ٢٨)

ومنه فى سورة العنكبوت :

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

(العنكبوت : ٤٣)

ومنه ما يخاطب العقل وينطوى على العقل الوازع كقوله تعالى فى سورة الملك :

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾

(الملك : ١٠)

وفى سورة الأنعام :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾

(الانعام : ١٥١)

ومنه بعد بيان حق المطلقات فى سورة البقرة :

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ﴾

(البقرة : ٢٤٢)

ومنه فى سورة يوسف :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

(يوسف : ١٠٩)

ومنه فى سورة الحشر بيانا لأسباب الشقاق والتدابير بين الأمم :

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

(الحشر : ١٤)

وهذا عدا الآيات الكثيرة التى تبتدىء بالزجر وتنتهى الى التذكير بالعقل ، لأنه خير مرجع للهداية فى ضمير الإنسان ، كقوله تعالى فى سورة البقرة :

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(البقرة : ٤٤)

وكقوله فى سورة آل عمران :

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

(آل عمران : ٦٥)

وكقوله فى سورة المائدة :

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾

(المائدة : ٥٨)

وفى سورة الأنعام :

﴿ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الانعام : ٣٢)

وفى سورة هود :

﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى الَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (هود : ٥١)

وفى سورة الأنبياء :

﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الأنبياء : ٦٧)

وفى غير هذه السور الكريمة تنبيه الى العقل فى مثل هذا السياق يدل عليه ما تقدم فى هذه الآيات .

إن هذا الخطاب المتكرر إلى العقل الوازع يضارعه فى القرآن الكريم خطاب متكرر مثله إلى العقل المدرك أو العقل الذى يقوم به الفهم والوعى وهما أعم وأعمق من مجرد الإدراك ، وكل خطاب إلى ذوى الألباب فى القرآن الكريم فيه خطاب إلى اللب ـ هذا العقل المدرك الفاهم لأنه معدن الإدراك والفهم فى ذهن الإنسان كما يدل عليه اسمه باللغة العربية . .

﴿ وَالرَّٰسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ (آل عمران : ٧)

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَٰٓأُولِى الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (المائدة : ١٠٠)

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ (الزمر : ١٨)

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (يوسف : ١١١)

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة : ٢٦٩)

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة : ١٩٧)

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٧٩)

ومن هذه الايات نتبين أن اللب الذى يخاطبه القرآن الكريم وظيفته عقلية تحيط بالعقل الوازع والعقل المدرك والعقل الذى يتلقى الحكمة ويتعظ بالذكر والذكرى ، وخطابه خطاب لأناس من العقلاء لهم نصيب من الفهم والوعى أوفر من نصيب العقل الذى يكف صاحبه عن السوء ولا يرتقى الى منزلة الرسوخ فى العلم والتمييز بين الطيب والخبيث والتمييز بين الحسن والأحسن فى القول . .

أما العقل الذى يفكر ويستخلص من تفكيره زبدة الرأى والروية فالقرآن الكريم يعبر عنه بكلمات متعددة تشترك فى المعنى أحيانا وينفرد بعضها بمعناه على حسب السياق فى أحيان أخرى فهو الفكر والنظر والبصر والتدبر والاعتبار والذكر والعلم وسائر هذه الملكات الذهنية التى تتفق أحيانا فى المدلول ـ كما قدمنا ـ ولكنها لا تستفاد من كلمة واحدة تغنى عن سائر الكلمات الأخرى . . .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة : ٢١٩)

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (آل عمران : ١٩١)

﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الانعام : ٥٠)

﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (النحل : ١١)

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ (الروم : ٨)

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الانعام : ٦٥)

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ (الاعراف : ١٨٥)

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (يونس : ١٠١)

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ (ق : ٦)

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ (الغاشية : ١٧)

﴿ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (القصص : ٧٢)

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (السجدة : ٢٧)

﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ ﴾ (آل عمران : ١٣)

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (المؤمنون : ٦٨)

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ (ص : ٢٩)

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد : ٢٤)

﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾ (الحشر : ٢)

﴿ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾

﴿ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (الأنعام : ١٢٦)

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ (الرعد : ١٩)

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (النحل : ١٣)

﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (عبس : ٤)

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (النحل : ٤٣)

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (القصص : ٤٣)

﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (البقرة : ١٥١)

﴿ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ (البقرة : ٢٤٧)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (الانعام : ٩٧)

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾ (الزمر : ٩)

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ (المجادلة : ١١)

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (يونس : ٥)

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ (الكهف : ٦٦)

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝ ﴾ (الرحمن : ٣ ، ٤)

﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾ (العلق : ٤ ، ٥)

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ﴾ (آل عمران : ٧)

بهذه الآيات وما جرى مجراها تقررت ولا جرم فريضة التفكير فى الإسلام ، وتبين منها أن العقل الذى يخاطبه الإسلام هو العقل الذى يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأمور ويوازن بين الأضداد ويتبصر ويتدبر ويحسن الأذكار والرواية ، وأنه هو العقل الذى يقابله الجمود والعنت والضلال وليس بالعقل الذى قصاراه من الإدراك أنه يقابل الجنون . فإن الجنون يسقط التكليف فى جميع الأديان والشرائع وفى كل عرف وسُنّة ، ولكن الجمود والعنت والضلال غير مسقطة للتكليف فى الإسلام ، وليس لأحد أن يعتذر بها كما يعتذر للمجنون بجنونه ، فانها لا تدفع الملامة ولا تمنع المؤاخذة بالتقصير .

ويندب الإسلام من يدين به إلى مرتبة فى التفكير أعلى من هذه المرتبة التى تدفع عنه الملامة أو تمنع عنه المؤاخذة . فيستحب له أن يبلغه بحكمته ورشده ، ويبدو فضل الحكمة والرشد على مجرد التعقل والفهم من آيات متعددة فى الكتاب الكريم يدل عليها قوله تعالى :

﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ (البقرة : ٢٦٩)

ويدل عليها أن الأنبياء يطلبون الرشد ويبتغون علما به من عباد الله الصالحين ، كما جاء فى قصة موسى وأستاذه عليهما السلام .

والذى ينبغى أن نثوب اليه مرة بعد مرة أن التنويه بالعقل على إختلاف خصائصه لم يأت فى القرآن عرضا ولا تردد فيه كثيرا من قبيل التكرار

المعاد ، بل كان هذا التنويه بالعقل نتيجة منتظرة يستلزمها لباب الدين وجوهره ويترقبها من هذا الدين كل من عرف كنهه وعرف كنه الإنسان فى تقديره . .

فالدين الاسلامى دين لا يعرف الكهانة ولا يتوسط فيه السدنة والأحبار بين المخلوق والخالق ، ولا يفرض على الإنسان قربانا يسعى به إلى المحراب بشفاعة من ولى متسلط أو صاحب قداسة مطاعة ، فلا ترجمان فيه بين الله وعباده يملك التحريم والتحليل ويقضى بالحرمان أو النجاة ، فليس فى هذا الدين إذن من أمر يتجه إلى الإنسان من طريق الكهان ، ولن يتجه الخطاب إذن إلا إلى عقل الإنسان حرا طليقا من سلطان الهياكل والمحاريب أو سلطان كهانها المحكمين فيها بأمر الإله المعبود فيما يدين به أصحاب العبادات الأخرى . . .

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة : ١١٥)

لا هيكل فى الإسلام ولا كهانة حيث لا هيكل . . فكل أرض مسجد ، وكل من فى المسجد واقف بين يدى الله . .

ودين بلا هيكل ولا كهانة لن يتجه فيه الخطاب ـ بداهة ـ إلى غير الإنسان العاقل حرا طليقا من كل سلطان يحول بينه وبين الفهم القويم والتفكير السليم . . .

كذلك يكون الخطاب فى الدين الذى يلزم كل إنسان طائره فى عنقه ويحاسبه بعمله فلا يؤخذ أحد بعمل غيره :

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (فاطر : ١٨)

﴿ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (الطور : ٢١)

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾
(النجم : ٣٩ ، ٤٠)

فإذا كان فى الأديان دين يجتبى القبيلة بنسبها أو يجتبى المرء قبل مولده لأنه مولود فيها ، أو كان فى الأديان دين يحاسبه على خطيئة ليست من عمله ، فليس فى الإسلام إنسان ينجو بالميلاد أو يهلك بالميلاد ، ولكنه الدين الذى يوكل فيه النجاة والهلاك بسعى الإنسان وعمله ، ويتولى فيه الإنسان هدايته بفهمه وعقله ، ولا يبطل فيه عمل العقل أن الله بكل شىء محيط ، فإن خلق الإنسان للعقل لا يسلبه القدرة على التفكير ولا يسلبه تبعة الضلال والتقصير . . .

وعلى هذا النحو يتناسق جوهر الإسلام ووصاياه ، وتأتى فيه الوصايا المتكررة بالتعقل والتميز منتظرة مقدرة لا موضع فيها للمصادفة ولا هى مما يطرد القول فيه متفرقا غير متصل على نسق مرسوم فانها لوصايا منطقية فى دين يفرض المنطق السليم على كل مستمع للخطاب قابل للتعليم .

وهكذا يكون الدين الذى تصل العبادة فيه بين الإنسان وربه بغير واسطة ولا محاباة ، ويحاسب فيه الإنسان بعمله كما يهديه اليه عقله . ويطلب فيه من العقل أن يبلغ وسعه من الحكمة والرشاد .

حين يكون العمل بالعقل أمرا من أوامر الخالق يمتنع على المخلوق أن يعطل عقله مرضاة لمخلوق مثله ، أو خوفا منه ، ولو كان هذا المخلوق جمهرة من الخلق تحيط بالجماعات ووتتعاقب مع الأجيال .

والموانع التى تعطل العقل من هذا القبيل كثيرة يستقصيها القرآن الكريم كما استقصى خطاب العقل بجميع وظائفه وملكاته ، ولكنها قد تتجمع فى ثلاثة موانع كبرى بمثابة الأصول التى تتشعب منها الموانع المختلفة فمن سلم منها أوشك أن يسلم من كل مانع يحجر على عقله ويأخذ السبيل على تفكيره فلا يهتدى إلى رأى سواه .

أكبر الموانع فى سبيل العقل عبادة السلف التى تسمى بالعرف ، والإقتداء الأعمى بأصحاب السلطة الدينية ، والخوف المهين لأصحاب السلطة الدنيوية .

والإسلام لا يقبل من المسلم أن يلغى عقله ليجرى على سُنّة آبائه وأجداده ولا يقبل منه أن يلغى عقله خنوعا لمن يسخره باسم الدين فى غير

ما يرضى العقل والدين ولا يقبل منه أن يلغى عقله رهبة من بطش الأقوياء وطغيان الأشداء ولا يكلفه فى أمر من هذه الأمور شططا لا يقدر عليه إذ القرآن الكريم يكرر فى غير موضع أن الله لا يكلف نفسا ما لا طاقة لها به ، ولا يطلب من خلقه غير ما يستطيعون .

﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة : ٢٣٣)

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة : ٢٨٦)

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾

(البقرة : ٢٨٦)

وما من أحد يهتدى بعقله لا يسعه أن يرى الصواب وأن يكف عن الخطأ . فإذا قسر على نبذ الصواب واقتراف الخطأ ففى وسعه أن ينجو بنفسه من القسر حيث كان ، وفى وسعه إذا حيل بينه وبين النجاة أن يلقى الضرر الذى يجنيه عليه من يهدر كرامته ويقتل ضميره . فذلك لا ريب أهون الضررين فى هذه الحال ، ولا معنى للدين ولا للخلق إذا جاز للناس أن يخشوا ضررا يصيب أجسامهم ولا يخشوا ضررا يصيبهم فى أرواحهم وضمائرهم ، وينزل بحياتهم الباقية الى ما دون الحياة التى ليس لها بقاء وليس فيها شرف ولا مروءة . . .

وهذه الموانع كلها ـ موانع العرف والقدرة العمياء والخوف الذليل ـ إنما تقوم وتبقى قائمة ما هان على الإنسان أن يعيش بغير عقل ويرجع إليه فى أكرم مطالبه الإنسانية وهو صلاح ضميره ، ولكنها تزول على الأثر يوم يرجع الى عقله أمام كل عقبة من عقباتها . وقد يشق عليه أن يذلل تلك العقبات أو يناجزها ولكنه حق العقل عليه ولابد من حق تهون من أجله المشقة لأنها

أهون من سلب الإنسان فضيلته العليا وارتكانه الى حياة لا تعقل أو حياة تعقل ولكنها تؤثر الحطة على علمها بما هو أرفع منها(١) .

التفكر شيء ضروري فى حياة الانسان فهو كما قال صاحب المنازل :(٢)

إن التفكر طلب والتماس الغايات من مباديها

كما قال : إن التفكر تلمس البصيرة لاستدراك البغية

والتفكر والتأمل يقودان دائما إلى زيادة الإيمان وتعمير حب الله فى القلوب مما يثمر العمل الصالح . . فإن العمل الصالح هو ثمرة العلم النافع الذى هو ثمرة التفكر .

والتأمل فى القرآن غذاء روحى فى حياة الانسان ، فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبره وتعقله . وهو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر .

قال الله تعالى :

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾
(ص : ٢٩)

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد : ٢٤)

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ (المؤمنون : ٦٨)

وقال تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الزخرف : ٣)

فليس هناك شيء أنفع للعبد فى معاشه ومعاده ، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن ، وإطالة التأمل . وجمع فيه الفكر على معانى آياته فانها تطلع

---

(١) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية ، ص ١٧ ، ١٨

(٢) نقلا عن ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين ، الجزء الأول ص ٣٣٢

العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما ، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما ، ومآل أهلها ، وتضع فى يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة . وتثبيت قواعد الإيمان فى قلبه وتشيّيد بنيانه وتوطد أركانه وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار فى قلبه وتحضره بين الأمم وتريه أيام الله فيهم وتبصرّه بمواقع العبر ، وتشهده عدل الله وفضله ، وتعرفه ذاته ، وأسماءه وصفاته وأفعاله ، وما يحبه وما يبغضه ، وصراطه الموصل اليه ، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه ، وقواطع الطريق وآفاتها وتعرفه النفس وصفاتها ، ومفسدات الأعمال ومصححاتها وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون عليه وافتراقهم فيما يفترقون فيه .

إن التأمل فى القرآن الكريم يعطى للعبد الإحساس وكأنه يشهد الآخرة حتى كأنه فيها ، وتغيبه عن الدنيا حتى كأنه ليس فيها ، وتميز له بين الحق والباطل فى كل ما اختلف فيه العالم فيرى الحق حقا والباطل باطلا ، ويعطيه فرقانا ونورا يفرق به بين الهدى والضلال ، والغى والرشاد وتعطيه قوة فى قلبه ، وحياة وسعة وإنشراحا وبهجة وسرورا فيصير فى شأن والناس فى شأن آخر .

فإن معانى القرآن دائرة على التوحيد وبراهينه ، والعلم بالله وما له من أوصاف الكمال ، وما ينزه عنه من سمات النقص ، وعلى الإيمان بالرسل وذكر براهين صدقهم ، وأدلة صحة نبوتهم والتعريف بحقوقهم وحقوق مرسلهم وعلى الإيمان بملائكته ، وهم رسله فى خلقه وأمره وتدبيرهم الأمور بإذنه ومشيئته ، وعلى الإيمان باليوم الآخر وما أعد الله فيه لأوليائه من دار النعيم المطلق ، التى لا يشعرون فيها بألم ولا نكد وتنغيص ، وما أعدّ لأعدائه من دار العقاب الوبيل التى لا يخالطها سرور ولا رخاء ولا راحة ولا فرح . وتفاصيل ذلك أتم تفصيل وأبينه وعلى تفاصيل الأمر والنهى ، والشرع والقدر ، والحلال والحرام ، والمواعظ والعبر ، والقصص والأمثال ، والأسباب والحكم ، والمبادىء والغايات فى خلقه وأمره[1] .

فلا تزال معانيه تنهض العبد الى ربه بالوعد الجميل ، وتحذره وتخوفه

---

(١) ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين ، ص ٣٤٠ ، الجزء الأول

بوعيده من العذاب الوبيل ، وتحثه على التضمر والتخفف للقاء اليوم الثقيل وتهديه فى ظلم الآراء والمذاهب على سواء السبيل ، وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل وتبعثه على الإزدياد من النعم بشكر ربه الجليل وتبصرّه بحدود الحلال والحرام ، وتوقفه عليها لئلا يتعداها فيقع فى العناد الطويل ، وتثبيت قلبه من الزيغ والميل عن الحق والتحويل وتسهل عليه الأمور والصعاب والعقبات الشاقة غاية التسهيل . وتناديه كلما فترت عزماته وونى فى سيره : تقدم الركب وفاتك الدليل ، فاللحاق اللحاق ، والرحيل والرحيل ، وتحدو به وتسير أمامه سير الدليل وكلما خرج عليه كمين من كمائن العدو أو قاطع من قطاع الطريق نادته :

الحذر الحذر فاعتصم بالله ، واستعن به ، وقل حسبى الله ونعم الوكيل .

وفى تأمل القرآن وتدبره ، وتفهمه ، أضعاف أضعافا ما ذكرنا من الحكم والفوائد .

فهو أعظم الكنوز ، وأغلى الدرر . . إنه حقا هدية الله العظيم الى العالمين .

إنه البلسم الشافى لكل جراح الحياة ، والدواء العافى لكل آلام الإنسان على مرور الأيام فما من مرض من أمراض النفس والقلب والبدن إلا وفى القرآن شفاء له ، وفيه الهداية والتوجيه والإرشاد والحكمة والموعظة الحسنة والصلاح والإصلاح .

إن كلمات الله المشرقة بأنوار الهدى هى شفاء ورحمة للمؤمنين :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (الاسراء : ٨٢)

إنه السعادة الحقة للباحثين عن السعادة . . إنه الحب الأصيل والوفاء الفريد للمحبين والعاشقين المخلصين . . إنه العطاء الغزير للمحرومين ،

والمصباح المنير للتائهين ، والأمان الكبير للضائعين فى متاهات الحياة يتلمسون الطريق . . إنه الحياة الحقيقية إلى الذين ينشدون الهدوء والأمن النفسى ، ويطلبون الطمأنينة القلبية ، ويبحثون عن السعادة الروحية الكاملة .

إنه رحلة عميقة تهز القلب والنفس والروح والوجدان والكيان كله تسعد المشاعر والأحاسيس . . رحلة فى رحاب الله بين السماء والأرض تنقلك فى بساط نورانى برفق وحنان بالغ من مكان إلى مكان ، ومن قصة إلى أخرى ، وتصعد بك من نور إلى آخر حتى انك أيها العبد الصالح تفيض نورا . . فترى كل ما حولك نورا عليه إسم الله . . لا إله إلا الله .

إنه الأخلاق القويمة . . والآداب الحميدة التى يجب أن نتحلى بها ونتزود بها فتكون عونا لنا فى الطريق داعين الله عز وجل أن يوفقنا فنسير فى الطريق راجين أن نكون مع الناجين فنفوز بالفوز العظيم .

إنه طريق طويل . . ولكنه جميل . . طريق نتزود به من معرفة إلى أخرى ، ومن حكمة إلى أخرى . . إنه المعرفة التى تضىء القلوب ، والحكمة التى تحيى النفوس .

إن فى القرآن الكريم الإجابة الشافية والمعرفة الوافية لكل ما يحتار فيه الفكر ، ويتدبر فيه العقل ، وكل مايتطلبه ويحتاج إليه الإنسان فى نشأتيه الدنيوية والآخروية .

إن الحديث عن القرآن الكريم قد يطول ويطول . . ويحتاج إلى أياما أخرى غير أيامنا ، وسنينا أخرى بعد سنواتنا ، وعمرا آخر بعد عمرنا . . .

إنه حديث لا تستطيع أن تحتويه الصفحات ، ولا أن تشمله أيام عمرنا كله .

إنه حديث بدأ ولم ينته بعد . . حديث عن الحياة وما بعد الحياة . . .
إنه حديث له بداية وبلا نهاية لأننا كلما نصل إلى النهاية نجده مليئا فياضا بالعلوم النادرة والجواهر الثمينة ، والمعارف الدرية مما يجعلنا نقف فنبحث ونتأمل ونتدبر فى آيات الله الكبرى ونحاول أن نرتوى من بحر الأمان الذى لا شاطىء له فنزداد حبا لله وإيمانا به تعالى .

إن أجمل ما فى الحياة الإيمان بالله . . وأعظم ما فى الوجود حب الله . . وأروع ما فى الدنيا السير فى طريق الله . . وأحلى ما فى النفس الانسانية التحلى بما جاء به القرآن من خلق كريم ، وأدب حميد ، وسلوك عظيم فتنعم بالأمن ، وتهنأ بالسكينة وتسعد بالفيض الإلهى فى نور القرآن الكريم .

إن لمسات حنان الله كثيرة وعظيمة لا تقف عند حد . . ونبضات حب الله فياضة وشاملة لا تنفد ، والقرآن الكريم من أعظم هذه اللمسات ، ومن أجمل هذه النبضات . . إنه ومضات نورانية لا تنطفىء ، وفيوضات ربانية لا تنتهى . . ولكى ننعم بهذه اللمسات وتسعد قلوبنا بهذه النبضات يجب علينا أن نتمسك بكتاب الله ونقتدى به فيكون أنيسنا فى وحدتنا ، وجليسنا فى غربتنا ، ونورنا فى طريقنا ، ومرشدنا فى رحلتنا ، وحكمتنا فى حياتنا ، وإطمئناننا فى حيرتنا ، وأمننا عند ضياعنا ، وغذاءنا الروحى ، وشفاءنا البدنى ، وسعادتنا فى دنيانا وآخرتنا . . فهو ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا وثروتنا فى الحياة .

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع لا تحصى ، وأثنى على المتفكرين :

فقال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا ﴾ (آل عمران : ١٩١)

إن كل ما فى الوجود مما سوى الله تعالى هو فعل الله وخلقه ، وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف فيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته . وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مداداً لذلك لنفذ البحر قبل أن ينفد عشر عشيرة ولكننا نشير إلى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه .

فنقول إن الموجودات المخلوقة منقسمة إلى :

ـ ما لا يُعرف أصلها فلا يمكننا التفكر فيها ، وكم من الموجودات التى لا نعلمها كما قال الله تعالى :

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ (النحل : ٨)

وقال تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ (يس : ٣٦)

﴿ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ (الواقعة : ٦١)

ـ وإلى ما يُعرف أصلها وجملتها ، ولا يُعرف تفصيلها ، وهى منقسمة إلى ما أدركناه بحس البصر وإلى ما لا ندركه بالبصر .

أما الذى لا ندركه بالبصر ، فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسى وغير ذلك ومجال الفكر فى هذه الأشياء مما يضيق ويغمض . .

فلنعد إلى الأقرب إلى الإفهام ، وهى المدركات بحس البصر ، وذلك هو السموات السبع ، والأرض وما بينهما ، فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها فى طلوعها وغروبها ، والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها وحيوانها ونباتها .

وما بين السماء والأرض هو الجو المدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها . فهذه هى الأجناس المشاهدة من السموات والأرض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم إلى أنواع ، وكل نوع ينقسم إلى أقسام ويتشعب كل قسم إلى أصناف ، ولا نهاية لانشعاب وذلك وانقسامه فى اختلاف صفاته وهيآته ومعانيه الظاهرة والباطنة .

وجميع ذلك مجال الفكر ، فلا تتحرك ذرة فى السموات ولا فى الأرض من جماد ولا نبات ولا حيوان ولا فلك ولا كوكب إلا والله تعالى هو محرّكها ، وفى حركتها حكمة أوحكمتان أوعشر أوألف حكمة .

كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ، ودال على جلاله وكبريائه ، وهى الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث على التفكر فى هذه الآيات كما قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (آل عمران : ١٩٠)

وكما قال تعالى : ومن آياته ـ من أول القرآن إلى آخره فلنذكر كيفية الفكر والتأمل فى بعض الآيات .

فمن آياته : الإنسان المخلوق من النطفة ـ وأقرب شىء إليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما ينقضى فى الوقوف على عشر عشيرة ، وأنت غافل عنه .

وقد أمرك الله تعالى بالتدبر فى نفسك فى كتابه العزيز فقال سبحانه :

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الذاريات : ٢١)

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾
(الروم : ٢٠)

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾
(القيامة : ٣٧ ، ٣٨)

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ ﴾
(المرسلات : ٢٠ ، ٢٢)

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾
سورة يس

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ (الانسان : ٢)

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (المؤمنون : ١٢ ، ١٤)

فلنتأمل معا فى كل هذه الآيات الكريمة :

كيف جعل سبحانه النطفة علقة ، والعلقة مضغة ، والمضغة عظام .

ثم كيف قسّم أجزاء النطفة وهى متساوية متشابهة إلى العظام والأعصاب والعروق والأوتار واللحم .

ثم كيف ركبّ من اللحوم والأعصاب والعروق الأعضاء الظاهرة ، فدور الرأس ، وشق السمع والبصر والأنف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤوسها بالأصابع ، وقسمّ الأصابع بالأنامل .

ثم كيف ركبّ الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرحم والمثانة والأمعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص .

ثم كيف قسّم كل عضو من الأعضاء بأقسام أخر . فركبّ العين من سبع طبقات ، لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة ، لو فقدت طبقة منها أو زالت صفة من صفاتها ، تعطلت العين عن الأبصار ، فلو ذهبنا إلى نصف ما فى آحاد هذه الأعضاء من العجائب والآيات لا نقضى فيه الأعمار .

ثم كيف خلق عظام الرأس ، وكيف جمعها وركبها ، وقد ركبها من خمسة وخمسين عظمة مختلفة الأشكال والصور فألف بعضها إلى بعض بحيث استوى به كرة الرأس ـ فمنها ستة تخص القحف[1] ، وأربعة عشر

---

(١) القحف : إحد اقحاف ثمانية تكوّن علبه عظمية هى الجمجمة ، وفيها الدماغ

للجى الأعلى ، واثنان للحى الأسفل ، والبقية هى الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن ، وبعضها حادة تصلح للقطع وهى :
الأنياب والأضراس والثنايا .

ثم جعل الرقبة مركبا للرأس ، وركبها من سبع خرزات(١) مجوفات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات ، لينطبق بعضها على بعض ، ويطول ذكر وجه الحكمة فيها(٢) .

ثم ركبّ الرقبة على الظهر ، وركب الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة ، وركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة فتصل به من أسفله عظم العصعص وهو أيضاً مؤلف من ثلاثة أجزاء . .

ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف ، وعظام اليدين ، وعظام العانة ، وعظام العجز ، وعظام الفخذين والساقين ، وأصابع الرجلين ، فلا نطول بذكر عدد ذلك .

ومجموع عدد العظام فى بدن الإنسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظماً ، سوى العظام الصغيرة التى حشى بها خلل المفاصل ، فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة رقيقة(٣) .

وكيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهى العضلات فخلق فى بدن الإنسان خمسمائة عضلة وتسع وعشرين عضلة ، والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأغشية وهى مختلفة المقادير والأشكال بحسب إختلاف مواضعها وقدر حاجاتها ، فأربع وعشرون عضلة منها هى لتحريك حدقة العين وأجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل أمر العين ، وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وأمر الأعصاب والعروق والأوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله وشرحه

---

(١) يقصد الفقرات العظمية .
(٢) الامام الغزالى : أحياء علوم الدين (تقريب التراث) اشراف ومراجعة د . عبد الصبور شاهين
(٣) نعل فى حديث المؤلف (الأمام الغزالى فى كتاب أحياء علوم الدين ما يشير إلى تأثره بالمعارف الطبية والتشريحية التى كانت لدى الاطباء السابقين على عصره من أمثال الرازى وابن سينا .

يطول . . فللفكر مجال فى آحاد هذه الأجزاء ثم فى آحاد هذه الأعضاء ثم فى جملة البدن فكل ذلك نظر إلى عجائب أجسام البدن وعجائب المعانى والصفات التى لا تدرك بالحواس ، وإذا نظرنا إلى ظاهر الإنسان وباطنه ، وإلى بدنه وصفاته فنرى به من العجائب والصنعة ما يقضى به العجب وكل ذلك صنع الله وخلق الله .

﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون : ١٤

وإذا كان صنع الله فى الإنسان يجعل الإنسان يقف وقفة ممتزجة بالتعجب والرهبة من جمال صنع الله فيه ، وقدرته العظيمة فما أجمل صنع الله فى ملكوت السموات ، وكواكبها وما حكمته فى أوضاعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا نظن أن ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هى أحكم خلقا وأتقن صنعاً وأجمع للعجائب من بدن الإنسان بل لا نسبة لجميع ما فى الأرض إلى عجائب السموات .

وإذا عرف الإنسان طريق الفكر فى نفسه . . تفكر فى الأرض التى هى مقرة فى أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها إلى ملكوت السموات(١) .

أما الأرض فمن آياته أن خلق الأرض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا فامشوا فى مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وأرسى فيها الجبال أوتادا لها تمنعها من أن تميد ثم وسع أكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وإن طالت أعمارهم وكثر تطوافهم ، فقال تعالى :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الذاريات : ٤٧ - ٤٨)

---

(١) الامام ابى حامد الغزالى : احياء علوم الدين ، الجزء الرابع ، ص ، ٣٧٤ وما بعدها .

وقال تعالى

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾
(الملك : ١٥)

وقال تعالى :

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ (البقرة : ٢٢)

وقد أكثر فى كتابة العزيز من ذكر الأرض ليتفكر فى عجائبها فظهرها مقر للأحياء وبطنها مرقد للأموات .

قال الله تعالى :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (المرسلات : ٢٥ - ٢٦)

فإذا نظرنا إلى الأرض وهى ميتة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبتت عجائب النبات وخرجت منها أصناف الحيوانات .

ولننظر ونتأمل فى قدرة الله عز وجل كيف أحكم جوانب الأرض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف أودع المياه تحتها ففجر العيون وأسال الأنهار تجرى على وجهها وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شىء حى فأخرج به فنون الأشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفقات والأراييح يفضل بعضها على بعض فى الأكل تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة .

فإن قيل أن إختلافها باختلاف بذورها وأصولها فمتى كان فى النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كان فى حبة واحدة سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة .

ولننظر أرض البوادى ولنفتش ظاهرها وباطنها فنراها ترابا متشابها فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ألوانا مختلفة ونباتا متشابها . وغير متشابهة لكل واحد طعم وريح وشكل يخالف الآخر .

فللنظر ونتأمل فى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ثم إختلاف طبائع النبات وكثرة منافعه وكيف أودع الله تعالى العقاقير المنافع الغريبة ، فهذا النبات يغذى وهذا يقوى وهذا يحيى وهذا يقتل ، وهذا يبرد وهذا يسخن ، وهذا إذا حصل فى المعدة قمع الصفراء من أعماق العروق ، وهذا يستحيل إلى الصفراء ، وهذا يقمع البلغم والسوداء ، وهذا يستحيل إليهما وهذا يصفى ، وهذا يضعف . . فلم تنبت من الأرض ورقة ولا تبنة إلا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها(١) .

ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الأرض ففى الأرض قطع متجاورات مختلفة .

فللنظر إلى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروز وغيرها بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد ، وبعضها لا ينطبع كالفيروز وكيف هدى الله الناس إلى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الأوانى والآلات والنقود والحلى منها .

ولننظر إلى معادن الأرض من النفط والكبريت والقار وغيرها وأقلها الملح ولا يحتاج إليه إلا لتطبيب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك إليها .

فلننظر إلى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الأراضى سبحة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافى من المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول مثقال ذرة منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك إذا أكلته فيهنأ عيشك ، وما من جماد ولا حيوان ولا نبات إلا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شىء منها عبثاً ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغى وعلى الوجه الذى ينبغى وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى :

---

(١) الامام أبى حامد الغزالى : احياء علوم الدين ، ص ٣٧٥ وما بعدها .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾
(الدخان : ٣٨)

ومن آياته أصناف الحيوانات وانقسامها إلى ما يطير وما يمشى وانقسام ما يمشى إلى ما يمشى على رجلين والى ما يمشى على أربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد فى بعض الحشرات ثم انقسامها فى المنافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع فلننظر إلى طيور الجو ، ووحوش البر ، والبهائم الأهلية نرى فيها من العجائب مالا نشك معه فى عظمة خالقها وقدرة مقدّرها وحكمة مصوّرها وكيف يمكن أن يستقصى ذلك بل لو أردنا أن نذكر عجائب البقة أو النملة أو النحلة أو العنكبوت وهى من صغار الحيوانات فى بنائها بيتها وفى جمعها غذاءها وفى ألفها لزوجها وفى ادخارها لنفسها وفى حذقها فى هندسة بيتها وفى هدايتها إلى حاجاتها لم نقدر على ذلك . .

فنرى العنكبوت يبنى بيته على طرف نهر فيطلب أولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل الخيط بين طرفيه ثم يبتدىء ويلقى اللعاب الذى هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يغدو إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانياً وثالثاً ويجعل بُعد ما بينهما متناسبا تناسباً هندسياً حتى إذا أحكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه إلى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعى فى جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد فى زاوية مترصداً لوقوع الصيد فى الشبكة فإذا وقع الصيد بادر إلى أخذه وأكله فإن عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفى الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقى منكسا فى الهواء ينتظر ذبابة تطير فإذا طارت رمى بنفسه إليه فأخذه ولف خيطه على رجليه وأحكمه ثم أكله ، وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب مالا يحصى .

هل تعلّم هذه الصنعة من نفسه أو تكوّن بنفسه أو كونه آدمى أو علمّه أو لا هادى له ولا معلم . . أفيشك ذو بصيرة فى أنه مسكين ضعيف عاجز . .

بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف أفلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته عجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم . . فالبصير يرى فى هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الألباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب أيضاً لا حصر له فإن الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنسها بكثرة المشاهدة نعم إذا رأى حيوانا غريباً ولو ودوداً تجدد تعجبه وقال :

سبحان الله ما أعجبه

والإنسان أعجب الحيوانات وليس بتعجب من نفسه بل ولو نظر إلى الأنعام التى ألفها ونظر إلى أشكالها وصورها ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التى جعلها الله لباسا لخلقه وأكفانا لهم فى ظعنهم وإقامتهم وآنية لأشربتهم وأوعية لأغذيتهم وصوانا لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبوادى والمفازات البعيدة لأكثر الناظر من حكمة خالقها ومصورها فإنه ما خلقها إلا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إياها فسبحان من الأمور مكشوفة فى علمه من غير تفكر ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير ، فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق إلا الإذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والإقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن ذا الذى يحصى ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وإنما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بهدايته ورأفته .

ومن آياته البحار العميقة المكتنفة لأقطار الأرض التى هى قطع من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض حتى أن جميع المكشوف من البوادى والجبال من الماء بالاضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة فى بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء .

ومن عجائب البحر ما فيه من الحيوان والجواهر أضعاف عجائب

ما تشاهده على وجه الأرض كما أنس سعته أضعاف سعة الأرض ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها فى البحر فتظن أنها جزيرة فينزل الركاب عليها فربما تحس بالنيران إذا اشتعلت فتتحرك ويعلم أنها حيوان وما من صنف من أصناف حيوان البر من فرس أو طير أو بقر أو إنسان إلا وفى البحر أمثاله وأضعافه وفيه أجناس لا يعهد لها نظير فى البر ، وقد ذكرت أوصافها فى مجلدات وجمعها أقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجائبه .

ولننظر ونتأمل كيف خلق الله اللؤلؤ ودوره فى صدفة تحت الماء ، وكيف أنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وإنما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر ولنتأمل ما أعداه من العنبر وأصناف النفائس التى يقذفها البحر وتستخرج منه .

ولننظر أيضاً إلى عجائب السفن وكيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الأموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتحمل أثقالهم ثم أرسل الرياح لتسوق السفن ثم عرّف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ، ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله فى البحر فى مجلدات ، وأعجب من ذلك كله ما هو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الأجزاء كأنه شىء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للإنفصال والإتصال به حياة كل ما على وجه الأرض من حيوان ونبات وإنسان .

ولنتأمل فى عجائب المياه والأنهار والآبار والبحار . . ففيها متسع للفكر ومجال ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة من جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها[1] .

ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الأرض

لا يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة فى جو السماء ومستبقة

---

(١) الامام ابى حامد الغزالى ، احياء علوم الدين ، ص٤٨ وما بعدها (الجزء الرابع)

سباحة فيه بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر فى الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج البحر فإذا حرك الله الهواء وجعله ريحا فإن شاء جعله نشراً بين يدى رحمته كما قال سبحانه :

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ ﴾ (الحجر : ٢٢)

فيصل بحركته روح الهواء إلى الحيوانات والنباتات فتستعد للنماء وإن شاء عذابا على العصاة من رقته كما قال تعالى :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القمر : ١٩ - ٢٠)

ولننظر إلى لطف الهواء ثم شدته وقوته . . كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص فى الماء لأن الهواء ينقبض عن الغوص فى الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة فى الهواء اللطيف .

ولننظر إلى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والأمطار والثلوج والشهب والصواعق فهى عجائب ما بين السماء والأرض وقد أشار القرآن إلى جملة ذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

(الدخان : ٣٨)

وهذا هو الذى بينهما وأشار إلى تفصيله فى مواضع شتى حيث قال تعالى :

﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة : ١٦٤)

ولنتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف نراه يجتمع فى جو صاف لا كدورة فيه ، وكيف يخلقه الله تعالى إذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له فى جو السماء إلى أن يأذن الله فى إرسال

الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذى أراده الله تعالى وعلى الشكل الذى شاءه فترى السحاب يرش الماء على الأرض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة بأخرى بل تنزل كل واحدة فى الطريق الذى رسم لها لا تعدل عنه فلا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم حتى يصيب الأرض قطرة قطرة فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يخلقوا منها قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل منها فى بلدة واحدة أو قرية واحدة لعجز حساب الجن والانس عن ذلك فلا يعلم عددها إلا الذى أوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الأرض ولكل حيوان منها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب .

ومكتوب على تلك القطرة بخط إلهى لا يدرك بالبصر الظاهر إنها رزق الدودة الفلانية التى فى ناحية الجبل الفلانى تصل عاليها عند عطشها فى الوقت الفلانى .

هذا مع ما فى انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفى تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجائب التى لا تحصى . . كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهرة ما لأحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس للمؤمنين من خلقه إلا الإستكانه والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا للعميان الجاحدين إلا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور إنما ينزل الماء لأنه ثقيل بطبعه وإنما هذا سبب نزوله ويظن أن هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها ، ولو قيل له ما معنى الطبع ، وما الذى خلقه ، ومن الذى خلق الماء الذى طبعه الثقل ، وما الذى رقى الماء المصبوب فى أسافل الشجر إلى أعالى الأغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى إلى أسفل ثم ارتفع إلى فوق فى داخل تجاويف الأشجار شيئاً فشيئاً بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر فى جميع أطراف الأوراق فيغذى كل جزء من كل ورقة ويجرى إليها فى تجاويف عروق شعرية صغار يروى منه العرق الذى هو أصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود فى طول الورقة عروق صغار فكأن الكبير نهر وما انشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواق أصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى تنبسط فى جميع عرض الورقة فيصل الماء فى أجوافها إلى

سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويزينها وتبقى طراوتها ونضارتها وكذلك إلى سائر أجزاء الفواكه فإن كان الماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق فإن كان ذلك بجذب جاذب فما الذى سخر بذلك الجاذب وإن كان ينتهى بالآخرة إلى خالق السموات والأرض وجبار الملك الملكوت . . فلم لا يحال عليه من أول الأمر فنهاية الجاهل بداية العاقل .

ومن آياته ملكوت السموات والأرض وما فيها من الكواكب :

وهو الأمر كله ومن أدرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالأرض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالإضافة إلى السموات قطرة فى بحر وأصغر ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم فى كتابه فما من سورة إلا وتشتمل على تفخيمها فى مواضع وكم من قسم فى القرآن بها كقوله تعالى :

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ ﴾ (البروج : ١)

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ ﴾ (الطارق : ١)

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾ (الذاريات : ٧)

﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ ﴾ (الشمس : ٥)

وكقوله تعالى :

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ ﴾ (الشمس : ١ - ٢)

وكقوله تعالى :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ ﴾
(التكوير : ١٥ ، ١٦)

وكقوله تعالى :

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾ (النجم : ١)

ولنتأمل ونتفكر كثيراً بما أقسم الله تعالى به وأحال الأرزاق عليه وأضافها إليه فقال تعالى :

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الذاريات : ٢٢)

فأى نسبة لجميع البحار والأرض إلى السماء وهى متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير إلى أن يبلغ الكتاب أجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فال :

﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ (الأنبياء : ٣٢)

وقال سبحانه :

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ ﴾ (النبأ : ١٢)

وقال :

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ ﴾
(النازعات : ٢٧ ، ٢٨)

فلننظر إلى الملكوت لنرى عجائب العز والجبروت ، وليس معنى النظر إلى الملكوت ، بأن يمد الانسان البصر فيرى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها . . فإن كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى إبراهيم بقوله :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
(الأنعام : ٧٥)

لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الأبصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت . .

والله تعالى عالم الغيب والشهادة ، وجبار الملك والملكوت ، ولا يحيط أحد بشىء من علمه إلا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول .

فلنتأمل بفكرنا فى ملكوت الله عسى أن يفتح الله لنا أبواب السماء فنجول بقلوبنا فى أقطارها إلى أن يقوم القلب بين يدى عرش الرحمن .

ولنتفكر كثيراً وننظر فى السماء وفى كواكبها وفى دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤ بها فى الحركة على الدوام من غير فتور فى حركتها ومن غير تغير فى سيرها بل تجرى جميعاً فى منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطويها الله تعالى طى السجل للكُتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل إلى الحمرة ، وبعضها إلى البياض وبعضها إلى اللون الرصاصى .

ولننظر إلى مسير الشمس فى فلكها فى مدة سنة ثم هى تطلع فى كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولا طبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فكيف جعل الله تعالى الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر إلى إيلاجه الليل فى النهار ، والنهار فى الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص ولننظر أيضاً إمالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فإذا انخفضت الشمس من وسط السماء فى مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء وإذا استوت فى وسط السماء اشتد القيظ وإذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات لا مطمع فى إحصاء عشر عشير جزء من أجزائها .

وعلى طريق الفكر والتأمل نصل إلى أن ما من كوكب من الكواكب إلا ولله تعالى حكم كثيرة فى خلقه ثم فى مقداره ثم فى شكله ثم فى لونه ثم فى وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التى بجانبه ، ولنتذكر هنا أعضاء بدن الإنسان إذ ما من جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة .

• وأمر السماء أعظم بل لا نسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لا فى كبر جسم ولا فى كثرة معانيه وإنما فى التفاوت الذى بينهما فى كثرة المعانى بما بينهما من التفاوت فى كبر الأرض .

فإنه من كبر الأرض واتساع أطرافها مالا يقدر آدمى على أنْ يدركها ويدور بجوانبها وقد اتفق الناظرون على أن الشمس مثل الأرض مائة ونيفا وستين مرة ، وفى الأخبار ما يدل على عظمها ثم الكواكب التى تراها أصغرها مثل الأرض ثمانى مرات وأكبرها ينتهى إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض وبهذا نعرف ارتفاعها وبعدها إذ للبعد صارت تُرى صغارا ولذلك أشار الله تعالى إلى بُعدها فقال :

﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ ﴾ (النازعات : ٢٨)

وفى الأخبار أيضاً أن ما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام . . فإذا كان مقدار كوكب واحد مثل الأرض أضعافاً فانظر إلى كثرة الكواكب ثم انظر إلى السماء التى الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمها وسرعة حركتها والإنسان لا يحس بحركتها فضلا عن إدراك سرعتها ولكن لا يشك الإنسان أنها فى لحظة تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك فى هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام والإنسان غافل عنه .

لا شك أن فكر المتفكرين يستفاد منه استفادة كبرى وهى معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته ، وكلما استكثر الإنسان من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفته بجلاله وعظمته أتم فالتأمل فى خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل ما فى الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى أبداً وإنما لكل عبد منهما بقدر ما رزق ويقود التأمل المتفكرين إلى حقيقة هامة وهى أن التأمل فى خلق الله هو إحسان من الله إليهم ، وإنعام عليهم . . فما من ذرة فى السماء والأرض إلا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدى بها من يشاء . . فمن نظر فى خلق الله وتأمل فيه وعرف هذه الأمور من حيث أنها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى به ، ومن نظر فيها قاصر النظر عليها من حيث تأثير بعضها فى بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الأسباب فقد شقى وضل .

فلنتأمل جميعاً فى خلق الله ونتفكر ونتدبر ونتبصر فى جمال صنع الله ونقول مع المتفكرين :

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾ (آل عمران : ١٩١)

إن نعمة الله علينا عظيمة لا تعد ولا تحصى ومن أكبر النعم التى أنعم الله بها علينا أن دعانا إلى التأمل والتدبر والتفكر والتبصر .

والقرآن الكريم هدية الله إلى العالمين دعوة صريحة واضحة شاملة إلى التبصر فى أنفسنا ، والتأمل والتفكر فى كل شىء من حولنا . .

فلقد تضمن القرآن الكريم من العلوم والمعارف ما يضىء لنا الحياة ويجيب على كل ما نفكر وتحتار فيه عقولنا فيكون مصباحاً منيراً . . ونبراسا مضيئاً لنا فى الطريق . . فهو أصل كل العلوم . . فيه كل ما يتطلبه ويحتاج إليه الإنسان فى نشأتيه الدنيوية والآخروية .

ولم تقتصر الدعوة الإلهية على التأمل والتفكر فى الكون فقط وإنما امتدت لتشمل الإنسان نفسه ، فلقد حث القرآن الكريم الإنسان على التفكير فى نفسه ، وفى عجب خلقه ودقة تكوينه ، وهو بذلك يدفع الناس إلى دراسة النفس ومعرفة أسرارها . . فمعرفة النفس تؤدى إلى معرفة الله سبحانه وتعالى .

وفى هذا المعنى قال النبى صلوات الله عليه وسلامه :

(من عرف نفسه فقد عرف ربه) .

وقال أيضاً : (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه)[1]

وفضلا عن ذلك فإن معرفة الإنسان لنفسه تساعده على ضبط أهوائها ، ووقايتها من الغواية والانحراف ، وتوجيهها إلى طريق الإيمان والعمل الصالح والسلوك السليم مما يهىء للإنسان الحياة الآمنة المطمئنة ويحقق له السعادة فى الدنيا والآخرة[2] .

---

(١) عن ابى حامد الغزالى ـ معارج القدس فى مدارج معرفة النفس ، ص ٦ ـ بيروت ، دار الآفاق الجديدة ١٩٧٥ .

(٢) الدكتور محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس ، ص ١٩

فالإسلام ينظر إلى نفس الإنسان على أنها مستودع قوى الكون الذى يعيش فيه الإنسان فهى أقوى من الوجود المادى ببحاره وأنهاره وأمواجه وأبراجه وزلازله وبراكينه وسيوله وأعاصيره ، فالمؤمن الذى يطيع ربه يكون ربانيا يقول للشىء كن فيكون .

ففى كتاب الله دعوة صريحة إلى التأمل والتبصر فى النفس الإنسانية وما تنطوى عليه من أسرار وآيات ، ولقد ذكرت فى القرآن الكريم قرينة لآفاق الكون فى أكثر من موضع :

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾
(الذاريات : ٢٠ ، ٢١)

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ (فصلت : ٥٣)

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ (الروم : ٨)

وآخر الأمر أن الله يدع التغيير للنفس الانسانية :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : ١١)

ولعل هذه الآيات دعوة للإنسان إلى أن يتبصر أمر نفسه وأن يعرف أسرارها وخفاياها وهذه دعوة صريحة عن طريق العرض والث والعتب على التقصير فى تحصيل الفائدة من هذا التبصر والتأمل والإدراك [١] .

والقلب هو المقياس الدقيق لمعرفة النفس ، فهو الذى يفقه من الانسان بل هو الذى تعرف به حقائق الأشياء .

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (الأعراف : ١٧٩)

﴿ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (التوبة : ١٢٧)

---

(١) الدكتور محمد كمال جعفر : الريادة الاسلامية فى علم النفس ـ مجلة التصوف الاسلامى العدد ٣٠ ، ١٩٨١ ، ص ٢٤ .

لقد اتضح أهمية الإيمان لتحقيق الأمن النفسى . . والقلب مستقر هذا الإيمان :

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات : ٧)

﴿ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٤)

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ (المجادلة : ٢٢)

والقلب هو محل الطمأنينة :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد : ٢٨)

وطمأنينة القلب تكون بالإيمان :

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ (النحل : ١٠٦)

وهو محل السكينة :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ (الفتح : ٤)

وهو محل الألفة والحب :

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ (الانفال : ٦٣)

وهو محل التقوى :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الحج : ٣٢)

وهو محل الرأفة والرحمة :

﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ (الحديد : ٢٧)

وهو محل السلامة :

﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الصافات : ٨٤)

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء : ٨٩)

وهو محل الإنابة :

﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ (ق : ٣٣)

وهو محل الذكرى :

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ (ق : ٣٧)

وهو محل الوجل :

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الحج : ٣٥)

وهو محل الخشوع :

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (الحديد : ١٦)

والقلب هو محل الربط الالهى :

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾
(الكهف : ١٤)

﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ (الانفال)

كل ذلك يدل على أن القلب هو مستودع سر الله ومستقر غيبة فى الإنسان ، وأنه محل الفقه فى الإنسان :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ (الحج : ٤٦)

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد : ٢٤)

﴿ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (المنافقون : ٣)

﴿ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ (الاسراء : ٤٦)

فالقلب هنا هو مشرق الأنوار ومهبط الأسرار ومن ذلك المعنى جاء قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ (التغابن : ١١)

وهداية القلب إلهام وتوجيه وكشف وشهود ومعارف وسمو وترق فى معارج القرب لتحقيق معنى السير فى طريق الله والهجرة اليه .

ولعل مما يكشف بعض سر القلب وكيف أنه خزينة النور الأقدس قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ (الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤)

فالقلب بهذه المنزلة هو الذى يفقه وهو مرآة ومقياس النفس فكلما كانت النفس محمودة ازداد القلب إجلالا وإشراقا بالإيمان ونورا وضياءا فيتلألأ فيه الحق ، وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه »(١)

وكذا قوله صلى الله عليه وسلم :

« من كان قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ »(٢) .

وأيضا فى الحديث الشريف :

« إذا أراد الله بعبد خيرا فتح له قفل قلبه وجعل فيه من اليقين والصدق وجعل قلبه واعيا سلك فيه وجعل قلبه سليما ولسانه صادق وخليقته مستقيمة وجعل أذنه سميعة وعينه بصيرة »(٣) .

---

(١) ذكره أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أم سلمة

(٢) ذكره الامام الغزالى فى إحياء علوم الدين ج ٨ ص ١٣٥٨

(٣) رواه أبو الشيخ أبو ذر الغفارى

إذن نستطيع أن نستخلص من ذلك كله أن الإنسان المؤمن يسير فى طريق الله مطمئن النفس . . ساكن القلب . . فالسكينة هدوء ورضا تسكن بها النفس مع طمأنينة القلب والقلب المطمئن يزداد ثباتا وثقة فى طريقه . . طريق الله .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ (الفتح : ٤)

﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ (الفتح : ١٨)

إن الذى يعرف الطريق إلى الله هو الإنسان السليم القلب المطمئن النفس من الأصفياء الأتقياء الذين يبشروا فى دنياهم وآخرتهم .

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾
(ال عمران : ١٢٦)

﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ (يونس : ٦٤)

ولقد أودع الله سبحانه وتعالى من الأسرار الخفية فى القلب ما يكشف حقيقة الإنسان والسبيل الذى يسلكه ، فهو جهاز شفاف نورانى زوّد الله به الإنسان ليميز به بين الحق والباطل ، ويفرق به بين الصواب والخطأ ، ويوضح له طريق الهُدى من طريق الضلال .

فاذا اتبع الإنسان طريق الهُدى ولم ينس الله . . يملأه حب الله ، ويحترق فؤاده شوقا إلى الله . . مشغولا بذكر الله . . منشغلا بمراقبة نفسه فى كل شىء مرضاة لله وحده . . يمن الله عليه من الفتوحات والبركات ما يطمئن نفسه ، ويثلج صدره فينفتح جهاز قلبه النورانى بأمر الله فيسبح فى دائرة النور الإلهى ، وينتقل من سماء إلى أخرى تصاحبه الملائكة وأنبياء الله ويرى ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وتتفتح عليه

تجليات كبرى وكشوفات عظمى هى فتح وفضل من عند الله ويمن الله عليه بالسكينة والإطمئنان القلبى والسلام الروحى والأمن النفسى .

إما إذا اتبع الإنسان طريق الضلال ونسى الله ، وانشغل بالشهوات والهوى والنزوات والماديات غُطى على هذا الجهاز النورانى حتى أصبح بلا بصيرة ، وبلا نور ، وبلا إطمئنان وبلا سكينة فيشقى الإنسان ويحيا حياة الحيرة والقلق النفسى وتنعدم البركة من حياته ويهرب الخير من طريقه .

والقلب الإنسانى الذى يملأه حب الله ، ويسكنه نور الله ويشغله ذكر الله . . هذا القلب النورانى يدعو الإنسان دائما إلى التأمل ، ويقوده إلى التفكر ، ويعلّمه التدبر ، ويحثه على التبصر فى كل شىء من حوله صغيرا كان أم كبيراً مرشداً وموجها له بضرورة الإخلاص وأهمية الصدق والصفاء فى تأملاته فيمن الله على هذا القلب النورانى بفتح أبواب له على طريق الفكر والتأمل فيهديه إلى سبيل الله .

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ (العنكبوت : ٦٩)

إذن القلب هو مرآة الإنسان ، وإذا امتلأ القلب بالإخلاص والصدق ، وأصبحت كل لحظة فى حياته تحكى عن قصة حب لله والنبضات بآثار هذا الحب . . تلألأت وأشرقت الأنوار عليه وفتحت له بأمر الله أبواب التأمل والتفكر مما يثمر عن معارف جديدة هى فضل من عند الله وحده .

والفتاة ـ بطلة قصتنا ـ يملأها الإيمان بالله ، تعيش قصة حب لله العلى العظيم ينبض به قلبها فى كل لحظة . . هدفها هو الله . . رجاؤها هو الله . . أملها هو القرب من الله .

وهذا الحب الذى تحياه الفتاة يأمرها فى كل لحظة بأن تفتح باب التأمل . . فتقف وقفات خاشعة من التفكر والتدبر فى جمال صنع الله ، والتبصر فى آيات الله فى نفسها ومن حولها ، والتأمل فى كل شىء صغيراً كان أم كبيراً فتشهد عظمة الله ، وقدرة الله ، وجمال الله وجلاله فتسجد بأمر الله سجودا خاشعا صافيا قائلة فى كل لحظة بقلبها وكل ذرة فى كيانها تنطق معها :

« سبحان الله الخالق

وتبارك الله احسن الخالقين .

تباركت ربنا وتعاليت .

فسبحانك ربى رب العرش العظيم » .

وتبدأ الفتاة تستجيب للدعوة التى تهزها وتهز كيانها كله فتفتح باب التأمل ، وتسير فى طريق التفكر والتدبر والتبصر فى كل شىء ويمّن الله عليها بفضل عظيم ومعارف هى فتح من عنده وحده .

وتسير الفتاة فى تأملاتها حتى أصبحت تؤمن بأن التأمل هو نبض الحياة . . هو الحب . . هو الإيمان . . هو المعرفة . . فالحب يولدّ الرغبة فى المعرفة . . فإذا عرفت تأملت ، وإذا تأملت اقتربت ، وإذا اقتربت أحسست بنبض الحياة وقيمتها وحلاوتها فازددت إيمانا وقربا وحبا للخالق المبدع الذى أحسن صنع كل شىء رب العالمين رب العرش العظيم .

فالفتاة تحس بل وتوقن بأنه لا قيمة للحياة دون التأمل فى كل شىء يجرى فيها ولذلك فهى لا تحب أن تترك الأحداث تمر هكذا دون أن تتأمل فيما حدث فتتعلم منه وتلمس حب الله وحنانه ونعمته عليها .

وهى ترى بأنه كما خلق الله لنا الحياة لنتأمل فيها ونتنعم بها فنشهد لمسات الحنان الإلهى ، وآيات الحب الربانى . . خلق لنا أيضاً العقل جوهرة ثمينة تكون أداة لنا نتخذها لنتأمل ونتفكر ونتعقل الأمور بها .

ويفيض الله بآيات حبه ونسمات رحمته حيث خلق للإنسان مع العقل القلب الذى يعتبر جهاز من أخطر أجهزة الإنسان حيث يدرك به الصواب والخطأ . . يتلمس به طريق الهدى من الضلال فهو وسيلة الإبصار حيث أنه جهاز البصيرة الذى يعينه فى طريق تأملاته ولا يستطيع الإستغناء عنه ، لأن معنى الإستغناء عن القلب هو الإستغناء عن الحياة وكل ما فيها فيصبح الإنسان كالحيوان يأكل ويشرب دون إحساس ودون إدراك وبلا بصيرة لا يعرف الخير من الشر ، ولا العلم من الجهل ، ولا النور من الظلام . . فكل شىء عنده سواء .

ولنقف هنا وقفة قصيرة فى الفرق بين العقل والقلب ، والفرق بين العقل والقلب كالفرق بين البصر الظاهر والبصيرة الباطنة[1] فبالبصر يرى الإنسان الأشياء ، وبالبصيرة يدرك الإنسان الحقائق فلا يمكن أن يتساوى البصر بالبصيرة أو العقل بالقلب .

وفى هذا يقول الله تعالى فى كتابه العزيز :

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ ﴾ (النجم : ١١)

وهذا تصديق لارتفاع شرف الفضيلة لأنه سمى إدراك الفؤاد بالرؤيا ، وما أراد الله سبحانه وتعالى بها الرؤية الظاهرة بدليل قوله تعالى :

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾
(الحج : ٤٦)

فهذا معناه أن وسيلة القلوب هى الرؤيا بدون جهاز العين ، أما العقل وعلمه فان وسيلته هى الأبصار .

وهذا سيقودنا إلى عقد مقارنة بين العلم العقلى والمعرفة ، والفرق بينهما إنما هو فرق بين الظاهر والباطن ، أو بين البصر والبصيرة لأن الإنسان انما يبصر الأشياء ويحكم عليها بالحواس والعقل ، أما بالبصيرة فإنه يدرك الحقائق .

وسيلة المعرفة هى القلب ، وهذا ما ورد فى الآية الكريمة :

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ ﴾ (النجم : ١١)

فهذا تصديق ، ولا يأتى التصديق عن طريق البصر وإنما بالرؤية ، ولا تتم هذه الرؤيا بالعين الظاهرة وإنما عن طريق ما يلقى إلى الفؤاد أى بالبصيرة النافذة التى لا تتم عن طريق المدركات الحسية ، ولكن مجالها ومدار عملها هو القلب .

فالاختلاف بين العلم والمعرفة ، إختلاف بين ما يظهر وما يبطن ، إختلاف بين العقل وعلمه وبين القلب ومعرفته فإذا كان الإنسان ما يقال عنه علم العلماء ذلك لتحصيله العلوم العقلية فليس هذا معناه أنه أقدر الناس

---

(١) الدكتور حسن الشرقاوى . من حكماء الامة ، ص ١٣٩

على فعل الفضيلة وتجنب الرذيلة أو معرفة الحق والباطل فالعلم العقلى غير كاف لسلامة القلب ولا يمكن الإكتفاء به لمعرفة الحقائق وأنوار الدين .

وإذا كان الإنسان محتاجا إحتياجا ضروريا إلى العقل وأدواته ، للتعرف على مختلف العلوم بطريق السماع والأبصار ، والتمييز بين الحق والباطل والصواب والخطأ ، وهذا هو المفتاح الوحيد ضد الجهل والذى لا يمكن للعالم الإستغناء عنه . . ولكن الإقتصار على منطق العقل أو الزيادة فيه فإنما يؤدى بالإنسان إلى مواطن الغرور والتعجب . بل إلى الضلالة والتهلكة نظراً لأن العقل لا يقدر أن يغوص فى الحق ، ولا يستطيع التحكم فيما هو فوق طاقته ، ولا معرفة كنة الأشياء ، ومهما أوتى من علم كسبى عاجز بالضرورة عن تحصيل مختلف المعارف ، فهو درجة فى طريق العلم وليس درجة تنتهى إليها المعارف .

ويمكن القول أنه كما لا يستطاع الإستغناء عن القلب بالعقل ، فكذلك لا يمكن الإستغناء عن العقل بالقلب ، لأن العلوم العقلية إنما هى غذاء الإنسان ليتعرف بها على الأشياء الظاهرة والموضوعات المتحيزة والمشاكل المختلفة ، فيحكم على صحتها ، وذلك بالتجربة والوصف والملاحظة ، ويعقد لها البراهين والاستدلالات التى يستنبط منها مسلمات وأوليات ضرورية ولا يمكن أن يسمى الإنسان عالما ، أو عاملاً الا إذا كان حاصلا على هذه العلوم رغم وجود إختلاف بين العلماء .

وإذا كانت العلوم العقلية هى غذاء للإنسان ، فانها إذا صدقت ، أو إذا صدق صاحبها فى الظاهر والباطن ، وإذا كانت مؤسسة على الإخلاص والنية الحسنة ، فإنها تكون وسيلة طيبة إلى العلوم الإلهامية فلا يمكن أن يكون عالما على الحقيقة دون أن يسير فى طريق الحق ، وطريق الحق إنما هو صدق العقل والقلب والابصار والبصيرة .

فالعلم العقلى يؤيد بالمعرفة القلبية ، وبمعنى آخر ، العلوم نوعان :

١ ـ علوم كسبية : تحصل بطريق الاستدلال والتعلم .

٢ ـ علوم إلهامية : لا تحصل بطريق الاكتساب [١] .

(١) أبى حامد الغزالى : احياء علوم الدين (كتاب العلم) ـ الجزء الأول ص ٣٤ وما بعدها .

والكسبية تسمى استبصارا . . أما الإلهامية فهى تقع فى القلب بغير تعلم واجتهاد من العقل ، وإنما يتم إستلهامها بعد أن تكون النفس الإنسانية قد سارت على طريق الحق ، وتخلصت من شوائب الرياء ، فتلهم بهذه المعارف إلهاماً (١) .

فالمعرفة إذن يصل إليها الإنسان إذا حصل العلوم العقلية وتقدم فيها بالصدق والإخلاص والطاعة لله ، فيلهم بالعلوم الإلهامية ، وإذا كانت العلوم العقلية هى نظر وبحث وتحصيل فى مختلف العلوم التجريبية والنظرية ، فإن العلوم الإلهامية إنما هى ثمرة الرياضات المجاهدة والسلوك السوى والعمل الصالح ، فبالنظر والعمل . . يتقدم الإنسان فى طريق المعرفة ، وبالشريعة والحقيقة يتخلى الإنسان عن الصفات المذمومة ، ويتحلى بالصفات المحمودة حتى يتولاه الله ، فإذا تولاه . . فاضت عليه الرحمة ، وأشرق قلبه بنور اليقين ، وانشرح صدره وتلألأت فيه حقائق الأمور .

فطريق العلم الحق استعداد . . وتصفية . . واستحضار للهمم ، مع الإرادة الصادقة والتعطش التام ، فيفتح الله على من سار فيه من العلم والمعرفة فيرى ويسمع ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت . . ولا خطر على قلب بشر .

ولقد كان لنا وقفة تأمل عميقة مع الإمام الغزالى فى كتابه الاحياء عند تأملاته وحديثه عن القلب والعقل حيث يرى الإمام الغزالى أنه لا يقصد بالقلب ذلك الجسم الصنوبرى اللحمى الذى يحتل الجانب الايسر من الصدر فى الإنسان ، وإنما يقصد به تلك اللطيفة الربانية الروحية لهذا القلب الجسمانى ، ويذهب إلى أن تلك اللطيفة جسم لطيف يقابل الجسم الكثيف وهى حقيقة الإنسان ، فبها يدرك العالم الخارجى ، وبها يعرف الأشياء والأفعال ، بل بها يخاطب ويعاقب ويعاتب ويطالب مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ (الأنفال : ٢٤)

---

(١) الدكتور/ حسن الشرقاوى : الشريعة والحقيقة ، ص ٨١

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ (الأعراف : ١٧٩)

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ﴾ (الفتح : ٤)

﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ (البقرة : ١٠)

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء)

ولقد وقف كثير من العلماء فى حيرة لكشف ماهية العلاقة بين القلب كجسم وبين القلب كلطيفة من اللطائف الربانية ، وهذا مادعى الإمام الغزالى لشرح هذه العلاقة فى كتابه الإحياء .

فيرى الإمام الغزالى أن العلاقة بين القلب كجسم صنوبرى ، والقلب كلطيفة روحانية ، إنما هى كعلاقة صاحب الملك بملكه ، أو كعلاقة صاحب الآلة بالآلة ، ومعنى ذلك أن القلب كلطيفة يستخدم القلب كجسم فى تحقيق أغراضه وتلبية إحتياجاته .

أما العقل عند الامام الغزالى فكان له معنيين :[1]

المعنى الأول :

وهو الذى يُراد به العلم بحقائق الأمور ، فالعقل هنا عبارة عن العلم الذى محله القلب ، ومعنى ذلك أن القلب والروح والعقل إنما جميعا محلهم القلب وربما يهدف الإمام الغزالى من ذلك إنه إذا صدق القلب والعقل كاناً شيئا واحداً ولا إختلاف بينهما وهذا هو رأى أئمة الصوفية .

المعنى الثانى :

فهو الجزء المدرك أو الذى يُراد به القلب لأنه هو الذى يدرك العلوم ، أى أنه محل الإدراك ولكننا نعتقد أن العقل يعتمد على المدركات الحسية التى يستنبط العقل ويستدل ويحكم من استمداداتها ، وبخلاف ذلك لا يستطيع أن يصدر أحكاما إذ أنه لا يحكم إلا على متحيز له طول وعرض

(١) احياء علوم الدين : ج ٨ - ١٣٤٢ - ١٣٦٠ - مطابع الشعب
(نقلا عن د . حسن الشرقاوى : الشريعة والحقيقة ص ٦٢)

وعمق أى جسم فيحكم على الشىء بأنه كذا أو كذا ، كما أنه يمكن أن يستعيد عن طريق المخيلة الصور المحفوظة بالذاكرة ويعيد تأليفها وتركيبها كما يفعل الروائى أو المؤلف إلا أن العقل لا يخلق جديدا ، ولا يتخيل إلا مايمكن أن يكون متحيزاً فى صورة ما ، فالعقل لا يدرك الملائكة مثلا لأنها مخلوقات غير متحيزة ـ والعقل يعرف أن الله موجود ولكنه لا يعرف من هو الله على الحقيقة . . فالله ليس كمثله شىء ، فمهما تخيل وتصور العقل الإنسانى الله فإن الله بخلاف ذلك .

إذن العقل غير القلب لأنه محدود بمعرفته ، أما القلب السليم فإنه يعرف الله بالإخلاص ، والنية ، والطاعة ، وهذا يقتضى مجاهدة النفس والعمل فى مرضاة الله ، فيفاض عليه من نعم الله ويزداد معرفة ، وكلما إزداد معرفة إزداد يقينا ، وكلما عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم ولذلك فإن العقل هو طريق النظر ، أما القلب فطريق الذوق والكشف .

ويمكن أن يفهم من كلام الإمام الغزالى أن القلب هو الذى يفقه من الإنسان ـ بل هو الذى يعرف به حقائق الأشياء ، وهذا وارد فى قوله تعالى :

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ (الاعراف : ١٧٩)

﴿ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبة : ١٢٧)

فالقلب إذن مرآة للأمور المؤثرة فيه فكلما كانت محمودة فانها تزيد القلب جلالا وإشراقا ونورا وضياءاً فيتلألأ فيه الحق .

وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه » (١) .

« من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ » (٢)

وفى هذا القلب المشرق بالإيمان يستقر ذكر الله وذلك فى قوله تعالى :

---

(١) ذكره ابومنصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أم سلمة

(٢) ذكره الامام الغزالى فى احياء علوم الدين ج ٨ ، ص ١٣٥٨

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد : ٢٨)

وبذلك يكون صاحب القلب السليم من الأصفياء الأتقياء الذين يبشرون فى دنياهم وآخرتهم ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾ (يونس : ٦٤)

ومن هذا المنطلق تؤمن الفتاة ـ بطلة هذه القصة ـ إيمانا يقينيا بأن هذا القلب الذى خلقه الله للإنسان من الممكن أن يساعده على الإرتقاء فى طريق الله . . فهو المصباح المنير له فى صعوده وقربه من الله حيث تعلو وتنبض النبضات بحب الله حتى تصل إلى مرحلة كأن هذا القلب خُلق كى ينبض بحبه لله فينعم بكل ما خلقه الله له فى الحياة فيشهد بعظمة الله وجلال الله .

وتتصور الفتاة أن القلب الذى لا ينبض بحب الله فهو قلب ميت جامد الموت له أهون من الحياة بلا إحساس بنبضات حب الله والتمتع بآثار هذه النبضات .

وإذا كان القلب هو نبض الإنسان ومصباحه الذى ينير له طريق تأملاته . . فإن التأمل هو نبض الحياة الذى يضىء للإنسان طريقه .

وترى الفتاة ـ بطلة هذه القصة ـ أنه من أكبر وأعظم نعم الله علينا التى لا تعد ولا تحصى نعمة العقل والقلب .

فلقد خلق الله سبحانه وتعالى لنا هذا الوجود ووضع له سننه وتشريعاته التى نسير بمقتضاها ثم جعل لنا نوران هما : (العقل ـ والقلب) فالعقل نتفكر به ، والقلب نفقه به ، ثم دعانا إلى التأمل فى مخلوقات الله ، وفى قدرة الله وفى عظمة الله .

إن العقل نور أودعه الله لنا ليساعدنا على التفكر والتدبر فى خلق الله فنشهد بحب الله وقدرة الله عز وجل .

أما القلب هو الذى يفقه من الإنسان والله تعالى جعل القلب مستودع

الأسرار ، وخزينة الإنفعالات المتقابلة ومستقر عجائب المعانى والغيوب وبذلك يصبح القلب وحده هو القادر على كشف أو معرفة الحقيقة اليقينية .

ولما كان الإيمان ضرورة حية للفرد لكى يحيا فيشعر بالأمان ، وللمجتمع لكى يتماسك فينشر الاستقرار ، فإن القلب هو مستقر هذا الإيمان ومحل السكينة والألفة والتقوى والرأفة والرحمة ومنبع الحب والسلام .

اذن العقل هو نور يقودنا إلى التفكر .
والقلب هو نور يقودنا إلى التفقه والتبصر .

فالعقل هو محل التفكير .
والقلب هو محل الفقه .

وهما معا نوران يقودان الإنسان إلى التأمل والتبصر .

ولقد دعانا الله سبحانه وتعالى إلى التأمل فى كل ما حولنا . . التأمل فى هذا الكون المنظم البديع . . التأمل فى مخلوقات الله . . فى قدرة الله . . فى عظمة الله .

إن لحظة التأمل تساوى الدنيا وما فيها فهى التى تنقل الإنسان بعقله وقلبه إلى كل آفاق هذا الوجود متأملا قدرة الله شاهدا على وحدانية الله فيجد نفسه بعد ذلك محبا لكل شىء ، فإن الكون ساكن يشهد معه هذه القدرة ويشاركه لحظة التأمل فيشترك معه فى التسبيح والحمد . . وجميع مخلوقات الله تسكن فتشهد وتشترك فى لحظة التأمل الروحية فيشعر الإنسان بأنه محبا للكون . . حبيبا لمخلوقات الله بجميع أنواعها .

فإن التأمل هو دعوة مفتوحة إلى الحب . . وآية ممنوحة إلى القلب لكى يسبح فى أنوار الله المشرقة فيرى جمال صنع الله ، وعظمة خلق الله فيشهد بوحدانية الله ، ويقر بقدرة الله فينعم بحب الله ، ويهنأ بلمسات حنان الله ثم يجد نفسه يغمره الحب الكبير لله حيث يرى آيات هدا الحب فى كل شىء من حوله صغيراً كان أم كبيراً .

ومن هنا كان التأمل ضرورة فى حياة فتاتنا ، غذاء لروحها وقلبها ، نور لعقلها وفكرها لا تستطيع الإستغناء عنه ابدا . . تتأمل فى كل ما يجرى

حولها وفى كل شىء صغيرا كان أم كبيراً يدور أمامها وفى كل ذرة فى الوجود خلقها الله فتشهد بعظمة الله ، وجلال الله ، وجمال صنع الله ، ووحدانية الله رب العرش العظيم .

وتحب الفتاة أن تسبح فى أنوار التأمل وتدعو الله دائما أن يفتح لها أبواب التأمل ويهديها إلى سبيله ويقودها للعمل فى طريقه فيمن الله عليها بأسرار هى آيات فى بحار التأمل فتسجد لله حامدة شاكرة فضله العظيم مصممة على السير فى طريقه يملأها الحب لله ويشغلها ذكر الله ويضىء طريقها التأمل فى عظمة الله .

ويثمر تأمل الفتاة وتبصرها فى آيات الله فى نفسها ، وفى كل شىء فى الوجود ، وفى كل ذرة خلقها الله عز وجل هى آيات تشهد بوحدانية الله وقدرة الله ، وجمال صنع الله . . عن حقيقة هامة لا تغفل عنها ابداً ولا تنكرها أو تتجاهلها . . بل توقن بها يقينا تاما وتضعها نبراسا أمامها يقودها إلى الأمان ، ومصباحا مضيئا ينير لها الطريق إلى الله وهذه الحقيقة هى أن :

« إذا كان الايمان هو نور الحياة . فإن التأمل هو نبض الحياة » .

وتمضى الفتاة فى طريقها سعيدة بحياتها . . هانئة . . هادئة يمن الله عليها بالأمن النفسى والسلام الروحى فتشعر بالجمال فى كل شىء يشغلها ذكر الله ، ويضىء طريقها التأمل فى جمال صنع الله فتزداد حبا لله آملة فى القرب منه وحده تريد أن تجرى وتقفز خطوات وخطوات فى طريق الله لا تريد أن يشغلها شىء أو يعيقها شىء عن هدفها وأملها فى القرب من الله . . تعلمّها محن الحياة ، وتصقلها التجارب ، وتهذبها الجراح والآلام . . فتتعلم كيف تصبر ، وتعرف كيف تشكر ، وفى المعرفة الخير الكثير حيث الإلتزام والعمل والإخلاص والصدق حبا لله وحده . . فيمن الله عليها بأنوار إلهية وإشراقات ربانية فضلا وهبة من عنده وحده فيفتح عليها باباً من أبواب السعادة الكاملة .

الفصل الحادي عشر

السعادة الكاملة

وتمضى الأيام والفتاة هائمة فى حبها لله العلى العظيم ، يملأها الشوق إلى الله ، ويتملكها الحنين إلى لقاء الله ، تحس بأن أيام حياتها نبضات حب تنبض لله ، وتشعر بأن لحظات عمرها دقات قلب تدق لله . . تحيا بين الخوف والرجاء ، الشوق والحنين ، الأنس والرضا . . تعيش على الأمل فى أن يغرقها الله فى حبه حتى لا يشغلها شىء عنه وأن يخرج الأشياء ومتع الحياة من قلبها وألا يجعل فيه سواه وينزع من نفسها كل شىء قد يبعدها عن الله .

تختلج المشاعر فى نفسها . . وتمتزج الأحاسيس فى كيانها . . وتدق الدقات فى قلبها . . وترتعش كل قطرة من قطرات دمها . . ويرتجف فؤادها وكيانها كله عندما تذكر أو تسمع إسم الله . . إنه الخشوع . . إنه الرهبة . . إنه الحب . . إنه الحياة . . إنه السعادة الكاملة .

نعم الخشوع لله . . والرهبة من الله . . والحب لله . . والحياة بالله . . وفى النهاية تصل إلى السعادة الكاملة التى تحيا وتحس بها . . نعم تشعر بسعادة كاملة ليست فيها أى شوائب أو أى مصلحة . . تسعد سعادة لا مثيل لها عندما تقول إسم الله تسعد بسعادة غامرة عندما تسمع إسم الله . . تسعد بسعادة لا توصف سعادة نادرة عندما تكتب إسم الله . . . . . .

. . . .

ليس لسانها هو الذى ينطق فقط ، ولا أذناها هى التى تسمع فقط ، ولا يداها هى التى تكتب فقط . . لا وإنما ايضا يحس بها فؤادها وكيانها وكل قطرة من قطرات دمها . . إنها بكاملها بكل ما تختلجها من مشاعر فياضة وأحاسيس دافئة ودماء تجرى فى عروقها وأيدى ترتجف ، وأصابع ترتعش ، وأعصاب وعروق تهتز - ونبضات تدق وتنبض . . . . كلها يسعد بالله . .

ويحيا بالله . . ويخشع لله . . ويشعر بالرهبة من الله ، ولهذا تؤمن الفتاة وتعتقد اعتقادا يقينيا لا شك فيه بأنها سعادة كاملة لأنه يشترك فيها كل أعضاء وأجزاء جسدها وحواسها وروحها وقلبها وفؤادها تمتزج كلها مع بعضها وفى النهاية كيانها كله يحس ويشعر بهذه السعادة الكاملة التى لا تقابلها أى سعادة أخرى فى الوجود كله .

إن إسم الله محفور فى قلبها وفؤادها ومشاعرها وأحاسيسها ووجدانها وأعماقها وكيانها كله . . فإن قلبها يسعد بهذا الإسم ، وفؤادها يسعد بهذا الإسم ، ويداها تسعد بهذا الإسم ، ولسانها يفرح لهذا الإسم ، وكل قطرة من قطرات دمها ، وكل عرق من عروقها ، وكل كيانها يهتز ويتمايل فرحة وسعادة لهذا الإسم الجميل العظيم . . إسم الله .

يالها من سعادة كاملة تمتزج فيها كل المشاعر والأحاسيس التى توصف والتى ايضا لا تستطيع أن تصفها لأنه لا يوجد فى قواميس الكلمات والعبارات ما يصف هذا الإسم العظيم وذلك لأن إسم الله فوق كل وصف . . فوق كل كلمة . . فوق كل حرف . . فوق كل شعور . . فوق كل إحساس . . فوق كل شىء .

أليست هذه سعادة كبيرة . . نعم إنها سعادة كاملة . . لا يشعر بها إلا من يهيم حبا فى الله والفتاة تهيم حبا وعشقا فى الله ، ولذلك تستطيع بعون الله أن ترى وتلمس هذه السعادة الحقيقية .

وتكتمل هذه السعادة عند الفتاة حيث تصل إلى ذروة الأمان وقمة الإستقرار عندما تحس بأنها ترى الله وقدرته العظيمة فى كل شىء . . فى الطيور . . فى الحدائق . . فى الناس . . فى الأشجار . . فى السموات والأرض . . فى القمر الذى يظهر ليلا . . فى النجوم . . فى الشمس . . فى النهار والليل . . فى الطعام والشراب . . فى كل قطرة ماء تشربها . . فى كل لقمة تتذوقها . . ترى الله فى النور الذى دائما يظهر أمامها ، هذا بالإضافة إلى الأنوار الأخرى التى تراها مرتبطة بالله واسم الله مثل نور الذات الإلهية الذى لو نظر إليه بشر لصعق ومات فى الحال .

إنّ هذه الفتاة تحس بعظمة الله وقدرة الله فى كل شىء صغيرا كان

أم كبيرا حولها . . أليست هذه سعادة حقيقية . . . ؟ أليست هذه سعادة نادرة . . ؟ أليست هذه سعادة كبيرة ؟ نعم إنها سعادة حقيقية ونادرة وكبيرة وعظيمة لأنها من عند الله ، ولأنها من عند الله فهى إذن سعادة كاملة .

فى يوم من الأيام ، وفى لحظة من لحظات التفكير العميق حيث كانت الفتاة تتأمل فيما تحس به وتتبصر فيما يختلج فى وجدانها وأعماقها من مشاعر فياضة وأحاسيس متدفقة فى حب الله حيث استغرقت فى حديث مع نفسها وهى كثيرا ما تحدّث نفسها . . تحاسبها حينا ، وتعاتبها حينا ، وتلومها حينا آخر ، وتؤنبها حينا ، وتثنى عليها حينا . . فهى مع نفسها صريحة وتعتقد الفتاة وتؤمن بأن الإنسان يجب أن يكون صادقا صريحا مع نفسه وأن فى حديثه معها يجب عليه أن يخلع كل الاقنعة المزيفة التى يرتديها ليظهر فى أحسن مظهر امام الناس اثناء سيره فى دوامة الحياة .

وهى تعتقد أن أفضل مظهر ممكن أن يظهر فيه أى إنسان هو عندما يكون عاريا من كل زيف ، حتى ولو كان هذا الزيف مزخرفا . . فهى لا تحب الزخرفة بل تحب الحقيقة الخالية من كل زخرفة لأن احيانا لا تكون هذه الزخرفة فى مكانها الحقيقى فهى تفضل الرداء الأبيض دون أن يكون مزخرفا وهنا سر جماله وذوقه .

فعندما يتحدث الإنسان مع نفسه هو قمة الجمال . . وقمة الحقيقة بشرط أن يكون صريحا وصادقا مع نفسه ويخلع كل أشكال الزخرفة التى يضعها عليها بحكم معيشته وتكيفه مع البيئة والحضارة مع أن هناك أناسا يرفضون رفضا باتا وكاملا أن يضعوا هذه الزخرفة أو يتحلوا بها لأنها فى اعتبارهم أنها مزيفة وباطلة وسرعان ما تختفى . . هؤلاء الناس هم أصحاب المبادىء والقيم والأخلاق الحميدة فهم يحبون أن يكونوا على سجيتهم وهؤلاء هم الفائزين لأنهم لا ينسون الله ودائما هم فى معية الله . . وحديثهم مع أنفسهم حديث قاسى كله لوم وعتاب ومحاسبة وتأنيب ، ولذلك فهم دائما سعداء لأنهم يحبون الله حبا كبيرا ومن منطلق حبهم لله ينظرون إلى كل شىء أنه جميل وينطق بالحق والخير والمثل العليا والمبادىء السامية التى تخلو تماما من كل شائبة . . ومن كل زيف .

لذلك فهم دائما سعداء سعادة لا يستطيع أن يشعر بها هؤلاء أصحاب الزخرفة والزيف الكاذب لأنها سعادة حقيقية ، وهذه السعادة تعش طويلا . . بل هى دائمة لأن أساسها قوى وهو حب الله ، والحياة والسير فى معية الله .

وعندما تصل ياأخى العزيز ويا أختى العزيزة إلى هذه المرحلة فتكون قد وصلت إلى بر الأمان ، وحققت الكثير والكثير . . فكل شىء بعد ذلك يتضاءل أمام الله ولم يعد له أى قيمة لأنك تحيا بالله ولله ومع الله فى كل الأحوال . . وبذلك يكون الله هو حياتك كلها . . هو النور الذى تستمد منه الحياة . . هو الطريق الذى تسير فيه . . هو نبضاتك . . هو دقاتك . . هو سمعك . . هو بصرك . . هو فؤادك بل كيانك كله .

وهل تريد أيها الإنسان الكريم سعادة جميلة وحقيقية أكثر من هذه . . ؟

نعم إنها سعادة كاملة وقليل من يستمتع بها ويشعر بها وهؤلاء هم الذين يحيون بالله ، وفى معية الله . . ومن يصل إلى هذه الدرجة فلا خوف عليه ابدا ولا يحزن . . فكل شىء يتضاءل أمامه مهما بلغ قوته وحجمه لأن الله معه . . لأن معه مالك الملك وصاحب الأمر كله وهو الله جل جلاله . . وأمامه نور مضىء ساطع لا يوجد نور مثله فى الوجود كله . . هو نور من الله . .

يقول الله تعالى وهو سبحانه أصدق القائلين :

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (النور : ٤٠)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (الأنفال : ٢٩)

ولقد قيل أن الفرقان هو نور يفرق به العبد المؤمن بين الحق والباطل ، ويميز به بين الهُدى والضلال .

وتعرف الفتاة ذلك وتناجى ربها لتدعو وتقول :

اللهم اجعلنى من هؤلاء الذين يحيون بالله
وهم دائما فى معية الله . .

اللهم اجعل دائما أمامى نورا من عندك . .
فهذه هى سعادتى الكاملة التى أنشدها وأصبو إليها
وأطمع فيها أن يكون سمعى وبصرى وفؤادى
ونورى وكيانى هو الله .

وتستكمل الفتاة حديثها مع نفسها اذ قالت فى يوم من الأيام أنه :

« يجب أن أسجل مذكراتى ، ويجب ألا أجعل
الأيام تمر هكذا دون أن أسجل وأدون همسات
هامة فى حياتى » .

ووصلت الفتاة إلى نتيجة هامة بأنه يجب ان تضع ذلك فى اعتبارها وأن تسجل مذكراتها ولكن متى وكيف . . هذا هو المهم ؟

وبدأت الفكرة تتبلور فى ذهنها ،وتلمع فى عقلها وبعد تفكير عميق قالت :

« إنه يجب أن أسجل مذكراتى وأن أبدأ
بتسجيلها وكتابتها عند حدوث حدث هام
فى حياتى ، وأعتقد أن هذا الحدث يكون
عند الإرتباط بشخص أى عند حدوث خطبة
أوزواج ، وهنا تستحق المناسبة أن أسجل
مذكراتى وأن أكتب همساتى ، وأدوّن مشاعرى
وأحاسيسى لتكون ذكرى . . نعم أدوّن كل
ما أشعر به واكتب أحاسيسى وهمساتى وكل ما تختلج
به نفسى من آهات ومشاعر وحياة وضيق وحزن وألم
وحب وفرحة وسعادة وانتهيت فى حديثى
مع نفسى إلى أن وصلنا إلى هذه النتيجة » .

ومرت الأيام والفتاة سائرة فى طريقها تعيش حياتها بصورة طبيعية جدا ، ولقد كان دائما عندها إيمان كبير بالله سبحانه وتعالى لديها أمل متفتح للحياة بالرغم من أنه كانت هناك بعض المشاكل والصعاب التى تعترض طريق حياتها ولكن دائما كان إيمانها بالله كبيرا وثقتها بالله لا حدود لها ،

وكانت دائما ترى إسم الله أمامها ، وتحس بأن الله معها وأنه لن يتخلى عنها ابدا فتشعر بالأمل بدأ يتفتح لها والحياة تبتسم لها وكأنها تقول لها :

أهلا بك . . وهنا تصبح المشكلة ضئيلة لا قيمة لها أمام إيمانها الكبير بالله ورجائها فى الله أن يكون معها وألا يتخلى ابدا عنها وأملها الكبير فى الحياة ، وأن سرعان ما ينتهى الضيق ويحل محله الفرج بإذن الله الواحد الرحمن الرحيم رب العرش العظيم .

وسارت الأيام حتى هلّ شهر رمضان الكريم عام ١٤٠٠ هـ ، وبدأ يحدث لها حدث هام تعتبره الفتاة من أهم وأخطر أحداث حياتها وأن هذه المرحلة التى تعيشها هى أهم وأسعد مراحل عمرها كله حيث بدأت ترى رؤ ى عظيمة وجميلة جدا . . . . لا تعرف ما تفسيرها ؟ وعلى ماذا تدل ؟ وكل يوم ترى هذه الرؤ ى العظيمة ذات الطابع الدينى .

وفى كل يوم وفى كل لحظة تشعر الفتاة بتغيير غريب فى نفسها ، وأنها تتدرج من حالة إلى أخرى إلى أن وصلت إلى مرحلة كبيرة من مراحل الإيمان تحمد الله كثيرا على ذلك الفضل العظيم قائلة دائما :

« مهما قلت ، ومهما وصفت ، ومهما ركعت ، ومهما سجدت
لا يمكن ابدا استطيع أنْ أوفى الله حقه من الشكر
والحمد والعرفان ، ولكن لا يسعنى غير أننى بكل
فؤادى ، وبكل قطرة من قطرات دمى ، وبكل عرق من
عروقى ، وبكل دقة من دقات قلبى ، بكل نبضة من
نبضات روحى ، بكل مشاعرى وأحاسيسى . . بكيانى كله
أحمد الله وأشكره حمدا وشكرا كثيرا . . . . .
بكل دموعى أحمد الله وأشكره على هذه النعمة العظيمة
التى أنعم بها علىّ وهى نعمة الرؤ ى . . إنها نور . .
نعم نور من الله فحمدا وشكرا كثيرا على هذه
الرؤ ى وعلى هذا النور الالهى » .

ومرّ شهر رمضان سريعا والفتاة ترى هذه الرؤ ى العظيمة ثم استكملت

أيضا بعد شهر رمضان ولا زالت مستمرة حتى وقتنا هذا بفضل الله وحده وأمره سبحانه وتعالى .

إنها رؤ ى جميلة وعظيمة ، والفتاة تعجز أمام وصف العظمة التى كانت ولا تزال تراها ودائما تردد قائلة بأنه يكفيها بأنها ترى إسم الله أمامها ومرتبط به نور قوى ودائما ترى ثلاث درجات من النور :

- نور هادى
نور لا يستطيع بشر أن ينظر إليه .
- ونور آخر وهو نور قوى جدا وهو مرتبط بالذات الإلهية وهذا النور إسمه نور الذات الإلهى وهذا النور لو نظر إليه بشر لصعق ومات فى الحال .

وعرفت الفتاة وأيقنت بأن هذه الرؤ ى التى تراها الفتاة . . لا تراها بعيونها البشرية . . كلا . . كلا ثم كلا . . لا تستطيع ابدا هذه العيون البشرية أن تتحمل وتقف امام إسم الله وأمام النور الذى تراه ، ولكنها عيون لها نور من الله جل جلاله هى التى ترى هذه الرؤ ى وبفضل الله ورحمة الله وحده تتحمل هذه العيون النورانية رؤ ى الأنوار الإلهية التى يمن الله بها على هذه الفتاة ويرحمها بإعطائها مقدرة التحمل لهذه الأنوار وهذه تعتبر لمسة عظمى من لمسات الحنان الإلهى ، ونبضة من نبضات الحب الربانى على هذه الفتاة .

إذن فهى حقا عيون لها نور من الله . . بهذا النور الربانى تستطيع أن تتحمل جميع الأنوار العظيمة الأخرى التى تراها بفضل الله وحده وبرحمته وعطفه وحنانه وعطائه الفياض .

وتحمد الفتاة الله كثيرا وتشكره على هذه الرؤ ى الصادقة . . تحمد الله على هذه العيون التى لها نور من الله والتى بها ترى هذا الإسم العظيم وهذه الأنوار المرتبطة باسم الله والتى يقف البشر أمام هذا الإسم . . « إسم الله » وهذه الأنوار مبهوت كل البهوت ، ويبكى من خشية الله ، ومن عظمة الله ، ومن جلال الله .

فهى تحمد الله لأنه كرّمها وأنعم عليها بهذه الرؤ ى العظيمة وبهذه العيون

التى لها نور من الله . . حمدا وشكرا كثيرا لله سبحانه وتعالى .

وتستمر الفتاة فى دعائها إلى الله ومناجاتها له جل جلاله فى أن يزيدها من فضله وأن ينير الطريق دائما أمامها وألا يحرمها أبداً من نوره ومن هذه الرؤ ى التى هى منار حياتها ، وألا يحرمها ابدا أن ترى أحب وأجمل إسم إلى قلبها وأعظم إسم فى الوجود وهو الله .

ولنتوقف هنا قليلا لإعطاء نبذة قصيرة عن الرؤ ية بصفة عامة تمهيدا للحديث عن تطور الرؤ ية فى حياة الفتاة ، وكيف تدرجت الرؤ ى فى حياة هذه الفتاة حتى وصلت إلى هذه المرحلة العظيمة التى تعيشها الآن من الكشف والفيض الربانى .

الرؤ يا كعلم له أصل فى الشريعة الإسلامية[1] اذا أن هناك عديد من الآيات البينات قد ذكرت الرؤ يا ففى قوله تعالى :

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾ (الانفال : ٤٣)

تأكيدا للرؤ يا الحق فقد تفضل الله تعالى على الرسول ﷺ فى منامه فصوّر له ضعف قلة جيش الأعداء ليطمئنه ومن معه على انتصارهم على اعداء الله . . وليثبتهم فى قتالهم . . ولو ترك الله الرسول ﷺ ولم يبشره بهذه الرؤ يا لاعتقد فى كثرتهم ولتردد فى الأمر ، وكان هناك تنازع بين الإقدام على حربهم وعدمه .

كما أن القرآن الكريم يفرق بين الرؤ يا والاحلام فى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾
(يوسف : ٤٣ ، ٤٤)

فهناك إذن رؤ ى صادقة كما أن هناك أضغاث أحلام فليس كل ما يراه الإنسان فى المنام صحيحا يجوز تعبيره إنما الصحيح منه ما كان من الله تعالى[2] .

---

(١) الدكتور حسن الشرقاوى (نحو علم نفس اسلامى ، ص ١٦٢)
(٢) (د . حسن الشرقاوى : نحو علم نفس اسلامى)

ويقسم الشيخ النابلسى المنامات إلى ثلاث اقسام :

أ- البشـــرى :

وهى المبشرات أو الرؤيا الصالحة والصادقة .

والرؤيا الصادقة : هى الرؤية الظاهرة الصدق وهى جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهى واردة فى قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (الفتح : ٢٧)

فالرؤيا الصادقة بهذا المعنى من الله مباشرة بدون واسطة ، كما أنها لا تحتاج إلى تعبير ولا معبر ولا مفسر ، فالرؤيا الصادقة نجدها أيضا فى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام فى قوله تعالى على لسان إبراهيم :

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ﴾ (الصافات : ١٠٢)

﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ (الصافات : ١٠٤ - ١٠٥)

ورؤيا يوسف عليه السلام فى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ (يوسف : ٤)

ومن المبشرات ايضا الرؤى الصالحة وهى بشرى من الله إلى العبد ليحيى فى نعمة وسرور ويثبت بها الله سبحانه وتعالى قلبه .

ولقد سأل ابو ذر الغفارى عنها ، ولقد سمع ابو هريرة رضى الله عنه - الرسول ﷺ يقول :

لم يبق من النبوة إلا المبشرات . وما هى المبشرات يارسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة[1]

(١) (رواه ابو هريرة رضى الله عنه)

ولقد سأل ابو ذر الغفارى الرسول ﷺ عن المبشرات فقال :

هى رؤى يراها المؤمن فتتحقق له[1]

وقد بينها الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز فى قوله :

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ ﴾ (هود : ٧٤)

وقوله تعالى :

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (يونس : ٦٤)

ومن المبشرات أيضا ما هى تحذير من الوقوع فى الذنوب ، والتنبيه على الغفلات ، والزجر عن المخالفات فهى بمثابة إنذار من الله تعالى للعبد ، وعون له فى تجنب الخطيئة ، والبعد عن الهوى ، وهى تعد بهذا المعنى طريقا للصحة النفسية فى الدنيا والآخرة .

ب ـ رؤيا تحذيـر :

وهى من تخاويف الشيطان وإفزاعه للنائم ، وهذه رؤ يا باطلة .

جـ ـ رؤيا أمانى النفس :

وهى أحلام النفس وأمانيها وهى تعد رؤ يا باطلة .

ويرى الصوفية أن الرؤى الصادقة هى علامة من علامات الورع وللرؤ يا الصادقة علامات تُعرف بها ، وتوضح هدفها ومعناها ومغزاها ، وكثيرا ما تهدف الرؤ يا إلى حقيقة من الحقائق كصورة تعرض أمام الرائى فتتبين له الحلول التى يمكن أن يكون محتاجا لها ، أو المسائل التى يجوز ان يكون طالبا معرفتها أو إخبارا بالمشاكل والعقبات التى يعجز تفسيرها واجتيازها ويستخير الله فيها ان يلهمه الصواب والحق فى التغلب عليها[2]

ومن علامات صدق الرؤ يا تكرارها وتواترها ، وكذلك أن ترد مطابقة للشريعة فإن الرؤ يا الصادقة هى التى لا تخالف نصا صريحا أو سنّة متواترة

---

(١) (د . حسن الشرقاوى : نحو علم نفس اسلامى ، ص١٦٨)

(٢) الدكتور حسن الشرقاوى : الفاظ الصوفية ومعانيها ، ص١٧٣)

تسمى الرؤى عند أهل الحق بالمبشرات ويستندون فى ذلك إلى قول الله تعالى :

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾
(يونس : ٦٤)

والبشرى[1] هى الرؤيا الصالحة التى يراها العبد أو تُرى له ، ففى النوم تزايل النفس الروح فلا تستطيع النفس أن تسيطر على الروح وتلقى إليها ما تريد كما فى اليقظة ويستثنى من ذلك القليل من الناس الذين ماتت نفوسهم وهم فى قبضة الحق ، ولذلك فقد يبشرون يقظة .

ورؤيا المؤمن هى إذن كلام يكلمه الحق تعالى لعبده ولذلك كانت جزءا من ستة واربعون جزءا من النبوة ، أما الكلام على القلوب فى اليقظة فهو أكثر من ثلث النبوة .

ولقد أجمع الصوفية على أن الله لا يُرى فى الدنيا بالأبصار[2] ولا بالقلوب إلا من جهة الايقان ، ولو اعطوا فى الدنيا أفضل النعم ما كان هناك فرق بين الدنيا الفانية والآخرة الباقية ، فالدنيا دار فناء ولا يجوز أن يرى الباقى فى الدار الفانية فلو رأوه عز وجل لكان الإيمان به ضرورة ولم نسمع أو نقرأ أن أحدا من الأولياء الصالحين ادعى رؤية الله فى الدنيا .

ويؤيد ذلك الآية الكريمة :

﴿ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ (الاعراف : ١٤٣)

وكان هذا مطلب موسى عليه السلام من ربه ، وقد علق الله تعالى الرؤية بقوله تعالى فإن استقر الجبل مكانه فسوف ترانى ، وهذا معناه إمكان الرؤية بالعقل والسمع وفى هذا يقول تعالى :

(١) (ابن القيم الجوزيه : الروح ، ص ٢٨ - ٣٤)

(٢) الامام ابوبكر الكلاذى : التعرف لمذهب اهل التصوف ، ص ٤٢

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (الاعراف : ١٤٣)

ويعتبر غالبية الصوفية الرؤية أدنى درجات الكشف ، اما أعلى الدرجات فى الكشف فهو الوحى . .

والفرق بين الرؤيا والأحلام[١] هو أن ترتبط بالميول الكامنة ، والرغبات الخفية والإحساسات السابقة والإنفعالات المكبوتة ، ويقول علماء النفس المحدثون بأنها تعبير عن العقل الباطن .

ولكن الرؤيا تختلف إختلافا بيناً عن الحلم ، فهى التى لا تتعلق بإحساسات أو ميول أو حوادث سابقة أو مصاحبة وانما تتعلق فى حقيقة الأمر بجزئيات لاحقة وأحداث متحققة .

ففى الرؤيا يبرز دور القلب[٢] لأنه هو الذى يرد عليه أنوار الكشف فينعكس ذلك فى ساحة الصدر لتراه عين الفؤاد وعين العقل فيتم إدراكه بنفسه .

فالإنسان فى النوم تخرج نفسه عندما تكون خالية من أشغال البدن منصرفة عن دواعى الشهوات ، فيسمح لها إن كانت على طهارة أن تسجد تحت العرش فإذا عادت لطبيعتها قصّت ما شاهدت من رؤى شريفة ، ومعنى ذلك أن إنصراف النفس عن شهواتها يهيىء لها استقبال الرؤى الصادقة وذلك لما لها من شفافية ولطافة .

ويدل على ذلك أن المبشرات أو الرؤى الصادقة أو الصالحة كما يسميها بعض مشايخ الصوفية[٣] أنها ناتج حتمى للمجاهدة الروحية ، وثمرة من ثمرات التصوف فهى أول درجة من درجات الكشف لأن عندهم وحى

---

(١) د . حسن الشرقاوى : الحكومة الباطنية ، ص ٩٩

(٢) الشبلنجى : نور الابصار ص ٢٤٦

(٣) د . عبدالفتاح بركة : الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية ج ٢ ص ١٣٥ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ٢٤٠

المؤمن منامه . . فالولى الصادق تسيره مناماته ، فتحل له تساؤلاته ، وتفسر له ما حجب فى ظاهر حياته ، وتمده بالعلم الذى انغلق بابه ، وتكشف له بعض أسراره ومغيباته بأمر الله .

وعلى هذا فالرؤيا طريق إلى الصحة النفسية ، فهى بشرى للمؤمن ليقوى قلبه كما أنها ثمرة من ثمرات توكله ومجاهداته ، وإنذار لما يمكن أن يقصر فيه علمه أو يبعده عن الحق والإستقامة والصدق . . فهى بهذا المعنى تعريف بطريق الإنسان للوصول إلى السعادة فى الدنيا والآخرة .

وإن طريق أهل الحق واضح وصريح ، فمن يتقرب إلى الله شبرا تقرب إليه ذراعا ، وهكذا إلى أن يكشف له ، ومن يتقى الله يعلّمه الله ، وعلم الله يحوى السموات والأرض وما بينهما .

فلا غرو إذن أن تكون الرؤيا عند الولى سمة من سماته ، وطريق يبصره بالمثالب والمحامد ، ويقيه من غوائل الشيطان ، وينقذه من براثن الطاغوت ، ويعلمه الحق المبين ويرشده الى طريق الله الأمين[1] .

فى الحقيقة إن الحديث عن الرؤية يدفعنا ببساطة وسلاسة قوية للتطرق الى المنهج القلبى أو المنهج الروحى . فلقد أخفقت جميع المناهج العلمية والعقلية فى معرفة روح التصوف وجوهره .

فلقد أخفق إلى الآن علم النفس كما أخفق علم الاجتماع إخفاقا كاملا فى الوصول إلى كنه التصوف وحقيقته[2] .

بل إن الدراسات النفسية الحديثة ، والدراسات الاجتماعية المعاصرة أفسدت الفكرة عن التصوف إفساداً تاما ، شأنها فى ذلك شأن كل ما اتصلت به من الدراسات التى تتصل بالروح ، والوحى ، وبالإلهام السماوى وبالدين على وجه العموم .

إن الدراسات النفسية والإجتماعية الحديثة حددت نفسها بالمادة وتقيدت بالظواهر المادية المحسة الملموسة : المرئية أو المسموعة

(١) د . حسن الشرقاوى : الحكومة الباطنية ، ص١٠٧

(٢) الامام عبد الحليم محمود ، قضية التصوف (المدرسة الشاذلية) ، ص٤١٧

أو المذاقة مذاقا حسيا أو المشمومة . وهى تعترف إعترافا صريحا لا لبس فيها أن مجالها إنما هو المجال المادى وأن كل ما خرج عن المجال المادى فإنه لا يدخل تحت مرصدها ومخبرها ومسبرها ، وإذن لا يدخل فى إطار بحثها .

والتصوف روح وإلهام وإشراق ، فلا يدخل فى مجالها ومن هنا كان إكتفاء هذه الدراسات بالمظهر والشكل ، ومن أجل ذلك كان إخفاقها كاملا .

إن ما نسميه العلم الحديث إنما هو العلم السائد فى أوربا وفى أمريكا ، وفى العصر الحاضر وقد ألزم نفسه إلزاماً تاما ألا يخرج عن دائرة المادة ، وحدد - مختارا - دائرته تحديدا دقيقا بأنها المادة ، وربط نفسه بذلك ربطا محكما إلى درجة أن كل من يخرج عن المادة لا يسمونه عالما ، وأن كل بحث فى غير دائرة الملاحظ المحس لا يسمونه بحثا علميا ، ولسنا الآن بصدد تخطئة العلم الحديث أو تصويبه فما ألزم نفسه وإنما نريد أن نبين فى وضوح أن هذا الإلتزام ينفى نفيا باتا أن يتصل العلم الحديث - من قرب أو بعد - بجوهر التصوف ومفهومه الحقيقى .

ومن أجل ذلك فإن كل ما قيل بلسان العلم عن التصوف لا يمس منه إلا المظهر والشكل ولا فائدة فيه بتاتا من حيث الروح والجوهر .

هكذا فشل العلم فشلا ذريعا فى معرفة روح التصوف وجوهره ، والسؤال الذى يطرح نفسه :

أيقودنا العقل - آمنين - فى بحار التصوف اللامحدودة ، وفى رياضة التى لا تنتهى من حيث كونها نفحات من التجليات الإلهية اللانهائية ؟

من المعروف أن العقل لا يدور إلا فى فلك المادة ، إنه يتسامى الى السماء فيبحث بأقماره وسفنه وصواريخه بين أرجائها الشاسعة ، وساحاتها الرحبة ، ويغوص فى أعماق البحار فيظهر مكوناتها ويكشف عن أسرارها ، ويتعمق فى طبقات الأرض فيخرج منها أثقالها ويزيل الغموض عن معمياتها .

إنه مبتدع الصناعة من الإبرة الى الصاروخ ومخترع الكيماويات سهلة كانت أو معقدة ، ومكتشف النواميس الكونية فى الأرض وفى السماء وهو أساس العلم الكسبى : علم التوالد ، والإستنتاج ، والإستنباط على أشكاله المختلفة ومناهجه المتعددة .

ولكن العقل - ومجاله المادة استنتاجا ، واستنباطا :
لا شأن له بالغيب : الغيب الإلهى
لا شأن له بالمساتير : مساتير الملأ الأعلى
لا شأن له بكشف المحجوب : المحجوب الروحى
لا شأن له بمعارج القدس : ولا بمنازل الأرواح .

لقد أخفق العقل فى ايجاد مقياس عقلى يقيس به الصحة والخطأ فى عالم الروح . وعجز عن اختراع فيصل يفصل به بين الحق والباطل فى مجال الغيب . لقد أخفق منهج أرسطو ، وأخفق منهج ديكارت ، وأخفق إلى الآن كل منهج عقلى يراد منه أن يصل بنا الى عالم الإلهية ، يعرفنا أسراره ، ويسير بنا فى مساتيره .

وإخفاق العقل فى عالم التصوف قضية إعترف بها إعترافا صحيحا فيثاغورث ، وأفلاطون ، وأفلوطين .

واعترف بها الكندى ، والفارابى ، وابن سينا ، واعترف بها الغزالى وجميع الصوفية على الاطلاق .

وقد اعترفوا بها لما علموا أن العقل لا يتأتى له أن يخرج عن دائرة المادة ، بل إن الخيال نفسه ، بل الوهم . . كل ذلك لا يخرج عن دائرة المادة واعترفوا بها لما رأوا من خلال التاريخ الفكرى للإنسانية من أن العقل وقف أمام منازل الروح ومعارج القدس عاجزا لا يحير جوابا ، لقد اعترفوا بها وبرهنوا . وكان منطقهم من السلامة بحيث صدّقه الواقع التاريخى وليس ذلك بكادح فى العقل ، فله مجاله الضخم فى رحاب الكون ، وفى أغوار الأرض ، وفى أقطار السماء وعليه وبه قامت الحضارة المادية الحديثة متسلطة غلابة[1] .

---

(١) الإمام الدكتور/ عبد الحليم محمود : قضية التصوف ص ٤١٩ .

وإذا عجز المنهج العلمى المادى عن دراسة التصوف فى حقيقته وجوهره ، وعجز المنهج العقلى كذلك ، فإن الصوفية جميعا . . وفلاسفة الإشراق منذ فيثاغورث وأفلاطون إلى الآن يعلنون منهجا محددا يقرونه جميعا ، ويثقون فيه ثقة تامة ذلك هو المنهج القلبى أو المنهج الروحى أو منهج البصيرة ، وهو منهج معروف أقرته الأديان جميعها ، واصطفته مذاهب الحكمة : القديم منها والحديث .

يقول الله سبحانه :

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾
(الأسراء : ٣٦)

إنه سبحانه ذكر الفؤاد على أنه مسئول مثله فى ذلك مثل السمع فى محيطه والبصر فى محيطه والإمام الغزالى معبرا عن رأى الصوفية وعن رأى فلاسفة الإشراق يرى أن الدليل القاطع على أن هناك معرفة ليس مرجعها إلى الحس ، ولا إلى العقل إنما هما أمران :

احدهما : عجائب الرؤيا الصادقة ، فإنه ينكشف بها الغيب ، وإذا جاز ذلك فى النوم فلا يستحيل أيضا فى اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا فى ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسات فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لإشتغاله بنفسه .

الثانى : إخبار رسول الله ﷺ عن الغيب وأمور فى المستقبل بأمر الله . وإذا جاز ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم جاز لغيره ، إذ النبى عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور ، وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل عليه أن يكون فى الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق وهذا لا يسمى « نبيا » بل يسمى « وليا » .

فمن آمن بالأنبياء وصدّق الرؤيا الصحيحة لزمة لا محالة أن يقر بالبصيرة أو بتعبير آخر يقر بباب للقلب على عالم الملكوت هو باب الإلهام ، والنفث فى الروع والوحى[1] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٢٠

والإمام الغزالى يتشبث بالرؤيا كبرهان ، ودليل على أن هناك آلة للمعرفة غير الحس والعقل . ويردد ذلك فى كثير من كتبه :

إنه يتحدث فى كتابه المنقذ من الضلال عن النبوة فيقول :

« وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه بأن أعطاهم أنموذجا من خاصية النبوة وهو النوم إذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب أما صريحا وأما فى كسوة مثال يكشف عنه التعبير . وهذا لو لم يجر به الانسان بنفسه وقيل له : إن من الناس من يسقط مغشيا عليه كالميت ويزول عنه إحساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب لأنكره ، وأقام البرهان على استحالته وقال القوى الحساسة سبب الإدراك فمن لا يدرك الأشياء مع وجودها وحضورها فبألا يدركها مع ركودها أولى وأحق وهذا نوع قياسى يكذبه الوجود والمشاهد . »

ولكن الإمام الغزالى لا يكتفى بهذين الوجهين من الاستدلال بل يأتى بشواهد الشرع ، ويذكر التجارب والحكايات .

أما الشواهد فيما يرى فهى قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت : ٦٩)

وقوله صلى الله عليه وسلم :

من عمل بما علم ، أورثه الله علم ما لم يعلم

وقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾
(الأنفال : ٢٩)

فلقد قيل أن الفرقان هو نور يفرق به بين الحق والباطل .

وسئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى :

﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾

(الزمر : ٢٢)

ما هذا الشرح ؟ فقال هو : التوسعة . إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال عليه الصلاة والسلام :

« إن من أمتى محدثين . ومعلمين ، ومكلمين . وإن عمر منهم » والمحدث هو الملهم ، والملهم هو الذى انكشف له الحق فى باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسات الخارجية . والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف[1] .

ولم يكن علم الخضر عليه السلام علما حسيا أوعقليا ، وإنما هو العلم . . العلم الربانى وإليه الإشارة بقوله تعالى :

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الكهف : ٦٥)

ولقد جرب الإمام الغزالى هذا المنهج فنجح ، وجربه غيره فنجح وعنه يقول الإمام الغزالى :

« وانكشف لى فى أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها ، والقدر الذى أذكره لينتفع به : إنى علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة وأن سيرتهم أحسن السير . وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرتهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا إليه سبيلا ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به وبالجملة فماذا يقول القائلون فى طريقة طهارتها ـ وهى أول شروطها ـ تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها ـ الجارى منها مجرى التحريم من الصلاة ـ استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية عن الله .

---

(١) (المرجع السابق ، ص ٤٢٢

وهذا آخرها بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت
الإختبار والكسب من أوائلها وهى على التحقيق
أول الطريقة وما قبل ذلك كالدهليز للسالك إليه .

ومن أول الطريق تبتدىء المكاشفات والمشاهدات
حتى أنهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء
ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم
يترقى فى الحال من مشاهدة الصور والأمثال
الى درجات يضيق عنها نطاق النطق » .

والمنهج إذن : إنما هو تزكية النفس ، أو إجلاء البصيرة كيف يتأتى ذلك ؟

هل يتأتى ذلك عن طريق القراءة والدرس ؟ هل السبيل الى معرفة الغيب مباشرة هو البحث والدرس والاستقصاء ، ويتفاوت الناس فى الإشراق بتفاوتهم فى شمول الدراسة ، وعموم التحصيل ؟ كلا قطعا .

يقول الإمام الغزالى معبرا عن الرأى الصحيح المبنى على التجربة نفسها[1] :

« إبتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل : قوت القلوب لأبى طالب المكى ، رحمه الله ، وكتب الحارث المحاسبى والمتفرقات المأثورة عن الجنيد ، والشبلى ، وأبى يزيد البسطامى قدس الله أرواحهم وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى أطلعت على كنه مقاصدهم العلية ، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعليم والسماع ، فظهر لى أن أخص خواصهم ، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق ، والحال ، وتبدل الصفات . »

وابن سينا حتما أراد أن يحدد طريق البصيرة حتى يصير سر الإنسان ـ على حد تعبيره ـ مرآة مجلوة ، لم يحدد بقراءة وبحث وإنما حدده بإرادة ورياضة .

(١) المرجع السابق : ٤٢٤

وكل الصوفية حرصوا على نهج الإرادة والرياضة . . . الإرادة المصممة . . الإرادة التى لا تلين ، الإرادة التى تزيل - لقوتها وتصميمها كل ما يقف أمامها من عقبات فى سبيل الوصول إليه إلى الله سبحانه .

والرياضة التى تتخذ الله هدفها ، والتى تتمثل - فى وضوح - فى معانى الهجرة إلى الله ، والذهاب إليه سبحانه - والفرار إليه جل وعلا .

والإرادة والرياضة ، لتحقيق المعنى الجليل للآية القرآنية الكريمة :

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النجم : ٤٢)

وتتعاون الإرادة والرياضة فى الوصول - بتوفيق الله - الى هذا المنتهى الذى لابد من الوصول إليه لتستقر الإرادة وتسكن .

إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا - على لسان نبيه ﷺ - بالفرار إليه :

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الذاريات : ٥٠)

والإنسان يفر إلى الله من الكفر إلى الإيمان ، ويفر إلى الله من الطاعات إلى القربات ، ويفر من الكون إلى المكوّن ، ومن النعمة إلى المنعم ، ومن الخلق إلى الخالق ، ومن نفسه إلى ربه .

إن الفرار إلى الله لا نهاية له ، لأن الترقى لا نهاية له ، وكما أن الفرار إلى الله مستمر دائم ، فإن الهجرة إليه سبحانه مستمرة دائمة .

يقول سيدنا ابراهيم عليه السلام :

﴿ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (العنكبوت : ٢٦)

إنه عليه السلام مهاجر إلى ربه بكل عمل يعمله ، إنه مهاجر إليه بحركاته وسكناته وأنفاسه ، مهاجر إليه بنومه وصحوه ، مهاجر إليه بكل نفس من أنفاسه .

والهجرة إلى الله والفرار إليه بمعنى واحد ، وهو بمعنى مستغرق شامل يشرحه فى عمومه وشموله - قول المصطفى صلوات الله عليه وسلامه ممتثلا أمر الله سبحانه وتوجيهه فى قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣)

وصلاة الانسان إذن نسكه ، ومحياه ومماته : إنما تكون ـ فى الوضع الاسلامى السليم ـ لله سبحانه وحده حيث لا شريك له : من حب مدح ، أو ثناء ، أو زلفى ، أو جنة ، أو بعد عن النار[1] .

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الكهف : ٢٨)

والرياضة : ذكر دائم ، أى تذكر له سبحانه فى كل لمحة ونفس . وهى إتجاه بكل الأعمال إلى الله ، وهى هجرة لا تنقطع إليه سبحانه . . وقد تتعذر فى المبدأ وتشق فى أول الطريق ، فكان لابد من تهيئة الجو المناسب للمران والتعبد فترة من الزمن ، وهذه التهيئة تتمثل فى الخلوة والعزلة فترة تطول أو تقصر بحسب طبيعة الإنسان ، فقد لا تعدو أن تكون أسبوعا ، أو ثلاثة أسابيع ، أو أربعين يوما كأنها اجازة روحية مثلها فى ذلك ـ بالنسبة للروح ـ مثل الأجازة الجسمية التى يستمر الإنسان فيها فى الصيف ما يقرب من ثلاثة أشهر . على أنه بينما تتكرر الاجازة الجسمية كل عام أكثر من شهر لا تتكرر الاجازة الروحية . اللهم إلا فى الإعتكاف فى شهر رمضان : عشرة أيام من كل عام اتباعا لسنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بالنسبة لكل مسلم .

« الإرادة والرياضة » ومع ذلك فإن الأمر ـ كما يرى الصوفية ـ مرده الأخير إلى فضل الله وإحسانه .

---

(١) المرجع السابق : ص ٤٣١ .

وهذه المعانى يلخصها الإمام الغزالى فيقول :

« إن الطريق إلى ذلك إنما هو تقديم المجاهدة ، ومحو الصفات المذمومة ، وقطع العلائق كلها ، والإقبال بكنة الهمة على الله تعالى ، ومهما حصل ذلك كله كان الله هو المتولى لقلب عبده ، المتكفل له بتنويره بأنوار العلم .

وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور فى القلب وانشرح الصدر ، وانكشف له سر الملكوت ، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية ، فليس على العبد إلا الإستعداد بالتصفية المجردة .

وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الإنتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة .

فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر . وفاض على صدورهم النور لا بالتعليم والدراسة والكتابة للكتب ، بل بالزهد فى الدنيا والتبرى من علائقها ، وتفريغ القلب من شواغلها ، والإقبال بكنة الهمة على الله تعالى . . فمن كان لله كان الله له ، وهو بفعله هذا ، يصير متعرضا لنفحات رحمة الله ، وليس له اختيار فى استجلاب هذه النفحات وليس له إلا الإنتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريقة ، وإذا صدقت إرادته ، وصفت همته ، وحسنت مواظبته ، تلمع لوامع الحق فى قلبه ، ويرتفع الحجاب بلطف خفى من الله تعالى فيكشف له الغيب ، ويحصل على اليقين . »

ويلخصها ويجملها ابن خلدون فيقول :

« ثم أن هذه المجاهدة . والخلوة . والذكر . يتبعها غالبا كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله ، ليس لصاحب الحس إدراك شىء منها . والروح من تلك العوالم .

وسبب هذا الكشف : أن الروح إذا رجعت عن هذا الحس

الظاهر إلى الباطن : ضعفت أحوال الحس وقوى الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوه .

وأعان على ذلك الذكر ، فإنه كالغذاء لتنمية الروح ، ولا يزال فى نمو وتزيد إلى أن يصير شهودا بعد أن كان علما . ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس الذى لها من ذاتها . وهو عين الإدراك فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية ، والعلوم اللدنية ، والفتح الإلهى وتقرب ذاته فى تحقيق حقيقتها من الأفق الأعلى ، أفق الملائكة .

وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة ، فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم ، وكذلك يدركون كثيرا من الواقعات قبل وقوعها ، ويتصرفون بهممهم ، وقوى نفوسهم فى الموجودات السفلية ، فتصير طوع إرادتهم فالعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ، ولا هذا التصرف ولا يخبرون عن حقيقة شىء لم يؤمروا بالتكلم فيه بل يعدون ما وقع لهم من ذلك محنة ، ويتعوذون منه إذا وقع لهم . ولقد كان الصحابة رضى الله عنهم على مثل هذه المجاهدة . وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ ، ولكنهم لم يقع لهم بها عناية . وفى فضائل أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى رضى الله عنهم كثير منهم . وتبعهم فى ذلك أهل الطريقة ممن اشتملت رسالة القشيرى على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم . »

وبعد هذا العرض العام عن الرؤية وأقسامها عند العلماء وبعض آرائهم السائدة فيها ، نعود إلى أدراج قصة فتاتنا لنتلمس تطور الرؤية فى حياتها حيث أصبحت الآن تعيش مرحلة كبيرة وعظيمة من مراحل الكشف :

١ - كانت الفتاة منذ صغرها ترى أحلاما أثناء النوم وكانت هذه الأحلام أو الرؤى مرتبطة بحياتها أو حياة أسرتها بصفة عامة .

٢ - ثم بعد فترة تدرجت هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى وهى الإحساس بالرغبة الشديدة فى النوم . . وتنام أو تغفل للحظات فترى رؤية .

٣ - ثم تدرجت بعد ذلك إلى أن أصبحت ترى رؤى أثناء اليقظة .

٤ - ثم تدرجت بعد ذلك إلى أن فجأة بدأ يظهر لها شيئا غريبا حيث بدأ يظهر لها شخصا أنه هاتف وكانت دائما تراه على أشكال مختلفة . . مرة على هيئة شاب أبيض مرتديا أبيض ، ومرة أخرى رأته على هيئة شيخ مسن له ذقن طويلة بيضاء مرتديا أبيض ، ومرات على هيئة صوت فقط تسمعه .

• هذا الهاتف أو الخاطر كان دائما يكلمها ويحدّثها ، ومرة كانت تراه أثناء نومها ومرة أخرى أثناء اليقظة ولقد كان يصاحبها ويلازمها ويخبرها بأشياء فى حياتها ويأمرها بأشياء معينة فى حياتها وكلها كانت أوامر خيرة ، ولقد كان دائما يخبرها بالذى يجب أن تفعله وما لا تفعله وظل فترة طويلة يلازمها ويصاحبها ويجىء لها فى أوقات متفاوتة إلى أن جاء شهر رمضان عام ١٤٠٠ هـ وبدأت الفتاة ترى رؤى دينية عظيمة حيث رأت إسم الله ونور الله وملائكة الله .

٥ - تطورت أنواع وأقسام الرؤى التى تراها حيث أحيانا ترى رؤى أثناء النوم ، وهذا غالبا وفى معظم الأحوال يتعلق بحياتها العامة ومشاكلها الخاصة ، وهناك نوع آخر من الرؤى وهو الرؤى الدينية وهذا ما تراه فى حالة اليقظة أثناء سيرها ، أو أكلها ، أو جلوسها فى أى مكان ، أثناء صلاتها ، أثناء قراءتها للقرآن حيث ترى إسم الله ونور الله وملائكة الله والرسول عليه الصلاة والسلام وغيرها من الرؤى الدينية العظيمة والتى ذكرنا جزءا منها على صفحات هذا الكتاب .

إن هذه التجربة التى تعيشها وحياة الرؤى التى تنعم بها بفضل الله جعلتها تعيش فى عالم آخر . . عالم ملىء بالروحانية والنورانية والصفاء وإخلاص السريرة والنية لله والإتجاه الي الله وحده والأمل والرجاء فى الله حتى أنها أصبحت لا ترى شيئا فى الوجود إلا الله ، وتحس بعظمة الله وقدرته فى كل شىء صغيرا كان أم كبيرا . . . من حولها وأمامها ، فلقد أصبح الله هو نورها ، وبصرها ، وسمعها ، وفؤادها وكيانها كله . . أحاسيس ومشاعر ونبضات من الحب لله والإيمان بالله لا تستطيع أن

تصفها ، وتعجز الكلمات والعبارات فى التعبير عنها لأنه إحساس فوق كل شيء وأعظم من كل شيء لأنه من عند الله .

وفجأة وجدت الفتاة نفسها تفكر فى الحديث السابق مع نفسها ، وتستغرق فى لحظات من التأمل العميق فيما يدور حولها وما أنعم به الله عليها إلى أن وصلت إلى نتيجة هامة حيث كانت قد بدأت فى الإقتناع بفكرة تسجيل مذكراتها عند حدوث حدث هام فى حياتها مثل الإرتباط بشخص ، ولكن الآن الوضع قد اختلف تماما فالحدث الذى بدأ فى شهر رمضان والمستمر الى الآن والمرحلة التى تمر بها الآن هى أهم حدث وأخطر مرحلة . . فهذا الحدث . . حدث الرؤ ى العظيمة التى تراها هى التى تحثها وتشجعها على كتابة مذكراتها لأنه حدث هام وأهم من أى إرتباط أو خطبة أو زواج فهذه أحداث عادية ولكن الحدث الذى يجدر بسرعة أن تسجله هو المرحلة التى تمر بها وهى الحالة الدينية والرؤ ى العظيمة التى تراها والتجربة الروحية التى تعيشها بكل كيانها وهى ترى أنه أهم من أى حدث آخر ، مكن أن يحدث للإنسان فى حياته . . والفتاة تشكر الله وتحمده كثيرا لأنه كرّمها وأنعم عليها بهذه الرؤ ى العظيمة .

وتمضى الأيام ، والرؤ ى تزداد تكثر ، وتكبر الفتاة وتنمو معها تجربتها الروحية التى تصقلها وتهذبها يوما بعد يوم ولحظة بعد أخرى وتستمر هذه الرؤ ى حتى وقتنا هذا وهى تسجد لله حامدة شاكرة فضله العظيم .

وتستغرق الفتاة فى لحظات من التأمل العميق فيما يحدث لها وفيما تنعم به من حب إلهى وفيض ربانى إذ تتطور هذه الرؤ ى إلى بعض ألوان من الكشف يفيض الله به عليها حيث أن تأملها فى الرؤ ى التى تراها قادها الى التعمق فى بعض المعانى القرآنية إذ تعتقد الفتاة اعتقادا يقينيا بأنه لا شك أن لله حكمة كبرى فى فى ذكر ألفاظ متعددة تبين عدة ألوان من الكشف مثل الرؤ ية ، والوحى ، والتكليم ، والإلهام ، والإفهام ، والعلم اللدنى . فلقد بينها الله عز وجل فى مواضع مختلفة لتحديد التباين بينها ولإختلاف كل واحدة عن الأخرى ، وإن لكل معنى من هذه المعانى فوائده وثماره التى يمن الله بها على من يشاء من عباده .

ولنا هنا وقفة مع الفتاة عند تأملها وتوقفها عند بعض المعانى القرآنية حول الإلهام ، الخطاب الإلهى ، الإفهام ، العلم اللدنى والفرق بين كل منهما وبين الوحى حيث كان لها رأيا يختلف عن بعض الآراء السائدة ، وذلك بفضل الله وحده :

١ - الوحى والإلهام والفرق بينهما :

تعتقد بعض الآراء بأن الوحى يأتى للأنبياء فقط أما ما يأتى لغير الأنبياء فهو إلهام وليس بوحى .

وهنا الفتاة تختلف مع هذا الرأى إختلافا كليا ولنقف هنا وقفة لنتلمس هذا الإختلاف وما تهدف إليه فتاتنا :

فهى تعتقد بأن الوحى يحدث للأنبياء ولغير الأنبياء بأمر الله ، والدليل على ذلك الآيات القرآنية التى تشير إلى ذلك :

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ (النساء : ١٦٣)

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ (الاعراف : ١١٧)

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (يوسف : ١٥)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (الشورى : ٧)

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ (القصص : ٧)

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (المائدة : ١١١)

فلقد قال الله تعالى « أوحينا » ولم يقل « ألهمنا » ، أما الإلهام فلقد جاء فى موضع واحد فقط فى القرآن وهو :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ (الشمس ٧ ، ٨)

من هنا تستنتج الفتاة وتخرج من تأملها بأن هناك نوعان من الوحى :

أولا : وحى الله للأنبياء :

وهذا النوع من الوحى ينقسم إلى قسمان :

(أ) وحيا يتلقاه الرسول أو النبى مباشرة من الله .

(ب) ووحيا آخر عن طريق الروح الأمين بأمر الله لإنزال منهج سماوى يبلغ به الرسول لينشره ويدعو الناس إليه .

وكلاهما وحيا ينطوى على حقيقة هامة وثابتة وخالدة وهى :

أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، والدعوة الى عبادته هو وحده . . مالك الملك وصاحب الأمر رب العرش العظيم .

قال تعالى :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (النحل : ١٠٢)

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (الشعراء : ١٩٤)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ (الشورى : ٥٢)

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰٓ ﴾ (يوسف : ١٠٩)

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾
(النحل : ٤٣)

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾
(الأنبياء : ٢٥)

﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾
(الزمر : ٦٥)

ثانيا : وحى الله لأوليائه وعباده الصالحون :

وذلك بأن يوحى الله إلى العبد بفعل أمر ما أو نور يقذف فى كيان العبد بالاتجاه الى فعل أمر مايريده الله .

وهذا يأتى عن طريق رؤ ية أو خاطر أو إحساس معين نحو فعل هذا الأمر أو نور يقذف فى كيان العبد الصالح يجعله يفعل ذلك الأمر بكل صدر رحب ويقين لاشك فيه ، كما حدث مع أم موسى حيث قال الله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾
(القصص : ٧)

وعندما يأتى الوحى من الله سبحانه وتعالى . . فإنه يسيطر على الذهن تماما . . ولايكون هناك موضع لفكر بشرى . . أو استخدام العقل ، وفى هذه الآيات الكريمة يوحى الله سبحانه وتعالى إلى أم موسى وهى خائفة على ابنها من أن يقتله فرعون وجنوده وهو طفل صغير حيث أمر فرعون بقتل أى طفل ذكر يولد من بنى اسرائيل بعد أن أخبره العرافون أن رجلا من بنى اسرائيل سيكون سببا فى زوال ملكه . . ولو أنه كانت هناك اجتهادات للعقل البشرى مافعلت أم موسى ذلك . . فكيف تلقى بطفل رضيع فى صندوق البحر لتنجيه من الموت ؟ وماذا كان يمكن أن يحدث لو تلاعب الموج بالصندوق الذى فيه الصغير فقلبه أو لو هبت عاصفة او ريح شديدة او سقط المطر وامتلأ الصندوق بالماء فغاص او أخذه البحر وألقاه بعيدا فى مكان لايراه أحد فمات من الجوع والعطش . . كان العقل والمنطق يقتضيان من أم موسى ان تخفى ابنها عن أعين الناس أو تذهب به إلى مكان مهجور ليختبئا فيه او تلجأ إلى مغارة فى جبل أو أيه حيلة اخرى تخفى بها موسى عن

أعين رجال فرعون ولكن أن تلقيه فى البحر . . فكأنها تنجيه من موت مظنون لتلقيه الى موت محقق .[1]

ولكن عندما جاء الأمر من الله سبحانه وتعالى . . وقال الحق :

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ (طه : ٣٨ - ٣٩)

لم تفكر أم موسى فى هذا كله ولكنها نفذت أمر الوحى . . ولكن بعد ان نفذت الأمر وذهب عنها الوحى أفاقت . . ولذلك أسرعت إلى أخته تطلب منها أن تتبع الصندوق .

وعندما حمل الماء الصندوق إلى قصر فرعون انزعجت أم موسى انزعاجا كبيرا . . لأنها بدلا من أن تخفى ابنها عن أعين رجال فرعون قادته إلى فرعون نفسه . . ولكن الله سبحانه وتعالى كانت له حكمة فى أن يرينا أنه جل جلاله بقدرته يجعل العدو وهو فرعون يربى ويحتضن من سيزيل ملكه .

وكما يوحى الله لمن يشاء من البشر كما أوحى الى أم موسى . . . . . يوحى ايضا سبحانه إلى الصالحين من عباده كما أوحى إلى الحواريين . . والحواريون ليسوا رسلا ولكنهم المخلصون من أتباع عيسى وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (المائدة : ١١١)

ولم يقف او يرتبط وحى الله للبشر فقط سواء أكانوا أنبياء مرسلون أو عباد صالحون ، إنما كان وحى الله للشىء الذى يريده .

ولقد حدثنا الله فى كتابه العظيم بأنه أوحى أيضا إلى النحل .

---

(١) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى : محمد رسول الله ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

قال الله تعالى :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (النحل : ٦٨)

وكما أوحى الله الى المخلوقات النابضة بالحياة . يوحى ايضا الى الجماد كما ذكر عن وحى الله الى السماء والأرض .

قال تعالى :

﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ (فصلت : ١٢)

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾ (الزلزلة : ١ - ٥)

إذن كل هذا وحى وليس بإلهام كما يظن البعض .

وفى الحقيقة أن هذان النوعان من الوحى يصاحبهما يقين ، فالوحى للأنبياء يصاحبه يقين بوحدانية الله وقدرته العظيمة وبالمنهج السماوى الكامل المنزل من عند الله ومن هنا يبدأ الرسول يسلك طريقه بوحى من الله بيقين كامل لاشك فيه ولا شائبه فيه .

وكذلك النوع الآخر من الوحى الذى يلقيه الله فى روع العبد وكيانه يصاحبه يقين وتصديق كامل متكامل من العبد بما جاءه حتى ولو كذّبه الناس أجمعين ، فهو على يقين مما جاءه فهذا الإحساس الذى يشعر به من عند الله ويدفعه دون تفكير إلى تنفيذ ما جاءه كما حدث فى قصة أم موسى وغيرها . فلقد كان هذا الإحساس يقينى وتصديق كامل لاشك فيه .

ومن هنا تخرج الفتاة بوقفة تأملية اخرى :

إذن من الممكن أن نثبت ونتأكد ونبرهن على أن الفرق بينهما هو أن

وحى الأنبياء يكون شيئا ماديا ملموسا حيث ينزل الروح الامين إلى النبى أو الرسول الموحى إليه متمثلا فى صورة بشر يقف أمامه ويلمسه ماديا ، وينزل عليه بالمنهج السماوى الذى يريده الله . . كل ذلك يحدث ويلمسه الرسول ملامسه مادية مشهودة ومسموعة أمامه .

أما الوحى لغير الانبياء فيأتى عن طريق الخاطر او رؤ ية او إلقاء الله لعبده بفعل أمر ما من خلال إحساس قوى يقينى بفعل ذلك الأمر أو من خلال نور يقذفه الله فى قلب عبده بتصديق هذا الأمر والإتجاه لفعله او رؤ ية هذا العبد للملائكة وإلقائهم إليه ما يريده الله .

وكلا النوعان حق ويقين .

إذن فوحى الأنبياء وحى ملموس ومشهود ومسموع ماديا وروحانيا أما وحى غير الانبياء فهو وحى روحانى فقط يقذفه الله فى قلب عبده المؤمن .

وترى الفتاة أن هذا هو الفرق بين وحى الله للأنبياء ووحيه سبحانه لغير الأنبياء . .

وللفتاه وقفه تأملية أخرى تريد ان تسجلها :

فلقد سمعت من بعض الآراء الداعية الى الله بأن الروح الأمين انقطعت صلته بالارض ، ولايمكن ان يظهر لأى أحد . . . . وهى تختلف معهم فى ذلك حيث يدفعها إيمانها وتأملها الى الوقوف عند بعض الآيات القرآنية التى تنفى هذه الآراء وهى :

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝ ﴾ (القدر : ٤ - ٥)

ان هذه الآية الكريمة تنفى آراء البعض من أن الروح الأمين انقطعت صلته بالأرض حيث تقرر الآية المباركة من سورة القدر بأن فى ليلة القدر من كل عام تنزل الملائكة والروح فيها بأمر الله الواحد الرحمن الرحيم رب العرش العظيم . . له وحده الملك وبيده وحده الأمر وبمشيئته وحده

يكون الشىء اذا أراد شيئا قال له : كن فيكون سبحانه هو الله لا إله إلا هو الواحد الصمد مالك الملك ذو الجلال والإكرام وعلى كل شىء قدير .

ثم تتأمل فتاتنا فى هاتين الآيتين الكريمتين :

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ (النحل : ٢)

﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾ (غافر : ١٥)

تسرح وتتأمل الفتاة كثيرا حول هاتين الآتين الكريمتين وتخرج بنتيجة معينة بأن هناك إنزال وإلقاء ولا شك ان لله سبحانه وتعالى حكمة فى ذكر كل منها ، وتتأمل وتتعمق اكثر لتصل فتاتنا بفضل الله إلى مايلى حيث تقول :

بأن الإنزاليحدث للأنبياء والرسل فقط أما الإلقاء فيحدث للأنبياء وغير الأنبياء .

فلقد ينزّل الله على الرسل الملائكة والروح بأمره لنشر المنهج السماوى الذى يريده الله ودعوة الناس اليه ، وهذا حدث لجميع الرسل والأنبياء .

اما الإلقاء فهو يحدث للأنبياء ولغير الأنبياء أيضا حيث يوحى الله لاوليائه وعباده الصالحون رؤ ية أو من خلال الخاطر والإحساس اليقينى أو نور يقذف فى قلوبهم بما يريده الله لينذروا عاقبة مخالفة المرسلين ويخشوا يوم التلاق . . يوم القيامة . . يوم يجتمع فيه الناس جميعا ويستمعون نداءا يسأل : لمن الملك اليوم ؟ ثم يستمعون الى الإجابة لله الواحد القهار وهذا يدخل أيضا فى إطار الدعوة إلى الله إستكمالا وإمتدادا لدعوة الرسل .

وتردد الفتاة قائلة :

واذا تأملنا فى جوهر الرؤ ية الحقيقى نجد ان الرؤ ية الصادقة الصالحة ليست إلا نوعا من أنواع الإلقاء الربانى سواء أكان هذا الإلقاء وحيا من عند الله مباشرة بأن يلقى فى روع العبد بفعل أمر ما ، أو إلقاء عن طريق ملك أو

خاطر (هاتف) ، أو نورا يقذف فى قلب المؤمن ، أو سماع أصواتا معينة تلقى إليه مايريده الله . . فى أى صورة من الصور فالرؤ ية تعتبر فى جوهرها الحقيقى نوعا من أنواع الإلقاء الربانى .

وتسرح الفتاة كثيرا لتربط بين المقارنة بين الإنزال والإلقاء ، وبين وحى الله للأنبياء ووحيه سبحانه لأوليائه وعباده الصالحون حيث فرقّت بينهما بأن وحى الله للأنبياء وحيا ماديا وروحانيا ملموسا ومحسوسا مشهودا ومسموعا حيث تتنزل الملائكة والروح إليهم بأمر الله ويشاهدون ذلك كله متمثلا ماديا ، اما أولياء الله وعباده الصالحون فيلقى الله عليهم بما يشاء رؤ ية حيث يشاهدون الملائكة والأنبياء وأنوار الله ومايشاء الله إطلاعهم عليه فله سبحانه الملك وحده له مايشاء ، ويعطى من يشاء ، وبالقدر الذى يريده الله ولكن هذا الإلقاء يحدث روحانيا فقط ولا يلمسه العبد الصالح ماديا كما يحدث مع الأنبياء والرسل .

إذن هناك علاقة ربط وترابط بين الإنزال والإلقاء ، ووحى الله لأنبيائه ووحيه سبحانه لعباده الصالحون حيث أن وحى الله للأنبياء يحدث فيه إنزال وإلقاء حيث ينزل الله لأنبيائه بالملائكة والروح الأمين لإلقائهم بالمنهج السماوى الذى سيقوم بتبليغه للناس والدعوة الى الله ، أما وحى الله لعباده الصالحون فيحدث فقط فيه إلقاء حيث يلقى الله فى كيانهم بما يريده ويمن عليهم برؤ ية الملائكة ومشاهدة أرواح الأنبياء والأنوار الإلهية تثبيتا لهم وإطمئنانا .

واذا اعتبرنا وصدّقنا بأن الرؤ ية نوعا من أنواع الإلقاء الربانى فهى تحدث أيضا للأنبياء حيث ان الأنبياء والرسل شاهدوا رؤ ى صالحة ورؤ يا الأنبياء حق كما حدث فى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما رأى فى المنام أنه يذبح ابنه فهذا إلقاء من الله لعبده إبراهيم .

اذن من هذا كله تستنتج الفتاة وتخرج بمعرفة هامة جدا وهو :

إن الإنزال والإلقاء يحدث للأنبياء ماديا وروحانيا ، اما الإلقاء فيحدث لمن يشاء الله من عباده الصالحون روحانيا فقط ، وهذا هو فى جوهره الحقيقى الفرق بين وحى الله للأنبياء ووحيه تعالى لعباده الصالحون .

ولكن كلاهما وحى ، وكلاهما تصاحبه صفة ملازمة وهى اليقين والتصديق الكامل بالوحى والإتجاه الى تنفيذ مايوحى اليه العبد سواء أكان رسولا أم عبدا صالحا .

أما الإلهام فهى تختلف مع الذين يفسرون بأن الوحى الذى ذكر فى القرآن لغير الأنبياء أنه إلهام حيث تؤكد فتاتنا بأن الإلهام لم يذكر فى القرآن إلا فى موضع واحد فقط وهو :

قال الله تعالى :

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ (الشمس : ٧ - ٨)

وهنا تتأمل الفتاة وتقف وقفة طويلة عند هذه الآية حيث تختلف مع الآراء السائدة بأن الوحى هو إلهام حيث تعتقد الفتاة والله اعلم مصداقا للآية الكريمة أن الإلهام محله النفس وأنه قابلا لسبيل الخير أو الشر . . معرّضا للصواب أو الخطأ ، أما الوحى فهو يقينى ولا شك فيه ولا شائبه فيه . . . . إذن هناك اختلاف بين الوحى والإلهام .

وشيئا ما يدفع فتاتنا الى التعمق أكثر لتصل الى هذا الإختلاف بفضل الله حيث تبين بأن الوحى محله الروح والقلب والفؤاد ويصاحبه اليقين المطلق والتصديق الكامل غير قابل للخطأ فيه أما الإلهام فمحله النفس والعقل حيث من الممكن أن يُلهم الإنسان بأشياء معينة أو بأنواع محدودة من المعرفة ولكن هذا الإلهام قابل أن يكون صحيحا او خاطئا يسير فى طريق الخير أم فى طريق الشر حسب السبيل الذى يسلكه الإنسان ، ولذلك فإن محله النفس حيث أن النفس قد تصدق وقد تكذب ، والعقل قد يصل الى الحقيقة وقد لايصل ولذلك فإن الإلهام محله النفس التى بدورها تعرض ذلك الشيء إلى العقل ثم بدوره ينقل ذلك الشيء إلى الإنسان فيسلك مايلهم به .

ولذلك نقول الشاعر مُلهم وليس موحى إليه ، والفنان مُلهم وليس موحى إليه ، والرسام مُلهم وليس موحى إليه ، والكاتب الذى يتخيل أبطال قصته بصورة معينة ومحددة ثم يجسد هذه الشخصيات فى قصته مُلهم وليس موحى إليه .

إذن تخرج فتاتنا من هذه المعرفة بمعرفة هامة وهى :

أن الوحى محله الروح والقلب والفؤاد ....
أما الإلهام فمحله النفس والعقل ....

وحيث أن النفس قد تصدق وقد تكذب
وإنما القلب يصدق ولا يكذب .

ولذلك فان الوحى يقينى لا شك فيه
أما الإلهام معرض أن يكون فى
طريق الفجور او فى طريق التقوى .

ويفيض الله من فضله على هذه الفتاة بنعمة كبرى حيث يجىء لها خاطرا يبين لها بأن هناك جهاز فى القلب اسمه « جهاز الإدراك » ، موصولا بين القلب وحواس الإنسان مثل السمع والبصر وغيرها .

هذا الجهاز الكائن فى القلب هو الذى يفيض الله عليه بأنوار الكشف والتجليات الإلهية والنفحات الربانية أى هو الذى يرى الرؤ ية ثم ينقلها هذا الجهاز بدوره إلى حاسة السمع والبصر فيشعر الإنسان بأنواع متعددة من الإنفعالات والأحاسيس حسب الرؤ ية التى يراها فيظن الإنسان أنه رأى بعينيه وسمع بأذنيه ولكن الحقيقة أن القلب والفؤاد هو الذى شاهد هذه الرؤ ى ثم نقلت إلى حاسة السمع والبصر عن طريق جهاز الإدراك وتفاعل بها الإنسان تفاعلا يجرى فى جسده وعروقه ودمه وكيانه كله .

وهذا الخاطر جعل الفتاة تتوقف لحظة حيث تذكرت بعضا من الرؤ ى التى كانت تراها من خلفها حيث ذات مرة كانت تصلى وتقرأ القرآن فرأت الشيطان من خلفها واقفا يريد إيذائها لولا رحمة الله بها حيث أنقذتها الملائكة منه ومن شره وقضت عليه ، كما أنها رأت فى نفس الرؤ ية نورا من خلفها يحيل بينها وبين الشيطان .

كان هذا المنظر قد رأته الفتاة من خلفها .. فكيف ترى الشىء من خلفها والعين لاترى إلا ماهو أمامها او حولها فقط .

إذن فلم تكن عين البصر هى التى ترى وإنما هى عين أخرى كائنة فى

القلب تستطيع أن تنفذ إلى أماكن بعيدة ومن خلفها لترى مايريده الله وبأمر الله .

إذن فهى عيون لها نور من الله .

وينير الله بصيرتها بأن هذه العين هى جهاز الإدراك الكائن فى القلب ويستطيع أن يشاهد الرؤ ية بأمر الله وينقلها إلى حواس الإنسان الموصولة بهذا الجهاز ثم يأتى دور الإنفعالات كأن جهاز الإنفعالات المزود به الإنسان يتصل أيضا بجهاز الإدراك ويرتبط به فيحس الإنسان بأنواع مختلفة وأنماط متعددة من الإنفعالات والأحاسيس حسب الرؤ ية التى يراها الإنسان .

وأحست الفتاة بأن ماتراه حق ، والخاطر الذى جاءها صدق ويقين لأن الحالة الروحية التى تعيشها الفتاة بكل كيانها ليست مجرد رؤ ى ومشاهدات تراها او سمعا تسمعه فقط وإنما ينفعل بها جسدها كله ويتفاعل بها كيانها كله كأنه شىء يجرى فى عروقها ودمها ولذلك فلقد كانت لاتستطيع أن تنكر هذه الحالة التى تعيشها او تتجاهلها لأنه شىء يجرى فى دمها وعروقها ونبضاتها وكيانها كله فتنفعل وتتفاعل به .

فالرؤ ى التى تراها الفتاة لم تكن شىء وقتى ينتهى بمجرد أن تنتهى الرؤ ية وإنما كانت شىء يعيش بداخلها وينبض فى أعماقها وينتج عنه مجموعة من الأحاسيس والمشاعر والإنفعالات تحيا بها حيث تحس بأنها تسبح فى عالم آخر بعيدا عن دنيانا . . عالم النور تسير فيه وترتقى عابدة ساجدة شاكرة فضل الله العظيم داعية ربها بأن يهديها دائما إلى باب الحقيقة آملة فى الدخول فى رضاه ورحمته وعفوه ويمن الله عليها ويهبها من لمسات حنانه وفضله العظيم ماتعجز عنه الكلمات أن تعبر عنه ، والسطور أن تحتويه ، والصفحات أن تشمله ممّا يجعلها تسجد لله سجودا عظيما وتمتزج المشاعر فى نفسها إلى قمة من قمم العبودية لله والرهبة والخشوع لله وحده حيث تتمنى فى هذه اللحظات الرائعة العظيمة التى من الصعب وصفها أن تفارق الدنيا بكل مافيها إلى لحظة تتمنى أن تحظى بها وهى لقاء الله حيث تحس بل وتؤمن بأن لا وجود لشىء فى هذه الدنيا على الإطلاق إلا

لله وحده ، ولا تحيا إلا بالله فقط ، ولا ترى فى هذه الحياة إلا الله وحده . . وهل كل ما فى الدنيا والحياة إلا ملك لله . . . .

إذن فإن الله وحده هو الحى القيوم الرحمن الرحيم مالك الملك رب العرش العظيم .

وتنقلها المشاعر والأحاسيس أثناء سجودها من لحظة الى أخرى حتى تشعر بانها هائمة فى حب الله . . غارقة فى حنان الله . . . . . سابحة فى نور الله .

إنها مشاعر وأحاسيس ينطق بها الجسد ، وينبض بها القلب ، ويعبر عنها الوجدان تمثلها دموع العين ممتزجة بآهات يكاد الصدر والفؤاد يحترق منها حبا وشوقا إلى الله وحنينا ولهفة للقاء الله .

إذن فالرؤ ى والحالة الروحية التى تعيشها ليست مجرد مشاهدات تراها أو كلمات تسمعها وإنما هى حياة تحيا بها وتعيش فيها وتتفاعل معها وتقودها إلى طريق مراقبة النفس وتهذيبها والسلوك بما يرضى الله والتحلى بالخلق القرآنى آملة فى الترقى الدائم فى طريق الله .

إن الرؤ ى والحالة الروحية النورانية التى تحياها هذه الفتاة هى نور يسرى فى كيانها وجسدها ودمها ، ولذلك لم تستطع هذه الفتاة أن تنكر أو تتجاهل ماتراه بسهولة لأنه ليس مجرد مشاهدات تراها او كلمات تسمعها وإنما هو نور يجرى ويسير فى دمها يتفاعل به جسدها وكيانها كله مما يدفعها إلى الرغبة فى الترقى وتهذيب سلوكها مرضاة لله وحبا لله وحده .

ولذلك لم تستطع هذه الفتاة أن تستجيب لآراء الإنكار والإعتراض التى واجهتها وسمعتها من البعض على هذه الحالة حيث كان نور يسير فى دمها وكأنه يقين يسكن فى كل خلجة من خلجاتها ويستقر فى وجدانها وأعماقها وكيانها كله فتجد نفسها بلا شعور لا تستجيب لهذه الآراء المعارضة وتصدّق بكل ماتراه وتسمعه وكان فضل الله عليها عظيما حيث تولاها برعايته وحنانه ولمسات حبه وفيوضات أنواره حيث كانت دائما تسمع صوتا يوجهها ويناديها بأن ماتراه حقا وصدقا لأنه من عند الله وأن تصدّق كل ماتراه ، ولم تقف هذه الرعاية الإلهية عند هذا الحد فلقد كانت هناك الأيام والأحداث

التى مرت بها وجرت أمامها وكانت قد رأتها من قبل فى صورة رؤ ى شهدت على صدق رؤ ياها فضلا من عند الله . . فلقد كانت لمسات حنان الله على هذه الفتاة عظيمة حيث أسكن الله فى قلبها الطمأنينة والهدوء النفسى واليقين لما تراه ، ثم أنعم الله عليها بنعمة اخرى وهى تحقيق ماتراه أمام عيناها حتى تعرف وتطمئن أن ماتشاهده حقا وما تسمعه صدقا وما تحسه يقينا لا شك فيه لأنه من عند الله سبحانه الرحمن الرحيم ، فتسجد حمدا وشكرا لله سجودا طويلا ممتزجا بنبضات القلب العابد المحب لله حبا كبيرا المشتاق إلى الله شوقا جارفا صابرا يحيا على أمل الفوز بحب الله ولقاء الله .

وتعود الفتاة مرة أخرى إلى لحظات تأملاتها حيث تظل هنا نقطة هامة تشغل بالها وتطرح نفسها بنفسها وهى وحى الشياطين لأوليائهم ، وتقودها تأملاتها بفضل الله الى أن الوحى هنا يعنى وسوسة الشياطين وإيحائهم لأوليائهم الذين يحضرونهم ويعبدونهم ويؤمنون بهم .

والصفة التى تلازم هذا الوحى الشيطانى هو الكذب والغرور وهذا لايحدث إلا للفئة التى تحضرّ الشياطين وتعبدهم فهم أولياء الشيطان ، والشياطين يوحون لأوليائهم ومايوحون لهم من القول إلا كذبا وغروبا .

قال الله تعالى :

﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾

(النساء : ١١٩ - ١٢٠)

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

(الأعراف : ٢٧)

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾
(النحل : ٩٩ ، ١٠٠)

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (آل عمران : ١٧٥)

فالشياطين توسوس للناس بالشر وتوحى لأوليائها . . أى تخبرهم ولكن بخفاء لينشروا الكفر والإلحاد فى الأرض وهم يتصلون بأوليائهم من البشر بنوع من الإخبار الخفى الذى يسمى وحيا دلالةعلى أنه إعلام بخفاء لايفهمه ولا يدركه إلا من يوحى أويوحى إليه . . .

والحق سبحانه وتعالى يقول فى كتابة الكريم :

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ (الانعام : ١٢١)

وتقف الفتاة كثيرا عند الآيات القرآنية الكريمة التى تبين حقيقة هامة لاجدال فيها وهى أن جزاء من يبتعد عن ذكر الله أن يكون له شيطانيا قرينا .

يقول الله تعالى :

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾
(الزخرف : ٣٦)

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (فصلت : ٢٥)

وتعرف الفتاة بأن القرين هو الشيطان يوسوس للناس بالسوء ويحاول أن يدفعهم إلى طريق النار .

ولقد سمعنا أشياء كثيرة تقال عن القرين . . وكيف أنه يلازم الإنسان فى حياته ، وأنه يعيش مدة أطول منه . . وأنه عندما يمارس الناس تحضير الأرواح فإن هذا القرين هو الذى يأتى وهو الذى يتكلم ، والحقيقة أن الناس قد اخطأوا فى فهم معنى القرين .

والله سبحانه وتعالى شرح لنا ما المقصود بالقرين . . .
فلنقف هنا مع الفتاة فى لحظات تأملية عند آيات الله الكريمة التى تبين لنا من هو القرين . . . ؟

قال الله تعالى :

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ ﴾

(الصافات : ٥١ - ٥٦)

وقوله جلا جلاله :

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾

(الزخرف : ٣٦ - ٣٨)

وقوله عز وعلا :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾

(النساء : ٣٨)

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾

(ق : ٢٧)

وقوله تعالى :

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (فصلت : ٢٥)

وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد بين لنا بما لايقبل أى شك او تأويل معنى القرين . . فالقرين هو من شياطين الإنس والجن ومهمته ان يبعد الناس عن الصراط المستقيم . . وأن يزين لهم معصية الله . . وأن يوسوس لهم بالسوء . . وأن يغويهم إلى طريق المعصية . . هذه هى مهمة القرين كما أوضحها الله سبحانه وتعالى لنا فى القرآن الكريم . . فكل من يصد عن سبيل الله ، ويحاول أن يبعد الناس عن منهجه فهو قرين .

ولكل إنسان منا قرين يحاول أن يدفعه إلى طريق النار . . . ويدخل إلى قلبه الشك فى الإيمان ، ويزين له عبادة الدنيا حتى اذا جاء يوم الدين تبرأ هذا القرين من الإنسان وقال : يارب أنا لم أجعله يطغى ، ولم أزين له طريق المعصية ولكن هوى نفسه هو الذى دفعه إلى هذا الطريق . . فبعده عن المنهج هو الذى جعله ينحرف . . وهكذا يحاول كل من الإنسان العاصى وقرينه أن يلقى اللوم على الآخر .

اما القول بأن هذا القرين هو شبيه بالإنسان ، وأنه يلازمه طوال حياته ويعيش أكثر منه . فذلك لم يثبت إلا اذا كان المقصود أن القرين يظل يوسوس للإنسان بالسوء طول حياته . . ويحاول أن يمنعه من العمل الصالح ومن العبادة . . ويظل يطارده ويلاحقه فى كل مكان ويدفعه الى المعصية .(١)

وعلى أية حال ، الثابت من القرآن الكريم أن القرين هو من شياطين الإنس والجن الذين يدفعون الناس إلى معصية الله ، وإلى طريق النار . . وأن لكل إنسان قرينا يدفعه الى هذا الطريق ، وأن بعض الناس يستمعون

---

(١) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى : معجزة القرآن ـ الجزء التاسع ، ص ٢٢٦

إلى هذا القرين ويمضون فى طريق البعد عن منهج الله ، وبعض الناس لايستمعون إلى القرين ولا يبالون به ، وبذلك يكونون من أهل الجنة وبهذا ضرب القرآن مثلا عندما سأل واحد من أهل الجنة عن القرين الذى كان يوسوس له بالسوء ، فاطلع فرآه فى سواء الجحيم أى فى وسط النار . . ومعنى ذلك أن هذا القرين قد أخفق فى أن يقود المؤمن إلى طريق الهلاك ـ وهذا واضح من الآيات التى أوردناها .

إذن فإن الشياطين يوحون لأوليائهم ومايوحون لأوليائهم ومايوعدونهم إلا كذبا وغرورا وتكبرا حيث يدفعونهم إلى طريق المعصية وسبيل الفساد .

وتقودنا الفتاة إلى موقف آخر نجد أنفسنا نقف عنده فى لحظات من التأمل والتفكر العميق حيث يرينا الله عز وجل فى كتابه الكريم وفى مشهد من المشاهد التى ستحدث يوم القيامة باعتراف الشيطان بأن وعد الله هو الوعد الحق اما ما وعده الشيطان فهو كذب وضلال .

قال الله تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (إبراهيم : ٢٢)

يريد الله عز وجل أن يعطينا الصورة كاملة فى يوم الحساب حيث يعترف الشيطان بأن وعد الله سبحانه وتعالى كان هو الوعد الحق واليقين وصدق وعده ، أما ما وعده الشيطان كان كذبا وأخلف وعده . . . وهكذا يكون دائما وعد الشيطان ووحيه لأوليائه حيث يمنى الإنسان ويوحى إليه بالأكاذيب ليرتكب المعاصى . . ويزين له العمل السىء فوعده كذب ووحيه غرور وضلال ولايتحقق .

فمهمة الشيطان أن يعطى الإنسان الأمل الكاذب . . . . الأمل الذى

لن يتحقق ويوحى إليه بالقول الكذب فيغرية بالمعصية تلو المعصية حتى يصبح هذا الإنسان غارقا فى ملذاته وشهواته عاصيا لمنهج الله مخالفا لطريق الله . . وليا للشيطان ومن اتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا .

وهكذا فإن الصفة التى تلازم الوحى الشيطانى هو الكذب والغرور والضلال وذلك ماسيعترف به الشيطان يوم القيامة حيث يبرىء نفسه ويقول لأوليائه :

[ماكان لى عليكم من سلطان لأجبركم على المعصية ولكن شهواتكم التى فى داخلكم وأنفسكم هى التى قادتكم الى المعصية أى أنكم لو لم تكن عندكم استجابة فى داخل أنفسكم لما استطعت أن أغويكم فلا توجهوا لى اللوم ولوموا أنفسكم .]

ويستمر حديث الشيطان الى أوليائه باعترافه :

[بأنى لا أستطيع أن أنجيكم من العذاب ولا أنتم تستطيعون أن تنجونى من الخلود فى النار فكلانا عاجز أمام قدرة الله سبحانه وتعالى وأمره جل جلاله .]

وهكذا تبرأ الشيطان من وعده لأوليائه واعترف بأن وحيه إليهم كان كذبا وسبيلا لدفعهم إلى طريق المعصية .

وكذلك دائما يسلك الشيطان سلوك الخسيس يتبرأ من وعوده وأقواله وأفعالة لأنها كلها كذب وضلال وتقود الى الكفر والفساد والطغيان .

وتستوقف الفتاة آية أخرى حيث أوضح لنا الله عز وجل فى كتابه الكريم « القرآن العظيم » كيف أن الشيطان يضل الإنسان ثم يتبرأ منه حيث يقول الله تعالى :

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

(الحشر : ١٦)

وتسرح الفتاة وتذهب بفكرها متعمقة فى لمسات الحنان الإلهى على عبده الإنسان حيث تقول ما أكثر آيات القرآن الكريم التى حذرنا فيها الله عز وجل من الشيطان ، ومن الوقوع فى حبائله والسقوط فى غوائله اذ يقول الله فى كتابه الكريم :

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ (البقرة : ٢٦٨)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ (البقرة : ١٦٨ ، ١٦٩)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ (البقرة : ٢٠٨)

﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (النساء : ٣٨)

﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ (النساء : ٦٠)

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ (النساء : ٧٦)

﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ (النساء : ١١٩)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ

بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (المائدة : ٩٠ ، ٩١)

﴿ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (الانعام : ١٤٢)

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (النحل : ٩٨ - ١٠٠)

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ (الاسراء : ٤٣)

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (الاعراف : ٢٠٠)

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ ﴾ (مريم : ٤٤)

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾ (الحج : ٣)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور : ٢١)

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾

﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾
(يس : ٦٠)

﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الزخرف : ٦٢)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ﴾ (محمد : ٢٥)

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (المجادلة : ١٠)

﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (المجادلة : ١٩)

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الاعراف : ٣٠)

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴾
(المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨)

إذن فلقد أوضح لنا الله عز وجل حقيقة هامة وهى أن الشيطان عدو الله ويجب أن يتخذه الإنسان عدوا وهو أيضا عدو الإنسان المؤمن وسيحاول

بكل ما أوتى من سلطان أن يغوى ويضلل عباد الله والغواية هى إبعاد الناس عن طريق الله وتزيين الباطل لهم .

فمنهج إبليس هو إبعاد الإنسان عن طريق الله ودفعه إلى طريق الشر وأن يمنعه أن يفعل شيئًا لآخرته ومن هنا فهو يزين له الحياة الدنيا بما فيها من متع مادية ويحاول أن ينسيه الآخرة بما فيها من نعيم دائم .

فأسلوبه وطريقته لإبعاد الإنسان عن طريق الخير هو الغواية ولذلك أصر الشيطان على المعصية عندما طرده الله من رحمته ولعنه حتى يوم الدين لعدم طاعته لله فى السجود لآدم حيث يصر على المعصية ويمعن فيها فيقول :

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾
(ص : ٨٢ ، ٨٣)

وفى آية اخرى يقول :

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾
(الحجر : ٣٩)

إذن هنا إصرار على المعصية وعلى غواية الإنسان بالشر لإبعاده عن طريق الله إلا عباد الله المخلصين الذين سينجون من الشيطان بعناية الله وحفظه لهم .

وتقف الفتاة كثيرا وتستوقفنا معها عند الآيات الكريمة التى يبين الله عز وجل لنا فيها طرق إغواء الشيطان للإنسان المؤمن :

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الاعراف : ١٠)

أى أن إبليس لايبذل جهده لمن باع نفسه للمعصية ، وانطلق يخالف كل ما أمر به الله . . فالنفس الأمارة بالسوء لها شيطانها وهى ليست محتاجة إلى إغواء لانها تأمر صاحبها بالسوء ولذلك فإن إبليس لايذهب لأماكن الفساد ويبذل جهدا فيها لأن هذه لاتحتاج إلى جهد منه . . فكل من ذهب إلى هذه الأماكن إنما هو ذاهب إلى معصية وليس فى حاجة إلى إغواء وقد

اختار هذا الطريق ، ولكن إبليس يذهب إلى مهابط الطاعة أو أماكن العبادة .. هؤلاء الذين يبذل إبليس معهم كل جهده او كل حيله وإغوائه ليصرفهم عن عبادة الله ، ولذلك لم يقلّ إبليس فى حديثة لأقعدّن لهم على الطريق المعوج لأن الطريق المعوج لايحتاج إلى جهد لأن بطبيعته يتبع الشيطان ومن هنا فإن إبليس يغوى أهل الطاعة لا أهل الشر والفساد بأن يزين لهم المعصية أو يغويهم بمد أيديهم إلى المال الحرام أو يزين لهم أمرا من أمور الدنيا التى نهى عنها الله سبحانه وتعالى .

ثم يمعن الشيطان فى المعصية حيث يبين الله سبحانه وتعالى طريق الغواية الذى سيتبعه الشيطان فيقول :

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الاعراف : ١٧)

اى أن الشيطان سيحيط بالإنسان من كل جهة ويحاول غوايته ووسوسته له ولكن هناك جهتين لا يأتى منهما الشيطان ابدا فلم يقل :

« ومن فوقهم » لأن ذلك مكان رفع الصلوات والدعاء الى الله ، ولم يقل « ومن تحتهم » لأن ذلك مكان السجود .

وهنا يبين الله سبحانه وتعالى أن كيد الشيطان لايؤثر على ملك الله ، فعندما يقول الشيطان أنه سيأتى للإنسان من الأمام والخلف واليمين والشمال يحيط به .. يقول الله تحقيرا لشأن الشيطان ومن يتبعونه :

وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا (الاسراء : ٦٤)

فالشيطان يتوعد الإنسان ويقول له أنه سيغرر به فى الدنيا عن طريق التزيين وأنه سيحيط به ليغوية فى كل لحظة .. والله سبحانه وتعالى يقول له :

بل إفعل أكثر من هذا . . املأ الآذان من استطعت منهم بصوتك . . وارهبهم بالقوة سواء كانت من الخيل او راجلة تمشى على أقدامها وشاركهم فى الأموال والأولاد . . كيف يحدث ذلك ؟

هل للشيطان صوت نسمعه . . هل للشيطان قوة حربية تحاربنا ؟ هل للشيطان أموال وأولاد ؟

نعم . . كل قوى الشر فى العالم يستخدمها الشيطان . . فهناك من الذين كفروا من ينطقون بإسمه وينشرون الكفر والإلحاد . . وهناك جنود الشيطان الذين يحاربون الحق ويعتدون على الآمنين ويبيدون الشعوب المؤمنة ويخنقونها سواء أكان اقتصاديا ام عسكريا . . . . . .

وهناك المال الحرام الذى يزينه الشيطان للناس فيرتكبون به المعاصى . هذه مشاركة الشيطان فى المال يحوله من حلال الى حرام ، وهناك مشاركة الشيطان فى الأولاد أن ينشأوا على غير طاعة الله وينشأوا وقد عرفوا المعاصى ولم يعرفوا الطاعة . . كل هذا متاع الغرور أى ليس حقيقة . . ولكنه مجرد غرور وكبر فى الدنيا ثم تأتى نهاية الحياة فلا يأخذ الإنسان معه شيئا إلا المعاصى يترك المال . . ويترك القوة ويترك الجاه . . ويترك السلطان ولا يجد إلا الله ليوفيه حسابه . . كل مافى الدنيا متاع الغرور إلا الطاعة مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (آل عمران : ١٨٥)

والغرور هنا معناه الوعد الكاذب الذى لايتحقق . . اى أن وعود الشيطان ومايزين به للناس للمعصية ماهو إلا كذب لايمت إلى الحقيقة بصلة

إذن تخرج الفتاة من تأملاتها بحقيقة هامة وهى أن الشيطان هو العدو الحقيقى للنفس البشرية تصديقا لقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (فاطر : ٦)

والشيطان يحاول ابدا بكل طريق أن يستجلب كل من يستطيع أن يغوية من بنى الإنسان ليكون من حزبه ، وحزبه هم أصحاب النار

والسعير . . وقد أضل الشيطان منهم جيلا كثيرا ، وهم أصحاب الشقاوة والرياء المخالفون لكل حق وفضيلة . . المفسدون لكل نعمة . . المقلقون لكل راحة وأمل ، المبطلون لكل سعادة ، الفاسقون . . المنافقون لذلك وجب أن يحترز العبد حتى لايكون الشيطان فى نفسه مقام بسبب من الأسباب .

وتقف الفتاة هنا وقفة تعمق لتتساءل ولكن كيف الطريق إلى نجاة العبد من الشيطان وكيف نغلق جميع الأبواب أمام الشيطان بحيث لايكون له مقام فى نفسه .

عرفت الفتاة وآمنت أن الطريق الى ذلك إنما يكون بحسن الآداب وحفظ القلب والجوارح وأداء الأوامر والتكاليف الشرعية ، والنهى عن المنكر والرضا بكل مايصيب العبد وكل ما يأتى من عند الله .

فاذا داوم الانسان (١) الصادق على ذلك وواظب عليه ولازمه ، كانت له نجاة وأمان من فتن الشيطان ووساوسه ، وهواجس النفس وهواها ، بل كانت له النجاة بعد إنتقاله من الدنيا الى الآخرة من عذاب القبر وهول القيامة وشدتها ، وألم النار وزفرتها ، وكان فى جوار الله فى جنة المأوى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين مصداقا لقول الله تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

(النازعات : ٤٠ - ٤١)

وإذا نجا العبد من غوائل الشيطان . . فلن يكون وليه ، ولا قدرة ولا سيطرة عليه بل يصبح متقلبا فى نعم الله . . فيحظى بقرب الله ، وحب الله ، ورضا الله مصداقا لقوله تعالى فى خطابه للشيطان :

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (الاسراء : ٦٥)

لأن الشيطان يكون فى أضعف حالاته وأخمل قوة فى التأثير عندما يلقى بالعبد الصالح .

والعبد الصالح هو المنشغل بالله . . المنصرف بالكلية عن الغواية فيقاوم وساوس الشيطان ودسائسه ، ويستمد قوته فى محاربته من نور الله فلا يستطيع الشيطان أن يقترب منه أو يوقعه فى مخالبه .

وبذلك خرجت الفتاة من وقفتها التعمقية الفكرية بحقيقة هامة وهى أن السبيل الحق الموصل لمحاربة هوى الشيطان والقضاء على غوايته إنما يتركز على الدعائم الآتية :

أولا : الإستعاذة بالله ظاهرا وباطنا ، قولا وعملا من أباطيل الشيطان وخداعه . . والسير فى طريق السلامة والإستقامة .

ثانيا : أن يثبت العبد على دينه ، ويحافظ على أداء التكاليف والفرائض الشرعية ، وإتباع القدوة الحسنة .

ثالثا : التقرب إلى الله تعالى بالذكر والنوافل كما ورد عن الله تعالى فى كتابه العزيز :

﴿ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (الاحزاب : ٤١)

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد : ٢٨)

والذكر هو الحصن الحصين الذى لايستطيع الشيطان أن يطرقه لأن العبد فيه آمن على نفسه من مكائده . . .

رابعا : المجاهدة فى الله ، وذلك بكثرة الرياضات وعمل الطاعات وتربية النفس وترويضها ، وهى الطريق الموصل إلى المقام الأمين ، وإذا كان العبد مراعيا لله ، سائرا على طريق الإخلاص ، طائعا قاصدا وجهه الكريم فيحظى بالمقامات العليا ، ويترقى فى سلم الصالحين والشهداء والصديقين .

هذه هى سبل النجاة ودعائم الإنقاذ من الشيطان ، ثم يجنى هذا العبد الصالح ثمار سبيل النجاة . . وذلك بأن الله سبحانه وتعالى لايترك ـ فضلا منه ومنة ـ هذا العبد الثابت على دينة المستعيذ بالله من الشيطان . .

المجاهد فى طريق الحق . . يسير وحده ، وإنما يمن عليه بالهبات ، والعطايا والرحمات والفتوحات كثمرة يؤيده بها وكنعمة يثاب عليه بها ، وهى بمثابة عون من الله لإلتجائه اليه وإستعاذته به تعالى .

وبعد هذا العرض العام عن وحى الشياطين لأوليائهم . . تقف الفتاة فى لحظات من التأمل العميق ، والتفكر الدفين عند الآيات القرآنية الكريمة عن الشيطان واتخاذه عدوا حيث تسرح بفكرها بعيدا وكأنها تجردت من هذاالعالم الدنيوى بكل شوائبه وأصبحت فى عالم آخر حقيقى نورانى يملأه الصفاء والنقاء ممتزجا بأجمل وأعظم نعم الله عليها حيث تكشف الآيات القرآنية الكريمة عن حقيقة هامة خالدة تتبلور فيها لمسة حية من لمسات الحنان الإلهى ، وآية نابضة من آيات الحب الإلهى لعبده الإنسان الذى خلقه فى أحسن تقويم .

ولكن ما هى هذه الحقيقة الخالدة التى تعيش الفتاة فى أغوارها وأعماقها وتغرف من كنوزها بأمر الله والتى تنطق بلمسات الحنان الإلهى ، وتشهد بآيات الحب الربانى ؟

وتبدأ الفتاة فى كشف هذه الحقيقة التى تتلمسها وتعيشها بكل وجدانها والتى تملأ الوجود بأكمله . . الحقيقة الثابتة الخالدة الحية القائمة بيننا ، والتى تحيا فى جوارحنا ووجداننا ، وتنير طريقنا ، وتملأنا أملا فى اليوم وإشراقا للمستقبل ألا وهى أن الله عز وجل رحيما بالإنسان رحمة لاحدود لها . . رحمة واسعة أكبر وأوسع من أن يُعبر عنها ، وأشمل من أن توصف . . رحمة شاملة لا بداية لها ولا نهاية .

إن كنوز الرحمة الإلهية والعناية الربانية تتلألأ فى كل آية فى القرآن الكريم بل وفى كل حرف من حروفه ، ولو كان إنسان تلمس وغاص فى أعماق هذه الكنوز لملك الدنيا والآخرة ، ولحرّم على نفسه الظلم ، ولعرف كيف أن الإنسان يظلم نفسه ويودى بحياته وطريقه إلى الشقاء والهلاك بشركه لله وبعده عنه .

فالآيات القرآنية الكريمة مليئة بكنوز نورانية تشهد بنسمات رحمة الله ، ولمسات حنان الله ، وآيات حب الله .

وتشدّنا الفتاة معها فى رحلتها الروحية التأملية الفكرية العميقة فى ظلال القرآن الكريم حيث تستوقفنا عند الآيات الكريمة الخاصة بالشيطان لنشهد بلمسات حنان الله وحبه لعبده الإنسان .

فلنقف هنا وقفة ممتزجه بالرهبة والخشوع مصحوبة بالحمد والشكر والحب لله العلى القدير لنعرض بين ثنايا السطور القليلة القادمة تأملات الفتاة وغوصها فى أعماق الآيات القرآنية الواردة والسابق ذكرها عن الشيطان ووحيه لأوليائه حيث تبين لنا بأن الله عز وجل يكشف لنا من خلال هذه الآيات الكريمة مايلى :

١ - حقيقة الشيطان ويعرّفه لنا حيث يبين سبحانه لنا فى الكثير من آياته بأن الشيطان عدو الإنسان ، ويجب على الإنسان الذى يسلك طريق الله وينشد الأمان والنور أن يتخذ الشيطان عدوا له وأن يكون وليا لله وليس وليا للشيطان .

٢ - ثم يبين لنا الله عز وجل منهج الشيطان وأسلوبه لدفع الإنسان إلى الشر وذلك بالغواية والوسوسة ووحيه لأوليائه بالمعصية وطريق الفساد .

٣ - ولم تقف حد لمسات الحنان الإلهى عند كشف حقيقة الشيطان ونواياه الخبيثة من القضاء على الإنسان فقط وإنما أوضح لنا الله سبحانه وتعالى طرق غواية الشيطان للإنسان حيث أقسم الشيطان بعزة الله بأنه سيغوى عباده جميعا وكشف لنا الله عز وجل النقاب عن طرق إغواء الشيطان وذلك بأنه :

(أ) سيبعدهم عن الطريق المستقيم حيث قال الشيطان :

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الأعراف : ١٦)

(ب) وسيأتيهم من كل جهة ممكنة . . من بين أيديهم ، ومن خلفهم ومن يمينهم وشمالهم حيث قال الشيطان :

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الأعراف : ١٧)

٤ - وتتبع لمسات الحنان الإلهى من حب الله جل جلاله لعبده حيث يبين الله عز وجل لعبده المؤمن بأنه لن يترك الشيطان هكذا يتوعد دون إنذار وإنما أخبره الله عز وجل بأن يفعل مايستطيع فعله بأن يستفز من يريد بصوته ، ويجلب عليه بخيله ووسوسته وإيحائه بل ويشاركهم فى الأموال والأولاد ويعدهم بما يستطيع من الوعود ، ولكنها كلها وعود كاذبة وأباطيل مضللة الهدف منها الغرور والكبر والسعى فى طريق الفساد .

٥ - ويفيض الله من لمسات حنانه على عباده بأن يحذرهم من الشيطان والوقوع فى حبائله ويطمئن العباد المؤمنين بأن ليس للشيطان سلطان عليهم لأنهم أولياء الله ومن كان وليا لله فلا خوف عليه ولا يحزن ، ومهما وسوس الشيطان له وأغواه . . فهو فى نجاة منه برعاية الله وحنانه وليس للشيطان سلطان عليه ولكن الله يبتلى المؤمنين .

٦ - ثم تبين لنا الفتاة بأن الله عز وجل لم يتركنا عند حد أنه كشف لنا حقيقة عدونا وحذرنا منه فقط ، ولكنه أعطانا أيضا سبل النجاة وكيف ننجو بأنفسنا منه ومن شره وغوايته ووسوسته وضلاله ، وهذه السبل كما ذكرنا تتلخص فى الإستعاذة بالله ، وذكر الله ذكرا كثيرا ، والمجاهدة فى الله بكثرة الرياضات وعمل الطاعات وتربية النفس وترويضها .

وتذرف الدموع من عينى الفتاة لتشهد بأعماقها ووجدانها وكيانها كله :

ما أعظم لمسات الحنان الإلهى . . . . !

ما أروع آيات الحب الربانــــى . . . . !

ماذا يريد الإنسان بعد كل ذلك . . لقد بيّن لنا الله عز وجل كل شىء . . . . حذرنا من الشيطان ، ومن الوقوع فى غوائله والسقوط فى حبائله وأنه عدو الإنسان وبيّن لنا أسلوبه ومنهجه فى الغواية وكشف لنا هدفه من ذلك ثم هدانا سبحانه إلى الطريق القويم والصراط المستقيم حيث أرشدنا جل جلاله إلى طريق النجاة من الشيطان والقرب من الله .

أبعد كل ذلك نترك الله . . ونبتعد عن طريقه ، ونفسح المجال للشيطان ؟

لا . . . يأيها القلب المؤمن المحب لله . . توكل على الله ، وسر فى طريق الله واتخذ الشيطان عدوا لك ، فإنها معركة حياتك . معركة بين الخير والشر بين الحق والباطل . . وما دمت أيها القلب محبا لله وليا له طائعا صابرا حامدا شاكرا فستنتصر وسترفع راية النصر معلنا الأمان والسلام والحب .

وتنسال الدموع من عينى الفتاة كالنهر لا تستطيع إيقافها ينبض قلبها بحب الله . . يحترق فؤادها من شدة الشوق إلى الله واللهفة إلى لقاء الله شاهدة معترفة بنعمة الله وفضل الله العظيم قائلة :

[. . . حقا إن كل لحظة فى حياتنا تنعم بلمسات الحنان الإلهى ، وتشهد بآيات الحب الربانى ممتزجة بنسمات الرحمة الواسعة الشاملة مما يجب أن نشكر الله عليها ونحمده حمدا كثيرا . . . ومهما سلكنا من خطوات فى طريق الله ، ومهما حمدنا الله ، ومهما أكثرنا من شكر الله . . فسنظل عاجزين عن إيفاء الله حقه من الحمد والشكر وسنظل حتى يوم الدين فقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد رب العرش العظيم .

ولكن بكل عجزنا لايسعنا غير أن نشكر الله ونحمده ونسير فى طريقه ساعين إليه . . طامعين فى حبه وحنانه وحفظه لنا ونجاته لنا من الشيطان وأعوانه آملين فى الفوز برضائه ، والدخول فى رحمته يملأنا الحب والأمل فيغدق الله بلمسات حنانه وآيات حبه وعطائه الفياض بفتح أبواب السلام الروحى ، والإطمئنان القلبى ، والأمن النفسى] .

وتستمر الفتاة فى تأملاتها وتعمقاتها الفكرية فى الآيات القرآنية وما تحس به بكل وجدانها وأعماقها وكيانها كله من آثار نعمة الله ، وحب الله ، وحنان الله ، ورحمته الواسعة الشاملة حيث يبقى جانب يفرض نفسه على مسرح التأملات يشغل بال فتاتنا ، ويستحوذ على تفكيرها ، ويسيطر على أعماق وجدانها فى رحلتها التأملية وهو :

كيف يفرّق الإنسان بين وحى الله ووحى الشيطان ؟

وتستغرق الفتاة هنا فى بحار التعمق اذ تقودها تأملاتها بفضل الله وحده إلى محاولة تلمس الفرق بين الوحى الإلهى والوحى الشيطانى ، ولنقف هنا وقفة اذ تكشف لنا السطور القليلة القادمة المعرفة التى وصلت إليها الفتاة بفضل الله وحده وما أعظم فضل الله عليها - فى محاولة لتلمس الفرق بين وحى الله ووحى الشيطان :

عندما يستقبل الإنسان وحيا من عند الله يجد تسليما مطلقا فى كل ملكات نفسه بما أوحى اليه ولا يجد أية معارضة مطلقا فى القيام بما أوحى إليه ، ويصاحب هذا الوحى الإلهى اليقين الكامل المطلق الذى لا شائبه فيه ولا شك ولا أدنى ارتياب حتى ولو كذّبه الناس أجمعين .

ويشعر الإنسان فى ذلك الوقت بنور يسرى فى كيانه كله وبقوة غريبة فى وجدانه وفؤاده وبهدوء عميق يملأ نفسه وأمن وسكينة تغمر قلبه ويغلبه شعور قوى ويقين يسكن بداخله بأنه يرى الحقيقة بل ويلمسها وأن هذا مايشعر به بل ويحسه فضل من عند الله ونور إلهى يجد نفسه طائعا لهذا الأمر الإلهى قائما بكل ما أوتى له وما استقبله من الوحى الربانى .

ولقد أعطانا الله أمثلة كثيرة فى القرآن الكريم للوحى الإلهى مثلما حدث فى قصص الأنبياء ، ونجد أيضا ذلك واضحا وضوح الشمس فى قصة أم موسى عندما أوحى الله اليها بالقاء ابنها فى اليم لإنقاذه ، وبالرغم من صعوبة التنفيذ حيث أنه صعب على أى أم أن تلقى بإبنها فى اليم بيدها ، ولكن أم موسى فعلت ذلك بتسليم مطلق وتصديق كامل ويقين متكامل لاشك فيه ولا شائبة لأنه كان وحيا من عند الله رب العالمين وعندما يأتى الوحى الإلهى يكون هناك التسليم المطلق فى جميع ملكات النفس ، والتصديق الكامل واليقين الذى يسكن فى كل خلجة من خلجات الإنسان ثم يصاحب ذلك كله الهدوء والأمان والسلام الداخلى الذى من الصعب وصفه فيتحقق الإستقرار النفسى للإنسان ويسير فى طريقة مؤمنا مصدقا بما أوحى إليه حتى ولو كذبته الدنيا كلها لأنه أصبح على يقين بأن ماجاءه وحى من عند الله ، وما قام به من إتباع للوحى الالهى هو بأمر الله وإرادته وإذنه . . جل جلاله . . . سبحانه ما يشاء . . . وعلى كل شىء قدير .

ونتوقف هنا لحظة قصيرة حيث لاحظنا شرود الفتاة بعيدا أثناء تأملاتها عن الوحى ثم فجأة ارتسمت على وجهها ابتسامة مريحة تدعو إلى الإطمئنان وكأنها لمست شيئا تحمد الله عليه ، وعندما سألناها عن سبب هذا الشرود المفاجىء اثناء استغراقها فى تأملاتها فتوجهت الينا وكأن سؤالنا أخذها من لحظة تفكر كانت تعيش فيها بكل وجدانها ، وأخذت تكشف النقاب عن سر هذا الشرود المفاجىء الذى لاحظناه حيث أن تأملاتها قادتها الى شىء لم تنتبه له من قبل وهو أن هناك تشابه بين قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما رأى فى المنام أنه يذبح ابنه ، وبين الوحى الذى أوحى الله سبحانه وتعالى به أم موسى بأن تلقى بابنها فى اليم .

فنحن أمام أمران من الله سبحانه وتعالى ظاهرهما هو الإقدام على موت الإبن ولكن باطنهما يحمل حكمة كبرى لا يعلمها إلا الله وحده حيث تكشف لنا الأحداث من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وقصة أم موسى بلمسات حنان الله ونجاته للطفلين حيث نجىّ الله إسماعيل عليه السلام وفداه بكبش عظيم جزاء وثوابا لإبراهيم العبد الذى وفى وأطاع أمر الله ونجح فى ابتلاء الله له . ثم نجاة الله أيضا لموسى ولمسات حنان الله عليه وحكمته فى أن يربيه ويحتضنه عدو الله فرعون الذى سيقف أمامه موسى وسيكون سببا فى زوال ملكه داعيا إلى عبادة الله وحده لاشريك له حيث وضع الله فى قلب امرأة فرعون الحب لموسى وطلبت من فرعون أن تتخذه ولدا .

قال الله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾

(القصص : ٩)

وبذلك نجىّ الله سبحانه وتعالى موسى وأنقذه من الموت حيث كان فرعون يقتل كل ذكر يولد فى هذه السنة ، وصدق وعد الله لأم موسى بألا تخاف ولا تحزن فإن الله حافظه ومنجيه وراده إليها ووعد الله حق .

قال الله تعالى :

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (القصص : ١٠ - ١٣)

والغريب أيضاً أن الطفلين كانا أنبياء من أولى العزم . .
فإبن إبراهيم عليه السلام هو سيدنا إسماعيل عليه السلام . .
الرسول النبى الصادق الوعد . .

قال الله تعالى :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ (مريم : ٥٤ - ٥٥)

والطفل الآخر هو موسى عليه السلام . . الرسول النبى المخلص . .

قال الله تعالى :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ (مريم : ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣)

وتمتد لمسات الحنان الإلهى على حياة الطفلين ، وتحلق أجنحة الرحمة الإلهية حولهما ، وتشع أنوار الإنقاذ الربانى طريقهما حيث ينقذ الله سبحانه وتعالى الطفلين وينجيهما إذ كتب الله لهما أن الأيام تحمل لهما أعظم لمسات الحنان الإلهى فى جعلهما أنبياء مرسلين يحملون الدعوة إلى الله والإيمان به هو وحده ، والحب له هو وحده ، وينزل الله بأمره كلمة الأمر الإلهى « كن فيكون » فينقذ سيدنا إسماعيل ويفديه بكبش عظيم وتكون طاعة سيدنا إبراهيم عليه السلام لربه عيداً يحتفل به المسلمون كل عام . وينجّى سبحانه موسى من الموت حيث تبتعد ظلال الموت والغرق عن موسى بأمر الله ، ويضع الله الحب فى قلب امرأة فرعون إنقاذاً له وإيذاناً بحياة ومرحلة جديدة يدخلها موسى تهيئة واستعداداً لما سيستقبله ويتلقاه من الله عز وجل .

إذن أوقفتنا فتاتنا فعلاً عند نقطة هامة جداً وهى التشابه الكبير فى القصتان مع الإختلاف فى شكل القصتان وأبطالهما ومضمون التنفيذ ولكنهما يشمران فى النهاية إلى حقيقة هامة جداً وهى نجاة الله وحفظه للطفلين ، وهذه الحقيقة تعتبر لمسة عظمى من لمسات الحنان الإلهى ونعمة كبرى من نعم الله عليهما .

وإذا تتبعنا هذا التشابه وأوجه الإختلاف فى القصتان نجد ذلك واضحاً فى النقاط الآتية :

١ ـ أن هناك رؤية صادقة من عند الله ، ووحيا يقينيا صادقا من عند الله . .

٢ ـ إن القصتان ينطويان على أمران من عند الله . .

الأول : جاء فى صورة رؤية صادقة لسيدنا إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه .

والثانى : جاء فى صورة وحى صادق لأم موسى بأن تلقى بابنها فى اليم .

وسواء كان شكل الأمر فى صورة رؤية أو وحيا إلا أنه أمراً من عند الله سبحانه وتعالى .

٣ ـ وبالرغم من أن ظاهر الأمرين يشيران إلى إنهاء حياة الطفلين إلا أنهما كانا يبطنان حكمة أخرى لا يعلمها إلا الله وحده حيث كشفت الأيام باطن الأمر الأول وهو إبتلاء سيدنا إبراهيم عليه السلام . أما باطن الأمر الثانى فهو إنقاذ موسى من أيدى فرعون وجنوده حيث كان يأمر بقتل كل طفل ذكر يولد فى هده السنة .

٤ ـ أثمرت هاتان القصتان عن حقيقة هامة وهى نجاة الله وحفظه سبحانه وتعالى للطفلين حيث نجىّ اسماعيل من الذبح وفداه بكبش عظيم ، ونجىّ موسى من الغرق ومن قتل فرعون له بإدخال الحب فى قلب إمرأة فرعون لموسى ورغبتها فى أن تربيه وتتخذه ولدا لها .

وكانت نجاة الله لهما لمسة كبرى من لمسات الحنان الإلهى ، وآية عظمى من آيات الرحمة الربانية يقف عندها كل إنسان مؤمن يحب الله ، وهذا وعد الله بأن ينجى المؤمنين .

٥ ـ كانت الأيام تحمل مفاجأة كبرى بأمر الله ، ولا أحد يعلمها إلا الله وحده وهى أن الطفلين اللذين جاء الأمران فى شأنهما سيكونان نبيين مرسلين يدعوان إلى الله وحده لا شريك له . .

فالطفل الذى جاء فيه الأمر الإلهى من خلال الرؤ ية بذبحه هو سيدنا إسماعيل عليه السلام . . الرسول النبى الصادق . .

والطفل الآخر الذى جاء فيه الأمر الالهى من خلال الوحى بإلقاءه فى اليم هو سيدنا موسى عليه السلام . . الرسول النبى المخلص . . . . وكأنهما كانا يُعدان ويُهيئان لجعلهما أنبياء يحملان الرسالة الإلهية والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له .

وهذا كله إن دلنا على شىء ـ فإنما يدلنا على حقيقة ثابتة وهى أنه عندما يأتى الوحى من عند الله فهو وحيا يقينيا صادقا لا شك فيه ولا شائبة ، ولا يحق لنا أن نفسر أو نقيس ما يفيض الله به على الإنسان المؤ من بالظواهر الدنيوية والمقاييس البشرية . . فهناك أموراً يراها ويشهدها الإنسان فى رؤ ياه وتبطن أسرار وأسرار هى حق وصدق لأنها من عند الله . .

من الممكن أن يعجز الانسان عن فهم هذه الأسرار ولكن لايجب أن

يشك فيها أبداً ويطلب دائما من الله العون والنور والهداية ، وطالما الإنسان يلجأ إلى الله وحده . . فإن الله عز وجل لا يتركه بل يمن عليه بالفتوحات ويكشف له من الأسرار بما يشاء فيفهم هذا العبد المؤمن ويدرك أمورا ويعرف أسرارا لم يكن يعرفها من قبل ، وهذا كله بفضل الله وحده وهدايته وعونه هو وحده .

وتعود الفتاة إلى أدراج تأملاتها مرة أخرى فى محاولتها لتلمس الفرق بين الوحى الإلهى والوحى الشيطانى وبعد توقفها عند الوحى الإلهى فى لحظات من التعمق والتفكر والتبصر تستكمل مشوار التأملات بفضل الله إذ تبين لنا بأن الوحى الشيطانى يختلف عن الوحى الإلهى إختلافا كليا إذ عندما يتلقى الإنسان وحيا من الشيطان لا يحس بالتسليم المطلق فى ملكات نفسه كما يحدث عند الوحى الإلهى ، كما يصيب الإنسان شك وارتياب فيما أوحى اليه ويقع فى حيرة . . هل هذا الوحى الذى يتلقاه حق أم باطل . .

وينتابه شك فى صدقه . . وإذا تحدث به إلى أحد ووجد الإجابة على أن ما يتلقاه باطل يجد الانسان أنه يصدّق هذه الإجابة ويشك فى هذا الوحى وفيما يتلقاه . .

وبذلك لا يصاحب هذا الوحى اليقين المطلق كما يحدث عند الوحى الإلهى إذ يصدّق فيه بما يتلقاه ويؤمن به حتى ولو كذّبه الناس أجمعين . .

إن هذا الوحى الشيطانى لا يصاحبه إلا الكذب والغرور وبالتالى يحس الإنسان بالتردد والقلق والحيرة والضياع مما يسبب الإكتئاب والقلق النفسى والتوتر العصبى مما ينعكس على تصرفاته وإنفعالاته حيال نفسه أولا والآخرين ثانياً .

إذن هناك علامات وإشارات تنير الطريق أمام الإنسان المؤمن حيث تجعله يميز بين الوحى الإلهى والوحى الشيطانى ؟

فإذا كانت هذه العلامات والاشارات تتجه إلى التسليم المطلق واليقين الكامل المتكامل مما يبعث على النفس الهدوء والسلام والسكينة والطمأنينة والأمن النفسى .

إذن فإن ما يستقبله الإنسان فى ذلك الوقت هو وحيا من عند الله .

أما إذا كانت العلامات والإشارات تشير إلى الشك والارتياب والحيرة مما يسبب القلق النفسى والتوتر العصبى والاكتئاب واليأس والإعتراض على كل شيء والغرور .

إذن فإن ما يستقبله الإنسان فى ذلك الوقت هو وحيا من عند الشيطان .

وهناك حقيقة هامة تحرص الفتاة على أن تؤكدها وتقررها لنا وهى :

إن الله عز وجل مع الإنسان المؤمن ينجيه ويدافع عنه ويحفظه .

فمما لا شك فيه إذا استطاع الإنسان أن يميز بين الوحى الإلهى والشيطانى فإن هذا التمييز ليس من مجهود الإنسان ، ولا من شأن قدرته المحدودة ولا عبقريته وإنما هذا التمييز الذى وصل إليه إنما بفضل الله ، وهداية الله وعون الله وحده .

وهنا تستوقفنا الفتاة حيث تذكرت بأنها فى بعض الأحيان كانت ترى فى رؤياها الشيطان فى صورة جميلة وفى مظهر حسن لا يجعلها أن تحكم عليه بأنه شيطان بل كانت تشك بأنه أقرب إلى الملك وهذا الحكم كانت تشعر به بداخلها .

ولكن فجأة وفى أقل من لحظة تجد نفسها تميز حيث يجيء لها خاطراً يرشدها بأن ما تراه فى هذه الصورة الحسنة ليس بملك وإنما شيطان .

هذا التمييز بأنه شيطان وليس بملك إنما جاء بفضل الله وهداية الله إليها ، وعونه لها ، وإرشاده لها بأن ما تراه فى هذه الصورة الجميلة شيطان فعليها أن تحذر منه .

كما تقرر الفتاة بأنه إذا كان هناك علامات يستطيع الإنسان من خلالها أن يميز بين الوحى الإلهى والشيطانى فإن هذه العلامات والإشارات بفضل الله وهداية الله حيث أن الأحاسيس التى يشعر بها الإنسان هى من عند الله وبأمر الله ويجب على الإنسان أن يتذكر ذلك دائماً ويحمد الله على ذلك حمداً كثيراً .

هكذا كانت محاولة تلمس الفتاة لمعرفة الفرق بين وحى الله جل جلاله ووحى الشيطان .

وبعد ذلك العرض عن حقيقة الشيطان التى أوضحها لنا الله عز وجل فى الكثير من آياته الكريمة . . عرفت الفتاة وآمنت وأيقنت تماماً بأن الشيطان هو العدو الحقيقى للإنسان ، وعلى الإنسان أن يتخذه عدوا وألا يعطى له الفرصة للإنتصار والإنقضاض عليه وكل ذلك بالسبل التى كشفها الله لنا فى الكثير من آياته الكريمة للنجاة من عدو الإنسان الحقيقى وهو الشيطان .

كما خرجت الفتاة ـ بطلة قصتنا ـ بحقيقة هامة وهى أن الشياطين يوحون لأوليائهم وما يوحون لهم إلا الكذب والغرور والضلال ، وما يجنى أولياء الشيطان إلا الضياع والحسرة والندم .

ودائماً يصاحب الوحى الشيطانى الكذب والشك والإرتياب ، أما الوحى الإلهى فهو يقينى ويصاحبه التصديق المطلق الذى لا شك فيه ويثمر السكينة والإطمئنان والسلام الداخلى العميق والإحساس المتكامل فى كل خلجة ، وفى كل نبضة ، وفى كل همسة بحب الله ، ولمسات حنان الله ، ونسمات رحمة الله مما يقود الإنسان إلى زرع بذور الحب والخير فى الحياة آملا متفائلا واثقا دائماً فى عون الله مستمداً الصبر والأمل من الإيمان الكبير بالله جل جلاله الذى يغمر قلبه ، ويهز وجدانه ، ويتفاعل به كيانه كله .

إذن وبعد هذه اللحظات التأملية التى عاشتها الفتاة فى أعماق كلمات الله ، ولمست نسمات حنان الله ، وحب الله ، ورحمة الله ، خرجت الفتاة ـ بطلة قصتنا ـ بحقائق هامة أنارت بصيرتها ، وأصقلت سلوكياتها حيث أرشدتها هذه الحقائق إلى أوجه الإختلاف بين الوحى والإلهام التى وقفت عندها واستوقفتنا معها لمعرفة حدود الإختلاف بينهما لعله يكون فى هذه المعرفة ثمرة نافعة ترشدنا فى الطريق .

وكانت هذه الحقائق التى أثمرت عن أوجه الإختلاف بين الوحى والإلهام تشير إلى :

١ ـ أن محل الوحى هو الروح والقلب والفؤاد . أما محل الإلهام فهو النفس والعقل .

٢ ـ إن الوحى يقينى لا شك فيه أما الإلهام فهو ليس بيقين . . قابلا للصواب وقابلا للخطأ ، قابلا لسبيل الخير أو الشر .

ولذلك فهو معرضا أن يكون فى طريق الفجور أو فى طريق التقوى والصلاح .

٣ ـ يثمر الوحى الإطمئنان والسكينة والأمن النفسى ، أما ثمرة الإلهام فتتجه إلى أحد السبيلين :

إما أن يثمر الإطمئنان والأمان أو الضياع والقلق النفسى حسب السبيل الذى يسلكه الانسان .

وتستمر الفتاة فى رحلة تأملاتها ، ثابتة فى خطواتها ، حامدة شاكرة الله فضله العظيم ، حريصة على الإرتقاء فى طريق الله ، آملة فى القرب من الله ، طامعة فى حب الله .

٢ ـ الخطاب الإلهى والوحى :

كما حدث فى قصة موسى عليه السلام حين رأى ناراً وأمر قومه أن يجلسوا مكانهم حتى يذهب إلى النار لعله يأتيهم منها بخبر ، أو يجد أحدا يسأله عن الطريق فيهتدى إليه ، أو يحضر إليهم بعض أخشابها المشتعلة لتدفئتهم .

وسار موسى مسرعاً ليدفىء نفسه . . يده اليمنى تمسك عصاه ، جسده مبلل من المطر . . ظل يسير حتى وصل إلى واد يسمونه طوى . . لاحظ شيئاً غريباً فى هذا الوادى . . لم يكن هناك برد ولا رياح . . ثمة صمت عظيم ساكن . . واقترب موسى من النار . . لم يكد يقترب منها حتى نودى :

﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ ﴾

(النمل : ٨)

توقف موسى فجأة . . وارتعش . . كان الصوت يجيء من كل مكان ولا يجيء من مكان محدد . . ثم ارتجت الأرض بالخشوع والرهبة والله عز وجل ينادى :

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾
(طه : ١١ ، ١٢)

انحنى موسى راكعاً وجسده كله ينتفض وخلع نعليه . .

عاد الحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾
(طه : ١٣ - ١٦)

زاد انتفاض جسد موسى وهو يتلقى الوحى الإلهى ويستمع إلى ربه وهو يخاطبه :

قال الرحمن الرحيم :

﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾
(طه : ١٧)

أجاب موسى وصوته يرتعش :

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴾
(طه : ١٨)

قال الله عز وجل :

﴿ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾
(طه : ١٩)

رمى موسى العصا من يده وقد زادت دهشته . . وفوجىء بأن العصا تتحول فجأة إلى ثعبان عظيم الحجم هائل الجسم . . وراح الثعبان يتحرك بسرعة . . ولم يستطع موسى أن يقاوم خوفه . . أحس أن بدنه يتزلزل من الخوف ، فاستدار موسى فزعاً وبدا يجرى . . لم يكد يجرى خطوتين حتى ناداه الله :

﴿ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل : ١٠)

﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴾ (القصص : ٣١)

عاد موسى يستدير ويقف . .
لم تزل العصا تتحرك . . لم تزل الحية تتحرك .
قال الله سبحانه وتعالى لموسى :

﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ (طه : ٢١)

مد موسى يده للحية وهو يرتعش ، لم يكد يلسمها حتى تحولت فى يده إلى عصا . عاد الأمر الإلهى يصدر له :

﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ ﴾ (القصص : ٣٢)

ووضع موسى يده فى جيبه وأخرجها فإذا هى تتلألأ كالقمر . . زاد انفعال موسى بما يحدث ، ووضع يده على قلبه كما أمره الله فذهب خوفه تماماً .

إطمأن موسى وسكت . . وأصدر الله أمراً بعد هاتين المعجزتين . . معجزة العصا واليد ، وهو أن يذهب إلى فرعون ليدعوه إلى الله برفق ولين ويأمره أن يخرج بنى اسرائيل من مصر . .
وأبدى موسى خوفه من فرعون .
قال إنه قتل منهم نفسها ويخاف أن يقتلوه .
توسل إلى الله بأن يرسل معه أخاه هارون . . طمأن الله موسى أنه

سيكون معهما يسمع ويرى ، وأن فرعون رغم قسوته وتجبره لن يمسهما بسوء .

أفهم الله موسى أنه هو الغالب .

ودعا موسى وابتهل إلى الله أن يشرح له صدره وييسر له أمره ويمنحه القدرة على الدعوة إليه .

قال تعالى فى سورة طه :

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ
ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾
فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ
بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾
إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾
إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾
فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ
بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا
عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾
فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا
سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ
غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾
ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾
وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟
قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ

بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾
وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ
يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ
إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى
ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا
وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَـٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا ۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾ (طه : ٩ - ٤١)

لا نعرف ماذا نقول تعليقا على قول الله تعالى لعبد من عباده . .

﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾

اختار الله موسى واصطنعه لنفسه . . سبحانه . . وتلك قمة من قمم التشريف لموسى عليه السلام .

وتتأمل الفتاة كثيراً فى هذه القصة التى تحوى خطاب من الله مباشرة لعبده موسى وتسرح طويلا وكأن شيئا ما يشدّها لكى لا تقف فقط عند هذا المشهد - حيث أن جميع الأضواء تسلّط على هذه القصة بأن موسى هو النبى الوحيد الذى اصطفاه الله بخاصية التكليم الإلهى ، وهذا الشىء الذى يشدّها يدفعها دفعا لكى تتأمل وتتعمق عند بعض المشاهد القرآنية الأخرى والتى انطوت على خطاب من الله مباشرة إلى بعض أنبيائه .

فهيا معا نسير مع الفتاة خطوة بخطوة ولحظة بلحظة لنقف معها عند

تأملها فى هذه المشاهد القرانية التى تدل على تكليم الله جل جلاله لبعض أنبيائه .

وفى ذات يوم حيث كانت الفتاة جالسة غارقة فى بحار التأمل وإذا بها تتذكر وتقف عند الآية القرآنية التى ينادى فيها الله عز وجل عبده ورسوله إبراهيم عليه السلام حيث قال الله تعالى :

﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ (١٠٤) قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ (١٠٧) وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ (١٠٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١١١)

(الصافات : ١٠٤ - ١١١)

وتتأمل الفتاة فى هذه الآية القرآنية التى تقرر بأن هناك نداء إلهى حدث حيث نادى الله سبحانه وتعالى إبراهيم بإسمه وقال له :
يا إبراهيم قد صدقت الرؤ ية .

إذن لقد كان هذا النداء الربانى يحتوى على خطاب إلهى من الله مباشرة إلى إبراهيم .

وتتعمق الفتاة فى قصة إبراهيم عليه السلام حيث تقف وقفة تأمل عند مشهد ذبح إبراهيم لابنه إسماعيل حيث تخرج بمعرفة هامة وهى أن هذا المشهد العظيم يبلور آية قرآنية نجدها تتحقق وصورة حية حقيقية تنبض أمامنا وهذه الآية هى :

﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ (٣٩) ﴾

(الرعد : ٣٩)

فلقد كان من المقدّر لاسماعيل أن يذبح بيد والده مصداقا للرؤ ية التى رآها إبراهيم عليه السلام ولكن الله سبحانه وتعالى محى ذلك الشىء المقدّر وهو ذبح إبراهيم لإسماعيل وافتداه بكبش عظيم .

وهنا صورة حية تبين محو الشىء المقدّر بأمر الله .

وتستمر الفتاة فى تأملاتها حيث تدعونا للتعمق فى أغوار القصص القرآنى وعند قصة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام تستوقفنا الفتاة عند قول الله تعالى :

﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ ﴾ (الفتح : ٢٧)

وهنا بشرى للرسول عليه الصلاة والسلام بأن رؤياه صادقة وأنه والمؤمنون سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين .

فإن هذه الآية القرآنية تعبر وتنطوى على تثبيت الله جل جلاله للشىء المقدّر أن يحدث بأمره تعالى .

فنحن أمام نموذجان من الرؤية الصادقة رآها اثنان من أولى العزم من الرسل ، وفى الحالتين كانت هناك البشرى من الله عز وجل بصدق الرؤية ولكن الله جل جلاله أراد أن يمحو فى قصة إبراهيم الشىء المقدّر حيث ابتلاه الله بإبتلاء شديد وكان إبراهيم هو العبد الذى وفىّ وأطاع أمر الله ، ومحى الله جل جلاله أمر ذبح اسماعيل وفداه بكبش عظيم جزاء وثوابا لإبراهيم عليه السلام فإنه كان من المحسنين .

وفى النموذج الآخر إثبات لما رآه رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام بأنه والمؤمنون سيدخلون المسجد الحرام بإذن الله آمنين وهذه بشرى إطمئناناً للرسول ، ولقد حدث ما رآه الرسول بالفعل فى رؤياه وهنا ثبتّ الله الشىء المقدّر له أن يحدث بأمره تعالى .

وفى قصة أخرى من القصص القرآنى تقف الفتاة وقفة ممتزجة بالتأمل والتعمق والرهبة والخشوع حيث تتجلى أجمل معانى الرحمة الربانية وأعظم آيات الحنان الإلهى التى تبلور وتبرهن وتؤكد على محو الشىء وتثبيته بأمر الله وحده ، ونجد ذلك واضحا كالنور الساطع فى قصة يونس عليه السلام حينما عاقبه الله جل جلاله بإبتلاع الحوت له وأدرك يونس عليه السلام حينئذ الخطأ الذى وقع فيه وهو أنه ترك قومه بغير إذن الله .

وفوجيء يونس بنفسه فى بطن الحوت ، والحوت يجرى به فى جوف البحر . والبحر يجرى به فى جوف الليل . . ظلمات ثلاث . . بعضها فوق بعض .

ظلمة جوف الحوت . .

وظلمة قاع البحر . .

وظلمة الليل . .

وبدأ يونس يبكى ، ويسبح الله . . بدأ رحلة العودة إلى الله وهو سجين وسط الظلمات الثلاث . تحرك قلبه بالتسبيح لله وتحرك بعدها لسانه بقوله :

﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الانبياء : ٨٧)

واستمر يونس فى تسبيحه لله . . لا يتوقف ولا يهدأ . . ومكث يونس فى بطن الحوت زمنا لا نعرف مقداره . . ظل طول الوقت يقوم بتسبيح الله ويقول بقلبه ولسانه ودموعه :

﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الانبياء : ٨٧)

وراى الله سبحانه وتعالى صدق يونس فى توبته . . سمع الله تعالى تسبيحه فى جوف الحوت وبدأت أنوار الحنان الربانى تشرق وآيات الرحمة الربانية تهبط على النبى الكريم يونس حيث صدرت الأوامر للحوت أن يخرج إلى سطح البحر ويقذف بيونس من جوفه عند جزيرة حددتها الأوامر .

أمر الله تعالى الحوت فجاء من عالم البرد الزمهرير وظلمة البحر صعدا نحو الدفء والشمس المنعشة ومتع الأرض .

وقذف يونس إلى البر فوق جزيرة عارية . . إن جسده ملتهب بسبب الأحماض فى معدة الحوت . وكان هو مريضا وأشرقت الشمس فلسعت أشعتها جسده الملتهب فكاد يصرخ من الألم لولا أنه تماسك وعاد للتسبيح .

وأنبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين . . وهو نبات أوراقه عريضة تقى من الشمس . . ثم شفاه الله تعالى وعفا عنه . . وأرسله إلى مائة الف

أو يزيدون وأفهمه الله تعالى أنه لولا التسبيح لظل فى جوف الحوت إلى يوم القيامة .

قال تعالى فى سورة الصافات :

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ
فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ
أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
* فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾
وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾

(الصافات : ١٣٩ - ١٤٨)

وتقف الفتاة أمام هذه الآية الكريمة وقفة تعمق مصحوبة بالإيمان والرهبة وكأن شيئا ما يناديها ويدعوها للغوص فى بحار هذه الآية الكريمة التى توضح حقيقة هامة لا شك فيها وهى أن الله يمحو ما يشاء ويثبتّ حيث كان من المقدّر ليونس عليه السلام أن يظل ويلبث فى بطن الحوت حتى يوم القيامة ولكن الله جل جلاله يمحو ذلك الشىء المقدّر بأمره فينجى يونس من بطن الحوت ويشفيه ويرسله إلى مائة الف أو يزيدون .

إذن هذا المشهد من قصة يونس عليه السلام يبلور ويوضح بأن الله محى الشىء المقدّر أن يحدث وهو إستقرار يونس فى بطن الحوت حتى يوم يبعثون إلى شىء آخر ثبتهّ وحققه سبحانه فى الواقع وهو نجاة يونس من بطن الحوت وشفائه إنه سبحانه على كل شىء قدير .

أليست هذه لمسة عظيمة من لمسات الحنان الإلهى ..!
أليست هذه آية حية من آيات الحب الربانى ..!

ولم تتوقف لمسات الحنان الإلهى وآيات الحب الربانى فى قصة يونس عليه السلام عند حد نجاة يونس وشفائه فقط ولكنها امتدت إلى أن فتُح عليه باب الرحمة والمغفرة حيث غفر الله له وعفا عنه وأرسله إلى قوم يصل عددهم مائة الفا أو يزيدون ومتعهم إلى حين .

وتستمر الفتاة فى تأملاتها وتعمقها وتفكرها وتدبرها فى هذه الآية الكريمة حيث تخرج بمعرفة هامة وهى أهمية التسبيح فى حياة الإنسان حيث تكشف الآية المباركة بأن يونس كان سيظل فى بطن الحوت حتى يوم يبعثون لولا أنه كان من المسبحين .

وهنا تعرف الفتاة بأن التسبيح كان سببا من أسباب نجاة يونس عليه السلام .

إذن يكشف الله جل جلاله لنا عن حقيقة هامة وحيوية وهى : أهمية التسبيح وفائدته وثماره . . فلولا أن يونس كان من المسبحين لظل فى بطن الحوت حتى يوم يبعثون . . وبذلك كان تسبيح يونس الدائم والمستمر لله سبحانه وتعالى سببا ودافعا فى نجاته وشفائه بأمر الله ، وكما كان سببا فى نجاته وشفائه كان سببا أيضا فى مغفرة الله له وعفوه عنه . وهذه رحمة كبرى يهبها الله لمن يشاء من عباده .

وبذلك يعلّمنا الله عز وجل من خلال هذه القصة بأن التسبيح ينجينا ويرحمنا ويقودنا إلى عفو الله عنا والفوز برضائه ومحبته .

لقد كانت التجربة التى مر بها يونس عليه السلام آية حية صادقة تشهد بالحنان الإلهى والحب الربانى والعطف النورانى . . وهكذا ينجى الله المؤمنين .

قال تعالى فى سورة الانبياء

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الانبياء : ٨٧ ، ٨٨)

كانت هذه نماذج ثلاث من القصص القرآنى تعلّمنا وتقودنا إلى معرفة أن الله يمحو ما يشاء ويثبّت وهى حقيقة كشفها الله لنا فى كتابه العظيم « القرآن الكريم » .

إذن حقا فإن الله سبحانه وتعالى يمحو ما يشاء ويثبّت ما يشاء .. له وحده الملك .. وبيده ملكوت كل شيء .. وعلى كل شيء قدير وعنده أم الكتاب وبيده وحده مفاتيح الغيب كلها لا إله إلا هو وحده لا شريك له .

وتغوص الفتاة في بحار التأمل أكثر وكأن شيئا يشدها ويمسك بيدها لتتعمق أكثر حيث تقف عند هذا المشهد القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام عندما طلب ذلك النبي المحب لله العابد له المخلص له جل جلاله بأن يريه الله كيف يحيي الموتى .

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ (البقرة : ٢٦٠)

تقف الفتاة كثيرا عند هذه الآية وتستوقفنا معها حيث تقول :

[نحن أمام مشهد قرآني يتضمن حوارا بين الله عز وجل وإبراهيم حيث طلب إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ورد عليه الله جل جلاله :
أو لم تؤمن .. فقال إبراهيم في أدب واستحياء من الله : بلى ولكن ليطمئن قلبي .
فرد عليه سبحانه بالخطوات التي يسلكها ويتبعها لكي يعرف إجابة سؤاله وكانت هذه الخطوات هي : ذبح أربعة من الطير ويفرّق أجزاءها على الجبال وأن يدعوهم باسم الله فستأتيه هذه الطيور بعد التئام والتحام أجزاءها سعيا إلى إبراهيم بإذن الله وأمره] .

إذن هنا وفي هذا المشهد حدث خطاب إلهي من الله مباشرة إلى

إبراهيم ولقد أخذ شكل هذا المشهد صفة الحوار المتبادل بين الله جل جلاله وعبده ورسوله إبراهيم عليه السلام حيث حدث فيه طلب وسؤال من إبراهيم ورد واجابة من الله عز وجل على إبراهيم مصحوبة بسلوك يتبعه إبراهيم ليعرف وليطمئن قلبه .

وتحس الفتاة بأن الشيء الذى يشدّها ويدفعها دفعا إلى بحار التأمل هو رياح تمسك بيدها لتتعمق وتقف وتتفكر وكأن هذه الرياح تجيب على كل ما يدور فى ذهنها وتساعدها على الإستغراق فى بحار التأمل والتعمق بأمر الله وتسير الفتاة بخطى واسعة بفضل الله حيث تقف عند مشهد يعتبر من أخطر وأجمل المشاهد القرآنية فى قصة إبراهيم أيضا حيث قرر قوم إبراهيم بأن يضعوه فى النار ويحرقوه جزاء بما فعله بآلهتهم .

وبدأ الإستعداد لإحراق إبراهيم . . انتشر النبأ فى المملكة كلها ، وجاء الناس من القرى والجبال والمدن ليشهدوا عقاب الذى تجرأ على الآلهة وحطمها واعترف بذلك وسخر من الكهنة . وحفروا حفرة عظيمة ملأوها بالحطب والخشب والأشجار ـ وأشعلوا فيها النار . . وأحضروا المنجنيق وهو آلة جبارة ليقذفوا إبراهيم منها فيسقط فى حفرة النار . . ووضعوا إبراهيم بعد أن قيدوا يديه وقدميه فى المنجنيق ، واشتعلت النار فى الحفرة وتصاعد اللهب إلى السماء . . وكان الناس يقفون بعيدا عن الحفرة من فرط الحرارة اللاهبة . . وأصدّر كبير الكهنة أمره بإطلاق إبراهيم فى النار . هبط إبراهيم فى النار . . كانت النار موجودة فى مكانها ولكنها لم تكن تمارس وظيفتها فى الإحراق حيث أصدر الله جل جلاله إلى النار أمرا :

قال الله تعالى :

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (الانبياء : ٦٩)

وتقف الفتاة وقفة صغيرة هنا حيث تؤيد بأن هذا نوع آخر من الخطاب الإلهى . . من الله مباشرة إلى النار ينطوى على أمر ربانى إلى النار بأن تفقد خاصيتها فى الإحراق وأن تكون بردا وسلاما على إبراهيم .

واذا أراد الله شيئا قال له : كن فيكون ، وهذا ما حدث . . أراد الله أن

تكون النار بردا وسلاما على إبراهيم فناداها وقال لها : « يانار » ثم أمرها الأمر الربانى بأن تكون بردا وسلاما على إبراهيم ، وقد كان ما أراده الله له ما يشاء ، وعلى كل شىء قدير .

وفى مشهد آخر فى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث قال الله تعالى فى سورة البقرة :

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ (البقرة : ١٣١)

هنا فى هذا المشهد خطاب آخر من الله عز وجل مباشرة إلى عبده إبراهيم ينطوى هذا الخطاب الإلهى على أمر من الله لعبده إبراهيم بأن يسلم ، وطاعة كاملة متكاملة وإستجابة وخضوع وخشوع من إبراهيم العبد الوفى لله سبحانه وتعالى حيث رد على أمر الله بأنه أسلم لرب العالمين .

إذن نحن أمام حوار بين الله جل جلاله وعبده إبراهيم تضمن أمر ربانى وطاعة لهذا الأمر الإلهى .

وهذا يعنى أننا أمام نوع آخر من الخطاب الإلهى من الله مباشرة إلى عبده إبراهيم عليه السلام .

وهكذا كانت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مليئة بالمشاهد التى تنطوى على خطاب إلهى من الله مباشرة إلى عبده ورسوله إبراهيم عليه السلام .

وتستمر الفتاة فى رحلة تأملاتها تشدّها الرياح حتى تقف عند قصة سيدنا عيسى عليه السلام اذ تتجلى صور اخرى من الخطاب الإلهى الموجه مباشرة إلى عيسى عليه السلام .

قال تعالى فى سورة المائدة :

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى

فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي
وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم
بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (110) وَإِذْ
أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا
مُسْلِمُونَ (111) ﴾

(المائدة : ١١٠)

وتقف الفتاة عند هذه الآية الكريمة التى تبين لنا خطاب من الله مباشرة إلى نبيه ورسوله عيسى عليه السلام ينطوى على خمس معجزات وهبها الله جل جلاله لعيسى عليه السلام وأفاض عليه بها .

وتستغرق فتاتنا فى أعماق آية أخرى حيث قال الله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

(آل عمران : ٥٥)

وتخرج فتاتنا من هذه الآية بأنها بشرى وإعلام مباشر من الله جل جلاله لعيسى عليه السلام بأنه سبحانه متوفيه ورافعه ومطهره من الذين كفروا ليطمئن قلبه وليثبته فى طريقه .

والوفاة فى كتاب الله عز وجل على ثلاثة أوجه :[1]

٢ ـ وفاة الموت لقوله تعالى :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (الزمر : ٤٢)

ويعنى حين إنقضاء أجلها .

٢ ـ وفاة النوم لقوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾ (الانعام : ٦٠)

---

(١) احمد بهجت : انبياء الله ، ص ٣٥

ويعنى الذى ينيمكم

٣ - وفاة الرفع لقوله تعالى :

﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ (آل عمران : ٥٥)

وتشد الرياح التى تمسك بالفتاة إلى الوراء إلى زمن قاسى ظلموا الناس فيه أنفسهم حيث بدأ إنحدارهم نحو الشرك .

وفى اللحظة التى يترك الناس فيها عبادة الله إلى عبادة الأصنام تحتضر روح الجمال فى الأرض ، ويعتلى القبح عرشه كسيد حاكم ، وينهزم الإنسان من الداخل ، وينتكس العقل البشرى ، ويتبع ذلك أن يزيد ظلم الظالمين وذل المظلومين ، كما يزيد فقر الفقراء وغنى الاغنياء ، ويتحول الوجود الإنسانى كله إلى جحيم لا يحتمل .

ينطبق هذا القانون دائما عندما يعبد الناس غير الله . . . . سواء أكان المعبود صنما من الحجارة ، أم عجلا من الذهب ، أم حاكما من الناس ، أم نظاما من الأنظمة ، أم مذهبا من المذاهب ، أم قبر ولى من الأولياء .

ذلك أن الضمان الوحيد للمساواة بين البشر تكمن فى عبوديتهم جميعا لله ، وكون الله هو خالقهم والمشرّع لهم فإذا ضاع هذا الضمان ، وادعى أحد من الناس أو زعم أحد الأنظمة لنفسه حق الألوهية ، فقد ضاع الناس وضاعت حرياتهم تماما .

وليست عبادة غير الله تتمثل فى ضياع الحرية وحدها ، وإنما يمتد أثرها الخطير إلى عقل الانسان فيلوثه وينكس أعلامه ويدمره .

وذلك أن الله تعالى خلق الإنسان ليعرف ، وجعل عقله جوهرة هدفها العلم . . وأخطر علم هو العلم بأن الله وحده هو الخالق وما سواه عبيد . هذه نقطة بدء لابد منها لتحقيق الخلافة بنجاح . .

وعندما يهدر العقل البشرى إمكانياته ، وينصرف لغير الله ،

لا يعود ..... هناك خطأ يتوقف عنده العقل البشرى ، أو يراجع نفسه فيه .. وقد يحدث أن يتقدم الإنسان ماديا بسبب أخذه بأسباب التقدم رغم عدم إيمانه ، ولكن هذا التقدم المادى الذى يخلو من معرفة الله ، يكون عذابا أعظم من أى عذاب لأنه ينتهى بتحطيم الإنسان لنفسه ... وعندما يعبد الناس غير الله تعالى ، يزداد بؤس الحياة وفقر الناس .. هناك علاقة وثيقة بين ذل الناس وفقرهم وعدم إيمانهم بالله وعدم تقواهم .

يقول الله تعالى فى سورة الاعراف .

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الاعراف : ٩٦)

وهكذا يؤدى الكفر بالله ، أو الشرك به إلى ذهاب الحرية ، وتحطيم العقل ، وزيادة الفقر ، وخلو الحياة من هدف نبيل وفى هذا الجو أظهر الله تعالى نوحا وبعثه برسالته إلى قومه .

كان نوح هو العقل الوحيد الطافى فوق دوامات الخراب الجماعى الهائل الممثل فى عبادة غير الله .

اختار الله عبده نوحا وأرسله إلى قومه .

كان نوح بمقياس الفكر ثورة فكرية .. وكان بمقياس النبل والنقاء جسدا لهما ، وكان بمقياس الذكاء قمة شامخة .

بإيجاز .. كان نوح بمقياس العظمة أعظم إنسان فى عصره .. لم يكن ملكا فى قومه ، ولا رئيسا عليهم ، ولا أغنى واحد فيهم .. نعلم الآن أن العظمة تختلف عن الملك والغنى والرئاسة .. انما توجدالعظمة فى نقاء القلب ، وطهارة الضمير وقيمة الأفكار التى يحملها العقل ، وقدرة هذا العقل على تغيير الحياة حوله .. وكان نوحا هذا كله وأكثر ..[1] .

كان نوح هو الإنسان الذى يذكر جيدا عهد الله لآدم وأبنائه حين

---

(١) احمد بهجت : انبياء الله ، ص٤٨

خلقهم فى عالم الذر .. كان على الفطرة مؤمنا بالله تعالى قبل بعثته إلى الناس ، وكل الأنبياء مؤمنون بالله تعالى قبل بعثتهم .

فيهم من يبحث عن الله تعالى كإبراهيم ، وفيهم من يؤمن به فى أعماقه كموسى .. وفيهم من يتعبد له ويخلو فى غار حراء كمحمد عليه الصلاة والسلام ....

وهناك سبب آخر لعظمة نوح .. كان إذا استيقظ أو نام أو شرب أو أكل أو لبس ملابسه أو خرج أو دخل .. يشكر الله ويحمده ويذكر نعمته عليه يعاود الشكر
لهذا قال الله تعالى عن نوح :

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ۝٣ ﴾ (الاسراء : ٣)

اختار الله عبده الشاكر وأرسله نبيا إلى قومه ، وخرج نوح على قومه وبدأ دعوته .

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥٩ ﴾ (الأعراف : ٥٩)

بهذه الجملة الموجزة وضع نوح قومه أمام حقيقة الألوهية ، وحقيقة البعث ... هناك إله خالق هو وحده الذى يستحق العبادة .. وهناك موت ثم بعث ثم يوم للقيامة يوم عظيم ، فيه عذاب يوم عظيم .

وتستغرق فتاتنا فى قصة نوح عليه السلام الذى ظل يدعو قومه إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاما وتنتقل فى قصته من مشهد إلى آخر حتى تقف عند مشهد من المشاهد القرآنية العظيمة حيث تتجلى صورة من صور الخطاب الإلهى مباشرة إلى نوح عليه السلام .

قال الله تعالى فى سورة هود

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥ ﴾ (هود : ٤٥)

قال الله سبحانه وتعالى مطلعا نوحا على حقيقة ابنه للمرة الأولى :

﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (هود : ٤٦)

وتقف الفتاة أمام هاتين الآيتين وتستوقفنا معها حيث تبين لنا بأننا هنا أمام حوار حدث بين الله جل جلاله ورسوله نوح عليه السلام اذ نادى نوح ربه مستنجدا به لاجئا إليه لإنقاذ ابنه ظنا منه أنه من المؤمنين ومن التابعين له معترفا مقرا بحقيقة هامة وهى وعد الله الحق فهو سبحانه أحكم الحاكمين .

ورد عليه الله جل جلاله مناديا له باسمه مطلعا له على حقيقة ابنه التى لا يعرفها وهى أنه ليس من الصالحين ولا التابعين له ونهاه أن يسأله ما ليس له به علم ونصحه ألا يكون من الجاهلين .

إذن نحن أمام صورة نابضة حية تبين لنا سؤال من نوح إلى ربه ولجوء إليه وحده لأنه هو وحده القادر على كل شىء والسميع العليم ثم رد وإجابة من الله جل جلاله حيث خاطب الله جل جلاله نوح عليه السلام وأطلعه على حقيقة ما كان يسأل عنه ويطلبه .

اذن فهذا خطاب من الله مباشرة إلى نوح .

ولا نستطيع ولا يحق لنا أن نقول إن هذا وحيا ولم يكن خطابا إلهيا لأنه فى موضع آخر فى نفس القصة ذكرت كلمة « وحى » :

قال الله تعالى :

﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

وتؤكد الفتاة وتدعو إلى أنه يجب على كل من يتأمل فى القصص القرآنى أن يفرّق بين الخطاب الإلهى والوحى ، ولا نحكم على أن الله كلمّ

موسى فقط بل كان هناك من الأنبياء والرسل من حظى بخاصية التكليم الإلهى ويجب أن نقف كثيرا عند الآيات التى أوحى الله فيها إلى رسله حيث قال « وأوحينا » أو « وأوحى الله » ، وآيات أخرى لم تذكر فيها كلمة « وحى » من قريب أو بعيد ولكنها تنطوى على خطاب مباشرة وحوار متبادل بين الله جل جلاله ورسوله الذى اختاره للدعوة إليه .

وتستمر الرياح فى دفعها للفتاة دفعا للتعمق فى أغوار القصص القرآنى حيث تستوقفها عند قصة آدم عليه السلام عندما انصرفت مشيئة الله تعالى إلى خلق آدم :

قال الله تبارك وتعالى للملائكة :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (البقرة : ٣٠)

وتتعمق الفتاة فى قصة آدم عليه السلام المليئة بصور متعددة من الخطاب الإلهى المباشر حيث تقف عند هذا المشهد القرآنى :

قال تعالى في سور البقرة

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (البقرة : ٣١ - ٣٣)

فنحن هنا أمام مشهد من الخطاب الإلهى المباشر حيث علمّ الله آدم الأسماء كلها أى أعطاه سبحانه سر القدرة على اختصار الأشياء فى رموز

ومسميات وكان هنا للفتاة لحظة تأمل حيث تبين لنا بأن آدم تلقى العلم مباشرة من الله بلا واسطة حيث عرض الله سبحانه هذه الأشياء على الملائكة وطلب منهم أن ينبئوه بأسماء هؤلاء فعجزوا عن ذلك وردوا العلم كله إلى الله ، وهنا أمر الله آدم بان ينبئهم بأسمائهم . . فلما انبأهم بأسمائهم قال الله تعالى للملائكة :

﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة : ٣٣)

أراد الله تعالى أن يقول للملائكة أنه علم ما أبدوه من الدهشة حين أخبرهم أنه سيخلق آدم ، كما علم ما كتموه من الحيرة ، كما علم ما أخفاه إبليس من المعصية والجحود .

وأدرك الملائكة أن آدم هو المخلوق الذى يعرف وهذا أشرف شىء فيه . . قدرته على التعلم والمعرفة .

وكان لوقفة الفتاة التأملية عند هذا المشهد فائدة اذ خرجت بحقيقة هامة وهى أن هذا المشهد القرآنى يعبر عن تلقى آدم العلم مباشرة من الله بلا واسطة حيث أن الملائكة عجزوا عن المعرفة بأسماء الأشياء فى حين أن ادم هو الذى عرّفهم بها ولقد تعلم آدم هذه الاسماء من الله مصداقا لقول الله تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾

وهنا تتجلى صورة من صور الخطاب الإلهى المباشر لآدم عليه السلام اذ يتلقى العلم من الله مباشرة ، وعند مشهد آخر تقف الفتاة فى لحظة تعمق حيث قال الله تعالى فى سور البقرة :

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة : ٣٥)

يعبر هذا المشهد عن صورة من صور الخطاب الإلهى المباشر حيث

انطوى على أمر من الله لآدم بسكنى الجنة مصحوبة بتحذير من الإقتراب من شجرة محددة .

اذن حدث هنا خطاب وتوجيه وأمر إلهى مباشر من الله جل جلاله إلى آدم عليه السلام .

وفى مشهد آخر تتبلور صورة اخرى من صور الخطاب الإلهى حيث قال تعالى فى سور طه :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (طه : ١١٥ - ١٢٣)

تقف الفتاة فى لحظة تفكر حيث تبين لنا أن هذا المشهد القرآنى يعبر عن خطاب من الله مباشرة إلى آدم عليه السلام حيث حدث هذا الخطاب أمام الملائكة وإبليس حينما أمر الله الملائكة أن يسجدو جميعا لأمر الله الذى تمثل فى السجود لآدم فسجدوا جميعا إلا إبليس أبى واستكبر ، وهنا توجه الخطاب الإلهى والتكليم الربانى إلى آدم عليه السلام حيث قال الله جل جلاله له :

﴿يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾

(طه : ١١٧ - ١١٩)

اذن حدث هنا خطاب إلهى مباشر موجه إلى آدم عليه السلام متضمنا أمر ربانى بإتخاذ إبليس عدو له ولزوجه .

وبالرغم من أن قصة آدم عليه السلام مليئة بنماذج من الخطاب الإلهى المباشر إلى آدم عليه السلام إلا أنه كان هناك موقف ومشهد استوقف الفتاة حيث تضمن وانطوى على شكل آخر من أشكال الخطاب الإلهى المباشر اذ قال تعالى فى سورة « ص » :

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ

مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾

إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن

تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠

خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ

﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ

﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ

فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾

(ص : ٧١ - ٨٣)

وقفت الفتاة كثيرا عند هذه الآيات القرآنية ، وسرحت طويلا فى هذا المشهد القرآنى العجيب الذى يتضمن حديث إلى الملائكة وإلى إبليس حيث أعلم الله جل جلاله الملائكة بأنه سبحانه خالق بشرا من طين وإذا سواه ونفخ فيه من روحه فليسجدوا له أجمعون وهذا هو الأمر الإلهى للملائكة وكان يقف معهم إبليس ، وجميع الملائكة استجابوا وأطاعوا أمر

الله وسجدوا إلا إبليس وهنا بدأت تتجلى صورة من الحوار العجيب الذى يستلزم من كل إنسان يتفكر ويتدبر أن يقف ليتأمل هذا الخطاب الإلهى المباشر إلى إبليس حيث قال الله عز وجل له :

يا إبليس . . ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ، ورد عليه إبليس بأن الله خلقه من نار وخلق آدم من طين ، والنار أفضل من الطين ويستمر الحوار دائرا بين الله جل جلاله وإبليس الجاحد العاصى اللعين حيث يأمره الله بأن يخرج منها فإنه رجيم ، وتحل لعنة الله عليه حتى يوم الدين لمعصيته وجحوده واستكباره وهنا يطلب إبليس من الله طلبا بأن يمهله حتى يوم يبعثون واستجاب الله الى طلبه ثم رد إبليس عليه حيث أقسم بعزة الله بأنه سيغويهم أجمعين إلاعباد الله المخلصين .

إذن حدث هنا خطاب من الله عزوجل مباشرة إلى إبليس حيث تأملت الفتاة فى هذا الخطاب الإلهى وخرجت بمعرفة هامة وهى حكم الله النافذ على إبليس ومن اتبعه بالطرد من رحمة الله ثم معرفة أخرى وحقيقة هامة أظهرتها هذه الآيات الكريمة وهى استجابة الله إلى طلب إبليس بأن يمهله حتى يوم البعث . . يوم الوقت المعلوم ثم قسم إبليس بعزة الله بأنه سيغويهم أجمعين إلا عباد الله المخلصين وهنا أعطاه الله عز وجل هذا السلطان بالغواية والوسوسة لابتلاء عباده فمن اتبعه فهو من حزب الشيطان يحيا فى شقاء وضلال وله معيشة ضنكا ومن حاربه فهو من حزب الله وإن حزب الله هم المفلحون حيث يحيا فى أمن وسلام وهناء روحى عميق .

وتستمر الفتاة فى تعمقاتها وتأملاتها حول صور الخطاب الإلهى حيث توضح لنا « بأنه » لم تكن سورة « ص » هى السورة الوحيدة التى أظهرت لمحة من الخطاب الإلهى إلى إبليس فقط . . فلقد كانت هناك سور أخرى وآيات كريمة واضحة فى كتاب الله العظيم القرآن الكريم ألقت الضوء على صور من الخطاب الإلهى إلى إبليس .

فهيا لنقف مع الفتاة وقفة لنتلمس بعضا من هذه الآيات الكريمة :

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ
أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢)
قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ
مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ
الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦)
ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ
وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا
لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ
أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ
فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾ **(الاعراف : ١١ - ١٩)**

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨)
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ
الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ
(٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ
لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ

﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ
﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ
عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الحجر : ٢٨ - ٤٣)

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ
خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ
مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ
وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى
لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾
(الاسراء : ٦١ - ٦٥)

تتجلى فى هذه الآيات الكريمة صورة حية من الخطاب الإلهى إلى إبليس ، وبالرغم من أن القصة واحدة إلا أن تعددت الآيات فيها .

وتتعمق الفتاة فى هذه الآيات الكريمة التى تُظهر لمحات من حوار متبادل بين الله عز وجل وإبليس الملعون المطرود من رحمة الله وتستوقفنا فتاتنا وتدعونا إلى التعمق فى أغوار هذه الآيات الكريمة لنتلمس حقائق الحوار :

ففى الآيات الواردة فى سورة « الأعراف » تتجلى صورة الحوار بأمر الله تعالى إلى الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا جميعا إلا إبليس ، وهنا يبدأ الحوار بين الله جل وجلاله وإبليس بسؤاله عن سبب امتناعه عن السجود فأجاب إبليس بكل تكبر وغرور بأن الله خلقه من نار وخلق آدم من طين والنار أفضل من الطين .

فكان حكم الله بطرده ولعنته عليه لأنه استكبر على أمر الله ، وما كان له أن يتكبر .

ثم نجد أن إبليس يطلب من الله بأن يمهله حتى يوم يبعثون . . وتقف الفتاة هنا وقفة تبين لنا إذن الشيطان مؤمن بأن هناك بعث وآخرة ويوم القيامة بدليل أنه طلب من الله بأن يمهله حتى يوم يبعثون .

وتتعجب الفتاة من حال الإنسان المشرك بالله الذى ينكر البعث والآخرة فى حين أن الشيطان نفسه لم ينكرها . . حقا إن المشرك فى غى وضلال بعيد .

وتعود الفتاة إلى تأملها فى الآيات الكريمة حيث يبين لنا الله عز وجل بأنه استجاب إلى طلب إبليس .

واستكبارا من إبليس وإمعانا فى المعصية وكراهية وحقدا على آدم يقول لله عز وجل بما وهبتنى وأعطيتنى من سلطان الغواية سأبعد بنى آدم عن طريقك المستقيم وسآتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن يمينهم وشمالهم ثم يبين الشيطان حقيقة بأن أكثرهم غير شاكرين لله .

فيأتى حكم الله له بالخروج منها وأن جزاء الشيطان ومن اتبعه جهنم خالدا فيها .

اما فى الآيات الواردة فى سورة « الحجر » تتجلى صورة أخرى من الحوار بإخبار الله تعالى للملائكة بأنه خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وأمره تعالى لهم عند تسويته والنفخ فيه من روح الله فليقعوا له ساجدين .

فسجد الملائكة أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين .

فسأله الله عز وجل عن عدم سجوده مع الساجدين .
وهنا رد إبليس برد اخر وهو بأنه لم يكن أن يسجد لبشر خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون .

فحكم الله عليه باللعنة والطرد حتى يوم الدين فطلب إبليس بأن يمهله الله حتى يوم يبعثون وإستجاب الله إلى طلبه حتى الوقت المعلوم وهنا قال إبليس لله عز وجل :
بما أعطيتنى من سلطان الغواية سأزين لهم فى الأرض وأغويهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين .

وهنا تقف الفتاة فى لحظة قصيرة من التأمل حيث تبين لنا أن المعنى الظاهرى للآية هنا بأن إبليس سيغوى جميع العباد ما عدا المخلصين ولكن من يتعمق أكثر يجد أن المعنى الباطنى يدل على أن إبليس سيغوى الجميع ولكنه لن يفلح ولن ينجح ولن يكون له سلطان على عباد الله المخلصين لأن الله سيحرسهم ويحفظهم وينجيهم فهم أولياء الله وإن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون .

وهذا ما قاله الله عز وجل فى الآيات وقوله سبحانه الحق بأنه لن يكون لإبليس سلطان على عباد الله ، اما من اتبع الشيطان من الغاوين فجزاؤهم جهنم جميعا .
أما فى سورة « الإسراء » تتجلى صورة اخرى من الحوار بأمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس امتنع عن السجود قائلا :
كيف أسجد لمن خلقت طينا ، وهنا استكبارا من إبليس ثم يطلب من الله عز وجل بأن يؤخره حيا ليوم القيامة وسيهلك ذرية آدم بالإغواء ودفعهم إلى طريق المعصية قائلا :

إن هذا الذى أكرمت علىَّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأهلكن ذريته بالإغواء إلا قليلا منهم وهنا يعترف الشيطان بأن هناك من العباد الذين سيحفظهم الله ولن يقدر عليهم الشيطان فهم عباد الله .

فيقول الله عز وجل : اذهب ومن اتبعك منهم فإن جهنم مكانكم وجزاءكم جميعا .

ثم يعطيه الله سبحانه وتعالى سلطان الغواية فيقول له : اهستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وأفرغ جهدك فى جميع أنواع الإغراء وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا كذبا وغرورا

أما عبادى فليس لك عليهم سلطان ، وإنى لحافظهم ومنجيهم .

فنحن هنا أمام حوار دائر بين الله عز وجل والشيطان حيث يستكبر الشيطان ويمتنع عن السجود ، وكراهية على آدم يطلب من الله عز وجل أن يؤجله حيا ليوم القيامة وسينتقم من بنى آدم بإغوائهم ودفعهم إلى طريق المعصية ، وهنا يعطيه الله هذا السلطان ويسمح له بأن يفرغ كل جهده فى جميع أنواع الإغراء ، ومن يتبع الشيطان فإن جهنم فى انتظاره . اما عباد الله فهم فى رحمة وحفظ من الله عز وجل ولن يفلح الشيطان معهم وهذا وعد الله ووعد الله حق .

إذن من هذه الآيات الكريمة يتبين لنا أنه حدث خطاب إلهى إلى إبليس تظهر لمحات حية من حوار متبادل بين الله عز وجل وإبليس العاصى الجاحد الملعون المطرود من رحمة الله .

وبعد هذا العرض عن وقفات الفتاة التأملية حول بعضا من القصص القرآنى التى تنطوى على نماذج من الخطاب الإلهى المباشر تؤكد لنا الفتاة بأن موسى ليس هو النبى الوحيد الذى حظى بخاصية التكليم الإلهى . . فلقد كان أيضا إبراهيم وعيسى ونوح وآدم عليهم جميعا السلام .

ولا نستطيع ولا يحق لنا أن نفسر بأن كل هذه النماذج والصور التى ذكرناها هى وحيا وليست خطابا إلهيا ، وهنا تقف الفتاة وتستوقفنا معها حيث تقودنا إلى لحظات من التأمل فى مقارنة يجب أن تقام بين الخطاب الإلهى والوحى من خلال تأملها وتفكرها فى بعض القصص القرآنى والتى تضمنت نماذج وصور حية من الخطاب الإلهى المباشر :

اولا : تبين لنا الفتاة أن الخطاب الإلهى يأخذ دائما شكل الحوار المتبادل بين الله جل جلاله ورسوله الذى يخاطبه ، اما الوحى فله عدة أشكال :

(أ) اذا كان الوحى موجها بأمر الله إلى نبى من الأنبياء فهو تكليف ربانى ينزل به الروح الأمين على الرسول الموحى إليه بأمر الله لنشر الرسالة الإلهية والدعوة إلى الله .

قال الله تعالى :

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾

(ب) اذا كان الوحى موجها إلى عبد من عباد الله الصالحون فهو خاطر ربانى يقذف فى كيان العبد بفعل أمر ما والإتجاه إلى تنفيذ هذا الأمر بكل كيانه وتصديق كل جارحة من جوارحه وكل أحاسيسه ومشاعره بهذا الأمر والشعور بيقين متكامل يملأه بذلك الوحى الربانى مثلما حدث فى وحى الله إلى أم موسى حيث أوحى الله إليها بأن تلقى بابنها فى اليم ووعد الله لها بأنه سيرجع إليها وسيعيده إليها لتقر عينها ولا تحزن ثم تنفيذ أم موسى لهذا الوحى الربانى بلا تردد وبيقين كامل متكامل .

وكما حدث أيضا فى وحى الله إلى الحواريين حيث أوحى الله إليهم بأن يؤمنوا به سبحانه وبرسوله فآمنوا وشهدوا بأنهم مسلمون .

قال الله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

(القصص : ٧)

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (المائدة : ١١١)

(ج) أما إذا كان الوحى موجها إلى الكائنات والمخلوقات سواء أكانت نابضة بالحياة أم جمادا فهو هنا أمر ربانى لتنفيذ الشىء

الذى يريده الله مثلما حدث فى وحى الله إلى النحل بأن تتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر وأن تأكل من كل الثمرات وتسلك سبل ربها ، ووحى الله إلى كل سماء بأمرها ، ووحى الله إلى الأرض بأن تحدّث أخبارها :

قال الله تعالى :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

(النحل : ٦٨ - ٦٩)

﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾

(فصلت : ١٢)

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾

(الزلزلة : ١ - ٥)

وإذا أراد الله شيئا قال له كن فيكون . . . له الملك وحده . . . . وبيده ملكوت كل شىء . . وعلى كل شىء قدير .

ثانيا : تؤكد الفتاة بأن الخطاب الإلهى دائما يكون مسبوقا بنداء لإسم المخاطب إليه مثلما حدث فى قصة موسى عليه السلام حيث خاطبه الله جل جلاله بإسمه « ياموسى » ، وكذلك فى قصة « إبراهيم » عليه السلام عندما ناداه الله بإسمه « يا إبراهيم » ، وايضا فى قصة عيسى عليه السلام حيث قال له فى كل آية « ياعيسى بن مريم » . . وهنا وقفة تقفها الفتاة حيث تبين بأن عيسى عليه السلام هو النبى الوحيد الذى ذكر إسم أمه مقرونا به ولا شك أن هناك حكمة كبرى

من ذلك وهى التأكيد والبرهان والدليل على أن عيسى بن مريم هو عبد الله ورسول من عند الله وتبرئة لعيسى بن مريم من التهم التى نُسبت إليه .

وتستمر الفتاة فى مقارنتها حيث تبين أنه فى قصة نوح أيضا عليه السلام حين كلمه الله قال له :
« يانوح » ، وكذلك فى قصة آدم قال الله له : « يا آدم » حتى ماحدث من حوار بين الله جل جلاله وإبليس خاطبه الله بإسمه « يا إبليس » ، وفى نداء الله إلى النار بأن تكون بردا وسلاما على إبراهيم . . تلقت النداء الربانى بإسمها حيث قال الله « يانار » .

إذن فالخطاب الإلهى يكون دائما مسبوقا بنداء لإسم المخاطب إليه ، وإنما الوحى يقذف فى كيان الشىء دون نداء من الله جل جلاله لإسم الشىء الموحى إليه سواء أكان رسولا أم عبدا صالحا أم طيرا أم جمادا . ولقد أعلمنا الله عز وجل فى كتابه الكريم بأنه سبحانه أوحى إلى الشىء المخلوق المراد وحيه وأعلمنا عن حقيقة ذلك الشىء المخلوق هل هو رسول أم عبد صالح أم طير أم جماد كما أخبرنا بالأمر الذى أوحى به إلى الشىء لتنفيذه .

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ﴾ (الاسراء : ٣٩)

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾
(النساء : ١٦٣)

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾
(فاطر : ٣١)

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾
(الانبياء : ٢٥)

﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾
(الانبياء : ٧٣)

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

(القصص : ٧)

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾

(المائدة : ١١١)

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾

(النحل : ٦٨ - ٦٩)

﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾

(فصلت : ١٢)

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾

(الزلزلة : ١ - ٥)

هذه الآيات المباركة تخبرنا عن أن الله أوحى إلى الشىء الذى يريد الله أن يوحى إليه دون الإقتران والنداء باسم ذلك الشىء .

إذن فالخطاب الإلهى دائما يكون مسبوقا بنداء لإسم المخاطب إليه أما الوحى فلا يقترن بهذا النداء وإنما يقذف فى كيان الشىء الموحىَ إليه والإتجاه إلى تنفيذ الوحى الذى تلقاه ذلك الشىء بيقين كامل وتصديق متكامل .

وتشير الفتاة إلى أنه يجب على كل باحث متأمل فى القصص القرآنى أن يقف عند الآيات المسبوقة بنداء لإسم الشىء المخاطب إليه والآيات التى تعبر وتؤكد عن وحى الله . . فلا نستطيع أن نفسر الإثنان معهما أنهما وحى لأن الشكلان مختلفان فالشكل الأول أخذ

صورة الحوار المتبادل ، وهذا دليل قرآنى بأنه حدث خطاب إلهى مباشر من الله الى الشىء المخاطب إليه ، والشكل الثانى أخذ صورة المعرفة والإعلام بأن الله أوحى إلى الشىء بفعل أمر ما . والشكلين سواء الخطاب الإلهى أو الوحى دائما يتضمن وينطوى على أمر ربانى يصحبه يقين وإيمان كامل متكامل .

ثالثا : جميع الأنبياء حدث لهم وحى ، ووحى الله إليهم كان عن طريق الروح الأمين سيدنا جبريل عليه السلام وفى بعض الاحيان كانوا يتلقون أيضا وحيا مباشرة من عند الله . أما الخطاب الإلهى فحدث للبعض منهم مع الوحى .

كانت هذه هى المقارنة التى عقدتها الفتاة بين الخطاب الإلهى والوحى الربانى والتى استوقفتنا بشأنها .

وفى الحقيقة لقد كان هناك من الآراء السائدة التى تختلف معها الفتاة فى بعض النقاط حول الخطاب الإلهى حيث تقرر بعض الآراء وتسلط الضوء على أن خاصية التكليم الإلهى لم يحظ بها إلا « موسى عليه السلام » وهنا تختلف الفتاة معهم فى ذلك حيث تؤكد من العرض الذى عرضناه حول وقفاتها التأملية عند بعض القصص القرآنى بأن هناك من الأنبياء من حظى أيضا بالخطاب الإلهى مثل :

إبراهيم وعيسى ونوح وآدم عليهم جميعا السلام .

كما أن هناك نقطة اخرى تختلف الفتاة مع البعض بشأنها حيث تقرر بعض الآراء بأن الخطاب الإلهى لايمكن أن يحدث إلا للأنبياء فقط وهذا رأى لم تؤكدة الآيات القرآنية بل ماجاء فى قصة آدم عليه السلام ، وفى مشهد الحوار الذى تم بين الله جل جلاله وإبليس ينفى هذا الرأى ويعارضه حيث حدث خطاب إلهى مباشر إلى إبليس اللعين العاصى الجاحد .

وتخرج الفتاة بعد كل ذلك بحقيقة هامة وهى :

إذن موسى لم يكن هو النبى الوحيد الذى اختص بخاصية التكليم الإلهى ، فلقد كان هناك من الأنبياء الذين حظوا أيضا بخاصية التكليم

الإلهى مصداقا لقول الله تعالى :

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ (البقرة : ٢٥٣)

٣ ـ الإفهام والوحى :

قال الله تعالى :

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (الانبياء : ٧٨ ، ٧٩)

فذكر هذين النبيين الكريمين وأثنى عليهما بالعلم والحكم . وخص سليمان بالفهم فى هذه الواقعة المعينة . فالفهم نعمة من الله على عبده ، ونور يقذفه الله فى قلبه ، يعرف به ، ويدرك ما لا يدركه غيره ولا يعرفه فيفهم من النص ما لا يفهمه غيره مع إستوائهما فى حفظه وفهم أصل معناه .

وتعتقد الفتاة بأن الإفهام بهذا المعنى يختلف عن الوحى حيث أن الوحى ينطوى على أمر إلهى بفعل أمر ما والإتجاه لتنفيذ هذا الأمر ، اما الإفهام فهو ينطوى على فهم شىء ما أو معرفة أمر من الأمور أى أن يوضع فى ذهن العبد الذى ينعم الله عليه بفهم ذلك الأمر وإدراكه ومعرفته .

فهناك فرق بين أوحينا إلى ...... ، وفهمناها ....
وكلاهما بإذن الله وإرادته وأمره ومشيئته ، وكلاهما يصاحبهما اليقين والتصديق الكامل .

٤ ـ العلم اللدنى والوحى :

من أعجب قصص القرآن وأعظمه غموضا ، قصة عبد آتاه الله رحمة من عنده ، وعلّمه من لدنه علما ، ترد القصة فى سورة الكهف .. وتبدأ بهذه الآيات التى تحكى عن موسى وما عقد عليه نيته :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾
(الكهف : ٦٠)

الكلمة الغامضة تشير إلى أن موسى قد عقد عزمه على الإستمرار فى السير أحقابا طويلة إلا إذا بلغ مجمع البحرين . .

ثمة موعد هام ينتظره موسى عند مجمع البحرين . .

لا أحد يعلم المكان الذى يقع فيه مجمع البحرين ، ولو كان تحديد المكان مطلوبا لحدده الله تعالى . . وانما أبهم السياق القرآنى المكان كما أبهم الزمان ، كما ضبب أسماء الأشخاص لحكمة عليا .

إن القصة تتعلق بعلم ليس هو علمنا القائم على الأسباب . . وليس هو علم الأنبياء القائم على الوحى . . إنما نحن أمام علم من طبيعة غامضة أشد الغموض . . علم القدر الأعلى وذلك علم أسدلت عليه الأستار الكثيفة .

مكان اللقاء مجهول ، وزمان اللقاء غير معروف هو الآخر . . لا نعرف متى تم لقاء موسى بهذا العبد .

وهكذا تمضى القصة بغير أن تحدد لك سطورها مكان وقوع الأحداث ، ولا زمانه ، يخفى السياق القرآنى أيضا إسم أهم أبطالها .

يشير إليه الحق تبارك وتعالى بقوله :

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾
(الكهف : ٦٥)

هو عبد أخفى السياق القرآنى إسمه . .
هذا العبد هو الذى يبحث عنه موسى ليتعلم منه . .

إن موسى كليم الله عز وجل ، وأحد أولى العزم من الرسل ، وصاحب معجزة العصا واليد ، والنبى الذى أنزلت عليه التوراة دون واسطة ، وإنما كلمّه الله تكليما هذا النبى العظيم يتحول فى القصة إلى طالب علم متواضع يحتمل أستاذة ليتعلم ومن يكون معلمّه غير هذا العبد الذى يتجاوز

السياق القرآني إسمه ، وإن حدثتنا السنة المطهرة إنه هو الخضر عليه السلام .

ويسير موسى مع العبد الذى يتلقى علمه من الله بغير أسباب التلقى التى نعرفها ، فى البداية يرفض الخضر صحبة موسى . . يفهمه أنه لن يستطيع معه صبرا .

ثم يوافق على صحبته بشرط . . ألا يسأله عن شيء حتى يحدثه الخضر عنه والخضر هو الصمت المبهم ذاته ، إنه لايتحدث وتصرفاته تثير دهشة موسى العميقة ، أن هناك تصرفات يأتيها الخضر وترتفع أمام عينى موسى حتى لتصل إلى مرتبة الجرائم والكوارث . . وهناك تصرفات تبدو لموسى بلا معنى . . وتثير تصرفات الخضر دهشة موسى ومعارضته . . ورغم علم موسى ومرتبته فإنه يجد نفسه فى حيرة عميقة من تصرفات هذا العبد الذى أتاه الله من لدنه علما . .

إن علم موسى بالشريعة ، يقف حائرا أمام علم هذا العبد بالحقيقة . . كأن الشريعة جزء من الحقيقة ، وأحيانا تكون الحقيقة غامضة أعظم الغموض ، خفية أشد الخفاء حتى لتستعصى على فهم الأنبياء .

إن السحاب الكثيف الذى أحاط بهذه القصة فى القرآن ، قد تساقط فيما بعد أمطارا غزيرة شربت منها كل المذاهب الصوفية فى الإسلام بل لقد نشأ الإعتقاد فى وجود عباد لله ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، ويغبطهم الأنبياء والشهداء على علمهم ، نشأ هذا الاعتقاد من هذه القصة .

ولقد أعلم الله سبحانه وتعالى موسى بعلامة لتحديد مكان اللقاء الذى سيلتقى فيه بالرجل الحكيم الذى جاء موسى ليتعلم منه ، وكانت هذه العلامة هى معجزة ارتداد الحياة للسمكة القابعة فى السلة وتسربها إلى البحر . . وكل شيء مضبب . . ولكن موسى يعقد عزمه على العثور على هذا العبد العالم ولو اضطره الأمر إلى أن يسير أحقابا وأحقابا . . .

وانطلق موسى ومعه فتاه الذى حمل حوتا فى سلة .
انطلقا بحثا عن العبد الصالح العالم .

وصل الإثنان إلى صخرة بجوار البحر . . رقد موسى وأستسلم للنعاس بينما ظل فتاه ساهرا ، وألقت الرياح إحدى الأمواج على الشاطىء فأصاب الحوت رذاذ فدبت فيه الحياة وقفز إلى البحر . . واتخذ سبيله فى البحر سربا . .

إذن تحققت العلامة التى أعلم الله بها موسى ، واستيقظ موسى من نومه وواصل سيره مع فتاه دون أن يعرف ماحدث للحوت وان العلامة تحققت ولقد أنسى الشيطان فتاه بأن يذكر لموسى ماحدث إلى أن جاء وقتا وطلب موسى فيه غذاءه فتذكر فتاه ما حدث وعرف أنه لم ينسيه أحداً أن يذكر ذلك إلا الشيطان ، وأخبر الفتى موسى بما وقع . . ففرح موسى لأن العلامة تحققت وسعد من تسرب الحوت إلى البحر حيث قال : ذلك ما كنا نبغ ، هذا ماكنا نريده . إن تسرب الحوت يحدد المكان الذى سنلتقى فيه بالرجل العالم .

ويرتد موسى وفتاه يقصيان أثرهما عائدين إلى طريق الصخرة مرة أخرى ، وأخيرا وصلا إلى المكان الذى تسرب منه الحوت . . وصلا إلى الصخرة التى ناما عندها ، وتسرب عندها الحوت من السلة إلى البحر . . وهناك وجدا رجلا .

قال الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا
جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ
أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا
ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ
مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ
ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

(الكهف : ٦١ - ٦٥)

لانعرف حتى الآن من هو هذا العبد ؟ وما إسمه ، ولا نعرف شكله ، ولا ندرى عن ملابسه شيئا ، ولا نعرف سنه أو ملامحه . . كل ماندريه هو هذا الوصف الداخلى البحت الذى يصفه به السياق القرآنى بأنه عبدا من عباد الله أتاه الله رحمة من عندة وعلّمه من لدنه علما .

وأخيرا تقابل موسى مع ذلك العبد أو الخضر عليه السلام كما توارت الأخبار من السنة وطلب منه موسى أن يصحبه ليعلّمه مما علم رشدا .

هنا نجد أن موسى وهو رسول الله وكليمه يطلب العلم ، ووافق الخضر على هذه الصحبة بشرط ألا يسأله موسى عن شىء حتى يحدثه عبد الله عنه . وأتفقا على ذلك وانطلقا .

قال الله تعالى :

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ (الكهف) : ٦٦- ٧٠)

انطلق موسى مع الخضر يمشيان على ساحل البحر . . مرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم ، وعرف أصحاب السفينة الخضر فحملوه وحملوا موسى بغير أجر إكراما للخضر . . وفوجىء موسى حين رست السفينة وغادرها أصحابها وركابها فوجىء أن الخضر يتخلف فيها ، لم يكد أصحابها يبتعدون حتى بدأ الخضر يخرق السفينة . . اقتلع لوحا من ألواحها وألقاه فى البحر فحملته الأمواج بعيدا . .

كان موسى يصاحب الخضر ويرقب تصرفاته ، وكان التصرف من وجهة نظر موسى شيئا معيبا . . وغلبت طبيعة موسى المندفعة عليه كما حركته غيرته على الحق ، فاندفع يحدث أستاذه ومعلّمه وقد نسى شرطه الذى اشترطه عليه . .

قال : أخرقتها لتغرق أهلها . . لقد جئت شيئا أمرا .

وهنا يلفت العبد الربانى نظر موسى إلى عبث محاولة التعلم منه ، لأنه لن يستطيع الصبر عليه ، ويعتذر موسى بالنسيان ويرجوه ألا يؤاخذه وألا يرهقه ويسيران معا . . يمران على حديقة يلعب فيها الصبيان . . حتى اذا تعبوا من اللعب انتحى كل واحد منهم ناحية واستسلم للنعاس . . فوجىء موسى أن العبد الربانى يقتل غلاما . . ويثور موسى سائلا عن الجريمة التى أرتكبها هذا الصبى ليقتله هكذا . . ويعاود العبد الربانى تذكيره أنه أفهمه أنه لن يستطيع الصبر عليه . . ويعتذر موسى بأنه نسى ولن يعاود الأسئلة ، ويسأله العبد الربانى . . ماذا لو عاود الأسئلة ولم يلجأ إلى الصمت كما اتفقا ؟

ويقول موسى : يكون هذا آخر عهدى بمصاحبتك .

ويمضى العبد ، ويمضى معه موسى . .

يدخلان قرية بخيلة ، لايعرف موسى لماذا ذهبا إلى القرية ولا يعرف لماذا يبيتان فيها . . نفذ ما معهما من الطعام ، فاستطعما أهل القرية فأبوا أن يضيفوهما وجاء عليهما المساء ، وأوى الأثنان إلى خلاء فيه جدار يريد أن ينقض . . جدار يتهاوى ويكاد أن يهم بالسقوط . . وفوجىء موسى بأن الرجل العابد ينهض ليقضى الليل كله فى إصلاح الجدار وبنائه من جديد . . ويندهش موسى من تصرف رفيقه ومعلمه ، إن القرية بخيلة لايستحق من فيها هذا العمل المجانى .

قال : لو شئت لاتخذت عليها أجراً . . .

انتهى الأمر بهذه العبارة .

قال عبد الله لموسى : هذا فراق بينى وبينك .

لقد حذر العبد الربانى موسى من مغبة السؤال ، وأنذره أن يكون السؤال الثالث هو خاتمة اللقاء .

ويكشف عبد الله لموسى عن السر الذى غمض عليه وحيره ، ودفعه إلى الأسئلة . . إن كل تصرفاته التى أثارت موسى وحيرته لم يكن حين فعلها تصدر عن أمره . . . .

كان ينفذ إرادة عليا . . وكانت لهذه الإرادة العليا حكمتها الخافية ، وكانت التصرفات تشى بالقسوة الظاهرة ، بينما تخفى حقيقتها رحمة حانية وهكذا تخفى الكوارث أحيانا فى الدنيا جوهر الرحمة ، وترتدى النعم ثياب المصائب وتجيد التنكر ، وهكذا يتناقض ظاهر الأمر وباطنه ، ولا يعلم موسى رغم علمه الهائل غير قطرة من علم العبد الربانى ، ولا يعلم العبد الربانى من علم الله إلا بمقدار ما يأخذ العصفور الذى يبلل منقاره فى البحر من ماء البحر . .

قال الله تعالى :

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا
لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢)
قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا
حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ
شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥)
قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي
عُذْرًا (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن
يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ
عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع
عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ
أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا
أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ

فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ
وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾

(الكهف : ٧١ - ٨٢)

كشف العبد الربانى لموسى شيئين فى نفس الوقت . .
كشف له أن علمه (أى علم موسى) محدود . . كما كشف له أن كثيرا من المصائب التى تقع على الأرض تخفى فى ردائها الأسود الكثيب رحمة عظمى . . إن أصحاب السفينة سيعتبرون خرق سفينتهم مصيبة جاءتهم ، بينما هى نعمة تتخفى فى زى المصيبة نعمة لن تكشف النقاب عن وجهها إلا بعد أن تنشب الحرب ويصادر الملك كل السفن الموجودة غصبا ، ثم يفلت هذه السفينة التالفة المعيبة . . وبذلك يبقى مصدر رزق الأسرة عندهم كما هو ، فلا يموتون جوعا . .

أيضا سيعتبر والد الطفل المقتول وأمه أن كارثة قد دهمتهما لقتل وحيدهما الصغير البرىء . . غير أن موته يمثل بالنسبة لهما رحمة عظمى فإن الله سيعطيهما بدلا منه غلاما يرعاهما فى شيخوخته ولا يرهقهما طغيانا وكفرا كالغلام المقتول .

وهكذا تختفى النعمة فى ثياب المحنة ، وترتدى الرحمة قناع الكارثة ، ويختلف ظاهر الأشياء عن باطنها حتى ليحتج نبى الله موسى على تصرف يجرى أمامه ، ثم يلفته عبد من عباد الله إلى حكمة التصرف ومغزاه ورحمة الله الكلية التى تخفى نفسها وراء أقنعة عديدة . .

عاد موسى إلى فتاه وصحبه عائدا إلى بنى اسرائيل . . .
يمتلىء موسى الآن بيقين الصوفيين الهادىء . . لقد تعلم منهم شيئين :
ألا يغتر بعلمه فى الشريعة ، فهناك علم الحقيقة . .
وألا يتجهم قلبه لمصائب البشر ، فربما تكون يد الرحمة الخالقة تخفى سرها من اللطف والإنقاذ والإيناس وراء أقنعة الحزن والآلام والموت .

هذا هو الدرس الذى تعلمّه موسى كليم الله عز وجل ورسوله ، من هذا العبد المدثر بالخفاء ، لقد خرجت شخصية هذا العبد الربانى من ضباب الزمن ثم عادت تختفى كما جاءت فى ضباب الزمن . . بعد أن مضى العبد اكتشف موسى أنه أطلع على بحر جديد من العلم ليس هو بحر الشريعة الذى يشرب منه أنبياء الله عليهم جميعا السلام .

نحن أمام بحر الحقيقة هنا . .

أمام علم القدر الأعلى . . .

أمام هذا العلم الذى لا يمكن النظر فيه بعقولنا البشرية ، أو منطقنا المعتاد فى النظر إلى العلوم . . فليس هذا العلم هو العلم التجريبى الذى نعرفه على الأرض وليس هو بعلم الأنبياء الذى يوحى الله به إليهم ، إنما نحن أمام نوع من العلم جديد .

وتسرح الفتاة كثيرا فى هذه القصة . . قصة موسى والخضر - قصة نبى الله وعبد الله الذى علمّه الله وأتاه من لدنه علما ورحمة - قصة هذا العلم الجديد الذى يكشفه الله جل جلاله لنا من خلال نموذج هذا العبد ، وتخرج الفتاة من تأملاتها بمعرفة هامة قائلة :

« إذن نحن أمام علم لا يرتبط بالأسباب ،
ولا يحكم بظواهر الأشياء وإنما يتعلق ببواطن
الأمور ولا يعلم الباطن إلا الله وحده ،
ولأن الله هو الظاهر والباطن والعليم بكل شىء
والقادر على كل شىء . . كان هذا علما لدنا
من عند الله يهبه لمن يشاء من عباده ويعطيه
بالقدر الذى يريده .

فهو علمْ الباطن . . علم الحقيقة . . علم الأسرار
علم القدر الأعلى ، وهو جزء من علم الله الذى
لا ينفد أبدا ، وهذا العلم الذى عرفناه ولمسناه
من هذه القصة يختلف إختلافاً كليا عن علم الشريعة ،

وعلم الأنبياء ، ولا يحكم بأسباب الدنيا الظاهرية
وإنما يرجع إلى ما وراء الظاهر إلى الباطن . .
إلى المعرفة الحقيقية الكلية التى تمثل وتعبر عن
الحكمة الإلهية فى ذلك الشىء أو الأمر الذى
يعلمّه الله لمن يشاء من عباده » .

إن هذه القصة دفعت الفتاة دفعا إلى التعمق فى القصص القرآنى حيث خرجت من تعمقها بمعرفة هامة :

« إن الله يفيض من علمه لمن يشاء من عباده ،
وبالقدر الذى يريده سبحانه ، وبالطريقة
والوسيلة التى يأذن بها جل جلاله . . .
فهناك من تلقى العلم والمعرفة الربانية مباشرة
من الله سبحانه وتعالى ، وهناك من تلقى
العلم والمعرفة النورانية عن طريق الروح الأمين
والملائكة عليهم جميعا السلام بأمر الله ،
وهناك من تلقى العلم اللدنى ومعرفة الأسرار
عن طريق عباد لله ليسوا بأنبياء أعطاهم الله
من فضله ووهبهم من علمه الوهاب الفياض
بإذنه وإرادته ومشيئته سبحانه . . . .
هو الله الواحد الرحمن الرحيم العليم الكريم
اللطيف رب العرش العظيم » .

والفتاة تؤكد أن هذا واضحا فى القصص القرآنى والآيات القرآنية أوضح وأصدق دليل على ذلك ، فهيا معا لنقف وقفة هنا مع الفتاة لنتلمس ذلك من خلال القصص القرآنى العظيم والآيات القرآنية الكريمة :

أولا : تلقى العلم والمعرفة الربانية مباشرة من الله جل جلاله :

كما حدث فى قصة آدم عليه السلام حين علمّ الله سبحانه وتعالى آدم الأسماء كلها ، أعطاه الله جل جلاله سر القدرة على اختصار الأشياء فى رموز ومسميات . . . علمه أن يسمى الأشياء : هذا عصفور ، وهذا نجم ،

وهذه شجرة ، وهذه سحابة ، وهذا هدهد إلى آخر الأسماء .

تعلم آدم الأسماء كلها . .

الأسماء هنا هى العلم . . هى المعرفة .

هى القدرة على الرمز للأشياء بأسماء . . .

غرس الله فى نفس آدم معرفة لا نهاية لها ، وحبا للمعرفة لا نهاية له ورغبة يورثها أبناءه فى التعليم . . وهذا هو السر فى تكريمه .

بعد أن تعلم آدم أسماء الأشياء وخواصها ومنافعها . . بعد أن عرف علمها عرض الله هذه الأشياء على الملائكة فقال :

﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (البقرة : ٣١)

ونظر الملائكة فيما عرض الله عليهم ، فلم يعرفوا بأسمائه ، واعترفوا لله بعجزهم عن تسمية الأشياء أو استخدام الرمز فى التعبير عنها :

قال الملائكة اعترافاً بعجزهم :

« سبحانك [أى ننزهك ونقدسك] . .

﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾

(البقرة : ٣٢)

(ردوا العلم كله إلى الله)

قال الله تعالى لآدم :

﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ ﴾ (البقرة : ٣٣)

وحدثهم آدم عن كل الأشياء التى عرضها الله عليهم ، ولم يعرفوا أسماءها . .

قال الله تعالى فى سورة البقرة :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَاءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣ ﴾ (البقرة : ٣١ - ٣٣)

أراد الله تعالى أن يقول للملائكة أنه علم ما أبدوه من الدهشة حين أخبرهم أنه سيخلق آدم ، كما علم ما كتموه من الحيرة ، كما علم ما أخفاه إبليس من المعصية والجحود .

أدرك الملائكة أن آدم هو المخلوق الذى يعرف . . وهذا أشرف شىء فيه . . قدرته على التعلم والمعرفة وعرف الملائكة لماذا أمرهم الله بالسجود له . . كما فهموا السر فى أنه سيصبح خليفة فى الأرض ، يتصرف فيها ويتحكم فيها بالعلم والمعرفة .

معرفة بالخالق . . وهذا ما يطلق عليه إسم الإيمان أو الإسلام .

وقفت الفتاة هنا وقفة تأمل طويلة أمام هذا المشهد الذى ذكره الله سبحانه وتعالى لنا فى كتابه العظيم القرآن الكريم وتبينت فتاتنا أن هذا المشهد العظيم ينطوى على حقيقة هامة جدا وهو أن آدم تلقى العلم والمعرفة مباشرة من الله عز وجل بلا واسطة وأمام مشهد من الملائكة حين عجز الملائكة عن معرفة الأشياء وأسمائها والذى عرفهم بها هو آدم الذى تلقى العلم من الله مباشرة .

وهناك نموذج آخر فى القصص القرآنى يعبر عن تلقى العلم مباشرة من عند الله وهو قصة يوسف عليه السلام حيث علمّه الله من تأويل الأحاديث . ومعنى التأويل هو معرفة المآل ، وكشف النتيجة . . وادراك أسرار لم تقع بعد . أما الأحاديث فهى الرؤ ى والأحلام حيث يستطيع يوسف عليه السلام

بفضل الله وإرادته وأمره أن يفسر الأحلام والرؤى فيرى من رموزها الغامضة ما سيقع من أحداث[1] .

وقصة سيدنا يوسف عليه السلام مليئة بالمشاهد التى تنطوى على رؤى وأحلام قد رآها بعض القوم فى ذلك الوقت مثل رؤية الساقى والخباز وكذلك رؤية الملك المذكورة فى قصة يوسف عليه السلام والتى تحتوى على أن سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات عجاف ، وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات . ولقد أخبر يوسف عليه السلام أصحاب هذه الرؤى بتأويلها بفضل الله وحده وتعليمه له تأويل هذه الأحلام والرؤى والتى سميت فى القرآن الكريم باسم الأحاديث .

قال الله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ (يوسف : ٦)

إذن فنحن أمام نموذج ينطوى على تعليم الله عز وجل لعبده ورسوله يوسف عليه السلام علما لا يعرفه أحد وهو علم تأويل الأحاديث فضلا ومنة ورحمة من الله عز وجل .

هذان نموذجان أمامنا يعبران عن تلقى العلم والمعرفة الربانية من الله مباشرة ، وما أكثر نماذج القصص القرآنى التى تنطوى على هبة الله من العلوم الإلهية والإشراقات الربانية والإرشادات النورانية لمن يشاء من عباده .

ثانيا : تلقى العلم والمعرفة الربانية عن طريق الروح الأمين والملائكة بأمر الله :

---

(١) أحمد بهجت : أنبياء الله ، ص ١٢٠

كما حدث فى قصة رسول الله وخاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام وغيره من الأنبياء والرسل حيث كان يتنزل عليهم الروح الأمين سيدنا جبريل عليه السلام بأمر الله ليبلغهم برسالات الله إلى البشر .

والملائكة عباد الله . جنود الله . وهم من أكرم خلق الله وأفضله . وهم درجات ، ولكل واحد منهم مهمته السامية التى يؤديها بكمال لا يطاول . وفى الملائكة من كانت مهمته أن يتصل بالبشر ، وفيهم من كانت مهمته أن يبلغ أنبياء الله رسالات الله الى البشر . وهذا هو جبريل عليه السلام سيد الملائكة وأرفع عباد الله فى الملأ الأعلى ورمز الخير[1] .

سمّاه الله تعالى : الروح الأمين

قال تعالى فى سورة الشعراء :

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾

(الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤)

وسماه الله تعالى : روح القدس

قال تعالى فى سورة النحل :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

(النحل : ١٠٢)

وسماه الله تعالى : رسولا كريما كما سماه الروح .

قال تعالى فى سورة التكوير :

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾

(التكوير : ١٩ - ٢١)

---

(١) أحمد بهجت : أنبياء الله ، ص ١٢

وقال تعالى فى سورة القدر :

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ (القدر : ٤ - ٥)

وسماه الله تعالى شديد القوى :

قال تعالى فى سورة النجم :

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ (النجم : ١ - ١١)

هذه هى أسماء سيدنا جبريل عليه السلام .

وقد سمى جبريل روحا وأضيف إلى القدس . والقدس هو الله عز وجل . وكرم الله تعالى جبريل تكريما إلهيا حين أضاف إسمه اليه . وجعل الإيمان به عليه السلام مسألة أساسية لا نقاش فيها ولا مساومة .

سأل اليهود النبى عليه الصلاة والسلام عمن يأتيه بالوحى .

قال : جبريل .

قالوا : هو عدونا . لوكان الذى يأتيك بالرسالة ميكال لآمنا بك وتابعناك (ميكال هو ميكائيل) .

ونزل قوله تعالى يحدد بالحسم الإلهى موقف الله من أعداء ملائكته أنهم أعداؤه : قال تعالى :

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾

(البقرة : ٩٧ ، ٩٨)

إن جبريل عليه السلام هو الروح الأمين الذى يحمل وحى السماء إلى الأرض . وهو يختفى أزمنة ، فإذا ظهر ظهرت معه رحمة الله .

ولقد جعل الله تعالى الإيمان بالملائكة حقيقة واقعة ، وركنا أساسيا من أركان الاسلام . والعقائد الأساسية التى طلب الإسلام الإيمان بها هى :

أولا : الإيمان بوجود الله ووحدانيته .

ثانيا : الإيمان بالملائكة .

ثالثا : الإيمان بجميع الرسل .

رابعا : الإيمان بجميع الكتب السماوية .

خامسا : الإيمان باليوم الآخر .

وقد جعل الإسلام عنوان تحقق هذه العقائد عن الإنسان الشهادة بأن الله واحد ، وأن محمدا رسوله ، وكانت تلك الشهادة هى المفتاح الذى يدخل به الإنسان فى الإسلام وتجرى عليه أحكامه .

فالشهادة بوحدانية الله تتضمن كمال العقيدة فى الله من جهتى الربوبية « الخلق والتربية » والألوهية « العبادة » .

والشهادة برسالة محمد عليه الصلاة والسلام تتضمن التصديق بكمال العقيدة فى الملائكة ، والكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ، وأصول الشريعة والأحكام :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾

(البقرة : ٢٨٥)

﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾

(البقرة : ١٧٧)

إذن لقد جعل الله سبحانه وتعالى الإيمان بالملائكة أصلا جوهريا من أصول الاسلام ودعامة هامة من دعائم الإيمان .

والملائكة هم سفراء الله تعالى إلى أنبيائه ، وهم جنوده فى كونه . . وهم أنقى خلقه وأقواه .

والملائكة غيب ينتمى للملأ الأعلى .

وفى التصور الإسلامى كثير من الحقائق عن عالم الغيب . . وهو عالم فوق إدراك العقل البشرى أثناء رحلته على الأرض ، عالم غاب عنا رحمة بنا وحكمة .

لا نعرف متى خلق الله تعالى ملائكته المكرمين .

أكان ذلك قبل خلق الكون أم بعده أم أثناءه .

هذا غيب أسدلت عليه الأستار الكثيفة .

كل ما نعرفه أن الملائكة خلقوا قبل البشر(١) .

وللملائكة صورتهم فى الملأ الأعلى ، وهى صورة تتشكل وتتغير إذا نزلوا إلى الأرض فى مهمة . . وإذن لا يرى الملائكة على صورتهم التى خلقهم الله عليها إنسان إلا إذا كان هذا الإنسان أميرا للأنبياء وخاتما للرسل ورحمة للعالمين . ولقد رأى رسول الله ﷺ . . سفير الله تعالى جبريل عليه السلام على صورته التى خلقه الله عليها مرتين ، مرة عند بدء نزول الرسالة الإسلامية ، ومرة أخرى عند سدرة المنتهى فى رحلة الإسراء والمعراج .

---

(١) أحمد بهجت : أنبياء الله ، ص ٦٠

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (النجم : ١٣ - ١٨)

ورغم أن جبريل عليه السلام هو الروح الأمين ، ورسول رب العالمين إلى رسله وسيد الملائكة إلا أنه فى نهاية الأمر جندى من جنود الله عز وجل وعبد من عباده لا يتحرك إلا بأمر ، ولا يصدر إلا بأمر ، ولا ينزل إلى الأرض إلا بأمر . .

سأل رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام :

ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟

فنزل قوله تعالى :

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ (مريم : ٦٤)

وللملائكة عملهم فى الملأ الأعلى ، ولهم عملهم فى الحياة الدنيا . . وقد شرّفهم الله تعالى بالطاعة المطلقة ، وبصفاء لا تخدشه عكارة ، وبقوة لا حدود لها وشرّفهم بالقرب منه سبحانه وامضاء أوامره .

وفى الملأ الأعلى لا حدود لمهام الملائكة ، وقد حدثتنا العقيدة الإسلامية بطرف من هذه المهام منها :

١ - السجود والخوف ، والتسبيح والتمجيد ، وتنفيذ ما يؤمرون يقول الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (النحل : ٤٩ ، ٥٠)

٢ ـ احتفاظهم بصحف الله تعالى :

يقول تعالى :

﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾
مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾

(عبس : ١١ - ١٦)

٣ ـ من مهام الملائكة فى الملأ الأعلى أن منهم من يحمل عرش الله سبحانه وتعالى ، ويؤمن به ، ويسبّح بحمد ربه ، ويستغفر للذين تابوا :

يقول تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

(غافر : ٧ - ٩)

٤ ـ لا تقتصر مهام الملائكة فى الملأ الأعلى على التسبيح والتمجيد والسجود وحمل عرش الله عز وجل والقيام بأمره وانفاذ مشيئته سبحانه ، وإنما تتعداها إلى القيام بمهام فى الجنة والنار .

وإذا كان الملائكة هم سفراء الله إلى عباده فى الجنة يدخلون عليهم بالسلام فإن فى الملائكة جندا لله يقومون بحراسة الجحيم ، فنحن هنا أمام ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾
(التحريم : ٦)

٥ ـ ولا يرتبط عمل الملائكة فى الملأ الأعلى فقط ، وانما هناك عمل الملائكة مع الإنسان أيضا بأمر الله حيث يحدثنا الله تبارك وتعالى أن فى الملائكة حفظة على أبناء آدم ، لا يكاد الإنسان يولد ويبلغ حد التكليف حتى يوكل به ملكان يكتب أحدهما حسناته ، ويكتب الثانى سيئاته يتلقى الإثنان عن اليمين وعن الشمال ، يسجلان كل شىء ويعرفان كل شىء ويحفظان كل شىء . . هذه الرقابة المحكمة تنتهى بموت الإنسان ، وإغلاق سجل أعماله . . ويوم القيامة ينشر الله تعالى صورة لهذا الكتاب الذى ربما احتفظ به المخ فى سنتيمتر واحد من تلافيفه الغامضة .

يقول تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾
(ق : ١٦ ـ ١٨)

٦ ـ ولا يقف عمل الملائكة مع الإنسان عند حد تسجيل أعماله . . فى الملائكة من يتوفى أنفس الناس عند الموت ، وفى الملائكة من هو موكل بقبض الأرواح وفيهم من يبشر أصحاب النفوس الطيبة بالجنة ، ويتوعد النفوس الظالمة بالنار ، فيهم من يضرب وجوه من كفر بالله وكره رضوانه .

٧ ـ وطوال الفترة التى يحياها الإنسان ، يصاحبه الملائكة عليهم السلام . . ويدعون له إن كان مؤمنا ، ويؤمنون معه فى الصلاة إن كان مصليا . . ويشهدون قرآن الفجر إن كان يقيمه . . ويحضرون مجالس الذكر الوقور الذى يعرف حق الله . . ويصلى الملائكة لطالب العلم ويضعون

أجنحتهم رضا بما يصنع .. وهم يحملون البشرى لأهل الأرض ويثبتون المؤمنين .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ (فصلت : ٣٠ ، ٣١)

إن القرآن الكريم يرشدنا فى هذه الآية إلى أن الملائكة تنزل نزولا حقيقيا تبشر هؤلاء الذين آمنوا واستقاموا بعدم الخوف وعدم الحزن وتبشرهم بالجنة وتؤكد لهم انها معهم بالمرافقة والرعاية والعناية فى الدنيا والآخرة .

وفى هذا المعنى يقول الغزالى فى كتابه المنقذ من الضلال عن تجربة :

« من أول الطريق « الطريق الصوفى » تبتدىء المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ، ويقتبسون منهم فوائد . . . »

وإذا كانوا ينزلون على المؤمنين المستقيمين ، فهم من باب أولى ينزلون على الأنبياء والرسل مبشرين ومؤانسين ومؤيدين .

وها هو ذا رسول الله ﷺ يرى جبريل عليه السلام يقظة ومما هو معروف أن رسول الله ﷺ كان يناجى الملائكة[1] .

هكذا كان ذلك طرفا من مهام الملائكة فى الملأ الأعلى ، وجزءا من عملهم فى الحياة الدنيا .

ومن المدهش أن أهوال القيامة والبعث والحساب لا تنسى الملائكة رحمتهم بأبناء آدم ، ولا تنسيهم الشفاعة لهم .. وإنما يعلق

---

(١) الامام عبد الحليم محمود : مع الأنبياء والرسل، ص ٤٢

الله سبحانه وتعالى قبول هذه الشفاعة عليه . . كى تنضبط الرحمة فلا تفيض إلا على من يستحقها .

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ (النجم : ٢٦)

تأمل رحمة الله بالملائكة والناس ، وتأمل كرم من تقدست ذاته ، وكيف صاغ نفوس ملائكته من النبل المحض والنقاء المطلق والرحمة اللانهائية وكيف يعلق الحق كل شىء على إذنه ومشيئته ورضاه .

وتنبع رحمة الملائكة من رحمة الله وإذنه . . هم جند مأمورون . . . وهم يصلون على المؤمنين بأمر منه سبحانه . . .

يتبعونه سبحانه فى الصلاة . .

قال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (الأحزاب : ٤٣)

أشرف جنود الله هم رسله من الملائكة ورسله من البشر . . .

على السطح الترابى للأرض يعيش الخير عادة مجردا من القوة . . ويمضى فى عباءة الفكر الهشة ، ويستمد كيانه من كلام الأنبياء الهادى ويصطدم بجيوش الباطل المدربة .

وفى السماء يجمع الخير إلى روحه جسد القوة الرهيب وأجنحة الملائكة[1] .

وكثيرا ما احتاج رسل الله من البشر إلى رسل الله من أولى الأجنحة .

وكثيرا ما يواجه الخير فى الأرض مواقف يتراجع فيها مرغما أمام الباطل ، وفى اللحظات التى يبدو فيها أن المعركة ستحسم لحساب الشر . . يضرب أحد الملائكة أجنحة الأرض بأمر الله فيتغير الموقف .

---

(١) أحمد بهجت : الله فى العقيدة الاسلامية ، ص ٥٦

وفى قصص الأنبياء التقينا بالروح الأمين جبريل عليه السلام وشاهدنا الملائكة كثيرا . . أحيانا يحملون البشرى ، وأحيانا يحملون العذاب ، وأحيانا يجيئون للتثبيت .

ففى قصة لوط . . حين كان الخطر يحدق بالنبى ويزداد أنين الباب تحت ضربات الظالمين ، ويحس النبى الكريم بالحصار والضيق يهدئه الملائكة قائلين :

﴿ قَالُواْ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ﴾ (هود : ٨١)

وفى قصة إبراهيم نرى الملائكة يحملون إليه البشرى بالإنجاب بعد أن مسه الكبر .

وفى قصة مريم نشاهد جبريل عليه السلام وهو يبشر ابنة عمران بأمومة نبى من أولى العزم وكلمة من الله وروح .

وفى لحظات الخطر فى معارك الإسلام كان
الرسول عليه الصلاة والسلام يرى جبريل وهو آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع .

ثمة إرتباط بين رسل الله فى الملأ الأعلى . . ورسل الله من البشر . . إرتباط بين طرفين أحدهما شديد القوى . . والآخر بالغ التواضع فى قوته الإنسانية .

إرتباط بين نوعين من جنود الله تعالى . .

أحدهما يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة . . .

والثانى يدعو إلى الله تعالى بالقوة التى لا يصمد لها أحد . . أو يقدر على مقاومتها أحد ، أو يجرؤ على الوقوف أمامها أحد .

وفى النهاية . . يربط بين تواضع رسل الله من البشر . . وقوة رسل الله أولى الأجنحة .

إن النوعين ليسا غير صورتين من صور الرحمة الإلهية والعدل الإلهى . . .

وعلى امتداد رحلة الملائكة فى الأرض ، كان الإنسان يتلقى عن طريقهم بأمر الله العلم النورانى والمعرفة الربانية من إرشاد وتوجيه وتعليم ومعرفة واسعة لا حدود لها .

ولقد كانت قصة رسول الله وخاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام خير نموذج على ذلك حيث كان ينزل الروح الأمين إليه ليبلغه رسالة الله ليدعو بها إلى العالمين وعلى امتداد تبليغه لرسالة الله كان يتلقى الرسول عليه الصلاة والسلام العلم والمعرفة الربانية من توجيه وإرشاد وسمو فى مواجهة المواقف وحلها بالهدوء والحكمة والموعظة الحسنة وترقى فى السلوك بما يرضى الله ويكسبه القرب من الله .

فلقد كانت كل لحظة فى حياة الرسول ﷺ مليئة بالتعليم الربانى والتوجيه النورانى والإرشاد الإلهى .

ولقد كان رسول الله أسوة حسنة ونموذجا للإنسان المؤمن القريب من الله الحبيب له سبحانه وتعالى .

ولم يكن رسول الله الوحيد الذى تلقى العلم والمعرفة النورانية الربانية . . فلقد كان هناك أيضا جميع رسل الله وأنبيائه الذين تلقوا من منهل المعرفة الإلهية عن طريق الروح الأمين والملائكة .

فلقد كانت قصص أنبياء الله جميعها أعظم دليل . . . وخير برهان على إشراق القلوب والعقول بالمعرفة الإلهية . . إنها نماذج صادقة ، ولمسات نابضة ، وآيات ناطقة ، وصور مشرقة فى أيام وسنوات مضيئة تعبر عن حقيقة حية باقية على امتداد الزمان تشهد بتلقى العلم والمعرفة النورانية الربانية عن طريق الروح الأمين والملائكة بأمر الله .

ثالثا : تلقى العلم اللدنى ومعرفة الأسرار عن طريق عباد لله ليسوا بأنبياء بأمر الله :

كما حدث فى قصة الخضر عليه السلام عبد الله الذى علمّه الله من لدنه علما وأتاه من عنده رحمة .

فهو عبد الله الذى علمّه الله ، وكان أمر الله الذى نفذ بأن يعلّم هذا

العبد موسى نبى الله من علمه شيئا ، وقد تحقق أمر الله بتعليم هذا العبد جزءا ضئيلا جدا من علم الأسرار . . علم الله اللدنى . . علم بواطن الأمور . . علم الحقيقة الذى يكشف عن الحكمة الإلهية إلى نبى الله موسى عليه السلام .

وبالرغم من أن الخضر ليس نبيا إلا أن الله أعطاه من علمه ووهبه من فضله ومنحه من رحمته ما لم يعرفه موسى نبى الله .

ونحن فى قصة الخضر أمام عبد علّمه الله علم الأسرار وهو علم فوق طور العقل لأنه لا يحكم بالظواهر الدنيوية والأسباب المادية لأن مصدره ومنبعه نفث روحانى يهبه الله لمن يشاء من عباده ، ولذلك نجد فى قصة الخضر أن كل فعل قام به إنما كان بأمر الله وإرادة الله ولذلك فهو علم من عند الله .

وكما كان كل فعل قام به الخضر بأمر الله كان تعليمه لموسى نبى الله أمرا أيضا من الله .

إذن تستخلص الفتاة بأنه من الممكن أن يكون هناك عباد لله ليسوا بأنبياء يهبهم الله من علمه وفضله وبالقدر الذى يريده سبحانه ويأمرهم بأن يعلّموا الناس من هذا العلم .

ويكون هذا التعليم بأمر من عند الله .

وتخرج الفتاة بعد هذه الوقفة التأملية فى القصص القرآنى بحقيقة هامة وهى :

إذن هناك من يتلقى العلم والمعرفة الربانية من الله مباشرة كما حدث فى قصة آدم عليه السلام ، وهناك من يتلقى العلم والمعرفة النورانية عن طريق الروح الأمين والملائكة عليهم جميعا السلام بأمر الله كما حدث فى قصة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام وغيره من الأنبياء عليهم جميعا السلام ، وهناك من يتلقى العلم اللدنى ومعرفة علم الأسرار عن طريق عباد لله ليسوا بأنبياء وهبهم الله هذا العلم هبة لهم من عنده وفضلا عليهم ، وإذا قدّر لهؤلاء العباد أن يعلّموا أحدا من هذا العلم فيكن ذلك بأمر الله ومشيئته هو وحده كما حدث فى قصة الخضر عليه السلام .

وتستكمل الفتاة تعمقها فى أغوار القصص القرآنى حيث تقول :

[هذه نماذج حية أمامنا ، وصور نابضة حولنا حدثت حقيقة فى الحياة يجب أن نتأمل فيها ، ونقتبس فوائد منها . . نحيا على أنوارها . .

إن الملك ملك الله ، والعلم علم الله ، والقدرة قدرة الله ، والإرادة إرادة الله ، والعظمة عظمة الله ، وكل ما فى الوجود وما بعد الوجود هو ملك لله وحده ، وكل ما فى الحياة وما بعد الحياة ملك لله وحده فهو سبحانه مالك الملك بيده الأمر كله وإليه ترجع الأمور كلها ، وبيده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو . . له ما يشاء وإليه يرجع الفضل كله ، وله الحمد وحده . .

فإذا شاء أن يهب من علمه وفضله لمن يشاء . . يكون ذلك بإرادته وفضله ورحمته .

فليس هناك قانون أو قيد أو حد على فضل الله . . فإن الإرادة الإلهية والمشيئة الربانية وحدها هى الحاكمة لما يريده ويفعله الله جل جلاله .

شاء الله وما شاء فعل ، وكل شىء يكون ويتحقق بإذن الله الواحد الرحمن الرحيم رب العرش العظيم] .

وهناك حقيقة هامة أخرى لم تنساها الفتاة وهى أن أى نوع من أنواع المعرفة إنما يتلقاها الإنسان بفضل الله وأمره سبحانه وإرادته جل جلاله وعونه هو وحده .

وأن جميع الدول المتقدمة التى تنسب العلم والتقدم لنفسها فهى فى ضياع وضلال لأن جميع الدول المتقدمة الآن وما وصلت إليه هذه الدول من تقدم وتكنولوجيا ورفاهية ونجاح إنما تحقق بأمر الله وبمشيئته وعونه وبسلطان منه سبحانه .

قال الله تعالى :

﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

(الرحمن : ٣٣)

إذن أى نوع من أنواع المعرفة لابد له من سلطان من عند الله ، ولكى يأتى السلطان يجب أن يأذن الله به ويسمح بتوفره لكى يتحقق .

إذن لا معرفة بلا سلطان من عند الله ، ولا سلطان إلا بمشيئة ربانية تحقق هذا السلطان بقدرة الله فيتم الوصول إلى المعرفة .

وبذلك تكون المشيئة الإلهية هى الحاكمة والمهيمنة للوصول إلى المعرفة .

وعرفت الفتاة ذلك وأيقنت بأن كل شىء فى الوجود يتم ويعلق على مشيئة الله وإرادته وأمره ولا يتحقق إلا بسلطان من عند الله .

وتمر الأيام والفتاة مستغرقة فى بحار التأمل والتفكر حتى فجأة وفى يوم من الأيام وبعد أن عاشت فى لحظات تأملية حول العلم اللدنى باعتباره نوعا من أنواع الكشف الإلهى يستوقفها سؤال يتبادر إلى ذهنها حيث يشدّها تأملها إلى تساؤل عن الفرق بين العلم اللدنى والوحى .

ويبدأ طيف الرياح التى تمسك بها تظهر بوضوح من حولها لتعينها على الإستغراق فى دنيا التأملات حيث تحس فتاتنا بأنها ابتعدت عن دنيانا . . دنيا الشهوات والملذات وفارقت عالم الحس الى عالم آخر لا ترى فيه إلا السماء والأنوار والسحاب واللون الأبيض الكثيف والرياح التى تمسك بها وكأنها تمدّها بقوة غريبة تساعدها على التفكر والسباحة فى بحر الأنوار والمعارف حيث تشعر الفتاة بثمار تأملها حول تساؤلها الذى يشغل بالها بدأت تزدهر وتلوح لتشرق بأنوارها إذ أثمر هذا التأمل بفضل الله إلى معرفة هامة تكشف عن الفرق بين الوحى والعلم اللدنى وهى أن :

« الوحى أمر ربانى بفعل شىء ما يريده الله والإتجاه لتنفيذ هذا الشىء بتصديق كامل متكامل . . .

أما العلم اللدنى فهو تعليم ربانى ينطوى على معرفة إشراقية جديدة لم يتلقاها العبد من قبل .

وهذا العلم اللدنى أو العلم الإلهى الذى بلا شك ولا ريب هو منحة ربانية يحظى به الأولياء الصالحون والمقربون والصديقون عن طريق التجليات والفتوحات والكشوفات والمشاهدات والفيوضات والرؤى .

وهذا العلم سر الأسرار يودعه الله قلب عبده المخلص فهو منحة وهبة ومنة إلهية يهبها الله لمن يشاء من عباده » .

وسواء أكان ما يتلقاه العبد بفضل الله وعطائه وحيا ربانيا أم علما إلهيا . . فإن كلا منهما نورا يقذفه الله فى قلب عبده لفعل أمر يريده الله ، أو لإشراق القلب بمعارف جديدة .

ومن الممكن أن يكشف هذا النور الربانى بمشيئة الله وأمره الحكمة الإلهية من ذلك الأمر الذى يوحيه الله لعبده أو من تلك المعرفة الربانية والعلم اللدنى الذى يكشفه سبحانه ويشرق به قلب عبده .

فهذا النور الربانى فضل من عند الله يؤتيه من يشاء من عباده بأمره سبحانه وبرحمته هو وحده .

● ● ●

وتمضى الفتاة هائمة فى بحار حبها لله عز وجل . . غارقة فى غمار تأملاتها . . فالتأمل هو نبض حياتها ، وغذاء روحها ، ودفء قلبها ، واستقرار نفسها ، وسعادة وجدانها ، وهناء فؤادها ، وأمن كيانها كله .

وتمر الأيام ، وتمضى اللحظات والفتاة فى كل يوم وفى كل لحظة تستفيد من تعمقها وتأملها فى أنهار المعرفة متعطشة مشتاقة إلى المزيد من منهل العلم والمعرفة ، وفجأة وفى ذات يوم رأت رؤية غريبة أوقفتها وقفة طويلة مع نفسها حيث افتتحت هذه الرؤية باسم الله ونور الله والمنظر العظيم

السابق[1] وصفه وكانت الفتاة نائمة إذ سمعت صوتا يوقظها قائلا :

استيقظى ، واذهبى لتغسلى يدك اليمنى

وقامت الفتاة من نومها فزعة . . ما هذا الذى تسمعه ، ولماذا تغسل يدها ؟ ولماذا أيضا يدها اليمنى بالذات . . وتساؤلات كثيرة دارت فى خلدها وذهنها للحظات ولم تجد لها جوابا ولكن أحست بيقين مما تسمعه ووجدت نفسها بلا تردد أو اعتراض تنفذ ما جاءها وقامت وبسرعة ذهبت لتغسل يداها كما أُمرت وغسلت يدها اليمنى واليسرى .

وعادت لتنظر الى الساعة فوجدت عقارب الساعة تشير الى الثانية والنصف بعد منتصف الليل فقالت لنفسها : ما زال الوقت مبكرا . . فلأستسلم للحظات أخرى من النوم .

واستسلمت لهذه اللحظات من النوم فرأت منظرا آخر وهو أن نورا جاء على ذراعها الأيمن كله حتى غطاه . ثم رأت الملك الكريم فى وسط الحجرة واقفا يقول لها :

« ان هذا الذراع النورانى سيكون ثورة على ورد التصوف »

ثم شاهدت منظرا آخر وهو أنها واقفة فى حجرة مكتبها بمنزلها وسمعت صوتا يسألها :

ما هو وِردِك ؟

فقالت :

وِردِى هو القرآن الكريم .

وبذلك انتهت الرؤية المكونة من عدة مناظر .

وقفت الفتاة وقفة تأمل طويلة تتفكر وتتعمق فى هذه الرؤية التى رأتها فجأة والتى تكشف لها عن شىء لم تفكر فيه من قبل وهو عدم القبول عن وِردِ التصوف .

---

(١) الفصل الثانى ، ص ٥٩ .

ومن الغريب جدا أن هذه الفتاة درست علم التصوف وقرأت العديد من كتب الصوفية إلا أنها كانت بالفطرة وبالسلوك الطبيعى لا تميل إطلاقا إلى قراءة أوراد الصوفية وأحزابهم وكانت دائما تبتعد عن ذلك الشىء . . ولم تعرف ما هو سر ابتعادها عن قراءتها لأورادهم بالرغم من حبها لعلومهم .

وتمر الأيام وها هى الآن ترى رؤ ية مفاجئة تتمشى مع ما كانت تسلكه من سلوك فطرى طبيعى وتؤكد لها بأن ابتعادها عن قراءة ورد التصوف هو حق ويقين .

لقد تعمقت الفتاة فى هذه الرؤ ية كثيرا ووقفت طويلا عند جملة الملك الكريم لها بأن ذراعها الأيمن سيكون ثورة على ورد التصوف . . كيف ذلك ولماذا ؟

ولم تجد جوابا لسؤالها ولكن كانت هذه الرؤ ية الغريبة بكل ما فيها من معانى حافزا مثيرا للفتاة لقراءة بعض ورد التصوف ليس من باب الإعتراض على الرؤ ية ولكن من باب العلم والمعرفة ، ويعلم الله وحده كيف كان ذلك أمرا شاقا على نفسها .

وفعلا بدأت الفتاة تقرأ بعضا من أوراد الصوفية التى ذكرت فى بعض الكتب ، وكانت المفاجأة الكبرى لها بأن هذه الأوراد تضمنت بعضا من الجمل التى تتنافى مع الإسلام ولا تتمشى مع الدين الإسلامى ولا يصح على الإطلاق أن نقولها أو ندعو اليها .

ولم تستطع الفتاة أن تكمل ما تقرأه حيث أحست بثورة بركانية فى نفسها وكأن شيئا ما يغلى بداخلها وبسرعة أقفلت ما كانت تقرأه .

وبعد أن هدأت عرفت الفتاة بأنها سائرة فى طريق الحق ، وحمدت الله كثيرا وشكرته شكرا عميقا لأنه يحميها ويجنبها عثرات الطريق ويهديها إلى سواء السبيل ويتولاها برعايته وحنانه وحبه وأثنت على الله كثيرا لأنه يرشدها إلى النور داعية بألا يحرمها أبدا من هذا النور وأن ينير السبيل أمامها دائما مما يجنبها زلات الطريق .

إن هذه الفتاة لا تنكر على الصوفية علومهم ، بل تشيد بهم

وبمجهوداتهم العظيمة التى بذلت فى سبيل الدعوة إلى الله .

وهى تعترف دائما وأبدا بفضل علماء الصوفية حيث كشفوا لنا أمورا وخطوات فى الطريق الى الله مثل المقامات والأحوال وضرورة التحلى بالصفات المحمودة والتخلى عن الصفات المذمومة مستندين فى دعوتهم بالآيات القرآنية الكريمة .

وهى تعرف أن جميع مقامات الصوفية وأحوالهم مستمدة ومستندة أساسا إلى شواهد من القرآن الكريم .

وهى لا تهاجم علوم الصوفية بل تشيد بها حيث ذخرت المكتبة الإسلامية والعلوم الإسلامية بالكثير من المعرفة الصوفية النورانية التى امتلأت بعلم الصوفية وتجاربهم الروحية وثمراتهم الذوقية سواء أكانت الغاية من هذا العلم الصوفى هو الغاية الأخلاقية أو الغاية الأبعد من ذلك وهى معرفة الله . إذ أن هناك من الصوفية من يقف بتصوفه عند حد الغاية الأخلاقية وهى تهذيب النفس وضبط الإرادة وإلزام الإنسان بالأخلاق الفاضلة ، وهذا التصوف يتميز بأنه تربوى وتغلب عليه الصبغة العملية .

وهناك من الصوفية من يتجاوز هذه الغاية الأخلاقية الى غاية أبعد وهى معرفة الله ويضع لتحقيق هذه الغاية من تصوفه شروطا خاصة ، ويعنى أصحاب هذا التصوف خصوصا بالكلام عن مناهج المعرفة وأدواتها ويؤثرون من بينها الكشف .

وكلاهما سلوك وعمل وطريق يسير فيه العبد للقرب من الله ، وقد بيّن لنا الصوفية من خلال كتبهم وتجاربهم خطوات هذا الطريق وثمراته . . فلهم مجهودات فى ذلك الطريق لا تُنسى . . وبصمات لا تمحى .

والفتاة تعرف كل ذلك ولا تنكره فهى لا تهاجم علومهم ولكنها وبعد هذه الرؤية التى رأتها لا تتفق معهم وتختلف معهم إختلافاً كليا فى أورادهم وأحزابهم حيث أن فيها بعض الجمل التى تتنافى مع الدين الإسلامى دين الفطرة دين الله الحنيف .

وإذا كانت الرؤية التى رأتها الفتاة دعوة خاصة للفتاة بأن يكون وردها

الذى يجب أن تتمسك به هو القرآن الكريم . . فإن هذه الرؤ ية تحمل فى طياتها أيضا وفى معناها الباطنى معنى آخر عام وهو الإبتعاد عن وِرِدِ التصوف وأحزابهم وأن يكون وِرِدِ الإنسان الذى يجب أن يتمسك به هو القرآن الكريم .

ولذلك فالفتاة تتمنى من كل قلبها أن يعيد كبار علماء الصوفية اليوم النظر فى أوراد الصوفية وأحزابهم وأن يحثوا على الإبتعاد عن هذه الأوراد التى من الممكن أن تضلنا وتضيعنا لو تمسكنا بها وبالحفاظ عليها فنحسب أننا مهتدون ولكننا فى الحقيقة نكون تائهون ضائعون ، وأن نتمسك فقط بالقرآن الكريم فى أن يكون هو وردنا وذكرنا الذى نحرص عليه فنجنب أنفسنا عثرات الطريق وزلاته وشوائبه .

وتستمر الفتاة فى طريقها حامدة شاكرة ربها على عنايته وحمايته لها ورعايته بها تناجيه بكل حب وإيمان نابع من القلب قائلة :

الله . . . الله . . . الله
لا إله إلا الله محمد رسول الله
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله
الله نور السموات والأرض
من لم يجعل الله له نورا فما له من نور

اللهم اجعل لى نورا من نورك أهتدى به . . ويضىء لى حياتى
وينير قلبى وفؤادى وبصيرتى يا رب العالمين
إنك أنت السميع العليم .

اللهم اهدنى . . اللهم قومّنى . . اللهم هذبّنى
اللهم نوّر لى الطريق
اللهم أضىء لى شموعا لتكون منارا على جانبى طريقى

اللهم نوّر قلبى بنور الإيمان
اللهم نوّر بصيرتى وفؤادى
اللهم اجعل لى نورا ومنارا على درب حياتى

اللهم اعطنى الإحساس الصادق النقى ، وعلمنى ما لم أعلم
سبحانك لا علم لى إلا ما علمتنى
اللهم اعننى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

اللهم اجنبنى عثرات الطريق
واحفظنى من زلات الطريق وشوائبه
واحمنى من أن أضل سبيلى وأفقد غايتى التى أنشدها وهى القرب منك والوصول إليك والفوز برضاك ومحبتك .

اللهم اجعل طريقى هو الله . . وحياتى هى الله
وأملى ورجائى هو الله
أحيا بإرادته . . وأجاهد فى سبيله . . وأملى ومنتهاى أن أحظى بلقائه

اللهم اكتبنى مع التوابين والصالحين والمكرمين
واجعلنى من الفائزين بلقاءك ورؤيتك يا رب العالمين
إنك أنت السميع العليم رب العرش العظيم .

وتستكمل فتاتنا ـ بطلة هذه القصة ـ حياتها بصورة طبيعية وإيمانها يزداد وحبها لله ينمو ويكبر معها تسعى لتحقيق السعادة الكاملة الحقيقية التى تنشدها وتطمع فى أن تحظى بها وهى أن يكون الله نورها وسمعها وبصرها وطريقها وفؤادها وكيانها كله إذ تحس بأنها ترى الله فى كل شىء ، وفى كل لحظة . . فى فرحها وسعادتها لا ترى إلا الله وتحمد الله وتشكره كثيرا لأنه هو الذى له الفضل وحده فى هذه اللحظات الفرحة السعيدة التى تشعر بها ، وأثناء حزنها ومشاكلها لا ترى أيضا إلا الله إذ تتضرع إليه سبحانه ليخفف عنها آلامها وأن يلطف بها ويرحمها وأن يبعد عنها هذا الحزن . . إنه هو القادر على كل شىء جل جلاله حتى إذا أخذتها زينة الدنيا والحياة للحظات بسرعة تتذكر الله . . فهى تصبو إلى الله . . وتطلب حب الله . . وتتمنى لقاء الله ورضاء الله . . . فهذه هى سعادتها الكاملة الحقيقية . . وبدون هذا لا سعادة لها ، فهذا ما تصبو إليه وتتمناه وتدعو الله دائما أن يكرمها ويعطيها هذه السعادة الكاملة الحقيقية .

ويمن الله عليها بأن يغرقها فى حبه وحنانه ويفتح ويفيض عليها من نعمه ومننه وأنواره التى تنكشف على قلبها فتحس بأنها سابحة فى بحار من الحب الإلهى وأنهار من الحنان الربانى فتسجد حامدة شاكرة ربها على هذا الفضل العظيم والجود الكريم تغرقها دموعها نابضة ناطقة بحب كبير لله يملأ كيانها ويستقر فى وجدانها ، ويحيا فى كل خلجة من خلجاتها تهتز له الأعماق ، وتعجز أمامه السطور ، وتطوى الصفحات معلنة عن عجزها فى التعبير عن هذا الحب الإلهى الجبار الخطير الذى جعل الفتاة تسجد سجدة طويلة تتمنى فى لحظتها أن تفارق هذه الدنيا .. دنيا الشهوات ، ودنيا الملذات إلى عالم الحقيقة حيث تلتقى بالله .. إنه نبضة قلب ممتزجة بالحب والشوق إلى لقاء الله .. يالها من لحظة بالعمر كله حيث يتوقف كل شىء وكأنه ساجد يشهد نبضات صادقة حية من الإيمان وحب الله الكبير .

الفصل الثانى عشر

بحــر الحب الإلهــى

فى زمان غير هذا الزمان ، وعبر أيام ليست كهذه الأيام قال شيخ مؤمن صالح هذه الكلمات العميقة المعنى :

« يا ابنتى .. الحياة أسرار ، وأسرارها كنوز ،
وكنوزها درر باطنة لا يعلمها إلا الله عز وجل ،
ونورها كلمات الله المفصلة فى القرآن الكريم .

ومن كنوزها الإيمان ، والحكمة ، والصدق ، والإخلاص ،
والصفاء ، والمعرفة ببواطن الأمور ، وحب الله الكبير ،
والفتح النورانى الكريم ، والفيض الربانى العظيم .

ويفيض الله جل جلاله من هذه الكنوز الربانية
بنفحات نورانية على من يشاء من عباده فيحيا
وينعم بحياة روحانية صافية ، وليس الوصول إلى مثل
هذه الحياة الروحانية بالأمر الهين السهل ..
فهو طريق شاق وطويل ولكنه جميل لا يتمتع به إلا
أصحاب الصفاء الخالص الذين أنعم الله عليهم
بالصدق والصبر والإخلاص فى القول والعمل ،
وأفاض عليهم بالسريرة النقية ، والسكينة النفسية ،
والطمأنينة القلبية ....
فليست الحياة الروحانية إلا حياة نورانية فى
طريق الإيمان بالله ، وحب الله ، والشوق إلى
لقاء الله » .

من هذه الكلمات العميقة الجذور ، الصادقة المعانى ، الفياضة المشاعر ، المؤثرة للقلوب يتبين لنا حقيقة هامة واضحة وضوح الشمس وهى أن أساس الحياة الروحانية وجوهرها هو :
الإيمان وحب الله سبحانه وتعالى .

فمن يتأمل فى هذه الكلمات ، ويغوص فى أعماق معانيها ، ويسبح فى معرفة بواطنها . . يجد أنها تدور حول شىء واحد وتتركز فى محور رئيسى وجوهرى وهو حب الله .

الحب أكسير الحياة ، ونبض الوجود ، وسر السعادة القلبية . وأعظم أنواع الحب هو الحب الإلهى . . منه ينبع الحنان ، وبه يستقر الأمان ، وفيه تسكن المودة ، وعنه تنبعث الألفة مع جميع الكائنات والمخلوقات ، وإليه يصل القلب إلى الغاية المنشودة وهى السعادة الكاملة حيث يكمن الحب والحنان الإلهى . . والنور الربانى . . والفيض الرحمانى .

وأعلى درجة فى الحب هى ميل القلب إلى الله . . بهذا المعنى يكون الحب هو الموافقة لإرادة الله ، والسير فى طريق الله ، والطاعة فيما أمر ، والإبتعاد عما نهى ، والرضا بما حكم وقدّر ، ويحوى ذلك معنى الإيثار والتضحية ونكران الذات .

وهذا الحب إنما يكتسبه الإنسان فى الحياة الدنيا ، وبشرى له فى الآخرة ، وحب الله يمتاز به كل مؤمن لا ينقطع عنه ابداً ، وإذا زاد حب الإنسان لله انتهى به إلى العشق ، وفى العشق يقطع الإنسان كل علاقة مع غير الله بإخراجها من القلب تماما داعيا الله بكل صدق ألا يجعل فى قلبه سوى الله .

ومن ثمرات الحب الإلهى ألا يصاب المحب بخوف ، ولا قلق ، ولا اكتئاب ، ولا يفكر الا فى الله وبالله . . فهو تائب عن هواه وشهواته ، صابر على ما يبتلى به ويمتحن ، زاهد فى طلبات النفس ، خائف من بُعد الله ، راج فى اقباله ووصله ووصاله .

إن بين الله وبين المؤمن رباط مكين ، وعروة وثقى لا حد لها ، وحب لا نهاية له ، ورضا لا رضاء بعده .

والإنسان المؤمن المحب لله يجد سعادته فى خلوته ، وهناءه فى وحدته حيث يخلو إلى نفسه يناجى ربه ، يشكو همه إليه ، يشكره على نعمته . . فهو يناجيه فى فرحه ، ويلجأ إليه فى حزنه ، ويتغنى بالدعاء له والثناء عليه والتسبيح والتقديس له عز وجل ، ويشعر بأن كل ما فى الكون من مخلوقات نغمات مميزة تشترك معه فى التسبيح لله عز وجل .

كما أنه يحس أن هناك ألفة بينه وبين الطبيعة وجميع المخلوقات الأخرى . . هناك صداقة بينه وبين الكون . . إنه يفهم لغة الكون ، والكون يفهم لغته . . وهذه اللغة المشتركة بينهما هى التسبيح والشكر لله والإحساس بآثار حب الله فى الوجود كله .

ومن خلال هذا الحب العظيم لله سبحانه وتعالى . . يعبد الإنسان المؤمن الله عز وجل ويتفانى فى حبه إلى أقصى درجات العبودية . . فهو يعبد الله ويتقى الله فى معاملة غيره من الناس حبا لله العلى الكبير ، وليس طمعا فى جنته وخوفا من ناره .

هذا بالإضافة إلى أن هذا المؤمن المحب لله العلى العظيم . . لايسأل إلا الله ، ولا يطلب العون إلا من الله ، ولا يبث حزنه إلا لله ، ولا يلجأ إلا إلى الله ، ولا يعبر عن فرحته إلا لله بما أفاض عليه من فضل عظيم ، وعطف عميم ، ونعيم مقيم .

كما أنه دائما يطلب من الله عز وجل أن يصقله ، ويؤدبه ، ويقومّه ، ويهذّبه ، ويجعله فى الصورة التى يرضى بها عنه . . فهذه المناجاة التى بين العبد وربه تنبع من حب الله لعبده المؤمن ، وحب العبد لخالقه رب العالمين مما يدخل السعادة فى نفس هذا الإنسان المؤمن فيشعر بالأمن والأمان ، وينعم بالطمأنينة القلبية بذكره لله ، ويهنأ بالسعادة الروحية التى تسرى فى كيانه فيحس بنشوة كبرى ، ولذة عظمى لا مثيل لها فيسعد بطريقه الذى يسير فيه ، وبحبه الكبير الذى أصبح كل حياته حيث يحيا به وله .

إن القلب الإنسانى النابض بالحب الإلهى يحس بالذوبان مع حب الله . . إنه شعور وإحساس ونبض يسير فى الجسد وينطق بالحب لله والمحبة لله . . حب عظيم رائع جميل له لذة لا تساويها لذات الدنيا كُلها

وما فيها من زواج أو نجاح أو شهرة أو غنى أو مركز . . إلخ . من مباهج الدنيا ومتاعها .

ومثل هذا الإنسان يحيا فى حالة حب دائم مع الله ، يحب حياته لأنها من الله ولا يخشى الموت ويرتقبه فى أى لحظة لأنه رجوع إلى الله وستحين له الفرصة أن يلتقى بالله بعد شوق وحنين غامر . . إنه يرى الله فى كل شىء . . فكل شىء ينطق بالله ، ويسبّح لله ، ويحمد ويشكر الله . . كل بطريقته . . فإن الله يملأ الكون والوجود كله . . يملأ الحياة وما بعد الحياة .

ويعتقد هذا الإنسان بأن كل شىء جميل يأتيه فهو من الله ، وكل شر يأتيه فهو من نفسه ولابد أنه وقع فى الغفلة والخطأ والسهو النسيان وغفل عن ذكر الله ولذلك حلَّ به هذا الشر ، أما البلاء الذى من عند الله فهو يرضى به لأنه الوسيلة الوحيدة التى تصقل بها نفسه . . إنه دواء مر ولكنه ناجع يصل إلى الأعماق مرة واحدة . . إنه فى ظاهره مرير وصعب ولكن فى باطنه الإستقرار والتهذيب والتقويم وصقل النفس ، وهذا الإنسان الصابر لا يشعر بمرارة البلاء وصعوبته لأنه ينشد السكينة القلبية ، والتهذيب والتقويم النفسى الذى يقوده إلى الله .

وهو يسعد بهذه الحياة التى تغنيه عن الدنيا حيث يشعر بأن حياته كلها بما فيها من سكنات وحركات وهمسات ويقظة هى لله ، ومن الله ، وبالله ، ولا تحيا إلا مع الله ، ولا تسعد إلا بالله ، ولا تشقى إلا خوفا من غضب الله .

وتمتزج الأحاسيس فى كيان هذا الإنسان المؤمن بحب الله حتى تصل إلى قمتها حيث يشعر بالأنس فى كل لحظة مما يقوده إلى الشوق الجارف إلى الله ، والحنين المتلهف للقاء الله فيسجد سجودا خاشعا نابعا من قلب ينبض بالحب لله . . يحترق شوقا له . . يتمزق حنينا إليه . . يحيا بنوره على أمل فى لقاءه ورؤيته ، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .

إن الحب الإلهى حقيقة حية فى حياتنا ، وآية نابضة ناطقة بالحنان أمامنا ، ولمسة صادقة شاهدة بالرحمة حولنا ، وصورة واقعية معبرة عن

أجمل ما فى الحياة . . ولا نتصور أن تقوم للإنسان حياة دون أن ينبض قلبه بالحب لله والإحساس بآثار هذا الحب .

فذروة الحب عند الإنسان ، وأكثره سموا وصفاء وروحانية هو حبه لله سبحانه وتعالى وشوقه الشديد إلى التقرب منه ، لا فى صلواته وتسبيحاته ودعواته فقط ، ولكن فى كل عمل يقوم به وفى كل سلوك يصدر منه ، إذ يكون توجهه فى كل أعماله وتصرفاته إلى الله سبحانه وتعالى راجيا منه تعالى القبول والرضوان .

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (آل عمران : ٣١)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (المائدة : ٥٤)

وحب المؤمن لله يفوق حبه لأى شىء آخر فى الحياة ، يفوق حبه لذاته ولأبنائه ولزوجه ولأبويه ولأهله ولأمواله :

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

(التوبة : ٢٤)

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (البقرة : ١٦٥)

إذن فإن حب الله تبارك وتعالى صفة من صفات المؤمنين وغاية من غايات وجودهم ، ويستخدم النص القرآنى أشد حبا لله إشارة إلى عمق الحب وصفائه وخلوصه .

فالإيمان وحده هو ينبوع الحب الصافى الخالد ، والمؤمن وحده هو الذى يستطيع أن يحب كل شىء حتى الكارثة ، يحب الوجود كله بدايته ونهايته ، الموت فيه والحياة (١) .

إن الإنسان المؤمن بعقيدة الإسلام نفذ إلى سر الوجود فأحب الله واهب الحياة ، ومصدر الخلق والأمر ، والإيجاد والإمداد .

أحبه حب الإنسان للجمال ، فقد رأى فى كونه أثر الإبداع والإحكام :

﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ ﴾ (الملك : ٣)

﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (النمل : ٨٨)

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ (السجدة : ٧)

وأحبه حب الإنسان للكمال ، وهل هناك ـ فى الحقيقة ـ إلا كماله سبحانه ؟ وكل ما نرى من مظاهر الكمال النسبى إن هى إلا ذرات مستمدة منه ، ومفتقرة إليه .

وأحبه حب الإنسان للإحسان ، فالنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها ، وأى إحسان كإحسان من خلقه من عدم ، وجعله بشرا سويا ، واستخلفه فى الأرض ، وسخر له الكون جميعا منه :

---

(١) الدكتور يوسف القرضاوى : الايمان والحياة ، ص ١٤٨ وما بعدها .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (البقرة : ٢٩)

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان : ٢٠)

أحبه لهذا كله ولأكثر منه ، حبا يفوق الإنسان لابويه ، بل لأولاده ، بل لنفسه ، وأحب كل ما يجيء من قبله وكل ما يحبه سبحانه ، أحب الكتاب الذى أنزله ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وأحب النبى الرسول الأمين محمد عليه الصلاة والسلام الذى أرسله رحمة للعالمين ، وأحب جميع الأنبياء والرسل قمم النقاء فى الأرض الذين اصطفاهم الله عز وجل للدعوة إليه سبحانه ، وأحب كل إنسان من أهل الخير والصلاح الذين يحبهم ويحبونه .

والمؤمن الذى يسيطر على قلبه حب الله يحب الطبيعة والوجود كله لأنها أثر من آثار ربه :

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ ﴾ (الأعلى : ٢ ، ٣)

كل شىء فيها بحساب ولغاية وحكمة :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝ ﴾ (القمر : ٤٩)

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ ﴾ (الرحمن : ٥)

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝ ﴾ (الحجر : ٢١)

الطبيعة ليست عدوا للإنسان ولكنها مخلوق سخر لخدمته ليساعده على القيام بمهمة الخلافة فى الأرض ، وكل ما فى الكون ألسنة صدق تمجدّ الله وتسبّحه بلغة قد لا تفهمها العقول البشرية المحدودة :

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الاسراء : ٤٤)

فالوجود كله هو كتاب الله المفتوح للقارئين والأميين جميعا ، تتلى فيه آيات قدرته ورحمته ، وعظمته ونعمته[1] .

هذا العالم علويه وسفليه ليس إلا صنع الله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، الذى أفرغ على هذا الكون وحدة جعلته فى أرضه وسمائه وحيوانه ونباته كأجزاء الجسد الواحد تعاونا واتساقا وائتلافا :

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (يس : ٤٠)

ليس فى الكون شىء خلق جزافا أو عبثا . كل شىء فيه قد هىء ليؤدى دوره فيما أراد الله من عمارة الأرض ، واستمرار الحياة إلى أجلها ، وخدمة هذا النوع المكرم من الخلق (الإنسان) .

وكما أحب المؤمن الطبيعة أحب الحياة ولم يعتبرها عبثا يجب أن يلقى ، ولا سجنا يجب أن يهرب منه ، وإنما [illegible] رسالة تؤدى ونعمة تشكر .

والمؤمن لا يحب الحياة حب الحريص عل متاعها الأدنى ، المتهافت على لذائذها حبا يخيفه من الموت ، ويلصقه بتراب الأرض ، بل أحب المؤمن الحياة لأنه يقوم فيها بحق الله فى الأرض ، وأحب الموت لأنه يعجل به إلى لقاء ربه .

وفى الحديث :
« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه »[2] .

وأحب المؤمن الناس جميعا لأنهم أخوته فى الآدمية ، وشركاؤه فى العبودية لله ، جمع بينه وبينهم رحم ونسب ، كما جميع بينهم هدف مشترك ، وعدو مشترك .

---

(١) الدكتور يوسف القرضاوى : الايمان والحياة ص ١٥٠
(٢) متفق عليه .

أما الرحم العامة فقد قال فيها الله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ ﴾ (النساء : ١)

وما أحق كلمة الأرحام هنا أن يراد بها الارحام الإنسانية التى تصل بين الناس جميعا .

وأما الهدف المشترك والعدو المشترك . . فقال فيهما سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ ﴾ (فاطر : ٥ - ٦)

فالحياة الآخرة الباقية والخلود فى نعيمها هو الهدف الإنسانى المشترك ، والشيطان المعوق عنها هو العدو المشترك .

وإن أدنى ثمرات المحبة التى يغرسها الإيمان فى قلب المؤمن سلامته من الغل والحسد ، فإن أنوار الإيمان كفيلة أن تبدد دياجير الحسد من قلبه ، وبذلك يمسى ويصبح سليم الصدر ، نقى الفؤاد يدعو بما دعا به الصالحون :

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحشر : ١٠)

فالمؤمن لا يحسد لأنه يحب الخير لعباد الله جميعا ، وهو لا يعارض ربه فى رعاية خلقه أو تقسيم رزقه :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (الاسراء : ٣٠)

إنه مؤمن بعدل ربه فيما قسم من حظوظ ، وما وزع من مواهب ،

ويعتقد أن قضاءه تعالى فى خلقه صادر عن حكمة بالغة يعرف منها ويجهل ، وقد قيل :

الحاسد جاحد ، لأنه لم يرض بقضاء الواحد .

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (النساء : ٥٤)

والمؤمن لا يحسد لأن همته منوّطة بما هو أرفع وأبقى من الدنيا التى يتنافس عليها الناس ، ويتحاسدون وإنما يوجه همته إلى معالى الأمور إلى المعانى الباقية : إلى الآخرة والجنة .

وكما أن المؤمن لا يحسد ، فهو أيضا لا يحقد لأنه عفو كريم ، يكظم غيظة وهو يستطيع أن يمضيه ، ويعفو وهو قادر على الإنتقام ، ويتسامح هو صاحب الحق ، لا يشغل نفسه بالخصام والعداوات ، فالعمر لا يتسع هذا العداء ، والدنيا لا تستحق عنده هذا العناء .

فكيف يسلم قلبه للعداوة والأحقاد فتنهشها أفاعيها السامة ؟

وكيف يبيت فى قلبه لأخيه شحناء العداء فيبيت بعيدا عن رحمة الله ؟

فالمؤمن إذن لا يحسد ولا يبغض ، لأن الحسد والبغضاء من بذور الشيطان ، والمحبة والصفاء من غرس الرحمن :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ (المائدة : ٩١)

﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (الممتحنة : ٧)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ (مريم : ٩٦)

هذا ـ وسلامة القلب من الضغن والحسد أول ما يتصف به المؤمن ، بل أدنى ما يتصف به ، ولا يكمل إيمان المؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه .

وأعلى درجات الحب أن يؤثر الإنسان أخاه على نفسه فيجود له بالشىء وهو محتاج اليه .

وهذا المعنى مقطوع من جذوره فى بيئات الملحدين والماديين ، فإن

المؤمنين يؤثرون ابتغاء وجه الله ومرضاته ومثوبته ، وأما أولئك فلوجه من يؤثرون ؟ وعلام يؤثرون ؟

وقد قسم الإسلام العالم البشرى إلى قسمين فقط ، أولياء الله وأولياء الشيطان ، أنصار الحق وأنصار الباطل ، ولم يشرع حربا ولا جهادا إلا ضد أنصار الباطل وأولياء الشيطان إينما كانوا ومن كانوا فقال :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ (النساء : ٧٦)

والتسامح جزء من العقيدة الإسلامية .

وهناك أمران فى عقيدة المسلم يجعلانه مع إستمساكه بدينه ، وثباته على إيمانه أشد الناس تسامحا مع المخالفين له ، والكافرين بدعوته .

أولهما : أن المسلم يعتقد جازما أن من مقتضيات الإرادة الإلهية التى لا تخلو عن الحكمة اختلاف الناس فى الدين والإيمان .

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (يونس : ٩٩)

وإذا كانت مشيئة الله نافذة ـ ومشيئته تعالى مرتبطة بحكمته ـ فكيف يقاوم المؤمن مشيئة الله أو ينكر حكمة الله ؟

ثانيهما : أن الله قد أمر نبيه المصطفى أن يتجنب اللجاجة فى الجدل مع المخالفين وأن يكل أمرهم إلى الله ، ويعلمهم أن يوم الفصل بين المختلفين إنما هو يوم القيامة ، فلا داعى للجدال الذى يثير الفتن ، والمراء الذى يوغر الصدور . قال تعالى لرسوله :

﴿ وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (الحج : ٦٨)

ويقول :

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الشورى : ١٥)

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الزمر : ٤٦)

ذلك هو المؤمن بعقيدة الإسلام : أحب الله جل جلاله وكل ما خلقه الله . . أحب الوجود كله ، والطبيعة . . أحب الحياة والموت . . أحب قدر الله وقضائه حلوه ومره . . أحب الناس جميعا وإذا كره ولابد فإنما يكره الشيطان ، ويكره حزب الشيطان كرها مقرونا بالرحمة والإشفاق وحب الخير للناس جميعا .

مثل هذا الإنسان أحس بالود مع كل شيء حبا في الله .

إن هذا الحب هو دليل إيمانه بربه ، وقائده إلى جنته ، ومرشده في طريقه إليه سبحانه ، ودليله في حياته آملا طامعا في القرب منه عز وجل .

ولم تر الدنيا حبا كريما أصيلا يعلو على الشهوة والمنفعة كحب الله .

تقوم العقيدة الإسلامية على حب الله للإنسان ، فهو الذى خلقه بيديه ، وهو الذى نفخ فيه من روحه ، وهو الذى أسكنه الجنة ، وأسجد له الملائكة سجود تكريم ، وهو الذى غفر له حين أخطأ وتاب ، وهو الذى أهبطه إلى الأرض تحقيقا لأمره ، وهو الذى كرّمه وفضّله .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الإسراء : ٧٠)

أدرك العارفون بالله قيمة الحب فى حياة الإنسان . . واختاروا حب الله عز وجل .

ولقد أجمع كل المحبين لله سبحانه وتعالى . . العاشقين له عز وجل أن أنواع الألم فى الدنيا كثيرة أهمها وأخطرها ألم البُعد عن الله ، ولهذا لا ينظرون إلى الموت نفس النظرة التى يراه بها الناس ، لا يعتبرونه نهاية لحياة ثمينة ، وإنما يرونه مقدمة لحياة خالدة باقية ، إن العمران لا يكون إلا بعد خراب ، وأى كنز مدفون يحتاج إلى حفر الأرض وأثارتها ، والشجرة لا تعطى ثمارها حتى تتفتح وتسقط الأزهار ، فإذا رأيت بيتا يتهدم ويمضى إلى الخراب فأعلم أن هناك بناءا جديدا ، والروح لا تقوى على إرتداء كسوة جديدة إلا إذا تهدم الجسم الفانى ، وذهب العمر القصير ، إن الله وهو الكريم المطلق لا يسلب نعمة إلا ويعطى نعمة أكبر منها . . فهو سبحانه لا يسلب هذه الحياة الضعيفة الا ليعطى حياة أفضل منها وأكرم ، وأجمل وأبقى .

يقول العارفون بالله ليس لكل إنسان أن يكون محبوبا ، فهذا يحتاج إلى صفات وفضائل لا يملكها كل واحد ، لكن لكل إنسان أن يأخذ نصيبه من الحب وينعم به .

فاذا فاتك يا سيدى أن تكون محبوبا ، فلا يفتك أن تكون محبا [1] .

إلى أى مصدر ينبغى أن يوجه الحب . . وهو نور الحياة وقيمة الإنسان ؟

إن الحب العظيم لا يليق إلا بالعظيم . . والحب الباقى لا يليق إلا بالخالد .

وإذن لا يستحق الحب غير الحى الذى تستمد منه الحياة .

ويرى الصوفية أن الحب سببا من أسباب الوجود وسراً من أسرار الخلق .

---

(١) أحمد بهجت : الله فى العقيدة الاسلامية ، ص ٣٠٠ .

وينفرد التصوف من بين أساليب المعرفة ، بأنه لا يفترض وجود حقيقة مطلقة فحسب ، وإنما حقيقة مطلقة يمكن معرفتها والإتصال بها . . وهو ينكر أن المعرفة الإنسانية قاصرة على معطيات الحس أو سعى الفكر أو جهد العقل . . فإن هذا فصل لمواهب الإنسان وتجزئة لطاقاته فليس الإنسان عقلا فحسب ، إنما هو قلب وذوق ومشاعر .

نعم قلب ينبض بحب الله . . وذوق يتذوق وينعم فى عطاء الله ، وفيض الله . . ومشاعر تحس وتلمس حنان الله ، ولطف الله ، ورعاية الله ، وعناية الله ، ورحمة الله فيحيا الكيان الإنسانى قلبا وعقلا ، جسدا وروحا ، ظاهراً وباطنا فى دائرة النور الإلهى تحيطه الرحمة الربانية . . وتظله العناية الإلهية . . وتشمله الرعاية النورانية .

وأمامنا قصص أنبياء الله . . قمم النقاء فى الأرض شاهدة على أن حبهم لله كان يجرى فى عروقهم . . ينطق به كل خلجة من خلجاتهم حتى أصبح حب الله هو حياتهم وطريقهم وأملهم وهدفهم ورجاءهم وسبيلهم . . امتزجت دمائهم بنبضات طاهرة بحب الله . . نماذج فريدة أحبت الله قولا وفعلا ، إرادة وسلوكا ، شكلا وموضوعا فحفرت بنبضات حبها ولمسات إيمانها بصمات نورانية فى طريق الدعوة إلى الله . . وما الدعوة إلى الله الا نبض من نبضات حب الله . فمن يحب الله . . يحب أن يذكره ويدعو إليه ويود بل ويتمنى أن يلمس هذا الحب الجميع .

وكل قصة من قصص أنبياء الله تنطوى على قصة حب عظيم لله كان ينبض به قلوبهم ، ويعيش فيه كيانهم كله . . قصة حب ممتزجة بكل الصدق والإخلاص والطاعة لله وحده والإمتثال لأمره وحده والدعوة إليه سبحانه والجهاد فى سبيله عز وجل .

ونستطيع أن نتعلم الكثير والكثير من هذه القصص النورانية إذا تأملنا فى فصوص وجوهر هذا الحب العظيم لله الذى كان يملأ حياتهم وينير طريقهم مما يعيننا ويقوينا وينمينا ويضىء لنا السبيل فى طريق الحب الإلهى .

وأمامنا المثل الأعلى لحب الله عز وجل . . رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى فى سورة الاحزاب :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الاحزاب : ٢١)

وحال المحبة[1] لعبد نظر بعينه إلى ما أنعم الله به عليه ، ونظر بقلبه إلى قرب الله تعالى منه وعنايته به وحفظه وكلاءته له ، فنظر بإيمانه وحقيقة يقينه إلى ما سبق له من الله تعالى من العناية والهداية وقديم حب الله له ، فأحب الله عز وجل .

ولقد قيل عن المحبة أنها صفاء الود مع دوام الذكر لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره .

والمحبة على ثلاثة أنواع :[1]

الأول ـ حب للإحسان :

وهو حب عامة المؤمنين ، يتولد ذلك من إحسان الله تعالى إليهم وعطفه عليهم . وقد يكون هذا الإحسان فى الدنيا والآخرة . . فهؤلاء يحبون الله تعالى لإحسانه فمتعلق محبتهم على الحقيقة هو الإحسان .

الثانى ـ حب للصفات :

وهو حب الخواص . . وهو حب يتعلق بالصفات التى تصدر منها هذه الأفعال وهذا النوع فوق الأول لأنه قد رقى من النعمة إلى المنعّم وأنه سبحانه أهل أن يُعبد وأن يتذلل له .

وهذا النوع من الحب هو حب الصادقين والمتحققين ويتولدّ من نظر القلب إلى غناء الله وجلاله وعظمته وعلمه وقدرته .

---

(١) أبى نصر السراج الطوسى : اللمع ، ص ٨٦

(٢) الشيخ أبى طالب المكى : قوت القلوب ـ الجزء الثانى ، ص ١٧١ .

الثالث ـ حب للذات :

وهو حب خاصة الخاصة . . وهو حب يتعلق بالذات لا يبعثه على هذا الحب شيء وإنما هو حب قد أشرب قلبه ، فلا يلتفت فيه إلى عطائه ومنعه وضره ونفعه بل حبه له إنما هو لكمال ذاته وصفاته وقدسه وجلاله وعظمته .

وهذا النوع من الحب قد رقى من الأفعال إلى الصفات ومن الصفات إلى الذات . . فمحبته حينئذ غير معللة بشيء . . وهذا الحال من المحبة هو محبة الصديقين والعارفين التى تولدّت من نظرهم ومعرفتهم بقديم حب الله تعالى بلا علة ، فكذلك أحبوه بلا علة .

وكما أن المحبة على ثلاثة أنواع . . فهى أيضا فى ثلاثة أشياء :[1] .

الأول : محبة الله ، ومحبة الله تكون بطاعته وعدم مخالفته ، ويقال أن ذكر النعم يورث المحبة .

الثانى : محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلامتها اتباع سنّته :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾

(آل عمران : ٣١)

الثالث : محبة المؤمنين فى الله تعالى وعلامة ذلك كف الأذى عنهم وجر النفع إليهم .

والمؤمنين مشتركون فى أصل الحب لإشتراكهم فى أصل المحبة ، ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم فى المعرفة ، وفى حب الدنيا إذ الأشياء إنما تتفاوت بتفاوت أسبابها ، وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التى قرعت سمعهم فتلقنوها وحفظوها ، وربما تخيلوا لها معانى يتعالى عنها رب الأرباب ، وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا إيمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون ، والعارفون بالحقائق هم المقرّبون .

---

(١) الشيخ أبى طالب المكى : قوت القلوب ، الجزء الثانى ، ص ١٧١

وقد ذكر الله تعالى حال الأصناف الثلاثة فى قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الواقعة : ٨٨ - ٩٦)

والعالم بجملته ، والوجود بأسره . . صنع الله تعالى وبصيعه .

والعامى يعلم ذلك ويعتقده ، وأما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى فى البعوض مثلا من عجائب صنعه ما ينبهر به عقله ، ويتحير فيه لبه ، ويزداد بسببه لا محالة عظمته وجلاله وكمال صفاته فى قلبه ، فيزداد له حبا .

وبحر هذه المعرفة أى معرفة عجائب صنع الله . . بحر لا ساحل له . فتفاوت أهل المعرفة فى الحب لا حصر له .

فإن من يحب الله مثلا لكونه محسنا إليه منعما عليه ، ولم يحبه لذاته صعفت محبته إذ تتغير بتغير الإحسان ، فلا يكون حبه فى حالة البلاء كحبه فى حالة الرضا والنعماء .

أما من يحبه لذاته ولأنه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته ، فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الإحسان وإليه ويصبح حبه لله قويا ويزداد على مرور الأيام .

فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس فى المحبة .

والتفاوت فى المحبة هو السبب للتفاوت فى سعادة الآخرة ، ولذلك قال الله تعالى :

﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الاسراء : ٢١)

والمحبة منزلة من المنازل التى فيها تنافس المتنافسون ، وعليها تفانى المحبون . . فهى قوت القلوب ، وغذاء الأرواح ، وقرة العيون . . وهى الحياة التى من حرمها فهو من جملة الأموات والنور الذى من فقده فهو فى بحار الظلمات ، والشفاء الذى من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام واللذة التى من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام . . وهى روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال .

والمحبة حقيقة العبودية . وهل تمكن الإنابة بدون المحبة والرضا ، والحمد والشكر ، والخوف والرجاء ؟

وهل الصبر فى الحقيقة إلا صبر المحبين ؟

وهل الزهد فى الحقيقة إلا زهد المحبين ؟

وكذلك الحياء فى الحقيقة : انما هو حياء المحبين فإنه يتولد من بين الحب والتعظيم . واما ما لايكون عن محبة : فذلك خوف محض .

وكذلك مقام الفقر فانه فى الحقيقة فقر الأرواح إلى محبوبها وهو أعلى أنواع الفقر . فإنه لا فقر أتم من فقر القلب إلى من يحبه لا سيما إذا وحدّه فى الحب ، ولم يجد منه عوضا سواه : هذا حقيقة الفقر عند العارفين . وكذلك الغنى هو غنى القلب بحصول محبوبه ، وكذلك الشوق إلى الله تعالى ولقائه . . فإنه لب المحبة وسرها .

والشوق أثر من آثار المحبة ، وحكم من أحكامها ، فإنه سفر القلب إلى المحبوب فى كل حال[1] .

قال الله تعالى :

﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍ ﴾ (العنكبوت : ٥)

وقيل عن الشوق أنه اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب ، والمحبة أعلى منه لأن الشوق عنها يتولدّ ، وعلى قدرها يقوى ويضعف .

---

(١) ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين ، ص ٣٨ ، الجزء الثالث

والشوق على ثلاث درجات :

الأولى : شوق العابد إلى الجنة .

الثانية : شوق إلى الله تعالى زرعه الحب ، وهذا الحب زرعه تعلق القلب بصفاته المقدسة .

الثالثة : نار أضرمها صفو المحبة فبغضت العيش وسلبت السلو ولم يسكنها شيء غير اللقاء .

ويرى العارفون بالله بأن الحب الصحيح الذى لا يتغير هو حب الله عز وجل ، هو الذى يراه الإنسان بعينى قلبه وهو حب الصديقين الروحانيين ما أحبوا الإيمان فقط بل الإيقان والعين ، وكشفت الحجب عن أعين قلوبهم فرأوا ما فى الغيب .. رأوا ما لايمكنهم شرحه[1] .

والحق عز وجل لا يترك محبيه مع الدنيا ولا لحظة ، ولا يأمنها عليهم ، ولا يتركهم معها بل هو معهم وهم معه ، قلوبهم ابداً له ذاكرة ، بين يديه حاضرة ، وعن غيْره معرضة ، وعليه مقبلة ، فهو معهم حافظ لهم ، ولهم مؤنس .

والمؤمن إذا قوى إيمانه سمى موقنا ، ثم إذا قوى إيقانه سمى عارفا ، ثم إذا قويت معرفته سمى عالما ، وإذا قوى علمه سمى محبا ، وإذا قويت محبته سمى محبوبا ، وإذا صح له ذلك سمى غنيا مقربا مستأنسا يستأنس بقرب الله عز وجل ، يطلعه على ما يشاء من أسرار حكمه وعلمه وسابقته ولاحقته وأمره وقدره ، ويكون ذلك على قدر حويصلاته وما يعطيه من قوة قلبه وسعته ، ثم هو قائم مع ربه عز وجل خارج بقلبه عن الخلق .

وكلما صفا قلب العبد رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه ويقظته يأمره بشيء وينهاه عن شيء ، يصير كله قلبا وتنعزل بنيته ، يصير سراً بلا جهر ، صفاء بلا كدر[2] .

---

(١) الامام عبد القادر الجيلانى : الفتح الربانى والفيض الرحمانى ، ص ٩١ .
(٢) الامام عبد القادر الجيلانى : الفتح الربانى والفيض الرحمانى ، ص ٢٦١ .

وإذا دام القلب على ذكر الحق عز وجل جاءت إليه المعرفة والعلم والتوحيد والتوكل والإعراض عما سواه .

فالذكر سبب لدوام الخير فى الدنيا والآخرة ، إذا صح القلب صار الذكر دائما فيه ، يكتب فى جوانبه فتنام عيناه وقلبه ذاكر لربه عز وجل .

القلب الصحيح ممتلىء توحيدا وتوكلا ويقينا وتوفيقا وعلما وإيمانا ، ومن الله عز وجل قربا .

إذا اتقى العبد الله عز وجل جعل لنا من الجهل علما ، ومن البعد قربا ، ومن الصمت ذكراً ، ومن الوحشة أنساً ، ومن الظلام نوراً .

وإذا أحكم العبد الإيمان وصل إلى دار المعرفة ، ثم إلى وادى العلم ، ثم إلى وادى الفناء عن ماسوى الله ، ثم إلى الوجود به وحده وحينئذ يزول حزن هذا العبد فالحفظ يخدمه ، والحمية تحوطه ، والتوفيق يطرق بين يديه ، والملائكة تمشى حوله ، والأرواح تأتيه تسلم عليه وكل ذلك بأمر الله ويجذبه الله عز وجل إلى دار قربه والأنس به والمناجاة له .

لقد جمع بين الصوفية خيط واحد هو الحب[1] .

وهم يرون أن الحب نسيج أصيل فى الكون ، وسر غائر من أسراره . .

والقرآن يذكر كلمة الحب وينسبها إلى الله تجاه البشر ، وينسبها إلى البشر ازاءه سبحانه .

قال تعالى على لسان خاتم رسله :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (آل عمران : ٣١)

وقال تعالى حاكيا عن موسى :

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ (طه : ٣٩)

(١) أحمد بهجت : بحار الحب عند الصوفية ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

وقال تعالى مخاطبا عموم المؤمنين :

﴿ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ٧٦)

وقد فسر الإمام الغزالى حجة الاسلام قوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (البقرة : ١٦٥)

فقال أثبت الله تعالى الحب ، وأثبت أنه يزيد عند المؤمنين لقوله تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ (البقرة : ١٦٥)

وينظر الصوفية أساسا إلى الحب كعنصر أصيل من عناصر الكون ، وسبب هام من أسباب الخلق .

يقول الله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦)

والعبادة قمة من قمم الحب وكمال من كمالاته . .
وقد فسر ابن عباس كلمة العبادة بالمعرفة .

والمعرفة لازمة للحب . . هى سبب الحب . . من عرف عن الله أكثر أحبه اكثر . . ومن لم يعرف عن الله إلا القليل كان حبه على قدر معرفته .

ويتوقف الصوفية كثيرا أمام قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (المائدة : ٥٤)

نريد أن نلاحظ أن الله لا يخوف الذين يرتدون عن دينهم بأن يلقيهم فى النار أو يصب عليهم عذاب الجحيم ، نريد أن نلاحظ أن الله يخوّف المرتدين بالحب . . بأن يستبدل بهم قوما يحبهم ويحبونه . . والإرتداد عن الدين شرك ، والشرك فساد فى العقل وهو أشرف ما فى الإنسان ، وكأن الله

تعالى يهدد أقسى الذنوب وأرهبها بأرق ما فى الوجود وأعذبه وهو الحب[1] .

ولقد كان عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد العصور حبا لله ، وكان الرسول أشد الخلق حبا لله لأنه كان أعرف الخلق بالله ، ولقد تحدث الله تعالى عن أبى الأنبياء ابراهيم فقال :

﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء : ١٢٥)

ومعنى الخلة شدة المحبة . . أما خاتم النبيين فقال الحق تعالى فى حقه :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧)

واطلاق الرحمة عليه هذا الإطلاق يعنى أنه أشد عباد الله حبا لله . . لأن الرحمة أعرف بالرحمن الرحيم وأحب .

بدأت الكلمات التى تربط الزهد بالحب تطفو على سطح الحياة ، ولم يعد الخوف من الله تعالى هو الذى يحكم قلوب الزهاد والصوفية ، ولا صارت الرغبة فى الجنة أو الخوف من النار هو السر فى التقوى ، صار الحياء من الله تعالى ، وحبه خالصا لوجهه هو المسيطر على القلوب . . المهيمن على العقول .

يقوم الفكر الصوفى على أساس فكرة الحب .

حب الله تعالى للإنسان . . وحب الإنسان لله عز وجل . .

وقديما طرح السؤال الأزلى .

لماذا خلق الله العالم ، وهو سبحانه ليس محتاجا إلى العالم ؟

اختلفت إجابات السؤال عند أفراد النوع البشرى ، ولم يناقش السؤال كثير من الناس ، وإن خطر على قلوبهم ، وظل السؤال يتنقل من عقل إلى عقل . . حتى وصل إلى الصوفية .

---

(١) أحمد بهجت : بحار الحب عند الصوفية ، ص ٣٥

وأحال الصوفية السؤال إلى القلوب قالوا إن إدراك سر خلق العالم ، هو شيء كلى ، إدراك ذلك بعقل الانسان الجزئى أمر مستحيل . . هذا السؤال ليس فى قدرة العقل أو تخصصه أن يجيب عليه ، هذا إختصاص القلوب .

إن الله تبارك وتعالى ليس محتاجا إلى العالم ، ورغم ذلك خلق العالم . لماذا خلقه إن لم يكن هذا الخلق فيضا من فيوض الحب الإلهى والرحمة .

يورد القرآن الكريم نصا فيه إجابة على سؤال خلق العالم .

يقول تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾

(الذاريات : ٥٦ - ٥٨)

تحدد الآية الكريمة هدف الخليقة بالعبادة .

عبادة الله تعالى . .
أليس شرفا أن يأذن الله لمخلوقات من تراب أو نار بأن تعبده سبحانه .
أليس تشريفا لتراب أن يرتفع لمقام الحب . .

إن عبادة الله تعالى تعنى الحب والطاعة ، إذا نظرنا اليها من جانب الإنسان فإذا نظرنا اليها من جانب آخر كانت مجداً حقيقيا للإنسان أو بعبارة أصح هى المجد الحقيقى الوحيد . . وما عداه وهم وصور . . مثلما أن الله هو الموجود الحق ، وما عداه صور تظهر ثم تموت .

يدرك الصوفى أن الله تعالى خلق الإنسان لأنه يحب الإنسان ، ولهذا يبدأ سياحته فى بحار الحب الإلهى على الفور .

اذن فالحب هو سر الوجود وعلته الأولى عند الصوفية .

ويؤكد القرآن على أن حب المؤمن لله تعالى يفوق حبه لكل الناس الآخرين حتى أقربهم اليه كالآباء والأبناء والأقارب والأصدقاء ، وإذا

ما تعارض حب المؤمن لله مع حبه لأى من هؤلاء جميعا فإنه يختار حب الله .

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ (المجادلة : ٢٢)

وضرب الله مثلا بإبراهيم عليه السلام ومن آمن معه على سيطرة الإنسان على حبه لأهله وترجيح كفة حب الله على حب الأهل .

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ (الممتحنة : ٤)

فالحب كما ورد فى القرآن الكريم على دربين :

الأول ـ حب الله ومن الله تعالى :

وهو الحب الحق من عبادة ورضا وشكر واسقاط للتدبير ومجاهدة لله بالعمل الصالح ، تقربا إليه ، ووسيلة لمرضاته ، وعملا بأمره .

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (المائدة : ٥٤)

﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ (المائدة : ١١٩)

الثانى ـ حب الدنيا وما فيها :

كحب النفس ، والشهوات ، والنساء ، والمال ، والفساد فى الأرض والعدوان ، والاسراف فى اللذات ، والشرك ، والطمع .

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ (آل عمران : ١٤)

والحب الإلهى هو الذى يستهدف إليه علم النفس الاسلامى لأنه يحقق الصحة النفسية ، فأما حب الإنسان للإنسان فهو نتاج هذا الحب إذ أنه مقتضى الحب الإلهى . . فالأصل هو الحب الإلهى ، وإما الحب الإنسانى فحب فى الله ، وفى طريقه وهو ألفة ومودة ورحمة :

﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾
(آل عمران : ١٠٣)

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم : ٢١)

والمحبة بهذا المعنى إثراء للعلاقات الانسانية ، وثمرة لصحة المجتمع ، وتعاون على البر والصلاح وألفة وأخوة بين الناس ، ومودة ورحمة بين الأرحام والأزواج فالمحبة تستهدف الحياة الأخلاقية المثلى والخير الفاضل .

وبدون المحبة الإلهية تنفصم الروابط الإنسانية ، وتظلم النفس ، وتتحجر القلوب ، ولا يستقيم للفرد بنيان ، ولا ترقى أخلاق ، ولا يثمر عمل صالح ، ولا تتحقق المودة والرحمة بين الناس ، فترتبط العلاقات الإنسانية بالمصالح المادية والفوائد النفعية فحسب مما ينشأ عنه العدوان والكراهية والمشاحنة والبغضاء والحقد والظلم والإنتقام ، فيقوى فى النفس ويعظم طلب الدنيا واللذات الحسية .

الحب الحق هو الحب الذى ينبع من تضحية وإيثار ويستهدف الخير ، ويتبع الطريق المستقيم الذى أمر به الله .

والحب فى الإسلام إنما يستمد وجوده من الحب الإلهى .

فالغاية من المحبة تحقيق الصحة النفسية للإنسان فى الدنيا والآخرة وذلك برد الكراهية بالمودة ، ومقابلة الإعتداء بالصفح الجميل ، ومجابهة الظلم بالعفو ، وإذا وصل الانسان إلى هذه الدرجة من السمو الأخلاقى

والصفاء النفسى يستطيع أن يحيل الظلام نوراً .. والشر خيرا ، لأن فى الحب قوة سحرية تمزّق غيوم الأحقاد ، فتزال الغمة عن القلوب ، ويهتدى الإنسان إلى سبيل الخير والرحمة ، فيعين الضعيف ويعد المريض ، ويزكى نفسه بآمال البر والمعروف ، ويبتعد عن غواية الشيطان ويأمن من مكائده ووساوسه ، ويغالب أهواء النفس الأمارة وهنا يرضى عنه الله ويحبه .

فالمحبة إذن إرتفاع عن الشهوة وإرتقاء فوق الحاجات المادية .. المحبة نقلة من الحب الضيق المقيد إلى حب أثمر وأينع وأشمل وهو حب فى الله .. ومن الله .. وبالله .. ولله .

الحب إذن فى الإسلام حبين :

حب النفس ، وحب الحق .. أما حب النفس فإنه يقود إلى الشهوات والتهلكة والضلالات ، وأما حب الحق تعالى فإنه يرقى بالإنسان إلى أعلى المنازل والمقامات فهو طريق الإيثار وباب الإحسان ، وسبيل المودة والرحمة ، فيه تعمل القلوب بالمحبة وتفعم النفوس بنور الإيمان .

والحب الإنسانى إذا كان خالصا لله ، كان أيضا حبا للناس لأنه مقتضى الحب الإلهى ، ونابع له .. إذ يستهدف الحق ، ويمضى فى رحلة الإيثار والسخاء والإحسان .

سأل شاب أحد العارفين[1] عن علامة المحبة لله تعالى :

فقال : إن درجة المحبين لله رفيعة .

قال الشاب : أحب أن تصفها لى ..

فقال : إن المحبين لله تعالى شق لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب إلى جلال عظمة الإله المحبوب ، فصارت أرواحهم روحانية ، وقلوبهم حجبية (نورانية) ، وعقولهم سماوية ، تسرح بين صفوف الملائكة الكرام ، وتشاهد تلك الأمور باليقين والعيان ، فعبدوا الله بمبلغ استطاعتهم له ، لا طمعا فى جنته ولا خوفا من ناره ..

---

(١) عبد الله اليافعى : روض الرياحين ، ص ٤٥

فشهق الشاب شهقة فمات رحمه الله تعالى عليه ، فجعل الشيخ يقبّله ويبكى ويقول :

هذا تضرع الخائفين ، وهذه درجة المحبين ، هذه روح حنت فأتت . . فسمعت . . فاشتاقت . . فشهقت . . فماتت .

هذا هو الحب الحق لله . . لأنه أساس الإخلاص ، والإنسان هنا لا يخاف فيه من الإنتقال إلى الدار الآخرة ، بل يسعى لها سعيها وهو مؤمن ، ويشتاق للقاء الله . فإذا أتى أمره تعالى كانت نفسه سعيدة مطمئنة راضية لأنها ستتصل إلى الأبد بخالقها وحبيبها وهذا منتهى غاية المحبين .

● ● ●

وفى الحقيقة إن الحديث عن الحب الإلهى حديث فياض قد يطول ويطول . . ويحتاج إلى أياما أخرى غير أيامنا . . وسنيناً أخرى بعد سنواتنا . . وعمراً آخر بعد عمرنا .

إنه حديث لا تستطيع أن تحتويه الصفحات ولا أن تشمله أيام عمرنا كله .

إنه حديث بدأ ولم ينته بعد . . حديث عن الحياة وما بعد الحياة . . حديث عن الجمال وآثاره . حديث عن نبض القلوب وهمساتها ، وتأمل العقول وانبهارها ، وامتزاج العروق والدماء بنبضات وآهات حب الله ممتزجة بالشوق إليه متلهفة يملأها الحنين للقاءه آملة فى القرب منه سبحانه .

والحديث عن حب الله حديث لن تنفد كلماته بأمر الله طالما الحياة قائمة . . والأيام سارية . . والأحداث جارية على مر العصور والسنين وطالما رحمة الله ولمسات حنانه حية نابضة تشهد بنفسها عبر الأزمنة والأجيال على فضل الله العظيم .

فمن رحمة الله على عباده ، ومن آلائه الكبرى فى الوجود أن جعل من بين الخلائق أناس يحبون الله . . يعيشون بنبض هذا الحب . . يحيون لهذا الحب إلى درجة إيمانهم بأن الحياة هى الحب لله عز وجل ، ويشفقون على من يعيش حياته بلا حب لله ، ويتمنون أن يلمس حب الله الجميع وأن ينبض

كل قلب بحب الله وهذا من منطلق رؤيتهم وإحساسهم الذى يملأهم ويعيش بين جنباتهم وخلجاتهم بأن الحياة الحقيقية هى الحب لله . . والجمال هو الحب لله . . والأمان هو الحب لله . . والإستقرار النفسى هو الحب لله والطمأنينة القلبية هى الحب لله . . والسكينة هى الحب لله . . والإنشراح هو إنشراح القلب بالحب لله . . والفرحة هى فرحة الروح والفؤاد والوجدان والكيان الإنسانى كله بالحب لله . . والسعادة الكاملة هى الحب لله .

بل إن الحب الحقيقى الذى لا يتغير ابدا هو الحب لله . .

وكل ما عدا ذلك فهو وهم وخيال وزهو ومتاع الغرور وشهوات قصيرة العمر زائلة انية وإن وعد الله قائم وآت على مر الأيام والسنين حيث وعد سبحانه وتعالى أن يبدّل من يرتد عن دينه بقوم يحبهم ويحبونه وهذا هو وعد الله ووعد الله حق وصدق .

من الغريب أن يكون هناك من يحرص على المتاع الزائل وينعم به ، وينسى أو يتناسى أو يغفل عن ما هو باق ودائم وخالد وحى وواهب كل النعم ، وكل الجمال ، وقيمة الحياة وجوهرها . . حقا أن ذلك هو الفقر والضلال بعينه .

ولنعود أدراجنا إلى قصة فتاتنا ـ بطلة هذه القصة ـ حيث ينبض قلبها بكل الحب لله . . حب يجرى فى دمها وكيانها كله .

وفى الحقيقة إن نصيب فتاتنا من حب الله . . نصيب وفير وقسمتها فيه غزيرة فهو بحر ملىء بالخير والفيض الكريم بأمر الله ما دامت على إخلاصها لله . . وعبودتها التامة له سبحانه وحبها الصادق الوفى لله عز وجل الذى لا يماثله أى حب آخر .

لا أنكر ـ ككاتبة لهذه القصة ـ بأننى عندما أمسكت بقلمى لأسطر سطور هذا الفصل أحسست بشعور قوى يملأنى ويهزنى وهو شعور الخوف والرهبة والخشوع ، وهنا تذكرت الإحساس الذى خالجنى عند كتابة فصل محراب العبادة ، كان أيضا إحساس بالرهبة والخشوع ، وبدأت اسأل نفسى :

هل هناك علاقة . . هل توجد رابطة بينهما . . ؟

وبعد لحظات من التأمل العميق والإستغراق فى التفكر الدفين وجدت أن هناك علاقة تجمعهما ورابطة بينهما . . رابطة قوية جدا وكأنها رباط واحد . . فلم تكن العبادة فى حياة هذه الفتاة إلا رحلة حب نورانية حيث يشرق الحب بأنواره على كيان هذه الفتاة فيتفاعل جميع أعضاء الجسد بهذا الحب العظيم .

وفى هذا الفصل نتحدث عن الحب الإلهى فى حياة هذه الفتاة وكيف أنه حب يسيطر ويستحوذ على مشاعرها وأحاسيسها ويملك وجدانها وكيانها كله حيث تنعم بلمسات كبرى من الحنان الإلهى ، وآيات عظمى من الحب الربانى .

إذن فإن الرابطة واحدة . . والعلاقة واحدة وهى حب الله إلى درجة أن الفتاة تشعر بأن حياتها بكل ما فيها هى رحلة حب لله . . فهى فى رحلة دائمة ، وفى سفر دائم . . رحلة تنعم فيها بحب الله . . مشتاقة دائما إليه سبحانه . . رحلة حب تتعلم فيها الكثير ، وتعرف منها الكثير . . رحلة حب توجهها دائما إلى الخير ، وإلى الأفضل ، وإلى الأمثل .

وبالرغم من هذه الرابطة بين الفصلين ، ومن العلاقة التى تربطهما ، وبالرغم من امتزاج المشاعر فيها حيث الإحساس بالرهبة والخشوع إلا أنه كان هناك شيئا هاما لمسته بنفسى ـ ككاتبة لهذه القصة ـ وهو أن الإحساس هذه المرة كان أقوى وأعظم بكثير من إحساسى عند كتابة فصل « محراب العبادة » .

ولم أجد تفسيراً لذلك غير أننى أحسست بأننى فى هذا الفصل مقبلة على الدخول إلى منطقة من الصعب جداً اجتيازها وعبورها . وهذه الصعوبة فرضت قيودا فى الحديث عنها ، وهذه المنطقة هى منطقة الحب الإلهى حيث أحسست بأنها منطقة ممتزجة بالنور الإلهى والعطاء الربانى مما يحيطها بجو من الرهبة والخشوع . . وكيف أتجرأ وأنا مخلوق من تراب أن أدخل هذه المنطقة النورانية وأتحدث عنها وأعبر عن العطاء الربانى .

وهنا انتابتنى موجة من الخوف الشديد ، وسألت نفسى مراراً

وتكرارا : هل يُسمح لى بذلك ؟ ولكن إيمانى بالله دائما وثقتى فى عون الله ولمسات حنانه ونسمات رحمته أنارت لى السبيل وفتحت لى الباب فى الإستعداد للدخول إلى هذه المنطقة العظيمة والتوكل على الله وحده فى عبور مراحلها وسمحت لى بالحديث عن الحب الإلهى .

واعتبرت ذلك فضل عظيم من عند الله ، ورحمة كبرى من عنده ، ولمسة عظمى من لمسات حنانه . . فإن الله عز وجل دائما رحيم بعباده . . كريم معهم . . حافظ لهم فهو سبحانه الله الرحمن الرحيم الذى وسعت رحمته كل شىء .

وهنا شعرت بأن مرحلة كتابة هذا الفصل من أصعب المراحل التى مررت بها ولن استطيع اجتيازها وعبورها إلى شط الأمان إلا بفضل الله . . وعون الله . . وعناية الله .

وابدأ خطوات السير فى منطقة الحب الإلهى بأن أقف فى لحظات تأملية لأصحبكم معى لنتلمس بين ثنايا السطور القادمة ما يلى :

- ماذا يعني الحب الإلهى عند هذه الفتاة . . ؟
- وماذا يمثّل عندها ؟ وما هى قيمته الحقيقية فى حياتها . . ؟
- وهل هو مجرد مشاعر وأحاسيس بالحب لله ينبض به قلبها وفؤادها وتعيش فيه للحظات فقط أم هو شىء آخر تتأثر به وتتفاعل معه وله آثار ونتائج على حياتها وسلوكياتها بوجه عام ، وإذا كان كذلك فما هى النتائج والآثار التى ترتبت عليها من هذا الحب ، وما هى الثمار التى أثمرت عن هذا الحب الكبير لله جل جلاله . . ؟!

إلى غير ذلك من التساؤلات التى تطرح نفسها وتبرز حقيقة هذا الحب وجوهره وقيمته فى حياتها .

فى الحقيقة لم يكن حب الفتاة لله مجرد مشاعر وأحاسيس ينبض به قلبها وفؤادها للحظات قصيرة ثم تختفى ثم تعود وهكذا . . لم يكن ذلك على الإطلاق .

وإنما كان حبها لله شعاع من نور عليه إسم الله يسرى فى كيانها . .

يجرى فى دمها مجرى الدم . . يختلج به كل خلجة من خلجاتها . . نور يشع على كل ذرة فى كيانها فيبعث الأمان والسلام والحنان والإطمئنان والهدوء الروحى العميق . . والسلام النفسى الدفين لذلك كانت لا تستطيع أن تنكره أو تتجاهل هذا الإحساس بالحب لأنه شىء عظيم فى دمها يمتزج به كل ذرة فى كيانها فينبض به قلبها وفؤادها وهمساتها ووجدانها وكل خلجة من خلجاتها .

حب تعيش به وله ومن أجله . . حب يسعدها ويضىء أيامها بهجة وجمالا ونوراً . . فهى تنظر إلى الحياة بعين الحب لله . . فتشع هذه العيون المحبة لله أنوار الجمال والخير والحنان على كل شىء فى الحياة .

فتصبح حياتها حبا لله . . نبضاتها حبا لله . . أيامها حبا لله . . لحظات عمرها حبا لله . . عملها حبا لله . . سلوكها حبا لله . . إيمانها حبا لله ، وهل الإيمان إلا رحلة حب لله . . وهجرة إلى الله وانتقال من الخلق إلى الخالق وسفر دائم من عالم الدنيا والشهوات إلى عالم النور والحقيقة .

إنه حب يغلب كل الآفات . .
حب يكسر كل العقبات . .
حب يهزم كل الأحقاد . .

وهنا سؤال هام يطرح نفسه بنفسه على مسرح التساؤلات :

هل حب الفتاة لله بهذه الدرجة يفرض عليها اعتزال معترك الحياة والبُعد عن الناس وهجر واجباتها الدنيوية ، ويحرّم عليها حب الآخرين وحب الأشياء . . والإتجاه فقط للتفرغ للعبادة وأداء النوافل تقربا إلى الله . . ؟

لقد شغلها كثيراً هذا السؤال ولكن بعد فترة وجيزة جدا وفقها الله تعالى إلى الإجابة حتى تهدأ وتطمئن بالا ، وهذه الإجابة تكمن فيما يلى :

إن حبها لله لا يحرّم عليها ابدا أن تنعم بحياتها وتتمتع بالطيبات التى أحلها الله لعباده فتشكر الله على نعمته وتوجه هذه النعم فى سبيله وطريقه

حمداً وشكراً وحبا له عز وجل فتزداد إيمانا به فيشرق الله عليها بالنور والحب والقرب .

ولكن يجب أن تحرص على أن يكون حبها لله هو الأصل . . هو الأساس . . هو الحب الذى يفوق كل شىء ، وهو الحب الذى يسيطر على مشاعرها ويستحوذ على فكرها ووجدانها وكيانها كله .

وبذلك يكون حب الله هو القانون الذى يحكم حياتها ويحرّكها ويدفعها ويوّجهها فى كل أفعالها وتصرفاتها وسلوكياتها ويندرج تحت هذا الحب العظيم لله وينبع منه ويخضع له جميع أنواع الحب الأخرى للناس أو الأشياء أو المخلوقات .

إذن فإن الله لا يحرّم عليها ابداً أن تحب الناس والأشياء ولكن يجب ألا يكون حبها لهم كحبها لله بل يجب أن يكون حبها لله هو الذى يفوق حبها للأشياء والناس وجميع المخلوقات ، بل يكون حبها لله هو الذى يحرّكها ويوجهها ويدفعها فى أحاسيسها نحو هذه الأشياء .

وبدأت هذه الفتاة تسلك هذا المسلك وحمدت الله على توفيقه لها وإرشاده سبحانه لها حيث بدأت تجعل حبها لله هو المحرّك الرئيسى لها والموجه الذى يرشدها فى جميع أقوالها وأفعالها وأعمالها وتصرفاتها وأخلاقها ، وهو الذى يسيطر ويستحوذ على فكرها ومشاعرها ووجدانها وهمساتها والقانون الذى يحكمها فأصبحت تحس وتشعر حقيقة بأن حياتها بالله . . ولله . . ومع الله . . وفى طريق الله .

وبعد أن سلكت ذلك المسلك بدأت تشعر بتغيير فى نفسها وقلبها وكيانها حيث أحبت كل شىء خلقه الله ، وشرّعه الله ، وسنّه الله . . بدأت تشعر بمشاعر الود والألفه للناس والكائنات وأحبت الجمال فى صوره والقيم والمثل العليا فى معانيها والأخلاق الكريمة فى كل آثارها ، والأفعال القويمة بكل أشكالها .

فلقد أحبت الخير فى كل معانيه وجنوده . .
وكرهت الشر فى كل صوره وجنوده . .

وبدأت تشعر بأن قلبها تغير وأصبح قلبا يفيض بالحب والخير لكل الناس والمخلوقات ، ويسعدها أن يلمس الخير الجميع ويعود الرخاء على كل الناس .

وهنا وصلت إلى معرفة هامة جداً وضعتها نبراسا يضيء طريقها وهو أن حبها لله لا يفرض عليها اعتزال معترك الحياة والبعد عن الناس وهجر واجباتها الدنيوية ، ولم يحرمّها حب الأشياء والناس والإتجاه فقط إلى العبادة والتفرغ لها ولأداء النوافل تقربا إلى الله . . بل إن حبها لله مسئولية كبيرة على عاتقها حيث تكون غايتها هي الوصول للقرب من الله ولن يكون ذلك بهجر الناس والبعد عن معترك الحياة . . بل إن حبها لله يطالبها بأن تعمل وتجد وتجتهد وتخلص وتقوّم من نفسها وتهذّب من أخلاقها ، وهذا لن يتسنى لها وهي في الخلوة بل قمة الإيمان أن يكون الإنسان في معترك الحياة ويدير ظهره إلى شهوات الدنيا ونزواتها وأن يبتعد عما حرمّه الله بإرادته حبا لله ومرضاة له سبحانه .

أما إذا كان في خلوة بعيدا عن الناس وعن مواقف الحياة وعن شهوات الدنيا . . فلماذا سيقوّم نفسه ؟ وكيف وعلى ماذا سيجاهد ؟ وكيف سيحارب أطماع نفسه وشهواته ؟ وكيف سيغلب آفاته النفسية ؟

فهو في هذه الحالة بعيداً عن الناس وعن مواقف الحياة وعن الإغراءات وشهوات الدنيا فليس هناك مجال للمجاهدة والصبر على شهوات نفسه .

وهنا عرفت الفتاة أن حبها لله ليس مجرد أحاسيس ومشاعر تشعر بها وتنعم فيها فقط فإن هذا ثواب وفضل من عند الله ، ولكنها مسئولية تطالبها دائما بالإندماج في معترك الحياة تدعوها إلى التقويم من سلوكياتها ، والتهذيب من أخلاقياتها وذلك بمراقبة النفس والتهذيب من أفعالها . . لا تراعي أحدا إلا الله فقط ولا تخشى شيئا إلا الله فقط .

ثم إن حرص الفتاة على أن يكون حبها لله هو المحرّك الذي يدفعها ويرشدها في كل أفعالها وتصرفاتها والقانون الذي يحكم حياتها أثمر ثماره حيث بدأت تحس الفتاة باعتدال مشاعرها من الود والألفة مع كل شيء

تتعامل معه ، ولا يوجد شيء فى الحياة يستحوذ على قلبها ويسيطر عليها ويملكها غير حب الله فقط وما عدا ذلك تتعامل معه بإعتدال ووسطية فتشعر بفضل الله حيث تحس بقيمة الحياة ومتعتها وتنعم بلمسات كبرى من السعادة الكاملة وتشكر الله على نعمته وفضله العظيم وأن هداها ووفقها إليه وإلى حبه وعبادته هو وحده .

وعرفت أن كل متاع فى الحياة هو وسيلة وليس غاية . . وسيلة يتخذها الإنسان ويتعامل معها للقرب من الله والفوز بحب الله ورضا الله . . أما إذا اتخذها الإنسان غاية فيكون قد ضل وانحرف وابتعد عن الغاية الأسمى وهى القرب من الله .

بهذا المعنى يصبح حب الله عندها شيء عظيم تسعى إليه جاهدة آملة فى التحلى به تحاول أن ترتقى إليه فتطهر نفسها من آفاتها وشهواتها وتراقب نفسها فى كل سلوك يصدر منها هادفة التهذيب والتقويم فتسمو بنفسها وتصفو بروحها ناشدة رضا الله طامعة فى عفو الله غايتها القرب من الله يتملكها فى طريقها الشوق إليه سبحانه . . يملأها الحنين للقائه تعالى .

من هذا المنطلق يكبر حب الفتاة لله حتى يصبح رسالة حب تشمل أجمل المعانى ، وأعلى القيم ، وأرفع المثل ، وأسمى الأخلاق ، وأنبل الأفعال ممتزجة بكل الخير والصدق . . رسالة حب تضعها الفتاة أمامها . . نصب عينيها . . تحس بأن هذه الرسالة أمانة عليها أن تؤديها ، وغاية هذه الرسالة وجوهر هذه الأمانة هى القرب من الله .

وليس القرب من الله أمراً سهلا . . بل هو طريق صعب . . ملىء بالعثرات والعقبات . . مراحله شاقة على النفس تحتاج إلى حب عظيم ، وإيمان كبير ، وصبر جميل ولكن ثماره جميلة وعظيمة . . وهل هناك شيء ينعم به الإنسان ، ويقر عينا ، ويسعد قلبا سوى قربه من الله .

فى الحقيقة إن الحب الإلهى شيء عظيم . . الإحساس به نعمة . . نبضاته نعمة . . امتزاجه بدم الإنسان نعمة . . إن فينا نفحة من روح الله فكيف لا نحب الله إنه الشيء الوحيد الحقيقى فى حياتنا .

إن الإحساس بآثار الحب الإلهى نعمة كبرى من نعم الله التى لا تعد ولا تحصى .

● ● ●

فى لحظة من لحظات الإشراق التى أنعم الله بها على الفتاة حيث كانت تتفكر فى النور الذى يضىء حياتها ، ويجرى فى دمها ، ويمتزج بكل ذرة فى كيانها ، ويملأ لحظات عمرها إشراقة وأملا وحنانا . . نور الحب الإلهى . . رأت هذه الرؤ ية الغريبة التى افتتحت باسم الله ونور الله والمنظر العظيم الذى سبق وان وصفناه والله أعلم :[1]

رأت بأن الحب الإلهى بحر نورانى ، وأنها واقفة على شاطىء هذا البحر . . وأنه بحر واسع لا نهاية له وجاءها بأن الله أذن لها بأن تسبح فى هذا البحر النورانى .

(وكانت مياه هذه البحر غريبة . . فلم تعرف الفتاة أن تحدد وصفها . . هل تجمعّت فى هذا البحر مجموعة من الأشعة النورانية لتكوّن مياهها . . أم هى مياه قد سلط عليها شعاع من النور . . أم ان مياه هذا البحر نور فعلا . . لم تعرف الفتاة بالتحديد . . كل ما أدركته وعرفته أن هذا البحر نورانى وأن مياهه مختلفة تماما عن البحر الموجود فى دنيانا)

وفى منطقة معينة من هذا البحر النورانى الواسع وبمسافة تبعد عن مكان وقوفها بآلاف وآلاف الخطوات ، وفى أعماق هذه المنطقة بالذات رأت الفتاة كنوزا نورانية فأحست بالدهشة والحيرة مما ترى ثم فجأة سمعت صوتا يناديها ويقول لها :

لا تندهشى . . إن ما تريه حق وليس وهما أو تخيلا . . فيوجد بالفعل فى هذه المنطقة كنوزا نورانية وأنك ترينها بعيون لها نور من الله وهبها الله لك .

ولكنك لن تستطيعى أن تصلى إلى هذه الكنوز هكذا . . إلا إذا

---

(١) الفصل الثانى : ص ٥٩ .

جاهدت وعملت وسلكت طريق الله ، وسموت وصفوت وارتقيت . . حينئذ تصلى إلى هذه الكنوز النورانية . بأمر الله وفضله وعونه .

ولقد أعطاك الله الإذن بأن تسبحى فى هذا البحر النورانى حتى تصلى إلى هذه الكنوز النورانية ، واعلمى أن الله ورسوله والأنبياء جميعا يرون عملك .

واعلمى أيضا بانك عندما تصلى إلى هذه الكنوز النورانية فإنها البداية وليست النهاية . . بداية طريق القرب من الله .

واعرفى أنه على قدر جمال وعظمة هذه الكنوز النورانية الكائنة فى هذا البحر النورانى . . فإن أمواج هذا البحر عالية وضارية وعليك أن تواجهيها وتتغلبى عليها وسلاحك الذى يجب أن تتخذيه عونا دائما لك وتلتزمى به هو الإيمان بالله ، وحب الله ، والصبر ، والذكر الدائم لله سبحانه وتعالى .
فهذه هى أسلحتك فى مواجهة هذه الأمواج وما دمت تحافظين عليها ، وتتمسكين بها فإن الله بأمره وإذنه سيعينك ويحفظك .

واعرفى بأن شياطين الإنس لن يتركونك وشياطين الجن لن يهنأوا حتى ينالوا منك .

ولا تطلبى من أحد المساعدة
فلن يستطيع أحد أن يساعدك
ولن يستطيع أحد أن يفعل لك شيئا .

واطلبى العون من الله فقط ، والجأى إلى الله وحده .

ولن امكث معك طويلا فإننى سأختفى بعد لحظات ولن أستطيع أن أفعل لك شيئا سوى الدعاء لك .

هيا . . لقد أذن الله لك بالسباحة فى هذا البحر ولا تنسىٰ أسلحتك التى يجب أن تتمسكى بها وتحافظى عليها . . ففيها

نجاتك وحفظك من أمواج البحر الضارية .

واعلمى أنه أثناء سباحتك فى هذا البحر النورانى ، وبين مواجهتك لبعض الأمواج وغيرها . . سيفيض الله عليك بإشراقات نورانية هى لحظات روحانية فيها الراحة والرحمة والأمن والسلام من عناء مواجهة هذه الأمواج . . تنطقين فيها بكلمات هى مناجاة فى حب الله . . يحرقك الشوق إليه . . يمزقك الحنين للقاءه .

هذه الكلمات تنطقين بها دون تفكير ودون مجهود وإنما هى تعبير عما يختلجه قلبك من حب لله واشتياق إليه . . تجدين فى هذه الكلمات الكثير من الراحة والسلام الروحى من عناء ما تواجهينه من هذه الأمواج الضارية ، وتمنحك الصبر والإرادة والقوة بأمر الله على مواصلة السباحة واستكمال مواجهة هذه الأمواج الضارية القاسية .

فهيا . . هلمى واستهلى سباحتك فى هذا البحر النورانى بذكر الله وقولك :

توكلت على الله الرحمن الرحيم
وأعوذ به سبحانه من الشيطان الرجيم
وأعوذ به من شياطين الإنس والجن
وسبحان الله العظيم ذو الفضل العظيم
وبسم الله الرحمن الرحيم . .

ثم قال لها الصوت فى نهاية حديثه :

الله معك وليرحمك سبحانه ويحفظك
وهو خير الحافظين .

ثم اختفى هذا الصوت فجأة .

وهكذا انتهت الرؤية التى رأتها الفتاة .

سكنت الفتاة وأحست بسكون غريب يملأها وبدأت العديد من التساؤلات تلاحقها فى ذهنها وتطرح الكثير من المسائل التى تريد استفساراً

لها . . ثم بدأت تردد فى نفسها . .
ما هذا الذى سمعته . . ؟
ما هذا الذى رأيته . . . ؟

كانت لا تستطيع أن تنسى كلمات الصوت الذى سمعتها . . فلقد كانت قوية وكأنها بصمات حفرت لتستقر فى آذانها كما أنها كانت لا تستطيع ابداً أن تتجاهل المنظر الذى رأته . . منظر الكنوز النورانية الكائنة فى أعماق البحر النورانى . . إنه منظر لا تستطيع أن تنساه ابداً وكأنه حقيقة واضحة أمامها لا تختفى أراد الله لها أن تراها حتى تظل آثارها ناطقة شاهدة أمامها بفضل الله العظيم .

لا تستطيع أن تنكر ذلك المنظر ابداً وكأنه مشهداً ثابتا أمام عيناها لا يُنسى .

وأصبحت الفتاة فى حيرة مما رأت تراودها الكثير من التساؤلات ، ولكن فضل الله عظيم دائما على عباده ، ولمسات حنانه على هذه الفتاة عظيمة ورائعة . . فلم يتركها سبحانه فريسة تنهك قواها هذه الإستفسارات والتساؤلات التى تحيرها . . وإنما لاحقها عز وجل بمشهد آخر ليثبّتها ويقويها فى طريقها ، ولتعرف أنها أمام حقيقة حية لا جدال فيها ولا شك فيها ، ويعتبر هذا المشهد استكمالا للرؤية السابقة ، وهو أنها رأت :

● بأنها ما زالت واقفة على شاطىء هذا البحر النورانى وأمام الكنوز النورانية التى رأتها يوجد ثلاث جبال على سطح المياه (مع العلم بأن هذه الكنوز فى أعماق البحر أما الثلاثة جبال فكانت على سطح المياه)

ورأت الفتاة أن هذه الجبال الثلاث نورانية وجاء لها أسماءها :
الجبل الأول : **جبل النور** : وله بابٌ واحد من الجهة الأمامية المواجهة للشاطىء .

الجبل الثانى : **جبل الرحمة** وله أيضا باب واحد من الجهة الأمامية المواجهة للشاطىء .

الجبل الثالث : جبل العلم والمعرفة وله بابان أحدهما من الجهة الأمامية ، والآخر من الجهة الخلفية . والباب الذى يقع من الجهة الخلفية بداخله شعاع من نور . . ينفذ هذا الشعاع إلى الكنوز النورانية وهذا الشعاع هو الذى يقود العبد إلى هذه الكنوز النورانية بأمر الله ومشيئته سبحانه .

كما رأت الفتاة أن هذه الجبال الثلاث على شكل أهرامات متساويين فى المقاس والحجم وذات لون واحد هو اللون الأبيض النورانى .
وهنا انتهى هذا المشهد الذى رأته الفتاة .

كان هذا المشهد الأخير بمثابة قوة كبرى تدفعها فى طريقها للوقوف عند حقيقة ما رأته وألا تضيع الوقت عند تفكير ما رأته وما سمعته بل لفتح باب العمل والسلوك إلى الله . . وأحست بأن الله يثبتّها فى طريقها . . وبالرغم من أن ما رأته كان رؤ ية إلا أنها أحست بأنه هو طريق الحقيقة الذى يجب أن تواجهه وتسلكه .

لقد كان من الصعب جداً بل من المستحيل وصف حالة الفتاة بعد هذه الرؤ ية . . كان يسرى فى كيانها قوة غريبة لم تعهدها من قبل . . تصميم غريب لم تعرفه . إرادة وعزم وتوكل على الله ثم بدأت تناجى ربها .

ما هذا كله الذى أحيا فيه . . ؟
هل استحق كل هذا الحنان ؟
ماذا فعلت كى أستحق كل هذه النعمة . . ؟

ثم بدأت تخرج بمناجاتها من حيز الخصوصية إلى العمومية :

نحن البشر ماذا فعلنا كى نستحق رحمة الله . . ؟
لم نفعل شيئا ومع ذلك الله يرحمنا . .

ماذا فعلنا كى نستحق نعمة الله . . ؟
لم نفعل شيئا ومع ذلك الله ينعم علينا

ماذا فعلنا كى نستحق فضل الله . . ؟
لم نفعل شيئا ومع ذلك الله يمن علينا ويغرقنا بفضله العظيم .

ماذا فعلنا كى نستحق حنان الله وحب الله . . ؟
لم نفعل شيئا ، ومع ذلك الله يمطر علينا من لمسات حنانه ، ويغدق علينا بآيات حبه ما يطمئن نفوسنا ويريح قلوبنا ويقوينا فى طريقنا وينير حياتنا .

هكذا . . هو الله سبحانه
لا إله إلا هو العظيم ذو الفضل العظيم الرحمن المنعم المتفضل الوهاب بأمره كل شىء ، والقادر على كل شىء ، وليس كمثله شىء .

وكان لنا وللفتاة هذه الوقفات التأملية إزاء الرؤى التى رأتها فتاتنا - سفيرة قصتنا :

أولاً : كيف رأت هذه الكنوز النورانية وهى على بُعد آلاف وآلاف الخطوات منها بل كيف رأت هذه الكنوز التى تكمن فى أعماق البحر النورانى ويحجبها الجبال الثلاث والمجال البصرى لا يستطيع أن يرى إلا الشىء القريب منه ، وإذا رأى شيئاً بعيداً فيكون ذلك بمسافة محدودة .

إذن فلقد رأت الفتاة هذه الكنوز بعيون لها نور من الله وهبها الله لها .

ثانياً : لم يشأ الله أن ترى الفتاة ماذا بداخل الجبل الأول « جبل النور » ، ولم يشأ أيضاً أن ترى ماذا بداخل الجبل الثانى « جبل الرحمة » ، ولكنه سبحانه كشف لها جزءاً مما فى داخل الجبل الثالث « جبل العلم والمعرفة » حيث كشف لها أنه يوجد بداخله وعند الباب الخلفى منه شعاع من نور ينفذ إلى الكنوز النورانية . كيف استطاعت أن تشاهد الفتاة هذا الشعاع النورانى . . ؟ وكيف عرفت بوظيفته بأنه ينفذ إلى الكنوز النورانية ويقود العبد إلى هذه الكنوز بأمر الله . . ؟

إذن لم تر ذلك بعيونها البشرية وخصوصاً أنه كان يحجب الجبل الثالث جبلين أمامه .
إذن فهى عيون لها نور من الله وهبها الله لها وأعطاها القدرة لكى تنفذ إلى مجالات وأماكن لا تستطيع العين البشرية أن تنفذ إليها وأعطاها القوة لتحمّل ما تراه بثبات وهدوء نفسى عميق .
وامتدت لمسات الحنان الإلهى بأن زودّ هذه العيون النورانية بمعرفة وظيفة الشعاع النورانى بالنفاذ إلى الكنوز النورانية الكائنة فى بحر الحب النورانى .

ثالثاً : كيف رأت الفتاة ثلاث من الجبال تستقر وتقف وتثبت على مياه . . ومن المعروف أن الجبال لا تستقر ولا تثبت إلا على أرض صلبة . . فكيف تستقر هذه الجبال النورانية على مياه نورانية . . ؟

إذن فهى قدرة الله ، وعظمة الله القادر على كل شىء . . سبحانه إذا قال لشىء كن فيكون .

رابعاً : ولقد توقفنا والفتاة كثيراً فى لحظات من التأمل والتفكر العميق عند كلمات الصوت إلى الفتاة بأن تسبح فى هذا البحر النورانى يدعوها إلى الإستعانة بالله وحده ، واللجوء إلى الله وحده وألا تطلب من أحد المساعدة ولن يستطيع أحد أن يفعل لها شيئاً حتى هذا الصوت الذى يوجهها ويرشدها لا يستطيع أن يفعل لها شيئا وأخبرها بأنه سيختفى بعد لحظات ولا يملك لها شيئاً سوى الدعاء ، وعليها أن تتمسك فقط بأسلحتها وهى الإيمان وحب الله ، والصبر ، وذكر الله الدائم .

إذن من المقدّر لهذه الفتاة أن تسبح فى هذا البحر النورانى لوحدها وأن تستعين بالله وحده فقط ، وألا تطلب من أحد أى نوع من أنواع المساعدة .
فهل هناك حكمة من وراء سباحتها لوحدها ومواجهتها بمفردها أمواج البحر الضاربة . . ؟

لقد أذن الله لها بالسباحة فى هذا البحر ، وكشف لها كل شىء . . أنار بصيرتها بالكنوز النورانية التى يجب أن تسبح فى هذا البحر وتجاهد وتعمل وتسلك طريق الله وتسمو وترتقى حتى تصل إلى هذه الكنوز النورانية .

ثم كشف لها سبحانه بأن هناك أمواج ضارية ستواجهها وعليها أن تتمسك بأسلحتها التى زودّها الله بها حتى تتغلب على هذه الأمواج .

إذن فلقد كشف الله لها كل شىء . . ثم أمرها بأن تسبح لوحدها وبمفردها ، وإذا استعانت فلتستعين بالله وحده .

فهل معنى هذا أن وراء ذلك حكمة خافية من سباحتها بمفردها فى هذا البحر النورانى دون مساعدة أحد . . ؟

هل هذه تربية لها وصقل لها ؟ أم هناك حكمة أخرى . . ؟

الله وحده هو الذى يعلم ذلك ، ومن يدرى ربما تكشف الأيام حقيقة هذه الحكمة بأمر الله .

خامساً : فى الحقيقة كان للفتاة وقفة تأمل هامة عند هذه الرؤ ى نبهتنا إليها حيث تساءلت :

هل هناك رابطة بين كلمات الصوت الذى سمعته فى الرؤ ية ، وبين كلمات الشيخ الذى استهللنا بها هذا الفصل والتى كانت موجهة إليها ، وبين كلمات الشيخ الذى أوقظها من نومها لكى تبدأ العمل والتى ذكرناها فى الفصل السادس .

هل هناك علاقة بين الكلمات الثلاث . . ؟
هل هناك خيط يجمع بين المناظر الثلاث . . ؟

توقفت الفتاة عند ذلك كثيراً . . ولكنها لم تهتد إلى إجابة محددة على هذه الوقفة التأملية .

كانت هذه هى الوقفات التأملية التى توقفنا عندها كما توقفت الفتاة أيضاً عندها بعد الرؤى التى رأتها مما جعلها تتذكر ما بشرتّها به بعض الرؤى التى رأتها منذ سنوات عديدة بأن الله سيهبها عيون لها نور من الله . . والتى ذكرنا جزءاً منها على صفحات هذا الكتاب .

ولقد أثمرت هذه الوقفات التأملية ثمارها حتى أحست الفتاة بأنها تقف على أرض صلبة ثابتة . . تعرف وجهتها وطريقها . . حددت هدفها وأملها وغايتها فى الحياة . . شعرت بأنها أمام حقيقة لا تستطيع أن تغفلها أو تنكرها أو تتجاهلها وهى الحقيقة الوحيدة التى تعيش فيها ، وينبض بها كل ذرة فى كيانها ، ويحترق بها كل خلجة من خلجاتها وهى حقيقة الحب الإلهى وقيمته فى حياتها . . حب خالد باق لا ينتهى . . يجرى فى دمها وعروقها تحيا به وله ، ويعيش فيه وبه نبضها . .

حب يستقر فى وجدانها . .
حب يسعدها ويضىء أيامها نوراً وبهجة وجمالاً . .
حب لم تحسه من قبل ، ولم تعهده من قبل . .
حب هو كل حياتها ولحظات عمرها . .
وهو نورها وبصرها وبصيرتها . . يهز أعماقها ووجدانها ومشاعرها وكل كيانها . .

فهو الغذاء الذى تتغذى به . .
وهو النور الذى تستمد منه الحياة . .
وهو العلم الذى تستقى منه المعرفة . .
وهو النبض الذى يجرى منها مجرى الدم . .
وهو الشوق الذى تعيش عليه . .
وهو الإحساس المتدفق الذى يفيض خيراً كثيراً . .

وهو العجز فى قمته ومعناه الحقيقى . .
العجز عن وصف عظمة لمسات الحنان الإلهى ، وآيات الحب الربانى التى تنعم بها . .
العجز الذى يملأها ويحتويها وتشعر به فى كل خلجة من خلجاتها حيث تحيا فى كهف العجز عن كيفية شكر الله ، وحمد الله . .

إنه الطريق الذى يشغلها . .
وهو سر الهدوء الذى يحتويها . .
وهو الأمل الذى يرضيها . .
وهو الإطمئنان الذى يطمئن قلبها . .
وهو الأمان الذى يملأ حياتها . .
وهو الحنان الذى يغنيها . .

وهو القوة التى تحس بها . .
وهو الثروة التى تملكها . .
وهو السعادة الكاملة والحقيقة الكبرى لها فى الوجود . .
وهو النعمة الشاملة عليها فى الحياة . .

إن الحب الإلهى هو الحب الكبير الذى يسعدها ويؤنس وحدتها . .
فهو كل شىء فى حياتها ولا شىء سواه .

وهنا عرفت الفتاة بأن ما رأته حقيقة تعيش فيها ، وأنه طريق الله الذى يدعوها إلى الصبر والتمسك بالذكر الدائم متخذة إيمانها بالله وحبها له قوة تحميها وتنجيها .

وهذه الحقيقة بدأت تفرض عليها أن تعيد حساباتها من جديد ، وأن تبدأ السباحة فى بحر الحب الإلهى بعد أن أصقلها هذا الحب الذى أنعم به الله عليها ، وبعد أن علّمتها هذه التجربة الروحانية التى منَّ الله بها عليها الكثير مما لم تعرفه من قبل . . الخير الكبير الذى يرشدها فى سباحتها للقرب من الله . .

ودائماً أول الغيث قطرة . . ثم يبدأ الغيث ينهمر بفضل الله ، واعتبرت الفتاة أن أول قطرة فى الحب الإلهى هو نبض القلب بالحب لله واحتراق الفؤاد بالشوق إليه . . فهذه أولى قطرات الحب الإلهى . . ثم يبدأ ينهمر فضل الله بعد أن يستوى هذا العبد بحب الله ويتقلب فى نار الشوق إليه يمزقه الحنين لرؤياه ثم يفيض الله بما يريد ويشاء من قطرات الحب الإلهى حيث تبدأ مرحلة أخرى جديدة مصحوبة بمرحلة النبض والإحساس بحب الله وهى مرحلة السير القلبى إلى الله .

وهذا ما حدث بالضبط مع الفتاة ـ بطلة هذه القصة ـ لقد أصبح حب الله ينبض به قلبها وفؤادها وكل ذرة فى كيانها ويمتزج به دمها وتعيش فيه خلجاتها حتى أصبحت تشعر بأن حياتها هى الحب لله لا تستطيع أن تحيا بدون هذا الحب فهذا يعنى الموت لها .

ومن هذا المنطلق لا تطيق أن يبتعد الله عنها . . فهذا هو قمة الألم لنفسها . .

إنها تخاف على نفسها من نفسها ، تخاف أن تغفل فيغضب الله عليها ويبتعد عنها . .

ولكن ثقتها دائماً فى رحمة الله وحنان الله وحرصها الدائم على القرب قوة تمدّها بالعمل والصبر .

فهى تستطيع أن تتحمل أى نوع من أنواع العقاب الإلهى عليها فى أى شىء ، ولكنها لا تستطيع أبداً أن تتحمل فراق الله وبُعد الله عنها . . هذا هو الهلاك لها والموت بلا رحمة .

إن حب الله هو الذى يعينها على الصبر والتحمل لمواجهة جراح الحياة وآلامها وهو الذى يمدّها بالقوة والدفعة على العمل .

ومن هنا بدأ حب الله يأخذ إطار المسئولية . . نعم مسئولية ، ومسئولية كبرى وليس مجرد أحاسيس ومشاعر فقط ينبض به قلبها وتعيش فيه كل ذرة فى كيانها . . بل إنه مسئولية كبرى تفرض عليها العمل والسلوك إلى الله للقرب من الله .

إن هذه الأحساسيس العذبة ، والمشاعر الرقيقة بحب الله والشوق إليه

سبحانه هى التى تعينها وتدفعها للعمل وسلك طريق الله حبا فى الله ، وحبا لله .

من السهل جداً أن يعلن الإنسان أنه يحب الله ، ولكن من الصعب جدا أن يدرك حقيقة هذا الحب العظيم . . فحب الله ليست كلمة يرددها الإنسان أو شعور يشعر به فقط وإنما هو سلوك وعمل وأخلاق ونبض وكيان كلى ينطق بالحب لله ، ويشهد بحب الله ، ويسعد بحب الله . . كل ذرة فيه تشهد وتؤمن بعظمة الله ووحدانيته ، وقدرته سبحانه ورحمته ، وحنانه عز وجل ولطفه وكرمه ، وعطائه الفياض ونوره الوهاب .

فإذا أعلن الإنسان أنه يحب الله . . فهذا يعنى المسئولية والأمانة . . نعم مسئولية كبرى يتحملها الإنسان ، وأمانة عظمى يؤديها الإنسان . .

مسئولية إزاء حب الله وأمانة عليه نحو هذا الحب . . مسئولية وأمانة سيحاسب عليها سواء فى الدنيا أو فى الآخرة .

والمسئولية والأمانة التى يتحملها ويؤديها الانسان بعد إعلانه حب الله هى السلوك والعمل . . السلوك الى الله . . والعمل فى طريق الله .

فالطريق ليس مفروشا بالورود وإنما هو مسئولية تفرض على الإنسان العمل ، وأمانة توجب عليه التقويم النفسى والتهذيب الأخلاقى ، ومراقبة الأعمال والأفعال فى كل لحظة وفى كل موقف مستعيناً بالله وحده . . لاجئاً إليه وحده . . طالباً العون منه وحده . . حامداً شاكراً له هو وحده .

ومن هنا كانت فلسفة الفتاة ومنطقها يختلف عن فلسفة الصوفية ومنطقهم حيث أنهم فرضوا فى مراحل حبهم لله الزهد والعزوف عن الدنيا والإتجاه إلى الخلوة وهجر الناس والتفرغ فقط للعبادة وأداء النوافل تقربا إلى الله .

لا تنكر الفتاة أبدا بأن كل من ينبض قلبه بحب الله يميل إلى الخلوة والوحدة ويحرص على أن يقيم الليل ليتهجد يسبّح الله ويذكره . . يثنى عليه سبحانه ويقدسه . . يناجيه فى خلوته . . يحكى له فرحته ويشكره على نعمته . . ويبث له حزنه ، ويشكو إليه همه ، ويفضى إليه بكل ما يحس به

ويشعر . . يتغنى بالثناء عليه والتسبيح له سبحانه . . فهذا شأن كل المحبين لله عز وجل . . . العاشقين له سبحانه .

ولكن تعتقد الفتاة بأن كل ذلك لا يتعارض أبدا مع أن يكون الإنسان فى معترك الحياة يعمل ويجاهد ويجتهد ويسلك طريق الله محاولا تقويم نفسه وتهذيب أخلاقه وأن يتقى الله فى كل شىء ، وأن يحاسب نفسه على كل فعل وقول وألا يلفظ إلا بالصدق ، وألا يفعل إلا الخير ، وألا يسلك إلا الطيب . . هذه سلوكيات من الصعب جداً الوصول إليها وتحتاج إلى جهاد كبير وطريق طويل لا يتسنى ولا يتحقق بالخلوة والعزلة والبعد عن الناس .

المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف ، ونحن فى هذا الزمان ما أحوجنا إلى عباد مؤمنين أقوياء يدعون إلى الله حبا . . يعملون لله حبا . . يسلكون الخير حبا . . يلفظون القول حبا . . يأمرون بالمعروف حبا . . وينهون عن المنكر حبا . . . عباد رفقاء شفقاء رحماء بالمؤمنين حبا لله .

ماذ يضيرنا أن نقيم الليل . . نتهجد ونعبد الله ونقدسه ونسبّحه ونناجيه وندعوه ونحمده ونشكره على آلائه الكبرى ، وفى نفس الوقت نقيم النهار للعمل والسلوك الى الله بالتقويم النفسى والتهذيب الاخلاقى بما يرضى الله وبما يقربنا من الله .

ماذا سيضيرنا لو اندمجنا فى معترك الحياة . . عابدين عاملين حبا لله . . . سالكين طريق الله حبا . . لاجئين إليه حبا متمسكين بشريعته ومنهاجه حبا . . متحلين بالخلق القرآنى حبا . . متخذين السلوك الحميد نبراسا حبا . . مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم حبا .

إن الفتاة تعتقد بأن إقامة الليل تهجدا وتعبدا إلى الله تعين الإنسان على العمل فى النهار والإخلاص وسلك سبيل الله . . ولا شىء يمنع ابدا أن يكون القلب دائما مع الله فى كل لحظة . . يفكر فى الله . . ينبض بحب الله . . يتأمل فى صنع الله .

إن قمة الحب أن تفكر فى قدرة الله وعظمته أثناء الأنشغال . . إن قمة

الحب أن ينبض القلب بالشوق إليه أثناء تنعمك بطيبات الله واندماجك فى معترك الحياة . .

إن قمة الحب أن يفكر الإنسان قبل الإقدام على أى سلوك بما يرضى الله . .

إن قمة الحب لله أن يمتنع الإنسان عن إغراءات الحياة وشهوات الدنيا مرضاة لله وحبا له .

إن قمة الحب لله ألا يملك قلب الإنسان شىء سوى الله ، وأن تكون الدنيا فى يده وليست فى قلبه .

إن قمة الحب لله أن يقيم الإنسان المحب برج القيم ، ويشيّد عمارة الفضيلة ، ويزرع سنابل الخير على أساس من الحب والإيمان والإيثار والعطاء المستمر .

إن قمة الحب لله أن ينبض القلب بحب الله فيصبح قلبا نورانيا يفيض بالخير فيكون شمعة مضيئة للآخرين ، وصحوة نابضة للضمائر الغافلة ، وبلسما شافيا للمجروحين ، ورحمة هادية للنفوس المريضة ، ومصباحاً منيراً لفاقدى الطريق .

لم يحرّم الله علينا أبداً التنعم بالحياة ، ولم يفرض علينا الزهد والعزوف عن الدنيا وهجر الناس والإتجاه إلى الخلوة والتفرغ للعبادة فقط تقربا إليه .

ليس القرب من الله بأداء الشعائر التعبدية فقط وإنما بالسلوك والعمل الصالح ، وما السلوك والعمل الصالح إلا شكل من أشكال العبادة .

فكما أن شعائرنا التى فرضها الله علينا عبادة لله وقرباً . . فليكن سلوكنا أيضاً عبادة ، وعملنا عبادة ، وأخلاقنا عبادة ، ونيتنا عبادة ، ومبادئنا عبادة ، وقيمنا عبادة ، وذكرنا عبادة، وتعاملنا مع الناس عبادة وقربا فى طريق الله .

وكل ذلك لن يتسنى ويتحقق بالخلوة والزهد والإبتعاد عن الدنيا والبعد عن الناس وهجر الواجبات الدنيوية والتخلى عن مسئولية الحياة وأمانتها . .

لقد خلق الله عز وجل لنا الحياة جميلة ودعانا إلى التنعم بطيباتها وخيرها ، والتأمل والتفكر والتبصر فى آيات الله العظمى وآلائه الكبرى فى كل زمان ومكان ليشهد الإنسان عظمة الله ووحدانيته وقدرته جل جلاله وقدسيته وكمال صفاته وأسمائه وأفعاله ورحمته التى تتجلى فى كل شىء صغيراً كان أم كبيراً .

فالانسان الذى يتأمل عظمة صنع الله وجمال آيات الله فى الأرض يؤمن ويشهد بعظمة الله وجلاله وكماله ويقول بكل أعماق وجدانه وقلبه وفؤاده ودمه وكيانه :

سبحان الله العظيم

إن هذا الكون لم ينشأ مصادفة ، ولم يوجد اعتباطاً ، ولم يكوّن اتفاقاً . .

إننا ونحن فى رحابه نشاهد الترابط بحيث يمكن أن يقال فى يقين جازم :

إن الكون كله . . سماواته وأرضه : وما بين السموات والأرض . .

إن الكون بحاره وأنهاره ، جباله ووديانه ، نباته وحيوانه . .

إن جميع أجزاء الكون تؤلف وحدة متكاملة مترابطة .

هذا التكوين المترابط فى ملايين الجزئيات الكونية ، فى بلايين بلايين هذه الجزئيات ينفى فى تأكيد مؤكد فكرة الطبيعة العمياء ، أو فكرة المصادفة والاتفاق .

وإذا انتفت فكرة المصادفة والاتفاق ، فإن النتيجة التى تترتب على ذلك هى أن للكون مكوّناً وخالقا هو الله سبحانه وتعالى ، وأن ترابط الكون هو من الأدلة على وجود الله سبحانه وتعالى :

أنظر إلى هذا الترابط فى قوله تعالى :

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا

وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ (عبس : ٢٤ - ٣٢)

وانظر إلى الترابط بين السماء والأرض ، وبين الماء والنبات فى قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ
بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾ (الزمر : ٢١)

هذا الترابط : أهو ترابط غائى ؟ أى ترابط هادف .

هذا الترابط بين بلايين أجزاء الكون الذى يعتبر دليلا باهرا على وجود الله إنما هو ترابط غائى على حد تعبير الفلاسفة أى ترابط له غاية ، إنه ليس مجرد ترابط فقط ، بل هو ترابط هادف فيه القصد ، وفيه الغاية ومن أجل ذلك اعتبر هذا دليلا على وجود الله ولقد سمى هذا الدليل أيضاً الدليل الغائى ، إذ أن كل شىء له غاية وسمى أيضاً دليل القصد وذلك أن كل ما فى العالم مقصود لا دخل للاتفاق فيه وانظر إلى القصد والغاية فى قوله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن
فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن
كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ
بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ
كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ (ق : ٦- ١١)

وانظر إلى قوله تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

(النحل : ٦٥ - ٦٩)

وهناك شيء آخر يجول فى أذهان بعض الناس وهو أن هذا الترابط الهادف وهذا التماسك المقصود ، قد تحقق بقوانينه الثابتة وقواعده التى لا تتغير ، وسنته التى لا تتخلف ، وأن الله سبحانه وتعالى انتهى منه خلقاً وتدبيراً وإحكاماً ، فهو يسير الآن على التقدير الذى قدره الله ، يسير آليا إلى الغاية المرسومة ، يسير تبعا لنواميس انتهى الله منها ولا يتدخل سبحانه فيها :

أى أن العالم يسير الآن وحده دون إرادة من الله تصاحبه فى كل حركة أو سكون ، وفى كل نطق أو صمت .

وليس الأمر كذلك ، إن النظرة الإسلامية هى أن الله سبحانه يمسك النظام المترابط فى كل لحظة وفى كل ثانية وأنه سبحانه لو تخلف عن شيء منه طرفة عين لتلاشى وفى ذلك يقول سبحانه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ (فاطر : ٤١)

وهو سبحانه الذى يمسك الطير فى جو السماء ، يقول سبحانه :

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (النحل : ٧٩)

ويقول سبحانه :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ (الملك : ١٩)

وهو سبحانه مالك الملك يؤتيه فى أية لحظة من يشاء ، وينزعه فى أية لحظة ممن يشاء .

وهو سبحانه الذى يصرف الليل والنهار كلما أشرق فجر وكلما غربت الشمس .

وهو الذى يهب الحياة أو يسلبها كلما تنسم كائن الحياة ، وكلما فارقها .

يقول سبحانه :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

(آل عمران : ٢٦ - ٢٧)

ويقول سبحانه :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

(آل عمران : ٦)

ويقول سبحانه :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

(الروم : ٤٦)

ويقول سبحانه :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

(الروم : ٤٨ - ٥٠)

وما من شك فى أن الله خلق وقدّر ، ووضع النواميس ، وقعدّ القواعد ، وذلك شىء . . وإمساك كل ذلك والقيومية عليه شىء آخر فمع الخلق الإمساك ، والإمساك مستمر لا ينتهى وهذا هو معنى القيومية ، وهى من صفات الله تعالى ، والقيوم اسم من أسمائه الحسنى .

ومعنى القيوم أنه القائم بنفسه ، وأنه الذى يقوم به كل موجود حتى أنه لا يكون للأشياء وجود ولا دوام وجود إلا به .

أهى قيومية إمساك فحسب !!؟؟

كل . . إنها قيومية علم ، وتدبير قائم على العلم ، فضلا عن كونها قيومية إمساك .

إن قيومية الله على العالم هى قيومية إمساك للعالم وإلا لتلاشى ، ومن هنا كان المعنى العميق للدعاء الذى يدعو به كثير من الصالحين وهو :

« اللهم لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك »

وقيومية الله على العالم قيومية علم محيط شامل ، فهو سبحانه كما يقول فى كتابه :

﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ (طه : ٧)

أما السر فأمره معروف ، وإنما الأخفى من السر فهو ما فى دائرة اللاشعور .

وهو سبحانه :

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ (غافر : ١٩)

وهو سبحانه :

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ (الانعام : ٧٣)

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾
(الرعد : ٨ - ١٠)

وعلمه سبحانه ليس مقصوراً على الماضى أو الحاضر فحسب ، ولكنه شامل للمستقبل أيضاً ، يقول تعالى :

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الحديد : ٢٢)

وإذا كان الله سبحانه وتعالى أعلن أن علمه عام وشامل بقوله : (عالم الغيب والشهادة) إذ أن عالم الغيب هو ما وراء الطبيعة ، وعالم الشهادة هو الطبيعة فإن الله سبحانه قد فصلّ الأجزاء والجزئيات وبيّن أنه يعلم اليسير والصغير والكبير .

يقول سبحانه :

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الأنعام : ٥٩ - ٦٠)

ويقول سبحانه :

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾ (سبأ : ٢ ، ٣)

أما الأصغر من الذرة الذى ذكره الله سبحانه وتعالى فى الآية الكريمة فلك أن تقول عنه فى سهولة ويسر أنه البروتون والألكترون ، ويكون القرآن بذلك قد أشار إلى تفتيت الذرة من قبل أن تفتت .

وهذه قيومية العلم وهى لا تنفك عن قيومية التدبير .

إن قيومية التدبير قائمة على قيومية العلم لا تنفك عنها وهى تلازمها حتى لكأنها صفة واحدة .

وقيومية التدبير هذه قائمة على أنها قيومية نعمة ، وأن التدبير الإلهى كان ولا يزال معنيا بالانسان مدبراً له ما يكفل له الحياة والنعيم فى هذه الحياة ، وأنه سبحانه قد كيّف الأمور بحيث تتناسب مع الإنسان .

إن الله سبحانه معنى بالعالم ، وعنايته بالكون سارية فى جميع أجزائه وإذا كانت العناية لا تخرج بنا عن جو الترابط الهادف والإمساك والتدبير فإنها تلون الحديث عن دليل الترابط على وجود الله بلون آخر ، وإذا تلون هذا الدليل باللون الرحيم الرقيق سمى دليل العناية .

والقرآن غاص بتوجيه الأنظار إلى عناية الله بالكون ، وعلى الخصوص بالإنسان فى رحاب الكون .

فمن أجل الإنسان كانت رحمة الله فياضة بالنعم ، إنها فياضة بالنعم على الإنسان فى نفسه :

يقول سبحانه :

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾
(البلد : ١٠)

ويقول سبحانه :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾
(الروم : ٢١)

ويقول تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الاسراء : ٧٠)

ويتحدث الله سبحانه على نعمه العديدة التى أسداها إلى الإنسان .
فنعمة الليل والنهار بينها الله سبحانه بقوله :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝٧١ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٧٢ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٣ ﴾

(القصص : ٧١ - ٧٣)

إن دليل العناية هذا من أجمل الأدلة على وجود الله الذى يقول :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠ ﴾ (لقمان : ٢٠)

إن عناية الله السماوية فى الكون كله ، والتى يلاحظها الإنسان فى عينيه تبصران ، وفى أذنيه تسمعان ، وفى عقله يفكر ، وفى لسانه ينطق ، إن عناية الله التى يلاحظها الإنسان فى كل ما يحيط به ويغمره من نعم الله تنفى المصادفة والاتفاق .

وأن الترابط الهادف يلغى المصادفة والاتفاق .

وأن القصد الظاهر فى نظام الكون ينفى المصادفة والاتفاق[1] .

إن الاستدلال على وجود الله سبحانه بدليل العناية قديم قدم الإنسانية نفسها . . فكل إنسان يشعر بأنه مغمور بنعم الله سبحانه فى داخل نفسه ،

(١) الامام عبد الحليم محمود : مع الأنبياء والرسل ، ص ١٨

وفى خارجها ويقول الله تعالى معبراً عن حقيقة يلاحظها كل إنسان بتدبر يسير :

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (ابراهيم : ٣٤)

ويقول أيضاً :

﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان : ٢٠)

فما لا شك فيه أن كل من يتأمل ويتدبر ويتفكر ويتعقل ويتبصر فى آيات الله فى نفسه ومن حوله وفى الكون .. فى السماء والأرض وما بينهما .. فى الوجود كله .. فى كل لحظة .. فى كل زمان ومكان سيؤمن بوجود الله ووحدانيته ، وسيشهد عظمة الله وجماله وجلاله وكماله وقدسيته ورحمته وقدرته وعنايته ونعمته التى لا تعد ولا تحصى وسيقول بإيمان كبير وحب عظيم يهز الوجدان وكل شىء معه مرددا فى كل لحظة :

سبحان الله الخالق العظيم
وتبارك الله أحسن الخالقين
وسعت رحمته كل شىء .
وتجلّت قدرته فى كل شىء
وشملت لمسات حنانه كل شىء
وأفاضت آيات حبه على كل شىء
وأشرقت أنواره على كل شىء
مسبّحة بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
والحمد لله رب العالمين رب العرش العظيم
والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى
لولا أن هدانا الله .

ومن هنا كان حب الفتاة لله ليس زهداً ولا خلوة ولا عزوفاً عن الدنيا ولم تحرّم على نفسها التنعم بما أحله الله .

وإنما حب الله كان عندها عبادة ، وعملا ، وسلوكا ، ومراقبة للنفس

فى كل لحظة ، وتأملا وتدبرا وتفكرا وتعقلا وتبصرا فى آيات الله فى نفسها وفى كل شىء من حولها فى الكون والوجود ، وتنعم بطيبات الحياة ونعيمها فتحمد الله على رزقه لها وأن هيأ لها من الأسباب خيراً لتنعم بطيبات الله وتشكره على نعمته سبحانه وتدعوه بأن يهديها إلى توجيه هذه النعمة فى طريقه وسبيله .

وتوقن الفتاة بأن حب الله رسالة موجهة إلى قلبها كما هى رسالة موجهة إلى كل قلب إنسانى بأن ينبض قلبه بحب الله وأن يجعل حبه لله الواحد العظيم هو الحب الذى يفوق كل شىء ، وهو الحب الذى يسيطر على مشاعره ويستحوذ على فكره ووجدانه وكيانه كله ، وهو القانون الذى يحكم حياته . .

وبذلك يكون حبه لله العلى العظيم هو الذى يحرّكه ويدفعه ويوجهه ويرسده فى كل أفعاله وتصرفاته وسلوكياته ، ويندرج تحت هذا الحب العظيم لله ويخضع له جميع أنواع الحب الأخرى فيحس أنه يتعامل معها باعتدال فيشعر بقيمة الحياة ومتعتها ، وينعم بلمسات من السعادة الكاملة . . فيهنأ بحياته ويشكر الله لأنه خلقه كى يحبه ويعبده .

إنها رسالة حب تستحوذ على قلب الإنسان ، وتمتلىء بها مشاعره كلها ، ويتفاعل بها ولها كيانه كله . . فتثمر ثماراً صادقة صافية رائعة حيث لا يقبل هذا الإنسان أن يقول إلا الطيب ، وأن يلفظ إلا الصدق ، وأن يفعل إلا الخير مما يقوده إلى طريق النور . . طريق الله .

إذن فإن حب الله رسالة ممتزجة بكل الخير والصدق إلى كل نفس . . وكل قلب إنسانى لكى يجعل حبه لله الواحد الرحمن الرحيم رب العرش العظيم هو القوة الدافعة الموجهة له فى حياته ، وتخضع كل أنواع الحب الأخرى لهذا الحب الإلهى .

لذلك فالفتاة مشغولة بهذا الحب ، تعيش به وله ومن أجله تسعد به وتهنأ به موجهة كل لحظة فى حياتها ، وكل همسة فى عمرها إلى التفكير فى الله ، والتأمل فى رحمة الله ولمسات حنانه وآيات حبه ، والتبصر فى آيات الله ونعمه على كل شىء فى الوجود والتدبر فى قدرة الله الشاملة وعلمه

المحيط بكل ذرة فى الوجود وكماله وجلاله وقدسيته وصفاته وأسمائه وعظمته وفضله العظيم الذى يتجلى فى كل شىء .

فليس لديها أى وقت للفراغ ، فهى عابدة مشغولة بالله ، يملأ قلبها حبه مشغولة فى كل لحظة بترقى النفس وتهذيبها وترويضها ، وهنا تستوقفنا الفتاة فى لحظات تتسم بهدوء النفس وسكينة القلب حيث تعلن بأن الكثيرون من المحيطين بها يشفقون عليها من الوحدة ويدعونها دائما إلى التفكير فى أن يكون لها أنيس يؤنس وحدتها فى الحياة وتبتسم الفتاة لهذا النوع من التفكير حيث تعلن بأن هؤلاء الناس يجهلون شيئا هاما وخطيرا وهو معنى الوحدة الحقيقى . . إن هؤلاء الناس يعتقدون أن الوحدة تعنى أن يعيش الإنسان وحيدا أى وحدة الوجود الانسانى .

وتستوقفنا الفتاة حيث تعلن بكل ثقة ويقين بأن هذا ليس هو مفهوم الوحدة أو الغربة فإن الشعور بالوحدة هو فراغ القلب من حب الله . . . . . والشعور بالغربة هو فراغ القلب من الأنس بالله . . . . . .

فإن الأنس الحقيقى هو أنس الله وليس أنس الإنسان ، وأن الفراغ الحقيقى هو فراغ القلب من حب الله وليس فراغ الوجود الانسان .

وتستطرد الفتاة فى حديثها قوية غنية بالله فقط حيث تعلن فى ثقة ويقين لا شك فيه : بأن من الممكن أن يكون الإنسان حوله حشد من الناس ومع ذلك يشعر بالوحدة والغربة والفراغ القلبى ، ومن الممكن أن يعيش وحيدا ولكنه يحس بالأنس وكأن المخلوقات والكائنات جميعها اجتمعت وحضرت لتؤنس وحدته مع أنه فى الحقيقة يعيش وحيدا بمفرده .

إذن فليس معنى الوحدة هو إنعزال الوجود انسانى وإنما هو فراغ القلب من حب الله ومن الأنس بالله .

فهذه الفتاة بالرغم من كونها وحيدة إلا أن الأنس بالله يملأ حياتها فى كل لحظة . . اثناء إنشغالها ، وفى وقت راحتها أنساً يمن الله به عليها فتشعر بانها مستأنسة دائما بالله . . مشغولة دائما بحب الله ، ويفيض الله عليها بالمزيد من عطائه الفياض حيث تشعر بأن هناك من الكائنات والمخلوقات من يؤنس وحدتها ، بل تمتد لمسات الحنان الإلهى عليها حيث ترى بعضا

من هذه الكائنات والمخلوقات رؤ ية العين كما ترى ايضا الطيور الجميلة الشكل معها يؤنسون وحدتها ويسكنون حيرتها فتشعر بالجمال والأمان والإطمئنان

كائنات ومخلوقات جميلة تسر النفس ، وتسعد القلب يشتركون معها فى حب الله ، والتقديس لله ، والتسبيح لله . . كائنات ومخلوقات يفهمون لغتها وهى تفهم لغتهم لأنها لغة الخلود . . لغة الوجود . . لغة الحب لله .

وتطمئن الفتاة هؤلاء الناس وتقودهم وتقودنا معهم إلى حقيقة لابد أن نقف عندها فى لحظات من التأمل العميق لنغوص فى أنوار هذا التأمل ، وهذه الحقيقة هى :

إن الأنس هو أنس الله
وان الحب هو حب الله

وأن الله هو الأنيس ، ولا أنيس بعده
وان الله هو الحبيب ، ولا حبيب غيره

والشعور بالوحدة هو هو فراغ القلب من حب الله
والشعور بالغربة هو غربة القلب وفراغه من الأنس بالله .

ومن يستأنس بالله فإن الله يؤنسه
ومن يحب الله فإن الله يحبه
ويمن عليه من فيوضاته وعطائه ما يشغله
ويؤنس وحدته حتى ولو كان يعيش وحيدا
فى هذا الوجود .

اما من كان قلبه فارغا من حب الله والأنس بالله
فإنه سيشعر بالوحدة والغربة والعزلة حتى ولو كان
حوله الناس جميعا ، وهنا سيغلق القلب أبوابه
وستفتح النفس أبوابها التى تقود الإنسان إلى

سبيل الشهوات والنزوات والهوى فيضل السبيل
ويسلك طريق الضياع والحيرة والتخبط والهلاك
الذى يودى به حتما إلى الشقاء .

فالقلب دائما يفتح أبواب طريق النور
أما النفس فتفتح ابواب طريق الهوى

ونمضى مع الفتاة فى تأملاتها حيث تدعونا لكى نحرص على إنشغال القلب بالله وحب الله حتى تُفتح لنا أبواب طريق النور بأمر الله حيث الأنس بالله والسلام النفسى مع كل شىء فى الوجود فترتقى النفس إلى حيث يجب أن تكون من الصفاء والنقاء والنورانية .

ومن هذا المفهوم فإن الفتاة لا تتملكها أى متعة فى الحياة ، فإن كل نعمة ينعمها الله عليها . . تشكره وتحمده عز وجل عليها حمداً وشكراً كثيرا . . وتتمتع بها ولكن تحاول ألا تجعلها تسيطر عليها حتى لا يكون حبها لله مقيدا أو أسيرا بهذه النعمة فقط ، فإن حبها لله لذاته وحده سواء منح أو منع ويقودها هذا الحب إلى التنعم بنعمة الله وتوجيهها إلى طريق الله وسبيله واذا عجزت عن كيفية التوجيه فتلجأ إلى الله طالبة منه وداعية بقلب مخلص بأن يرشدها إلى توجيه نعمته فى سبيله بما يرضيه ، ويمدّها الله عز وجل دائما بالعون والنور ويفتح لها أبوابَ سبيله .

وبذلك تحس الفتاة وكأنها طائر خفيف محلّق فى سماء الحب الإلهى ترفرف أجنحة الحب والسلام على حياتها . . لا يقيدها شىء ولا يوقفها شىء ، ولا تقبل ان يعيقها شىء . . فتنعم بحياتها وبحبها الذى تعيش به وله والذى فيه سعادتها وهناءها وأمنها وسلامها والذى يمثّل عندها أجمل ما فى الحياة ، وأعظم ما فى الوجود .

وبهذا المعنى يصبح حب الله عند فتاتنا ـ بطلة قصتنا ـ مسئولية وأمانة مسئولية عليها أن تتحملها ، وأمانة من واجبها أن تحملها وتؤديها بما يرضى الله . . . . إنها حقا لرسالة . . رسالة تفرض عليها المسئولية ، وتحملّها الأمانة وتدعوها إلى العمل والسلوك إلى الله للقرب منه سبحانه . . . . . . رسالة متكاملة يشترك فيها الجسد مع الكيان الإنسانى كله . . كل ذرة فيه

تعرف وظيفتها وتدرك واجبها فينشغل القلب مع الجوارح بذكر الله وحمده ، وتنبض المشاعر والأحاسيس بحب الله والشوق إليه فتسمو بالروح إلى عالم النور ، وترقى بالوجدان والفؤاد إلى مرحلة كبرى من مراحل السلام النفسى مع كل شىء فى الوجود حيث السعى إلى فعل الخير فيفتح العمل أبوابه للجهاد والإخلاص والصدق والوفاء حيث التقويم النفسى والتهذيب الأخلاقى فيثمر هذا العمل ثماره بفضل الله وحده حيث السلوك الحميد والعمل الصالح ، ويمن الله بما يشاء من فضله العظيم وعطائه الكريم .

إذن فهى رسالة تمثّل وحدة عمل متكاملة تشترك فيها كل ذرة فى كيان هذه الفتاة ، وليست كلمة بسيطة تعلن فيها فتاتنا أنها تحب الله ، وليست مشاعر وأحاسيس عذبة ينبض بها قلبها فقط . . إن الكلمة أمانة واذا أعلنت الفتاة أنها تحب الله فمعنى ذلك مشاعر فياضة بالحب ، ومسئولية العمل فى سبيل الله ، وأمانة السلوك إلى الله ، وجهاد ، وطريق طويل ، ومعركة سلاحها فيها الإيمان بالله ، والصبر وحب الله ، وذكر الله الدائم وحمده وشكره . . أسلحة عذبة ولكنها فتاكة تهزم أعداء الله . . أعداء الخير . . أعداء النور . . أعداء الحب بأمر الله وحده وعونه سبحانه .

وها هى الآن كشف الله لها بأن الحب الإلهى بحر نورانى فيه كنوزا نورانية ، ولكى تصل إلى هذه الكنوز فلابد من مواجهة أمواج هذا البحر الضارية وأسلحتها متوفرة لديها وهى الإيمان ، والحب ، والصبر ، وذكر الله الدائم ، والإستعانة بالله فقط ، وأعطاها سبحانه الإذن بالسباحة .

وهنا أحست الفتاة بنور يسرى فى كيانها يمدّها بالقوة والشجاعة ودفعها هذا النور لكى تردد فى نفسها :

[إذا كانت أمواج هذا البحر عالية وضارية وقوية
فإن حبى لله أقوى . . . .

واذا كانت هذه الأمواج شديدة فإن حبى لله
أشد وأعظم . . . .

واذا كانت هذه الأمواج قاسية موحشة
فإن حبّى لله أرحم وأجمل وسيخفف عنى
قسوة هذه الأمواج . . . .

بعون الله وحده . . لن يكون هناك ما يقف
أمام حبى لله . . فكل رياح تقف أمام حبى
فإن حبى لله بإذن الله سيغلبها وسيقهرها
وسيردها بلا رجعة . . . .

اما شياطين الإنس والجن فإن الأسلحة
التى زودنى الله بها وأعطاها ووهبها لى
ستقهرهم وستدخلهم إلى جحورهم
بقوة الله ورعاية الله وعنايته . . . .

لابد أن أسبح فى هذا البحر النورانى
وأواجهك يأيتها الأمواج الضارية
وحبى لله يملأنى ويهزنى ويشدنى
للقرب منه ، وفى سبيله أتحمل أى شىء
وبإذن الله وعونه سيحفظنى الله
ويرحمنى وينجينى منك .]

كانت هذه هى الكلمات التى رددتها الفتاة فى نفسها ، وكانت بمثابة بلسم وماء مثلجة أبردت إحساسها بالخوف ، وأعطتها القوة والإرادة فعزمت وتوكلت على الله وحده . . . . وبدأت السباحة فى بحر الحب الإلهى .

● ● ●

كان الجو جميلا .. بديعا .. الشمس ساطعة دافئة .. السماء صافية ..... كل شىء كان يحيط بالجمال والنور والحب باعثا على الهدوء والسلام .. دافعا إلى ذكر الله وحمده وشكره على نعمته وآلائه الكبرى فى الوجود .. موجها القلب لكى يتأمل فى عظمة الله وجمال صنعه .. وجلال قدرته وكماله فى الكون والحياة والوجود ... . جلال وكمال يتجلى فى كل شىء مما يجعل الإنسان يسجد بقلبه ووجدانه وفؤاده وكيانه كله خاشعا مردداً سبحان الله العظيم .. جل جلاله .. وعظمت قدرته .. وتقدست ذاته .. سبحانه .. لا إله إلا هو ...

حقا وصدقا تتجلى عظمة الله فى خلق الخلق ... والوجود كله .. بدايته ونهايته .. ما نعرفه منه وما لا نعرفه .. شاهد على عظمة الله .. وقدرة الله .. ووحدانية الله .

فى كل هذا الجمال .. وبكل الحب استهلت فتاتنا سباحتها فى بحر الحب الإلهى بالكلمات التى أرشدها لها الصوت الذى سمعته فى الرؤية وهى :

« توكلت على الله الرحمن الرحيم
وأعوذ به سبحانه من الشيطان الرجيم
وأعوذ به من شياطين الإنس والجن
وسبحان الله العظيم ذو الفضل العظيم
وبسم الله الرحمن الرحيم »

وأحست الفتاة بعد ترديدها لهذه الكلمات بالنور يسرى فى جسدها ، ويجرى فى دمها .. نور الحب لله .. وشعرت بل رأت أن شعاعا من النور لا تستطيع أن تنسى مشهده فلقد رأته رؤية العين .. رأت طوله وحجمه وكيف أنه شعاعا مليئا بالنور الذى لا تستطيع العين أن تتحمله إلا برحمة من عند الله .. رأت هذا الشعاع يستقر فى صدرها ساكنا .. هادئا ...... وهنا وقفت الفتاة لحظة قصيرة مع نفسها وبدأت تتساءل .

● هل هناك حكمة خافية من استقرار هذا الشعاع فى صدرها .... هل سيكون له دور معين فى سباحتها فى هذا

البحر أم أنه ثواب من عند الله لها يعينها على السباحة . . . . . ؟

بالطبع لم تعرف الإجابة ولكن كل هذه الاسئلة كانت دافعا لها إلى التعمق أكثر وشجعتها على السباحة فى بحر الحب الإلهى . . وأحست بأن هذا الشعاع النورانى نعمة كبرى من عند الله جل جلاله لها . . نعمة أكبر من أن تستوعبها أو تقدرّها التقدير الصحيح السليم الواعى ، ولكن حبها لله كان دائما حافزا لكى تحيط كل نعمة ينعمها الله عليها بالحب والإهتمام فحمدت الله على هذه النعمة الكبرى واستكملت سباحتها .

كان يكفى لأى إنسان يسبح فى هذا البحر أن يرشف رشفة رقيقة من مياهه حتى يتحول جسده كله إلى نور يجرى فى الدم ويمتزج به كل ذرة فى كيانه .

ولكن الفتاة كان لا يكفيها رشفة رقيقة من هذا البحر . . بل إنها متعطشة لترتوى منه وترشف رشفات ورشفات . . وكلما تأخذ منه يحس كيانها بالحنين والإحتياج إلى أكثر من ذلك فهل هذا طمعا أم حبا . . لا تدرى . . إنها لا تريد أن تضيع فرصة ولو صغيرة لترتوى من بحر الحب الإلهى .

وما أن بدأت الفتاة ترتشف رشفاتها الأولى من هذه المياه النورانية حتى أحست كأن جسدها كله تحوّل إلى نور . . عيونها نور . . دمائها نور . . عروقها نور . . نبضاتها نور . . قلبها نور . . فؤادها نور . . وجدانها نور . . إحساسها ومشاعرها نور . . كل ما فيها نور يمتزج بكل خلجة من خلجاتها ويجرى فى دمها . . ثم بدأت ترى كل ما حولها نورا ويحيطه الجمال . . السماء نورا ، والأرض نورا ، والسحب نورا وكل ما حولها من آثار وجمال هى فى حقيقتها نورا ، وبدت عليها الدهشة والحيرة مرددة فى نفسها . هل تغيرت الدنيا وأصبحت نورا .

وامتدت لمسات الحنان الإلهى على هذه الفتاة حيث أشرق الله على قلبها بالحب حيث شعرت بنبضات نورانية تسرى فى كيانها حباً لله وشوقا إليه وبدأ الشعاع النورانى الساكن فى صدرها يشع بأنواره فى دمها وعروقها ونبضاتها .

وامتدت لمسات الحنان الإلهى على هذه الفتاة حيث منحها سبحانه بإشراقات نورانية على قلبها تفيض بالحب لله سبحانه وتعالى ، وبدأ الشعاع النورانى الساكن فى صدرها يشع بأنواره فى دمها وعروقها ونبضاتها وكل ذرة فى كيانها حيث شعرت بنبضات نورانية تسرى فى كيانها وتمتزج بدمائها حبا لله وشوقا إليه مما جعلها دون أن تدرى أن تنطق بكلمات هى مناجاة فى حب الله يغلبها الإحساس بالشوق إليه يمزقها الحنين لرؤياه واللهفة للقائه .
وكان لنا وقفة مع هذه الكلمات التى تولدت من إحساس عظيم بحب الله نابع من القلب والوجدان نطق به كل ذرة فى كيان هذه الفتاة يحرقها الشوق إلى الله .... وكانت هذه الكلمات تحت عنوان :

فـــى حـــب الله

الله . . . الله . . . الله
لا إله إلا الله محمد رسول الله
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

يا إلهى . . يارحمن . . ياكريم . . يالطيف . . ياخبير . . ياعليم . .
جل جلالك . . وعظمت قدرتك . . وتقدست ذاتك . . . .
سبحانك لا إله إلا انت .

يا إلهى . . .

يامن تنعم علىَّ فى كل لحظة بنعم لا تعد ولا تحصى
يامن تغفر لى وترحمنى
يامن تحفظنى وتنصرنى
يامن تنجينى وتحمينى
يامن ترسل لى من جندك فى الأرض والسماء فيكون خير معين لى ، وخير سند لى . . . .

يامن تهذبنى وتقوّمنى وتربينى وتؤدبنى
يامن تهدينى إلى الرشد والصلاح
يامن تقودنى إلى الخير والفلاح
يامن تنير بصيرتى وفؤادى
يامن تجعل طريقى منارا . . وحياتى مصباحا . . وقلبى

ضياءا .. وفؤادى قمرا .. وروحى نورا أسير فيه ، وأهتدى به
فلا أرى إلا نور وجهك الكريم ....
ولا أقبل إلا هذا النور مسلكا وطريقا وحياة وعملا وسلوكا ..

يامن تنير قلبى بنور الإيمان .. وحلاوة حبك
فأحيا فيه وأسعد به فتسكن نفسى ، ويهدأ قلبى ،
وتسعد روحى ، ويسجد جسدى خاشعا فترتعش يداى ..
وترتجف أطرافى .. ويهتز كيانى رهبة وحبا لك يا إلهى ..

يامن تمنن علىَّ بفضل عظيم .. وجود كريم ..
وعطاء غزير .. وحب كبير .. وحنان وفير ..

يا إلهى ....

إنى أحبك حبا كبيرا .. حبا عظيما ..
حبا لا تستطيع الكلمات أن تعبر عنه ...
وتعجز الحروف فى تصويره ...
وتفشل الأقلام فى تخطيطه ...
ويسكت اللسان فلا يستطيع أن يتحدث به ..
ويعلو صوت القلب والفؤاد والروح
يحاول أن يعبر بكل ما أنعمت به علىّ
من نعمة البصيرة والهمسات والخلجات
والإحساس الصادق والوفاء الطاهر
والنقاء النادر والصفاء الهائم فى حبك يا إلهى
فيهتز الكيان من خشية الله .. وتعبر العيون
عن فرحتها بحب الله بالدموع .. دموع صادقة ..
دموع صافية .. دموع لا تجف .. دموع يحبها الله
لأنها دموع ممتزجة بالإيمان والصفاء ...
دموع تهتز لها السماء والأرض ويقف الملائكة
فرحة تتوج هذه الدموع بالدعاء إلى الله عز وجل

والاستغفار وطلب الرحمة لهذه الدموع المؤمنة . . . .

ياله من موقف رائع . . . وإحساس عظيم . . . .
وشعور ينبض . . وقلب يدق . . . وفؤاد يهمس . . .
ودم يجرى . . . وعروق ترتعش . . . . وأيدى ترتجف . . .
وهمسات تختلج بالفؤاد . . وكيان كلى يركع ويسجد
ويسبّح لله سبحانه وتعالى .

ربى . . .

إنى لا أفكر فى الجنة ، ولا أفكر فى النار
وإنما إنى أحبك انت ياإلهى
لذاتك أنت سبحانك . . . لذات وجهك الكريم . . .

إنى فى شوق اليك . . فى حنين للقائك . . فى لهفة لرؤيتك
ما أقسى الدهر . . ما أطول الأيام . .
إن البعد يحرقنى . . وألم الفراق يمزقنى . .
شوقى وحنينى قد سبق كل شىء ، وقد فاق كل شىء
وأصبحت أحيا بنورك وعلى أمل فى لقاءك ورؤيتك

إن حبى لك تسطّره دقات قلبى . . .
وتعبر عنه خلجات روحى . . .
وتكتبه همسات فؤادى . . .
وتصوره رعشة جسدى وكيانى كله . . . .

إنى أحبك ، وأحب من يحبك ، وأحب كل عمل يقربنى إليك
أحب حنانك . . أحب عطاءك . . أحب إبتلائك . . . . .
أحب كل شىء يأتينى من عندك مؤمنة بانه لا يأتى من عندك
إلا الخير والسعادة وأدعوك دائما يا إلهى بأن تغفر لى وترحمنى
وتصفح عنى خطأى ونسيانى وسهوى ونفسى الأمارة بالسوء ،

وتسكن قلبى ، وتطمئن فؤادى ، وتسعد روحى . .
انك أنت التواب الرحيم العليم بذات الصدور . . القادر على كل شىء . .

يا إلهى . . . .

إن كنت أحيا فإنى أحيا لأنك تريدنى أن أحيا
وإن كنت أسعد فإنى أسعد لأنك تريدنى أن أسعد
وإن كنت أسير فى هذا الطريق فإنى أسير فيه لأنك تريدنى أن أسير فيه

فلا إرادة لى إلا بك أنت وحدك يارب العالمين
ولا حياة لى إلا بإحيائك لى أنت وحدك يارب العالمين
ولا نجاح لى إلا بك أنت وحدك يارب العالمين
ولا سعادة لى إلا بك أنت وحدك يارب العالمين
ولا رضاء لى إلا برضاك أنت وحدك يارب العالمين
ولا نور لى إلا بنور من عندك أنت وحدك يارب العالمين

فكل ما أحيا به وأنعم فيه هو منك وإليك . .
هو منك فى البداية ، واليك فى النهاية
فأنت مالك الملك ذو الجلال والإكرام
كل شىء فان ومنتهى إلا وجهك الكريم . . .

ربى . . .

كيف أحمدك . . كيف أشكرك . . كيف أثنى عليك . .
لا أعرف . . لا أدرى . . كل حياتى وعبادتى وصلاتى ونسكى لا تكفى . . .

ياربى . . . .

إنك خالقى وموجدى وخالق الكون وكل شىء
فحق علىَّ عبادتك . . وواجب علىَّ حمدك وشكرك
ورسالتى هى التوحيد لك وعدم الشرك بك
فلقد خلقتنى لكى أعبدك وهذا حق علىَّ . .

ورسالة كبرى يجب أن أحملها . . وأمانة عظيمة
لابد من أدائها . . فإن نعمتك لا تعد ولا تحصى
ومهما ركعت ، ومهما سجدت فلا أستطيع أن
أوفى الحق الذى على . . . .
فلذلك حق علىَّ وعلى فؤادى وكيانى كله
أن يعبدك ويحمدك ويشكر لك ويستغفرك
ويقدسك ويسبّح لك . . . .
سبحانك . . لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك

يا إلهى . . .
أن كانت نفسى تتجرأ فى شىء فهى لا تطمع
إلا فى حبك ورضاك وعفوك ولطفك الدائم وحنانك
وفيضك الذى لا ينتهى أبدا ، وعطاءك الذى لا يقف عند
حد . .

يا إلهى . . .
ليس لى مطمع فى شىء فى دنياى . . . .
كل ما أنشده . . كل ما أصبو إليه . . كل ما أريده
هو رضاك وحبك وعفوك ، وأن ترحمنى وتغفر لى
وتجعلنى يارحمن من عبادك الذين يمشون على الأرض
هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

اللهم لا تجعل فى قلبى مكانا للحقد والحسد والكراهية
واجعل قلبى دائما وأبدا مليئا بالنور والحب والرحمة والإنسانية
والإيمان بك والحب لك يا أرحم الراحمين . . يا إلهى . .
يارب العالمين .

● ● ●

كانت هذه هى الكلمات التى رددتها الفتاة ووجدت نفسها تنطق بها . . . . كلمات أثلجت صدرها . . أمدتها بإحساس الأمان والإطمئنان .

وظلت فترة من الزمن تسبح فى هذا البحر . . تذكر الله وتسبّحه

وتقدّسه سبحانه وتثنى عليه وتحمده وتشكره . . تنعم فى نور حب الله . . تتقلب فى نار الشوق إليه . . . تحس بأن كل ما يحيط بها ينطق بالحب . . يشهد بالجمال . . ينعم بالنور والحنان والفيض الكريم .

ثم فجأة وفى ظلمة من ظلمات الليل الموحشة . . فكما أن لليل سكونه فله وحشته ولكن حبها لله وشوقها إليه يبعدها عن هذه الوحشة ولا ترى من الليل إلا هدوءه وسكونه حيث الأمان والسلام ويدعوها إلى السجود لله والشكر له كثيرا ومناجاته بحب فتلمس حنان الله ورحمته .

وفى ظلال الجو الجميل المحيط بها والتى تعيش فيه الفتاة ، بدأت تلوح أمواج البحر الضارية فى الظهور أمامها على بُعد منها . . قادمة إليها . . تنبأها بالخطر المواجه لها وكأنها تريد أن تعاقبها على حبها لله . . وتؤنبها كيف تجرأت أن تشتاق إلى الله . . تهددها كيف انشغلت بالله عن شهوات الدنيا . . تتوعدها بأن ترتبط بالدنيا ونزواتها وشهواتها وإلا فالويل لها .

وبدأت هذه الفتاة تشعر بالخوف يقترب منها والفزع يحيط بها ، وبدأت الأمواج تقترب منها الواحدة تلو الأخرى . . وقبل أن نستكمل عرض سباحة الفتاة فى هذا البحر النورانى ومواجهتها لأمواجه الضارية . . كان لنا وقفة هنا مع هذه الأمواج .

وبدت الرؤ ية واضحة أمام عيناها . . رؤ ية حقيقة هذه الأمواج حيث أن هذه الأمواج تتكون من ثلاث مجموعات وكل مجموعة منهم تتكون من العديد من الأمواج التى لابد أن تصمد الفتاة أمامها . .

إذن فالطريق ليس سهلا . . والسباحة فى هذا البحر ليست بسيطة . . فالمسألة وعرة والطريق مملوءاً بالأشواك ولكنها لابد من التغلب على هذه الأمواج . . ولكن ما هى أقسام هذه الأمواج الضارية التى تواجهها هذه الفتاة .

المجموعة الأولى : أمواج عيوب النفس

وهذه تتمثل فى صفات النفس المذمومة وعيوبها التى تحتاج إلى إصلاح وتهذيب .

المجموعة الثانية : أمواج شهوات النفس

وهذه تتمثل فى شهوات الدنيا التى تضعف أمامها النفس وتحتاج هنا إلى تقويم وتصفية .

المجموعة الثالثة : أمواج آفات النفس

وهذه تتمثل فى الآفات النفسية التى تسيطر على النفس دون أن تشعر وتحتاج إلى تربية وترويض .

هذه هى المجموعات الثلاث من الأمواج ، وكل مجموعة منها تتكون من العديد من الأمواج التى تبين وتظهر عيوب النفس وشهواتها وآفاتها .

وربما يكون هناك مجموعات أخرى من الأمواج خافية على الفتاة لم تكشفها الأيام بعد ، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله وحده .

وهناك معرفة هامة وهى أن شياطين الإنس والجن يساعدون ويعينون هذه الأمواج فى وظائفها حتى تبعد الفتاة عن الله ، وتقطع عليها عروق المحبة لله ، وتشغلها عن غايتها فى القرب من الله .

وبمجرد أن عرفت الفتاة هذه المعرفة حتى أحست بالقوة تسرى فى كيانها تدفعها وتشجعها على المواجهة دون خوف أو تردد حبا لله .

وبدأت أول موجة من أمواج عيوب النفس تقترب من وجه الفتاة وكأنها تضربها بشدة وتؤنبها بعنف على حبها لله ولكن أفاض الله عليها بكشف خطير للفتاة حتى تعرف وتدرك أنها بدأت مرحلة من مراحل الجد والعمل ولا بد من الإهتمام والحرص ومراقبة النفس وهذا الكشف تمثّل بأن أوضح الله لهذه الفتاة نفسها لتراها واضحة دون زيف . . فرأت عيوب نفسها ، وشهواتها وآفاتها .

وتعجبت الفتاة كثيرا لهذه النفس العجيبة التى تحتوى على كل هذه العيوب ، وكل هذه الشهوات ، وكل هذه الآفات وتظن أنها من أهل الصلاح والهُدى .

يا أيتها النفس العجيبة .. لابد أن تغتسلى ..

لابدّ أن تتطهرى .. لابد أن تولدى من جديد .

لقد مسك السوء ، وانغمست فى الشهوات ،

ولعبت بك الآفات .

فلتحررى نفسك وتتطهرى حتى تقتربى من الله .

كيف ستواجهين الله بهذه العيوب والآفات

إن الله جميل .. يحب الجمال .. يحب المتطهرين

ويحب التوابين .

فهيا تطهرى حتى ترتقى فتقتربين فتفوزين الفوز العظيم .

وما ان انتهت الفتاة من ترديد هذه الكلمات حمدت الله كثيرا على كشفه لها . . فما زالت يدُ الرحمة الإلهية ترعاها ، وما زالت لمسات الحنان الربانى تحيط بها وتحنو عليها . وهنا تذكرت حديث الرسول ﷺ :

إذا أحب الله عبدا بصرّه بعيوب نفسه

وها هى الآن ينكشف لها بفضل الله عيوب نفسها وآفاتها وشهواتها التى يجب أن تتغلب عليها .

وبعد أن رأت الفتاة نفسها على حقيقتها . . لا يوجد لها عذرا أو مبررا وأصبح عليها أن تختار إما طريق الله أو طريق الشيطان .

والفتاة اختارت منذ زمن بعيد . . منذ سنوات اختارت حب الله وطريق الله وامتزج بهذا الحب عهد صادق نابع من القلب والوجدان بأن تهب حياتها وطريقها ونفسها لله وحده .

وهى على العهد حافظة . . وعلى الحب صادقة . . وعلى الوفاء مخلصة .

واستكملت الفتاة سباحتها ، وما أن واجهتها أول موجة من عيوب النفس حتى فشلت الفتاة فى التغلب عليها حيث زينت لها نفسها الأمارة

بالسوء هذا العيب وهنا بدأت ترى الفتاة شياطين الإنس والجن وعلى وجوههم الإبتسامة وعلامة النصر عليها والفرحة فيها بأنها لم تستطع أن تتغلب على أول موجة من أمواج عيوب النفس بالرغم من هدوء هذه الموجة وسكونها ، ولاحقتها موجة أخرى من أمواج الشهوات وتدخلت شياطين الإنس فى خداعها بهذه الشهوات وتزيينها وتفشل الفتاة للمرة الثانية وترى الفتاة شياطين الإنس والجن والإبتسامة تعلو وجوههم ويلوحون بعلامة النصر على الفتاة ، ثم تعود وتلاحقها مرة أخرى موجة جديدة من موجات عيوب النفس . . فإن أمواج هذا البحر لا تقبل عليها بالتسلسل أو بالترتيب . . هذه المجموعة الأولى ثم الثانية وهكذا ، وإنما تارة تأتى موجة من عيوب النفس وأخرى من شهوات النفس ثم تعود مرة أخرى إلى عيوب النفس ثم آفات النفس وهكذا . . فلا توجد قاعدة أو ترتيب فى إقبال هذه الأمواج عليها .

وتفشل الفتاة للمرة الثالثة فى قهر هذه الأمواج ، وتحس بخيبة الأمل وتضعف وتكاد أن تنهار حيث ترى شياطين الإنس والجن يبتسمون وفى عيونهم بريق الفرحة يلوحون بعلامة النصر للمرة الثالثة .

وتذكرت الفتاة إرشادات الصوت الذى رأته فى الرؤ ية بالإستعانه بالله وحده ، والتمسك بأسلحتها من الإيمان بالله وحب الله وذكر الله الدائم والصبر .

وبدأت الفتاة تذكر الله كثيرا وتسبّحه كثيرا حتى ينجيها وبدأت الأمواج تلطم بها وكأنها تضربها بشدة عقابا على ذكرها لله وتسبيحها له وأحست الفتاة بقرب إنهيارها حتى فجأة نادت وهى تصرخ صرخة مدوية إهتزت لها كيانها كله وأحست بإهتزاز كل شىء حولها حيث قالت :

ربى رُحماك يا ربى
الطف بى . . وارحمنى
فأنت الرحمن الرحيم ذو الرحمة الواسعة .

وبمجرد أن أنهت الفتاة ندائها حتى رأت فى السماء طيوراً نورانية جميلة الشكل ذات أجنحة بيضاء ، وريش أبيض ناعم وعيون واسعة خضراء اللون تسعد القلب وتسر النفس . . طيور غاية فى الجمال مما جعل الفتاة تقول :

سبحان الله الخالق

ثم سمعت الفتاة هذه الطيور الجميلة النورانية وهى تقول لها :

أبشـرى

وبدأ يتحرك الشعاع النورانى الكائن فى صدر الفتاة حتى انتشر النور فى كيانها ليعطيها القوة ، وسُلط هذا النور على شياطين الإنس والجن فأحسوا بالضعف والإنهيار يقترب منهم ومد هذا النور الفتاة بالقوة والشجاعة حتى قالت لنفسها :

أهكذا أفشل منذ اللحظات الأولى
أهكذا استسلم وانهار منذ البداية

أين حبى لله .. أين قوتى التى استمدها من حبى لله ..
أين صبرى الذى أستعين به على المواجهة .

لا .. لن أضعف هكذا
إن حبى لله أقوى من أى شىء آخر ولابد أن يعيننى ويساعدنى .

وبدأت الفتاة من جديد تواجه هذه الأمواج مرة أخرى حيث عاودت هذه الأمواج فى ملاطمتها وتزيين الباطل لها ولكن الفتاة كانت حريصة تلك المرة .. متيقظة وانتصرت على نفس الأمواج التى فشلت فى قهرهم فى البداية .. وأحست الفتاة بالفرحة لأن حبها انتصر لقد كان حبها لله صادقا .. ولم يكن كلاما وإحساسا فقط ، وها هى النتيجة انتصرت وغلبت نفس الأمواج الأولى التى واجهتها .

ثم رأت الفتاة شياطين الإنس والجن وعلامات الحزن والفزع تملأ وجوههم .. يريدون أن يخفوا وجوههم حتى لا تفضحهم عيناهم من الإحساس بالخيبة والفشل فكان هذا الحوار بين الفتاة وشياطين الإنس والجن :

قالت الفتاة : لماذا تخفون وجوهكم ؟ أتحزنون لأنكم لم تغلبونى ولم تحرزوا النصر علىَّ ؟

قالت الشياطين : لا تفرحى هكذا . . ما أحرزته من نصر فهو نصر مزيف وفرحة مؤقتة ، وإنا لورائك ولن نتركك حتى نقضى عليك وما زالت الرحلة طويلة والأمواج كثيرة .

الفتـــاة : لماذا . . لماذا تريدون أن تقضوا علىَّ ؟
لماذا تحاربوننى . . لماذا تهاجموننى . . ؟
إنى أحب الله . . أتحاربون عابدة
تقول ربى الله . . وينبض قلبها بحب الله . . ؟

الشياطين : هذه وظيفتنا أن نبعدك عن طريق الله . . اننا لا نحب كل من يحب الله ويقترب من طريقه ولذلك نقطع عليه حتى لا يقترب ونحاول بكل قوة أن نبعده عن حب الله .
إنا نغار منك ، نحقد عليك لأنك تحبين الله كل هذا الحب ولابد أن نحرقك قبل أن تحرقينا .

الفتـــاة : لماذا لا تطهرون أنفسكم من كل هذا الشر . . إنى أدعوكم دعوة الخير أن تتطهروا وتدخلوا فى حب الله . . وتسعوا إلى طريق الخير فإن الله غفور رحيم وسيقبل توبتكم إن شاء الله .

الشياطين : لا نريد ذلك ، ولا نستطيع أن نفعل ذلك

الفتـــاة : لمـاذا . . ؟

الشياطين : لأننا أصلا لا نؤمن بالله . . وننكر وجوده ولذلك نسير

الفتـــاة : أستغفر الله العظيم . . أستغفر الله العظيم . . أستغفر الله العظيم .

الشياطين : إستغفرى كما تشائين . .
ولكننا لن نتركك وسنظل ورائك حتى ننال منك
.

الفتـاة : لن تستطيعوا أن تقهرونى أو تغلبونى
فإن نور حبى لله سيحرقكم جميعا

الشياطين : إنك فى حلم وخيال . . لن تستطيعى مواجهتنا

الفتـاة : إن الله معى وحبى له سيعيننى على المواجهة
الشياطين : إنك لن تتحملى الصبر علينا
الفتاة : إن الله معى وسيمدنى بنور من عنده يعيننى على الصبر
الشياطين : انك لن تقدرى على الصمود أمامنا

الفتاة : إن الله معى وسيمدنى بقوة منه سبحانه تساعدنى وتشجعنى على الصمود .

الشياطين : لا تنسى أن لدينا الكثير من أساليب الحيل والخداع والمكر ما يجعلنا نؤدى وظيفتنا بكل سهولة ، وأنت ضعيفة وطيبة ولن تأخذى منا مجهودا كبيرا .

الفتـاة : إنكم تتوهمون . . تتخيلون أشياء لن تحدث
تصور لكم أفكاركم ويوحون إليكم شياطينكم أمانى هى زيف وغرور ، ولقد نسيتم شيئا هاما وهو أن الله هو

خير الماكرين ، وهو سبحانه خير الحافظين وإن حزب الله هم المفلحون .

الشياطين : قولى كما تشائين . . فإنا وراءك ولابد أن ننال منك ولن نتركك وإنا لغالبون .

الفتـاة : إذن . . فالمعركة هى الفيصل بيننا وإنها لمعركتى . . معركة بين الحق والباطل . . معركة الخير والشر . . ولابد أن أحظى بإذن الله وعونه بلقب البطولة حبا لله .

الشياطين : إنك تكذبين . . إنك لا تحبين الله وإنما تحبين ثوابه طامعة فى جنته . . خائفة من ناره تدعّين حبه ولكنك تطمعين فى الكنوز النورانية الكائنة فى هذا البحر .

الفتـاة : يعلم الله إنى أحبه لذاته وحده لست طامعة فى ثوابه أو خائفة من عقابه فحبى له هو وحده . . لذاته وحده سواء أعطانى أم لم يعطى . . سواء منح أو منع . وإذا كنت أحب الله رجاءا فى ثوابه وخوفا من عقابه . . فلن استطيع ان أصمد فى مواجهتكم . . لن استمر حتى النهاية .
اما إذا كنت أحبه لذاته فسأواجهكم وسأستمر حتى النهاية ، وسأتحمل فى سبيله أى شىء .

الشياطين : أنت تكذبين . . أنت تخدعين نفسك

الفتـاة : لست فى حاجة لكى أدافع عن نفسى أمامكم لست فى حاجة لكى أقنعكم بحبى لله فإن الله وحده يعلم ما فى قلبى وما تحس به خلجات فؤادى ،

وما ينبض به كيانى كله من حب وشوق إليه وحنين لرؤياه وكفانى بالله شهيدا .

وإنى أتحداكم . . فلن تستطيعوا أن تقهرونى والمعركة هى الفيصل . . فاليوم يومى ، والمعركة معزكتى ، وكما قلت لابد أن أحظى فيها بلقب البطولة . . بطولة القرب من الله .

واعلموا أن حبى لله أكبر من إمكانياتكم وقدراتكم إنه يحرقكم . . يخيفكم . . يفزعكم . . يلقى فى قلوبكم الرعب منى .
فهيا افتحوا أبواب المعركة . .
أطلقوا ناركم . .
فإن نور حبى لله سيحرق ناركم . . سيبيدكم . . سيفنيكم ويفنى كل ما يرتبط بكم من شهوات ونزوات وآفات وما يحيطكم .

واعرفوا بأننى لن أقبل أن أقضى عليكم فقط وإنما سأجعلكم بعون الله وحده عظة وعبرة لكل من تسوّل له نفسه أن يتبعكم ويسير فى خطاكم .

فهيا إلى المعركة . . افتحوا الأبواب . . وأبشروا بفنائكم بقوة الله وعونه وحده ولن تكسبوا المعركة . . فإن الله ينصر المؤمنين وأستعين بالله وحده عليكم . . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

* * *

ثم دعت الفتاة ربها بقلب ساجد مؤمن مخلص محب :

ربى . . لا أملك سوى حبى إليك
فاللهم أعيننى بهذا الحب عليهم ، وأحرز النصر لى

وان كنت أكذب فى حبى لك فاحرقنى بنارهم
وان كنت أصدق فى حبى لك فاحرقهم بنور حبى لك
ولا تحرمنى يا ربى يا رحمن من رحمتك ورضاك وقربك
ورؤيتك يا رب العالمين

وبمجرد أن انتهت الفتاة من دعائها إلى الله حتى شعرت بنور يملأ كيانها ورأت أنه قد تصب بفضل الله وحده حاجز نورانى كبير يفصل بينها وبين شياطين الإنس والجن ، ويحجبها عنهم .

ثم شعرت الفتاة بالحنان الإلهى يملأ الوجود كله وسمعت الطيور النورانية تسبّح لله الواحد باسم :

لا إله إلا الله الرحمن الرحيم

وسمعت مياه البحر النورانية تسبّح هى أيضا باسم :

لا إله إلا الله العلى العظيم

وسمعت السماء والأرض تسبح أيضا باسم :

لا إله إلا الله اللطيف الكريم

فبدأت الفتاة هى الأخرى تسبح باسم الله الواحد حيث قالت :

لا إله إلا الله رب العرش العظيم
والحمد لله رب العالمين .

وفجأة بدأت الفتاة تشعر بالجوع يمزق جسدها من الآلام . . فأمامها مياه البحر النورانية ترتوى منها كما تشاء ، ولكنها الآن هى جائعة تريد أن تأكل . . تحس بضعف قواها ، ونظرت هنا وهناك لتبحث عن غذاء يسد جوعها فلم تجد شيئا . . فهذه المنطقة خالية من أى نوع من أنواع الغذاء .

ودعت ربها ليرزقها من فضله العظيم ، ورحمة الله دائما واسعة حيث وسعت رحمته كل شىء . . فلم تمر إلا لحظات قصيرة وأشرفت الطيور النورانية فى السماء على الظهور مرة أخرى ثم ألقت بطبق نورانى به حبات نورانية والتقطته يد الفتاة مندهشة من مشهد هذا الطبق النورانى ، ومنظر هذه الحبات النورانية ، وقطعت الطيور لحظات إندهاشها بكلماتهم :

« كلى واهنأى وأشربى واحمدى الله حمدا كثيرا
وكونى من الشاكرين »

وأحست الفتاة بدموعها تغرقها من عظمة لمسات الحنان الإلهى التى تحيط بها . . ومن روعة نسمات الرحمة الربانية التى ينعم الله بها عليها ، وبدأت تشعر بدموعها تلاحقها وكأنها تعلن عن قمة عجزها عن حمد وشكر الله . . فأى كلمات وأى سلوكيات لن تستطيع أن تفى الله حقه من الحمد والشكر والإمتنان . . فما العمل وها هى الدعوة إليها بأن تكون من الشاكرين .

فشعرت الفتاة وكأن قلبها وفؤادها يدعوها إلى السجود لله وحده حمدا وشكرا على فضله العظيم . . فسجدت وأحست بسجود عيناها وقلبها وفؤادها وكيانها كله حمدا وشكرا وحبا لله عز وجل . . واهتزت كل ذرة فى كيانها حبا لله . . وتمنت فى هذه اللحظة الرهيبة التى من المستحيل وصفها أن تفارق الدنيا وتنعم بلقاء الله ، ولكن ما زال فى العمر بقية بأمر الله ، وما زالت الحياة تدعوها إلى العمل ، وما زال حبها لله يناديها بتحمل المسئولية فى جهاد النفس وما زالت غاية القرب من الله تحثها على الإجتهاد والإخلاص وحمل أمانة الطريق . . طريق حب الله .

وظلت الفتاة تحملق فى الطبق النورانى الذى تحمله يداها ، وتحدّق فى الحبات النورانية التى أمامها . .

كيف تكون هذه الحبات . . ؟
ومم تتكون . . . ؟
وماذا يكون مذاقها . . ؟

أسئلة دارت فى لحظات خاطفة فى رأس الفتاة ولا تعرف إجابة عليها . . استغرقت فى تفكيرها وغاصت فى أعماق التأملات حتى نسيت تماما ما كانت تحس به من جوع ، وكأن هذا المنظر وهذا المشهد أشبعها وشفاها تماما من آلام الجوع التى كانت تشعر بها ، وتقطع الطيور النورانية حبل إستغراقاتها وتأملاتها لتعاود دعوتها مرة أخرى فى أن تأكل وتنعم برزق

الله لها وتتمتع بطيبات الله لتشهد فضل الله العظيم على عباده وتحمد الله كثيراً .

وبدأت الفتاة تفيق من إستغراقاتها وتأملاتها حتى أحست بأنها أمام حقيقة . . حقيقة حية نابضة تشهد فى كل لحظة بآثار فضل الله . . ولمسات حنان الله . . وآيات حب الله . . ونسمات رحمة الله . . وشواهد نعمة الله . . ودلائل قدرة الله . . حقيقة هى آية شاهدة ناطقة نابضة بالحب تتجلى فيها عظمة الله جل جلاله .

وبدأت الفتاة تلتهم هذه الحبات النورانية . . رزق الله لها بعد أن استهلت غذائها بالتسمية .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

وعجزت الفتاة عن أن تصف مذاق هذه الحبات النورانية أو أن تعطى لها وصفا محددا هل هكذا يريد الله أن تعجز عن الوصف حتى تشهد بعظمة وجمال النعمة التى أنعم الله بها عليها أم أراد سبحانه أن يخصها بهذه النعمة لتدرك وتحس بكل ذرة فى كيانها لمسات الحنان الإلهى عليها ، ونسمات الرحمة الربانية بها إذ أنها كانت تبحث عن غذاء لتسد جوعها به ، وعندما لجأت إلى الله ليرزقها من فضله العظيم فاستجاب إلى دعائها ورزقها بهذه الحبات النورانية التى تسد جوعها وتملأها نوراً وحبا لله ، وهذه ذرة ضئيلة من فضل الله العظيم الذى لا ينفد ولا يقف عن حد . . أم أراد سبحانه أن يرزقها من فضله لتشهد نعمة الله فتهنأ ولتزيدها إيمانا وحبا لله فتمدها بقوة ونور يعينها على مواصلة السباحة ويشجعها على مواجهة ما ينتظرها من أمواج وشياطين ومخلوقات تريد أن تبعدها عن الله وتقطع عليها الطريق إلى الله .

أم هى كل هذه الأسباب معا مما يمثل ويعنى أنه إحسان الله إليها مما يزيدها حبا ودعوة لتحفظ الإحسان الإلهى عليها بالطاعة والصبر وذكر الله الدائم وحمده سبحانه وتعالى والإستعانة به وحده .

فعجزت الفتاة عن وصف هذه الحبات النورانية ، كما عجزت عن

حمد وشكر الله على فضله العظيم الذى لا يوجد فى الوجود شىء يفى حقه من الحمد والشكر ، إلا أن إدراكها وإيمانها بأن الله العظيم يقبل سجدة الشكر بإخلاص وصفاء وقلب سليم يقول وينبض فى كل لحظة بكلمة :

« الحمد لله رب العالمين
رب السموات والأرض
رب العرش العظيم »

فسجدت وسجد معها كل ذرة فى خلجاتها .. سجدت بجسدها كله ، وسجد معه قلبها وروحها وفؤادها .. إنه مشهد السجود العظيم لله الواحد الرحمن الرحيم .. لا توجد كلمات أوحروف تنطق غير كلمات الحمد وحروف الشكر لله العلى العظيم قائلة :

« الحمد لله رب العالمين
رب السـموات والأرض
الرحمن الرحيم
رب العرش العظيم »

وحمدت الله كثيرا على هذا الغذاء النورانى ، وعلى لمسات الحنان الالهى التى يفيض الله بها عليها فى كل لحظة .

وبمجرد أن أفرغت من غذائها وبدأت تشرب من مياه البحر النورانى لترتوى .. حمدت الله كثيرا قائلة :

« الحمد لله الذى أطعمنى وسقانى
وجعلنى من المسلمين له وحده
ومن الموحدين به هو وحده
والحمد لله رب العالمين »

واستمرت الفتاة فى سباحتها تحمد الله وتسبّحه وتذكره كثيراً وتثنى عليه وتشكره على فضله العظيم وأشرق الله عليها بالنور والحب والجمال وظلت فترة تهنأ بسباحتها ترى الجمال فى كل شىء .. تحس بالود والألفة مع كل الكائنات تشترك معهم فى التسبيح والتقديس لله سبحانه وتعالى ..

تشعر بالنور يملأ قلبها ووجدانها ويفيض على الوجود كله .

وظلت سابحة فى لمسات حنان الله ، هائمة فى آيات حب الله . . متلهفة للقائه . . يحرقها الشوق والحنين إلى رؤ يته سبحانه . . ولا يبرد نار شوقها اليه إلا ذكره وتسبيحه والثناء عليه سبحانه .

كان الهدوء يخيم على كل شىء ، والسكون يحيط بكل ذرة فى الكون مما يعطيها الإحساس بالسلام والأمان والإستقرار وكأن قلبها طائر يرفرف فى سماء الحب ينعم بجمال صنع الله وجلال قدرته ، وعظيم آلائه الكبرى مما يجعلها تحس بأن كل ذرة فى كيانها تقول وتنبض بنبضات ناطقة مرددة :

سبحانه الله الخالق الذى خلق كل شىء فأحسن خلقه
سبحانه الله المبدع . .
سبحان الله الحى القيوم الذى لا إله إلا هو . .
رب العالمين . . رب العرش العظيم

واستمرت على هذه الحال فترة تذكر الله كثيرا ، وتسبّح الله وتشكره وتثنى عليه وتحمده على فضله العظيم مما جعلها تهنأ وتنعم وتتأمل فى عظمة الله سبحانه وتعالى وأصبحت تحس بالجمال يحيط بكل شىء حولها ، والنور يفيض بإشراقاته على كل ذرة كائنة تحيط بها حتى أحست بأن كل شىء فى الوجود وكأنه أصبح قلوباً نورانية تنبض بالحب العظيم لله عز وجل .

وظلت فترة تهنأ بهذه الحياة . . حياة السلام الروحى . . والسلام مع الكائنات . . حياة السلام مع الوجود كله . . الحياة الطيبة التى تجعل الإنسان ينعم بالسلام والأمان والحب والجمال .

وفجأة وبلا أية مقدمات أحست بإنقباض شديد فى قلبها ورأت كأن سحابة سوداء فى السماء تهل وكأنها تنذرها وتحذّرها بأن شيئا ما خطيرا سيواجهها ، وظلت تسبّح الله وتذكره حتى يختفى ما تحس به من الإنقباض والفزع الذى سيطر على قلبها . . ولكن بدأ هذا الإحساس يتزايد مما جعلها تشعر أنه ليس مجرد إحساس وإنما هو إنذار يعلن عن حقيقة ستظهر أمامها

بعد لحظات وعليها أن تحترس ، وأن تستمد قوتها من إيمانها بالله وحبها له سبحانه وتعالى وألا تنسى أسلحتها التى زودها الله بها .

وكما أقبل عليها هذا الإحساس والشعور المخيف فجأة ، بدت الحقيقة واضحة أمامها أيضا فجأة ودون أية مقدمات فلقد رأت أمامها وعلى قرب منها مخلوق بشع الشكل يقترب منها لا تعرف إذا كان شيطان أم شىء آخر . . وهذا المخلوق شكله كسمك القرش ولكنه ليس هو سمك القرش . . لم تستطع هذه الفتاة أن تحدد نوعه لأنه كان شيئا غريبا بشعا لم تسمع به من قبل ، وقبل أن يقترب هذا المخلوق البشع منها جاءتها هذه المعلومات عنه :

- إن هذا المخلوق البشع الشكل المخيف اسمه « حرابيس »
وجاء للفتاة تفصيل حروف هذا الاسم :

ح ، ر : رمز الحرب
أبيس : الألف الذى
البـاء به أو بواسطته
اليـاء يفتك
السين الإنسان

وبذلك يكون تفصيل اسم حرابيس : هو مخلوق الحرب الذى به يفتك الإنسان .

- ان هذا المخلوق أسود اللون - ضخم الحجم
- ثم جاءها أن هذا المخلوق البشع . . من طبيعته أن يظل فاتحا فمه . . لا يستطيع أن يغلقه ابدا .

ففتح فمه : رمز القوة والسيطرة والحياة بالنسبة له
أما غلق الفم : فهو رمز الضعف والدمار والموت بالنسبة له
ولذا فهو يظل فاتحا فمه بصفة دائمة ، لا يغلقه ابدا .

- ان هذا المخلوق قوى جدا ، ويستطيع أن يلتهم أى شىء أمامه

سواء أكان إنسان أم شيء آخر وله قوة لا يستطيع أحد آن يواجهها أو يغلبها إلا بعون الله وحده .

هذ هى المعلومات التى جاءت لهذه الفتاة عن هذا المخلوق .

ولم تعرف الفتاة هل هو من جنس الشياطين أم هو شيء آخر من المخلوقات التى لا نعرف عنها شيئا ولذلك لم تستطع الفتاة أن تحدد نوعه ، ولكن من فضل الله عليها أن زودّها بهذه المعارف عنه قبل مواجهته .

وفجأة اقترب هذا المخلوق البشع منها إلى درجة أنه أمسك بها يريد أن يلتهمها وكل ذلك وهو فاتحا فمه . . ينظر اليها على أنها فريسته ولابد أن ينقض عليها ويلتهمها .

وبدا الفزع والخوف على هذه الفتاة التى أصبح كل ذرة فى كيانها ترتجف وترتعش بعد أن أمسك بها وأحست أن نهايتها تقترب ولكنها لا تنسى الله ابداً ، وتذكر الله كثيراً داعية لاجئة إلى الله بأن ينجيها وأحست بتحرك الشعاع النورانى فى صدرها وسمعته يقول إسم : الله ، وكأنه يوجهها لما تفعله . . كل هذا فى لحظات ، وهذا المخلوق مازال يمسك بالفتاة .

وعرفت الفتاة بالرسالة الموجهة اليها من الشعاع النورانى وبدأت تقول إسم :

الله . . الله . . الله

بصوت عال وبدأت تغلق بيدها فمه المفتوح أثناء تسبيحها وهى تصرخ باسم الله فلقد جاءها من قبل بأن غلق فمه يعنى الضعف والدمار والموت له .

واستمرت تصرخ وتصرخ وهى تسبّح باسم الله وبدأت بشائر الفرج تأتى حيث بدأ فمه يقفل بالتدريج ناظرا إليها محاولا المقاومة ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئا . . فلقد كان إسم الله يضعفه ويدمره وبدأ يغلق فمه رويدا رويدا . . ولم تيأس الفتاة وظلت هكذا تقول إسم الله حتى أغلق فمه تماما . . وهنا رأت بأنه انهار وضعف واغمض عينيه ، ووجدت الفتاة نوراً خارجا من صدرها منبثقا من الشعاع النورانى الكائن فى صدرها مسلطا عليه .

وبمجرد أن سلط هذا النور عليه حتى اختفى تماما هذا المخلوق البشع .

وبذلك فإن اسم الله هو الذى قهره ، وهو الذى هزمه ودمره وقضى عليه .

هذا المخلوق البشع المخيف ذات القوة الجبارة الذى لا يستطيع أحد أن يواجهها أو يقف أمامها أو يغلبها . . لقد غلبه اسم الله ودمره تماما حتى لم يعد له وجود أو أثر

ما أعظم الله . . ما أروع لمسات حنانه . . !

لمسات تضفى المعرفة والعلم والنور . .
لمسات هى آيات ناطقة . . شواهد نابضة . .
دلائل حية تشهد بقدرة الله جل جلاله .

وتسجد الفتاة ودموعها تغرقها حامدة شاكرة الله على لمسات حنانه وفيوضات رحمته عليها .

فلقد أنقذها سبحانه ونجاها من هذا المخلوق البشع الذى كاد أن يفتك بها ويدمرها . .

ولقد علمها الله عز وجل بأن تدميره وهزيمته وسحقه لن يكون إلا باسم الله .

وعرفت الفتاة وتعلمت من هذا الموقف أن إسم الله يسحق كل شر . . ويدمر كل آثم . . ويقضى على كل معتدى .

وعرفت الفتاة أن باسم الله وحده تستطيع أن تحقق الفوز بالأمان والسلام والإستقرار ، وأن تنعم فى حياتها وبحياتها وأن توجه كل خير وكل نعمة ينعمها الله عليها هى فضل من عنده وحده إلى طريقه سبحانه وفى سبيله وحده عز وجل .

وأيقنت الفتاة بأن الحياة جميلة ولكن الإنسان هو الذى يفسدها بتجبره وتسلطه وسيطرته وأطماعه التى لا تنتهى ولن تنتهى .

وآمنت الفتاة بأن كل إنسان يستطيع أن ينعم بجمال هذه الحياة ما دام فيه قلب ينبض بحب الله موجها كل ذرة فى كيانه لتردد فى كل لحظة إسم :

الله

لا تعرف الفتاة كيف تحمد الله . . كيف تشكره سبحانه على فضله العظيم لقد عجزت تماما عن القدرة على شكر الله فهى تحس بالعجز الكامل . . والفشل التام فى أن تحمد الله على لمسات حنانه الكبرى وآيات حبه العظمى وأحست بعجز كل شىء حولها ويحيط بها عن حمد الله .

ولكن مع كل هذا العجز . . ينبض قلبها بحب كبير لله تعيش فيه وتحيا به وله مما أثمر عن هذه الكلمات التى رددتها الفتاة وتعبر عن عجزها وحبها الذى يملأها مما جعلها تشعر بالشوق إلى الله . . وكانت هذه الكلمات هى :

ربى . . .
إن السطور لا تمهلنى والصفحات لا تكفينى ،
وأصبح كل شىء عاجز ساكن فاقد الحس والقدرة
بما أوتيته من طاقة وحركة . . . .
فهو أمامك يا ربى عاجز أمام حبك . . . .
فان منتهى . . ان كل شىء يسجد لك وحدك . . .
لقدرتك العظيمة . . . لجلالك . . . لسلطانك . . .
جل جلالك وعظمت قدرتك وتقدّست ذاتك .

يا ليتنى كنت أستطيع أن أعبر عن حبى لك
الذى يختلج كيانى كله يا ربى ولكنى لا أعرف كيف . . !
لقد عجزت حتى ان أكون كلمة تستطيع أن تعبر عن
حبى وشوقى وحنينى إليك . . . .
إنى أسجد لك أنت وحدك يا ربى ،

ويا ليتنى كنت أستطيع أن أسجد لحظات عمرى كله
حبا لك . . وشكرا لك . . وطاعة لك . .
ووفاءاً لك على فضلك العظيم وإحسانك العميم .

كانت هذه هى الكلمات التى رددتها الفتاة فى نفسها معبرة عن قمة العجز والحب لله عز وجل والشوق الجارف والحنين المتلهف إليه سبحانه .

وتستمر الفتاة فى سباحتها تتأمل فى كل شىء حولها تحس بجمال صنع الله فى كل ذرة تحيط بها . . كل شىء يذكّرها بالله ، وبقدرة الله ، وبعظمة الله . . كل شىء ينطق بحب الله ، ويشهد بحنان الله ، ويلمس رحمة الله .

كانت الفتاة تسبح فى مياه البحر النورانية . . تتبصر فى كل شىء يدور حولها وكأنها تحاول أن تغوص فى أعماقه ، وأحست بحقيقة هامة تعيش فيها وتلمسها بنفسها فى كل لحظة وهى :

إن دقات قلبها تعلو وتدق ساجدة حبا لله ، وتحس بأن كل نقطة دم تجرى فى عروقها ، وكل ذرة فى كيانها تنبض بالحياة ساجدة حبا لله . . كل ما فيها يسجد حبا لله ، وملأها النور وأحست بكل كيانها يتفاعل ويهيم فى حب الله فلمست نبضات نورانية تنبض بالحب لله مشتاقة إلى الله يحرقها الحنين للقاءه . . ممتزجة بلمسات من الحنان الإلهى فأحست بإشراقات عظيمة من حنان الله وحب الله مما جعلها دون أن تدرى تنطق بكلمات هى نبض إحساسها وخلجات شعورها بلمسات الحنان الإلهى . . وآيات الحب الربانى . . وكأن قلبها كان يأمر لسانها كى ينطق بها .

وكان لنا هنا وقفة مع هذه الكلمات التى تولدّت من إحساس عظيم بحب الله ، وتفجرّت عن لمسات صادقة ، ونبضات صافية طاهرة تشهد وتنطق بالحنان الإلهى والحب الربانى . . وكانت هذه الكلمات تحت عنوان :

من هو .. يا ربى ؟

من هو أحن علىَّ منك يا ربى .. ؟
من هو أحب إلىَّ منك يا ربى .. ؟
من هو أرحم بى منك يا ربى .. ؟

من يعيننى غيرك يا ربى .. ؟
من يحمينى غيرك يا ربى .. ؟
من ينجينى غيرك يا ربى .. ؟

من هو حافظ لى إلا أنت يا ربى .. ؟
من هو ناصر لى إلا أنت يا ربى .. ؟
من هو واهب لى إلا أنت يا ربى .. ؟

من يؤنس وحدتى .. ويسعد غربتى .. ويسكن حيرتى .. ويوقظ غفلتى .. ويشفى علتى .. ويغفر خطيئتى إلا أنت وحدك يا ربى .

فأنت وحدك الذى تهدينى وتطعمنى وتسقينى وترزقنى وتشفينى وترحمنى وتسعدنى وتطهرنى وتحيينى وتميتنى إنك أنت الحى القيوم الرحمن الرحيم مالك الملك ذو الجلال والإكرام .

* * *

سبحانك ربى ورب العالمين .. خالقى وخالق الوجود .. لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك الوهاب الرزاق السميع العليم القادر على كل شىء ..

ذهلت الأبصار . . وارتعشت الافئدة . .
ووجلت القلوب من عظمة قدرتك . . وقدسية ذاتك . .
وفيوضات عطائك . . ولمسات حنانك . . وآيات حبك
ساجدة خاشعة شاهدة بوحدانيتك وجلالك وقدرتك

سبحانك رب العالمين رب العرش العظيم
أنت الله الأحد الصمد نور السموات والأرض
منك الفضل وإليك الحمد ، والنعمة لك والملك
تهب من تشاء وتحيى وتميت وأنت على كل شىء قدير

ربى لا تحرمنى من آيات حبك ، ولا من لمسات حنانك
ولا من آثار رحمتك .

ربى لا تحرمنى ابدا من عطائك الفياض ونورك الوهاب
انك أنت ذو الفضل العظيم .

* * *

لقد أثرت هذه الكلمات فى الفتاة تأثيرا كبيرا ، وذابت معها ذوبا حيث أحست بالأمان والإطمئنان فى رحاب لمسات الحنان الإلهى وفى ظلال آيات الحب الربانى .

لقد كانت هذه الكلمات موجها للفتاة لكى تحمد الله أكثر وتشكره سبحانه أكثر ، وتثنى عليه وتقدسه عز وجل أكثر وتذكره ذكراً كبيرا .

واستمرت الفتاة فى حمد وشكر الله والثناء عليه سبحانه وتقديسه جل جلاله وذكره عز وجل ذكراً كثيراً حتى أحست بالنور يسرى فى كيانها . . يجرى منها مجرى الدم وتشعر بأنها تذوب فى هذا النور ذوباً . . من الصعب جداً وصف كيف تكون مشاعر الفتاة عند ذكرها لله . .

إنها تحس بمشاعر وتتفاعل بها وتنعم فيها عند ذكرها لله وكأنها أغنية حب تذكر فيها الله وتحمده على فضله العظيم وتثنى عليه وتشكر له لمسات

حنانه وآيات حبه . . أغنية تستمتع بكل كلمة فيها . . تنعم وتذوب فى كل اسم تسبّح به الله عز وجل . . إنها أغنية حب لله العلى العظيم لها أوتار ونغمات جميلة راقية تتغنى بها فتاتنا وتشترك معها الكائنات والمخلوقات فى الغناء بحب الله ، والثناء على الله ، والتقديس والتسبيح والشكر لله وحده لا شريك له . . فتسمو وترتقى بها إلى عالم آخر فتحلق فى سماء حب خالد باق لا ينتهى يجرى فى دمها وعروقها تحيا به وله . . حب يضىء حياتها ويبعث النور على كل ذرة فى كيانها وينتشر مع كل خلجة من خلجاتها ، ويرقى بها وبوجدانها مع كل همسة من همساتها إلى عالم آخر حيث الصفاء والنورانية تمتزج بقلب لا يعرف إلا حب الله ، ولا يفيض إلا حبا لله ولا ينبض إلا بحب الله .

وأحست الفتاة بأن النور الذى يجرى فى دمها ليس كافيا . . فهى تتعطش إلى المزيد لترتوى من النور . . لقد أصبح جسدها يرتوى من النور ، ويتغذى على النور . . ولقد كان فضل الله عليها عظيما حيث هداها لكى ترشف ما تحتاجه من مياه البحر النورانى وبسرعة بدأت ترشف برشفات كثيرة ، وكلما ترشف رشفاتها تحس بالإحتياج إلى المزيد ، وهكذا ظلت فترة ترتشف وترتوى من مياه البحر وكأن هناك شيئا ما يقودها إلى أن ترتوى وترتوى ويسمح لها هذا الشىء بأن تأخذ ما تحتاجه من هذه المياه النورانية .

وفى غمار سباحتها فى بحر الحب الإلهى ، وأثناء إرتوائها من مياهه النورانية أحست بأن مياه البحر النورانى تدفعها إلى أسفل وكأنها تحتضنها لتغوص فى الأعماق وفى أعماق منطقة معينة كانت تسبح هذه الفتاة فيها جرفتها المياه إلى أعماق الأعماق وهناك رأت شيئا غريبا وكأن هذه المياه جرفتها وشدّتها لتغوص فى الأعماق ولترى شيئا من فضل الله بأمر الله ولقد كان هذا الشىء هو :

أنها رأت أمامها ثلاث جواهر براقة لامعة نورانية متساويين فى الحجم والشكل . . جوهرة ذات اليمين وأخرى فى الوسط ، والثالثة ذات جهة اليسار .
والجواهر الثلاث ذات لون أبيض شفاف نورانى براق .

ورأت الفتاة نفسها واقفة أمام الجوهرة التى فى الوسط وعندما نظرت اليها قالت :

الله

فرأت أن مكتوبا على الجوهرة باللون الأبيض النورانى
مصـر الآمنـة

ثم فُتحت هذه الجوهرة فرأت مصر وعليها بياض ونور وجاءها بأن شخصا فى مصر اسمه محمد سينشر النور فيها وسيقضى على جميع المفسدين .

ثم أُغلقت الجوهرة مرة أخرى .

وجاء للفتاة أن هذه المعرفة جزء مما فى الجوهرة أما ماذا عن باقى الجوهرة أو ماذا فى داخلها فلم يأذن الله بالكشف لها عنها كما أنها لم يُكشف لها ما هى الجوهرة التى فى جهة اليمين والجوهرة التى فى جهة الشمال ، وماذا بداخلهما .

وكان لنا هنا وقفة تأمل مع الفتاة عند هذه الرؤ ية ، كما وقفت هى أيضا عندها مما قادنا إلى طرح هذه التساؤ لات :

* لماذا وقفت الفتاة أمام الجوهرة الكائنة فى الوسط ولم تقف أمام التى تقع فى اليمين أو الأخرى الكائنة ناحية اليسار ؟

* لماذا فُتحت الجوهرة الكائنة فى الوسط عندما قالت اسم الله ولم تُفتح الكائنة فى اليمين والأخرى الكائنة جهة اليسار . ؟

إذن فلقد كان هذا أمر الله وفضل الله بأن تقف أمام الجوهرة التى تقع فى الوسط فقط وأن تُفتح لها هذه الجوهرة فقط دون الجوهرتين الآخريتين حيث لم يأذن الله أن يكشف لها ماذا فى الجوهرتين الآخريتين .

كما أن ما كُشف لها فى الجوهرة التى تقع فى الوسط ليس كل ما فى الجوهرة وإنما هو جزء بسيط منها .

إذن فهذا هو أمر الله أن يحدث لها هذا أن تقف فى هذا الموقع بالذات لترى شيئا من فضل الله .

حقا إن الله يعطى من علمه لمن يشاء ، وبالقدر الذى يشاءه سبحانه .

وعرفت الفتاة الآن معنى دفع مياه البحر النورانية للفتاة لتغوص فى الأعماق لترى شيئا من فضل الله وبأمر الله وحده .

ونفس هذه المياه التى دفعتها إلى أسفل . . دفعتها مرة أخرى إلى سطح المياه لتستنشق الهواء النقى وتستمتع بالشمس الساطعة الدافئة .

وأصبحت الفتاة مرة أخرى على سطح المياه ، تستنشق الهواء النقى وتستمتع بأشعة الشمس الدافئة ناظرة إلى ما حولها من خلق الله وتقول :

سبحان الله العظيم

وتتأمل فى السماء كيف خلقها الله دون أعمدة .

السماء . . عالم آخر . . لا ندرى عنه شيئا ، ولا نعرف ماذا يحدث فيه . . عالم هو غيب عنا . . فسبحان الله عالم الغيب وحده مالك الملك وحده .

وتتأمل الفتاة فى الشمس وأشعتها الدافئة التى تشع عل كل شىء فى الوجود . . كيف خلقها الله عز وجل هكذا . . وكيف أعطاها القدرة على إرسال أشعتها . .

حقا . . سبحان الله الذى خلق كل شىء ثم هدى . . نعم هداه إلى وظيفته فى الحياة .

وبدأت الفتاة تتأمل فى كل شىء خلقه الله وتقول :

سبحان الله الخالق
سبحان الله المبدع
سبحان الله الوهاب
سبحان الله الرشيد
سبحان الله العظيم

وتستكمل الفتاة سباحتها فى بحر الحب الإلهى . . حامدة شاكرة فضل الله . ذاكرة له سبحانه . . لاجئة إليه وحده . . مستمتعة بسباحتها تنعم بإشراقات نورانية أثناء ذكرها لله تتغنى بالثناء على الله والتقديس له سبحانه وتشعر بأن الكائنات تشترك معها فى هذا الغناء بالتسبيح والتقديس لله عز وجل .

إنها نغمات فى حب الله . . أوتار تشتاق إلى الله . . لمسات تنبض وتلمس حنان الله . . كلمات فى شكر الله وذكره سبحانه والثناء عليه وحده . . فيتفاعل كيان الفتاة كله حتى تشعر بالإنسجام مع الكائنات والسلام مع الوجود وكأنهم جميعا يتحدثون بلغة واحدة يعرفونها جيدا هى لغة الحب لله .

تقف الحروف والكلمات مشلولة عاجزة أمام وصف حب الفتاة لله فهى تحس بأن حبها لله شيئا عظيما لا تستطيع أن تصفه ،
وكيف تصف المشاعر والأحاسيس التى تنبض بحب الله . .
وكيف تصف احتراق الفؤاد والقلب بالشوق إلى الله . .
وكيف تصف لهفتها وحنينها للقاء الله .

وتشعر الفتاة بتغيير عجيب فى جسدها وكيانها كله أثناء ذكرها لله ولجوءها إليه وحده حيث تحس بأنها ارتفعت من على سطح الأرض وأصبحت شيئا يذوب فى حب الله ، ويسكر فى حنان الله ، ويهيم فى رحمة الله تحس بأنها أصبحت شيئا يذوب ذوبا فى نور الله مما يقودها إلى الإحساس بالعجز فى وصف حبها لله ، وترى بأن هذا العجز هو القلم الجرىء الذى يعبر عن مشاعرها ونبضاتها وأحاسيسها . .
وهو الصدق فى قمته ومعناه الحقيقى . .
وهو الصفاء فى جوهره . .
وهو الإخلاص فى حقيقته . .
فهو قمة الحب لله .

وكما تعجز الفتاة عن وصف حبها لله ، فهى تعجز أيضا عن شكر وحمد الله وإذا كان عجزها عن وصف حبها لله هو قمة الحب لله . . فإن

عجزها عن شكر الله وحمده هو قمة الشكر له سبحانه .

وتستمر الفتاة على هذه الحالة تتقلب فى نار الحب لله والشوق إليه سبحانه تحرقها نيران اللهفة والحنين إلى لقاءه . . تشعر بأن قلبها تغير وأصبح قلبا يفيض بالحب على كل شىء حبا فى الله ومرضاة له وحده . . قلبا يعرف الحب ولا يعرف الكراهية . . قلبا يسعى إلى الخير وينبذ الشر . . قلبا يطمع فى رضا الله والقرب من الله .

وتستكمل الفتاة سباحتها . . تجرى الأيام بها وتعيش أجمل وأحلى وأروع لحظات عمرها فى حب الله . . وتشعر بأن هذا الحب هو الحقيقة الوحيدة فى حياتها . . وكل ذرة فى كيانها تنبض به حيث تحس بأن فؤادها وقلبها وكل خلجة من خلجاتها . وكل همسة وكل ذرة فى كيانها هى نبضات نورانية تنطق وتشهد بالحب لله .

وفجأة وفى ذات يوم ، وفى احدى هذه اللحظات الرائعة التى تشعر فيها الفتاة بـ ـضات نورانية بحب الله وجدت نفسها تنطق بكلمات دون أن تدرى وكأنها تحفظها عن ظهر قلب . . كلمات وكأنها قصيدة حب لله ، وتندهش الفتاة كيف نطقت بهذه الكلمات فجأة وكأنها تحفظها . . وكيف حفظتها لكى تقولها هكذا وخاصة إنها مناجاة طويلة ، ولقد اهتزت الفتاة من هذه الكلمات اهتزازا غريبا كما أحست بإهتزاز كل شىء حولها من هذه الكلمات . .

فلقد كانت ولا زالت لهذه الكلمات تأثيراً غريبا فى نفسها يختلج بكل ذرة فى كيانها ويمتزج بكل نبضة من نبضاتها .

ولقد كان لنا هنا وقفة مع هذه الكلمات التى نطقت بها الفتاة فجأة ودون أن تدرى وكأنها تحفظها عن ظهر قلب . .

وكانت هذه الكلمات تحت عنوان :

عيون لها نور من الله

يأيتها النفس . .

كيف تقبلين أن يشغلك شيء عدا الله . . ؟
كيف تقبلين أن يسيطر ويستحوذ عليك حب سوى حب الله . . ؟
كيف تقبلين أن تشكين وتلجأين لغير الله . . ؟

لا . . لم ولن يكون .

يا إلهي . .

لك أنت وحدك أسمح لقلبي أن يحب . .
إليك أنت وحدك أسمح لوجداني أن يشتاق . .
بعطائك أنت وحدك أسمح لروحي أن تنعم . .
بحبك أنت وحدك أسمح لكياني أن يتفاعل . .
لكلماتك أنت وحدك أسمح لفؤادي أن يهتز . .
لك أنت وحدك وعلى أرضك أسمح لجسدي أن يسجد . .
لك أنت وحدك أسمح لنفسي وكياني كله أن يسبّح . .
لنعمتك أنت وحدك أسمح لنفسي وكياني كله أن يشكر . .
لفضلك أنت وحدك أسمح لنفسي وكياني كله أن يحمد . .

في عظمتك أنت وحدك وقدرتك وآياتك في الكون والوجود
أسمح لفكري وعقلي أن يتأمل ويتدبر ويتفكر ويتبصر ويتعقل .

بك أنت وحدك أسمح لنفسي أن تنشغل
فيك أنت وحدك أسمح لنفسي أن تأمل
عندك أنت وحدك أسمح لنفسي أن تأمن

بذكرك أنت وحدك أسمح لقلبي أن يطمئن
لك أنت وحدك افتح الباب لقلبي ووجداني وعقلي
وفكري، مشاعري وأحاسيسي وكياني كله

كى ينبض بالحب . . ويحترق بالشوق .
ويتمزق حنينا لرؤياك ولقاءك .

أهناك قلوب تحبك أكثر منى . . ؟
أهناك قلوب تشتاق إليك كما أشتاق إليك . . ؟

ربى . . .

اغفر لى . .
لمْ أقصد أن أغتر . .
لم أقصد أن أنسى نفسى أو حقيقتى كعابدة لك
وكيف أنساها وأنت سبحانك خالقها وموجدها
إذا نسيتها نسيتك وغفلت عنك
وهذا ما لم ولن أطيقه .

وإنما إنى أحبك ، واتمنى أن أعرف القلوب التى تحبك . .

أين أنت يأيتها القلوب المحبة لله . .
ماذا تفعلين حبا لله . . ؟
كيف تحترقين شوقا إلى الله . . ؟
ماذا تقدمين شكرا لله . . ؟

ربـاه . . .

ما هذا الذى أفعله . . !
مرة أخرى أقع فى الخطأ والغفلة والنسيان
حقا . . إن النفس لأمارة بالسوء .

ديف أبحث عن الحب والإرشاد والنور عند الآخرين
وأنت موجود يا إلهى . .
هم الفقراء . . وأنت الغنى الحميد
النور عندك . . والحب عندك . . والحنان عندك . .
والإرشاد عندك . . والعلم عندك . . والخير كله عندك .
فأنت سبحانك الرشيد ، والمعين ، والكافى ، والعليم ،

والغنى الحميد . .
صاحب الأمر والفضل . .
ومالك الملك ذو الجلال والإكرام .

فكيف أسأل غيرك عما أحتاج إليه
أغفر لى يا ربى نفسى الأمارة بالسوء
وأسجد لك أنت وحدك وأغوص فى أعماق السجود
لعل سجودى لك يرحمنى وينجينى من الخطأ الذى وقعت فيه
طامعة فى المغفرة والرحمة .

إنك أنت الغفور الرحمن الرحيم
رب العالمين رب العرش العظيم

ربى . .
هذا عهد علىَّ . . وإن العهد كان مسئولا . .
لم ولن الجأ إلا إليك أنت وحدك
لم ولن استعين إلا بك أنت وحدك
لم ولن أسأل إلا أنت وحدك .

ربى . .
علمّنى كيف أحبك
عرّفنى كيف أشتاق إليك
أرشدنى إلى طريق شكرك

اللهم ربنى ، وهذّبنى ، وأدبنى ، وقوّمنى ، وادفعنى إلى ما يرضيك .

أريد أن أحبك أكثر
أريد أن أشتاق إليك أكثر
أريد أن أشكرك أكثر
أريد أن أقترب منك أكثر

فما هو السبيل إلى ذلك . . ؟

إن قلبى ينبض بحبك
ويحترق شوقا إليك
ويتمزق حنينا للقاءك ، متلهفا على رؤياك . .

لقد نفذت جميع طاقتى فى حبك
واستنفذت كل قدرتى للإقتراب منك
فماذا أفعل . . ؟

يا أرض سجلى حبى لله . .
يا سماء إشهدى على شوقى إلى الله . .
يا كائنات شاركينى فى التقديس لله . .
يا مخلوقات أكتبى شكرى إلى الله . .

يا سماء . . ماذا بك . . ؟
يا أرض . . ما الذى حدث . . ؟
يا كائنات ، ويا مخلوقات . . ما بالكم ، ما الذى جرى ؟

لماذا تبكون جميعا . . ؟

إنا لنبكى من خشية الله . .
يشدّنا الحب العظيم لله . .
يهزّنا الشوق الجارف إلى الله . .

وإنا لعاجزين عن إحتواء حبك . .
فلن يعرف مقدار حبك لله إلا الله وحده .

ربى . . .

إن قلبى يتمزق من الفراق . . يتألم من البعد . . يحترق من الشوق
يريد أن ينفض من مكانه ويقفز ليصعد إليك
ويقترب منك ليقدم حبه العظيم إليك الذى عجزت الكلمات عن وصفه ، والسماء والأرض والكائنات والمخلوقات عن إحتوائه . .

فهل تقبله يا ربى . . ؟

سبحان الله . . ما أعظمك . . ما أكرمك . .
ما أجمل لمسات حنانك . .
ما أروع آيات حبك . .
تغفر وترحم وتتوب وتقبل حبى إليك
وتمنن علىَّ ، وتنعم علىَّ ، وتتفضل علىَّ
بعطائك الفياض . . ونورك الوهاب .

ما هذا كله الذى أحيا فيه . . ؟

إنه لفتح كبير ، وفيض كريم .
فسبحان الله العظيم . .
ذو الفضل العظيم . .

ربــاه . .
ما هذا الذى أراه . . ما هذا الذى ينكشف لى !

سبحان الله ولا إله إلا الله
سبحان الله ولا إله إلا الله
سبحان الله ولا إله إلا الله

يا عين . .
إهدئى وأخبرينى ماذا ترى الآن . .
أهو نور أم هى لحظة خاطفة من لحظات الإشراق
أم هى ومضة من ومضات ليلة القدر . . ؟

بربك صفى لى ماذا ترين ولا تنسى شيئا

. . . .

لا أدرى . . إنه لشىء عظيم لا أستطيع أن أصفه .

وكيف ترين ذلك الشىء العظيم وأنت عيون بشرية . .
قدرتك محدودة ، وطاقتك محدودة ، ومعرفتك محدودة .

إذن فأنت لست عيون بشرية .
وإنما أنت عيون لها نور من الله .

كانت هذه هى الكلمات التى وجدت الفتاة نفسها تنطق بها دون أن تدرى وكأنها تحفظها عن ظهر قلب ، وإنى أعترف ككاتبة لهذه التجربة الروحانية ـ بأننى مهما كتبت من كلمات ، ووصفت من عبارات لا أستطيع أن أحدد أو أصور الحالة الحقيقية التى تكون فيها الفتاة عندما تردد هذه الكلمات .

إن هذه الكلمات تفعل بالفتاة أشياءا كثيرة . . فهى تذوب ذوبا معها ، وتحس بتفاعل كل ذرة فى كيانها . . فإن هذه الكلمات لم ينطق بها لسانها فقط ، وإنما ينطق بها أيضا فؤادها ونبضها وكل خلجة من خلجاتها ، وكل همسة من همساتها ، وكل ذرة فى كيانها تحيا وتنبض وتنطق بحب الله ، وتذوب ذوبا فى نور الله ، فتلمس حنان الله ، وتشهد رحمة الله بها فى كل لحظة .

من الصعب جدا تحديد أو وصف مشاعرها فى هذه الحالة .

هل هو حب أم رهبة أم خشوع أم ذوبان أم فناء أم شوق أم كل هذه الحالات معا . . أم هو شىء آخر لا تعرف له وصفا أو تحديدا .

إنه شعور غريب يحتوى كيانها كله ، له مذاق خاص وفريد يتفاعل به قلبها ونبضها وفؤادها مما يجعلها تسجد حامدة شاكرة فضل الله العظيم . . تغرقها دموعها . . دموع الحب لله . . والشكر لله والعبودية المطلقة لله وحده لا شريك له .

وفى غمار لحظات الصفاء الرائعة التى تحتويها يلاحقها الله عز وجل بالمزيد من لمسات حنانه ويمدّها بمشاهد أخرى من آياته الكبرى لتشهد فضل الله العظيم عليها إذ ترى أمامها وعلى سطح مياه البحر النورانى ثلاث من البيوت البيضاء النورانية :

البيت الأول	: مكتوب فوقه إسم	الله
البيت الثانى	: مكتوب فوقه إسم	**الرحـمن**
البيت الثالث	: مكتوب فوقه إسم	**النـور**

وجاء للفتاة بأن البيت الأول الذى مكتوب فوقه إسم « الله » خاص برسل الله وأنبيائه الداعين إلى الله .

أما البيت الثانى الذى مكتوب فوقه إسم « الرحمن » خاص بأولياء الله الصالحين ، وهذا البيت يضم أولياء الله الصالحين والصديقين . . عباد الرحمن .

أما البيت الثالث الذى مكتوب فوقه إسم « النور » خاص بالشهداء الذين هم أحياء عند ربهم يرزقون ويعيشون فى نور ويقين .

وتحمد الفتاة الله كثيرا على لمسات حنانه ، وتشكره سبحانه شكرا كبيرا خالصا صافيا على الآيات العظيمة التى تشاهدها والتى هى فضل من عند الله ، ومنحة منه سبحانه وبأمره هو وحده .

وتزداد الفتاة إيمانا وحبا لله يملأ قلبها ويحتوى على كل جوارحها . . حبا صادقا لا يماثله أى حب آخر ، وتحترق شوقا لله ، وتلتهب حنينا لله عز وجل وتحيا صابرة على أمل اللقاء والفوز بحب الله ورضاه والقرب منه جل جلاله . . حامدة شاكرة بما أنعم عليها من فضل عظيم ، وإحسان عميم . . سعيدة آمنة بما أتاها من حنان كبير ، وعطاء غزير ، وأمان وفير . . وبما وهبها من عيون لها نور من الله .

وتقودها مشاعرها الجياشة ، وأحاسيسها الصادقة فى حب الله إلى القمة حيث تبكى حبا لله ، وتسجد حبا لله ، وتشكر حبا لله ، ويتفاعل بهذا الحب كل ذرة فى كيانها حيث تحيا به وله ومن أجله . . حبا يملأ حياتها ويسعدها ويعلّمها الكثير من الحياة مما يقودها إلى المعرفة فى طريق الله ويمدّها بالأمان والإطمئنان ويرشدها إلى النور فى سبيل الله . . فتجد الفتاة نفسها هائمة فى هذا الحب مشغولة به . . تفكر فيه كثيرا تتأمل فيما يدور حولها يملأها الحب لله ، ويحتوى على كل جوارحها الشوق إليه سبحانه ناطقة كل ذرة فى كيانها بالحنين واللهفة للقائه .

وفى غمار هذه المشاعر والأحاسيس الصادقة التى تحث الفتاة على العمل والسلوك نحو الله للقرب من الله . . وجدت نفسها تنطق بهذه الكلمات التى تخاطب فيها العيون التى وهبها الله لها قائلة :

فلتسجدى يأيتها العيون حمدا وشكرا لله
ولتسبّحى الله كثيرا طاعة وحبا له
فدموعك حب . . وتأملك ركوع وسجود
ونظراتك إيمان ملىء بالرهبة والخشوع
كله شوق وحنين إلى لقاء الحبيب
فهذا هو منتهى الأمل . . ومنتهى الرجاء
ومنتهى السعادة والرضا بعد طول عذاب
من ألم البعد والفراق .

ولتفرحى يأيتها الفتاة فى حبك لله
وأبشرى بحب الله لك يا صاحبة العيون التى لها نور من الله .

وبعد هذه الكلمات التى كانت الفتاة تخاطب فيها العيون التى وهبها الله لها وتحثها على أن تسبّح الله كثيرا ، وتسجد لله كثيرا حمدا وشكرا له عز وجل على فضله العظيم وإحسانه العميم . . تحس الفتاة بالنور يسرى ويجرى فى كل ذرة فى كيانها ويمتزج بكل خلجة وكل همسة وكل نبضة وكل دقة قلب تشعر بها . . إنه نور يجرى فى دمها . . يمتزج به روحها . . يعيش فيه فؤادها . . يستقر فيه قلبها . . ويتفاعل به وله كل ذرة فى كيانها . . تشعر بالإحسان الإلهى يفيض عليها فى كل لحظة ، ويغرق حياتها بنسماته ولمساته الرحمانية وتفكر للحظات بل تأخذ عهدا على نفسها بأن يجب أن تحفظ هذا الإحسان الإلهى . . يجب أن تحسن إلى الله كما أحسن الله إليها ولكن كيف . . ؟

ومرة أخرى تشعر بأنها فى كهف العجز . .
العجز عن القدرة على إيفاء الله حقه من الإحسان . .
وهنا تتساءل الفتاة : كيف تحسن إلى الله . . وهل بيدها شىء . . فإن الأمر كله بيد الله وحده وهو سبحانه مالك الملك ذو الجلال والإكرام ، وهو وحده المحسن . . وهو وحده المتفضل . . وهو وحده المنعم .

وتفيق الفتاة من عجزها لتعلن بأنها لا تملك إلا أن تحفظ هذا الإحسان الإلهى ، وهذه النعمة الربانية وهذا الفضل النورانى بالحمد

والشكر الدائم قلبا وقالبا . . عملا وسلوكا . . ظاهرا وباطنا . . تشكر الله بلسانها ، تحمد الله بقلبها ، تثنى على الله بكل ذرة فى كيانها ، تشكره وتحمده بسلوكها وعملها مرضاة له هو وحده ، وحبا له هو وحده لا تطمع فى شىء إلا فى رضاه ، ولا تأمل فى شىء إلا فى حبه ، ولا تطلب شيئا إلا رضاه وقربه .

وبذلك تكون قد استطاعت ولو بقدر أن تحفظ إحسان الله إليها ، لأنها مهما حمدت الله وشكرته سبحانه وسجدت له عز وجل وسلكت سبيله فإن ذلك لا يكفى حمدا وشكرا لله ، ولا يفى إحسان الله إليها ، ولكنها بكل عجزها ، وفى قمة هذا العجز تشكر الله وتحمده بقلب مخلص ينبض بحب الله ويتفاعل مع كل سجدة ومع كل حرف يعلن فيه بالحمد والشكر لله رب العالمين رب العرش العظيم مرددا بكل اعماقه وفى كل ذرة فى كيانه وبكل إحساس صادق أعطاه الله له :

« الحمد لله رب العالمين »

وتستكمل الفتاة سباحتها فى بحر الحب الإلهى . . سعيدة بحبها لله . . هانئة بحياتها الروحانية التى أنعم بها الله عليها . . حامدة شاكرة الله فضله العظيم ، ذاكرة له سبحانه طامعة فى قربه ولطفه وتحس بالشعاع النورانى الكائن فى صدرها يرسل بأشعته ليفيض على كل ذرة فى جسدها وكيانها فتحس بالأمان والإطمئنان والإستقرار النفسى والهناء الروحى تتأمل فى قدرة الله سبحانه وتعالى ، وفى جمال صنع الله سبحانه وتعالى ، وفى عظمة خلق الله سبحانه وتعالى . . تنعم بالذوبان فى حب الله .

وفجأة وفى غمار هذه التأملات الروحانية التى تنعم بها رأت موجة أخرى من هذه الأمواج الضارية وكأنها تريد أن تسحبها من هذه الحياة الهانئة ، وتنغص عليها عيشها وتسلبها سعادتها مصممة على ألا تترك الفتاة على حالها ويجب أن تشدّها عن الحياة التى تنعم بها .

وفى الحقيقة لقد كانت هذه الموجة عالية وضارية وقاسية جدا وشديدة وكانت تتمثل فى موجة من أمواج آفات النفس ولكن حب الفتاة لله كان

عظيما وقويا وكبيرا إلى درجة أنها استطاعت أن تواجه هذه الموجة القاسية فان حبها لله يمدها دائما بالصبر والقوة والشجاعة . . فلقد كانت متيقظه لما تفعله هذه الموجة واعية ومدركة بهدفها وغايتها التى قد تبعد الفتاة عن الله وتمسكت بأسلحتها التى زودّها الله بها وهى الذكر والصبر والإستعانه بالله وحده واللجوء إليه وحده . . وكانت هذه الأسلحة خير معين لها إلى درجة أن هذه الموجة من آفات النفس لم تجد فرصة للقضاء على الفتاة أو ثغرة للإنقضاض عليها فإن ذكرها لله وصبرها وهدوءها ولجوءها وإستعانتها الدائمة بالله وحده جعلها تحرز النصر على هذه المجموعة من أمواج آفات النفس حتى إختفت تماما هذه الموجة .

وبعد إختفاء هذه الموجة ، بكت الفتاة كثيرا . . بكت من شدة حبها لله ، بكت حيث أنها تستحى من الله لا تعرف كيف تحمده وتشكره على لمسات حنانه الكبرى ، وآيات حبه العظمى . . بكت بكاءا حارا لا تعرف هل هو بكاء الحب أم الحمد والشكر أم الرهبة أم الخشوع ولم يسعها فى تلك الحالة إلا أن تسجد لله حمدا وشكرا على نصره لها ، ومؤازرته لها وأن تذكره كثيرا وتثنى عليه كثيرا وتقدّسه تقديسا كبيرا فمنَّ الله عليها بمجموعة من الطيور البيضاء النورانية تحوم بعضها حول رأسها ، وبعض آخر يقف على أكتافها وآخر على وجهها وكأنهم يريدون تقبيلها واحتضانها وفجأة بدأت الطيور النورانية والفتاة يسبّحون الله بصوت عال قوى باسم التوحيد :

لا إله إلا الله

وأحست الفتاة بالذوبان . . بالجمال . . بالنور . . بالحب . . بالأمان . . بالسلام .

ما أجمل أن يشترك الإنسان مع الكائنات فى تسبيح الله . . ؟

ما أروع أن يذوب مع الكائنات فى حنان الله . . ؟

ما أعظم أن يتغنى الإنسان مع الكائنات فى حب الله . . ؟

يا له من إحساس غريب وفريد . . إحساس بالعمر كله . . شعور من الصعب وصفه . . من المستحيل التعبير عنه . . إحساس ينطق به إهتزاز

الجسد وذوبان القلب . . وتفاعل الكيان كله . . إحساس يجعل الفتاة تردد دائما :

« سـبحان الله »

وظلت الفتاة سابحة فى حب الله ، هائمة فى حنان الله ، سائحة فى رحمته ذائبة فى نوره ، حامدة . . شاكرة فضله العظيم وإحسانه العميم وعطائه الكريم .

واستمرت ترتوى من بحر الحب الإلهى ، ترشف من مياهه النورانية ما يجعلها تحس وتشعر بالنور يملأ فؤادها وكيانها يجرى فى دمها وينتشر فى عروقها وينبض بحب الله ، ويسبّح بحمد الله .

وفجأة وأثناء هذه اللحظات الرائعة من الصفاء الخالص حيث نبض القلب بالحب لله واحتراق الفؤاد بالشوق إليه رأت الفتاة أمامها وعلى بُعد منها علم أسود اللون يرفرف على مياه البحر النورانية ، وأحست بخطر شديد يقترب منها وشعرت بإنقباض جسدها وذعر شديد يملأها ولكن هذه المشاعر والأحاسيس لم تجعلها تكف عن التسبيح بحمد الله وذكر إسم الله .

وأحست الفتاة بأن هذا العلم الأسود إنذار لها لكى تعد عدتها لمواجهة هذا الخطر الذى سيواجهها وتمسكت أكثر برباط الذكر والأسلحة التى زودّها الله بها ، وفجأة رأت بأن إحساسها أصبح حقيقة بدت أمامها حيث رأت خلف هذا العلم الأسود أمواج ضارية وشديدة تتمثل فى جميع أقسام الأمواج التى ذكرناها من قبل ، وهى :

(أ) أمواج عيوب النفس
(ب) أمواج شهوات النفس
(جـ) أمواج آفات النفس

وتعين هذه الأمواج شياطين الإنس والجن فلقد رأتهم مرة أخرى .

وهنا أصابها الخوف والذعر الشديد وألحق بها رعشة هزت جسدها كله حيث أنها هذه المرة لم تواجه موجة واحدة أو مجموعة واحدة بل إنها تواجه جميع الأمواج تساعدهم شياطين الإنس والجن وكأنهم اجتمعوا

وعقدوا اتفاقا على الإتحاد للإنقضاض عليها هذه الفتاة ومواجهتها للقضاء عليها والانتهاء منها وبذلك يحرقونها ويدمروها .

ولكن كان حب الفتاة لله عظيما . . فهو نور يسرى فى كيانها ويجرى فى دمها ويروى ويغذى كل ذرة فى إحساسها ومشاعرها التى توجه كل سلوك ، وكل فعل لمرضاة الله وحده ، وبسرعة وفى لحظات خاطفة والخوف يملأها والذعر يحتويها والإرتجاف يهز جسدها كله . . لجأت إلى الله لتستمد منه الأمان والسلام والإطمئنان فدعت ربها والمشاعر تتصارع بداخلها من كل جانب . . مشاعر تحمل الخوف والرجاء ، الوحشة والأنس حيث دعت الله قائلة :

- ربى رُحماك يا ربى -
الطف بى من هذا الشر المستطير
لا أملك سوى حبى لك
ولا أمتلك غير قلبى الذى ينبض بحبك
فأعيننى بهذا الحب على النجاة من شياطين الإنس والجن
واحمنى بهذا القلب للسلامة من هذه الأمواج الضارية
واحرز النصر لى يا رب العالمين
إنى أستمد القوة منك وحدك
وأستمد الصبر منك وحدك
واكتب لى الأمان والسلام
يا رب العالمين . . إنك أنت السميع العليم .
سبحانك اللطيف الخبير . .

وبسرعة خاطفة رأت الفتاة هذه الأمواج وتعينها شياطين الإنس والجن يقبلون عليها فى سرعة شديدة أسرع من الريح . . كانت أمواجا قاسية . . ضارية . . عالية ترفع الفتاه وتهبط بها وأحست الفتاة بلطمات فى وجهها وبدأت الأمواج تهدأ رويدا وتدخلت شياطين الإنس والجن فى تزيين آفات النفس وشهواتها للفتاة لكى تستجيب لهم وإلى شيطان النفس الأمارة بالسوء ، ولم تيأس هذه الشياطين ولم تكف الأمواج عن ملاحقة الفتاة حتى

تسلبها السعادة الروحانية التى تشعر بها وحتى تحرمها من الحياة الهانئة التى تنعم بها .

وشعرت الفتاة لأول مرة وذاقت نوعين أو شكلين من الحياة وكأن الله أراد لها أن تتذوق الحياة الأخرى الدنيوية بما فيها من متاع وشهوات هى مطالب للنفس لتعرف كيف أن فضل الله عليها عظيما وكيف أنها مهما ملكت الدنيا فهذا لا يساوى لحظة أمان . . لحظة سكينة . . لحظة حب لله . . لحظة نور . . لحظة من لحظات الإشراقات النورانية والفيوضات الربانية .

حقا لقدْ عاشت هذه الفتاة الشكلين . . أفاض الله عليها بالكثير والكثير من اللحظات النورانية التى تنعم فيها بالأمان والسلام والسكينة والطمأنينة والحب الربانى والحنان الإلهى ، كما أحست فى لحظات أخرى بإبتعاد الله عنها وتشدّها الدنيا وتشغلها مطالب النفس وشهواتها وتأخذها متاع الحياة قليلا ولكنها فى هذه اللحظات التى تشدها الدنيا بعيدا لا تشعر بالأمان ، ولا تنعم بالسلام الروحى والإطمئنان القلبى . .

بل ولأنها ذاقت الحياة الروحانية وجمالها . . فإنها فى هذه اللحظات الدنيوية تفتقد إلى النورانية وتتعطش لها ، وتلجأ إلى الله بألا يحرمها ابدا من عطائه الفياض . . ونوره الوهاب .

ويستجيب الله سبحانه وتعالى إليها ويلبى ندائها فيشرق عليها بإشراقات ربانية فيها النور والأمان والحنان والإطمئنان والبشرى العظيمة .

وتتأمل الفتاة فى كل هذا الذى تحياه وتعيشه بكل نبضها وأعماقها ودمها وكيانها فتعرف وتوقن بأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يذيقها هذين النوعين من الحياة :

الحياة الروحانية بكل ما فيها من نورانية وجمال وسلام دائم مع كل شىء . والحياة الدنيوية بكل ما فيها من متاع وشهوة ومطالب لا تنتهى وأطماع لا تقف عند حد . حقا فإن الدنيا هى متاع الغرور . . لتعرف الفتاة بأن كنوز الدنيا كلها ومتاعها لا يعطيها الأمان والسلام والنور وانما حبها لله والحياة الروحانية التى هى فضل من الله وهبة ومنحة منه سبحانه هى التى تعطيها ما تنشد إليه النفس وما تشتاق اليه الروح وما يهفو إليه القلب وما يحرص عليه

الفؤاد وهو النور والجمال والأمان والسلام والإطمئنان والإستقرار النفسى الذى من الصعب الحصول عليه بمتاع الدنيا وشهواتها .

ومن هذا المنطلق ، ومن التجربة التى عاشتها الفتاة حيث ذاقت طعم الحياة الروحانية والحياة الدنيوية . . عرفت طريقها ، وأدركت أن سعادتها وهناءها ورخاءها كله فى حب الله . . نعم حب الله الذى يعطيها الإحساس بالروحانية ، وينعم عليها بالصفاء والجمال والنور .

ولذلك فلقد دعت ربها بألا يحرمها من حبه ولمسات حنانه ونسمات رحمته ، وهذه الحياة الروحانية التى تنعم بها وتعيش بها وعليها ولها .

ومن هنا . . من تمسكها بهذه الحياة الروحانية التى هى فضل من عند الله . . من استمساكها بحب الله ولا ترضى عنه بديلا شعرت بقوة غريبة تسرى فى كيانها . . قوة تحمّلها المسئولية . . قوة تجعلها تحس بأنها بعون الله وحده تستطيع أن تواجه هذه الأمواج الضارية القاسية ، وأن تحطم وتدمر شياطين الإنس والجن اللعينة .

وهكذا بدأت تواجه هذه الأمواج وهذه الشياطين . . فإن حبها لله أعظم وأقوى منهم ومن قدراتهم ، وأقدر منهم على التحمّل منهم ويعينها على مواجهتهم . . وبهذا الحب ، وبهذه القوة التى تستمدّها الفتاة من الله بدأت الفتاة فى مواجهة هذه الأمواج والشياطين الذين اجتمعوا واتفقوا عليها ، ولكن معها الله مالك الملك وناصر المؤمنين وحافظ لهم ، وبإذن الله وإرادته ومشيئته وحده سيعينها وسيحميها وينجيها ويكتب لها النجاة والسلامة .

وأحست الفتاة بتحرك الشعاع النورانى الكائن فى صدرها ويرسل أشعته على أجزاء وأنحاء الجسد كله ، وشعرت الفتاة بالنور يجرى فى كل ذرة فى دمها وكيانها ، وتذكرت قول الصوت لها بأن الله ورسوله والأنبياء جميعا يرون عملك .

إذن فعليها أن تحسن العمل ، وعليها أن تخلص ، وعليها أن تعمل بجد وإجتهاد وإخلاص مرضاة لله وحده . . وحبا له هو وحده .

واستهلت مواجهتها لهذه الأمواج باسم :

الله أكبر

وسمعت الفتاة صوت الشعاع النوراني يقول :

الله أكبر

وأحست بأن كل جزء في جسدها ، وكل ذرة في كيانها يقول :

الله أكبر

وتعترف الفتاة إعترافا كاملاً صادقا بأن المواجهة هذه المرة كانت صعبة للغاية شاقة على النفس . . حيث كانت الأمواج ضارية قاسية شديدة وشياطين الإنس والجن في قوة شديدة ويستخدمون كل ما يملكون من أسلحة في هذه المواجهة .

ولكن حب الفتاة لله كان دافعا وحافزا لها يقويها ويشجعها وحرص الفتاة على التمسك بالأسلحة التي زودها الله بها كانت خير معين لها .

وأصبحت في غمضة عين في مواجهة هذه الأمواج وأمام شياطين الإنس والجن ، وتهبط بها الأمواج وتعلو وشياطين الإنس والجن يلعبون بالفتاة حيث يزينون لها متاع الحياة وشهوات الدنيا والفتاة صامدة لا تعبأ بوسوستهم ، ولا تهتم بايحاءاتهم وصابرة على الأمواج التي تواجهها مستمرة في ذكر الله ، واللجوء إلى الله وحده ، دائمة الذكر باسم :

الله أكبر

وتسمع صوت الشعاع وكل ذرة في كيانها وهي تردد :

الله أكبر

وظلت فترة هكذا في هذه الأمواج وعندما تقسو عليها الأمواج وتهاجمها شياطين الإنس والجن تصرخ بقول : الله أكبر حتى فجأة أحست بشعاع نوراني في السماء يهبط عليها فينجيها ويحرق هذه الأمواج ويدمر هذه الشياطين ، ولم تر إلا إسم :

الله . . الله أكبر . . لا إله إلا الله

مكتوبا أمامها باللون الأبيض ومجموعة من الجواهر البراقة التى لم تر مثيلها فى حياتها وبمجموعة من الأنوار المشرقة اللامعة التى لم تر أيضا لها مثيل فى حياتها .

لقد كان شعاعا كبيرا وطويلا وقويا . . شعاعا من الصعب أن تقف أمامه العيون البشرية . . لابد من عيون وهبها الله نور من عنده لكى تتحمل الأشعة النورانية والمجموعة الهائلة من الأنوار التى يصدرها هذا الشعاع .

وفجأة نظرت الفتاة حولها فوجدت أن الأمواج هدأت والشياطين اختفت ، وكل ما حولها أصبح ينطق بالنور . . ويشهد بالجمال والسلام والحب ، وكل ذلك بعون الله وحده ، وبقوة الله سبحانه وقدرته وحده ، وبفضله هو وحده .

وشعرت الفتاة بهدوء غريب يحتويها . . هدوء لم تعهده من قبل . . هدوء مصحوب بنور تشعر به فى كل ذرة فى كيانها حتى سمعت صوت الشعاع الكائن فى صدرها يقول لها :

« إن فضل الله عليك عظيما
فاحمدى الله كثيرا ، واسجدى لله كثيرا
وكونى من الشاكرين » .

وبسرعة خاطفة سجدت الفتاة لله حامدة شاكرة مرددة :

**« لا إله إلا الله
والحمد لله رب العالمين »**

وأحست بسجود كل ذرة فى كيانها . . بسجود عيناها ودمائها ، وفؤادها ، وجسدها ، وكل ذرة فى كيانها يسجد لله الواحد العظيم قائلا :

لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين

ثم وجدت نفسها تبكى . . تبكى بشدة . . تبكى والحب يملأها ، والشوق يحرقها ، والحنين للقاء الله يهزها فتقول :

يا إلهى كيف أشكرك
وشكرى لك هو نعمة من عندك

إن النعمة التى تعيش فيها تحمّلها مسئولية الشكر والحمد لله العلى العظيم ، وها هى الآن تحس بأن شكرها على هذه النعمة نعمة أخرى يجب أن تشكر الله عليها وتدخل مرة أخرى فى دائرة العجز حيث يفتح كهف العجز أبوابه فتحس الفتاة بأنها مهما ركعت لله ، ومهما سجدت لله ، ومهما عبدت الله ، ومهما شكرت الله . . فإن ذلك لن يوفى الله حقه من الحمد والشكر ، ولا يسعها غير أن تقول بقلب مخلص يهز المشاعر ويهز كل شىء معه :

الحمد لله رب العالمين

وترتوى الفتاة من مياه البحر النورانية بعد العناء الذى واجهته ، والتعب الشديد الذى بدا آثاره حقيقة واضحة على جسدها وكأنها تتلمس النور الذى يقويها ، ويعيد لها الحياة والنضرة والنشاط بعد ما واجهته من قسوة الأمواج وضراوة شياطين الإنس والجن .

واستمرت الفتاة ترشف من مياه البحر النورانية تريد أن تغوص فى أعماقها تغتسل بها وكأنها تطهر ثم بدأت تنظر إلى كل شىء حولها .

أحست بالسكون يخيم على كل شىء ، والهدوء يضع بصماته على كل ذرة فى الكون ، والنور يشع على الوجود بأكمله فترى الفتاة السماء وكأنها نور ، والأرض وكأنها نور ، والمياه التى تشرب منها وكأنها نور حتى جسدها أحست به وكأنه نور ، وأحست بكل شىء يحيط بها وكأنه نور . . فتقف وتتساءل فى دهشة :

هل هى فى عالم النور ؟

أم أن الله يفيض عليها من إشراقاته الربانية فترى أن كل ما يحيط بها أصبح نورا لتشعر بالأمان والسلام والإطمئنان ولتشهد فضل الله العظيم ولمسات حنانه الكبرى وآيات حبه العظمى .

وتشعر الفتاة بنبضات قلبها بحب الله ، تحرقها همسات الشوق إليه ،

تتقلب فى نيران اللهفة والحنين للقائه . . وتحس الفتاة بإشتياق كبير وعظيم يهزها إلى الله تتمنى لو تستطيع أن تخترق كل الحواجز وأن ترتفع فوق حجاب القلب والجسد لتنعم بلقاء الله ، وتجد نفسها تنطق بهذه الكلمات دون أن تدرى والدموع تغرقها :

ربى . . .

يا ليتنى كنت أستطيع أن أشق قلبى وأفتحه
ليسجد لك كل لحظات عمره
حبا لك ومرضاة لك وحدك

يا ليتنى كنت أستطيع أن أصعد وأقترب
وأقترب من نور وجهك الكريم

ربى . . .

لا يسعنى غير أن أحيا فى نار حبك
أتقلب فى لهيب الشوق إليك
احترق بنيران اللهفة والحنين إلى لقاءك

وإنى لصابرة مرضاة لك
وإنى لصابرة حبا لك

ما أطول الأيام . . ما أقسى لحظات العمر
إن ألم الفراق يحرقنى ويمزقنى
ولكن صبرا جميلا .

ما أحلى ذكرك يا ربى
يهدئنى ، ويطمئننى ، ويهوّن على آلام البعد

أشعر بأن الدنيا تسجننى
أحس بها تقيدنى

أريد أن أنطلق واقترب منك
فهيىء لى ذلك يا ربى
فأنت سبحانك صاحب الأمر وبيدك الأمر كله
وأنت سبحانك السميع العليم اللطيف الخبير
مالك الملك رب العرش العظيم .

وبعد هذه الكلمات التى نطقت بها الفتاة ودموعها تغرقها أحست بالأمان والإطمئنان .

ولكنها مشتاقة . . مشتاقة إلى الله . . مشتاقة إلى أن تجلس لتناجيه . . تحس بأن كل ذرة فى كيانها يحتاج ويتعطش إلى مناجاة لله ولن يقضى على ما تحس به من التعب والعناء مما واجهته من قسوة الأمواج وشياطين الإنس والجن إلا مناجاة لله تثنى فيها على الله وتشكره وتحكى له بما فى نفسها وتحمده عل فضله العظيم .

فإن مناجاتها لله هى التى ستروى جسدها وتعطيه الإحساس بالقوة والنشاط والحيوية .

إن لجوءها إلى الله يذيبها ذوبا . . يجعلها تعيش أجمل لحظات عمرها . . لحظات فيها المتعة والنعمة الكبرى والسعادة العظمى . . لحظات ممتزجة بالصفاء والنقاء والنورانية ، وها هى تشتاق الآن إلى مثل هذه المناجاة التى تعبر عن قمة اللجوء إلى الله ، وقمة العبودية لله وحده .

وفجأة وفى لمحة البصر رأت الفتاة أمامها على مياه البحر الإلهى ثلاث من الصخور البيضاء النورانية متساويين فى الحجم والمقاس واللون ولكنهم على مسافات متباعدة ثم فجأة وفى أقل من لحظة سمعت صوتا قويا يناديها ويدعوها لكى تجلس على كل صخرة من هذه الصخور فتناجى ربها وتشدو اليه بما تحسه وتشعره وتدعوه حبا وطمعا وتشكره شكرا كثيرا .

وتتعجب الفتاة من هذا الصوت ومن كلماته :

كيف عرف ما تحس به ؟ كيف لمس اشتياقها لله ولمناجاة الله ؟

كيف عرف بما فى نفسها والشوق الذى فى داخلها ؟

كيف أدرك ما فى سرها ولا يعلم ما فى السر الا الله . . ؟

اذن فلقد كان هذا بأمر الله وبإرادة الله ومشيئته وحده ، وبسلطان من عنده سبحانه وحده ، وهذه أيضا لمسة أخرى من لمسات الحنان الإلهى على هذه الفتاة العابدة .

وفجأة أحست الفتاة بشيء يرفعها من على سطح المياه وينقلها إلى الصخرة الأولى ، فوجدت نفسها جالسة على هذه القمة وهى مشدوهة متعجبة من كل ما يحدث لها ، ولم تعرف كيف انتقلت هكذا من سطح المياه التى كانت تسبح فيها إلى قمة الصخرة النورانية ، كل ما أحست به هو أن هناك شعاعا نورانيا كان يحملها .

والآن أصبحت جالسة على قمة الصخرة الأولى وهى تنظر حولها . . وتنظر إلى السماء وصفاءها وجمال ألوانها فتقول :

سبحان الله

وهكذا خرجت من تعجبها وبدأت تحمد الله بقول :

لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين
وسبحان الله رب العرش العظيم

وبدأت تفعل ما تشتاق إليه حيث المناجاة لله والحب له سبحانه يحتويها قائلة بقلب مؤمن نابض بالحب . .

اللهم أحينى على حبك ، وأمتنى على حبك
واجعلنى أسير فى طريق حبك
فأفوز بلقاءك العظيم فى يوم كريم
مشهود وممدود فيه الحب والحنان
والعدل والإحسان ، والرحمة والمغفرة
إنه يوم الأمان الكبير والسلام العظيم

وأحست الفتاة بعد هذه المناجاة بفرحة تملأها وتنتشر بين جوارحها . . فرحة تروى شوقها وحنينها إلى مثل هذه المناجاة . . فإن مثل

هذه المناجاة كانت بمثابة غذاء وشراب لها يرويها . .

ولكنها متعطشة إلى المزيد . . ما زالت فى حاجة لتروى نفسها فى مناجاة أخرى وكان إحساسها بأن الشعاع الذى حملها أول مرة بجوارها وكأن لديه أمر بألا يتركها وأن مهمته أن يحملها من صخرة إلى أخرى .

ولقد صدق إحساسها فلقد حملها مرة أخرى هذا الشعاع النورانى إلى الصخرة الثانية التى كانت تبعد عن الأولى بآلاف الخطوات ولا يمكن الوصول إليها ولا حتى بالقفز ولكن هذا الشعاع حملها إليها ووجدت الفتاة نفسها جالسة على قمة هذه الصخرة وأحست بالجمال فى كل شىء . . وبدأت تتساءل : ما هذا الجمال الذى أحيا فيه . . إنه فضل الله العظيم وعادت إلى شكر الله مرة أخرى حيث قالت :

لا إله إلا الله والحمد لله رب العالمين
وسبحان الله رب العرش العظيم

وشعرت بالاشتياق إلى الله يدفعها إلى مناجاة أخرى فيها اللجوء إلى الله الذى يرويها ويغذيها ويطمئنها ويسعدها وبدأت تناجى ربها بقولها :

يا إلهى . . .
كيف أنساك ؟ وأنا أحرص على ذكرك
وأشهد بعظمتك

كيف أغضبك ؟ وأنا أحبك

كيف أعصاك ؟ وأنا أطمع فى رضاك

كيف أغفل عنك ؟ وآيات حبك تملأنى
ولمسات حنانك تحيط بى
ونسمات رحمتك تتلطف بى
وإشراقات نورك تشرق علىّ

وفيوضات عطاءك تغرقنى
فتملأنى بهجة وسعادة وأملا وإشراقاً
وتزيدنى إيمانا بك ، وحبا لك

يا إلهى . .
يا من أعطيتنى كل الحب ، ووهبتنى كل الحنان ،
ومنحتنى كل الرحمة . .

كيف أبتعد عنك ، وكل دقة من دقات قلبى تنطق بإسمك
وكل نبضة من نبضات فؤادى تنبض وتتلألأ بإشراقات نورك
وكل لمسة جميلة تملأ حياتى تشهد بفضلك ،
وكل نعمة أنعم بها تشكر نعمتك وجودك
وأجد نفسى بعد ذلك حائرة لا تعرف
كيف تحمدك وتشكرك يا إلهى .

فإن كل كلمة ينطق بها قلبى ،
وكل سلوك وتصرف يأمر به عقلى ووجدانى
فهو عاجز عن حمدك وشكرك يا إلهى

ولكن صبراً جميلاً حبا لك
صبرا جميلا مرضاة لك
على أمل الفوز بلقائك

فإن قلبى يحترق شوقا إليك
متلهفا للفوز بلقائك ورؤيتك يا رب العالمين .

لقد كانت هذه الكلمات بمثابة بلسم شافى ينزل على صدرها فيعطيها الإحساس بالسكينة والرضا والحب الذى لا قبله ولا بعده حب . . حب الله الذى يحيط بها ويحتويها ويملأها نوراً وأملا ورجاءا ويدفعها إلى العمل والسلوك لمرضاة الله وللترقى للوصول إلى القرب من الله .

وتنظر الفتاة إلى الصخرة الثالثة يملأها الحنين والشوق الذى لا ينتهى ، ويشعر الشعاع النورانى بشوقها ولهفتها فيحملها مرة أخرى إلى الصخرة الثالثة النورانية والتى كانت تبعد عن الثانية بآلاف وآلاف الخطوات .

وفجأة وجدت الفتاة نفسها جالسة على قمة الصخرة الثالثة ناظرة إلى الشعاع النورانى نظرة شكر وكأنها تشكره على حمله إياها لتجلس على هذه الصخور النورانية .

وبسرعة تدرك الفتاة أنه فضل الله العظيم عليها وأن هذا الشعاع قد أدى مهمته بفضل الله وأمر الله ومشيئة الله .

وجلست الفتاة تنسب الفضل إلى الله وحده ، وترجع الفضل إلى الله وحده فإن النعمة التى تعيش فيها بفضل الله ، والرحمة التى تحياها بفضل الله ، والحنان الذى يحيطها بفضل الله .

فلولا الله ما إهتدينا إليه ، وما كان الوجود ، وما كانت النعمة ، وما كانت الرحمة ، وما كان الحب .

إن كل شىء فى الوجود يستمد آثاره من حب الله . .

وتتعجب الفتاة من الإنسان الذى ينسى فضل الله عليه ونعمته ولمسات حنانه به ويرجع أى نعمة يعيش فيها إلى نفسه وعبقريته ومجهوده ، وينسى أو يتناسى بأنه لولا الله ما كانت حياته ، ولولا الله ما كانت النعمة التى يعيش فيها ، ولولا الله ما كان له وجود أصلا .

كيف ينكر الإنسان على الله كل هذه النعم ، وكل هذا الحنان ، وكل هذا الحب ، حقا إنه لظلم عظيم وجحود كبير وضلال بعيد .

إن الفتاة تجلس على هذه الصخرة النورانية وتشعر بفضل الله العظيم عليها كما تشعر به على كل ذرة فى الوجود فترجع الفضل إلى الله ، والنعمة إلى الله .

إن من أجمل اللحظات التى تعيشها الفتاة والتى تصفها بأنها بعمرها كله

إلى درجة من الصعب بل من المستحيل وصفها وتحديد مشاعرها فيها هى اللحظات التى تلجأ فيها إلى الله تناجيه وتثنى عليه وترجع الفضل والنعمة له وحده .

ما أجمل أن يترك الإنسان نفسه لله . . ما أحلى أن يلجأ إلى الله ، ما أعظم وأروع أن يرجع الفضل كله إلى الله .

إنه إحساس تذوب فيه الفتاة ذوبا ، وتحس فيه بأنها تفنى تماماً عن الدنيا إنه شعور يسعدها . . حقيقة تعيش فيها تضىء أيامها ولحظاتها سعادة تحس بالفرحة فى جسدها . . فرحة خالية من الغرور . . فرحة لا تعرف التكبر أو التجبر . . فرحة هادئة آمنة مستبشرة بما آتاها الله من فضله فتحمد الله على فضله مرددة دائماً بكل خلجة من خلجاتها ، وبكل همسة من همساتها ، وبكل نبضة قلب ونقطة دم تجرى فى عروقها وكأن كل جزء فى كيانها يشترك معها فى حمد الله على فضله العظيم . . قائلة والحب لله يهزّها ، والشوق إليه يحرقها ، واللهفة تملأها والحنين للقاء الله يحتويها إذ تقول فى كل لحظة :

لا إله إلا الله
والحمد لله رب العالمين
وسبحان الله رب العرش العظيم

وتشعر الفتاة بعد حمد الله وشكره بهدوء غريب يسرى فى كيانها ، وكأنه شعاع يجرى فى كل جزء فى جسدها لينشر الهدوء والأمان . . هدوء مصحوب بالرهبة والخشوع . . هدوء يحقق السلام والأمان وكأنها تحيا حياة السلام مع جميع الكائنات والوجود لا تلمس إلا حقيقة واحدة فى حياتها وهى أن الأمان يرفرف على روحها . . أمان يضىء حياتها . . أمان ناتجا من حبها لله . . إنه الأمان الرحيم مع حب الله العظيم الذى يدفعها ويوجهها ويرشدها إلى أحلى ما فى الوجود وهو الترقى فى كل شىء سواء أكان سلوكا أم عملا أم أخلاقا للوصول إلى الهدف الأمثل والغاية الأسمى وهى القرب من الله .

بهذه المشاعر الفياضة ، وبأحاسيسها المتدفقة الأخرى التى تتولدّ وتتفجر عن إحساس كل ذرة فيها بحب الله مما يؤدى إلى تفجير طاقات كامنة . .

طاقات من العطاء . . عطاء يحقق المثالية . . مثالية تهدف إلى السلوك الحميد . . سلوك يدفع إلى الخير ويسعى إليه مما يجعلها تعيش لحظات عمرها وأحلى أيامها فى حب الله والإحساس بآثار هذا الحب من الحنان الإلهى ، والرحمة الربانية ، والعطف النورانى . . فتعيش الجمال بكل معانيه ، وتحيا فى الخير بكل مفاهيمه . . تحس بالنور يحيط بكل شىء فى هذا الوجود الذى خلقه الله فى أحسن تكوين وتقويم . .

فسبحان الله العظيم الخالق . . . .

وتبارك الله أحسن الخالقين . . . .

وتشعر بالفتاة فى هذه اللحظات الصافية الرائعة بقمة الروحانية ترفرف عليها مما يجعلها تحس بأنها فى السماء وليست جالسة على هذه الصخرة النورانية حيث تشعر بدقات قلبها تعلو وخفقاتها تطير وبجسدها يرتفع وأحست بأن كل شىء أصبح مغطى بالنور .

هذه الروحانية العالية التى أحست بها تحيط بنفسها وتحتوى جسدها ، وتملأ قلبها نوراً ، وتدفع كل جزء فى كيانها إلى حمد لله وشكره ، وتحتوى روحها بالحب والرعاية والحنان جعلها تشعر بالإرتواء . . بالأمان . . بالإطمئنان . . بالسكينة ووجدت نفسها تتأمل فى آيات الله حولها وفى نفسها ، وتتبصر فى جمال النعمة التى أنعم بها الله عليها مما جعلها تبكى . . وتبكى . . تبكى من شدة الحب لله . . من حرقة الشوق إلى الله تبكى واللهفة تحيطها والحنين يملأها للقاء الله . . إن كل دمعة تذرفها عيونها هى نبضة حب لله ولمسة شكر لله . . شكر ينطق به قلبها ويشهد عليه فؤادها ، ويلمس آثاره كل ذرة فى كيانها .

وفجأة وفى غمار هذا الصفاء حيث كان الهدوء والسلام الروحى العميق والصفاء القلبى الدفين أحست الفتاة بإشتياق غريب إلى مناجاة الله . . اشتياق مصحوب بالحب يروى احتراق قلبها ولهفتها للقاء الله ، وبسرعة وفى لحظات خاطفة أحست بالحنان الإلهى يرعاها إذ وجدت نفسها تنطق بكلمات لا تدرى كيف نطقت بها ، وكيف عرفتها وكأن قلبها هو الذى نطق بها . . كلمات تولدّت عن إحساس عظيم بالحب لله وتفجرت عن شعور قوى يهز الكيان

بالشوق إلى الله . . كلمات تلجأ فيها إلى الله ، وتعترف فيها بفضل الله ونعمة الله .

وكانت هذه الكلمات تحت عنوان :

ربى .. لولا أنت

ربى .. لولا أنت ما كان الوجود
ربى .. لولا أنت ما كانت الدنيا تحيا فى نور
ربى .. لولا أنت ما كان هذا الوجود يسبح فى ضياء

ربى .. لولا أنت ما اهتديت
ربى .. لولا أنت ما صليت
ربى .. لولا أنت ما تصدقت
ربى .. لولا أنت ما صبرت

ربى .. لولا أنت ما رأيت النور
ربى .. لولا أنت ما عرفت الحب
ربى .. لولا أنت ما منحت الحنان
ربى .. لولا أنت ما تعلمت الرحمة
ربى .. لولا أنت ما فهمت الإحسان

ربى .. لولا أنت ما حييت
ربى .. لولا أنت ما ذقت حلاوة الإيمان
ربى .. لولا أنت ما سعد واطمأن قلبى
ربى .. لولا أنت ما سكن فؤادى
ربى .. لولا أنت ما انشرح صدرى
ربى .. لولا أنت ما أشرقت وسمت روحى
ربى .. لولا أنت ما هدأت واستقرت نفسى

ربى .. لولا أنت ما استيقظت من غفلتى
ربى .. لولا أنت ما استأنست فى وحدتى
ربى .. لولا أنت ما وصلت إلى طريق النجاة

ربى .. لولا أنت سبحانك ما أحسست بالوصال الممدود ، والعطاء الموجود ، والطريق المفتوح ، والحب الممنوح ، والحنان الوفير ، والعطف الغزير ، والوفاء الكبير ، والرحمة الواسعة ، والنعمة الشاملة .

فأنت أنت ربى نعيم الحياة ومجدها ..
وأنت أنت العلو والسمو ..
وأنت أنت الإله الواحد الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفواً أحد .

ربى .. لا تحرمنى أبداً منك ، ولا من حبك
وحنانك وعطفك .. فأنا لا شىء بدونك ..
فقيرة إليك أبداً .. محتاجة إليك على الدوام ..
لا أسعد إلا بك ، ولا أحيا إلا بك ..
فهب لى يا رب نورا من عندك يحمينى ، ويحفظنى ، وينجينى ، ويطهرنى ،
ويرفعنى ، ويهذبنى ، ويقوّمنى ..
فلولا أنت ما عرفت الحياة ولا الأمان ، ولا ذقت الهناء ولا الرخاء ..

فلك سبحانك كل الحمد .. وكل الشكر على فضلك العظيم ،
ونعمتك الكبرى التى لا تعد ولا تحصى ..
إنك أنت الرحمن الرحيم الوهاب الفتاح العليم
الغنى الحميد ذو الفضل العظيم .

***

الله وحده هو الذى يعلم ماذا كانت المشاعر والأحاسيس فى نفس هذه الفتاة بعد أن نطقت بهذه الكلمات ، وكيف امتزجت هذه المشاعر بنبضات الحب لله ، وهل كانت هذه الأحاسيس المتدفقة تمثل الإيمان أم الرهبة

أم الخشوع أم الحب أم الشوق أم العشق أم الفناء فى حب الله أم هى كل هذه الأحاسيس معاً أم هى شىء آخر لا تعرف الفتاة له تحديداً أو وصفاً .

إن كل ما أدركته الفتاة وأحست به وعاشت فيه هو أن كل دقة قلب يدق بها قلبها تنبض بحب الله ، وإن كل نقطة دم تجرى فى عروقها تحيا بحب الله ، وإن كل ذرة فى كيانها تنطق بحب الله والشوق إليه سبحانه مرددة قائلة :

ربى ... إنى مشتاقة إليك
ربى ... إنى مشتاقة إليك
ربى ... إنى مشتاقة إليك

فماذا أفعل .. ؟

حبك يملأنى
والحنين إليك يمزقنى
واللهفة لرؤياك تغمرنى

فماذا عساى أن أفعل إزاء حبى إليك وشوقى
الذى يزداد يوماً بعد يوم ، ولحظة بعد أخرى .. ؟

لا أستطيع أن أفعل شيئاً غير ذكرك وحمدك وشكرك
فهو النسمة اللطيفة التى تلطفّ نار شوقى إليك
وتخفف من نيران اللهفة للقاءك
إن فى ذكرك وحمدك وشكرك .. هنائى وأمنى وسعادتى ..

فلا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ...

والحمد لله رب العالمين
وسبحان الله رب العرش العظيم
نور السموات والأرض ..

لك الملك وحدك ، ولك الحمد وحدك

تحيى وتميت وعلى كل شىء قدير
إنك أنت سبحانك ذو الفضل العظيم
الرحمن الرحيم . .

وبعد جلوس هذه الفتاة على الصخور النورانية الثلاث تناجى ربها تحمده وتشكره وتثنى عليه وتلجأ إليه وتعترف بفضله ونعمته . . تناجيه حمداً وشكراً حباً وطمعاً . . أحست بالإرتواء والأمان والإطمئنان . . مناجاتها لله ولجوءها إليه وحده أعادت النشاط والحيوية إلى جسدها وأحست بقوة تسرى فى كيانها . . قوة تمدّها بالصبر والجمال والحنان . . قوة هادئة سالكة طريق الله وفى حب الله .

وفى لحظة شعرت بالحزن والأسى لأنها ستفارق هذه الصخور النورانية ، أحست بإرتباط ما يربطها بالمكان ولكن الله دائماً رحيماً بها ولطيفاً معها يغمرها بنسمات حنانه الرقيقة ، وآيات حبه العظيمة فمنّ عليها من فضله وحنانه إذ نظر إليها الشعاع النورانى بأمر الله نظرة ممتزجة بالرفق والرحمة وسمعته يقول لها بصوت قوى مدوى :

لا تحزنى يا أيتها الطيبة
فإن فضل الله عليك عظيما
وأبشرى بالمزيد من فضله سبحانه
ولا تنسى الأسلحة التى زودّك
الله بها . .

واحمدى الله كثيراً . .
واشكرى الله كثيراً . .
وكونى من الساجدين الحامدين . .

والآن حان وقت العودة
حيث النزول إلى مياه البحر النورانية
حيث كنت لإستكمال رحلتك فى
بحر الحب الإلهى .

أزالت كلمات هذا الشعاع ما كان فى نفس الفتاة من الحزن والأسى ، ونظرت إلى الصخور النورانية نظرة مليئة بالحب والحنان حيث شعرت بأنها بالرغم من أنها ستفارقهم بجسدها إلا أنها أحست بأن هناك شيئاً ما قوياً سيربطهم دائماً ببعض سوياً . . شيئاً لن ينجلى ولن يفنى . . وهذا الشىء هو حب الله الذى جمعهم وربطهم حيث التسبيح له سبحانه والشوق إليه وحده سبحانه .

وبدأ الشعاع النورانى يحمل الفتاة برفق وحنان بالغ إلى حيث كانت تسبح فى بحر الحب الإلهى وودّعها بحب مرددا :

لا إله إلا الله
والحمد لله رب العالمين
وسبحان الله رب العرش العظيم

ثم قال لها :

فى أمان الله ، وفى رعاية الله
وليحفظك الله ، وهنيئاً لك
برحلة الحب الإلهى .

وكما جاء الشعاع فى لحظة بأمر الله . . اختفى أيضاً فى لحظة بأمر الله وكأنه ظهر فقط لكى يؤدى دوره فى حمل هذه الفتاة من صخرة إلى أخرى . . هذه الصخور النورانية التى لم تستطع الفتاة أن تنسى مشهدها ولا جمالها ، ولم تستطع أن تتجاهل أبداً الإرتباط الذى يربطها بهم حيث اجتمعوا على حب الله وفى شكر الله .

هذه الصخور النورانية التى منّ الله بها على الفتاة وأنعم عليها بها لتجلس تناجى ربها وتفعل ما تشتاق إليه من المناجاة فى حب الله .

إذن فلقد كان هذا الشعاع النورانى لمسة من لمسات الحنان الإلهى ، كما كانت هذه الصخور النورانية آية من آيات الحب الربانى .

واستكملت الفتاة سباحتها فى بحر الحب الإلهى يحتويها الحب لله ، ويملأها الشوق إليه سبحانه سعيدة هائمة بحياتها فى رحلة الحب الإلهى .

***

وتستمر الفتاة سابحة فى بحر الحب الإلهى . . هائمة فى حب الله . . مشتاقة إلى الله . . تثنى على الله وتحمده حمداً كبيراً . . تسبّح الله وتشكره شكراً كثيراً . . تحيا فى لحظات فياضة من التأمل فى نعمة الله عليها . . تعيش فى لحظات نابضة من التبصر فى رحمة الله بها . .

ويمن الله عليها بآية أخرى من آيات فضله العظيم . . حيث ترى أمامها وعلى مياه بحر الحب الإلهى بيتا نورانيا أبيضا مغطى بالنور ، وحوله النور ، ويحيطه النور ، وفوقه اسم :

الله

مكتوباً باللون الأبيض ومجموعة من الأنوار الربانية التى لم تر الفتاة مثيلها من قبل .

فسبحان الله نور السموات والأرض

ثم جاء للفتاة بأن هذا البيت النورانى هو بيت الأنبياء ، وبالرغم من أن باب هذا البيت كان مغلقاً إلا أنها رأت بفضل الله وأمره أن بداخل هذا البيت مصحفاً كبيراً أبيضا مفتوحاً ثم رأت فوق المصحف كلمة :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

مكتوبة باللون الأبيض النورانى تحيطها مجموعة من الأنوار الإلهية ، وهذا البيت يملأه النور بداخله .

وانتهت الرؤية على ذلك .

وكانت هذه الرؤية فضل عظيم من عند الله على الفتاة حيث كانت منظراً ثابتاً أمامها لا تستطيع أن تنساه . . وظل هذا المشهد حياً نابضاً أمامها وكأنه شيء ما حُفر فى بحر الحب الإلهى . . ونشر النور فى كل مكان ووضع بصماته النورانية وآثاره الرحمانية فى كل ذرة حتى أحست الفتاة بالنور . . بالحب . . بالرحمة تفيض على كل شيء ثم رأت الطيور البيضاء النورانية وهى ترفرف بأجنحتها فى السماء مرددة بصوت قوى سمعته الفتاة :

لا إله إلا الله

والحمد لله رب العالمين

وسبحان الله رب العرش العظيم

وشعرت الفتاة بعد سماعها بتسبيح هذه الطيور بهدوء غريب لا يوصف يسرى فى كيانها ، وإطمئنان وسكينة تملأ قلبها ورحمة تنتشر فى جوارحها وفؤادها ويمن الله عليها بأكثر من ذلك لكى تسمع ذرات فى الكون وفى الأرض وفى السماء وتسمع أيضاً السحاب ومياه البحر النورانى وهى تسبّح بنفس كلمة الطيور النورانية قائلة :

لا إله إلا الله

والحمد لله رب العالمين

وسبحان الله رب العرش العظيم

وتحمد الفتاة الله كثيراً على هذا الفضل العظيم وأحست بكل ذرة فى كيانها وبكل نبضة تتحرك فى عروقها وبكل خلجة من خلجاتها وبكل إحساس يعيش فى وجدانها يدفعها لكى تشترك مع الطيور ومع ذرات الكون فى الأرض وفى السماء فى تسبيحهم لله ، ووجدت الفتاة نفسها تنطق بنفس كلمة التسبيح التى سمعتها والنور يحتويها ويغمرها قائلة :

لا إله إلا الله

والحمد لله رب العالمين

وسبحان الله رب العرش العظيم

وأحست بأنهم جميعاً فريق واحد تفهم الفتاة لغتهم ويفهمون لغتها . . إنهم لا يعرفون إلا لغة واحدة . . لغة مزّقت كل الحواجز وربطت بينهم مع إختلاف شكلهم وطبيعتهم هذه اللغة هى لغة الحب لله . . لغة التسبيح لله والتقديس لله والشكر لله . . لغة التوحيد باسم الله الواحد الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له .

إذن فهذا فضل عظيم من عند الله على الفتاة حيث منّ عليها بأن جعلها تشترك مع بعض الكائنات والمخلوقات فى التسبيح لله تسمعهم ويسمعونها بأمر الله ، يتحدون جميعاً ويتعاونون فى شكر الله والتسبيح بحمده وكأنهم شيئاً واحداً ، وكأنهم فريقاً واحداً . . خرجت كلماتهم نغمات رفيعة سامية يرقى معها القلب والوجدان ، وترتقى بها الأحاسيس والمشاعر حيث النبضات الناطقة بحب الله . . والنابضة بالشوق إلى الله . .

أحاسيس ومشاعر تقود الكيان الإنسانى إلى القمة . . قمة المثالية . . قمة النورانية . . فيشعر هذا الكيان الإنسانى بأنه طائراً فى السماء . . محلقاً فى أجواء حب جميل تنبض به الحياة ، وتنطق به جميع الكائنات . . حب يملأ الوجود نوراً . . حب لله . . وفى الله . . وبالله . . ومع الله . . وفى طريق الله . . فتصبح النعمة من الله ، وإلى الله ، وفى سبيل الله .

وتظل الفتاة سابحة فى بحر الحب الإلهى . . تحمد الله كثيراً ، وتشكره كثيراً على فضله العظيم ، ورحمته الواسعة ، ونعمته الشاملة .

● ● ●

وتمضى الأيام ولا زالت الفتاة سابحة فى بحر الحب الإلهى تتأمل فى نعمة الله عليها ، تتبصر فى رحمة الله بها . . تتفكر فى لطف الله معها حامدة شاكرة لمسات حنانه الكبرى ، وآيات حبه العظمى .

وفى غمار تأملات الفتاة فيما أنعم الله به عليها تعرف الفتاة حقيقة هامة وتعترف اعترافا واضحاً ومحددا . . وأما المعرفة فهى أنها تحس بكل كيانها أن بحر الحب الإلهى يمثل حياتها وأيامها ولحظات عمرها التى تعيشها فى حب الله ، وأما الإعتراف فهو أنها لا تستطيع ـ وبعد هذه المرحلة التى قطعتها فى السباحة فى بحر الحب الإلهى ـ أن تحدد أبداً المكان الذى تقف عنده أو حتى

تعرف المكانة التى وصلت إليها . . فإن ذلك أمر لا يعلمه إلا الله وحده . .

وهذا العجز فى المعرفة دفعها إلى طرح بعض التساؤلات التى طرحتها أمام نفسها :

- هل هى استطاعت أن تتغلب على جميع مجموعات الأمواج ؟
- هلى هى استطاعت أن تقهر جميع شياطين الإنس والجن ؟
- هل استطاعت أن تقف وتصمد أمام جميع العقبات ؟
- هل نجحت فى التغلب على صراعات نفسها حتى أصبحت الآن بلا شهوات أو آفات أو عيوب . . ؟؟

وتجيب الفتاة على تساؤلاتها بكل ثقة ويقين :

كلا . . . وكلا . . . وكلا . . .

فالطريق ما زال طويلاً ، ولا زالت السباحة فى بحر الحب الإلهى مستمرة ، ولا زالت أمواج البحر تصارعها ، ولا زالت شياطين الإنس والجن تتربص بها .

كل ذلك تدركه الفتاة إدراك اليقين ولذلك فهى تعترف بأنها لا تستطيع أن تحدد أين تقف ؟ ولا تعرف ما هى المكانة التى وصلت إليها ؟ وهل هناك أمواج أخرى لم تقابلها ولم تكشف عنها الأيام بعد ؟ . .
فما زال الطريق طويلاً ، وما زال البحر واسعا وعميقاً ، ولا زالت أمواج البحر عالية وضارية ، ولا زال الإيمان يدعوها إلى استمرار السباحة فى بحر الحب الإلهى .

وطالما فيها قلب يدق للحياة ، وينبض بالحب لله ، ويعمل لمرضاة الله فإن الأمواج ستعلو وتعلو وجراح الحياة تواجهها ، وشياطين الإنس والجن لن يتركونها .

وإذا كانت الفتاة قد حققت نجاحاً فى مواجهة أمواج بحر الحب الإلهى التى واجهتها حتى الآن ، وإذا كانت قد حققت نصراً ، أمام شياطين الإنس والجن الذين لاقتهم حتى الآن ، فإن هذا النجاح وهذا الانتصار بفضل الله وحده وبعون الله وحده ، وإذا لم يكن فضل الله عليها ، وعون الله لها

لما استطاعت أن تحرز أى تقدم أو نجاح أو نصر .

وبالرغم من هذا التقدم والنجاح الذى أحرزته الفتاة إلا أنها لا تعتبر أنها بذلك قد وصلت إلى القمة وانتهى المطاف بها عند هذا الحد ، ولا تعتبر أيضاً أنها بذلك النصر قد وصلت إلى نهاية الطريق ، ولكنها تعتقد بل وتوقن أنها البداية وليست النهاية . . بداية رفع أعلام الجهاد ... جهاد النفس فى طريق الله حبا لله وليس طمعاً فى ثوابه أو خوفاً من عقابه . . قوية بالله وحده . . غنية به سبحانه وحده ، متمسكة بالأسلحة التى زودهّا الله بها من الصبر وذكر الله كثيراً وشكره شكراً كبيراً .

فإن الله وحده هو الذى يعلم أى مرحلة وصلت إليها هذه الفتاة العابدة المحبة له سبحانه ، وهو وحده الذى يعلم كم قطعت من المراحل فى الطريق إليه ، وهو وحده الذى يعلم هل نجحت فى ابتلاءاته واختباراته سبحانه لها أم لا ، وهو وحده الذى يعلم مدى حبها له وقدر تحمّلها وصبرها على عثرات الطريق حبا له . . فهو سبحانه عالم الغيب . . العليم والمحيط بكل شىء .

إن كل ما تعرفه الفتاة وتدركه جيداً حقيقة مضيئة تعيش فيها وتلمسها فى كل لحظة وهى أنها تغيرت ولا زالت تتغير ، ولا زالت التجربة التى منَّ الله بها عليها وتعيشها بكل وجدانها . . تهذّبها وتقومّها ، ولا زال حب الله المحفور فى كل ذرة فى كيانها يصقلها ويوجهها ويرشدها إلى ما يجب أن تفعله وما لا يجب أن تفعله .

حب أكبر منها ، ومن طاقاتها وقدراتها وإمكانياتها . .
حب يسعدها ويضىء أيامها بهجة ، ولحظات عمرها نوراً . . .
حب يعلمُّها الرفق ، والحنان ، والرحمة . . .

حب يقودها إلى أجمل ما فى الحياة ، وإلى أسمى ما فى الوجود
وهو السلام . . السلام مع نفسها . . السلام مع روحها ،
السلام مع قلبها وفؤادها وكيانها . . السلام مع جسدها . .
السلام مع الكائنات والوجود .
ما أجمل هذا السلام . . !

إنها معاهدة السلام العظيم . . عقد معاهدة لبناء سلام مع النفس أولا ثم مع الروح والقلب والفؤاد والجسد والكيان الإنسانى بكامله .
فيمن الله بثمار طيبة ثوابا لهذه المعاهدة الصادقة حيث الإحساس بالسلام والحب مع الكائنات والمخلوقات والشعور بالسلام والألفة مع الكون والوجود .

تعتقد الفتاة إن من أهم الأشياء التى يجب أن يحرص عليها الإنسان هو أن يحقق السلام مع نفسه ، وإذا حقق الإنسان السلام مع نفسه فسيتحقق له تلقائياً السلام مع روحه وقلبه وفؤاده ومشاعره وأحاسيسه وكيانه الإنسانى بكامله مما يجعله يسعى إلى الخير فينتشر السلام فى الأرض مع الآخرين ويمن الله عليه بأمره سبحانه بنعمة الإحساس بالسلام مع الكائنات والوجود كله .

إن السلام ليست عبارة نرددها فقط أو مأثورة ندعو إليها فقط ، وإنما هى كلمة عظيمة وقيمة جميلة لا يقدّرها إلا من يشعر بها ويتفاعل معها حيث يحقق السلام مع نفسه وكيانه الإنسانى ومن ثم يشعر بالسلام مع كل شىء خلقه الله فى الوجود .

وتؤمن الفتاة بأن السلام غاية كبرى يجب على الإنسان أن يسعى إليها محاولا تحقيقها فى نفسه وحياته للوصول به إلى الغاية الأسمى وهى القرب من الله .

وتشعر الفتاة بأن الهدوء ، والسكينة ، والأمن النفسى هى مراحل فى طريق السلام ينعم بها الله على الإنسان الذى يسلك طريقه ناشداً رحمته . . طامعاً فى حبه وحنانه ورضاه .

وتحيا الفتاة فى تأملات روحانية حيث أن السلام اسم من أسماء الله الحسنى فلقد سمى الله تعالى نفسه السلام فهو سبحانه السلام ، وكل سلام فى الكون يستمد منه ، ويعتمد عليه ، ويرجع إليه .
وهو سبحانه واهب السلام . .
فمنه وحده السلام ، وإليه وحده السلام ، وبه وحده السلام

إذن فالسلام غاية من الغايات الكبرى تقود الإنسان إلى الغاية الأسمى وهى القرب من الله .

فلتكن حياتنا هى السلام والحب
ولتكن وصيتنا إلى أبنائنا وبناتنا هى السلام والحب
ولتكن دعوتنا إلى إخواننا وأخواتنا هى السلام والحب

ولنطبّع أنفسنا وقلوبنا على السلام والحب
حتى إذا جاء أجلنا فلنحرص على أن نفارق الدنيا بسلام وحب ، ونسلّم الراية إلى غيرنا لإستكمال المشوار والسلام يملأنا ، والحب يغمرنا طامعين فى رحمة الله ناشدين القرب منه وحده لا يشغلنا شىء سواه .

فبالسلام والحب تُقتلع الأحقاد من النفوس
وبالسلام والحب تُشفى القلوب
وبالسلام والحب تدمر جذور الشر والآثام
وبالسلام والحب تنبت بذور الأمن والإطمئنان
فتحصد ثمار الخير والصلاح والرخاء .

وبالسلام والحب يشعر الكيان الإنسانى كله بألفة ومودة مع الكائنات والوجود . .
يحس بأن هناك حياة مشتركة بينه وبين الكون كله . .
هناك تجاوب مع جميع الكائنات والمخلوقات
يفهمون لغة بعضهم البعض
يتغنون سوياً بالحب والسلام
شاكرين حامدين فضل الله ، ونعمة الله
إنها نغمات راقية . . نغمات عظيمة . .
نغمات حية نابضة بالحب . .
إنها نغمات حياة السلام . .

وتوقن الفتاة بأن الإنسان لا يستطيع أن يحقق السلام بمعناه المتكامل إلا بحب الله الكامل الذى ينبض به كيانه كله ، فحب الله يحقق للإنسان سلامه مع نفسه ويقوده إلى الشعور بالسلام مع كل ما خلقه الله عز وجل .

وحب الله عند هذه الفتاة بطلة قصتنا شىء عظيم ، إحساس لا يوصف ، شعور من الصعب التعبير عنه .. فهى توقن بأن حب الله هو أغلى ما فى الحياة ، وأثمن ما فى الوجود .

ومن منطلق حبها لله الذى هو أغلى من حياتها .. تتفاعل مع الناس والأشياء والمعانى والقيم .

ودائماً تضع أمام نفسها حقيقة لا تتخلى عنها أبداً وهى أنها على قدر حبها لله ستعطى ، وستتحمل ، وستصبر ، وستصمد ، وستسلك سبيل الله حبا له عز وجل .

فعلى قدر حبها لله .. تصبر على جراح الحياة
وعلى قدر حبها لله .. تواجه أمواج بحر الحب الإلهى
وعلى قدر حبها لله .. تتحمل عقبات الطريق
وعلى قدر حبها لله .. تصمد أمام شياطين الإنس والجن
وعلى قدر حبها لله .. تحاول أن تقوّم من نفسها
وتهذّب من أخلاقها ناشدة الإرتقاء للقرب منه سبحانه .

وعلى قدر حبها لله .. تعبده وتذكره وتثنى عليه
وتحمده وتشكره حبا له وليس طمعاً فى جنته أو خوفاً من ناره .

وعلى قدر حبها لله .. تفرح مستبشرة آمنة
بما أتاها الله من فضله .. تنعم بنعمة الله
حامدة شاكرة إحسانه إليها ، ونعمته عليها ،
ولمسات حنانه الكبرى .. وآيات حبه العظمى ،
وفيوضات عطائه النورانية .. وإشراقاته الرحمانية .

وعلى قدر حبها لله .. تتأمل فى كل شىء خلقه الله عز وجل مرددة « سبحان الله الخالق العظيم » ، وتتبصر فى آيات الله حولها وفى نفسها حامدة

فضله العظيم ، وتتفكر فى قدرة الله العظيمة . . ورحمته الواسعة . . ونعمته الشاملة على كل شىء فى الوجود . . . فسبحان الله الوهاب القادر الرحمن المنعم المتفضل

مالك الملك ذو الجلال والإكرام

وتبارك الله أحسن الخالقين

وسبحان الله ذو الفضل العظيم

رب العالمين رب العرش العظيم

هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة

هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور العزيز الحكيم .

إذن فالفتاة تستمد كل شىء فى الحياة من آثار حبها لله ،

تتفاعل مع كل شىء فى الوجود من منطلق حبها لله . . . . .

إن حبها لله هو الحياة ، وهو النبض ، وهو الحكمة ، وهو النعمة الشاملة . . . إنه السعادة الكاملة ، وهى لا تتصور أن تقوم للإنسان حياة بدون حب الله والتنعم بآثار هذا الحب الخالد . . فإن حب الله هو الميزان العادل الذى به تستقيم حياة الإنسان .

إن حب الله عند هذه الفتاة ـ سفيرة قصتنا ـ هو الحب الوحيد الذى يعطى لحياتها معنى ، ولأيامها جمالا ، وللحظات عمرها سلاما ، وهو الشىء العظيم والجميل فى حياتها . . حب متجدد لا يقف عنده شىء ، ولا يحده شىء . . حب ممدود لا ينتهى .

وكما أن حب الفتاة لله حب ممدود لا ينتهى فإننى أيضا ككاتبة لقصة هذا الحب الجميل لا أستطيع أبدا أن أحدد أو أضع نهاية لهذه القصة أو حتى أتكهن بها لأن ما زالت الفتاة على قيد الحياة ، ولا يزال عطاء الله لها فياضا ، ولا يزال قلبها ينبض بالحب لله . . تحترق شوقا إليه . . تتقلب فى نيران اللهفة والحنين للقائه .

ولذلك فإن نهاية هذه القصة . . نهاية مفتوحة لأن لا أحد يعلم متى وكيف ستنتهى . . . لا يعلم ذلك إلا الله وحده .

كما أن لا أحد يستطيع أيضا أن يعرف ما هو إمتداد هذه التجربة الروحانية التى مَنّ الله بها على هذه الفتاة . .

هل ستقف عند هذا الحد . . . ؟

أم سيشاء الله أن تتطور هذه التجربة إلى أكثر من ذلك وتدخل الفتاة فى مراحل أخرى متطورة ويفيض الله عليها بالمزيد من فضله العظيم وعطائه الكريم ؟

هذا ما ستكشفه لنا الأيام والأحداث بأمر الله ، ولا يعلم ذلك إلا الله وحده .

ومن يدرى . . . .

ربما - إذا شاء الله وقدّر لهذه الفتاة أن تدخل فى مراحل أخرى جديدة فى هذه التجربة - أن يكون لنا كتاب آخر بأمر الله ومشيئته إمتداد لهذا الكتاب يحكى عن تطور هذه التجربة الروحانية التى هى فضل من عند الله جل جلاله وحده فلا أحد يعلم ذلك إلا الله وحده . . .

كل هذه أخبار محفورة فى عالم الأسرار . . مسطورة فى عالم الغيب . . .
ولا يعلم السر وما أخفى إلا الله وحده . . .
ولا يعلم الغيب إلا الله وحده . . .

فسبحان الله عالم السر وحده
وسبحان الله عالم الغيب وحده

له ما يشاء ، ويهب من يشاء
ويعطى بما يشاء . . . . وهو على كل شىء قدير .

● ● ●

رُفعت الأقلام . . وجفت الصحف

تنتهى وتتوقف سطور هـذه القصة ، ويكف القلم عن الكتابة . . . . ولكن حب الفتاة لله جل جلاله لا ينتهى ، فهو يزيد يوما بعد يوم وتتفاعل به ومعه لحظة بعد أخرى طالما فيها قلب يدق ، وفؤاد ينبض ، ودم يجرى ، وحواس تحس ، وعروق تهتز ، وهمسات تهمس ، ومشاعر تحيا بها . . فتركع وتسجد حبا لله يملأها الشوق له سبحانه وتعالى هائمة فى حبه . . شاكرة له عز وجل على الدوام .

إنه حب يجرى فى دمها وعروقها ، ينبض به قلبها وفؤادها ، ينطق به ويشهد عليه كل ذرة فى كيانها .

حب حى نابض بأجمل ما فى الحياة ، وأروع ما فى الوجود حيث لمسات الحنان الإلهى ، وآيات الحب الربانى .

حب هو حقيقة قائمة بذاتها تتجلى فيها قمة من قمم العبودية المطلقة لله وحده لا شريك له .

وتعلن الفتاة بحب يهز كل وجدانها ومشاعرها وفؤادها ، ويهتز له كل ذرة فى كيانها :

ما أجمل حب الله . . ! ما أروع لمسات حنانه . . !

لمسات تفتح أبواب الطريق إلى الله
لمسات تهدى إلى سبل الله
لمسات ترشد إلى الصلاح والتقوى
لمسات تضفى المعرفة والعلم والنور
لمسات تضىء الحياة وتنير الوجود
لمسات تبعث الإطمئنان والإستقرار
لمسات تحقق الأمن النفسى

ان كل كنوز الدنيا ومتاعها لا تستطيع أن تحقق الأمن النفسى للإنسان .

ولكن حب الله يحقق الأمن النفسى المنشود . . والسلام الروحى الممدود . . والإطمئنان القلبى المشهود .

وتستغرق الفتاة فى تأملات نورانية حيث تتساءل :

ماذا بعد الحب لله ؟
أهو الشوق إلى الله . .

وماذا بعد الشوق إلى الله ؟
أهو العشق الإلهى . .

وماذا بعد العشق الإلهى . .

إنه الفناء . . الفناء . . الفناء . . حيث تحس الفتاة بفناء نفسها وذاتها ووجدانها وكيانها كله ، وفناء كل شىء فى الوجود ولم يبق إلا الله وحده لا شريك له . . فإن كل شىء فان ومنتهى . . والخلود لله وحده سبحانه لا شريك له .

الله . . الواحد . . الرحمن . . الرحيم . . اللطيف . . الكريم . . الخبير . . العظيم . . مالك الملك ذو الجلال والإكرام .

إن حب الله فى حياة هذه الفتاة ـ بطلة هذه القصة ـ حب مضىء له آثار على شخصها ونفسها وذاتها وأخلاقها وسلوكياتها . . حب يغيرها فى كل لحظة مما كان له آثار ومتغيرات فعالة فى الكثير من جوانب حياتها ، ونود هنا أن نلقى الضوء على ثلاثة من هذه المتغيرات التى أحست بها الفتاة وكانت لها تأثيرا فعالا وهاما فى نفسها وحياتها .

١ ـ المتغير الأول :

إن المشاعر الفياضة التى ينبض بها قلب الفتاة فى حب الله ، وما تشعر به كل ذرة فى كيانها من شوق إلى الله . . ولدّ عندها مشاعر رقيقة وأحاسيس عذبة مرهفة فى تعاملها مع الناس والأشياء والمعانى والقيم . . أحاسيس مصحوبة بالرفق والرحمة حول كل شىء يحيطها .

٢ ـ المتغير الثانى :

بدأت الفتاة تشهد الجمال فى كل شىء فى هذا الوجود . . فى كل شىء صغيرا وكبيرا .

فهى ترى أن فى كل شىء نسمة من نسمات الجمال ، وفى كل ذرة لمحة من لمحات الجمال .

إن كل شىء فى الحياة يحمل ويبطن الكثير من آثار الجمال مما يبعث الأمان والحنان والإطمئنان .

٣ - المتغير الثالث :

هذه المشاعر الرقيقة بحب الله ، والأحاسيس المشهودة بالجمال فى كل شىء حفر عندها إحساس وشعور قوى جارف بتقدير المسئولية وتحمّلها فى كل شىء . . فى الكلمة التى تقولها . . فى السلوك الذى تسلكه . . فى رد الفعل على أى موقف منفعل . . فى أخلاقها وأفعالها . . فى مظهرها . . فى آداب حديثها وجلوسها ومشيها . . فى آداب تعاملها . . فى مأكلها ومشربها . . تشعر بالمسئولية نحو كل تصرف يأمر به عقلها ووجدانها وقلبها وفؤادها . . .

مسئولية تفرض عليها الحرص والإهتمام بالعمل وينتج عنها أمانة توجب عليها الصدق والإخلاص . . الصدق مع نفسها ، والإخلاص فى كل شىء تتعامل معه .

مسئولية تنبع من حبها لله . .
أمانة تتولدّ عن حبها لله . .
مسئولية وأمانة توجهها إلى العمل فى طريق الله ، وعلى قدر حبها لله .

وتتأمل الفتاة فى هذه المتغيرات الثلاث فتؤكد أنها نابعة من حب الله . . فلولا حب الله الذى ينبض به قلبها ما كانت هذه المشاعر والأحاسيس العذبة ، ولولا حب الله ما كانت لمسات الجمال التى تشهدها تضفى على كل شىء فى الحياة ، ولولا حب الله ما كان الإحساس بتقدير المسئولية وتحمّل أمانة الحياة .

إذن فحب الله حقا مسئولية وأمانة وليست شعورا وإحساساً فقط .

ان حب الله هو جوهرة الحياة . . جوهرة تتلألأ وتنبض بالحب والحنان والأمان والشوق الجارف إلى الله مما يدفعها إلى تحملّ مسئولية الطريق وحمل

أمانة الحياة فى العمل والسلوك إلى الله للوصول إلى الغاية الأسمى وهى القرب من الله .

وفى قمة هذا الحب العظيم لله الواحد الرحمن . . تسجد الفتاة بقلب مخلص محب مشتاق إلى الله ، داعية الله فى كل لحظة بهذه الكلمات التى تقويها فى طريقها وتثبتّها فى حبها لله عز وجل . . .

اللهم لا تجعل شيئا فى قلبى يتملكنى سواك
اللهم لا تجعل حبا يسيطر على قلبى ، ويستحوذ على مشاعرى
ووجدانى وكل ذرة فى كيانى ، ويملكنى سوى حبك .

اللهم سخر كل متعة تنعمها علىَّ فى طريقك ورضاك
واجعلها لا تشدّنى إلا إليك ، ولا تقرّبنى إلا منك
وأحيل بينها وبين نفسى ، وامنحنى نورا من عندك
يحمينى ويحفظنى وينجينى من نجوى الشيطان وهوى النفس
وأعيننى على حسن عبادتك وشكرك وذكرك
يا رب العالمين
وأحسن خاتمتى يا أرحم الراحمين .

وتمضى الفتاة فى طريقها ثابتة على حبها لله ، محافظة على عهدها له . . حامدة شاكرة راضية آمنة فرحة مستبشرة بما أتاها الله جل جلاله من فضله العظيم ، وبما وهبها من عيون لها نور من الله .

الخاتمـــة

عيون لها نـور من الله

لقد عشنا مع سطور هذه القصة ، وعلى صفحاتها فى قصة حب عظيم لله ينبض به قلب فتاتنا (بطلة هذه القصة) - حب محفور فى قلبها ، مرسوم فى دمها ، مسطور فى وجدانها يتحرك ويتفاعل به كل ذرة فى كيانها .

حب تعيش به ، وله ، ومن أجله .
حب تحيا فيه أجمل لحظات عمرها ، وأحلى أيامها
حب ينطق بالحنان والرحمة

حب يعلّمها الخير ومقومات الطريق الى الله
حب يرشدها إلى الصلاح والتقوى
حب يدفعها إلى العمل الصالح
حب يهذبها ويربيها ويؤدبها ويعطيها
أجمل معانى الحياة ، وأرقى مفاهيم الوجود .

حب يوجهها إلى القدوة الطيبة ، والأسوة الحسنة
حب يعرّفها الخلق القويم والسلوك المستقيم

حب يعطيها الحنان والأمان
حب يمنحها العطاء والرخاء
حب يهب لها السعادة الكاملة حيث الإطمئنان والسكينة والسلام الروحى الممدود ، والأمن النفسى المنشود .

حب يلهمها المعرفة ، ويهديها إلى طريق الهُدى
وما المعرفة الا من عند الله
وما الهُدى الا هدُى الله .

وكما أنعم الله على الفتاة بالحب الإلهى ، من عليها بتجربة روحانية هى فيض كريم من عنده سبحانه . . تجربة فيها البشرى ، والابتلاء ، ورحمة الله ، والتلطف الإلهى ، والمعرفة ، والسلوكيات والإرشادات التى تعينها فى طريق الله ، كما كان فيها من الأمور والأحداث ما لا علاقة للفتاة بها ومما جعلها تحس وتشعر بأن هذه التجربة ليست ملك لها لوحدها لكى تكنزها . . فهى طائر نورانى لابد أن تطلقه يطير بحرية لعله يصيب من أجنحته النورانية بأمر الله لمن يشاء الله أن يفتح عليه .

إنها قصة فتاة آمنت بالله إيمانا كبيرا ، وأحبته حبا عظيما . . .
سارت فى طريقه بإيمان ثابت ، وعهد صادق ، ووفاء خالص
على ألا يدق قلبها ، وينبض فؤادها ، ويحيا جسدها
إلا لذكره ولعبادته هو وحده . . . .

وهبت حياتها ونفسها وطريقها كله له هو وحده . . .
فأصبحت على هدى من ربها ذات عيون لها نور من الله .

● ● ●

إن هذه القصة حكاية حب عظيم لله . . حب ينبض به كل ذرة فى كيان هذه الفتاة ويجرى فى دمها وعروقها فلا تحيا إلا به فيضىء لها الطريق وينير لها الحياة ويغير من نفسها فتصبح أكثر رومانسية . . أكثر شاعرية . . أكثر حبا للجمال . . أكثر حبا للحياة . . ترى فى كل شىء فى الوجود جمال صنع الله ، وجلال الله ، وقدسية الله وقدرته العظيمة فتسجد وتسجد معها كل ذرة فى كيانها قائلة بكل جوارحها وأعماقها ونبضاتها :

سبحان الله الخالق العظيم
الذى خلق كل شىء حبا
وأوجد كل شىء رحمة وحبا
وجعل الحب قانون الحياة
فضلا من عنده
وحبا وحنانا منه سبحانه .

إن الحب شيء جوهري في حياتنا وأعظم أنواع الحب هو حب الله فهو أكسير الحياة ، وسر الوجود ، ومفتاح السعادة .

إن حبنا لله يجعلنا نستمد قوة كبرى داخل كياننا ونشعر من خلالها بجميع أنواع الحب الأخرى ، فإذا أحببنا الله سنحب الطبيعة والوجود والطيور والحيوانات وكل شيء في هذه الدنيا صغيرا كان أم كبيرا .

إن الله عز وجل هو الإله الواحد الصمد واهب الحياة وخالق الوجود . فإذا أحببنا خالق كل شيء فسنحب كل ما خلقه عز وجل سبحانه رب العالمين ورب العرش العظيم . . . . والإنسان الذي يصل إلى هذه الدرجة لا يخشى شيئا ويحس أن جميع المخلوقات تشترك معه في هذا الحب . . فهم شركاء له في هذا الحب يستمتعون سويا ويشعرون بالسعادة سويا ، ويتغنون سويا ويطيرون فرحا مستبشرين فرحين بحب الله ، سعداء بهذا العبد المؤمن الذي يشترك معهم في الغناء والتسبيح حبا لله عز وجل .

وهنا نتذكر قصة سيدنا داوود عليه السلام الذي أنعم الله عليه بصوت جميل وكان يسبّح الله ويمجدّه بصوته العذب المعجز ، ولقد سخر له الله عز وجل الطير والجبال يسبحن معه :
قال تعالى في سورة الأنبياء :

﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾
(الأنبياء : ٧٩ - ٨٠)

فنحن في قصة سيدنا داوود عليه السلام أمام معدن بشرى من لون خاص ، إنسان بلغ من شفافية النفس والتجرد أن إنزاحت الحجب بينه وبين الكائنات فاستجابت عصارة النباتات وهي تصعد في سيقان الشجر لصوت ترنيمه . . واتصلت ذرات الجبال بذبذبات صوته وهو يسبّح ، وذابت الحدود بين ضمير المخلوق والطير والوحش وصخور الجبال ، فاتسقت كلها في نغم واحد يتجه إلى الله بالتسبيح والتمجيد والذكر . كان داوود يملك نفسا تستطيع أن تمتزج إمتزاجا صوفيا بغيرها من نفوس الكائنات حتى ما نتصور أنه لا يملك نفسا كالجبال والصخور . . .

كان داوود إذا جلس يسبّح الله ، ويمجدّه تعرت الكائنات من إطار الوجود الجامد ، وانكشف باطنها المترنم يمجد الله ، واستجاب هذا الباطن للنغم الصادر من داوود .

واختار الله داوود نبيا .. وآتاه الزبور ..

قال تعالى :

﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ (الاسراء : ٥٥)

والزبور كتاب مقدس كالتوراة .

ويقرأ داوود من كتابه يسبّح الله وتشترك معه الجبال فى التسبيح وتحشر له الطير :

قال تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (ص : ١٧ - ٢٠)

كان داوود إذا بدأ قراءة كتابه المقدّس اجتمعت حوله الطيور والوحوش والأشجار وسبّحت الجبال .

لم يكن صدق داوود هو وحده المسئول عن تسبيح الجبال معه أو الطير .. لم تكن عذوبة صوته هى المسئولة عن تسبيح بقية المخلوقات معه ...... إنما كان هذا معجزة من الله له كنبى عظيم الإيمان ، صادق الحب لله .. ولم تكن هذه وحدها كل معجزاته .. انما أعطاه الله قدرة على فهم لغة الطيور والحيوانات .. كان يتأمل يوما فسمع عصفورا يخاطب عصفورا آخر .. فاكتشف أنه يفهم لغة العصفورين .. قذف الله فى قلبه نورا ففهم لغة الطيور ولغة الحيوانات ، وكان داوود يحب الحيوانات والطيور ويعطف عليها ويطعمها ويداويها إذا مرضت ، وكانت الطيور والحيوانات تحبه وتقصده ، ومع لغة الطيور علّم الله داوود الحكمة ... وكان داوود إذا علّمه

الله شيئا أو أعطاه معجزة زاد فى حبه لله ، وزاد من شكره لله ، وزاد من إيمانه بالله ، وزادت عبادته لله حتى أصبح يصوم يوما ويفطر يوما[1] .

إن حب الله أعظم من أى كلمة تكتب عنه ، والإنسان الذى يصل إلى هذه المنزلة ويحس بعجزه فى التعبير عن حب الله يفيض الله عليه فيفتح عليه من أسرار الكون فيرى ويسمع بغناء وتسبيح وسعادة وفرحة المخلوقات الأخرى بل ويشترك معهم فى هذا الغناء وفى حفلتهم الراقية الدائمة المعبرة عن حب الله .

لا خلود لشىء على الأرض .. الخلود لله وحده ...

لكلمات الله وحدها ... وإذن يحتضن المرء كلمات الله كى ينجو من الفناء ويهزم الموت ، ولا شىء ينجو من الفناء ويهزم الموت غير الحب الإلهى لأن أحد طرفى هذا الحب هو الله سبحانه وتعالى .. حى أبدا .. خالد أبدا .. باق أبدا .

ونحن لا نعرف أن أحدا أحب الله عز وجل مثلما أحبه أنبياؤه ، لأن الحب ينبع من العلم ، وقد كان أنبياء الله أعلم الناس بالله .

وإذن نلتصق بأنبياء الله .

هم كبار العاشقين .. هم رسل الرحمة .. ولن ينجى من طوفان الأرض غير سفينة نوح .. وإذا كانت أخشاب السفينة القديمة قد تآكلت فإن السفينة ذاتها لم تزل موجودة .. ولم تزل قادرة على مقاومة الطوفان .

وانك لواجد هذه السفينة فى كلمات أنبياء الله كما وردت فى القرآن .

وهناك كتب تتحدث عن الأنبياء بحياد وتذكرهم كجزء من التاريخ الذى ذهب وانقضى .. والأصل أن الأنبياء هم قادتنا على الأرض ، وهم حكامنا الحقيقيون إن أردنا النجاة ، وهم مستقبلنا وليسوا ما ضينا القديم إن أردنا الخلاص .

---

(١) أحمد بهجت : أنبياء الله ، ص ٢٦٦ .

ومن يتأمل فى قصص أنبياء الله يجد بل ويتحقق ويوقن بأنهم حقا جميعا هم رسل الحب الإلهى والرحمة .

وأى عقيدة إلهية هى فى عمقها البعيد حب ورحمة .

حب من لون لا وجود له على الأرض . . .

وفى أى حب بشرى ، هناك احتمال أن يخونك الطرف الآخر أو يهجرك أو يصيب بغدره مشاعرك ، وفى قصص الحب الإلهى ليس هناك احتمال للخيانة أو الهجر أو الغدر إلا من جانبك أنت .

تخون أنت ، وتهجر أنت ، وتغدر وتبتعد .

ويرحم هو . . ويعفو هو . . ويتوب ويهدى سبحانه .

ويجىء الأنبياء أصلا لإعادتك إلى مصدر الحب فى الكون ، وتعليمك معنى الحب ، وتوجيهك إلى المستحق وحده للحب ، ولأن الأنبياء رسل حب فى الأرض ، ولأن الكراهية أغلبية حاكمة على الأرض يعيش الأنبياء صراعا لا يهدأ ، ويدفعون من وقتهم وخبزهم وأعصابهم ودمائهم ثمن انتشار دعوتهم .

ومن قصص أنبياء الله تعلمت الفتاة (بطلة هذه القصة) حب الله حتى أصبحت كل لحظة فى حياتها تنبض بحب الله ، وكل ذرة فى كيانها تنطق وتحيا وتشهد بحب الله ، وضعت قصص أنبياء الله نبراسا أمامها يضىء لها الطريق تستفيد منهم وتتعلم منهم الصبر فى الطريق حبا لله ، وتعرف من محن الحياة التى واجهتهم كيف تتحمل وتصبر وتشكر حبا لله .

فهم القدوة الطيبة . . والمثل الأعلى . . والأسوة الحسنة لها فى الطريق .

تعلمّت وعرفت من قصصهم أن تستمد القوة والصبر والقيم والأخلاق والمبادىء من حب الله ، ومهما واجهت من صعاب . . ومهما قابلت من محن فيجب أن تتمسك بهذه القيم وتحافظ عليها فأصبحت جراح الحياة مصدر قوة لها تدفعها إلى التمسك بمبادئها وقيمها أكثر لأن معها كنزا كبيرا أكبر وأغلى من ثروات وكنوز الدنيا كلها ، وهذا الكنز هو حب الله الذى تستمد منه القوة

والصبر والمحافظة على قيمها ومبادئها . وكلما كانت الآلام عميقة . . كلما كان إصرارها على المحافظة على مبادئها وقيمها أعمق وأكبر ، وكلما زادت الجراح . . زادت أيضا قوة صبرها وتحمّلها وتمسكها بمبادئها وقيمها حبا لله .

إن الكنز الذى تملكه يجعلها تحس بل وتوقن أنها أكبر من مواقف الحياة المؤلمة ، وأكبر من جراحها ، وأكبر من سهام الغدر الموجهة إليها ، ولابد أن ترتفع فوق الأحداث وتحتوى كل ظلم ، وكل جرح ، وكل ألم حبا لله وحده وأجرها على الله وحده .

كانت ولا زالت قصص أنبياء الله نور لها فى الطريق يدفعها ويشدّها إلى حب الله ، ويعلمّها ويوجهها دائما إلى أن الله وحده هو المستحق للحب ومنَّ الله عليها بالحب الإلهى فشربت من كأس الوداد . . ينبض فؤادها بحب الله تتقلب فى نار الشوق إليه وزاد حبها لله فى قلبها حتى أصبحت كل ذرة ، وكل نبضة تحيا بحب الله . . حب يجرى فى دمها وعروقها حتى ذابت إرادتها فأصبحت لا تتمنى إلا ما يريده الله لها ، ولا ترضى إلا ما يرضاه الله لها ، ولا تطلب إلا رضا الله ، وحب الله ، والقرب من الله وهى راضية قانعة بما يعطيه لها الله وبما يبتليها به صابرة شاكرة حامدة حبا له وحده .

ويشاء الله أن يمن عليها ويفتح عليها من أبواب الخير ما هو بشرى لها فيمن الله عليها بتجربة روحانية حيث الإشراقات الربانية والفتوحات الإلهية وتنكشف عليها أنوار هى فضلا وهبة من عند الله .

وتشعر الفتاة بالمسئولية . . مسئولية نحو ربها . . ونحو نفسها . . ونحو مجتمعها .

إن ما أنعم الله به عليها نعمة كبرى ، وهى فى نفس الوقت إبتلاء من الله لها . . هل ستحافظ على هذه النعمة ؟ هل ستكنزها لنفسها فقط أم ستحاول أن توظفّ هذه النعمة فى سبيل الله ؟

وهى إبتلاء . . هل ستغتر وتفتن بهذه النعمة أم تعرف أنها فضل الله وأن تنسب هذا الفضل دائما إلى الله وألا تفتن لها ؟

وهنا أدركت الفتاة المسئولية الملقاة على عاتقها وكانت رحمة من ربها أن

أنار بصيرتها لتعرف وهنا آمنت وأيقنت تماما أن نعمة الله يجب أن توجه فى سبيل الله .

وعرفت الفتاة أن هذه النعمة ليس من حقها فقط ، ولا تملك أن تكنزها لأن فيها من الإرشادات والسلوكيات والأحداث والأمور التى من الممكن أن يستفيد بها غيرها كما استفادت هى منها ، وأدركت بأنها لا يجب أن تغتر أو تفتتن بها فهى تحب الله لذات الله وليس لأنه أنعم عليها بهذه النعمة .

إن حبها لله عظيما أكبر وأشمل من أى نعمة أو من أى إبتلاء فهى تحب الله سواء أنعم عليها أم لم ينعم عليها . . . . تحب الله سواء أعطى أو منع .

ومن هنا فهى لا تفتتن بهذه النعمة وليست مغرورة بها ، وتدرك تماما بأنها فضل الله ، ونعمة الله ، وملك الله . . .

إذا أراد أن ينزعه منها سيكون . . . . .

وإذا أراد أن يزيده لها فسيكون . . . . . .

له ما يشاء ، وبيده الأمر وحده . . . . . .

وهى تتمنى أن يزيدها من عطائه وألا يحرمها أبدا من آيات حبه لها ، ولمسات حنانه بها .

ومن منطلق إيمان الفتاة بأن نعمة الله يجب أن توجه فى سبيل الله ويقينها بأن تتحدث بنعمة ربها حمدا وشكرا وحبا له سبحانه . . أدركت أنه ليس لها الحق فى أن تكنز هذه النعمة لنفسها بل يجب أن تطلقها حرة طليقة لعلها تكون نورا لمن يسلك طريق الله ، وبلسما شافيا لمن فقد غايته فى القرب من الله .

ومن هنا شجعتنى الفتاة ودفعتنى والصدق طريقنا لكتابة هذا الكتاب الذى يحكى عن تجربة روحانية هى منة وفضلا وهبة من عند الله وحده ، ويروى قصة حب عظيم تنبض به كل ذرة فى كيان هذه الفتاة وتشهد به كل لحظة فى حياتها .

وإذا تأملنا فى التجربة الروحانية التى أنعم الله بها على الفتاة . . نجد أن

هذه الفتاة خلال مشوار حياتها تحيا نوعين من الحياة أو من الممكن أن نقول أنها حياة واحدة ممتزجة بصورتين أو شكلين وهما :

١ - النوع الأول :

حياة دنيوية بشرية بكل ما فيها من أحاسيس ومشاعر ، وحب ، وفرح ، وحزن ، ونجاح ، وفشل ، وألم ، ومرارة .. الخ .. من تفاعلات الحياة .

٢ - النوع الثاني :

حياة روحانية حيث الإلهام ، والصفاء ، والنقاء ، والنورانية ، والإتجاه إلى التحلي بالخلق القرآني ، والتمسك بالقيم والمثل العليا وكل ما هو أفضل .. حياة روحانية مليئة بفيض الله الكريم ، وحب الله العظيم .. إنها حياة فياضة مليئة بلمسات عظمى من الحنان الإلهي .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو :

أيهما أكثر تأثيرا وفعالية على الآخر ... ؟

في الواقع أن النوع الأول لا يؤثر على النوع الآخر على الإطلاق بل العكس هو الصحيح .. فإن الحياة الروحانية التي أفاض الله عز وجل وأنعم بها على هذه الفتاة تؤثر تأثيرا كبيرا وشاملا على حياتها الدنيوية بكل ما فيها من تفاعلات وأحداث حتى أصبحت هذه الحياة الروحانية هي النور والمصباح المنير الذي يضيء الطريق لهذه الفتاة بما يجيئها من إلهام وفيض لما تفعله وما لا تفعله فأصبحت تراقب نفسها في كل شيء صغيرا كان أم كبيرا حتى في القول .. في الكلمة الصغيرة البسيطة ، وتجد نفسها مدفوعة إلى أن تفعل وتقول لما يُرضى الله عز وجل .

وبالرغم من هذا التأثير الفعال الذي تنشئه هذه الحياة الروحانية في حياة الفتاة الدنيوية إلا أنها تجد نفسها دائما متعطشة .. محتاجة إلى الله .. تريد أن ترتوي من بحر الحب الإلهي .. في حاجة دائمة إلى التقويم الإلهي .. ولذلك تحرص هذه الفتاة على أن تدعو وتطلب من الله عز وجل بأن يربيها ويؤدبها

ويقوّمها ويصقلها ويهذبها ويجعلها فى الصورة التى يرضى بها عنها . . فهى عابدة فقيرة إلى الله على الدوام لا غنى لها عنه أبدا . . محتاجة فى كل لحظة إلى التقويم الإلهى . . والعون الإلهى . . والتربية الربانية .

إن كل من يسمع بقصة هذه الفتاة أو يعرف بها يلوح أمامه طيف رابعة العدوية ويستنتج بل ويعلن أن هذه القصة شبيهة بقصة رابعة العدوية (فى الجزء الأخير من حياتها) وأن طيف رابعة يعود مرة أخرى فى هذا الزمان ، واسمح لى أيها القارىء أن أقف هنا وقفة حيث إنى أختلف تماما فى إعلان هذا التشابه . . فإن رؤيتى ككاتبة لهذه القصة تشير إلى أن الشخصيتين مختلفتان فى كل منهما ولن نستطيع أن نستبين ذلك الا إذا قمنا بتحليل موجز لكلا منهما :

أولا : رابعة العدوية :

رابعة العدوية . . امرأة صوفية ؟
أليست مفاجأة أن نعثر على امرأة صوفية ؟

ليست مفاجأة إذا كنا نعرف طبيعة الإسلام ، فان الإسلام دين النوع البشرى كله ، وليس النوع البشرى قاصرا على الرجال دون النساء كما أن المواهب التى وزعها الله تبارك وتعالى لم توزع على الرجال دون النساء .

كانت رابعة العدوية امرأة تملك طبيعة فنية مرهفة ، وكانت لها رؤية خاصة فى جوهر العبادة . . وكانت إلى جوار ذلك من الفنانين المثاليين رغم حياتها التى كانت فى جزء منها لا تنتمى للمثالية .

ونرى هذا كله فى تاريخ حياتها الملىء .

كانت رابعة العدوية أول من استعمل - بغير تهيب - كلمة الحب فى العشق الإلهى . وإليها تنسب الأبيات الشعرية التى تقول :

أحبك حبين حب الهوى ... وحب لأنك أهل لذاكا

إن الشطر الأول من البيت يقول انها تحب الله حب الهوى . . . نحن أمام حب إنسانى يتجه إلى الله . . صاحبته امرأة تعذبت كثيرا وأحبت كثيرا واشتعلت بنار الفن كثيرا وحين فاض بها الشوق صرّحت بمشاعرها ووضعت هذا التصريح فى قالب من الفن يستطيع الصمود للزمن ولقد قالت هذا المرأة

كلماتها منذ أكثر من ألف سنة ، ورغم بُعد المسافة وجدت كلماتها من يغنيها من مغنيات هذا القرن الشهيرات ، ووجدت كلماتها من يهتز لها من جمهور هذه الأيام ، يطيب للإنسان أن يحس أنه يحب خالقه .

وليس فى هذا الإحساس ما يصطدم بالشريعة الاسلامية أو العقيدة الإسلامية . ولاَ بأس أن يقف المسلم فى مقام الرهبة أو مقام الحب . . . . . .
المهم أن يكون فى طريقه إلى الله . . .
تتعدد الطرق فى الأرض وتتعدد الطرق فى القلوب ،
وأشرفها الطرق التى توصل إلى الله .

كانت رابعة هى أول من إخترق مجال الخوف إلى مجال الحب . وهى امرأة من البصرة اسمها رابعة واسم أبيها إسماعيل ، والعدوية إسم قبيلتها ، ويذكر الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه عن رابعة العدوية اننا لا نعلم عن حياتها الأولى شيئا إلا عن طريق العطار فى تذكرة الأولياء . ويذكر الدكتور بدوى أن رواية العطار عن طفولتها ونشأتها وخطيئتها قبل التوبة مستفيضة ولكنها لا تقبل فى عين المؤرخ الا إذا طرحنا منها جانب الخوارق والكرامات .

ويذكر العطار أن رابعة ولدت فى بيت فقير كل الفقر . وقصة حياتها أنها هامت على وجهها بعد قحط حدث بالبصرة هى واخواتها الثلاث ، فأخذها ظالم وأسرها وباعها لرجل بستة دراهم وأثقل عليها الرجل العمل فعاشت حياة بالغة العذاب . . واتخذت رابعة مهنة العزف على الناى (لاحظوا الجانب الفنى فى شخصيتها) وكانت هذه المهنة فى رأى الدكتور بدوى من المستحيل أن تستقل بنفسها ، ولا أن تكون بمنجاة من ألوان الإغراء .

ويخيل إلى الدكتور بدوى أنها قطعت شوطا طويلا فى طريق الإثم لأنها تابت بعد ذلك ، وهذه التوبة أصدق دليل على إندفاعها إلى أبعد حد فى طريق الشهوة .

ومهما يكن من أمر فقد كانت رابعة العدوية فنانة فى الأصل . . . كانت امرأة متأججة المشاعر ، عنيفة فى الإتجاه والإختيار ، متقلبة فى حياتها المادية والنفسية على السواء ، أخطأت وانقادت ثم صحت ذات يوم على التوبة .
ولكنها توبة غريبة . . .

انها لا تبكى خطيئتها فى تواضع ، وانما تفخر بحبها لله وهواها له وهى تقسم حبها حبين ، وتتطلع بهذين الحبين إلى الله . .

احبـك حبين حب الهـوى　　وحب لأنـك أهـل لـذاكـا
فأما الـذى هو حب الهـوى　　فشغلى بذكرك عمن سواكـا
وأمـا الـذى أنت أهـل لـه　　فكشفك لى الحجب حتى اراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى　　ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

إختلف القدماء حول الأبيات الشهيرة التى نسبت لرابعة العدوية كما إختلف المحدثون حول مضمون الأبيات ، وهل هو مذهب فى الحب الإلهى أم مجرد امتداد لنظرية سابقة .

وجرى نفس الإختلاف على شخصية رابعة العدوية ، فنسب إليها العطار كرامات كثيرة ، وحدثت كثير من الكتب عن الخوارق التى جرت على يديها تقول رابعة العدوية :

احبـك حبين حب الهـوى　　وحب لأنـك أهـل لـذاكـا

تصرح فى البداية انها تحب الله تعالى نوعين من الحب :

حب تسميه الهوى . . . وحب لأنه سبحانه وتعالى أهل لذلك .

والهوى كلمة مشتقة من إندفاع لا يقاوم نحو شىء معين ، وقد وردت الكلمة فى القرآن الكريم فى دعوة ابراهيم عليه السلام حين قال :

﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾　　(ابراهيم : ٣٧)

والأصل فى استخدام الكلمة هو المجال البشرى ، واستخدامها فى المجال الإلهى هو الجديد الذى يلفت الإنتباه . . .

تريد رابعة العدوية أن تقول أن حبها البشرى أو قدرتها على الحب البشرى قد تحولّت إلى الله عز وجل ، وأضيفت هذه الطاقة إلى الطاقة القادرة على الحب الإلهى . .

الحب مزدوج . . .
ثنائى . .

حب بشرى كان المفروض أن تصرفه للناس . . ولكنها قدمته لله . . وحب إلهى الله سبحانه وتعالى أهل له . .

وفى البيت الثانى تشرح رابعة العدوية سر حبها ألبشرى الذى تحوّل إلى الله .

وأما الذى أنت أهل له فكشفك لى الحجب حتى اراكا

تريد أن تقول أن إنشغالها بالذكر . . قد صرفها عن الناس ولأنها إنصرفت عن الناس ، فقد انكشفت لها الحجب .

وأما الذى أنت أهل له فكشفك لى الحجب حتى اراكا

فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

انها ترجع الأمر كله والحمد كله لله تعالى .

هذه الأبيات الأربعة أثارت جدلا لم يزل ماضيا إلى اليوم ، وأثارت عديدا من المناقشات التى لم تغلق إلى اليوم[1]

عاشت رابعة العدوية فى القرن الثانى من الهجرة ، وماتت فى أخريات هذا القرن كما يرجحه أكثر من كتبوا سيرتها .

كانت رابعة أول من استعمل كلمة الحب فى العشق الإلهى دون تهيب معتمدة على ورود كلمة الحب فى القرآن وكان من قبلها يتحرجون من كلمة الحب فى هذا المقام .

وكان للدكتور/ أبو الوفا التفتازانى وقفة عند سرد تاريخ حياتها وآرائها ، لما كان لها من دور فى تطور الزهد :[1]

هى رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية القيسية وهى مثل رائع من أمثلة الحياة الروحية فى الإسلام فى القرن الثانى الهجرى .

وأشار الدكتور التفتازانى بأن معلوماتنا عن تاريخ حياتها قليلة ، وبعضها ذو طابع اسطورى . ولدت فى البصرة . وروى بعض المترجمين

---

(١) أحمد بهجت : بحار الحب عند الصوفية

(١) الدكتور أبو الوفا التفتازانى : مدخل إلى التصوف الاسلامى .

لها أنها أدركت الحسن البصرى ، ولكن يميل الدكتور التفتازانى استبعاد ذلك لأن رابعة توفيت سنة ١٨٥ هـ والحسن البصرى توفى سنة ١١٠ هـ ، ولما كانت قد عاشت كما يذكر المترجمون لها ثمانين عاما ، فلا يعقل أن تكون قد أخذت عن الحسن البصرى وهى بنت خمس سنين أو نحوها . فجأة تحولت رابعة من حياة عادية إلى حياة دينية صوفية ، وأقبلت على الزهد والعبادة .

ومن أقوالها فى الزهد ما يرويه الهجويرى فى كشف المحجوب (ترجمة نيكولسون)

ولقد قرأت أن رجلا من أهل الدنيا قال لرابعة : سلينى حاجتك ، فقالت إنى لأستحى أن اسأل الدنيا من يملكها ، فكيف اسألها من لا يملكها . .

ويروى عن رابعة انها كانت تصلى الليل كله ، فإذا طلع الفجر نامت فى مصلاها نومة خفيفة حتى يسفر الفجر ، ويروى أنها كانت اذا هبت من مرقدها

قالت :

« يانفس كم تنامين وإلى كم تنامين يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور ، وكان هذا دأبها حتى ماتت . »

ونجد عند رابعة أيضا إكثارا من البكاء والحزن شأنها فى هذا شأن بعض من تقدمها من الزهاد ، فيذكر الشعرانى عنها فى طبقاته أنها كانت كثيرة البكاء والحزن ، وكانت اذا سمعت ذكر النار غشى عليها زمانا ، وكان موضع سجودها كهيئة الماء من كثرة دموعها .

وكانت رابعة معاصرة للزاهد المشهور سفيان الثورى ويروى أنه قال عندها يوما :

« واحزناه فقالت : لا تكذب بل قل : واقلة حزناه لوكنت محزونا ما تهيأ لك أن تتنفس . »

ولرابعة العدوية اقوال مأثورة فى معان كثيرة تناولها الصوفية المتأخرون فيما بينهم فمن ذلك كلامها فى التواضع اذ تقول :

ما ظهر من اعمالى فلا أعده شيئا

ويروى الجاحظ فى البيان والتبيين أنه قيل لرابعة :

هل عملت عملا قط ترين أنه يقبل منك ؟

فقالت :

ان كان شيئا فخوفى من أن يرد على

ومن ذلك كلامها فى الرياء اذ تقول :

اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم

فهى لا تحب أن يتظاهر الإنسان بأعماله الحسنة .

وكانت رابعة تنهى عن تتبع عيوب الناس لأن السالك إلى الله لابد أن يكون منصرفا إلى تعرف عيوب نفسه ، وقد ذكر ابن ابى الحديد فى شرح نهج البلاغة عنها أنها كانت تقول :

« اذا نصح الإنسان لله اطلعه الله تعالى
على مساوىء عمله فتشاغل بها عن ذكر
مساوىء خلقه . »

وهذا القول يذكرنا بما قاله بعدها ابن عطاء الله السكندرى فى حكمة من حكمه .

« تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب
خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من العيوب . »

وكانت رابعة ترى أن توبة العاصى خاضعة أولا وأخيرا لإرادة الله بعبارة أخرى للفضل الإلهى ، وليست بإرادة الإنسان . . فلو شاء الله لتاب على العاصى .

فقد قال رجل لرابعة :

إنى أكثرت من الذنوب والمعاصى ، فهل يتوب على إن تبت ؟

فقالت : لا بل لو تاب عليك لتبت[1]

(١) الرسالة القشيرية ، ص ٤٨

وفكرة رابعة عن التوبة يمكن أن ترد إلى مصدر قرآنى هو قوله تعالى

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

(التوبة : ١١٨)

ومن أقوالها فى معنى الرضا ما أورده الكلاباذى فى كتابه التعرف من أن سفيان الثورى قال عند رابعة :

اللهم ارض عنى

فقالت له :

اما تستحى أن تطلب رضا من لست عنه براض .

وذلك إشارة منها إلى الرضا الذى يجب أن يكون متبادلا بين العبد والرب مصداقا لقوله تعالى

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾

(المائدة : ١١٩)

وقد لاحظ بعض الباحثين فى التصوف من المستشرقين مثل نيكولسون أن أهمية رابعة العدوية راجعة إلى أنها قد طبعت الزهد الاسلامى بطابع آخر غير هذا الذى رأيناه عند الحسن البصرى وهو طابع الخوف ، فهى قد أضافت إلى الزهد عنصرا جديدا هو الحب الذى يتخذ منه الإنسان وسيلة إلى مطالعة جمال الله الأزلى .

وكذلك ذهب استاذنا المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق فى بحث له عن رابعة العدوية ايضا إلى أنها كانت أول من تغنى فى رياض الصوفية[٥] بنغمات الحب الإلهى شعرا ونثرا ، ولم يكن طريق المحبة معبدا قبلها .

ولم تكن رابعة تستهدف فى طاعتها لله غاية من الغايات ، فلم تكن تطمع فى الجنة أو تخاف من عذاب النار ، وانما كانت تطيع الله حبا له ، وهذه المرتبة الروحية تعتبر من أسمى مراتب التصوف عند من جاء بعدها ، وقد عبرت عنها رابعة بقولها :

---

(٣) التعرف للكلاباذى ، القاهرة ، ص ١٠٢

(٥) تعليق على مادة تصوف بدائرة المعارف الاسلامية .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه   هذا لعمرى فى القياس بديع
لوكان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب يطيع

ويروى أن سفيان الثورى قال لها يوما :

ولكل عقد (أى عقيدة أو إيمان) شريطة (شرط) ولكل إيمان حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟

قالت : ما عبدته خوفا من ناره ، ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء إن خاف عمل ، بل عبدته حبا له وشوقا إليه .

ويروى عنها ايضا انها كانت تقول فى مناجاتها :

إلهى اذا كنت أعبدك رهبة من النار فاحرقنى بنار جهنم ، واذا كنت أعبدك رغبة فى الجنة فاحرمنيها ، واما اذا كنت أعبدك من أجل محبتك فلا تحرمنى يا إلهى من جمالك الازلى .

ويظهر أن حب رابعة لله كان من ذلك النوع الذى سيطر على كيانها إلى الحد الذى جعلها تغيب عن ذاتها فى كثير من الأحيان لحضورها مع الله تعالى على نحو ما تشير إليه بقولها :

إنى جعلتك فى الفؤاد محدثى   وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس   وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

لرابعة أبيات أخرى من الشعر ، ويبدو فيها أنها تعمقت فى معنى الحب الإلهى وأنها تنزع فيه منزعا خاصا ، وهذه الأبيات هى :

احبك حبين . حب الهوى   وحبا لأنك أهل لذاكا
فاما الذى هو حب الهوى   فشغلى بذكرك عمن سواك
واما الذى أنت أهل له   فكشفك لى الحجب حتى اراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك له   ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

وقد فسر الإمام الغزالى فى الاحياء هذه الأبيات فقال :

ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة ، وبحبه لما هو أهل له الحب لجماله وجلاله الذى انكشف

لها ، وهو أعلى الحبين وأقواهما ، ولذة مطالعة جمال الربوبية هى التى عبر عنها رسول الله ﷺ قال حاكيا عن ربه تعالى :

أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وكان للدكتور التفتازانى رأى فى أن رابعة قسمت الحب الإلهى فى هذه الأبيات إلى قسمين :

الأول : هو ما تسميه حب الهوى وقد عرفته فى الشطر الثانى من البيت الثانى بأنه شغلها بذكر الله عمن سواه .

والثانى : هو ما تسميه حب الله الذى هو أهل له وهو كشف الله لها الحجب حتى تراه .

ولكن يطرح هنا سؤال وهو : كيف يكون الإشتغال بذكر الله عمن سواه حبا للهوى مع أنه مقام رفيع للغاية ؟

والحقيقة هى أن ما تقصده رابعة العدوية بحب الهوى على هذا النحو لا يصبح واضحا إلا على ضوء الحديث القدسى الذى يحكى فيه الرسول عن رب العزة قوله :

من شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته أفضل ما أعطى السائلين .

فهى تريد أن تقول أن اشتغالها بذكر الله عن سؤاله ، وهو حب الهوى شىء معلول أيضا لأن الله وعدها كما وعد غيرها من المؤمنين على ذلك باعطائها افضل ما يعطى السائلين ، وهى لا تطمع ولا ينبغى أن تطمع فى ذلك إطلاقا بل هى تريد حبا منزها قد تخطت مقام سؤال الله أو الطلب منه ، ثم تخطت مقام الإشتغال بذكر الله عن مساءلته ايضا لأنه معلول ، واستقرت بعد هذا كله فى مقام حب الله بما هو أهل له ، وذلك حين انكشفت عنها الحجب لترى جمال الله ، وعندئذ تسلم لله تعالى التسليم المطلق برؤية المنعم الوحيد عليها فى الحبين الأول والثانى .

نخلص مما سبق كله إلى أن رابعة العدوية كانت تمثل فى القرن

الثانى الهجرى تيار الزهد القائم على أساس حب الله تعالى على حين كان الحسن البصرى أبرز من مثّل الزهد القائم على أساس الخوف من الله تعالى .

وإلى رابعة العدوية يرجع فى الحقيقة الفضل فى إشاعة لفظ الحب عند من جاء من بعدها من الصوفية بعد أن لم يكن طريق الكلام فى الحب ممهدا . وهى لم تكتف بإشاعة لفظ الحب بل هى أول من تعرض بالتحليل لمعناه ، وبيان ما هو قائم منه على معنى الإخلاص ، وما هو قائم منه على طلب الأعواض من الله . وهذا النوع من التحليل الذى لا يخلو من دقة قائم عندها على الذوق والمعاناة المباشرة أساسا(١)

ولقد تكلمت رابعة فى كثير من المعانى الصوفية الدقيقة فى غير موضوع الحب كالكلام فى الزهد والحزن والخوف والتواضع وتصحيح الأعمال والرياء وعدم التشاغل بالخلق والتوبة والرضا ، وغير ذلك مما روى عنها .

لذلك كانت رابعة العدوية فى الحقيقة نقطة هامة فى الزهد الاسلامى الممهد لظهور الصوفية والتصوف .

وقد نشرت بعض الدراسات المتخصصة عن رابعة العدوية ، وهى تكشف عن أهميتها ومكانتها فى تاريخ الزهد والتصوف فى الإسلام ومن هذه الدراسات

دراسة المستشرقة الانجليزية مارجريت سميث عنوانها .
Rabia The Mystic And Her Fellow Saints In Islam, Combridge 1928
ودراسة للمرحوم الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق نشرت فى تعليقه على مادة تصوف بدائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية .
ودراسة للأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى ، عنوانها : شهيدة العشق الإلهى رابعة العدوية(٢)

(١) الدكتور أبو الوفا التفتازانى : مدخل إلى التصوف الاسلامى ، ص ٨٩
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٠

من الشخصيات المحورية فى التصوف الاسلامى رابعة العدوية ، وهى صاحبة فضل وفكر ومدرسة . والتصوف غذاء روحى ، ورابعة العدوية روحانية وراهبة من راهبات الفكر الصوفى الأصيل . وهذا الزمن الذى نعيشه ما أحوجنا فيه إلى جرعات روحية تحيى فينا موال الآمال وتنزل بها علينا السكينة والطمأنينة . وهذا زمان القلاقل والصراعات ، وقيل أنه عصر القلق ، ويبدو أن طابع الشخصية العصرية صار هو الطابع العصابى ، وما أكثر ما يحتاج شبابنا وشيوخنا ونساؤ نا ورجالنا الى من يذكرنا باستمرار القيم الروحية ويوعينا بماضينا ويؤملنا فى غد أكثر إشراقا ، ونحن لا يمكن أن نكون خلقنا عبثا أو طرحنا فى الوجود اطراحا من غير غاية يتوسمها الخالق ولا هدف ولا علة . والإنسان مقدور عليه أن يعيش وجوده من بين كل المخلوقات ، فهو الوحيد الذى يعى الحرية ، والذى يطلبها ويستشعر المسئولية ويقبل الواجبات وهو يحتاج للآخرين ولكنه معهم فى شقاق وعداء ، والآخرين بالنسبة له مع الجحيم وان كان يحاول باستمرار أن يجعل وجوده معهم فى وئام ، ويجاهد مع ذلك أن لا يفقد نفسه وتتميع ذاته ، وأن تكون له إستقلاليته والآخرون يريدونه تابعا وأن يزيفوا وجوده .

ورابعة العدوية وجودها أصيل لم يتزيف ، وفكرها استقلالى وذاتها متوحدة ، وما أحرانا أن نضع أعيننا على أمثالها وان تصافح آذاننا كلماتها ونتمثلها ونحن نصنع حياتنا .[1]

وفى الحياة الروحية فى الإسلام لطه عبد الباقى سرور أن الزهد كان هو السمة الأولى التى تميزت بها القلة المستمسكة بالعروة الوثقى ولكن الزهد بذاته مجرّداً هو إنطواء على النفس وإنكماش فى ساحات الحياة ، وأما الحياة الروحية الكاملة فانطلاق وانفساح وقوة واشراق .. انطلاق فى آفاق المعرفة ، وانفساح فى حياة القلب ، وقوة تدفع إلى خالد العمل ، واشراقة إيمانية عامرة بالفيض والإلهام ، وفناء فى المثل الأعلى .. ولم تحدث كلمة بعد كلمة التوحيد دويا كالذى احدثته كلمة محبة الله التى هتفت بها رابعة ، ففتحت آفاق المعارف الصوفية وفجرّت ينابيعها ، ورابعة أبرزتها

(١) الدكتور/عبد المنعم الحفنى : العابدة الخاشعة رابعة العدوية ـ إمامة العاشقين والمحزونين ، ص ٥ .

وجلّتها وادارت حولها حياتها ، وأقامت رسالتها ، والمحبة هى رسالة التصوف ، وقامت عليها أكبر رسالة روحية عرفها العالم ، وجعلتها رابعة سر الحياة وطابعها وهدفها الأعلى .

ومن محبة الله تنبثق محبة كل ما فى الوجود . وعلّمت رابعة الناس أن الحياة محبة للناس جميعا ، وللكون بكل ما فيه لأنه من صنع الله ، وعلّمتهم أن عبادة الله أساسها الحب ، وبذلك أقامت صلة العبد بربه على أقوم نهج تعبدى : نهج الشوق والأنس والرضا ، فالحب الإلهى هو المصدر الحقيقى الذى استمدت منه الموجودات وجودها ، وهى بذلك حقيقة كونية روحية ورابعة هى صاحبة مدرسة الحب الإلهى ومؤسستها فى الإسلام ، وكل من قفا بآثارها ومشى على نهجها لم يأت بجديد .

ويقول الشيخ مصطفى عبد الرازق عن رابعة انها السابقة إلى وضع قواعد الحب والحزن فى هيكل التصوف ، وهى التى تركت فى آثاره كثيرا من نفثات صادقة بالتعبير عن محبتها وعن حزنها ، وان الذى فاض به بعد ذلك الادب الصوفى من شعر ونثر لهو نفحة من نفحات السيدة رابعة العدوية إمامة العاشقين والمحزونين فى الإسلام .

إن مفتاح شخصية رابعة يكمن فى أحوالها وطوارقها النفسية ، وفى خوفها وأنسها ، وشوقها وحبها وطمأنينتها ورجائها ، وقبضها وبسطها ، وتغيبها وتواجدها ، وفنائها وبقائها ، وغيبتها وحضورها ، وصحوها وسكرها ، وذوقها وشربها ، ومكاشفاتها ومشاهداتها ، وأعماق نفسيتها يفسرها أنها صوفية ، وللتصوف سيكولوجية لا يحسن التحدث فيها إلا الصوفية أنفسهم ولعل أستاذ التحليل النفسى فى التصوف هو المحاسبى بلا منازع ، واسمه المحاسبى لأنه كان شديد المراقبة لنفسه .

والأحوال فى التصوف معان ترد على القلب وتحل فيه ، فإن كانت كالبروق وزالت فى وقتها فهى الطوارق ، وإن إستقرت فيه ودامت فهى الأحوال وقد تمكنت وطبعت الصوفى ، والصوفى إنسان عابد وهو فى معراج الترقى فى القمة ، فالصوفى يتسامى بغرائزه وحاجاته ويتحول بطاقته الشهوية إلى تربية ذاته ، فإن ترقى عن ذلك فإنه يتحول بها إلى الله فتشغله محبته لله عن نفسه . والمعاملة اذا صارت إلى المحبة تستريح الجوارح بها ،

ويتحصل للصوفى اليقين ، وتتحقق له الطمأنينة .

ورابعة راعت سرها من خواطر نفسها ومشغوليات الأسرة وعوارض الجسم المذمومة وتمكنت رابعة من المجاهدة حتى صارت لها بمثابة الوطن تجد فيها لذة قلبها وتتذوق لها حلاوة . وكانت رابعة تكابد الشوق لله وتتعذب فى شوقها ، وكانت راضية بعذاباتها فى حبها لله ، وأحوالها فى محبة الله حتى لينسيها هذا الحب نفسها ، فهى تفنى فى احوال أنسها بالله عن ذاتها .

والإخلاص كان سمة مميزة فى شخصية رابعة ، فلقد كانت مخلصة فى توبتها عن نفسها والدنيا وتفرغها لربها وتجردها . ويصفها العطار فيحسن الوصف اذ يقول : عشقها لله كان متأصلا فى قلبها .

لقد أحبت رابعة الله حبا عظيما حتى انها كانت تتمنى أن يغرقها الله فى حبه حتى لا يشغلها شىء عنه .

ورسالة الحب هى رسالة المرأة ، وليس بالمستغرب أن تكون المحبة هى حال رابعة وإنما محبة رابعة فى الذرى ، وعامة النساء محبتهن للدنيا ، والقلوب مجبولة كما يقول رسول الله ﷺ على حب من يحسن اليها وبغض من يسىء إليها ولكن محبة رابعة متناسبة مع ترقى رابعة فى مدارج العبادة ، وارتفاع قامتها فى الإنسانية ، وحبها لله لذلك هو حب الصادقين والمتحققين ، ودراسة رابعة نفسيا أو سيكولوجية رابعة مجالها لهذا السبب فى علم النفس التكاملى ، والإنسان الكامل هو العابد الذى عرف ربه فأحبه ، وذاق من محبته تعالى لخلقه فأحبهم لحبه ، وملىء قلبه حبا فطار بالله طربا وهام إليه اشتياقا كما يقول الخراز .

وكان الرسول ﷺ يقول .

إنه ليغان على قلبى حتى استغفر الله تعالى
فى اليوم سبعين مرة .

فكان ﷺ فى الترقى من أحواله ، فإذا ارتقى من حالة إلى حالة أعلى

مما كان فيها يلاحظ ما ارتقى عنه ويعده غينا كما يعد ما ارتقى إليه ، فكانت أحواله فى تزايد .

ورابعة تقول : يا إلهى اذا كنت اعبدك خوف النار فحرقنى بنارها ، أو طمعا فى الجنة فحرّمها علىّ ، وإذا كنت لا أعبدك إلا من أجلك فلا تحرمنى من مشاهدة وجهك ، وسبيلها ذاك أو معراجها الروحى تقول فيه إنه الطريق الذى اكتشفته ، وهو السبيل السوى ، وهى لم تعرف غير الله فى حياتها ، وكانت معه بقلبها وجسمها وروحها ونفسها[1]

فلقد كان حب رابعة لله حبا عظيما وتطورت فى مراحل هذا الحب الإلهى ، وتدرجت فى المعراج الروحى حتى سميت بشهيدة العشق الإلهى .

وكانت هذه نبذة قصيرة عن حياة رابعة العدوية .

ثانيا : حياة الفتاة (بطلة هذه القصة)

ونستطيع أن نتلمس حياة الفتاة من سطور هذا الكتاب وعلى صفحاته حيث تناول جانبان وألقى الضوء عليهما فى وقت واحد وهما :

اولا : قصة الحب الإلهى التى تعيشها الفتاة بكل ذرة فى كيانها .
ثانيا : التجربة الروحانية التى أنعم الله بها على الفتاة وتحياها بكل أعماقها وفؤادها ونبضها وقلبها وروحها ونفسها وكيانها ووجدانها . . تجربة روحانية هى نعمة من عند الله وفضلا وهبة منه وحده .

بعد هذه الفكرة الموجزة عن حياة كل منهما يتبين لنا ما يلى :

١ ـ أن رابعة العدوية عاشت حياة معينة فى النصف الأول من حياتها ، أما هذه الفتاة لم تحيا مثل هذه الحياة .

٢ ـ أن رابعة العدوية إعتزلت الحياة وهجرت الدنيا ، أما هذه الفتاة فلم تعتزل الحياة بل هى ما زالت فى معترك الحياة تعمل وتدرس وتتفاعل مع جميع أحداث الحياة .

---

(١) نفس المرجع السابق : ص ١٣٨

٣ ـ أن رابعة العدوية تبحرت فى العلم وتتلمذت على يد شيوخ صوفيين ، بينما هذه الفتاة لم تتبحر فى العلم مثل رابعة . . فلقد درست وتعلمت كأى انسان تأخذ حياته الشكل الطبيعى ونصيبه من العلم ، كما أن هذه الفتاة لم تتلمذ على يد شيوخ كما حدث لرابعة .

٤ ـ يُقال أنه كان لرابعة العدوية كرامات أو خوارق ، أما هذه الفتاة فلم يكن لها خوارق أو كرامات ولكن أفاض الله عليها وأنعم عليها بالرؤى الصالحة .

من هذه المقارنة والتحليل الموجز يتبين لنا أن الشخصيتين مختلفتان حيث أن الظروف الاجتماعية والنفسية لكل منهما متباينة ، ولكن نستطيع أن نقول بأنهما مشتركتان فى هدف واحد وهو حب الله والقرب من الله .

كانت هذه الفتاة بالفطرة تحب الله . . كانت تحس بأن شيئا ما يشدّها إلى الله ، نحو الأعلى ، يتجه بها إلى الخير ، يقودها إلى ما هو أفضل ، وبدأ هذا الشىء الذى بداخلها يكبر معها وتكبر أحاسيسها ومشاعرها به وترتقى حتى وصلت إلى سن معينة . . بدأت تتأمل وتتفكر فى آيات الله من حولها وتتبصر فى آيات الله فى نفسها فعاهدت الله عز وجل على أن تسير فى طريقه آملة فى عونه وتقويمه عز وجل لها . . لاجئة إليه على الدوام هو وحده .

وهبت حياتها ونفسها وطريقها له هو وحده . . فأنعم الله عليها بهداية من عنده وشرح قلبها وأضاءه بالحب والنور والبصيرة فأصبحت على هدًى من ربها ذات عيون لها نور من الله .

واذا تأملنا فى قصة حياة هذه الفتاة نجد اننا أمام قصة عطاء ربانى . . فالتجربة الروحانية التى تعيشها بكل كيانها هى نوعا من أنواع العطاء الربانى . . عطاء يعلمّها ويوجهها ويرشدها فى كل لحظة فى حياتها ، والحب الإلهى الذى ينبض به قلب فتاتنا ووجدانها وأعماقها وتعيشه بكل كيانها هو درجة اخرى من درجات العطاء الربانى .

وإنى ككاتبة لهذه القصة . . لا أعتبر أن ما كتبته هو قصة حياة عابدة

فقيرة إلى الله ينبض قلبها بالحب الإلهى ، وانما اعتبر أن موضوع هذا الكتاب وجوهره هو قصة عطاء ربانى أنعم الله به على هذه الفتاة العابدة .

ولذا تجد الفتاة نفسها عاجزة أمام هذا العطاء الربانى ولا يسعها غير أن يزيدها هذا العطاء الإلهى حبا لله وشوقا إليه وأن توجه كل لحظة فى حياتها إلى لمسات حمد وشكر لله العلى العظيم .

ومن هنا أحست الفتاة أن عطاء الله يحتويها من كل جانب ويظلها ويحيطها وكانت هذه نقطة الإنطلاق فى التصميم والإرادة والنية الخالصة لله وحده بأن توجه هذه النعمة وهذا العطاء الربانى فى سبيل الله ، ولذلك آمنت وأيقنت أن هذه النعمة التى أنعم الله بها ليست ملكا لها وليس من حقها أن تكنزها لنفسها فيجب أن تطلقها حرة طليقة لعلها تفيد غيرها كما استفادت هى منها ، ولعلها تكون نورا فى الطريق وهدى ورحمة لمن اتبع أهوائه وشهواته ونسى الله وضل طريقه ، وفقد غايته فى القرب من الله .

فإن هذا العطاء الربانى يحوى الكثير من الأمور والمعرفة التى من الممكن ان يستفيد بها الآخرون . . كل حسب علاقته بالله ودرجة حبه لله .

ومن هنا كان إيمان الفتاة ويقينها بضرورة كشف النقاب عن هذا العطاء الربانى حبا وحمدا وشكرا لله وحده وتحدّثا بنعمة ربها .

وهنا كانت المسئولية الكبرى الملقاة على عاتقى ككاتبة لهذه القصة لأننى لا أكتب عن حياة شخص وإنما أكتب عن عطاء ربانى يقف أمامه الإنسان عاجزا لا يسعه غير الحمد والشكر لله العلى العظيم والدعاء بأن يزيده من هذا العطاء الربانى سواء كان هذا العطاء حب لله أو تجربة روحانية فضلا من عند الله .

ومن هنا عرفت ككاتبة لهذه القصة بأنه لن ينجنى إلا الإيمان والصدق فى كل كلمة أكتبها لأننى سأحاسب عليها من رب العالمين مالك الملك المعطى الذى أعطى هذا العطاء الربانى هبة ومنة منه سبحانه .

ويعلم الله وحده أن كل ما سردته فى هذا الكتاب صدقا وحقا سواء عن مشاعر الحب الإلهى التى تعيشها الفتاة أو عن التجربة الروحانية التى أنعم

الله بها عليها وتحياها فى كل لحظة فى حياتها وكانت ولا زالت لها تأثيرا فعالا فى طريقها .

بل إنى أعترف إعترافا كاملا بأن ما كتبته لم يمثل إلا ذرة بسيطة من العالم الحقيقى الذى تعيش فيه الفتاة لأن التجربة الروحانية التى أنعم الله بها عليها أكبر منها وأكبر من أن يستوعبها فكرها وعقلها وعمرها الميلادى .

تجربة تحتاج فيها إلى تثبيت من الله وعون منه وحده فمنَّ الله عليها بالرحمة والحنان حيث وهبها عيون لها نور من الله تثبّتها وتعينها فى الطريق .

نعم عيون لها نور من الله لأن الفتاة لا تستطيع أن تصمد أمام هذه الرؤ ى النورانية التى تراها ، ولا أن تثبت أمام الأنوار الربانية التى تنكشف عليها والفتوحات الإلهية التى يفتحها الله عليها . . . . فلابد لكى تصمد وتثبت من عيون لها نور من الله .

لا تستطيع ابدا الفتاة أن ترى ما تشاهده من رؤ ى عظيمة وأنوار ربانية بهذه العيون البشرية . . فالعيون البشرية بما أوتيت من قوة وقدرة وطاقة لا تستطيع ان تتحمل وتقف وتصمد وتثبت أمام أنوار الله والرؤ ى العظيمة والكشوفات الرائعة .

إذن فهى عيون أخرى . . عيون من طبيعة خاصة هبة من عند الله . . عيون بأمر الله وبإرادة الله وبرحمة من عند الله هى التى تستطيع ان تصمد وتثبت أمام هذه الأنوار الربانية والرؤ ى العظيمة .

إذن فهى حقا عيون لها نور من الله هى التى تستطيع أن تثبت وتصمد أمام فضل الله وعطاءه الكبير وبأمره وحده .

لا يمكن ابدا أن تكون العيون التى رأت رؤ ى الأنوار عيون بشرية وإنما هى عيون أعطاها الله بفضله وإذنه وإرادته وبسلطان منه هو وحده القدرة على تحمّل هذه الأنوار العظيمة .

إذن هى حقا عيون لها نور من الله ، وبدون هذا النور الإلهى لم تستطع هذه العيون أن تتحمل وتثبت أمام رؤ ى الأنوار وغيرها من الرؤ ى الأخرى العظيمة التى منَّ الله بها عليها .

وهذه رحمة من الله ، ولطف منه سبحانه أن أنعم على هذه الفتاة بهذه العيون ، وزوّد هذه العيون بنور من عنده .

إذن فهى ليست عيون بشرية وإنما هى عيون لها نور من الله .

لقد كتبت هذه القصة بأعصابى وبكل حاسة من حواسى . . ولقد سطرت سطورها قطرات دمى . . ونبضات روحى . . وهمسات فؤادى . . ودقات قلبى . . وخلجات وجدانى . . قصة تحركت معها كل مشاعرى وأحاسيسى وكل ذرة فى كيانى حيث النبضات بحب الله والتقلب فى نار الشوق إلى الله .

لقد سبق قلبى قلمى فى تصوير هذا الحب التى تعيشه الفتاة ، وقفزت كل ذرة فى كيانى فوق الصفحات إلى عالم نورانى لوصف التجربة الروحانية التى منحها الله لهذه الفتاة .

وفى النهاية لم يبق لدى سوى إحساس يقينى بأن الكلمات والسطور تقف ساكنة ساجدة حمدا وشكرا لله وحبا لله عز وجل .

وتتساءل السطور والكلمات :
هل أنا التى سطرت قصة هذا الحب . . ؟
هل انا التى كتبت هذه التجربة التى هى فضل من عند الله وحده . . ؟
وتجيب السطور والكلمات .
كلا . . ثم كلا . . ثم كلا

لابد أن هناك شىء آخر خفى لا يعلمه إلا الله وحده هو الذى دفع السطور والكلمات وسبق قلمى وقفز فوق الخطوط والحروف والصفحات ليسطر هذه القصة .

هل هو القلب المحب المخلص لله . . ؟
أم هو شىء آخر . . . .
الله وحده هو الذى يعلم ذلك الشىء .

وهنا أقف ككاتبة لهذه القصة مع الكلمات والسطور لأعلن عن عجزى

وأنسب الفضل كله لله وحده لا شريك له .. فهو وحده الذى منحنى وأعطانى وعلّمنى وهدانى إلى سطور هذه القصة ، وجعلنى بأمره أداة ووسيلة فقط لكشف النقاب عن قصة هذا الحب العظيم لله ، وحكاية التجربة الروحانية التى هى عطاء ربانى هبة ومنحة من عند الله وحده .

إذن فالفضل فضل الله
والخير خير الله
وكتبت سطور هذا الكتاب بأمر الله وفضله .

وكما انضممت مع الكلمات والسطور لأعلن عن عجزى ، وأنسب الفضل كله لله وحده ، أنضم إليهم لأسجد معهم لله الواحد الصمد صاحب الفضل وحده حمدا وشكرا له وحده جل جلاله مرددة بصوت الحب له وحده وتسجد معى كل ذرة فى كيانى مرددة هى أيضا .

لا إله إلا الله
والحمد لله رب العالمين

نعم صدقا وحقا ويقينا ..

لا إله إلا الله وحده
والحمد لله رب العالمين

الفضل لله وحده
والحمد لله رب العالمين

ولأن الإخلاص لله وحده كان ولا يزال ثمرة من ثمرات هذه القصة يمن الله وينعم علينا بالرضا والأمان والإطمئنان القلبى والسلام الروحى .

لقد كنا فى رحلة روحية مع هذا الكتاب ... رحلة روحية مع قصة حب تعيشه سفيرة قصتنا ... حب لله ينبض به كل ذرة فى كيانها .

وإنها رحلة روحية مع أنوار تجربة روحانية أفاض الله بها على الفتاة بطلة هذه القصة تعيشها بكل خلجة من خلجاتها فتصبح هذه الرحلة الروحية نعمة من الله عليها وعطاء ربانى لها سواء أكانت نعمة الحب التى أنعم الله به عليها أو نعمة التجربة التى تعيشها وأفاض الله بها عليها ، وتبدأ أحاسيسها ومشاعرها ترشدها لتوجيه هذه النعمة وهذا العطاء فى سبيل الله وذلك بتوجيه كل عمل وسلوك وكل لحظة تعيشها فى حياتها إلى لمسات حمد وشكر حبا لله عز وجل .

ولذا فإن موضوع هذا الكتاب وما سردته فيه لم يكن سيرة ذاتية ، ولم يحك عن حياة شخص وإنما هو حكاية عطاء ربانى حيث أعطى الله هذه الفتاة الحب الإلهى ، ومنَّ عليها بالإشراقات الربانية من خلال تجربة روحانية تحياها بفضل الله وأمره وإذنه وإرادته هو وحده . . عطاء ربانى أنعم الله به على عابدة من عباده تسلك طريقه ولا ترضى بغيره طريقا ، ولا تطمع إلا فى رضا الله ، وحب الله ، والقرب من الله .

ولأنه عطاء ربانى آثرت ألا أكشف عن شخصية الفتاة أو الشخصيات التى تتعامل معها لأن معرفة هذه الشخصيات ليست هى الهدف ، وإنما الهدف هو العطاء الربانى وقيمته وجوهره وماذا يثمر لنا ، وماذا نستفيد منه . . .

إنه عطاء ربانى من البداية إلى النهاية ولا زال العطاء الربانى ممتدا حيث لا زالت الفتاة على قيد الحياة ، ولا يزال قلبها ينبض بالحب لله والشوق إليه سبحانه . . . فالقصة لم تنته بعد ، والنهاية مفتوحة لأنه لا يعلمها إلا الله وحده .

أعرف أن لكل قصة نهاية ، ولكل بحر بداية ونهاية ولكن هذه القصة لم تنته بعد لأنه لا يزال عطاء الله لها ممتدا وفياضا برحمته وأمره ومشيئته ، ولا زالت الفتاة تسبح فى بحر الحب الإلهى الذى لا حد له ولا نهاية له ، ويشدّها هذا البحر لتغوص فى أعماقه أكثر وتغرف من كنوزه ، وكلما تغرف من كنز وتتخيل انها وصلت إلى النهاية تجد كنوزا اخرى أعمق وأعمق يمتلىء بها بحر الحب الإلهى تدعوها إلى الجهاد والصبر وأن تغوص فى

الأعماق لتشرب من مياه المعرفة بأمر الله ، ولا زالت الفتاة تسبح فى بحر الحب الإلهى سعيدة . . هائمة . . هادئة . . متعطشة إلى المعرفة . . متشوقة إلى مزيد من الحب الإلهى آملة فى عون الله لها . . طامعة فى حبه ، ناشدة رضاه ، طالبة رحمته بها وأن يساعدها ويعينها للغرف من كنوز بحر الحب الإلهى .

فلا زالت الفتاة سابحة فى بحر الحب الإلهى تغرف من كنوزه ولا زال عطاء الله لها مفتوحا وممدودا لها يدعوها لأن تعبد الله أكثر وتحمده أكثر ، وتشكره أكثر وتذكره أكثر حبا له عز وجل . . فيفتح الله عليها باب من أبواب المعرفة ، وفى المعرفة الخير الكثير حيث الرضا والنور واليقين والإلتزام فى طريق الله ، والحب الإلهى الكبير ، والحنان الربانى العظيم .

تنتهى كتابة سطور هذه القصة ، ولكن حكاية هذه الفتاة لم تنته بعد ولا زالت نهايتها غير معروفة لأنها ما زالت على قيد الحياة ، ولا زال فى العمر بقية بأمر الله وطالما فيها قلب يدق وينبض للحياة . . فلا زالت نبضاتها تنبض بحب الله . . حب يختلج فى كل ذرة فى كيانها ، ويمتزج بدمائها وعروقها . . حب يجعلها تحيا حياة أكبر من عمرها ، وأكبر من فكرها ، وأكبر من أيامها .

فلا زال قلبها نابضا بحب الله وتزداد نبضاته مع كل يوم يمر من عمرها فالأيام تجرى وحبها لله يسبق أيامها ويقفز بقفزات تفوق عمرها الميلادى .

إن هذه الفتاة تكبر روحانيا بسرعة فائقة بأمر الله . . سرعة لا نستطيع نحن البشر أن نحدد قدرتها أو طاقتها .

ومع نبضات قلب الفتاة التى تزداد وتكبر فى حب الله . . يفتح الله عليها بالعطاء الربانى بأمره فيصبح هذا العطاء الربانى نعمة عليها مفتوحة لها بأمر الله وممدودة بمشيئته سبحانه مما يجعلها تحس بالشوق والحنين إلى لقاء الله .

وياتُرى ما هى النهاية . . ؟

لا يعلم الغيب إلا الله وحده . . له ما يشاء وعلى كل شيء قدير .

ولا يعرف أحد ولا يستطيع حتى أن يتكهن بنهاية هذه القصة لأن ما زال قلبها ينبض بالحب الإلهى وما زال العطاء الربانى مفتوحا لها بأمر الله .

ولا أحد يعلم هل ستقف التجربة الروحانية التى منّ الله بها على الفتاة إلى هذا الحد أم ستتطور تطورا آخر . . . ؟

الله وحده هو عالم الغيب ، ووحده هو الذى يعلم ذلك .

ش٦ ومن يدرى . . ربما اذا شاء الله أن يفتح أكثر على هذه الفتاة وتتطور التجربة الروحانية إلى أكثر من ذلك . . أن يكون هناك كتاب آخر امتداد لهذا الكتاب يحكى عن تطور التجربة ويعتبر جزءا ثانيا لهذا الكتاب بأمر الله وحده . . . . له ما يشاء وعلى كل شيء قدير .

الأيام تجرى . . والعمر يقفز . . ولازالت الفتاة سائرة فى طريقها . . سابحة فى بحر الحب الإلهى . . غارقة فى لمسات الحنان الإلهى . . منعمة بالعطاء الربانى الذى وهبه الله لها حامدة شاكرة راضية بكل ما يعطيه الله لها ذاكرة له على الدوام فضله العظيم عليها هانئة بما وهبها الله من نعم لا تعد ولا تحصى وبما منحها من عيون لها نور من الله .

لا يريد قلمى ان يترك السطور أو يفارق الصفحات . . إنه يبكى لأنه سيتوقف عن إستمرار كتابة نبضات الحب الإلهى فما زال يحمل الكثير للكتابة عن هذا الحب الالهى وعن هذا العطاء الربانى ولكن آن الآوان أن تنزل الستار على كتابة هذا الكتاب ، ولا زال قلمى يجاهد ويصبر ويقبل بحب أن يفارق السطور ولكنه يعلن فى النهاية كما أعلن فى البداية أن كل حرف سطره هذا القلم هو فضل من عند الله وبأمر الله وحده ، وبعون الله وحده وجاء الوقت ليكتب ويسّطر فى النهاية بأنه تم بحمد الله وعون الله وحده داعيا الله أن يتقبل هذا الكتاب بقبول حسن خالصا مخلصا لوجهه الكريم وأن يمنَّ الله على قارئه وكاتبه بالرحمة والمغفرة وأن يفتح عليهم أبواب الحب الإلهى والرضا الربانى .

وقبل أن أترك قلمى الذى أسعده أن يكتب هذه القصة ، وشرّفه أن يسّطر هذه التجربة الروحانية التى هى فضل من عند الله وقبل أن أسدل الستار على فترة من حياتى - فترة كتابة هذه القصة . . فترة استغرقت سنوات عشت فيها ككاتبة لهذه القصة أجمل لحظات عمرى حيث حب الله والحياة فى نور الله . . فترة كان ولا زال لها الأثر الفعال العميق فى نفسى وتغيير مسار حياتى يبقى لى كلمة أخيرة أود أن أسجلها على الصفحة التالية وبين ثنايا السطور القليلة القادمة تحت عنوان . .

« وبعـــــد »

وبعـــد

وبعد هذه الرحلة الروحية التى تهز القلب والوجدان والفؤاد ، وتقود العقل إلى التأمل ، وتدعو الجسد إلى السجود لله عز وجل ، وتنير البصيرة فيهتز الكيان الإنسانى ويعيش روعة الإبداع الإلهى ويحيا قولا وفعلا .. اعتقادا ويقينا بكلمة لا إله إلا الله .. ويؤمن إيمانا راسخا ثابتا بوجود الله عز وجل ، ووحدانيته ، وقدرته العظيمة ، وفيضه الكريم ، وعطفه العميم ، وفضله العظيم ، وحنانه الشامل ، وكرمه الواسع ... لم يتبق لى إلا كلمة أخيرة يدفعنى ويحفزنى الإيمان بها لتسجيلها وهى :

إن الدعوة عامة ومفتوحة إلى الحب
حب الله العلى العظيم

دعوة إلى العالمين ليستجيبوا ويلبوا نداء هذا الحب .. حب يشترك فيه القلب والعقل والوجدان والفؤاد والجسد والروح فينسجم الكيان الإنسانى كله مع الكون والوجود بأكمله فيحس بأنه يحيا ويشترك مع الكائنات وجميع المخلوقات ويتغنون سويا بهذا الحب العظيم الذى يعرف ويحقق الخير والحق والجمال والسلام ..

فهو يحيا لهذا الحب وبه ... .
فهيا بنا ....

هيا بنا فلنسير معا فى طريق الله ، ولنتنافس سويا فى حب الله ، ولنتسابق جميعا للفوز بالقرب من الله داعين راجين الرحمن أن يكتبنا من الناجين ، وأن يشملنا برحمته ويدخلنا مع عباده الصالحين طامعين ناشدين آملين أن يهبنا عيون لها نور من الله ..

***

المؤلفة فى سطور

ناهد عبد العال الخراشى

تخرجت من كلية الآداب ـ قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية (شعبة الفلسفة) جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٦ .

دبلوم دراسات عليا فى علم النفس الاسلامى من جامعة الاسكندرية

تهتم بالدراسات النفسية فى القرآن الكريم والسيرة النبوية ، وقد أعدت مجموعة من الأبحاث والدراسات فى هذا المجال كما نشرت لها عدة مقالات فى ذات الموضوع .

كتب للمؤلفة

. أثر القرآن الكريم فى الأمن النفسى
. الإسلام فطرة الخلق وشريعة الوجود

كتب تحت الطبع

. لمسات من الحنان الإلهى
. حب لا يغرب ابدا
. محن الانبياء
. نبضات من الإيمان
. النفس بين الفجور والتقوى

المراجـــع

القرآن الكريم
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم

الشيخ ابن القيم الجوزية : كتاب الروح
مدارج السالكين

الشيخ أبو بكر الكلاباذى : التعرف لمذهب أهل التصوف

الإمام أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين
المنقذ من الضلال
معارج القدس فى مدارج معرفة النفس

الإمام أبو طالب المكى : قوت القلوب

الإمام أبو النصر السراج الطوسى : اللمع

أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء

الدكتور أبو الوفا التفتازانى : مدخل الى التصوف الإسلامى

أحمد بهجت : الله فى العقيدة الإسلامية
أنبياء الله
بحار الحب عند الصوفية

الحكيم الترمذى : المسائل المكنونة
نوادر الأصول
الفروق

الدكتور حسن الشرقاوى : نحو علم نفس إسلامى
الشريعة والحقيقة
الحكومة الباطنية
المسلمون علماء وحكماء
من حكماء الأمة
الشيخ الشبلنجى : نور الأبصار
عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية
عبد الله اليافعى : روض الرياحين
الإمام الدكتور عبد الحليم محمود : الصلاة أسرار وأحكام
مع الأنبياء والرسل
قضية التصوف (المدرسة الشاذلية)
الدكتور عبد الفتاح بركة : الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية
الإمام عبد القادر الجيلانى : الفتح الربانى والفيض الرحمانى
الإمام عبد الكريم القشيرى : الرسالة القشيرية
عبد المحسن الحسينى : المعرفة عند الحكيم الترمذى
الدكتور عبد المنعم الحفنى : العابدة العاشقة
رابعة العدوية
إمامة العاشقين والمحزونين
الدكتور محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس
محمد كمال جعفر : الريادة الإسلامية فى علم النفس - مجلة التصوف الاسلامى - العدد ٣٠ ١٩٨١
فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى : معجزة القرآن - الجزء التاسع
محمد رسول الله
الدكتور يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة

المحتويات

رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٩٢/٣٢٥١

الترقيم الدولى
٩٢/٣٢٥١
I.S. B.N
977-00-3099

مطابع الأهرام بكورنيش النيل